

تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر السبكي

(٥٨٤٩ - ٥٩١١ هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد المحلي

(٥٧٩١ - ٥٨٦٤ هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

مراجعة وتقديمه

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراوي

مشيخه من المقارئ المصرية ورئيس لجنة المحققين بالأزهر الشريف

مَدَامُ الْوَحْدَانِ لِلنَّبِيِّ

رفع

عبد الرحمن الحمدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تفسير الجلالين
ومعه حاشية هداية الموحدين

حقوق الطبع
محفوظة

طبعة عام ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



المملكة العربية السعودية - الرياض

المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨

ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦

الموقع الإلكتروني: www.madaralwatan.com
البريد الإلكتروني: pop@madaralwatan.com
madaralwatan@hotmail.com

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٨/٢٢٤٧٧

تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

(٨٤٩هـ - ٩١١هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد الحلي

(٧٩١هـ - ٨٦٤هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

راجعه وقدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم القارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف



دار النشر
دار الكتب والوثائق القومية



تقريظ فضيلة الشيخ الدكتور / احمد عيسى المعصراوي

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ۖ فَيَمَّا يَنْزِيلُ لَكُمْ آيَاتِهِ يَقُولُ أَسْمِعْ لَكُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِي الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِيهَا شِقَاقًا ۖ وَلِيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١-٢]

أما بعد: فإن للقرآن الكريم أكبر شأن في أمر الإسلام، فهو هديهم في شريعتهم، وهو المنار الذي يستضاء به في أساليب البلاغة العربية، بل هو المنبع الصافي الذي ينهلون منه فلسفتهم الروحية والخلقية، وكما جعل المولى ﷺ النبوة نبينا ﷺ مختمة، وجعل شرائع غير المسلمين بشرية الإسلام من وجه منتسخة، ومن وجه آخر مكمل ومتممة، حيث قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] فقد جعل المولى ﷺ كتابه المنزل على نبيه ﷺ متضمنا ثمرة كتبه التي أولاها أوائل الأمم؛ فقال سبحانه: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [١] فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿[البينة: ٢-٣].

وجعل معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم، فهو متضمن للمعنى الجم، وأنه لا يخلو الناظر فيه من نور ما يريه، ونفع ما يوليه، فهو كما قال الشاعر:

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتُهُ يُهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبًا
كَالشَّمْسِ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

ومع ذلك فإن محاسن أنواره لا تدرکها إلا البصائر الجليلة، وأطاب ثمرة لا تقطفها إلا الأيدي الزكية، ومنافع شفافه لا تنالها إلا النفوس النقية، فهو كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ لَقَرَنَ كَرِيمًا﴾ [٧٧] فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿[الواقعة: ٧٧-٧٩]

ولذلك يعد علم التفسير هو من أجل العلوم التي توضح ما في القرآن من معنى ومبنى، وعلم التفسير في غنى أن يشاد بجلالته، وشدة اعتناء الأمة به، فإنه يستحق ذلك وأكثر، لجلالة ما يضاف إليه في هذا المحل، ويعد من أجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه تبارك وتعالى هو تعلم كتابه وتعليمه الناس ذلك حيث قال سبحانه: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمًا كَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] وقال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١)، فالخيرية تنأت بتعلم القرآن وتعليمه مع العمل به، ولذلك كانت معرفة تفسير آيات القرآن من أجل المعارف.

وبين أيدينا تفسير من تفاسير القرآن التي اشتهرت بين أهل العلم؛ ألا وهو تفسير الجلالين الذي كان ولا يزال موضع اهتمام العلماء وحفاوتهم، وذلك لسهولة تعبيره ودقة عرضه، والتي عبر عنها الإمام السيوطي بقوله: (وهو ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، وتنبه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، عن عثمان بن عفان حديث رقم (٥٠٢٧).

التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعريب محلها كتب العربية).

فالكتاب على ذلك موجز اقتصر فيه على ما هو ضروري لفهم النص إجمالاً مع بعض الاستطرادات في العربية أو القراءات، ومن ثم رآه العلماء في حاجة إلى تلك الحواشي لشرحه وتوضيحه.

وقد بلغ هذا التفسير من الإيجاز حدًا دفع بعض علماء اليمن إلى أن يعد حروفه، فوجدها مساوية لحروف القرآن إلى سورة المزمل، ولقد عبر الداوودي عن أهمية هذا التفسير بقوله عن الجلال المحلي: (وأجلّ كتبه التي لم تكمل: تفسير القرآن العظيم، كتب من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن)^(١). ويؤكد الإمام السيوطي هذا الكلام بقوله في مفتتح تأليفه للجزء الباقي، حيث قال: (هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وتتميم ما فاتته، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء بتممة على نمطه).

ولقد طبع هذا التفسير طبعات كثيرة على مر العصور، ومن هذه الطبعات الطبعة التي بين أيدينا، والتي بذل فيها محققها فضيلة الشيخ هشام برغش، جهدًا كبيرًا استطاع أن يُخرج إلينا نسخة محققة وموثقة تساعد القارئ على فهم النصوص وتوثيقها من مصادرها الأساسية، وتخرّيج جميع الأحاديث، مما يعطي للقارئ الثقة فيما بين يديه، إضافة إلى تلافيتها للأخطاء الواقعة في الطبعات السابقة إن شاء الله.

والله أسأل أن ينفعنا بهذا العمل، وأن يكون في ميزان حسنات كل من قام به، وأن يسخرنا لخدمة كتابه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف
وأستاذ الحديث وعلمه بجامعة الأزهر



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، أحمدده سبحانه حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن هذا التفسير «تفسير الجلالين» من أوجز التفاسير وأدقها عبارة، وأكثرها انتشارًا؛ لما تميز به من سهولة العبارة ودقتها، مع الاهتمام بأرجح الأقوال، والبعد - في الجملة - عن الأقوال الشاذة.

إضافة إلى ما يحويه التفسير من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ووجوه القراءات المشهورة والإعراب، وشرح الغريب، مع إشارات مفيدة إلى آيات الأحكام؛ حتى بات هذا التفسير خلاصة من خلاصات العلوم.

ولا عجب أن يقول عنه صاحب «كشف الظنون»: «وهو - مع كونه صغير الحجم - كبير المعنى؛ لأنه لب لباب التفاسير».

ولا يدرك قيمته ويعرف منزلته إلا من طالع ودرس كتب التفسير بمدارسها المختلفة، وإلا العلماء الأفاضل وطلبة العلم النابهون.

ولذا كان هذا التفسير موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشرح كثيرة.

وقد انتشر هذا التفسير انتشارًا واسعًا، ومما ساعد على ذلك طباعته على هوامش المصحف الشريف.

غير أن هذا التفسير رغم مكانته هذه لم يخل من مؤاخذات، ولم يحظ بما يستحقه من عناية كافية وتنبيه على ما فيه من مؤاخذات وأخطاء، وأهم هذه المؤاخذات على تفسير الجلالين هي:

١- الوقوع في تأويل الصفات.

٢- اشتماله على بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة وروايات لا أصل لها.

٣- وجود بعض الإسرائيليات.

٤- بعض الاختيارات المرجوحة في تفسير بعض الآيات.

وقد تتبع العلماء والمفسرون جملة من هذه الأخطاء وقاموا بالتنبيه عليها، ومنهم القاضي محمد كنعان في طبعة المكتب الإسلامي ببيروت (قرة العينين على تفسير الجلالين)، إلا أن الكتاب لم يستوعب جملة من الأخطاء التي وقع فيها مفسرا الجلالين، إضافة إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها القاضي كنعان نفسه في التعليق، كما ذكر الشيخ محمد جميل زينو في

كتابه: «تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين».

وكذا هناك تعليقات وتعقيبات نفيسة للدكتور محمد عبد الرحمن الخميس في رسالة صغيرة بعنوان «أنوار الهالين في التعقبات على الجلالين».

كما قام الشيخ صفى الرحمن المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ بالتعليق على التفسير المذكور في طبعة لدار السلام تعقب فيها الجلالين في تأويلهما لبعض الصفات... إلا أنه لم يستوعب ما وقع في الجلالين من تأويل.

وقد شرح الله صدري لاقتراح أحد الفضلاء - جزاه الله خيرًا - عليّ؛ أن أضع تعليقًا مختصرًا على ما وقع في هذا التفسير من تأويل لآيات الصفات؛ أين فيه عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم، فانشرح صدري لذلك، فاشتغلت به على عجزى آملًا أن أنضم لهذه الكوكبة من أهل العلم والفضل، في بيان ما وقع فيه صاحب التفسير من تأويل لآيات الصفات، وعرض مذهب السلف الصالح فيها، مع التحذير مما وقع فيه من إسرائيليات وأقوال مردودة، مع كشف لبعض غوامض هذا التفسير وعباراته المبهمة، مع ضبط النص ومقابلته على أكثر من نسخة مطبوعة.

ومن هذه الطبعات:

- ١- طبعة دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي مع حاشية الصاوي.
 - ٢- طبعة المكتبة التجارية مع حاشية الجمل.
 - ٣- طبعة دار المعرفة - بيروت ١٤١٦ هـ.
 - ٤- طبعة دار البشائر الإسلامية - دمشق ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
 - ٥- طبعة دار السلام - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
 - ٦- طبعة دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، المسمى (قرة العينين على تفسير الجلالين) للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- وقد جعلت طبعة دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي هي الأصل المعتمد لدقتها وقلة أخطائها، وإذا حدث اختلاف في النسخ أعتمد الأقرب منها الأوفق للسياق والمعنى، وأشير إلى ذلك في الحاشية.

التعريف بالتفسير والمفسرين

أما التفسير:

فلم يضع الجلالان رحمهما الله تعالى لهذا التفسير اسمًا، بل عُرف بين العلماء بـ«تفسير الجلالين» وبـ«الجلالين» - اختصارًا - نسبة إليهما، وسماه بعضهم: «كتاب الجلالين في تفسير القرآن العظيم».

وقد اعتمد الجلالان في تفسيرهما هذا على عدد من التفاسير، أشار إليها الجلال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه: «بُغْيَةُ الوَعَاةِ فِي تَرَاجُمِ اللُّغَوِيْنَ وَالتَّحَاةِ» عند ترجمته للإمام مَوْفَى الدِّين: «أحمد بن يوسف الكواشي» الموصلي المفسر، المتوفى عام ستين وثمانمائة (٨٦٠هـ، الموافق ١٤٥٥م) حيث قال:

«وله التفسير الكبير والصغير، جَوَّدَ فِيهِ الإِعْرَابَ وَحَرَّرَ أَنْوَاعَ الْوُقُوفِ^(١)، وَأَرْسَلَ مِنْهُ نَسْخَةً إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْقُدْسِ، قَلَّتْ^(٢): وَعَلَيْهِ اعْتَمَدَ الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ الْحَلِي فِي تَفْسِيرِهِ، وَاعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ أَنَا فِي تَكْمِلَتِهِ مَعَ الْوَجِيزِ^(٣)، وَتَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ، وَابْنِ كَثِيرٍ».

ولم يكتب الجلال المحلي مقدمةً ولا خاتمةً للقسم الذي فسر، أما الجلال السيوطي فقد كتب مقدمة مختصرة في أول سورة «البقرة»، وكتب خاتمة للقسم الذي فسر، في آخر تفسير سورة «الإسراء».

وأما المفسران:

فقد أُلِفَ هَذَا التفسير عالمان جليلان؛ لقب كل منهما: «جلال الدين»، وهما:
الأول هو: أبو عبد الله: «محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلي»، نسبة إلى «المحلة الكبرى» - مدينة في مصر - المتوفى عام أربعة وستين وثمانمائة (٨٦٤هـ، الموافق ١٤٥٩م). وهو الذي فسر: «فاتحة الكتاب» ومن أول سورة «الكهف» حتى آخر سورة «الناس».

والثاني هو: أبو الفضل: «عبد الرحمن بن كمال الدين - أبي بكر - الأسيوطي، أو: الشُّيُوطِي» - نسبة إلى «أسيوط أو شُيُوط» بضم الهمزة والسين - على خلاف بين العلماء -

(١) قوله: «وحرر أنواع الوقوف» أي: بيّن مواضع الوقف في القرآن الكريم وأنواعها؛ كالوقف التام والحسن والقيح... إلخ.

(٢) قوله: «قلّت» أي: الجلال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) قوله: «مع الوجيز»: هو تفسير مختصر للشيخ أبي الحسن: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المتوفى عام ٤٦٨هـ.

إحدى مدن الجنوب في مصر، وتعرف الآن بـ«أسيوط» بفتح الهمزة، المتوفى عام أحد عشر وتسعمائة (٩١١هـ، الموافق ١٥٠٥م).

وهو الذي فسّر التمة، أي: من أول سورة «البقرة» إلى آخر سورة «الإسراء»، - وقد وهّم صاحب «كشف الظنون» في نسبة هذا القسم إلى الجلال المحلي.. وكان عمره إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة أو أقلّ منها بشهور، وكان ذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين.

مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به:

لما كان كتاب الجلالين من أجل كتب التفسير، فقد أجمع على الاعتناء به جم غفير من أهل البصائر والتنوير، وتوجّهت همهم لخدمته، فكان موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشرح كثيرة؛ توضح مجمله، وتزيل غامضه، وتبين دقائقه، ومن أهمها:

١- حاشية للشيخ محمد بن عبدالرحمن العلقمي، المتوفى (٩٦٩هـ) سماها: «قَبَسُ النُّبَرِينِ على تفسير الجلالين» فرغ من تأليفها عام (٩٥٢هـ). ولا تزال مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق.

٢- حاشية للشيخ محمد بن محمد الكرخي المتوفى، عام (١٠٠٦هـ) سماها: «مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ الْبَدْرَيْنِ على الجلالين» في أربعة مجلدات، وله حاشية أخرى صغرى عليه في مجلدين. (غير مطبوعتين).

٣- حاشية للشيخ الحافظ الملا علي بن محمد القاري، المتوفى عام (١٠١٠هـ) سماها: «حاشية الجمالين على الجلالين» فرغ من تأليفها عام (١٠٠٤هـ) طُبِعَ جزءٌ منها.

٤- حاشية للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الأزهري المعروف بـ«الجمال»، المتوفى عام (١٢٠٤هـ) سماها: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» وهي في أربعة مجلدات، مطبوعة معروفة.

٥- حاشية لتلميذ الشيخ الجمل معروفة بـ«حاشية الصاوي على الجلالين»، ألفها الشيخ: أحمد ابن محمد الخلوتي الصاوي، نسبة إلى بلدة «صاء الحجر» في إقليم الغربية بمصر، المتوفى عام (١٢٤١هـ).

وهاتان الحاشيتان هما المشهورتان، المتداولتان من شروح «تفسير الجلالين».

٦- حاشية للشيخ سلام الله الدهلوي سماها: «حاشية الكمالين على الجلالين» طبعت عام (١٢٨١هـ).

٧- حاشية للشيخ محمد بن صالح أبي السعود السباعي الحفناوي المصري، المتوفى عام (١٢٦٨هـ) في ثلاثة مجلدات - مخطوطة..

٨- حاشية للشيخ سعد الله بن غلام القندهاري، سماها: «كشف المحجوبين عن خَدَي تفسير الجلالين» أو: «على تفسير الجلالين».

- ٩- حاشية للشيخ مصطفى الدّومي، المعروف بالدّوماني، ثم الصالحاني، المتوفّى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، في مجلدين سماها: «ضوء الثّيرين لفهم تفسير الجلالين».
- ١٠- حاشية للشيخ علي بن محمد عفيف الدين العقيلي الأنصاري الشافعي محدث الديار اليمنية، المتوفّى عام (١١٠١هـ).
- ١١- شرح على الجلالين للشيخ إسماعيل بن عبد الباقي اليازجي، المتوفّى عام (١١٢١هـ).
- ١٢- حاشية للشيخ عطية الله بن عطية البرهاني الأجهوري، المتوفّى عام (١١٩٠هـ)، وسماها: «كتاب الكوكبين الثّيرين في حلّ ألفاظ الجلالين».
- ١٣- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد التّطواني الحائك، المتوفّى عام (١٢٣٧هـ).
- ١٤- حاشية للشيخ عبد الله بن محمد الثّراوي المصري، المتوفّى عام (١٢٧٥هـ)، سماها: «قرة العين ونزهة الفؤاد» في أربعة مجلدات لا تزال بخطه محفوظة في المكتبة الأزهرية.
- ١٥- حاشية للشيخ أحمد بن عبد الكريم الثّرمانيني - نسبة إلى «ثّرمانين» إحدى قرى حلب - المتوفّى عام (١٢٩٣هـ).
- ١٦- حاشية للشيخ محمد بن عبد الله الحسيني الزّواك الحديدي الزّيدي، المتوفّى عام (١٣١١هـ).
- ١٧- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد القصري الفاسي، المتوفّى عام (١٠٣٦هـ).
- ١٨- «مَسْرُة العَيْنين على تفسير الجلالين» للشيخ محمد بن خليل القاوقجي الطرابلسي، المتوفّى عام (١٣٠٥هـ)^(١).
- ١٩- «قَرّة العَيْنين على تفسير الجلالين» للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- ٢٠- هذا المختصر الذي سمّيته: «حاشية هداية الموحدين على تفسير الجلالين»،

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

منهج العمل في الكتاب

- ١- قمت بضبط النص وتصحيحه ومقابلته على النسخ المطبوعة المعتمدة، وجعلت طبعة «دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي» هي الأصل المعتمد؛ لدقتها وقلة أخطائها، وعدم وجود سقط بها، ثم نسخة القاضي كنعان؛ «قرة العينين على تفسير الجلالين»، ثم نسخة الشيخ صفى الرحمن، وعند وجود اختلاف جوهري، أو سقط، أعتمد ما جاء في نسخة حاشية الصاوي إلا ما ظهر لي خطؤه، وهو نادر جدًا - مع الإشارة إلى الاختلاف أو السقط في نسخة القاضي خاصة، ووجه ذلك.
- ٢- تتبع ما وقع في الجلالين من تأويل لآيات الصفات، وبينت وجه مخالفتها لعقيدة السلف، وبينت عقيدة أهل السنة في تفسير هذه الآيات، في كل موضع وقف في فيه على شيء من ذلك، ولم أكتف بتناول بعضها والإحالة عليه.
- وكان هذا الأمر هو مقصود الكتاب الأول عند بدء العمل فيه، وقد استفدت في هذا الباب مما كتبه المفسرون الذين اعتمدوا طريقة السلف ونصروا عقيدة أهل السنة والجماعة؛ كابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وابن سعدي.
- كما استفدت كثيرًا مما كتبه بعض المتأخرين من أهل العلم ممن عرف بسلامة اعتقاده، ونصرتهم لعقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات؛ ممن تعقب بعض ما في الجلالين من تأويل، ومن ذلك:
- أ- «أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين» للدكتور محمد بن عبد الرحمن آل خميس.
- ب - «تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين» للشيخ محمد بن جميل زينو.
- ج - تعليقات الشيخ عبدالرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْجَلَالِينَ؛ من سورة غافر إلى سورة الناس.
- د - «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي.
- إضافة إلى بعض الكتب والرسائل المتفرقة في هذا الباب؛ كالعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشروحها.
- ٣ - بينت ما وقع في الجلالين من إسرائيليات؛ مما لا يجوز نسبته إلى أنبياء الله الكرام أو الملائكة، وذكرت أقوال السلف وكلام أهل التفسير في كل ذلك.
- ٤ - قمت بضبط وشكل الكلمات التي قد يُشكل على القارئ فهمها أو نطقها النطق الصحيح.
- ٥ - كما اجتهدت في وضع علامات الترقيم بما يحقق توضيح المعنى وفهم العبارة، وإزالة ما قد يعثر بها من لبس أو غموض.

- ٦- كما بينت ما وقع في الجلالين من عبارات غامضة أو كلمات مشككة. وقد جعلت الآيات التي يتناولها المفسران بالتفسير بلون مغاير لغيرها من الآيات التي يذكرها المفسران في ثنايا الشرح؛ للتسهيل على القارئ في الوصول إلى الآيات موضع الشرح، وحتى لا تلبس عليه غيرها من الآيات؛ حيث إنني اعتمدت رسم المصحف في الآيات كلها، وليس فيما يفسره المفسران أصالة في كل سورة.
- ٧- بينت أوجه القراءات المختلفة التي تعرض لها المفسران، وعزوتها لأصحابها، مع بيان السببي منها من الشاذ. وذلك بالرجوع إلى كتب هذا الفن ومتخصصيه.
- ٨- تعقبت ما اعتمده المفسران من أقوال مرجوحة، وذكرت قول جماهير المفسرين في هذه المواضع، وما اختاره محققوهم كالطبري وابن كثير.
- ٩- قمت بعزو الآيات التي وردت في أثناء التفسير، كما قمت بتخريج الأحاديث تخريجاً مختصراً، مع بيان درجتها من الصحة والضعف.. إذا كانت في غير الصحيحين أو أحدهما؛ بالرجوع إلى علماء هذا الفن، وكان جلُّ اعتمادي على كلام الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وما لم أقف له فيه على قول؛ فكنت أرجع فيه لكلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ أو الشيخ الأرناؤوط رَحِمَهُ اللهُ. وإلا فكنت أرجع إلى كلام المتقدمين في ذلك كالهيثمي وابن حجر وغيرهما.
- ١٠- أثبت في الحاشية الأولى ما جاء من صحيح أسباب النزول، مكتفياً بما جاء في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- واقصرت فيه على الصحيح فقط؛ معتمداً في ذلك على ما صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في كتبه، وأما ما لم أقف فيه على كلام الشيخ الألباني كما في مسند الإمام أحمد - غالباً - فقد رجعت فيه إلى كلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ في الجزء الذي أتمه من المسند، وكذا رجعت لتعليقات الشيخ شعيب الأرناؤوط رَحِمَهُ اللهُ في المسند.
- واكتفيت في أسباب النزول - في هذه الحاشية - بما صح في هذه الكتب فقط.
- وأما ما جاء في أسباب النزول - مما تعرض له المفسران - مما لم يصح في هذه الكتب الستة ومسند الإمام أحمد فقد جعلته في الحاشية الثانية.
- وكذلك ما ذكره المفسران في أسباب النزول في غير الكتب الستة ومسند أحمد - سواء أكانت صحيحة أم لا - فقد علقت عليها بالعزو والتصحيح أو التضعيف، في الحاشية الثانية.
- جعلت في هذه الحاشية بعض الفوائد المتعلقة ببعض السور أو الآيات من خلال الأحاديث الصحيحة في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- ١١- اعتمدت مصحف المدينة لانتشاره ولجمال خطّه، واجتهدت قدر الإمكان أن أجعل التفسير وحواشيه متوافقة مع صفحات المصحف الشريف، إلا في مواضع قليلة اضطرت

إليها لضيق المجال المتاح.

١٢- حيث إن «الجلالين» لم يتقيدا في تفسيرهما بقراءة أو رواية واحدة، ولم يلتزما بتقديم قراءة بعينها، مع ارتباط تفسيرهما بالقراءة أو الرواية التي اعتمداها؛ فقد تعذر اعتماد رواية بعينها مثل حفص عن عاصم، أو ورش أو غيرهما؛ ومن ثم فقد اعتمدت ما اعتمدها من قراءات أو روايات، وما خالف قراءة حفص جعلته بين معقوفين؛ هكذا [] .

وقد استغرق العمل في هذا الكتاب المبارك قرابة عشر سنوات كاملة، حرصت خلالها على عرضه على كثير من أهل العلم ممن لهم عناية خاصة بالتفسير والقرآن وعلومه، واستفدت من توجيهاتهم ونصائحهم، وقد حاز الكتاب والحمد لله إعجابهم وحظي بشنائهم، وشجعوا على إتمامه وإخراجه، حتى يسر الله ﷻ إخراجه على هذه الصورة الطيبة، فله سبحانه الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وأسأل الله ﷻ أن يتقبل مني هذا العمل بأحسن قبول؛ فهو سبحانه أكرم مسئول، وأرجى مأمول، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعا لعباده الموحدين. اللهم أنس به في القبر وحشتي، وفرج به يوم القيامة كربتي، ويمن به يوم النشور صحتي، وثبت به على الصراط محنتي...

وصلّى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين والمرسلين وسيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

الإسكندرية

ليلة الجمعة/ غرة جمادي الأولى ١٤٢٨ هـ

dr_hesham_barghash@hotmail.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تَفْسِيرُ الْجَلِيلِ
وَمَعَهُ حَاشِيَةٌ هِدَايَةُ الْمُوَحِّدِينَ

التفسير للإمامين

جَلال الدّین
عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرِ السُّيُوطِي
(۸۴۹ھ - ۹۱۱ھ)

جلال الدین
محمد بن أحمد بن محمد المحلی
(۷۹۱ھ - ۸۶۴ھ)

وَالْحَاشِيَةُ

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ هُشَيْبُ بْنُ مُحَمَّدٍ سَعِيدِ بْنِ عَشْرٍ

رَاجَعَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عيسى الغصراوي

شيخ عموم المقاريء المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

[مَكِّيَّةٌ، سَنَعَ آيَاتُهَا بِالسَّمَلَةِ إِنْ كَانَتْ مِنْهَا، وَالسَّابِعَةُ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ إِلَى آخِرِهَا. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهَا؛ فَالسَّابِعَةُ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَيُقَدَّرُ فِي أَوَّلِهَا: «قُولُوا»؛ لِيَكُونَ مَا قَبْلَ «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» مَنَاسِبًا لَهُ بِكَوْنِهَا مِنْ مَقُولِ الْعِبَادِ] (*) (١)

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية فُصِّدَ بها الثناء على الله بمضمونها على أنه - تعالى -: مالكٌ لجميع الحمد من الخلق، أو مستحقٌّ لأنَّ يحمدوه، (والله) عَلَّمَ على المعبود بِحَقِّ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: مالكٌ جميع الخلق؛ من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكل منها يُطْلَقُ عليه عالم؛ يقال: عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك، وَغُلِبَ في جمعه بالياء والنون أولي (٢) العلم على غيرهم، وهو (٣) من العلامة؛ لأنه علامة على موجدِه.

[٣] ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: ذي الرحمة، وهي: إرادة الخير لأهله (٤). [٤] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (٥) ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: الجزاء؛ وهو: يوم القيامة، وَخُصَّ بالذكر؛ لأنه لا ملك ظاهراً فيه أحد إلا لله - تعالى -: بـ دليل ﴿لِمَنِ الْأُمُورُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ (٦)، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿مَلِكٌ﴾ فَمَعْنَاهُ: مالك الأمر كله في يوم القيامة، أو هو موصوفٌ بذلك دائماً؛ كـ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ (٧)؛ فَصَغُ وَقُوْعُهُ صِفَةٌ لمعرفة.

[٥] «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أي: نخضعك بالعبادة من توحيد وغيره، ونطلب المعونة على العبادة وغيرها.

[٦] «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» أي: أرشدنا إليه، وَيُجَدَّلُ مِنْهُ (٨)؛

[٧] «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» بالهداية، وَيُجَدَّلُ مِنْ «الَّذِينَ» بِصَلَاتِهِ (٩)؛ «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» وهم: اليهود «وَلَا»

وغير «الضَّالِّينَ» (١٠)؛ وهم: النصارى. وَنَكْتُهُ البدلُ إفادةً أَنَّ المهتدين ليسوا يهوداً ولا نصارى. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وَسَلَّم تسليمًا كثيرًا دائماً أبداً، وحسبنا الله

ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤٣) فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، وأخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله ﷻ في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني». النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٢٦)، وأخرجه الترمذي مطولاً، وفيه: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في لفرقان مثلهما». كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٣٠٧).

(١) في الأصل - من حيث وضع نسخ الجلال (أي السيوطي) - أورد تفسير سورة الفاتحة بعد سورة الناس؛ حيث إن المحلي هو الذي فسرها بعد سورة الناس؛ فجعلها السيوطي خاتمة وآخر التفسير؛ ليكون تفسير المحلي منضماً بعضه إلى بعض.

(٢) في بعض النسخ: «أولوه» على تقدير نائب فاعل لاغتب.

(٣) أي: العالم.

(٤) وهذا التأويل هو مذهب أَشْعَرِيٍّ من أشعرية ومعتزلة وغيرهما، ومذهب لسلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما ثبت بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به - شَيْخَانُهُ - ومن لوازمها إرادة الخير والإحسان والإنعام بن رحمه.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عمر وحزمة، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿مَلِكٌ﴾ (٦) غافر: ١٦. (٧) غافر: ٣. (٨) أي: بدل كل من كل، وهو قوله بعدها: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وفائدته التوكيد وانتصيص على أن صراط المسلمين هو المشهور عليه بالاستقامة على أكّد وجه وأبلغه.

(٩) أي: إن «غَيْرِ» بدل من «الَّذِينَ»، وقيل: هي نعت للذين.

(١٠) فائدة: خبر الفاتحة قوله - تعالى -: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، وأما لفظ «آمين» فليس منها ولا من القرآن مطلقاً، بل هو شقّة، وهو اسمٌ فقلي؛ بمعنى: «اللهم استجب».

بذكر أفعال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية، والله أسأل النفع به في الدنيا وأحسن الجزاء عليه في العقبى بمه وكرمه.

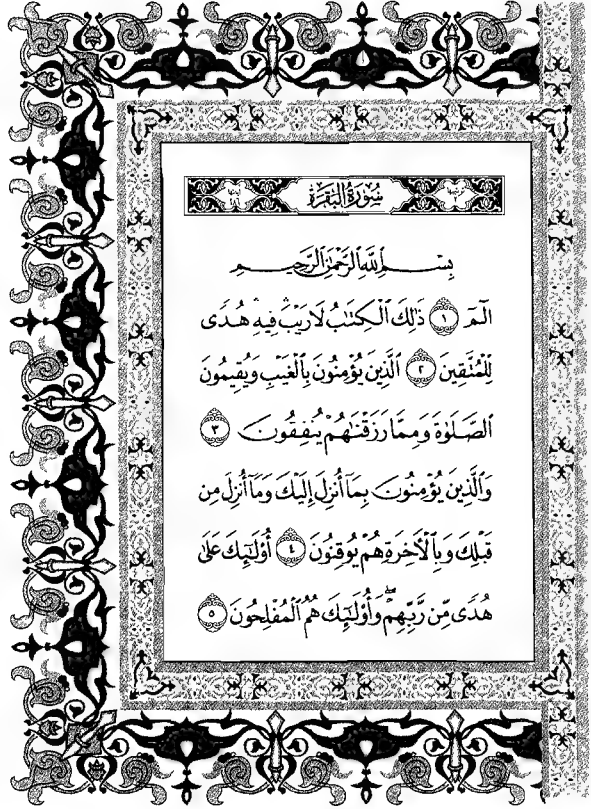
[١] ﴿الْعَرَبُ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله، وجملة النفي خير مبتدؤه ﴿ذَلِكَ﴾، والإشارة به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خبر ثانٍ؛ أي: هادٍ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى بامتنال الأوامر واجتناب النواهي لاتقانهم بذلك النار.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُقِفُّونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون^(١).

[٥] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ اغاثزون بالجنة الناجون من النار.



سُورَةُ الْبَقَرَةِ

[مدنية، مائتان وست أو: سبع وثمانون آية]*

مقدمة السيوطي رَحِمَهُ اللهُ:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الحمد لله حمداً موافقاً لنعمه مكافئاً لمزيد، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وجنوده. هذا ما اشتملت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وتتميم ما فاتته وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء. بتتمة على نمط من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعرا ب ما يحتاج إليه، وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل

(١) فائدة: أخرج البخاري عن يوسف بن ماهر قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك، وما يضرك! قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك، قالت: لم؟ قال: لعليّ. وُلِفَ القرآن عليه؛ فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيُّ قرأت قبل؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر اخنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ الشَّائِئَةُ مَوْجِدُهُمْ وَالشَّائِئَةُ أَعْيَنُ وَأَمْرٌ﴾، وم نزلت سورة البقرة ونساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور. البخاري كتاب فضائل القرآن (٦٦) باب (٦) تأليف القرآن.

(١) من هنا إلى آخر سورة الإسراء من وضع السيوطي، وكان المحلي قد بدأ في تفسير البقرة، وبعد أن مضى في تفسير آيات يسيرة توفاه الله، وليس لدينا علم عن كم ما فسر المحلي من آيات. (٢) أي: علما قطعاً لا شك فيه.

السحاب^(٤) ﴿ظَلُمْتُ﴾ متكاثفة ﴿وَرَعَدُ﴾ هو الملك الموكل به، وقيل: صوته ﴿وَرَقَّ﴾ لمان شوطه الذي يزجره به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي: أصحاب الصيب ﴿أَصْبَعُهُمْ﴾ أي: أناملهم ﴿فِي مَآذِنِهِمْ مِنْ﴾ أجل ﴿الْقَوَائِيهِ﴾ شدة صوت الرعد؛ لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ خوف ﴿الْمَوْتِ﴾ من سماعها؛ كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن، وفيه ذِكْرُ الكفر المشبه بالظلمات، والوعيد عليه المشبه بالرعد، والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون أذانهم؛ لئلا يسمعه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ علما وقدره؛ فلا يفوتونه.

[٢٠] ﴿يَكَادُ﴾ يقرب ﴿الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كَلَّمَا أَصَاءَ لَهُمْ مَتَنَوًّا فِيهِ﴾ أي: في ضوئه ﴿وَإِذَا أَقْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وقفوا، تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون، ووقوفهم عما يكرهون. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ومنه إذهاب ما ذكر.

[٢١] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة ﴿أَعْبَادُهَا﴾ وحُدودها ﴿وَرَبِّكَمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنشاكم ولم تكونوا شيئا ﴿وَوَجَّهَ الْآزِمَاتِ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَكانٍ تَنْقُوتُونَ﴾ بعبادته عبادة، ولعل في الأصل للترجي، وفي كلامه - تعالى - للتحقيق. [٢٢] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآرْضَ رِيشًا﴾ حال^(٥)، بساطا يُفْتَرَشُ، لا غاية في الصلاة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ سقفا ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِيشًا لَكُمْ﴾ فلا تجمعوا لله أندادا وأنتم تعلمون^(٦) ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ وأدعوا شهاداءكم من دون الله إن كنتم صدقين^(٧) ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

[٢٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ أي: المنزل، (ومن) للبيان؛ أي: هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب. «والسورة قطعة لها أول وآخر، أفلها ثلاث آيات»^(٨)، ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ ألهمكم التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من غيره لتعينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن محمدا قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك، فإنكم عربون فصحاء مثله. ولما عجزوا عن ذلك قال - تعالى - [٢٤] ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما ذكر لعجزهم ﴿وَكُنْ تَفْعَلُوا﴾ ذلك أبدا؛ لظهور إعجازه، اعتراض^(٩)، ﴿فَأْتُوا بِاللَّهِ﴾ وأنه^(١٠) ليس من كلام البشر ﴿وَالنَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ كآصنامهم منها؛ يعني: أنها مفرطة الحرارة تنقد بما ذكر، لا كنار الدنيا تنقد بالخطب ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُيِئَتْ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يُعَذِّبُونَ بها، جملة مستأنفة^(١١) أو حال لازمة^(١٢).

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ صَمُّكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرُّ يُجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فَعَادَانِهِمْ مِنَ الصَّوْعِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كَلَمَّا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَافِهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ يَتَأْتِي النَّاسَ النَّاسُ أَعْبَادُ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِيشًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ﴾ أوقد ﴿نَارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ أنارت ﴿فَمَا حَوْلَهُ﴾ فأبصر واستدفا وأمن من يخافه ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفاله، وجميع الضمير مراعاة لمعنى ﴿الَّذِي﴾^(١)، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم، متحيرين عن الطريق، خائفين؛ فكذلك هؤلاء أمثوا بإظهار كلمة الإيمان؛ فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب.

[١٨] هم ﴿عُمَى﴾ عن الحق فلا يسمعون سماع قبول ﴿بِكُمْ﴾ خرس عن الخير فلا يقولونه^(٢) ﴿عَمَى﴾ عن طريق الهدى فلا يروونه^(٣) ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة.

[١٩] ﴿أَوْ﴾ مَثَلُهُمْ ﴿كَصَيْبٍ﴾ أي: كأصحاب مطر، وأصله صوب من صاب يصوب أي: يزل ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي:

(٣) أي: رؤية نافعة.

(٢) أي: قولاً مطابقاً للواقع؛ لما سبق أنهم مؤمنون ظاهراً.

(١) وهو جعلها بمعنى: الذين.

(٤) وظاهر النظم، وكلام كثير من المفسرين أن الضمير راجع للصب.

(٥) أي: من الأرض، وهذا بناء على ما جرى عليه من أن ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: خلق؛ المتعدي لواحد وهو الأرض، وجرى غيره على أنه بمعنى: «صَنَعَ»، وأن ﴿وَرَبَّكَ﴾ المفعول الثاني.

(٦) بيان خذلها من الواقع؛ فإن أقصر سورة ثلاث آيات، وليس من التعريف، ولو فرض أنها آيات لعجزوا أيضاً.

(٧) أي جملة: ﴿وَكُنْ تَفْعَلُوا﴾ معترضة بين الشرط وجوابه، ومعنى الاعتراض في الغالب التوكيد.

(٨) أي: وبأنه.

(٩) أي: لا ارتباط لها بما قبلها، وقعت في جواب سؤال مقدر، تقديره: هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لمن؟

(١٠) أي: والتقدير: فاتقوا النار حال كونها معدة ومهيأة للكافرين، ودفع بقوله «لازمة» ما قيل: إنها معدة للكافرين اتقوا أم لم يتقوا. «حاشية الصاوي».

[٢٥] وَيَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴿صَدَقُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ﴾ حقائق ذات أشجار ومساكن ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: تحت أشجارها وقصورها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ أي: المياه فيها، والنفث الموضع الذي يجري فيه الماء؛ لأن الماء ينفثه أي: يحفره، وإسناد الجري إليه مجاز ﴿كَلِمَاتٌ رُفُوعًا مَبْنًى﴾ أطلعوا من تلك الجنات ﴿مِنْ كَلِمَاتٍ رُفُوعًا قَالُوا هَذَا الَّذِي﴾ أي: مثل ما ﴿رُفِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبله في الجنة^(١)، لتشابه ثمارها، بقرينة ﴿وَأَنْتُمْ بِهِيَ﴾ أي: جيئوا بالرزق ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ يشبه بعضه بعضاً لونا ويختلف طعماً ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَنْزَالٌ﴾ من الحور وغيرها^(٢) ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قذر^(٣) ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ما يكون أبداً، لا يفنون^(٤)، ولا يخرجون. وتزل^(٥) رؤا لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله: ﴿وَلَنْ يَسْتَلْبِثُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾^(٦)، والعنكبوت في قوله: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾^(٧): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ يذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ فأنزل الله: [٢٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أن يضرب به **مَثَلًا** مفعول أول ﴿مَا﴾ نكرة موصوفة بما بعدها، مفعول ثانٍ: أي: أي مثل كان، أو زائدة لتأكيد الحسنة^(٨)، فما بعدها المفعول الثاني ﴿بِعُوضَةٍ﴾ مفرد البعوض؛ وهو صغار البق ﴿فَمَا قَوْهَا﴾ أي: أكبر منها؛ أي: لا يترك بيانه لما فيه من الحكم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: المثل **الْحَقُّ** الثابت الواقع موقعه ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ تمييز^(٩)؛ أي: بهذا المثل، وما استفهام إنكار مبتدأ، وزا بمعنى الذي يصلته خبره؛ أي: أي فائدة فيه؟ قال - تعالى - في جوابهم: ﴿يُضِلُّ يَوْمَ﴾ أي: بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِي يَوْمَ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ يَوْمَ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته.

[٢٧] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿مِنْ بَدَلٍ مِثْلِهِ﴾ توكيده عليهم ﴿وَيَقُولُونَ مَا أَمَرَهُ يَوْمَ أَن يُؤْمَلَ﴾ من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك، ﴿وَأَن﴾ بدل من ضمير ﴿به﴾ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. [٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يا أهل مكة ﴿وَاللَّهُ وَ﴾ قد ﴿كُنْتُمْ أَمْوَنًا﴾ نطقاً في الأصلاب ﴿فَأَنبِئْكُمْ﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم، والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ ﴿فَمَنْ يُمِيتْكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿فَمَنْ يَحْيِيكُمْ﴾ بالبعث ﴿فَمَنْ يَحْيِيكُمْ﴾

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَلِمَاتٌ رُفُوعًا مَبْنًى رُفِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ بِهِيَ مُتَّكِئِينَ وَلَهُمْ فِيهَا أَنْزَالٌ مُطَهَّرٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَدَلٍ مِثْلِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَهُ يَوْمَ أَن يُؤْمَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَنًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

تُجْمَعُونَ تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم. وقال دليلاً على البعث لما أنكروه: [٢٩] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الأرض وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ تنتفعوا به وتعتبروا ﴿فَمَنْ أَسْتَوَى﴾ بعد خلق الأرض أي: قصد^(١) ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجملة الآيلة إليه؛ أي: صيرها؛ كما في آية أخرى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ﴾^(٢) ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مجعلاً ومفصلاً، أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداءً. وهو أعظم منكم. قادر على إعادتكم؟!.

(١) أشار بذلك إلى رد ما قيل: إن المراد بقوله: ﴿مِنْ بَدَلٍ مِثْلِهِ﴾: في الدنيا، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ بِهِيَ مُتَّكِئِينَ﴾: أي يشبه لمر الدنيا في الصورة.

(٢) أي ساء الدنيا، وهن يكر أحمل من الحور العين - كما جاء به الحديث.

(٣) كالنفاس والمخاط والصفاق.

(٤) أي: أي: ولا يبرضون.

(٥) أي: قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

(٦) الحج: ٧٣.

(٧) العنكبوت: ٤١.

(٨) ومعنى ﴿لَا يَسْتَحْيِي﴾ أي: لا يستكف، وقيل: لا يخشى.

(٩) فليست زيادة محضة، وكذا أي زائد في القرآن عند من يقول به. (١٠) أي: من اسم الإشارة تمييز نسبة، وهي نسبة التعجب والإنكار إلى المشار إليه.

(١١) وكذا فسره ابن كثير هنا، فقال: أي قصد إلى السماء، والاستواء هنا مضمن معنى القصد والإقبال؛ لأنه عدي بالآلة. اهـ. وهذا التفسير مخالف لما رواه البخاري في صحيحه؛ حيث نقل عن مجاهد وأبي العالية: معنى ﴿أَسْتَوَى﴾ أي: علا وارتفع، واختاره الطبري. وقال ابن عثيمين: «إل لأهل السنة في تفسيرها قولين: أحدهم: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء... القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام، وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبيوي في تفسير سورة فصلت... وهذا الكلام ليس صرفاً للكلام عن ظاهره؛ وذلك لأن الفعل «استوى» اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاج؛ فننقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به...» القواعد المثلى لابن عثيمين ص ٥٧، ٥٨.

(١٢) فصلت: ١٢.

أي: وجهها؛ بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها، وَجِئَتْ بالمياه المختلفة، وَسَوَّاهُ، ونفخ فيه الروح؛ فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً.

[٣١] «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ» أي: أسماء السميات ﴿كُلَّهَا﴾ حتى القصعة والفصيلة، والفسوة والفسيحة والمعرفة^(٨) بأن ألقى في قلبه علمها ﴿فَمِنْهُمْ عَادُومٌ﴾ أي: السميات، وفيه تغليب العقلاء^(٩) «عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ لَهُمْ تَبَكُّوا» ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ أي: اسماء السميات «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» في أي لا أخلق أعلم منكم، أو أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دَلَّ عَلَيْهِ ما قبله. [٣٢] «قَالُوا سُبْحَنَكَ» تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إِيَّاهُ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْكَافُّ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. [٣٣] «قَالَ تَعَالَى: «يَتَذَكَّرُ أَلْفُ مِنْهُمْ» أي: الملائكة ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ السميات؛ فسقى كُلَّ شيء باسمه، وَذَكَرَ حكمته التي خلُقَ لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَمْرِهِمْ قَالَ - تَعَالَى - لَهُمْ مُوَيْحًا: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عِيبَ السَّيِّئَاتِ وَالْأَرْضِ» ما غَابَ فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْذِرُونَ﴾ ما تظهرون من قولكم: «أَتَجْمَلُ فِيهَا» إلخ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تُبْذِرُونَ من قولكم: لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم.

[٣٤] «وَقَدْ أَذَكَّرْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» سجود تحية بالانحناء^(١٠) «سَجْدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿أَبَى﴾ امتنع من السجود «وَأَسْتَكْبَرُ» تَكَبَّرَ عنه، وقال: أنا خير منه، وَكَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿فِي عِلْمِ اللَّهِ﴾ [٣٥] «وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ أَلْفٌ مِنْ الْمُسْمَرِينَ» ليفطفت عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء - يَلِدُ - وكان خلقها من ضعه الأيسر ﴿الْجَنَّةَ وَكُلًّا مِنْهَا﴾ أكلًا ﴿وَعَدَاكَ﴾ واسعاً لا حجر فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا هَؤُلَاءِ الشَّجَرَةَ ﴿بِالْأَكْلِ مِنْهَا﴾ وهي: الحنطة أو الكرم أو غيرها^(١١) «فَوَكَرُوا فَأَنْصَرَفُوا» فَصَيَّرُوا ﴿وَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ العاصين. [٣٦] «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ» إبليس أذهبهما، وفي قراءة^(١٢): «فَأَزَلَّهُمَا» نَحَاهُمَا ﴿عَنِهَا﴾ أي: الجنة؛ بأن قال لهما: «هَلْ أَذَلَّكُمَا عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ؟» وَقَاسَمَهُمَا بِاللَّهِ إِنَّهُ لَهَا مِنَ الْوَاسِعِينَ؛ فَأَكَلَا مِنْهَا ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم ﴿أَهْبَطُوا﴾ إلى الأرض؛ أي: أنتم بما اشتغلتما عليه من ذريتهما ﴿بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ بعض الذرية ﴿بَعْضٌ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَسَعَةٌ﴾ ما تتمتعون به من نباتها ﴿إِلَى يَوْمٍ لَاحِقٍ﴾ وقت انقضاء آجالكم. [٣٧] «فَلَقَدْ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ» أَلْهَمَهُ إِيَّاهَا، وفي قراءة^(١٣) بنصب «آدم» ورفع «كلمات»؛ أي: جاءه؛ وهي: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا^(١٤) الآية، فَدَعَا بِهَا «قَاتِبَ عَيْدِكَ» قَبِلَ تَوْبَتَهُ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَرَّابُ﴾ على عباده «أَرْجِمُوا» بهم.

وَأَذَقْنَا لِكَلِمَةٍ إِيَّائِي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا عَالِمُونَ ﴿٣٨﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٩﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٤٠﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أَلْفٌ مِنْهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عِيبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْذِرُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ وَأَذَقْنَا لِكَلِمَةٍ أَسْجُدُوا لِلْآدَمِ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ أَلْفٌ مِنْهُمْ أَنْتُمْ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٣﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٤٤﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٤٥﴾

[٣٠] «وَقَدْ أَذَكَّرْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» سجود تحية بالانحناء^(١٠) «سَجْدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿أَبَى﴾ امتنع من السجود «وَأَسْتَكْبَرُ» تَكَبَّرَ عنه، وقال: أنا خير منه، وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿فِي عِلْمِ اللَّهِ﴾ [٣٥] «وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ أَلْفٌ مِنْ الْمُسْمَرِينَ» ليفطفت عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء - يَلِدُ - وكان خلقها من ضعه الأيسر ﴿الْجَنَّةَ وَكُلًّا مِنْهَا﴾ أكلًا ﴿وَعَدَاكَ﴾ واسعاً لا حجر فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا هَؤُلَاءِ الشَّجَرَةَ ﴿بِالْأَكْلِ مِنْهَا﴾ وهي: الحنطة أو الكرم أو غيرها^(١١) «فَوَكَرُوا فَأَنْصَرَفُوا» فَصَيَّرُوا ﴿وَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ العاصين. [٣٦] «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ» إبليس أذهبهما، وفي قراءة^(١٢): «فَأَزَلَّهُمَا» نَحَاهُمَا ﴿عَنِهَا﴾ أي: الجنة؛ بأن قال لهما: «هَلْ أَذَلَّكُمَا عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ؟» وَقَاسَمَهُمَا بِاللَّهِ إِنَّهُ لَهَا مِنَ الْوَاسِعِينَ؛ فَأَكَلَا مِنْهَا ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم ﴿أَهْبَطُوا﴾ إلى الأرض؛ أي: أنتم بما اشتغلتما عليه من ذريتهما ﴿بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ بعض الذرية ﴿بَعْضٌ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَسَعَةٌ﴾ ما تتمتعون به من نباتها ﴿إِلَى يَوْمٍ لَاحِقٍ﴾ وقت انقضاء آجالكم. [٣٧] «فَلَقَدْ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ» أَلْهَمَهُ إِيَّاهَا، وفي قراءة^(١٣) بنصب «آدم» ورفع «كلمات»؛ أي: جاءه؛ وهي: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا^(١٤) الآية، فَدَعَا بِهَا «قَاتِبَ عَيْدِكَ» قَبِلَ تَوْبَتَهُ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَرَّابُ﴾ على عباده «أَرْجِمُوا» بهم.

(١) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل، كما قال - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ...﴾ وليس المراد هنا بالخليفة آدم (عليه السلام) فقط؛ كما يقوله طائفة من المفسرين... إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: «أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ؟» اهـ.

(٢) أي: لتأكيد التخصيص، ويحتمل أنها للندبة والتعليل؛ أي: ننزهك لك، لا طمناً ولا خوفاً؛ وإنما بَدَّيْتُكَ فقط. (٣) أي: جملة قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

(٤) ليس المقصود من ذلك الاعتراض على الله، ولا احتقار آدم، وإنما ذلك لطلب جواب يريحهم من الغناء؛ حيث وقعت المشورة من الله لهم.

(٥) أي: سؤاً. (٦) فنح أكرم. (٧) فنح أعلم.

(٨) سقط من الأصل: (حتى القصعة والفصيلة، والفسوة والفسيحة والمعرفة) - والنبث من نسخة حاشية الصاوي عني الجلالين، وفي هذا إشارة إلى كونه تعلم جميع الأسماء؛ شريفة وخسيسة، وحكمتها أيضاً. (٩) أي: في الضمير في: ﴿عَرَّضَهُمْ﴾ تغليب «العقلاء»؛ وهم: الجن والإنس والملائكة على غير العقلاء والجمادات؛ حيث لم يقل: «عرضه».

(١٠) وحكي القرطبي عن الجمهور: أن المراد هنا هو السجود بوضع الجبهة على الأرض؛ كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع.

(١١) الأولى أَلَا تَعْلَمُونَ من غير دليل قاطع. (١٢) لحمزة. (١٣) لابن كثير. (١٤) الأعراف: ٢٣.

[٣٨] ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كَرُورُهُ؛ لِيُعْطِفَ عَلَيْهِ ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إِنْ» الشرطية في «مَا» الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَنْ تَبَعَ هَذَا﴾ فَمَنْ بِي وعمل بطاعتي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ بَأَن يَدْخُلُوا الجنة.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كتبنا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فيها خَالِدُونَ؛ ما يكون أبدًا، لا يفنون ولا يخرجون. [٤٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلُ﴾ أولاد يعقوب ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على آباءكم من الإنجاء من فرعون، وفق البحر، وتظليل الغمام، وغير ذلك بَأَن تَشْكُرُوهَا بطاعتي ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عهَدْتُ إِلَيْكُمْ من الإيمان بمحمد ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عهَدْتُ إِلَيْكُمْ من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وَأَيُّ قَارِعُهُنَّ﴾ خافون في ترك الوفاء به دون غيري. [٤١] ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة بموافقة له في التوحيد والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوا أَزْوَاجًا ظَالِمِينَ﴾ من أهل الكتاب؛ لَأَن خَلَفَكُمْ تَبَعَ لَكُمْ؛ فإثمهم عليكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تستبدلوا ﴿يَاتِيَنِي﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿نَسِيًّا﴾ قِيلًا؛ غَرَضًا يَسِيرًا من الدنيا؛ أي: لا تكتسبها خوف قَوَاتٍ ما تأخذونه من سفليكم^(١) ﴿وَأَيُّ قَاتِقُونَ﴾ خافون في ذلك دون غيري. [٤٢] ﴿وَلَا تَلْسَبُوا﴾ تخطبوا ﴿الْحَقَّ﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿بِالْبُطْلِ﴾ الذي تَقْرَؤُونَ ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أنه الحق.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ صلوا مع المصلين محمد وأصحابه. وَنَزَلَ فِي عِلْمَانِهِمْ - وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد؛ فإنه حقٌّ :: [٤٤] ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمد ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وَأَنْتُمْ تَنْتَلُونَ﴾ التَّكْتَبُ التَّوراة، وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سُوءٌ فَعَلَيْكُمْ فَرَجَعُونَ، فجعلته النسيان محل الاستفهام الإنكاري.

[٤٥] ﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾ اطبوا المعونة على أموركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الحس للنفس على ما تَكْرَهُ ﴿وَالصَّلَاةَ﴾ أَفْرَدَهَا بِالذِّكْرِ؛ تعظيمًا لشأنها، وفي الحديث: «كان ﷺ إذا خَرَجَ نَحْرُهُ أَغْرَضَ إِلَى الصَّلَاةِ»^(٢). وقيل: الخطاب لليهود لَمَّا غَافُوا عَنِ الْإِيمَانِ الشُّرَّةِ وَحُبِّ الرِّيَاسَةِ فَأَمَرُوا بِالصَّبْرِ وهو الصوم؛ لَأَنَّهُ يَكْسِرُ الشُّهْوَةَ، والصلاة؛ لَأَنَّهُا تُورِثُ الْحُشُوعَ وَتَنْفِي الْكِبْرَ وَرَائِهَا أَي: الصلاة ﴿لِكِبْرَةٍ﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الْتَّائِبِينَ﴾ السَّاكِنِينَ إِلَى الطَّاعَةِ.

[٤٦] ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَقَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^(٣) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٤) يَبْنِي إِسْرَءِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي قَارِعُهُنَّ^(٥) وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ^(٦) وَلَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي قَاتِقُونَ^(٧) وَلَا تَلْسَبُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ^(٨) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ^(٩) وَتَسْأَلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ^(١٠) وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ^(١١) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(١٢) يَبْنِي إِسْرَءِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ^(١٣) وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ^(١٤)

رَجِعُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيهم.

[٤٧] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلُ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي: آباءكم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم.

[٤٨] ﴿وَأَتَقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ وهو يوم القيامة ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾ بالناء^(١٥) والباء ﴿مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ أي: ليس لها شفاعة فتقبض ﴿فَمَا لَنَا مِن شَفِيعِينَ﴾^(١٦) ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ﴾ يُنْتَعُونَ من عذاب الله.

(١) أي: عامتكم.

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٨٨)، وأبو داود (١٣١٩)، وهو في صحيح الجامع (٤٧٠٣).

(٣) لابن كثير وأبي عمرو.

(٤) الشعراء: ١٠٠.

ذَلِكُمْ ﴿٥٠﴾ الْعَذَابُ أَوْ الْإِنْجَاءُ ﴿٥١﴾ بِكَلِمَةٍ ﴿٥٢﴾ ابْتِلَاءٍ ﴿٥٣﴾ أَوْ إِنْعَامٍ ﴿٥٤﴾ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٍ.

[٥٠] ﴿وَذِكْرُوا﴾ اذكروا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾ فلقنا ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بسببكم ﴿الْبَحْرَ﴾ حتى دخلتموه هارين من عدوكم ﴿فَأَنفَجَكُنَّ﴾ من العرق ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ إلى فرعون قومه معه ﴿وَأَنشَرْنَا نَظْرُونَ﴾ إلى انطباع البحر عليهم.

[٥١] ﴿وَأِذْ وَعَدْنَا﴾ بألف ودونها ﴿مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نعطيه - عند انقضائها - التوراة؛ لتعملوا بها ﴿ثُمَّ أَخَذْنَاهُمُ الْعَجَلُ﴾ الذي صاغه لكم الشامي إلهًا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وَأَنشَرْنَا ظُلُمَاتٍ﴾ باتخاذها؛ لوضعكم العبادة في غير محلها.

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ مخوّنًا ذنوبكم ﴿مِمَّنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَلْعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا عليكم.

[٥٣] ﴿وَأِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ عطف تفسير؛ أي: الفارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ به من الضلال.

[٥٤] ﴿وَأِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ الذين عبدوا العجل: ﴿يَتَقَوْمُ إِلَّكُمُ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ اتخذكم العجل إلهًا ﴿فَقُولُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ خالفكم من عبادته ﴿فَأَقْبَلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: ليقتل البريء منكم المحرم ﴿ذَلِكَ﴾ القتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ فوقكم لفعل ذلك، وأرسل عليكم سحابة سوداء؛ لئلا يبصر بعضكم بعضًا فيرحمه؛ حتى قتل منكم نحو سبعين ألفًا ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَأْبُ الرَّجِيمُ﴾.

[٥٥] ﴿وَأِذْ قُلْنَا﴾ وقد خرجتم مع موسى؛ لتعتزلوا إلى الله من عبادة العجل، وسمعتم كلامه: ﴿يَتُوبُونَ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ رَأَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ عبانًا ﴿فَأَخَذْنَاكَ الصُّلْبَ﴾ الصبيحة؛ فمُثَّم ﴿وَأَنشَرْنَا نَظْرُونَ﴾ ما حل بكم.

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أحييناكم ﴿مِمَّنْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا بذلك.

[٥٧] ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّمَامَ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حرّ الشمس في الظية ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فيه ﴿الْمَنَّ وَالسَّلَوَىٰ﴾ هما التريخين (١) والظير السمانى بتخفيف الميم والقصر، وقلنا: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدخروا. فكفروا النعمة وادخروا؛ فقطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأن وبأله عليهم.

وَأِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٥١﴾ وَأِذْ فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنشَرْنَا نَظْرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعَجَلَ مِنَ بَعْدِهِ وَأَنشَرْنَا ظُلُمَاتٍ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِمَّنْ بَعْدَ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُ إِلَّكُمُ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِالْعَجَلِ إِذْ كُنْتُمْ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٦﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهَنَّمَ فَاخْذِنَا كُرْسِيَّ الصُّلْبِ وَنَشْرُ نَظْرُونَ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِمَّنْ بَعْدَ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلَوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٩﴾

[٤٩] ﴿وَذِكْرُوا﴾ اذكروا ﴿إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ أي: أباءكم، والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم الله على آبائهم؛ تذكيرا لهم بنعمة الله - تعالى -؛ ليؤمنوا ﴿مِمَّنْ آلَ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشده، والجملة حال من ضمير ﴿نَجَّيْنَاكُمْ﴾ ﴿يَدَّبْحُونَ﴾ يأن لآ قبله ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستغيثون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة له: إن مولودًا يؤلّد في بني إسرائيل يكون سببًا لذهاب ملكك ﴿وَفِي

(١) أي: من حيث عدم الشكر عليه؛ فصار بلاء

(٢) راجع للعذاب.

(٣) راجع للإِنْجَاء.

(٤) بدون ألف لأي عمرو.

(٥) مادة صغيفة حلوة؛ كالعمل يسقط على الشجر؛ كما يسقط الفل.

بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رُوِيَ فِي ضَمِيرِ ﴿ءَامَنَ﴾ وَ﴿عَمِلَ﴾ لَفْظٌ ﴿مَنْ﴾ وَفِيهَا بَعْدَهُ مَعْنَاهُ.

[٦٣] ﴿وَقَدْ أَذَكَّرْنَا بِمِثْقَلِكُمْ﴾ إِذْ أَخَذْنَا مِثْقَلَكُمْ ﴿عَهْدَكُمْ بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ﴾ قَدْ ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ الْجَبَلَ اقْتِلَاعًا مِنْ أَصْلِهِ عَلَيْكُمْ لَمَّا آيْتُمْ قِبُولَهَا، وَقُلْنَا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النَّارَ أَوِ الْمَعَاصِيَ.

[٦٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ ﴿فَرَأَيْتُمْ بِعَدِّ ذَلِكَ﴾ الْمِيثَاقَ عَنِ الطَّاعَةِ ﴿فَقُلْنَا فَضَلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لَكُمْ بِالتَّوْبَةِ أَوْ تَأْخِيرِ الْعَذَابِ ﴿لَكُمْهُنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ الْبَالِكِينَ.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ لَامِ قَسَمَ﴾ عَلَيْهِمْ ﴿عَرَضَ﴾ الَّذِينَ أَعْتَدُوا ﴿تَجَاوَزُوا الْخُدَّ﴾ مِنْكُمْ فِي النَّسَبِ بِصِيدِ السَّمَكِ، وَقَدْ نَهَيْنَاهُمْ عَنْهُ، وَهُمْ أَهْلُ أَيْلَةٍ ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حَسِينَةً﴾ مَبْعَدِينَ؛ فَكَانُوا وَهَلَكُوا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

[٦٦] ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ أَي: تِلْكَ الْعُقُوبَةُ ﴿نَكَالًا﴾ عِبْرَةً مُنْعَةً مِنْ ارْتِكَابِ مِثْلِ مَا عَمِلُوا ﴿لَسَا يَنْ يَدَّبَهَا وَمَا خَلَقَهَا﴾ أَي: لِلْأَلَمِ الَّتِي فِي زَمَانِهَا وَبَعْدَهَا ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ اللَّهُ، وَخُصُّوا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ.

[٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴿وَقَدْ قِيلَ لَهُمْ قَتِيلٌ لَا يُدْرَى قَاتِلُهُ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُمْ؛ فَدَعَاهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ قَالُوا أَلَنَجِدُنَا هُزُؤًا﴾ مُهْزِؤًا بَنَّا حَيْثُ تَجَبَّنَا بِمِثْلِ ذَلِكَ ﴿قَالَ أَعُودُ﴾ أَمْنَعُ ﴿يَا اللَّهَ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الْمُسْتَهْزَيْنِ. فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُ عَرِمَ

[٦٨] ﴿قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا بَيَّنَّ﴾ أَي: مَا سَيَّئَهَا ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿إِنَّهُ﴾ أَي: اللَّهُ ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ مُسَيَّئَةٌ ﴿وَلَا يَكُرُّ﴾ صَغِيرَةٌ ﴿عَوَانًا﴾ نَصْفٌ ﴿يَبْرُكُ ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ مِنَ السَّنِينَ ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ بِهِ مِنْ ذَبْحِهَا.

[٦٩] ﴿قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهْنًا﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا شَدِيدُ الصَّفْرِ ﴿سُئِرَ النَّظِيرِينَ﴾ إِلَيْهَا بِحَسَنَتِهَا؛ أَي: تَعَجَّبَهُمْ.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّدِيقِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِثْقَلَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ وَلَقَدْ عَهِدْتُ الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ مِثْقَلَكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حَسِينَةً ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكُرُّ عَوَانُ بَيْتٍ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهْنًا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا سُئِرَ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾

[٦٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِ ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هُمُ الْيَهُودُ ﴿وَالنَّصَارَى وَالصَّدِيقِينَ﴾ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ أَوْ النَّصَارَى ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مِنْهُمْ ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فِي زَمَنِ نَبِيِّنَا ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

(١) أي: قبل بعثة محمد ﷺ، وأما من آمن بميسى وأدرك محمدًا ﷺ ولم يؤمن به فإنه كافر خالط مخلص في النار. كما في سورتي المائدة والنبأ، وكما صرح بذلك الأحاديث.

(٢) وقال مجاهد: الصابئون قوم بين الجوس واليهود والنصارى. (الطبري ١/٦٦٢). وقيل: قوم يعبدون الملائكة. وقيل: قوم يعبدون الكواكب. وقيل غير ذلك. وقال ابن كثير: وأظهر الأقوال والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه... أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا الجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم ياتون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويفتقرونه. اهـ. تفسير ابن

[٧٠] ﴿قَالُوا أَتُوعَدُنَا بِرَبِّكَ بَيِّنَاتٍ لَّمَّا مَتَّحْنَا فِي سُلُوكِنَا مِنْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾ أي: جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تَشْبَهَ عَلَيْنَا﴾ لكبرته؛ فلم نهتد إلى المقصودة ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَلْفَيْنَا ظَهْرَكَ﴾ أي: ألقينا ظهرك، وفي الحديث: «لو لم يستثنوا لما بينت لهم لآخر الأبد» (١).

[٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ﴾ غير مذلة بالعمل ﴿ثِيَرُ الْأَرْضِ﴾ ثقبها للزراعة، والجملة صفة ﴿ذَلُولَ﴾ داخلة في النفي (٢) ﴿وَلَا تَنفَعُ الْخُتَلَاءُ﴾ الأرض المهية للزراعة ﴿مُسْلَمَةٌ﴾ من العيوب وأثار العمل ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ غير لونها ﴿قَالُوا أَتَنَزَّلُ عَلَى الْحَقِّ﴾ نطق البيان التام، فطلبوها؛ فوجدوها عند الفتى التار بأمه؛ فاشتروها بملء مسكها (٣) ذهبا ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لغلاء ثمنها، وفي الحديث: «لو ذبحوا أي بقرة كائنت، لأجزأتهم، ولكن شددوا على أنفسهم؛ فشدد الله عليهم» (٤).

[٧٢] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَادَّرَأْنِهَا﴾ فيه إدغام الدال في التاء؛ أي: تخاصمتم وتدافعتم ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حَافَظًا﴾ مظهر ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من أمرها، وهذا اعتراض (٥) وهو أول القصة (٦).

[٧٣] ﴿فَقُلْنَا أَتَرُونَاهُ﴾ أي: القليل ﴿بِعِصْيَانٍ﴾ فضرب بلسانها أو عجب ذنبها؛ فحيا، وقال: قتلني فلان وفلان لا تبي عمه، ومات؛ فخرمنا الميراث وقيل، قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ﴾ الإحياء ﴿يُعِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تدبرون؛ فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة؛ فقومون.

[٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أيها اليهود؛ صلبت عن قبول الحق ﴿وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ المذكور من إحياء القليل، وما قبله من الآيات ﴿نَهَى كَأَلْجَارِءٍ﴾ في القسوة ﴿أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ منها ﴿وَإِنْ مِنَ الْجَارِءِ لَمَّا يَنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ فِيهِ إدغام التاء في الأصل في الشين ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَجُطُّ ينزل من علو إلى أسفل ﴿مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيرٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم، وفي قراءة (٧) بالتحانية، وفيه التفات على الخطاب.

[٧٥] ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْتُوا لَكُمْ﴾ أي: اليهود ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ﴾ طائفة ﴿مِنْهُمْ﴾ أحبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُخْرِفُوتَهُ﴾ يغيرونه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مفترون، والهمزة للإنكار؛ أي: لا تطمعوا؛ فلهم سابقة بالكفر.

قَالُوا أَتُوعَدُنَا بِرَبِّكَ بَيِّنَاتٍ لَمَّا مَتَّحْنَا فِي سُلُوكِنَا مِنْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ هَتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسْلَمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا أَتَنَزَّلُ عَلَى الْحَقِّ قَدْ يَحْوِهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَادَّرَأْنِهَا فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْجَارِءِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْجَارِءِ لَمَّا يَنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَمِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَجُطُّ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْتُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُخْرِفُوتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا قُلُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَتَانَا أَمْثَلُ مَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

[٧٦] ﴿وَإِذَا قُلُوا﴾ أي: منافقوا اليهود ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بأن محمداً ﷺ نبي، وهو المبشر به في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ أي: رؤسأهم الذين لم ينافقوا لمن نأفق ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: غزفكم في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾ ليخاصموكم، واللام للصيرورة ﴿بِهِ﴾ عند ربكم في الآخرة، وقيموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم فشتتوهم؟! .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره، قال: قال ابن جريج: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أُبْرِأُوا بِأَدْنَى بَقَرَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا شَدَّدُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَابَّيْهُمُ اللَّهُ لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَثْنُوا لَمَّا بَيَّنَّتْ لَهُمْ آيَاتُ الْبَقَرَةِ أَه. فالحديث فيه انقطاع.

(٢) أي: ليست مذلة لعمل ولا مثيرة للأرض.

(٣) الجلد

(٤) ذكره ابن كثير كما تقدم وضعفه.

(٥) أي: جملة معترضة بين المعطوف؛ وهو: ﴿فَقُلْنَا أَتَرُونَاهُ﴾ الآية (البقرة: ٧٣)، والمعطوف عليه؛ وهو: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ (البقرة: ٧١).

(٦) وإنما أقرء ليوصل قبائح بني إسرائيل بعضها بعض.

(٧) لابن كثير.

﴿أَمَانِي﴾ أَكَاذِيبَ تَلْقَوْنَهَا مِنْ رُؤْسَائِهِمْ فَاعْتَمِدُوهَا ﴿وَإِنْ﴾ مَا ﴿هُمْ﴾ فِي جُحْدِ نُبُوَةِ النَّبِيِّ وَغَيْرِهِ مَا يَخْتَلِقُونَهُ ﴿إِلَّا يَطْنُونَ﴾ ظَنًّا وَلَا عِلْمَ لَهُمْ.

[٧٩] ﴿فَوَيْلٌ﴾ شِدَّةُ عَذَابٍ ﴿لِلَّذِينَ يَكْنُتُونَ﴾ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴿أَي:﴾ مُخْتَلِفًا مِنْ عِنْدِهِمْ ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ﴾ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَتُّةٌ قَلِيلًا ﴿مِنَ الدُّنْيَا﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ غَفَرُوا صِفَةَ النَّبِيِّ فِي التَّوْرَةِ آيَةَ الرَّجْمِ وَغَيْرَهُمَا، وَكَتَبُوهَا عَلَى خِلَافِ مَا أُنْزِلَ ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْخِطَاءِ ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ مِمَّا يَكْسِبُونَ مِنَ الرِّشَاءِ^(١).

[٨٠] ﴿وَقَالُوا﴾ لَمَّا وَعَدْتُهُمُ النَّبِيُّ النَّارَ: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ تَصْنِيبًا ﴿النَّارُ﴾ إِلَّا أَنْيَا مَقْدُودَةٌ ﴿قَلِيلَةً﴾ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، مَدَّةُ عِبَادَةِ آبَائِهِمُ الْعَجَلِ ثُمَّ تَرُولُ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿أَتُخَذْتُمْ﴾ خِذْفٌ مِنْهُ هِمزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ مِثَاقًا مِنْهُ بِذَلِكَ ﴿فَلَنْ يُخْلَفَ﴾ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴿بِهِ؟﴾ لَا ﴿أَمْ﴾ بَلْ ﴿فَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٨١] ﴿بَلَى﴾ تَمَسَّكُمْ وَتَخْلُدُونَ فِيهَا ﴿مَنْ كَسَبَ سِئْتَهُ﴾ شَرَكًا ﴿وَأُخْطِطَ بِهِ﴾ خُطِيتُمْ بِالْأَفْرَادِ^(٢) وَالْجَمْعِ؛ أَيْ: اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ وَأَحْدَقَتْ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بَأَن مَاتَ مُشْرِكًا ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿زُوعِيَ فِيهِ مَعْنَى﴾ «مَنْ» [٨٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

[٨٣] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فِي التَّوْرَةِ وَقُلْنَا: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَالْيَاءِ^(٣) ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ خَيْرٌ بِمَعْنَى النَّهْيِ، وَقُرِئَ^(٤): ﴿لَا تَعْبُدُوا﴾ أَحْسَنُوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يَرَا ﴿وَزَى الْقُرْآنِ﴾ الْقِرَاءَةُ عَطَفَ عَلَى الْوَالِدَيْنِ ﴿وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينِ﴾ وَقُولُوا لِلنَّاسِ قَوْلًا ﴿إِحْسَانًا﴾ مِنَ الْأَمْرِ بِالْعُرْفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّدَقِ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ، وَالرَّفَقِ بِهِمْ، وَفِي قِرَاءَةِ^(٥) بَضْمِ الْحَاءِ وَسُكُونِ السِّينِ مُصَدَّرٌ وَصَفٌ بِهِ مَبَالِغَةٌ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فَقَبِلْتُمْ ذَلِكَ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ، فِيهِ التَّفَاتُ^(٦) عَنِ الْغَيْبَةِ؛ وَالْمُرَادُ آبَاؤُهُمْ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ؛ كَأَبَائِكُمْ.

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَتُّةٌ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتُخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ قُلْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُ دَقَّ أَوَّلُ لَيْلٍ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَزَى الْقُرْآنِ وَالْيَتَامَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

قال - تعالى -: [٧٧] ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير^(١)، والواو الداخلة^(٢) عليها للعطف ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره؛ فَيَزَعُوا^(٣) عن ذلك؟! [٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ اليهود ﴿يَكْتُمُونَ﴾ الْكِتَابَ التَّوْرَةَ ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ

(١) أَيْ: عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ؛ حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّ النَّاسَ يُوَاحِدُونَ الْكَافِرَ الْأَصْلِيَّ لَا حِجَةَ عَلَيْهِ، وَلَهُ عَذْرٌ قَائِمٌ عِنْدَ رَبِّهِ.

(٢) أَيْ: وَالْوَاوُ الدَّاخِلَةُ اِلْتِفَافًا عَلَيْهَا اِلْتِفَافًا عَلَى مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: أَيْلُومُونَهُمْ عَلَى التَّحْدِثِ بِمَا ذَكَرَ، وَلَا يَعْلَمُونَ... الخ.

(٣) أَيْ: يَتَكَلَّمُوا وَيَتَزَعَّجُوا.

(٤) بِكسر الراء وضمة؛ جَمْعُ رَشْوَةٍ؛ بِتِلْثِ الرَّاءِ.

(٥) بِالْأَفْرَادِ؛ أَيْ: بِإِعتبار ذات الشُّرْكِ. وَالْجَمْعُ؛ أَيْ: بِإِعتبار أَفْرَادِهِ، وَقَرَأَهَا نَافِعُ بِالْجَمْعِ (خَطِيئَتُهُ) وَالْبَاقُونَ بِالْأَفْرَادِ (خَطِيئَتِهِ).

(٦) بِأَلْيَاءِ لِحْزَةٍ وَالْكَسَائِي وَابْنِ كَثِيرٍ.

(٧) قِرَاءَةُ شَاذَةٌ، وَقَاعِدَةُ التَّفْسِيرِ غَالِبًا أَنَّهُ يُشِيرُ لِلشَّادَةِ بِقَوْلِهِ: قُرِئَ، وَالسَّبْعِيَّةُ بِقَوْلِهِ: فِي قِرَاءَةٍ.

(٨) بِفَتْحِ الْحَاءِ وَالسِّينِ لِحْزَةٍ وَالْكَسَائِي، جَعَلَاهُ صِفَةً لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: وَقُولُوا لِلنَّاسِ قَوْلًا حَسَنًا.

(٩) وَحُكْمَتِ اِلْتِمَادِ السَّمْعِ وَعَدَمِ اِلْتِمَادِ الْمَلَلِ مِنْهُ، وَهُوَ مِنَ اِلْتِمَاسَاتِ.

وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ
 اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ اَقْرَضْتُمْ وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
 ثُمَّ اَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
 مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
 وَإِن يَأْتُواكُمْ اَسْرَى تَفْذَرُوهُمْ وَهُمْ وَهْمٌ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ
 اِخْرَاجُهُمْ اَفْتَوْهُمْ بَعْضُ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ
 فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ الْاٰخِرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ
 الدُّنْيَا وَنَوْمٍ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ اِلَى اَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اَللّٰهُ
 بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اَشْتَرُوا الْحَيٰوةَ
 الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
 ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ اَتَيْنَا مُوسٰى الْكِتٰبَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ
 بِالرُّسُلِ وَاَتَيْنَا عِيسٰى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَاَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
 الْقُدُسِ اَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رُسُلُنَا يَمْأَلَا تَهْتَوٰى اَنْفُسُكُمْ
 اَسْتَكْبَرْتُمْ فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا
 غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

[٨٤] ﴿وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ قلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ تريقونها
 بقتل بعضهم بعضاً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لا يخرج بعضهم
 بعضاً من داره ﴿ثُمَّ اَقْرَضْتُمْ﴾ قِيلْتُمْ ذَلِكَ الْمِثَاقُ ﴿وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على
 اَنْفُسكم. [٨٥] ﴿ثُمَّ اَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ﴾ بقتل
 بعضهم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ تَظَاهَرُونَ ﴿١﴾ فيه
 إدغام التاء في الأصل في الظاء، وفي قراءة بالتخفيف على حذفها ^(٢)؛
 تتعاونون ﴿عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ﴾ بالمعصية ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم ﴿وَلِئِنْ يَأْتُواكُمْ
 اَسْرَى﴾ وفي قراءة ^(٣): ﴿اَسْرَى﴾: ﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾ ^(٤)، وفي قراءة:
 ﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾ تنفذوهم من الأسر بالمال أو غيره، وهو مما عهد إليهم
 ﴿وَهُمْ﴾ أي: الشأن ^(٥) ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ اِخْرَاجُهُمْ﴾ متصل بقوله:
 ﴿تُخْرِجُونَ﴾، والجملة بينهما ^(٦) اعتراض؛ أي: كما حُرِّم ترك الفداء،
 وكانت قُرَيْظَةُ خَالِفُوا الْأَوْسَ، والنضيرُ المخرج؛ فكان كل فريق يقاتل مع
 حلفائه، ويخرب ديارهم، ويخرجهم، فإذا أُبْرِئُوا فلوهم، وكانوا إذا شِئِلُوا: لَمْ
 تَقَاتِلُوهُمْ وَتَفْذَرُوهُمْ؟! قالوا: أُبْرِئُوا بِالْفِدَاءِ. قِيلَ: قَاتِلُوا قَاتِلِيَهُمْ؟! فيقولون:
 حَيَاءُ أَنْ يَشْتَدَلَ حَلْفَاؤُنَا، قال - تعالى -: ﴿اَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾
 وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو ترك القتل، والإخراج، والمظاهرة
 ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ اِلَّا خِزْيٌ﴾ هوان وذل ﴿فِي الْحَيٰوةِ
 الدُّنْيَا﴾ وقد خزوا بقتل قريظة، ونفي النضير إلى الشام، وضرب الجزية
 ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ اِلَى اَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ وَمَا اَللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾
 والتاء ^(٨).

[٨٦] ﴿اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اَشْتَرُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ﴾ بأن اتزوها عليها
 ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُنْتَفُونَ منه.
 [٨٧] ﴿وَلَقَدْ اَتَيْنَا مُوسٰى الْكِتٰبَ﴾ التوراة ﴿وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ
 بِالرُّسُلِ﴾ أي: اتَّبَعْنَاهُمْ رُسُلًا فِي لُحُوفِ رُسُلِ ﴿وَاَتَيْنَا عِيسٰى ابْنَ مَرْيَمَ
 الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَاَيَّدْنَاهُ﴾
 قُوِيْنَاهُ ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ أي: الروح المقدسة
 «جبريل» لظهارته يسير معه حيث سار، فلم تستقيموا ﴿اَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رُسُلُنَا
 يَمْأَلَا يَهْتَوٰى﴾ تحب ﴿اَنْفُسَكُمْ﴾ من الحق ﴿اَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن اتباعه،
 جواب كلما، وهو محل الاستفهام، والمرد به التوبيخ ﴿فَقَرِيقًا﴾ منهم
 ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية؛
 أي: قتلتم؛ كزكريا ويحيى.
 [٨٨] ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جمع أغلف؛ أي: مغشاة

بأغطية؛ فلا تعي ما تقول. قال - تعالى -: ﴿بَلْ لِلْاِصْرَابِ﴾ ^(١) ﴿لَعَنَهُمُ اللّٰهُ﴾
 أبعدهم من رحمته وخذلهم عن القبول ﴿يَكْفُرُهُمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل
 في قلوبهم ^(٢) ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ «ما» زائدة؛ لتأكيد القلة؛ أي: إيمانهم قليل
 جدًا.

- (١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.
- (٢) أي: بحذف التاء الثانية التي ليست للمضارع، وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي.
- (٣) لحزمة.
- (٤) لحزمة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ نافع وعاصم والكسائي (فقدوهم)، والحاصل أن القراءات خمس: ﴿اَسْرَى﴾ بالإمالة مع ﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾ فقط، و﴿اَسْرَى﴾ بالإمالة وعندها مع ﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾ و﴿تَفْذَرُوهُمْ﴾.
- (٥) ويقال: ضمير القصة يفسره ما بعده. قال ابن هشام: ويختص بخمسة أشياء: كونه مفردة. ولو كان مرجعه مثنى أو مجموعاً، وتأخير مرجعه، وكونه جملة، ولا يعمل فيه إلا الابتداء والناسخ، ولا يتبع.
- (٦) الجملة هي قوله: ﴿وَلِئِنْ يَأْتُواكُمْ اَسْرَى تَفْذَرُوهُمْ﴾ وقوله: «بينهما»؛ أي: بين المطلق؛ وهو قوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الآية، وامطوف عليه؛ وهو جملة: ﴿تَقْتُلُونَ﴾؛ لأنها حال.
- (٧) بالياء لنافع وابن كثير وشعبة. وقرأ الباقون (تعملون).
- (٨) أي: الإبطالي.
- (٩) أي: كما ادعوا من أنها مغطاة، فهذا هو الخلل.

حسدًا وخوفًا على الرياسة، وجواب «لَا» الأولى دَلَّ عليه جواب الثانية ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٩٠] ﴿يَسْمَا أَشْتَرَا﴾ باعوا ﴿بِهِمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي حظها من الثواب، و«ما» نكرة؛ بمعنى: شيئًا؛ تمييز لفاعل «بَسَّ». والخصوص بالذم «أَنْ يَكْفُرُوا» أي كفرهم ﴿يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن ﴿تَبَيَّنَّا﴾ مفعول له ﴿لَهُمْ يَكْفُرُوا﴾ أي: حسدًا على ﴿أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد^(١) ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادَةٍ فَبَاءُ﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل الله، والتذكير للتعظيم ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ استحقوه من قبل بتضييع النوراة والكفر بعيسى ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ أي النوراة، قال - تعالى -: ﴿رَبِّكُمُورُونَ﴾ الواو للحال ﴿يَمَّا وَرَاءَهُمْ﴾ سواء أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لِمَا مَعَهُمْ قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿قُلْ تَقْتُلُونَ﴾ أي قتلتم ﴿أَنْبِيََاءَ اللَّهِ﴾ من قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالنوراة، وقد نُهِيتُمْ فيها عن قتلهم، والخطاب للموجودين من زمن نبينا بما فعل آبائهم لرضاهم به.

[٩٢] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات؛ كالعصا، واليد، وفلق البحر ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إِلَهَا ﴿مِنْ بَعْدِ ذَهَابِهِ﴾ من بعد ذهابه إلى المقات ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذ.

[٩٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على العمل بما في النوراة ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها؛ ليسقط عليكم، وقلنا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول. ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ﴾ أي خالطوا حُبَّهُ قُلُوبَهُمْ؛ كما يخالط الشراب ﴿يَكْفُرُهُمْ﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿يَسْمَا﴾ شيئًا ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِمْ إِسْنَتَكُمْ﴾ بالنوراة عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بها كما زعمتم؛ المعنى: لستم بمؤمنين؛ لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل، والمراد: آبائهم؛ أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالنوراة وقد كذبتم محمدًا، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٩٠﴾ يَسْمَا أَشْتَرَا بِهِنَّ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا وَبِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبَكُمْ لِمَا سَمِعْتُمْ وَأَعَصُوا مَا أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا بِهِنَّ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا وَبِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من النوراة؛ هو: القرآن ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق؛ وهو: بعثة النبي ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾

(١) بالتخفيف فراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالتشديد.

(٢) أي: بسبب كفرهم.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٤﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٥﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٦﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٧﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٨﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٩﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١١١﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١١٢﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١١٣﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١١٤﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١١٦﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١١٨﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ إِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحِيمٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٠﴾

عند الله محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَيِّنَاتٌ مِنْ رَبِّكَ وَأُنْوَا
 الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: التوراة ﴿وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾ أي: لم يعملوا بما
 فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَانَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ما فيها من أنه نبي
 حق أو أنها كتاب الله.

[٩٤] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْحَافُ الْأَحْزَابِ، أي: اللجنة
 ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾: خاصية ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾: كما زعمتم ﴿فَتَتَّبِعُوا
 أَمْرَهُمْ﴾: أي: إِنْ صَدَقْتُمْ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّهُمْ لَكُمْ، وَمِنْ كَانَتْ لَهُ يَوْزُهُ،
 وَالْمُصَلِّ إِلَيْهَا الْمَوْتُ، فَتَتَّبِعُوا. [٩٥] ﴿وَلَنْ يَتَّبِعُوهُ أَبَدًا﴾: يَمَّا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ
 مِنْ كُفْرِهِمْ بِالنَّبِيِّ الْمُسْتَرَامِ لَكُذِبِهِمْ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: الكافرين
 فيجازيهم. [٩٦] ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: لَا مَقَامَ ﴿أَحْرَصَ النَّاسُ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَ
 أَحْرَصَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: الْمُشْرِكِينَ لِلْبَعْثِ عَلَيْهَا؛ لَعَلَّهُمْ بِأَنْ مَصِيرِهِمْ
 النَّارَ دُونَ الْمُشْرِكِينَ لِإِنْكَارِهِمْ لَهُ ﴿يُودُّ﴾: يَتَمَنَّى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يَمُوتَ أَلْفَ
 سَنَةٍ﴾: «لَوْ»: مُصَدَّرَةٌ؛ بِمَعْنَى: «أَلْفٌ»، وَهِيَ بِصَلَتِهَا فِي تَأْوِيلِ مُصَدَّرِهَا مَفْعُولُ
 «يُودُّ» وَمَا هُوَ، أَيْ أَحَدُهُمْ «يُؤْمَرُ بِمُزَجَّجَةٍ» مِيعَدُهُ ﴿وَمِنْ أَلْعَابِ النَّارِ
 أَنْ يَمُوتَ﴾: فَاعِلُ «مُزَجَّجَةٍ»: أَيْ: تَعْمِيرُهُ ﴿وَاللَّهُ بِصِيرَتِهِمْ يَعْمَلُ عَمَلًا
 بَالِيًا وَنَائِبًا﴾؛ فِي جَازِيَتِهِمْ. وَسَأَلَ ابْنُ صَوْرَةَ (١) النَّبِيَّ أَوْ عَمَرَ عَنْ يَأْتِي
 بِالْوَحْيِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فَقَالَ: «جَبْرِيلُ»؛ فَقَالَ: هُوَ عَدُوْنَا، يَأْتِي بِالْعَذَابِ، وَلَوْ
 كَانَ مِكَائِيلُ لَأَتَانَا؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي بِالْحُصْبِ وَالسَّلَامِ (٢). فَقَالَ: [٩٧] ﴿قُلْ لَهُمْ:
 مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَلَيْسَ غِيظًا فَلَيْسَ غِيظًا﴾: أَيِ الْقُرْآنِ ﴿عَلَى
 قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ
 ﴿وَهَدًى مِنَ الضَّلَالَةِ﴾: وَبُشْرَى ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣). [٩٨] ﴿مَنْ
 كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ وَبُشْرَى﴾: بِكُفْرِ الْجَحِيمِ وَفَضَحِهَا، بَلَا هَمَزَ
 وَبَاءَ وَدُونَهَا (٤) ﴿وَمِكَائِيلَ﴾: عَطَفَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، مِنْ عَطَفِ الْخَاصِ
 عَلَى الْعَامِّ (٥)، وَفِي قِرَاءَةٍ: «مِكَائِيلَ» بِهَمْزَةٍ وَبَاءَ (٦)، وَفِي أُخْرَى بَلَا يَاءَ (٧)
 ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾: أَوْعَقَهُ مَوْقِعُ «لَهُمْ» بَيَانًا لِلْحَالِ. [٩٩] ﴿وَلَقَدْ
 أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ﴾: «إِنَّمَا بَيِّنَاتٌ»؛ أَيْ: وَاضِحَاتٌ، حَالٌ، رَدُّ لِقَوْلِ
 ابْنِ صَوْرَةَ لِلنَّبِيِّ: مَا جِئْنَا بِشَيْءٍ (٨) ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾:
 كَفَرُوا بِهَا. [١٠٠] ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ عَهْدُوا﴾: اللَّهُ ﴿عَهْدًا﴾: عَلَى الْإِيمَانِ
 بِالنَّبِيِّ إِنْ خَرَجَ، أَوْ النَّبِيُّ أَنْ لَا يَعَاوِنُوا عَلَيْهِ الْمُشْرِكِينَ ﴿بِذَمِّ﴾: طَرَحَهُ «فَرِيقٌ
 مِنْهُمْ» بِنَقْضِهِ، جَوَابُ «كَلِمَاتٍ»، وَهُوَ مُحَلٌّ لَاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ؟! ﴿يَلْزَمُ
 لِلْإِتِّفَاقِ﴾: «أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ». [١٠١] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾

(٥) ما حاء في نزول الآية (٩٧) وما بعدها: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: حضرت عصاية من اليهود نبي الله ﷺ يوما فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهم لا يعلمون إلا نبي. . . الحديث وفي آخره: قالوا: وأنت الآن تحدثنا؟ من رايك من الملائكة فعندنا نجتمعك أو نفارقك.

قال: «فإن وليي جبريل عليه السلام، ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه». قالوا: فعندنا نفارقك؛ لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعك وصدقك. قال: «فما يمنعكم من أن تصدقوه؟» قالوا: إنه عدونا. قال: «فعند ذلك قال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَلَيْسَ غِيظًا﴾ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ». إِلَى قَوْلِهِ ﷻ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَانَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾. فعند ذلك ﴿يَأْتُوا بِمِصْبَرٍ عَلَى غَصَصٍ﴾: الآية. المسند (١/٢٧٨). (إسناده صحيح) شاكر (٢٥١٤).

(١) في العبارة قلب، والأصل تعلق تمنيه بالشرطين؛ لأن «كَلِمَاتٍ» هو جواب، وهو متعلق بالشرطين.

(٢) خالصه: أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان الأول قيذا في الثاني؛ بمعنى: أنه من تمام معناه.

(٣) ظاهره أنهما سبيتان، وليس كذلك، بل التاء عشرية قرأ بها يعقوب، واحتلف فيما زاد عن السبعة؛ هل يلحق بها فتجوز القراءة والصلاة بها، أم بالشواذ فيمتنعان؟ والمحمد الأول.

(٤) واسمه عبد الله، وكان من أحبار اليهود.

(٥) انظر: مسند أحمد (٢٥١٠). وروى البخاري في كتاب التفسير (٤٤٨٠) عن أنس نحو هذا في عبد الله بن سلام قبيل إسلامه وليس فيه أنه سبب نزل الآية..

(٦) جبريل وجبريل وجبريل، لأن كثير، ثم شعبة ثم حمزة والكسائي على الترتيب، جبريل نافع وأبي عمرو وابن عامر وحفص.

(٧) والكنة: شرفها وعظمتها، وكون النزاع فيها.

(٨) حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير وابن عامر.

(٩) لنافع.

(١٠) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس [الدر المنثور (١/٦٨١)].

يعمل السحر؛ لأنه كفر ﴿وَلَكِنَّ﴾ بالشديد والتخفيف ^(٣) ﴿الْشَّيْطَانُ﴾ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرُ الجملة حال من ضمير «كفروا» ﴿وَمَا﴾ يعلمونهم ﴿مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ أي: ألهاماً من السحر ^(٤)، وفُرى بكسر اللام ^(٥)، الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سواد العراق ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين، قال ابن عباس: هما ساحران، كانا يعلمان السحر، وقيل: ملكان أنزلا؛ لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنَ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾ له نصحا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ﴾ بليّة من الله إلى الناس؛ ليمتحنهم بتعليمه؛ فمن تعلّمه كفر، ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعليمه. فإن أتى إلا التعليم علمناه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْعُرُوفِ﴾ بآن ينفص كل إلى الآخر ﴿وَمَا هُمْ﴾ أي السحرة ﴿بِصَّارِينَ بِهِ﴾ بالسحر ﴿وَمِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلَّمُوا﴾ أي اليهود ﴿لَمَن﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها ﴿وَمِنْ﴾ موصولة ﴿أَشْرَنَهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَيْسَ﴾ شيئا ﴿شَرًّا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: الشارين؛ أي: حظها من الآخرة إن تعلموه؛ حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب، ما تعلموه.

[١٠٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿ءَامَنُوا﴾ بالنبي والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ عقاب الله بترك معاصيه؛ كالسحر، وجواب «لو» محذوف؛ أي: لأثيبوا؛ دل عليه ﴿لَمَنُوبَةٌ﴾ ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه للقسام ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ خبره، مما شروا به أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه. [١٠٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ للنبي: ﴿رُعَيْنَا﴾ أمر من المراجعة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سب من الرعونة ^(٦)، فشرّوا بذلك، وخاطبوا بها النبي؛ فنهى المؤمنين عنها ﴿وَقُولُوا﴾ بدلها: ﴿انظُرْنَا﴾ أي: انظر إلينا ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تومرون به سماع قبول ﴿وَلْيَكُنْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ مؤلم هو النار.

[١٠٥] ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب، عطف على أهل الكتاب، و«من» للبيان ﴿أَن يُزِيلَ عَنْكُمْ مِنْ زَائِدَةٍ﴾ وحى ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حسداً لكم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ ^(٧) نبوته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَائِمٍ وَمَا كَفَرَ سَائِمٌ وَلَا كَنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْعُرُوفِ وَمَا هُمْ بِصَّارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنَ اشْرَنَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرُّوهُ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَنُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعَيْتَ وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُزِيلَ عَنْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

[١٠٢] ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ عطف على «بذه» ^(١) ﴿مَا تَتْلُوا﴾ أي: تلت الشَّيَاطِينُ عَلَى عهد ﴿مُلْكٍ سَائِمٍ﴾ من السحر، وكانت ذفنته تحت كرسيه لما نزع منكبه، أو كانت تسترق السمع، وتضم إليه أكاذيب، وتلقيه إلى الكهنة؛ فيدونونه، وفشا ذلك، وشاع أن الجن تَقْلُمُ الغيب؛ فجمع سليمان الكتب ودفعها، فلما مات دَلَبَ الشَّيَاطِينُ عليها الناس؛ فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنما ملككم بهذا فتعلموه. فرفضوا كتب أنبيائهم ^(٢). قال - تعالى - تبرئة لسليمان ورداً على اليهود في قولهم: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء، وما كان إلا ساحراً: ﴿وَمَا كَفَرَ سَائِمٌ﴾ أي: لم

(١) استشكل بأن المعطوف على الجواب جواب، وقوله: ﴿اتَّبَعُوا﴾ لا يصلح أن يكون جواباً؛ لعدم ترتبه على الشرط؛ لأنه سابق على بعثة الرسول ﷺ، فالأحسن عطفه على جملة: ﴿وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الآية، فهو بيان لسوء حالهم.

(٢) هذه لتفاصيل من قصته مع الجن والكتب وما وجبوه منها من سحر ونحوه طارها من الإسرائيليات، التي تخالف مناصب الأنبياء وعصمتهم وشأنهم ولا يمكن التصديق بصحتها.

(٣) بتخفيف نون ﴿لَكِنَّ﴾ ورفع ﴿الْشَّيْطَانُ﴾ قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٤) نافية؛ أي: لم ينزل على الملكين. قال ابن الأثيري: وهذا الوجه ضعيف جداً؛ لأنه خلاف الظاهر والمعنى.

(٥) وهي قراءة شاذة.

(٦) أي: الحق، والجهل، وقلة العقل، وهي بهذا المعنى عربية، وقيل: هي عبرانية، أو سريانية. ومعناها: اسمع لا سمعت.

(٧) وفيها إثبات صفة الرحمة على الوجه اللاتى بجلاله - سبحانه -، ومن آثار رحمته الشرع الذي شرعه لنبيه ﷺ ولأمته. وأما تفسيره الرحمة بالنبوة بخلاف الظاهر.

ولما طعن الكفر في النسخ، وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر ويهني عنه غداً، نزل: [١٠٦] ﴿مَا﴾ شرطية ﴿تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾ أي: نزل حكمها؛ إما مع لفظها أو لا، وفي قراءة^(١) بضم النون من أنسخ؛ أي: نأمر أو جبرين بنسخها ﴿أَوْ تَنْسَأُهَا﴾ تؤخرها؛ فلا تنزل حكمها، وترفع تلاوتها؛ أو تؤخرها في اللوح المحفوظ، وفي قراءة بلا همز^(٢) من النسيان^(٣)؛ أي: ننسيتها؛ أي: نمحها من قلبك، وجواب الشرط ﴿تَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿أَوْ يَسْئَلُكَ﴾ في التكليف والثواب ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتقرير.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفعل ما يشاء ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿وَلِيٌّ﴾ يحفظكم ﴿وَلَا تَصِيرُ﴾ يمنع عنكم عذابه إن أتاكم. ونزل لما سألهم أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذبيحة^(٤): [١٠٨] ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلُوا مُوسَى﴾ أي: سأله قومه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قولهم: ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ وغير ذلك؟ ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: يأخذه بدله بترك النظر في الآيات واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ الطريق الحق، والسواء في الأصل الوسط.

[١٠٩] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ﴾ مصدرية ﴿يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُنُفَارًا حَسَكًا﴾ مفعول له، كائناً ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: حملتهم عليهم أنفسهم الخبيثة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ﴾ في التوراة ﴿الْحَقَّ﴾ في شأن النبي ﴿وَأَعْفُوا﴾ عنهم؛ أي: اتركوهم ﴿وَأَصْفَحُوا﴾ أعرضوا، فلا تجازوهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ فيهم من القتال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١١٠] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقِيمُوا لِلنَّفْسِ مِنَ خَيْرٍ﴾ طاعة؛ كصلة وصدقة ﴿وَتَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَسْتَأْذِنُ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بصير، فيجازيكم به.

[١١١] ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ جمع هابذ ﴿أَوْ نَصْرًا﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ؛ أي: قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود. وقال النصارى: لن يدخلها إلا النصارى^(٥)، ﴿وَلَكِنَّ الْقَوْلَ﴾ آمازيغهم ﴿شَهَوَاتِهِمُ الْبَاطِلَةَ﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. [١١٢] ﴿بَلَىٰ﴾ يدخل الجنة غيرهم ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: انقاد لأمره، وخصَّ الوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء؛ فغيره أولى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَلَهُ أَتْرُفٌ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: نواب عمله الجنة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

(١) لاين عامر.

(٢) أي: مع ضم النون ﴿نَسِيتُهَا﴾ لاناع وعاصم وحزمة والكسائي، والقراءة المفسرة (نَسَأُهَا) لاين كثير وأبي عمرو.

(٣) الأولى أن يقول: من الإنشاء؛ لأنه مصدر الرباعي الذي الكلام فيه.

(٤) واستشكل ذلك بأن هذه السورة مدنية، والسؤال من أهل مكة كان قبل الهجرة، فالحق أن يقال: إن سبب نزولها سؤال يهود المدينة إزال كتاب من السماء؛ لأن لسياق في محاطبة اليهود، ويكون قوله: ﴿رَسُولَكُمْ﴾ أي: محمد ﷺ لأنه رسول الخلق أجمعين.

(٥) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٥٤٨/١)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (٣٩٤/١)، وفي إسناده محمد بن أحمد؛ مجهول.

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾
 ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
 ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾
 ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلُوا مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾
 ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُنُفَارًا حَسَدًا مِمَّنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ فَاعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
 ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
 ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى
لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا
أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ فَائِنَّمَا تُولُوا فَتَمَرَّجْهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهٍ قُلُوبُوتٌ ﴿١١٦﴾ يَدْبِعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ
قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

[١١٣] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ مُعْتَدٍ بِهِ، وكفرت
بعيسى ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ مُعْتَدٍ بِهِ، وكفرت بموسى
﴿وَهُمْ﴾ أي الفريقان ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ المنزل عليهم، وفي كتاب اليهود
تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى، والجملة حال
﴿كَذَلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المشركون من

العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بيان لمعنى ذلك؛ أي: قالوا لكل ذي دين:
ليسوا على شيء ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾
من أمر الدين؛ فيدخل الحق الجنة والمُفِطِل النار: [١١٤] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي:
لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بالصلاة والتسبيح
﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ بالهدم أو التعطيل، نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا
بيت المقدس، أو في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت
﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر؛ أي:
أخيفهم بالجهاد؛ فلا يدخلها أحد أمنًا ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هوان بالقتل
والسبي والحرية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار. ونزل لما طعن اليهود
في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الرحلة في السفر حيثما توجهت: [١١٥]
﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ (١) أي: الأرض كلها؛ لأنهما تاجبتاهما ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا﴾
وجوهمكم في الصلاة بأمره ﴿فَتَمَرَّجْهُ﴾ هناك ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ (٢) قبلته التي رضىها (٣)
﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ﴾ يسع فضله كل شيء ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بتدبير خلقه (٤).
[١١٦] ﴿وَقَالُوا﴾ بواو وبدونها (٥)، اليهود والنصارى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ
الْمَلَائِكَةَ بنات الله: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال: تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها
له عنه ﴿بَلْ لَمْ يَأْمُرْ بِالْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ مَلَكَ وَخَلَقُوا وَعِندَهُ وَالْمَلَائِكَةُ تَنْفِرُ
الْوِلَادَةِ﴾ وعبر بـ«ما» تعليلًا لما لا يعقل ﴿كُلُّ لَهٍ قُلُوبُوتٌ﴾ مطيعون، كل بما يُراد
منه، وفي تغليب العاقل. [١١٧] ﴿يَدْبِعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ موجدهم لا
على مثال سيقن ﴿وَلِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ أراد ﴿أَمْرًا﴾ أي: إيجاده ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة (٦) بالنصب (٧) جوابًا للأمر.

[١١٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: كفار مكة (٨) للنبي ﷺ ﴿لَوْلَا﴾
هنا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ بأنك رسول الله ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ ما اقترحهنا على
صدقك ﴿كَذَلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من كفار الأمم
الماضية أنبيائهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من التعت وتطلب الآيات ﴿تَشَابَهَتْ
قُلُوبُهُمْ﴾ في الكفر والعناد، فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون، فاقترح آية معها تعنت. [١١٩]
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ مَنْ أَحَبَّ إِلَيْهِ
بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَنْ لَمْ يَجِبْ إِلَيْهِ بالنار ﴿وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ النار؛
أي: الكفار ما لهم لم يؤمنوا؟ إنما عليك البلاغ، وفي قراءة بجزء «تسأل» نهياً (٩).

(٥) ما حاء في نزول الآية (١١٥): أخرج مسلم عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت: ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا قَوْمًا وَجْهَ اللَّهِ﴾ وهذا قول مجاهد وتبعه الشافعي. قال ابن القيم: إنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعًا ولا عرفًا... بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه... وأيضًا فمن المعلوم أن قلة الله التي
أُلُوهُ مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤) جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت. وأخرج الترمذي: عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفره في ليلة فلم ندر أين القبلة، ففصل كل رجل منا على حiale، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا قَوْمًا وَجْهَ اللَّهِ﴾ الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب
(٣) سورة البقرة. (حسن) صحيح الترمذي (٥٨٤، ٢٣٥٧).

(١) اختار القرطبي أنها عامة في كل مسجد إلى يوم القيامة؛ لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ضعيف. (٢) انظر الحديث وتخرجه في أسباب النزول.

(٣) وفيه إثبات لوجه الله - تعالى - على الوجه اللاتقي به - تعالى -، وإن له وجهًا لا تشبهه الوجوه.

(٤) وهذا قول مجاهد وتبعه الشافعي. قال ابن القيم: إنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعًا ولا عرفًا... بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه... وأيضًا فمن المعلوم أن قلة الله التي
أُلُوهُ مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤) جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت. وأخرج الترمذي: عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفره في ليلة فلم ندر أين القبلة، ففصل كل رجل منا على حiale، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا قَوْمًا وَجْهَ اللَّهِ﴾ الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب
(٣) سورة البقرة. (حسن) صحيح الترمذي (٥٨٤، ٢٣٥٧).

(٥) تقدم الإشكال بأن السورة مدنية وأن السائل له يهود المدينة، وهبل: ويمكن أن يكون كفار مكة أرسلوا ذلك السؤال له وهو بالمدينة.

(٩) مع فتح التاء النافع.

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِيتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَنْبِئُ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَلِتَذُكَّرَ أُولَئِكَ أَرْسَلْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٧﴾

[١٢٠] ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دِينَهُمْ ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ أي الإسلام ﴿وَمَا عَادَهُمْ ضَلَالٌ﴾ وَلَئِنَّ ﴿آتِيتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعونك إليها فَوْضًا ^(١) ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الوحي من الله ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمتنع منه.

[١٢١] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي؛ يقرءونه كما أنزل، والجملة حال، و«حق» نصب على المصدر، والخبر: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي؛ بالكتاب المؤتي بأن يحرفه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[١٢٢] ﴿يَنْبِئُ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ تقدم مثله.

[١٢٣] ﴿وَاتَّقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ تغني ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيْئًا﴾ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ فداء ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُنْقَوْنَ من عذاب الله.

[١٢٤] ﴿وَإِذْ ابْتَلَى﴾ اخْتَبَرَ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وفي قراءة: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ [إبراهيم] ^(٢) ﴿رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ بأوامر وتَوَاتُرَ كلفه بها؛ قيل: هي مناسك الحج. وقيل: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، ورفق الشعر، وقلم الإظفار، ونف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أَذَاهُنَّ تامات ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قدوة في الدين ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أولادي: اجعل أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾ بالإمامة ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين منهم؛ ذل على أنه ينال غير الظالم [١٢٥] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعًا يشوبون إليه من كل جانب ﴿وَأَمْنَا﴾ مأمنا لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره؛ كان

الرجل يلقي قاتل أبيه فيه فلا يهجمه ﴿وَأَعِزُّدُوا﴾ أيها الناس ﴿مِنْ مَقَابِرِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلِّ﴾ مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف، وفي قراءة بفتح الحاء خبر ^(٣) ﴿وَعَهْدًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرناهما ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ جمع راكم وساجد، المصلين.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه؛ فجعله حرمًا، لا يسفك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه

أحد، ولا يُضاد صيده، ولا يُختلى خلاه ^(٤) ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه، وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿وَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بدل من أهله، وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿وَوَرِّقْ﴾ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ بالتشديد والتخفيف ^(٥) في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ ألجئه في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصًا ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

(١) أي: على فرض وقوعه.

(٢) لابن عامر، سوى النقاش عن الأحفش. وذلك في ثلاثة وثلاثين موضعًا منها خمسة عشر في هذه السورة.

(٣) أي: اتخذوا، لنافع وابن عامر.

(٤) أي: حبشته.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن عامر.

لتقدم قوله: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْفُلَّيْنِ﴾ ﴿وَأَرَانَا﴾ علمنا ﴿مَنَاسِكَهَا﴾ شرائع عبادتنا أو حجتنا ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سألناه التوبة مع عصمتها تواضعاً وتعليلًا لذريتهما.

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ﴾ أي: أهل البيت ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكَ آيَاتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْقَرِيرُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه^(١).

[١٣٠] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿يَرْغَبْ عَنْ إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ﴾ فيتركها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ جهل أنها مخلوقة لله، يجب عليها عبادته، أو استخف بها وامتنعها ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالسؤال والخلة ﴿وَأَيُّهُ﴾ في الآخرة ﴿لِمَنْ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[١٣١] ﴿وَإِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ انقاد لله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّى﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿أَوْصَى﴾ ﴿بِهَا﴾ بالملءة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ نبيه ويعقوب، نبيه قال: ﴿يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْأَلَكَ لَكُمْ الدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهي عن ترك الإسلام، وأمر بالثبات عليه إلى مصافة الموت.

ولما قال اليهود للنبي: أأنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى نبيه باليهودية؛ نزل: [١٣٣] ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قله^(٣) ﴿قَالَ لِسَيِّدِي مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ بعد موتي ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهِكَ وَإِلَهِ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ عبد إسماعيل من الآباء تغليب، ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَهِكُمْ﴾ بدل من إلهك ﴿وَوَعْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾، و﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار^(٤)؛ أي: لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به؟.

[١٣٤] ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب ونبيهما، وأنت؛ لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل؛ أي: جراؤه، استئناف ﴿وَلَكُمْ﴾ الخطاب لليهود ﴿مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يسألون عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَكَ وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنْ أَسْأَلَكَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهِكَ وَإِلَهِ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهِكُمْ وَإِلَهِ آبَائِكُمْ أَفَكُنْتُمْ أَكْهَامًا كَسَبَتْ لَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

[١٢٧] ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ﴾ إرفع ﴿الْقَوَاعِدَ﴾ الأسس أو الجدران ﴿وَمِنْ آلِيبَيْتٍ﴾ بنيه، متعلق بـ"يرفع" ﴿وَيُسْمِعُ﴾ عطف على إبراهيم، يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بناءً ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ منقادين ﴿وَلَكَ﴾ و﴿اجعل﴾ من ذُرِّيَّتِنَا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ و﴿من﴾ للتبعيض، وأنى به؛

(١) الأولى: التعميم في ثقل الحكمة؛ فيقال: الحكيم في كل شأن من شؤنه؟ من صنعه، وقدره، وتشريعه، وجرائه، وإرساله رسله، وإنزاله كفيه، ... إلخ. وكذا يقال في كل موضع قصرا فيه الصنفان الحكمة على صنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٢) ثنايف وابن عامر.

(٣) أي: بدل اشتمال.

(٤) أي: فتارة تفسر بها وحدها، وتارة تفسر بها وبإهل، وتارة تفسر بهل وحدها.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ الْبُرْهَانِ
خَافًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُلْ أَعْمَأَسَّ اللَّهُ وَمَا
أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ
رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنِ آمَنُوا بِمِلَّةِ مَا آمَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنِ كَفَرُوا لَمْ
يَكُنْ لَكُمْ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِمَّا عَصَوْا وَهُوَ الْعَصِيُّ ﴿١٣٧﴾
عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾
أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَعْلَمُ أَمَّا
اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ آيَةُ الَّتِي فَتَحْنَا لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

[١٣٥] ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ «أو» للتفصيل، وقالوا
الأول يهود المدينة، والثاني نصارى نجران ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلْ﴾ نتبع ﴿مِلَّةَ﴾
إبراهيمَ حنيفًا ﴿حال من إبراهيم، مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم﴾
﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٣٦] ﴿قُلْ﴾ خطاب للمؤمنين: ﴿ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ من
القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ من الصحف العشر ﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من التوراة ﴿وَعِيسَى﴾ من
الإنجيل ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من الكتب والآيات ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ كاليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ﴾.

[١٣٧] ﴿فَإِنِ آمَنُوا بِمِلَّةِ مَا آمَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنِ كَفَرُوا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِمَّا عَصَوْا﴾ «مثل» زائدة
﴿وَهُوَ الْعَصِيُّ﴾ «مما عَصَوْا» عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾
خلاف معكم ﴿نَسْتَعِينُهُمُ اللَّهُ﴾ يا محمد شِقَاقُهُمْ ﴿وَهُوَ الْغَاسِقُ﴾
لأقوالهم ﴿أَعْلَمُ﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم بقتل قريظة، ونفي الظير
وضرب الجزية عليهم.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لـ ﴿أَمَّنَّا﴾ ونصبه بفعل مقدر؛ أي:
صَبَّغَنَا اللَّهُ؛ والمراد بها: دينه الذي فطر الناس عليه؛ لظهور أثره على صاحبه؛
كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ تمييز
﴿وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾. قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول،
وقبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبيا، لكان منا.
فَنَزَلَ: [١٣٩] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾ تخاصموننا ﴿فِي اللَّهِ﴾ أن
اصطفى نبيا من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فله أن يصطفى مَنْ يشاء
﴿وَلَكَّا أَعْمَلُنَا﴾ نُجَازِي بِهَا ﴿وَلَكُمْ أَشْغَلُكُمْ﴾ نُجَازُونَ بِهَا؛ فلا يبعد أن
يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ الدين والعمل
دونكم؛ فنحن أولى بالاصطفاء، والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال.

[١٤٠] ﴿أَمْ﴾ بل أَمْ تَقُولُونَ ﴿بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ﴾: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾ لهم: ﴿ءَأَمَّنْتُمْ
أَعْلَمَ أَوْ اللَّهُ﴾ أي: الله أعلم، وقد بُرِّئَا منهما إبراهيم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ
يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ (١) والمذكورون معه تبع له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾
أخفى على الناس ﴿شَهَادَةً عِنْدَهُ﴾ كاتبة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أظلم
منه؛ وهم: اليهود؛ كَتَمُوا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية (٢) ﴿وَمَا
اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[١٤١] ﴿تِلْكَ آيَةُ الَّتِي فَتَحْنَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تقدم مثله.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما: ﴿قُولُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ التي في البقرة، وفي الآخرة منهما: ﴿ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ
وَأَنَّهُ هُوَ يَأْتِيَا مُسْلِمُونَ﴾. مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٣٨) القراءة في ركعتي الفجر.

(١) بالياء نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٢) آل عمران: ٦٧.

(٣) أي: ولحمد ﷺ بالرسالة؛ حيث ذكر الله أوصافه وأخلاقه في كتبهم فغيروها وبدلوها.

يا أمة محمد ﴿أَمَّا وَسَطًا﴾ خيارًا عدولاً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة: أن رسلم بلغنهم ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا صِغِيرًا لَكَ الْآنَ﴾ ﴿الْقِبْلَةَ﴾ الجهة ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أولاً؛ وهي: الكعبة، وكان ﷺ يصلي إليها، فلما هاجر، أُمِر باستقبال بيت المقدس؛ تألفاً لليهود؛ فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً، ثم تحول ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ فيصده ﴿مِمَّنْ يَتَقَلِّبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي: يرجع إلى الكفر؛ شكاً في الدين، وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وإنما كانت: أي: التولية إليها ﴿لِكِبْرَةٍ﴾ شاقة على الناس ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَكَأَ اللَّهُ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس^(١)؛ بل يبيحكم عليه؛ لأن سبب نزولها السؤال عن مات قبل التحويل^(٢) ﴿إِنَّكَ اللَّهُ يَالْكَافِينَ﴾ المؤمنين ﴿لَزَوْا وَفُتِّجِعُوا﴾ في عدم إضاعة أعمالهم، والرافة شدة الرحمة، وقَدَّمَ الأبلغ للفاصلة^(٣).

[١٤٤] ﴿فَلَنُؤْيِسَنَكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٥﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَهُ بَعْضٌ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَ هُمُومٍ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[١٤٥] ﴿وَلَئِنْ﴾ لام القسم ﴿أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ على صدقك في أمر القبله ﴿مَّا تَتَّبِعُوا﴾ أي: [لا] يتبعون ﴿فَلَنُؤْيِسَنَكَ﴾ عناداً ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ﴾ قَطْعَ لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَهُ بَعْضٌ﴾ أي: اليهود قبله النصارى، وبالعكس ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَ هُمُومٍ﴾ التي يدعونك إليها ﴿مِنَ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْأَسْلَافِ﴾ الوحي ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ إن اتبعتهن فوضاً ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٦﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَتَقَلِّبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٧﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤْيِسَنَكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَهُ بَعْضٌ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَ هُمُومٍ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[١٤٦] ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ الجهال ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ اليهود والمشركين: ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي شئ صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عَنْ قِبَلَتِهِمْ﴾ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا على استقبالها في الصلاة؛ وهي: بيت المقدس؛ والإتيان بالسبب الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الجهات كلها؛ فَيُأْمَرُ بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام أي: ومنهم أنتم^(١)؛ ذَلْ عَلَى هَذَا: [١٤٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (١٤٤): أخرجه البخاري عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ - أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ - شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنزَلَ اللَّهُ: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ فتوجه نحو الكعبة... البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - (٢) سورة البقرة باب (٢).

(١) أي: من المهتدين أمة محمد ﷺ.

(٢) عبر بالإيمان عن الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

(٣) هو عند البخاري وغيره، وأخرجه البخاري في تفسيره من حديث البراء (٤٨٦).

(٤) أي: مع أن العادة العكس؛ ليكون للأبلغ بعد غيره فائدة؛ فيقال: عالم تحرير، ولا يقال: تحرير عالم. والفاصلة هي الكلمة آخر الآية، كغاية الشعر وقرينة السجع.

(٥) وقيل: للتكثير. وهي بالنظر لفعل النبي ﷺ لا رؤية الله، وهو خطاب تودد.

(٦) لابن عامر، وحزمه، والكسائي، وقرأ الباقون بالياء.

الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
وَأَنَّ قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وَجْهٍ
هُمُومٌ لَهَا فَاستَبِقُوا الْحَيَاتِ إِنَّ مَا تَكُونُوا يَاتِيكُمْ اللَّهُ
جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَلَهُ وَالْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿١٤٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ أَي: محمداً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَاءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم؛ قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأيته؛ كما أعرف
ابني، ومعرفتي لحمد أشد ﴿وَأَنَّ قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ
يَعْلَمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه ﴿١٤٧﴾ الْحَقُّ كائنًا ﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه؛ أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: لا تمتز. ﴿١٤٨﴾
﴿لِكُلِّ وَجْهٍ﴾ من الأمم ﴿وَجْهٌ﴾ قبله ﴿هُوَ مُوَلِّيًا﴾ وجهه في
صلاته، وفي فراءة^(١): ﴿مُوَلِّيًا﴾ فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ ﴿فَادْكُرُونِي﴾ بادروا إلى الطاعات
وقبولها ﴿إِنَّ مَا تَكُونُوا يَاتِيكُمْ﴾ اللَّهُ جَمِيعًا ﴿يَجْمَعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿١٤٩﴾ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر^(٢) ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء^(٣)،
تقدم مثله، وكرره؛ لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

﴿١٥٠﴾ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا
كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ كرهه؛ للتأكيد^(٤) ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾
اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مجادلة في التولي إلى غيره؛ لستتفي
مجادلتهم لكم من قول اليهود: يبعد ديننا ويتبع قبلتنا. وقول المشركين:
يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالنعاد؛ فإنهم
يقولون: ما تحول إليه إلا ميلاً إلى دين آبائهم. والاستثناء متصل؛ والمعنى: لا
يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالهم في
التولي إليها ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ بامثال أمري ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ عطف على ﴿لِئَلَّا
يَكُونَ﴾ يَمْنَعِي عَلَيْكُمْ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
إلى الحق.

﴿١٥١﴾ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بـ﴿أَنْتُمْ﴾؛ أي: إتمام كإتمامها بإرسالها
﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ محمداً ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن
﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن
﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿١٥٢﴾ ﴿فَادْكُرُونِي﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قيل: مغفلة
أجازكم. وفي الحديث عن الله: ﴿مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ
ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالِي خَيْرٌ مِنْ مَلِيَّةٍ﴾^(٥) ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ نعمتي
بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالعصية.

﴿١٥٣﴾ ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على الآخرة ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على
الطاعة والبلاء ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ خُصَّهَا بِالذِّكْرِ؛ لتكررها وعظمتها ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾ بالعون.

(١) لابن عامر.

(٢) ظاهره فرضاً ونقلاً؛ ولكن السنة حصصت ذلك بالفريضة، وأما النافلة فتجوز في السفر لغير القبلة بشروط.

(٣) بالياء لأبي عمرو.

(٤) لغزاة الحكم حينئذ؛ لأنه أول ما ورد من النسخ.

(٥) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

يَقُولُ: «مَلَكًا وَعَبِيدًا، يَفْعَلُ بِنَا مَا يَشَاءُ» وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ فِي الْآخِرَةِ؛ فَيَجَازِينَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ أَجْرَهُ اللَّهُ فِيهَا وَأَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرًا» (١)، وَفِيهِ أَنْ مُصَابِحَ النَّبِيِّ ﷺ طُفِقَ؛ فَاسْتَرْجَعَ؛ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّمَا هَذَا مُصَابِحٌ!! فَقَالَ: «كُلُّ مَا أَسَاءَ الْمُؤْمِنُ فَهُوَ مُصِيبَةٌ» (٢) [رواه أبو داود في مراسيله].

[١٥٧] «أَوَّلِيكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ» نِعْمَةٌ (٣)

«وَأَوَّلِيكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ» إِلَى الصَّوَابِ.

[١٥٨] «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ» جَبَلَانِ بِمَكَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﷻ أَعْلَامَ دِينِهِ، جَمَعَ شَعِيرَةً «فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ» أَي: تَلَقَّيَسَ بِالْحَجِّ أَوْ الْعَمَرَةِ، وَأَصْلُهُمَا الْقَصْدُ وَالزِّيَارَةُ «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ» إِمَّا عَلَيْهِ «أَنْ يَطُوفَ» فِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الطَّاءِ «بِهِمَا» بَأَنْ يَسْعَى بَيْنَهُمَا سَبْعًا، نَزَلَتْ لِمَا كَرِهَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَطُوفُونَ بِهِمَا، وَعَلَيْهِمَا صِمَامٌ يَمَسُّحُونَهُمَا، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ السَّعْيَ غَيْرُ فَرَضٍ؛ لِمَا أَفَادَهُ رَفْعُ الْإِثْمِ مِنَ التَّخْيِيرِ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ: رُكْنٌ، وَتَحْتَ ﷻ فَرِيضَتُهُ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الشَّعْيَ» (٤) [رواه البيهقي وغيره]، وَقَالَ: «الْبَدْوُ إِذَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» (٥) يَغْيِي الصَّفَا [رواه مسلم] «وَمَنْ طَفَعَ» وَفِي قِرَاءَةٍ (٦): «بِالتَّحْنِةِ وَتَشْدِيدِ الطَّاءِ مَجْزُومًا، وَفِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِيهَا» حَرْفًا أَي: بِخَيْرٍ أَي: عَمَلٌ مَا لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ مِنْ طَوَافٍ وَغَيْرِهِ «وَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ» لِعَمَلِهِ بِالْإِثَابَةِ عَلَيْهِ «عَلَيْهِ» بِهِ (٧).

وَنَزَلَ فِي الْيَهُودِ: [١٥٩] «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ» النَّاسَ «مَّا أُنْزِلَ مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْفُرْقَانِ» كَاتِبَةُ الرَّجْمِ وَنَعْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ «مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ» التَّوْرَةِ «أَوَّلِيكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ» يَبْعِدُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ «وَيَلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ أَوْ كُلُّ شَيْءٍ بِالِدَعَاءِ عَلَيْهِمُ بِاللَّعْنَةِ».

[١٦٠] «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا» رَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ «وَأَسْلَمُوا» عَمَلُهُمْ «وَبَيَّنَّا» مَا كَتَبُوا «فَأَوَّلِيكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ» أَقْبَلَ تَوْبَهُمْ «وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» بِالْمُؤْمِنِينَ. [١٦١] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ» حَالُ «أَوَّلِيكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أَي: هُمْ مُسْتَحَقُونَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، «وَالنَّاسِ» قِيلَ: غَائِمٌ. وَقِيلَ: الْمُؤْمِنُونَ. [١٦٢] «خَالِدِينَ فِيهَا» أَي: اللَّعْنَةُ وَالنَّارُ الْمَدْلُولُ بِهَا عَلَيْهَا «لَا يَصْفَقُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» طَرَفَةٌ عَيْنٌ «وَلَا هُمْ يُطْفَرُونَ» يُقْبَلُونَ تَوْبَةً أَوْ لِعَذْرَةٍ. وَنَزَلَ: «قَالُوا: صِفْ لَنَا زُكَّ» (٨): [١٦٣] «وَاللَّهُكَ» الْمُسْتَحَقَّ لِلْعِبَادَةِ مِنْكُمْ «إِلَهُ» وَجِدُّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ؛ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» هُوَ «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ». وَطَلَبُوا آيَةً عَلَى ذَلِكَ؛ فَتَزَلْ:

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٩﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بَشَىءٌ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَّتِ وَيَشِيرُ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٠﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٦١﴾ أَوَّلِيكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوَّلِيكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٦٢﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنْزِلَ مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَوَّلِيكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٦٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوَّلِيكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أَوَّلِيكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُطْفَرُونَ ﴿١٦٧﴾ وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٨﴾

[١٥٩] «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» هُمُ «أَمُوتَ بَلْ» هُمُ «أَحْيَاءٌ» أَرْوَاحُهُمْ فِي خَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضِرَ تَشْرُفُ فِي الْحِجَةِ حَيْثُ شَاءَتْ؛ لِحَدِيثٍ بِذَلِكَ (١) «وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» تَعْلَمُونَ مَا هُمْ فِيهِ. [١٥٥] «وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بَشَىءٌ مِنَ الْخَوْفِ» لِلْعَدُوِّ «وَالْجُوعِ» الْقَحْطُ «وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ» بِالْهَلَاكِ «وَالْأَنْفُسِ» بِالْقَتْلِ وَالْمَوْتِ وَالْأَمْرَاضِ «وَالْتَّمَرَّتِ» بِالْجَوَاحِشِ أَي: لِنَخْبِرَكُمْ؛ فَتَنْظُرُ أَنْ تَصْبِرُونَ أَمْ لَا؟ «وَيَشِيرُ الصَّابِرِينَ» عَلَى الْبَلَاءِ بِالْحِجَةِ. هُمُ [١٥٦] «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ» بَلَاءٌ «قَالُوا إِنَّا

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ آيَةِ (١٥٨): أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ قَالَ لَزَهْرِي قَالَ عُرْوَةُ: سَأَلَتْ عَائِشَةَ ﷺ فَقَالَتْ لَهَا: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» فَهَلَّ حَجَّ الْبَيْتِ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحَ أَنْ لَا يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؟ قَالَتْ: بَشَىءٌ مَا قُلْتُ يَا ابْنَ أَخْتِي، إِنْ هَذَا لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوَّلْتَهَا عَلَيْهِ كَانَتْ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا، وَلَكِنْهُمَا أُنْزِلَتْ فِي الْأَصْحَارِ، كَانُوا قَبْلَ أَنْ يَسْلُمُوا يَهْلُونَ لِمَنَا الطَّاعِيَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ الشُّتُلِ، فَكَانَ مِنْ أَهْلِ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» آيَةً، قَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّوْفَ بِهِمَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرَكَ الطَّوْفَ بِهِمَا، ثُمَّ أَخْبَرْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: إِنْ هَذَا لَعَلِمَ مَا كُنْتُ سَمِعْتُهُ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَذْكُرُونَ أَنَّ النَّاسَ - إِلَّا مَنْ ذَكَرْتُ عَائِشَةَ مِنْهَا - كَانُوا يَهْلُ بِمَنَاةَ - كَانُوا يَطُوفُونَ كُلِّهِمَا بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّوْفَ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ فِي الْقُرْآنِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمَا نَطُوفُ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الطَّوْفَ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا، فَهَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ أَنْ نَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» آيَةً، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَانْصَحْ هَذِهِ آيَةَ نَزَلَتْ فِي الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا. الْبَخَارِيُّ - كِتَابُ الْحَجِّ (٢٥) بَابُ (٧٩) وَجُوبُ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ.

(١) وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «أَرْوَاحُ الشَّهَدَاءِ فِي أَخْوَابِ طُيُورٍ خُضِرَ تَرُدُّ أَنْهَارَ الْحَقِّ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْقُرْشِ». مُسْلِمٌ (١٨٨٧) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ سَعْدٍ.

(٢) مُسْلِمٌ (٩١٨) بِحَوْثٍ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ. (٣) ضَعْفُ الْأَبْيَانِ فِي ضَعْفِ الْجَامِعِ (٤٢٣٣). (٤) وَهَذَا تَأْوِيلٌ كَمَا هُوَ مَذْهَبُهُ فِي الصِّفَاتِ، وَالصَّوَابُ إِنْثَاتُ هَذِهِ الصِّفَةِ وَغَيْرِهَا. الثَّابِتُ بِالْكَتَابِ وَالسَّنَةِ. لِلَّهِ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِي بِهِ شَيْخَانَهُ، وَمِنْ لَازِمِهِ إِتْعَامُهُ عَلَى مَنْ يَرْجِمُ. (٥) وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٢٧٤٧٤) مِنْ حَدِيثِ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي تَرْوَاءَ، وَصَحَّحَهُ الْأَبْيَانُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٩٦٨). (٦) ضَعِيفٌ بِهَذَا اللَّفْظُ بَصِغَةُ الْأَمْرِ، وَصَحَّحَ لَفْظُ «نَبْدًا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» وَبَلَفْظُ «أَبْدًا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ (مُسْلِمٌ ١٢١٨).

(٧) حِزْمَةُ وَالْكَسْبَانِي. (٨) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي الْوَسْطِ (٢٤٥/١) مِنْ رَوَايَةِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَهُوَ مَوْضُوعٌ كَمَا ذَكَرَ صَاحِبُ الِاسْتِيعَابِ فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ (٩٠/١).

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها من العجائب ﴿وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والحيء، والزيادة والنقصان ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿يَبَا يَنْعُ﴾ النَّاسُ من التجارات والحمل ﴿وَمَا أَرْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ مطر ﴿فَأَنسَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يَبْسُهَا ﴿وَبَنَى﴾ فَوَقَّ وَنَشَرَ بِهِ ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاكٍ﴾ لأنهم يسمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَنَصْرَفِ﴾ أَلْتَبَحَ تَقْلِيحُهَا جَنُوبًا وَشِمَالًا، حَارَةً وَبَارِدَةً ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿الْمُسْحَرِ﴾ المذلل بأمر الله - تعالى - يسير إلى حيث شَاءَ اللَّهُ ﴿يَتَنَزَّلُ﴾ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بلا علاقة ﴿لَا يَتَنَزَّلُ﴾ دالات على وحدانيته - تعالى - ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[١٦٥] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أندادًا﴾ أصنامًا ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كُتِبَ اللَّهُ﴾ أي: كتبهم له ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ من حبهم للأنداد؛ لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما، والكفار يعدلون في الشدة إلى الله ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ ^(١) تبصر يا محمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرْزَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ^(٢)؛ يصرون ﴿الْعَذَابَ﴾ لرأيت أمرًا عظيمًا، و﴿إِذْ﴾ بمعنى إذا ﴿أَنْ﴾ أي: لأن ﴿الْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿بِلَهُمْ جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وفي قراءة: ﴿يَرَى﴾ بالتحانية، والفاعل ضمير السامع ^(٣)، وقيل: «الذين ظلموا»؛ فهي بمعنى يعلم، وأن ^(٤) وما بعدها ^(٥) سدت مسد المفعولين ^(٦)، وجواب «لو» محذوف، والمعنى: لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معابنتهم له وهو يوم القيامة، لما اتخذوا من دونه أندادًا.

[١٦٦] ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: الرؤساء ﴿وَمِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: أنكروا إضلالهم ﴿وَوَقَّ﴾ قد ﴿رَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على ﴿تَبَرَّأَ﴾ ﴿يَهُمُّ﴾ عنهم ﴿الْأَسْبَابُ﴾ الوُضُل التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَا لَنَارِكُكُمْ﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَّبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي: المتبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ اليوم، «ولو» للتمني، و«نتبرأ» جوابه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما أراهم شدة عذابه، وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيفة ﴿حَسَرَتْ﴾ حال، ﴿نَدَامَاتٍ﴾ ^(٨) عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ بعد دخولها.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَصْرَفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَتَنَزَّلُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا رَبَّهٖ وَآلِهٖ وَأَنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُفُلًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا لَطِيبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

ونزل فيمن حَزَمَ السَّوَابِ ونحوها: [١٦٨] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُفُلًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا﴾ حال ﴿لَطِيبًا﴾ صفة مؤكدة؛ أي: مُشْتَبِلًا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يبين العداوة.

[١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ الإثم ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ القبيح شرعًا ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر. وقرأ الباقون: (يرى).

(٢) أي: بضم الياء، لابن عامر. وقرأ الباقون: (يَرْزَوْنَ) بالبناء للفاعل.

(٣) على القراءة الأولى: يصرون، وعلى الثانية: يَصْرُونَ.

(٤) لو قال: ضمير الرائي؛ لكان أظهر.

(٥) أي: الأولى مع معموليها.

(٦) وهو وأن الثانية مع معموليها.

(٧) أي: فلذلك وجب فتحها، وإن لم يصح تأويلها بالمفرد؛ لأن وجوب الفتح مداره على أحد أمرين: إما تأويلها بالمصدر، وإما وقوعها موقع المفعولين لعلهم - كما هنا - مع عدم التعليق باللام.

(٨) جمع ندامة.

وَذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَشْبِعُ مَا الْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بِكُمْ عَمِيَ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْمَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ أَتَى اللَّهَ عَفْوَرٌ رَجِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْتَرُوا الضَّلِيلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

[١٧٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: الكفار: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا﴾: لا ﴿بَلْ نَشْبِعُ مَا الْقَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوابب والباحاث.
قال - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَتَّبِعُونَ﴾ ﴿وَلَوْ كَانَتْ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق ١٩ والهمزة للإنكار.
[١٧١] ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومن يدعوهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ﴾ بصوت ﴿يَا﴾ (١) لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ ﴿أَي: صوتا﴾

ولا يفهم معناه؛ أي: في سماع الموعظة وعدم تدبرها؛ كالبهايم؛ تسمع صوت راعيها ولا تفهمه (٢)، هم ﴿صُمُّ بِكُمْ عَمِيَ﴾ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿الموعظة﴾.

[١٧٢] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ خلا لا ت ﴿رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على ما أحل لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْمَةَ﴾ أي: أكلها؛ إذ الكلام فيه، وكذا

ما بعدها؛ وهي: ما لكم بُذِّعَ شَوْعًا، وألحق بها بالسنة ما أين من حي؛ وخص منها السمك والجراد ﴿وَالْدَّمَ﴾ أي: المسفوح؛ كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ شُصَّ اللحم؛ لأنه معظم المقصود، وغيره بُذِّعَ له ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: ذُبِحَ على اسم غيره، والإهلال رفع الصوت، وكانوا يرفعونه

عند الذبح لأنهم ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ أي: ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما

ذُكِرَ، فَأَكَلَهُ ﴿غَيْرِ بَاغٍ﴾ خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ مُتَعَدٍّ عليهم

بقطع الطريق (٣) ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لأوليائه

﴿رَجِيمٌ﴾ بأهل طاعته؛ حيث وسع لهم في ذلك، وخرج الباغي والعادي،

ويلحق بهما كل عاص بسفره؛ كالأبي والمكاس (٤)؛ فلا يحل لهم أكل شيء

من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي.

[١٧٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المشتغل

على نعت محمد ﷺ؛ وهم: اليهود ﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا،

يأخذونه بدل من سفلتهم، فلا يظهرونه؛ خوف فوته عليهم ﴿أُولَئِكَ مَا

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لأنها مألهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ

الْقِيَمَةِ﴾ غضبا عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يظهرهم من دنس الذنوب

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم من النار.

[١٧٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْتَرُوا الضَّلِيلَةَ بِالْهُدَى﴾ أخذوها بدل في الدنيا

﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكنوا ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ

عَلَى النَّارِ﴾ أي: ما أشد صبرهم!! وهو تعجب للمؤمنين من ارتكابهم

موجباتها من غير مبالاة، وإلا فأي صبر لهم.

[١٧٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من أكلهم النار، وما بعده ﴿يَا﴾ بسبب

أن ﴿اللَّهُ سَرَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب﴿سَرَّلَ﴾؛ فاختلوا فيه؛ حيث

آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه بكنمه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ بذلك

- وهم اليهود، وقيل: المشركون في القرآن؛ حيث قال بعضهم: شعر.

وبعضهم: سحر. وبعضهم: كهانة - ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن

الحق.

(١) الباء بمعنى: على.

(٢) وقيل في تفسيره - أيضا -: لثل مضروب لتشبيه الكافر في دعائه للأصنام بالعاق على البهايم. وقيل غير ذلك.

(٣) وقيل: ﴿غَيْرِ بَاغٍ﴾ أي: في الميتة. أي: غير طالب للمحرم مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: متجاوز الحد في تناول ما ألبح له اضطرارا؛ أي: لا يشبع منها.

(٤) الآتي: العبد الهارب من سيده، و «المكاس»: «العكس»: بفتح الميم: الخيانة، والمراد به: الذي يأخذ الضريبة طلقا.

[١٧٧] ﴿لَيْسَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿فَعَلَّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ نَزَلَ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ حَيْثُ زَعَمُوا ذَلِكَ ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ﴾ أَي: ذَا الْبَرِّ، وَفَرَّقَ^(١) بَفَتْحِ الْبَاءِ؛ أَي: الْبَارِ ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِتَابِ ﴿أَي: الْكُتُبِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى النَّاسَ عَلَنَ﴾ مَعَ ﴿حُبِّهِ﴾ لَهُ ﴿ذَوِي الشَّرَفِ﴾ الْقَرَابَةِ ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَالطَّالِبِينَ ﴿وَفِي﴾ فَكُ ﴿الرِّقَابِ﴾ الْمَكَاتِينِ وَالْأَسْرَى ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ، وَمَا قَبْلَهُ فِي التَّطَوُّعِ ﴿وَالْمُؤْتُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ اللَّهُ أَوْ النَّاسَ ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ نَصَبَ عَلَى الْمَدْحِ^(٢) ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾ شِدَّةِ الْفَقْرِ وَالضَّرَرَةِ وَالْمَرَضِ ﴿وَمِيزَانِ الْبَأْسِ﴾ وَقَتِ شِدَّةِ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمُوصَفُونَ بِمَا ذَكَرَ ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فِي إِيْمَانِهِمْ أَوْ ادَّعَا الْبِرَّ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ اللَّهُ.

[١٧٨] ﴿تَنَاجَى الَّذِينَ آمَنُوا كُنْتُمْ﴾ فُرِضَ عَلَيْكُمْ الْقَصَاصُ الْمَائِلَةُ ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ وَصَفًا^(٣) وَرِعَالًا^(٤) ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ يُقْتَلُ بِالْمُتَّقِينَ وَلَا يُقْتَلُ بِالْعَبِيدِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبِيدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى وَنَبَتْ الشُّنَّةُ أَنَّ الذَّكَرَ يُقْتَلُ بِهَا^(٥)، وَأَنَّهُ يُغْتَبَرُ الْمَائِلَةُ فِي الدِّينِ؛ فَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ وَلَوْ عَبْدًا بِكَافِرٍ وَلَوْ حُرًّا^(٦) ﴿فَمَنْ عَفَى﴾ لَهُ مِنَ الْقَاتِلِينَ ﴿مِنْ﴾ ذِمَّةٍ ﴿أَخِيهِ﴾ الْمَقْتُولِ ﴿مَتًى﴾ بِأَنْ تَرَكَ الْقَصَاصَ مِنْهُ، وَتَكْرِيحُ ﴿مَتًى﴾ يَفِيدُ سَقُوطَ الْقَصَاصِ بِالْعَفْوِ عَنْ بَعْضِهِ^(٧) وَمِنْ بَعْضِ الْوَرَقَةِ، وَفِي ذِكْرِ ﴿أَخِيهِ﴾ تَعَفُّطٌ^(٨) ذَاغٌ إِلَى الْعَفْوِ، وَإِبْدَانٌ بِأَنْ الْقَتْلَ لَا يَقْطَعُ أَخُو الْإِيْمَانِ^(٩)، وَ﴿مَتًى﴾ مُبْتَدَأٌ شَرْطِيَّةٌ أَوْ مُوَصُولَةٌ، وَالْخَيْرُ: ﴿فَالْيَتَامَى﴾ أَي: فَعَلَى الْعَافِي اتِّبَاعٌ لِلْقَاتِلِ بِالْمَعْرُوفِ ﴿بِأَنْ يَطْلُبَهُ بِالْيَدِ بِلَا عَنَفٍ، وَتَرْتِبُ الْإِتِّبَاعِ عَلَى الْعَفْوِ يَفِيدُ أَنَّ الْوَاجِبَ أَحَدَهُمَا، وَهُوَ أَحَدُ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ، وَالثَّانِي: الْوَاجِبُ الْقَصَاصُ، وَالْيَدِ بَدَلُ عَنَفٍ؛ فَلَوْ عَفَا وَلَمْ يَسْمَحْهُ فَلَا شَيْءَ وَرَجَحَ ﴿وَفِي﴾ عَلَى الْقَاتِلِ أَذَانَةً الدِّيةَ ﴿إِلَيْهِ﴾ أَي: الْعَافِي؛ وَهُوَ الْوَارِثُ ﴿يُخَاسِنُ﴾ بِلَا مَطْلٍ وَلَا بَخْسٍ ﴿ذَلِكَ﴾ الْحُكْمُ الْمَذْكُورُ مِنْ جَوَازِ الْقَصَاصِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ عَلَى الدِّيةِ ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تَسْهِيلٌ ﴿مَنْ رَزَقَكُمْ﴾ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً بِكُمْ؛ حَيْثُ وَسِعَ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ يَحْتَمِ أَحَدًا مِنْهُمَا؛ كَمَا حَتَمَ عَلَى الْيَهُودِ الْقَصَاصَ، وَعَلَى النَّصَارَى الدِّيةَ ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى﴾ ظَلَمَ الْقَاتِلَ بِأَنْ قَتَلَهُ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أَي: الْعَفْوَ ﴿فَلَمْ عَذَابُ إِلَهٍ﴾ مُؤْلَمٌ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، أَوْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ.

[١٧٩] ﴿وَكُنْتُمْ فِي الْقَصَاصِ حَيَّةً﴾ أَي: بَقَاءَ عَظِيمٍ ﴿يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابَ﴾ ذَوِي الْعُقُولِ؛ لِأَنَّ الْقَاتِلَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُقْتَلُ ارْتَدَعَ؛ فَأَغْنَى نَفْسَهُ وَمَنْ أَرَادَ قَتْلَهُ؛ فَشَرَعَ لَمَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الْقَتْلَ؛ مَخَافَةَ الْقَوْدِ. [١٨٠] ﴿كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾ أَي: أَسْبَابُهُ^(١٠) ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ مَالًا

﴿لَيْسَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَرَةِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْخُرَافِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَلْيَتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَادَّاهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بِعَدْوٍ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابُ إِلَهٍ ﴿وَكُنْتُمْ فِي الْقَصَاصِ حَيَّةً يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابَ لَعَدَكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿الْوَصِيَّةُ﴾ مَرْفُوعٌ بِ«كُتِبَ»^(١١)، وَمَتَعَلَقٌ بِ«إِذَا» إِنْ كَانَتْ ظَرْفِيَّةً^(١٢)، وَدَالٌ عَلَى جَوَابِهَا إِنْ كَانَتْ شَرْطِيَّةً، وَجَوَابُ^(١٣) «إِنْ» أَي: فَلْيُوصِ بِالْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ بِالْعَدْلِ بِأَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى الثَّلَاثِ، وَلَا يُفْضَلُ الْغَنَى حَقًّا، مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ اللَّهُ، وَهَذَا مَنَسُوخٌ بِآيَةِ الْمِيرَاثِ، وَبِحَدِيثٍ: «لَا وَصِيَّةَ لِيُورِثُ»^(١٤) [رواه الترمذي].

[١٨١] ﴿فَمَنْ بَدَّلَكُمْ﴾ أَي: الْإِيصَاءَ مِنْ شَهِيدٍ وَوَصِيٍّ ﴿بَعْدَمَا سَمِعْتُمْ﴾ عِلْمَهُ ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ أَي: الْإِيصَاءَ الْمُبَدَّلَ ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ فِيهِ إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مَقَامَ الْمَضْمُونِ^(١٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَوْلِ الْمُوصِي ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بِفَعْلِ الْوَصِي؛ فَمُجَازٍ عَلَيْهِ.

(١) أَي: شِدْودًا.

(٢) وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَقْدَرُ عَامِلٌ مِنْ مَادَّةٍ «مَدَحٍ» فَقَطْ؛ بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ مَعْمُولٌ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ كَأَخْصٍ أَوْ أَذْكَرَ أَوْ أَمْدَحَ؛ وَهُوَ لَتَنْبِيهِ عَلَى فَضِيلَةِ الصَّبْرِ.

(٣) بِأَنْ يَكُونَ الْقَاتِلُ مِثْلَ الْمُقْتُولِ أَوْ أَدْنَى مِنْهُ، وَلَا فَلَ قَوْدٌ.

(٤) كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٢٤١٣)، وَمُسْلِمٌ (١٦٧٢) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بَرَضَ - دَقَّ - رَأْسَ يَهُودِيٍّ بَيْنَ حَجَرَيْنِ؛ لِرُشْهٍ رَأْسَ جَارِيَةٍ.

(٥) كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٣٠٤٧)، وَمُسْلِمٌ (١٣٧٠) مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ مَرْفُوعًا: «لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ».

(٦) أَي: الْقَصَاصُ، وَلَوْ شَيْئًا يَسِيرًا كَمَشْرَةِ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ الْوَلِيُّ وَاحِدًا وَعَفَا عَنْ بَعْضِ الْقَصَاصِ.

(٧) أَي: مِنَ اللَّهِ ﷻ.

(٨) أَي: عِلْمَانَهُ؛ كَالْأَمْرَاضِ الشَّدِيدَةِ وَالْجَرَاحَاتِ الَّتِي يَطْلُبُ مِنْهَا الْمَوْتُ عَادَةً.

(٩) أَي: مَحْضَةٌ، لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعْنَى الشَّرْطِ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهَا الْوَقْتُ وَالزَّمَنُ. وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْوَصِيَّةُ إِذَا حَضَرَ» أَي: وَقْتُ حُضُورِ الْمَوْتِ.

(١٠) أَي: دَوَالٍ عَلَى جَوَابِ «إِنْ». (١٤) صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٢١٨).

(١١) أَي: مَعَ مَرَاعَاةٍ مَعْنَى «مَنْ»، وَلَوْ رَاعَى لَفْظُهَا لَقَالَ: عَلَى الَّذِي بَدَّلَهُ. وَلَوْ أَضْمَرَ لَقَالَ: عَلَيْهِ.

فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ﴾ مُخَفَّفًا وَمُنْقَلَبًا (١) ﴿جَنَفًا﴾ ميلًا عن الحق خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعتمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غني مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ﴾ بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٨٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي؛ فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها.

[١٨٤] ﴿أَيَّامًا﴾ نصب بالصيام، أو بصوموا مقدارًا ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ أي: قلائل أو موقتات بعدد معلوم؛ وهي: رمضان، كما سيأتي، وَقَلَّةٌ تسهيلًا على المكلفين ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ﴾ حين شهوده ﴿سَفَرٍ﴾ أي: مسافرًا سفر القصر، وأجهد الصوم في الحالين؛ فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها بدلَه ﴿وَعَلَى الَّذِينَ لَا يُطِيقُونَهُ﴾ لكبر أو مرض لا يُؤْتِجِي برؤهُ ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي: قدر ما يأكله في يومه؛ وهو: مُدٌّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة بإضافة ﴿فِدْيَةٌ﴾ (٢) وهي للبيان - وقيل: (لا) غير مقدرة (٣)، وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثم نُسِخَ بتعيين الصوم بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ أَشْهَرُ فَلْيَصُمْهُ﴾ قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفًا على الولد؛ فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي: التطوع ﴿خَيْرٌ لَّكَ وَأَن تَصُومُوا﴾ مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

تلك الأيام [١٨٥] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه ﴿هُدًى﴾ حال، هاديًا من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ آيات واضحة ﴿وَمِنَ الْفُرْقَانِ﴾ بما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿وَمِنَ الْفُرْقَانِ﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر ﴿بِنَهْمٍ أَشْهَرُ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدم مثله، وكرر؛ لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد (٤) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر؛ ولكون ذلك في معنى العلة أيضًا؛ للأمر بالصوم (٥) عطف عليه: ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد (٦) ﴿أَلْوَدَّةَ﴾ أي: عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَى مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

وسأل جماعة النبي ﷺ: أَقْرَبُ رُتْنَا فَتَنَّا جِهَةً أَمْ تَبَعِدُ فَتَنَّا دِينَهُ؟ فَتَزَلَّ: [١٨٦] ﴿وَرَدَّآ سَأَلْتُكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (٧) منهم بعسي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾ يداوموا على الإيمان ﴿بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يهتدون.

(١) بفتح الواو وتشديد الصاد الحزوة والكسائي وشعبة.

(٢) لتافع وابن دكوان، ومع جمع ﴿مِسْكِينٍ﴾ تنافع وابن عامر.

(٣) أي: لفظه دالة غير مقدرة في قوله: ﴿يُطِيقُونَهُ﴾، وعلى التفسير الأول بتقدير هـ لا تكون الآية محكمة، وعند عدم التقدير تكون منسوخة.

(٤) فإنه يعم المسافرين وغيره والمرضى وغيره.

(٥) أي: صوم القضاء يعني: من غير تعيد يتتابع أو غيره.

(٦) أي: بتشديد الميم مع فتح الكاف لشعبة.

(٧) أخرجه ابن جرير واليعقوبي في معجمه وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق الثعلبي بن حكيم عن أبيه عن جده. وفي الدر المنثور: عن طريق الثعلبي بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده

(١/٣٥٢)، وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على جامع البيان (٣/٤٨١).

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونَهُنَّ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُنَّ وَأَتْبِعُوهُنَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَكُمْ وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبْتَغِيَنَّ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَالِنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٤﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٢٢٦﴾

﴿وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون (٢).

وَمَا ضَدَّ ﷺ عن البيت عام الحدية، وضالَّح الكفار على أن يعود العام القابض ويُحِلُّوا له مكة ثلاثة أيام، وتَجَهَّزَ لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم، وكَرِهَ المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام، نَزَلَ: [١٩٠] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾ الكفار ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين ما حدَّ لَهُمْ، وهذا منسوخ بآية براءة (١)، أو بقوله:

[١٨٧] ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْقِيَامِ الرَّفَثُ﴾ بمعنى الإفشاء ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ بالجماع، ونزل نسخًا لما كان في صدر الإسلام على تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء (١) ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كناية عن تعافيهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونَهُنَّ﴾ تخونون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالجماع ليلة الصيام، وقع ذلك لعمر وغيره (٢)، واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ فَالْآنَ إِذْ أَحِلَّ لَكُمْ ﴿بَشِّرُوهُنَّ﴾ جامعوهن ﴿وَأَتْبِعُوا﴾ اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أباحه من الجماع أو قَدَرَهُ مِنَ الْوَلَدِ ﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا﴾ اللَّيْلَ كُلَّهُ ﴿حَتَّى يَبْتَغِيَنَّ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنْ لَفْجَرٍ﴾ أي: الصادق؛ بيان للخيط الأبيض، وبيان الأسود محذوف؛ أي: من الليل، شَيْءٌ مَا يَبْدُو مِنَ الْبَيَاضِ وَمَا يَمْتَدُّ مَعَهُ مِنَ الْغَيْشِ (٣) يخطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿فَتَرَى أَقْمُو الصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي: إلى دخوله بغروب الشمس ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ﴾ أي: نساءكم ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ مقيمون بنية الاعتكاف ﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ متعلق بـ ﴿عَاكِفُونَ﴾، نهي لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ حَدُّهَا لِعِبَادِهِ لِيَقْفُوا عِنْدَهَا ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ أبلغ من «لا تعتدوها» المعبر به في آية أخرى (٤) ﴿كَذَلِكَ﴾ كما يَنْبَغُ لَكُمْ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَالِنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ محارمة (٥). [١٨٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ أي: يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الحرام شرعًا؛ كالسرقة والغصب ﴿وَلَا تَدْلُوا﴾ تُلْقُوا ﴿بِهَا﴾ أي: بحكمومتها (٦) أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ متلبسين ﴿بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون.

[١٨٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الْأَهْلِ﴾ جمع هلال: لِمَ تَبْدُو دَقِيقَةً، ثم تزيد حتى تمتلئ نورًا، ثم تعود كما بدت، ولا تكون على حالة واحدة؛ كالشمس (٧)؟! ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جمع مِقات ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقات زرعهم، ومناجرهم، وعِدَّة نساءهم، وصيامهم، وإفطارهم ﴿وَالْحُجِّ﴾ عَطَّفَ عَلَى النَّاسِ؛ أي: يُعْلَمُ بِهَا وَقْتُهَا فَلَوْ اسْتَمَرَّتْ عَلَى حَالَةٍ لَمْ يُعْرِفْ ذَلِكَ ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ فِي الْإِحْرَامِ؛ بَأَن تَقْبُوا فِيهَا نَقْبًا تَدْخُلُونَ مِنْهُ وَتَخْرُجُونَ، وَتَتَرَكُوا الْبَابَ، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَيَزْعَمُونَهُ بِرًّا ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي: ذا البر ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ اللَّهُ بَرَّكَ مَخَالَفَتَهُ ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ فِي الْإِحْرَامِ

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٧): أخرج البخاري عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء ﷺ: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونَهُنَّ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة البقرة: (٢) باب (٢٧). وأخرج أيضًا عن البراء ﷺ قال: «كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فام قبل أن يفرط لم يأكل ليته ولا يومه حتى يسي، وإن قيس بن حزيمة الأصباري كان صائمًا، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعديك طعام؟ قالت: لا، ولكن أطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فقبله عينه، فجاءت امرأته، فلما رأتها قالت: حيلة لك، فلما اتصف النهار غشي عليه. فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْقِيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ ففرحوا بها فرحًا شديدًا، ونزلت: ﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبْتَغِيَنَّ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ البخاري - كتاب الصوم (٣٠) باب (١٥). (٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٩): أخرج البخاري عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء ﷺ يقول: «نزلت هذه الآية فينا؛ كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن =

(١) أي: دخول وقتها أو بعد النوم ولو قبلها، كما حصل لقيس بن حزيمة؛ فغشي عليه نصف النهار من الجوع، ورواه البخاري (١٩٥) وسيأتي في أسباب النزول. (٢) لم يقل: «تخونون»؛ لأنه لم تكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيار؛ وهو: تحرك الإنسان للوقوع في الخيانة. (٣) رواه أحمد في المسند (١٥٣٦٨) من حديث كعب بن مالك، وأبو داود في مسنده (٢٣١٣) من حديث ابن عباس بنحوه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٠٢٨).

(٤) بقية الليل أو ظلمة آخر الليل، والمراد باستدائه معه اتصاله به على سبيل التعاقب. (٥) هي الآية ٢٢٩ من هذه السورة. (٦) إشارة إلى أن ﴿تَدْلُوا﴾ مجزوم عطفاً على النهي، ويؤيده قراءة أبي: ﴿وَلَا تَدْلُوا﴾ لإعادة «لا» الناهية. (٧) أي: تسرعوا وتبادروا؛ أي: لا تسرعوا بالخصوصية على الأموال إلى الحكام؛ ليعنكم على إبطال حق أو تحقيق باطل. (٨) أي بإقامة الدعوى بها باطلاً.

(٩) وهذه صيغة سؤاله. (١٠) وهي قوله - تعالى -: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَلْفَةً﴾ [براءة: ٣٦]، قال ابن كثير بعد أن حكى هذا القول: «وفي هذا نظر، لأن قوله: ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾ إنما هو -

الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوفَ ۖ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَاتَعَوْا مِنْ خَيْرِ بَعْلَمَةِ اللَّهِ ۚ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ۗ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ۚ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۚ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ ۗ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ۚ وَاسْتَغْفِرُوا لِلنَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۚ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ ۚ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ إِشَادَ ذِكْرَافِمَنِ النَّاسِ ۚ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ۚ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ۚ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۚ

إذ لو تأخر عنه لكان صفة له ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ نصيباً ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ فَيُؤْتَاهُ فِيهَا ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ نصيب ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بعدم دخولها، وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين، والقصد به الحث على طلب خير الدارين، كما وعد بالنواب عليه بقوله: [٢٠٢] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ من أجل ﴿مَا كَسَبُوا﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا؛ لحديث

الثقات عن الغيبة^(١)، ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ جملة تأكيد لما قبلها ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع ﴿لَيْسَ لَكُمْ يَكُنْ أَهْلُهُ﴾ ساجدي المَسْجِدِ الْحَرَامِ، بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي، فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع، وفي ذكر الأهل إشعار باشرط الاستيطان؛ فهو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن فعله ذلك، وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني؛ لا، والأهل كناية عن النفس^(٢)، وألحق بالمتمتع - فيما ذكر بالسنن - القَارِئُ، وهو: من أحرم بالعمرة والحج معاً أو يُذْخِلُ الحج عليها قبل الطواف^(٣)، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَأَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ بغير مخالفة.

[١٩٧] ﴿الْحَجَّ﴾ وقته ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة، وقيل: كله ﴿فَمَنْ فَرَضَ﴾ على نفسه ﴿فِيهِ الْحَجَّ﴾ بالإحرام به ﴿فَلَا رَفَثَ﴾^(٤)، جماع فيه ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾^(٥)، مفاصل ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ خصام ﴿فِي الْحَجِّ﴾ وفي قراءة: بفتح الأولين^(٦)، والمراد في الثلاثة النهي ﴿وَمَا تَعْلَمُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ كصدقة ﴿يَسْكُنُهُ اللَّهُ﴾ فيجازيكم به. ونَزَلَ في أهل اليمن - وكانوا يحجون بلا زاد؛ فيكونون كلًّا على الناس^(٧) - ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ ما يبلغكم لسفركم ﴿فَلَا تَكُنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ ما يبقى به سؤال الناس وغيره ﴿وَالَّذِينَ يَكُونُونَ الْأَلْبَابَ﴾ ذوي العقول [١٩٨] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ طلبوا ﴿فَضْلًا﴾ رزقاً ﴿وَمِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالتجارة في الحج، نَزَلَ رِزْدًا لكرهتهم ذلك^(٨) ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾ دفعتم ﴿وَمِنْ عَرَفَاتٍ﴾ بعد الوقوف بها ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتلهيل والدعاء ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ هو جبل في آخر المزدلفة يقال له: فُوح^(٩)، وفي الحديث: «اللَّهُ يَلْقَى بِهِ، يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَذْعُو؛ حَتَّى أَشْفَرُ جَذَاءً»^(١٠) (رواه مسلم) ﴿وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ﴾ لمعالم دينه ومناسك حجه، والكاف للتعليل ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل مدهاء ﴿لَمَنِ الصَّالِينَ﴾ [١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِضُوا﴾ يا قريش ﴿وَمِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أي: من عرفه؛ بأن تقفوا بها معهم، وكانوا ينفقون بالمزدلفة؛ ترفعان الوقوف معهم، و﴿ثُمَّ﴾ للترتيب في الذكر ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم^(١١) [٢٠٠] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ عبادات حجاجكم؛ بأن رَمَيْتُمْ جَمْرَةَ الْعَقِيقَةِ وَطَفَّئْتُمْ وَاسْتَقَرَّزْتُمْ بِمَنَى ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالكبير والثناء ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجاجكم بالمفاخرة^(١٢) ﴿أَوْ إِشَادَ ذِكْرَافِمَنِ النَّاسِ﴾ ذكركم إياهم، ونصب ﴿أَشْكُدَّ﴾ على الحال من ذكر المنصوب «أذكروا»؛

(١) وأخرج البخاري عن حذيفة: «وَأَتَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْفَلَكَ» قال: نزلت في النفقة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣١).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٧): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوهم الناس، فأمر الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾. البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٦) قول الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا...﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٨): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنته وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام، كأنهم تأثموا، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾». البخاري - كتاب البيوع (٣٤) باب (١).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٩): أخرج البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: «كانت قريش ومن دان دينها ينفقون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحِمْسَ، وكان سائر العرب -

(١) حيث روعي معنى ضمير الجمع ﴿مَنْ﴾، ولو روعي اللفظ لقيل: إذا رجع، بضمير الغيبة.

(٢) وهو معنى بعيد، والأولى ما قاله غيره: من أن المراد بالأهل: الزوجة والأولاد دون الآباء والإخوة، ومعدوم الأهل المتوطن بنفسه كذلك، وإنما عبر بالأهل لكون شأن الوطن يكون بذلك.

(٣) أي: قبل الشروع في طوافها. (٤)، (٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ بنون ورفع «رفث» و«فسوق». وقرأ بقية السبعة: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾.

(٦) أي: «رفث» و«فُسُوقَ» وهي قراءة بقية السبعة كما تقدم. (٧) وزن عمر.

(٨) مسلم (١٢١٨).

(٩) عن ابن عباس (رضي الله عنه): كان أهل الجاهلية ينفقون في الموسم، يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحملات، ويحمل الديبات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم؛ فأمر الله: ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾.

أَتَقَىٰ اللَّهُ فِي حُجَّةٍ لَهُ الْحَاجُّ فِي الْحَقِيقَةِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْتُمْ لِيَّهِ تَحْشَرُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيكم بأعمالكم.

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة؛ لخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي الْخَضَاعُ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك؛ لعداوته لك؛ وهو: الأخنس بن شريق؛ كان منافقاً حلوا الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن به ومحِبُّ له؛ فيدني مجلسه؛ فأكذبه الله في ذلك، ومَرَّ بِرَزَّعٍ وَخُجْرٍ لِبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فَأَحْرَقَهُ وَعَقَرَهَا لَيْلَةً^(٢)؛ كما قال - تعالى -: [٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ انصرف عنك ﴿سَعَىٰ﴾ مشى ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ﴾ أي لا يرضى به^(٣). [٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتِ الْعُرَّةُ﴾ حملته الأفة والحمية على العمل ﴿بِالْإِيمِ﴾ الذي أمر بأتباعه ﴿فَحَسَبُوا﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمَ﴾ وَلَيْسَ الْيَمَّادُ الْفَرَّاشُ هِيَ. [٢٠٧] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي﴾ يبيع ﴿بِنَفْسِهِ﴾ أي: يذلها في طاعة الله ﴿بِآيَاتِهِ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ رضاه؛ وهو: صهيب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله^(٤) ﴿وَاللَّهُ زَوَّفٌ بِالْأَعْيَادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه. ونَزَلَ فِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا عَظَمُوا السَّبْتَ^(٥) وكرهوا الإبل^(٦) بعد الإسلام: [٢٠٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ نَسُوا أَنذَلُوا فِي [السَّلَمِ]﴾ بفتح السين وكسرها^(٧)؛ الإسلام ﴿كَأَنَّهُ﴾ حال من ﴿[السَّلَمِ]﴾؛ أي: في جميع شراعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه بالتفريق ﴿وَكُلُّكُمْ لَكُمْ عَذَابٌ مُّبِينٌ﴾ بين العداوة.

[٢٠٩] ﴿كَانَ رَكْنُهُ﴾ ملتزم عن الدخول في جميعه ﴿وَمَنْ يَبْسُ مَا جَاءَنَكُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

[٢١٠] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أمره^(٨)؛ كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَّيَكُ﴾^(٩) أي: عذابه ﴿فِي ظُلْمٍ﴾ جمع ظلة ﴿وَمِنَ الْقَصَادِ﴾ السحاب ﴿وَالْمَلَكُ﴾ وقضى الأمر^(١٠) ثُمَّ أَمَرَ هَلَاكَهُمْ ﴿وَزَلَّىٰ اللَّهُ رُجُوعَ الْأُمُورِ﴾ - بالبناء للمفعول والفاعل^(١١) - في الآخرة؛ فيجازي كلًا بعمله.

﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(١٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ الَّذِي الْخَضَاعُ^(١٣) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ^(١٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتِ الْعُرَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسَبُهُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ الْمُهَادِ^(١٥) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ^(١٦) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ^(١٧) فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَ نَصْرُكُمُ الْبَيِّنَاتِ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(١٨) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ^(١٩)

بذلك^(٢٠).

[٢٠٣] ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي: أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: استعجل بالنفر من مِنى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك أي: هم مخبرون في ذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ

- يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يقض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَّاشَ النَّاسُ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٣٥)، وفي رواية قال: «أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في الحمن: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَّاشَ النَّاسُ﴾ قال: كانوا يفيضون من جمع إلى عرفات» البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٩١) الوقوف بعرفة.

= كَوَكَّرُوا عَلَيْهِمْ أَوْ أَكَّسَدُوا... أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٥/٢) رقم (١٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥٧/١). وحسنه صاحب الاستيعاب (١٤٢/١، ١٤٣). (١) لقد منها الحلال السيوطي كَقَوْلِهِ فِي وصفه نصف انهار بأنه من أيام الدنيا، والصحيح أنه نصف يوم مقداره خمسون ألف سنة، كما جاء في حديث ابن حبان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس رب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة...» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ في عقاب مانعي الزكاة في الجحر - قوله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد... البخاري (١٣١٤)، ومسلم (١٦٤٧)، وقد تكرر هذا السهو في السيوطي كَقَوْلِهِ فِي ثلاثة مواضع غير هذا، وهي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ كَانَ اللَّهُ سَرِيعَ الْحِسَابِ﴾ آية ١٩٩ من آل عمران، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ٥١ من سورة إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرِعُ تَلْوِينٍ﴾ آية ٦٢ من سورة الأنعام. ووقع مظه من الجلال المحلي في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ١٧ من سورة غافر، وقد نيه على ذلك القاضي كسان في فقرة العتئين على تفسير الجلالين. (٢) أخرجه الطبري (٣٢٤/٢) في تفسيره عن السدي مرسلًا، وضعفه حدًا في الاستيعاب (١٤٤/١، ١٤٥). وهذا من تأويل صفة الحية التي يبيتها أهل السنة لله ﷻ على الوجه اللائق به، فهذا من تأويل الصفة ببعض لوازمها، وسبق بيان ذلك. (٣) جاء ذلك من عدة طرق كلها ضعيفة كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٦/١، ١٤٨). (٤) أي: اغتزوهم بحرهم الصيد فيه كما كان في شرع موسى. والأثر أخرجه الطبري (١٨٩/٢) من طريق ابن جريج عن عكرمة به. وهو مرسى ضعيف كما في الاستيعاب (١٤٨/١). (٥) حيث حرموا أكل لحومها وشرب ألبانها. (٦) بالفتح قراءة نافع وابن كثير والكسائي، وقرأ الباقر بالكسر. (٧) وهذا تأويل تأتية النصوص وكلام السلف، وهو مذهب المتدعة، أما الذي عليه السلف أهل السنة والجماعة: أن الإثبات والنجي صفتان من صفات الفعل له. شَيْخَانَهُ. وهما من أفعاله الاختيارية التي يبتونن لها له. شَيْخَانَهُ. على الوجه اللائق بجلاله وعظمته منزها عن جميع التشبيه الذي يحظر في عقول المعطلة. [المفسرون بين الإثبات والتأويل (٣٧٩ / ٢)]. (٨) النحل: ٣٣. (٩) قوله: (بالبناء للمفعول) يعني من الرجوع وهو الرد. وقوله: (والفاعل) يعني من -

سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَرَّاءَاتِهِمْ مِنْ عَالِمٍ بَيْنَهُ وَمَنْ يَبْدُلُ نِعْمَةً
 اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
 اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
 ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ
 وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
 فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
 لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
 يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ
 وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ
 اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ
 مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ
 وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

شامل للقليل والكثير، وفيه بيان التفق الذي هو أحد شقي السؤال، وأجاب
 عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى
 وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي: هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ﴾ إنفاق أو
 غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه.

[٢١١] ﴿سَلَّ﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ نبيك: ﴿كَرَّاءَاتِهِمْ﴾ كم
 استفهامية معلقة^(١) ﴿سَلَّ﴾ عن المفعول الثاني، وهي ثاني مفعولي ﴿آتيتهم﴾^(٢)،
 ومبمزا^(٣): ﴿مِنْ عَالِمٍ بَيْنَهُمْ﴾ ظاهرة؛ كقلق البحر وإنزال المني والسلوى،
 فبدلوا كفراً ﴿وَمَنْ يَبْدُلُ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: ما أنعم به عليه من الآيات، لأنها
 سبب الهداية ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُ﴾ كفراً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٢١٢] ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بالتمويه^(٤)؛
 فأحبوها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من الَّذِينَ آمَنُوا لفقهم؛ كبلال وعمار
 وصهيب؛ أي: يستهترون بهم ويعالون عليهم بالمال ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾
 الشرك؛ وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
 أي: رزقاً واسعاً في الآخرة أو الدنيا؛ بأن يملك المسخور منهم أموال الساخرين
 وراقهم.

[٢١٣] ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الإيمان فاختلفوا؛ بأن آمن بعض
 وكفر بعض ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة
 ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب
 ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾، ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ فيما اختلفوا
 فيه من الدين ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: الدين ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي:
 الكتاب؛ فآمن بعض وكفر بعض ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج
 الظاهرة على التوحيد، و﴿مِنْ﴾ متعلقة بـ ﴿اخْتَلَفَ﴾، وهي وما بعدها مقدم
 على الاستثناء في المعنى ﴿بَغْيًا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ
 آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ
 يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق. ونزل في جهد أصاب
 المسلمين: [٢١٤] ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لَمْ
 ﴿يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من المؤمنين من الحن؛
 فنصبروا كما صبروا ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ حيلة مستأنفة مبنية ما قبلها ﴿الْبَأْسَاءُ﴾
 شدة الفقر ﴿وَالضَّرَاءُ﴾ المرض ﴿وَزُلُّوا﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّى﴾
 يَقُولَ بالنصب والرفع^(٥)؛ أي: قال ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ استبطاء
 للنصر؛ لتناهي الشدة عليهم: ﴿مَتَى﴾ يأتي ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ الذي وعدناه؛
 فَأُجِيبُوا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانه

[٢١٥] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الذي ينفقونه،
 والسائل عمرو بن الجموح، وكان شيخاً ذا مال، فسأل ﷺ عما ينفق
 وعلى من ينفق؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ﴾ بيان له ﴿مَا﴾،

= الرجوع؛ فرجع يستعمل لارتماً ومتعدداً، وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي بالياء للفاع والياقون بالياء للمفعول.

(١) التعليق: هو إبطال العمل لفظاً لا محلاً، والإلغاء؛ إبطاله لفظاً ومحلاً، فكون جملة: ﴿كَمْ آتَيْنَهُمْ﴾ في المعنى في محل المفعول الثاني له ﴿سَلَّ﴾. والتعليق مختص بأفعال القلوب، والسؤال وإن لم يكن من أعمال القلوب، إلا أنه سبب للعلم، والعلم منها، فأعطي حكمها من نصب المفعولين وصحة التعليق.

(٢) أي: إن ﴿كَمْ﴾ هي المفعول الثاني لـ ﴿آتيتهم﴾، ومفعول ﴿آتيتهم﴾ الأول هو: الهاء من الضمير «هم»، وهذا مذهب الجمهور.

(٣) إما يندت؛ ليعلم بها أن مدخولها وهو قوله: ﴿مِنْ عَالِمٍ بَيْنَهُمْ﴾، يميز لا مفعول ثانٍ له ﴿آتَيْنَهُمْ﴾.

(٤) لباء سببية؛ أي: بسبب التمويه؛ أي: الزخرفة والبهجة.

(٥) بالرفع قراءة نافع، والنصب بـ (أن) مضمره، و﴿حَتَّى﴾ بمعنى: إلى، وهي تنصب المضمر بعدها إذا كان مستقبل، والرفع باعتبار ما بعدها حالاً مقارناً لما قبلها، أو أن الفعل بعده ماضٍ؛ بمعنى: أن القول والزلزال قد مضى.

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٣٣/١)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. والكلبي وأبو صالح متهمان بالكذب؛ فهو موضوع، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٥٨٥/١) نحوه، دون تسمية السائل، وعزاه لعبد بن حميد.

خبر لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ﴾ ذلك، فبادروا إلى ما يأمركم به.
وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ سِرَايَاهُ وَعَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ^(١)؛ فَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ
وَقَتَلُوا ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ أَجْرَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَالتَّبَسَّعَ عَلَيْهِمْ بِرَجَبٍ؛
فَقَبِضَهُمُ الْكَفَّارُ بِاسْتِحْلَاحِهِ؛ فَنَزَلَ^(٢): [٢١٧] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ
الْحَرَامِ﴾ الحريم ﴿وَقَاتِلْ فِيهِ﴾ بدل اشتمال^(٣) ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿وَقَاتِلْ فِيهِ
كَبِيرٌ﴾ عظيم وزر^(٤)، مبتدأ وخبر ﴿وَصَدُّ﴾ مبتدأ^(٥)، منع للناس ﴿عَنِ
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ بالله ﴿وَوَصْدٌ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صد عن^(٦)
﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: مكة ﴿وَأَخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ
والمؤمنون، وخبر المبتدأ^(٧) ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم وزرًا ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من القتال فيه
﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك منكم ﴿مَنْ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي:
الكفار ﴿يَقْتُلُونَكَ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّى﴾ كي ﴿يُرْذَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾
إلى الكفر ﴿إِنْ أَسْتَظْهَمُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قُبُحٌ وَمَنْ
كَارَ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِي الْآدْنَىٰ
وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو
رجع إلى الإسلام لم يطل عمله؛ فينبأ عليه، ولا يعيده كالخج مثلاً، وعليه
الشافعي ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. ولما ظن السريّة
أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر؛ نَزَلَ^(٨): [٢١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ فَارْتَفَعُوا أَوطَانَهُمْ ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء
دينه ﴿وَأُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ ثوابه ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ للمؤمنين
﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. [٢١٩] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار، ما
حكمهما؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فِيهِمَا﴾ أي: في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾
عظيم، وفي قراءة: بالثانية^(٩)، لما يحصل بسببهما من الخاصة والمباشرة وقول
الفحش ﴿وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ﴾ بالذلة والفرح في الخمر، وإصابة المال بلا كد في
الميسر ﴿وَأِثْمُهُمَا﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفساد ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنْ
نَفْعِهِمَا﴾ ولما نزلت شربتها قَوْمٌ وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة^(١٠)
﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي ما قدره؟ ﴿قُلْ﴾ أنفقوا ﴿الْمَعْرُوفُ﴾ أي:
الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم، وفي قراءة:
بالرفع^(١١) بتقدير «هو» ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما تَبَيَّنَ لكم ما ذَكَرَ ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(١٢).

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ
لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قَاتِلْ فِيهِ قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ
أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ
يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرْذَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَظْهَمُوا وَمَنْ
يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قُبُحٌ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قُبُحٌ وَمَنْ
كَارَ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ
مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ
يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(١٣)

[٢١٦] ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَلْفَتْحًا ﴿لِلْكَفَّارِ﴾ وهو كُرْهُ
مكروه ﴿لَكُمْ﴾ طبعًا لمشقته ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ ليل النفس إلى الشهوات الموجبة
لهلاكها، ونفورها عن التكليفات الموجبة لسمعتها؛ ففعل لكم في القتال - وإن
كرهتموه - خير؛ لأن فيه إما الظفر والغنيمة، أو الشهادة والأجر، وفي تركه -
وإن أحببتموه - شر؛ لأن فيه الدل والفقر وحرمان الأجر ﴿وَاللَّهُ يَكْتُمُ﴾ ما هو

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢١٩): أخرجه أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم زين لنا في الخمر بيانًا شفاءً، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية. أبو داود - كتاب الأشربة (٢٠) باب (١) في تحريم الخمر. صحيح سنن أبي داود (٣١١٧)، وسنن أبي الحديث بتمامه في سورة النساء الآية (٤٣)، والمائدة الآية (٦).

(١) لم تكن سرية عبد الله بن جحش أول السرايا؛ بل كانت خامستها وثامنة التحركات العسكرية، وقد ذكر أهل السير أنهم قتلوا ابن الحضرمي في آخر يوم من رجب والتبس عليهم بأول يوم من شعبان.

(٢) أخرجه نحوه البيهقي في السنن الكبرى (١٢/٩)، وفي دلائل النبوة (١٧/٣) من حديث عروة بن الزبير، وهو مرسل. وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٧٢٩/٥) رقم (٦٥١٣) من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٥/١)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠٤/٢) عن قتادة مرسلًا، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٠٢/١).

(٣) أي من الشهر؛ إذ هو مشتعل على القتال لوقوعه فيه. (٤) أي: إن كان عمدًا، فإن كان خطأ فقتل السرية؛ فلا إثم به.

(٥) أي: مع ما عطف عليه، وجعلناه أربعة فأخبر عنها بقوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ لأنه أفعّل تفضيل، وهو يستوي فيه الواحد والأكثر إذا كان مجردًا من (أل) والإضافة.

(٦) إشارة إلى أن ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ معطوف على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾. (٧) أي: وما عطف عليه - كما سبق.

(٨) أخرجه بنحوه ابن إسحاق في السيرة (٢٣٩/٢، ٢٤٠) من طريق عروة بن الزبير مرسلًا، والبيهقي في دلائل النبوة (١٨/٣)، والطبري في تفسيره (٢٠٧/٢). وهو ضعيف لإرساله كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٥٤/١).

(٩) أي: كبير، وهي قراءة حمزة والكسائي. (١٠) أي: عمرو، خبر مخلوف تقديره: هو.

﴿فِي﴾ [٢٢٠] ﴿أَمْرٌ﴾ **﴿الْأَدْنَى وَالْآخِرَةُ﴾** فَنَأْخُذُونَ بِالْأَصْلَحِ لَكُمْ فِيهَا **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾** وَمَا يَلْقَوْنَ مِنَ الْخَرْجِ فِي شَأْنِهِمْ؛ فَإِنْ أَكَلُوهُمُ يَأْتِمُوا، وَإِنْ عَزَلُوا مَا لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَصَنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا وَحَدَهُمْ فَحَرَجَ **﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾** فِي أَمْوَالِهِمْ؛ بِتَمَنِّيْهَا، وَمَدَاخِلَتِكُمْ **﴿خَيْرٌ﴾** مِنْ تَرَكَ ذَلِكَ **﴿وَأَنْ تَخَالَطُوهُمْ﴾** أَيْ: تَخْلُطُوا نَفَقَتَكُمْ بِنَفَقَتِهِمْ **﴿فَاِخْوَانُكُمْ﴾** أَيْ: فَهَمُ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، وَمِنْ شَأْنِ الْأَخِ أَنْ يَخَالَطَ أَخَاهُ أَيْ: فَلَكُمْ ذَلِكَ **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾** لِأَمْوَالِهِمْ بِمَخَالِطَتِهِ **﴿وَمِنَ الْمُصْلِحِ﴾** بِهَا؛ فَيَجَازِي كُلًّا مِنْهَا **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ﴾** لَصَدَّقَ عَلَيْكُمْ بِتَحْرِيمِ الْخَالَطَةِ **﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾** غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ **﴿حَكِيمٌ﴾** فِي صَنْعِهِ ^(٥) [٢٢١] **﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾** تَتَزَوَّجُوا أَهْلًا الْمُسْلِمُونَ **﴿الشَّرِكَاتِ﴾** أَيْ: الْكَافِرَاتِ **﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَآئِمَةً مُؤْمِنَةً خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾** حَرَّةٌ، لِأَنَّ سَبَبَ نَزُولِهَا الْعَيْبُ ^(٦) عَلَى مَنْ تَزَوَّجَ أُمَّةً، وَتَرْغِيْبُهُ فِي نِكَاحِ حُرَّةٍ مُشْرِكَةٍ **﴿وَلَوْ أَنْعَجْتُمْ﴾** لَجَمَالِهَا وَمَالِهَا، وَهَذَا مَخْصُوصٌ بِغَيْرِ الْكِتَابِيَّاتِ بَابَةٌ: **﴿وَالْفَقِصَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾** وَلَا تُنْكِحُوا **﴿تُزَوِّجُوا﴾** **﴿الشَّرِكَاتِ﴾** أَيْ: الْكَافِرَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ **﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَقَدْ يُؤْمِنُ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾** لِمَالِهِ وَجَمَالِهِ **﴿أُولَئِكَ﴾** أَيْ: أَهْلُ الشَّرِكِ **﴿يَدْعُونَ إِلَى الْفَارِ﴾** بِدَعَائِهِمْ إِلَى الْعَمَلِ الْمَوْجِبِ لَهَا؛ فَلَا تَلِيقَ مُتَاكِفُهُمْ **﴿وَاللَّهُ يَدْعُو﴾** عَلَى لِسَانِ رَسَلِهِ **﴿إِلَى الْيَتَى وَالْمَغْفِرَةِ﴾** أَيْ: الْعَمَلِ الْمَوْجِبِ لَهَا **﴿يَذَرِيهِ﴾** يَارِدَاتِهِ؛ فَتَجِبُ إِجَابَتُهُ بِتَزْوِيجِ أَوْلِيَائِهِ **﴿وَيَتَّبِعُ آيَاتِيهِ﴾** لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ^(٧) يَتَعَذَّلُونَ [٢٢٢] **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾** أَيْ: الْحَيْضِ أَوْ مَكَانِهِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِالنِّسَاءِ فِيهِ؟ **﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾** قَدَرٌ أَوْ مُحَلَةٌ **﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾** اتْرَكُوا وَطْأَنَهُنَّ **﴿فِي الْمَحِيضِ﴾** أَيْ: وَقْتَهُ أَوْ مَكَانَهُ ^(٨) **﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾** بِالْجَمَاعِ **﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾** بِسُكُونِ الطَّاءِ وَتَشْدِيدِهَا وَهَاءُ، وَفِيهِ إِدْغَامُ اِتْنَاءٍ فِي الْأَصْلِ فِي الطَّاءِ ^(٩)؛ أَيْ: يَتَسَلَّسَلُ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ **﴿فَإِذَا طَهَّرْنَ فَأَظْهَرْنَ﴾** بِالْجَمَاعِ **﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾** بِتَجَنُّبِهِ فِي الْحَيْضِ؛ وَهُوَ الْقُبْلُ، وَلَا تَعْدُوهُ إِلَى غَيْرِهِ **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾** يُبِيبُ وَيَكْرَهُ ^(١٠) **﴿التَّوْبِينَ﴾** مِنَ الذُّنُوبِ **﴿وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾** مِنَ الْأَذْنَاءِ ^(١١) [٢٢٣] **﴿يَسْأَلُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾** نَيْ: مُحَلُّ زَرْعِكُمُ الْوَلَدَ **﴿فَأَوْثُوا حُرَّتَكُمْ﴾** أَيْ: مُحَلَّهُ؛ وَهُوَ: الْقُبْلُ **﴿أَتَى﴾** كَيْفَ **﴿شَيْئَكُمْ﴾** مِنْ قِيَامِ وَقْعُودٍ وَاضْطِجَاعٍ وَإِقْبَالٍ وَإِدْبَارٍ، وَنَزَلَ رَدًّا لِقَوْلِ الْيَهُودِ: «مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي قُبْلَيْهَا؛ أَيْ: مِنْ جِهَةِ دُبُرِهَا جَاءَ الْوَلَدَ أَحْمُولٌ» ^(١٢) **﴿وَقَدْ يُؤْتَى لِلشَّيْءِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾** كَالنَّسِمَةِ عِنْدَ الْجَمَاعِ

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُكَلَّفُونَ﴾** بِالْبَعْثِ؛ فَيَجَازِيَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ **﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** الَّذِينَ اتَّقَوْهُ بِالْجَنَّةِ. [٢٢٤] **﴿وَلَا تَحْسَبُوا اللَّهَ﴾** أَيْ: الْحَلْفَ بِهِ **﴿عُرْصَةً﴾** عِلَّةً مَانِعَةً ^(١٣) **﴿لِإِنِّي كُنْتُ﴾** أَيْ: نَعْبَذًا ^(١٤) لَهَا بِأَنْ تَكْفُرُوا بِالْحَلْفِ ^(١٥) بِهِ **﴿أَنْ﴾** لَا تَزِيدُوا وَتَسْتَفُكُوا فَتُفَكَّرَ الْيَمِينُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَسَنُ فِيهِ الْخُنْثُ، وَيَكْفُرُ بِخِلَافِهَا عَلَى فِعْلِ الْبَرِّ وَنَحْوِهِ، فَهِيَ طَاعَةٌ **﴿وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾** الْمَعْنَى: لَا تَتَمَنَعُوا مِنْ

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ (٢٢٠): أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: **﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّذِي حَرَمَ اللَّهُ﴾** [الأنعام: ١٥٢] **﴿وَإِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى كُلًّا﴾** الْآيَةَ [النساء: ١٠]، انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ نَيْمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَاهُ مِنْ شَرَابِهِ، هَذَا يَفْضَلُ مِنْ طَعَامِهِمْ فَيَحْبِسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَبْسُدَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ﴾** فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِ، وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِ. أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الرِّسَالَةِ (١٢) بَابُ (٧) مَخَالَطَةُ الْيَتِيمِ فِي الطَّعَامِ ...

(٥٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ (٢٢٢): أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاصَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يَأْكُلُوا وَلَمْ يَجَامَعُوهُ فِي الْبُيُوتِ، فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾** ... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ»، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ فَقَالُوا: مَا يَرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَانَا فِيهِ. مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْحَيْضِ (٣) بَابُ (٢) جَوَازُ غَسْلِ الْحَائِضِ رَأْسَ وَجْهِهَا وَتَرْجِيلِهَا.

(٥٥٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ (٢٢٣): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ الْمَكْدَرِ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: إِذَا جَامَعُوا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَسْوَلُ، فَنَزَلَتْ: **﴿يَسْأَلُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ فَأَوْثُوا﴾**

(١) أَيْ: التَّعْيِيبُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. (٢) يُشِيرُ إِلَى مَا أَخْرَجَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي سَبَابِ النَّزْلِ ص ٤٥ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمَةٌ سَوْدَاءُ فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا؛ فَأَبَاوَا عَلَيْهِ ذَلِكَ وَعَابَاهُ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: **﴿وَلَكُمْ مَوْلَاكُمْ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾**. وَضَعَفَ إِسْنَادُهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ (١٦٨/١)؛ قَالَ: فِيهِ أَسْبَابُ نَصْرِ؛ ضَعْفُهُ النَّسَابِيُّ وَأَبُو زُرْعَةَ وَأَبُو نَعِيمٍ وَغَيْرُهُمْ. (٣) فَهُوَ مُصَدَّرٌ مِمَّنِّي يَصِلُحُ لِلْحَدَّثِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. (٤) بِتَشْدِيدِ الطَّاءِ وَفُضِحَ وَفُتِحَ الْهَاءُ، قِرَاءَةُ حِمَزَةٍ وَالْكَسْبِيُّ وَشُعْبَةُ. (٥) وَهَذَا تَأْوِيلُ لُفْظَةِ الْحَبَّةِ بَعْضُ لُزَامِهَا، وَسَبَقَ بَيَانُ الْمَذْهَبِ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ وَإِتْبَائِهِ وَغَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْغَائِبَةِ بِالْكَتَابِ وَاسْتِنَاةً عَلَى الْوَجْهِ الْإِلَاقِيِّ بِهِ - شَيْخَانَهُ. (٦) الْحَسْبِيُّ وَالْمَعْنَوِيُّ. (٧) الْبُخَارِيُّ (٤٥٢٨)، وَمُسْلِمٌ (١٤٣٥) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ. وَانْظُرْ مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ. (٨) الْمَعْنَى: لَا تَجْعَلُوا الْحَلْفَ بِاللَّهِ سَبِيحًا مَانِقًا لَكُمْ مِنَ الْبَرِّ وَالتَّقْوَى؛ يُدْعَى أَحَدَكُمْ إِلَى بَرٍّ أَوْ صِلَةٍ رَحِمَ يَقُولُ: قَدْ حَلَفْتُ بِاللَّهِ لَا أَفْعَلُ؛ فَيَفْعَلُ بِيَمِينِهِ فِي تَرْكِ الْبَرِّ وَالْإِصْلَاحِ. (٩) أَيْ: غُرْصًا مَانِقًا مِنْ فِعْلِ الْبَرِّ. (١٠) هَذَا تَفْسِيرُ آخِرِ الْآيَةِ؛ أَيْ: لَا تَكْفُرُوا بِالْحَلْفِ وَإِنْ كُنْتُمْ تَزَوِّجُونَ مُتَقِينَ مُصْلِحِينَ، لِمَا فِيهِ مِنْ اجْتِنَادِ اسْمِهِ - تَعَالَى - فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَكَانَ الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: «أَوْ أَنْ» =

سَمِعُ ﴿١﴾ لِقَوْلِهِمْ ﴿٢﴾ عَلَيْهِمُ ﴿٣﴾ بَعْزُهُمْ، المعنى: ليس لهم بعد تريض ما دُكِرَ ﴿١﴾ إلا الفئحة أو الطلاق.

[٢٢٨] ﴿وَالطَّلَاقُ بَرَبَعَةٌ﴾: أي: ليتظر ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ عن النكاح ﴿ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ﴾^(٥٥)، تضي من حين الطلاق، جمع قرء؛ بفتح القاف^(٥٦)؛ وهو: الطهر^(٥٧)، أو الحيض^(٥٨)، قولان، وهذا في المذحول بهن، أما غيرهن؛ فلا عدة عليهن؛ لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ﴾^(٥٩) وفي غير الآيسة والصغيرة: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾، والحوامل: فعدهن ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾^(٦٠) كما في سورة الطلاق، والإمام: فعدهن قرءان بالسنه ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكُنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْسَالِهِنَّ﴾ من الولد والحيض ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِآلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ويؤملهن ﴿أَزْوَاجَهُنَّ﴾ ﴿أَتَتْهُنَّ بِهِنَّ﴾ بمراجعتن، ولو أتين (في ذلك) أي: في زمن التريص ﴿إِنْ أَرَادَا إِصْلَاحًا﴾ بينهما؛ لإضرار المرأة^(٦١)، وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعي، ﴿أَتَتْهُ﴾ لا تفضيل فيه؛ إذ لا حق لغيرهم من نكاحهن^(٦٢) في العدة ﴿وَلهنَّ﴾ على الأزواج ﴿وَمِثْلَ الَّذِي﴾ لهم ﴿عليهن﴾ من الحقوق ﴿بِالْمَقْرُونِ﴾ شرعاً؛ من حسن العشرة وترك الإضرار ونحو ذلك ﴿وَاللرِّجَالُ عَلَيْهُنَّ دَرَجَةٌ﴾ فضيلة في الحق؛ من وجوب طاعتهن لهم ما سافوه من المهر والإنفاق ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبره لخلقه.

[٢٢٩] ﴿أَطْلُقَ﴾: أي: التطلق الذي يُرَاجِعُ بَعْدَهُ ﴿مَرَّتَيْنِ﴾: أي: اثنتان ﴿فَإِنْ سَأَلْتَهُ﴾: أي: فعليكم إيساكنه بعده بأن تراجعوه ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: من غير ضرر ﴿أَوْ تَصْرِيحٍ﴾: أي: إرسالهن ﴿بِإِحْسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾: أيها الأزواج ﴿أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا عَاقَبْتُمُوهُنَّ﴾: من المهور ﴿شَيْئًا﴾: إذا طلقتموهن ^(٩) ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾: أي: الزوجان ﴿أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: أي: أن لا يأتيأ بما خُذَهُ لهما من الحقوق، وفي قراءة: ﴿يَخَافَا﴾ ^(١٠) بالبناء للمفعول، فـ﴿إِلَّا يُقِيمَا﴾: بدل اشتمال من الضمير فيه، وقرئ: بالفوقانية في الفعلين ^(١١) ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَمْ أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: فلا جَبَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا أَقْدَتَ بِهِ، نفسها من المال ليطلعهما؛ أي: لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿يَتَلَفُ﴾: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾: فلا تَعَدُّوهُمَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.

[٢٣٠] **﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾** الزوج بعد التَّيْنِينِ **﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾** بعد الطَّلَاقِ الثالثة **﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾** تنزوج **﴿وَرَجَعًا عِزُّهُ﴾** وبطأها؛ كما في الحديث الذي رواه الشيخان ^(١٧) **﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾** أي: الزوج الثاني **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْنَا﴾** أي: الزوجة والزوج الأول **﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾** إلى النكاح بعد انقضاء العدة **﴿وَإِنْ طَلَّقْنَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾** وَلِلَّهِ الْمَذْكُورَاتِ **﴿حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** يتدبرون.

لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّعُوفِ أَفَيُؤْمِنُكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ
 قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصَ
 أَزْوَاجِهِمْ أَشْهُرٌ فَإِنْ فَاءَ وَإِنْ فَاءَ اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا
 الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ
 ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ
 إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَعَوْلَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي
 ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
 وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ
 فَإِمَّا تَرَاءَى بَعْضُهُمَا أَوْ شَرَاهُ بِنَاحٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمَا أَنْ تَأْخُذُوا
 مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
 فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ
 بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٩﴾ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَنْ يَنْكِحَ زَوْجًا
 غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ
 يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

يَقُولُ مَا ذُكِّرَ مِنَ الْبَرِّ وَنَحْوِهِ إِذَا حَلَقْتُمْ عَلَيْهِ، بَلِ اتَّبَعُوا كُفْرًا؛ لِأَن سَبَبَ نَزُولِهَا الْامْتِنَاعُ مِنْ ذَلِكَ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِأَقْوَالِكُمْ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بِأَحْوَالِكُمْ.

[٢٢٥] لَا بُرَاجِدُكُمْ أَنَّهُ بِاللَّغْوِ الْكَائِنِ فِي أَيْدِيكُمْ ۖ وَهُوَ مَا يَسْبِقُ إِلَيْهِ
 اللسان من غير قصد الحلف: نحو: والله، وبسبي والله؛ فلا إثم عليه، ولا
 كفارة^(١) ۖ وَلَكِنْ بُرَاجِدُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۖ أَى: قصده من الأيمان إذا
 حنثتم ۖ وَاللَّهُ عَزُورٌ ۖ لَمَّا كَانَ مِنَ اللَّغْوِ حَلِيمٌ ۖ بِتَأخير العقوبة عن مستحقها.

[٢٢٦] ﴿لَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أي: يحلفون أن لا يجامعوهن ﴿تَرَبُّصًا﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ فَإِنْ قَالُوا رَجَعُوا فِيهَا أَوْ بَعُذُوا عَنِ اليمين إلى الوطء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُوفٌ﴾ لهم ما أنوه من ضرر المرأة بالخلف ﴿رَجِيحٌ﴾ بهم.

[٢٢٧] ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي: عليه؛ بأن لا يفيشوا؛ فيوقعوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾

.. حَرْفُكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴿٥٠﴾ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣٩).

(*) ما جاء في نزول الآية (٢٢٥): أَخْرَجَ الْبَخْرِيَّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾: أَنْزَلَ فِي قَوْلِهِ: لَا وَاللَّهِ، وَبَلَى وَاللَّهِ. الْبَخْرِيُّ - كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالنَّذْرِ (٨٣) بَاب (١٤).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٨): أخرج أبو داود: عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها أنها طلقت على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن للمطقة عدة، فأثّر الله ﷻ حين طلقت أسماء بالمعدة للطلاق، وكانت أول من أنزلت فيها العدة للمطقات. أبو داود - كتاب الطلاق (٧) باب (٣٦) (في عدة المطقة) حسن. صحيح سنن أبي داود (١٩٩٦).

= تكتروا... بدلاً من قوله: «إياك تكتروا» (١) أي: الأربعة أشهر. (٢) إنما صبطه القمصر بالفتح قطع من أنه يصح فيه الوجهان بالضم والفتح لأجل جمعه في الآية على «قروء»؛ مفردوها: «قروء» أما «قروء» جمعها «قروءة». (٣) وهو مذهب الجمهور. (٤) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في رواية، وهو الراجح بأدلة كثيرة جمعها ابن القيم في «إزاد المعاد (٢٢٥/٤)».

(٥) لأحزاب: ٤٩. (٦) الطلاق: ٤. (٧) فتمحرم الرجعة إذا ذك. (٨) صوابه أن يقول: فلا حق لغيرهم في ردهن ورجعتن كما عبر به غيره. (٩) أي: وأما إن كانت في عصمته ووهبت له صداقها أو بعضه فلا بأس بذلك. (١٠) لحمة. (١١) وهي قراءة شاذة. (١٢) البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنَ أَوْلَادَهُنَّ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنْهُنَّ مَعْرُوفٌ﴾ قَارِئِينَ انْقِضَاءَ عِدَّتِهِنَّ ﴿فَأَنْبِئُوهُنَّ﴾ بَأَنْ تَرَجِعُوهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ مِنْ غَيْرِ نَضْرٍ ﴿أَوْ سِرِّهُنَّ﴾ بِمَعْرُوفٍ أَتَرَكَوهُنَّ حَتَّى تَنْقُضِيَ عِدَّتِهِنَّ ﴿وَلَا تُنْكِحُوهُنَّ﴾ بِالرَّجْعَةِ ﴿يُنْكَحُ﴾ مَقْعُولٌ لِأَجْلِهِ ﴿لِيَسْتَدْرَأَ﴾ عَلَيْهِنَ بِالْإِلْجَاءِ إِلَى الْإِفْتِدَاءِ، وَالتَّطْلِيقِ، وَتَطْوِيلِ الْحَبْسِ ^(١) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بِعَرِضِهَا إِلَى عَذَابِ اللَّهِ ﴿وَلَا تَنْجِدُوا﴾ أَيَّتُهَا اللَّهُ هُرُؤًا ﴿مَهْرُوعًا﴾ بِهَا بِمَخَالَفَتِهَا ^(٢) ﴿وَأَذْكُرُوا﴾ بِمَعْتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الْقُرْآنِ ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ﴿يُعْطِيكُمْ بِهِ﴾ بَأَنْ تَشْكُرُوهُا بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنَ أَوْلَادَهُنَّ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنْهُنَّ مَعْرُوفٌ﴾ انْقَضَتْ عِدَّتِهِنَّ ﴿فَلَا تَعْمَلُوهُنَّ﴾ خُطَابَ لِلْأَوْلِيَاءِ أَيُّ: تَتَمَعَّوْنَهُنَّ مِنْ أَنَّ يَنْكَحَنَّ أَوْلَادَهُنَّ الْمُطْلَقِينَ لَهُنَّ؛ لِأَنَّ سَبَبَ نَزُولِهَا: أَنَّ أُخْتِ مَعْقِلَ بْنِ يَسَارٍ طَلَقَهَا زَوْجَهَا، فَأَرَادَ أَنْ يَرَا جَمْعًا؛ فَضَمَّهَا مَعْقِلَ بْنِ يَسَارٍ؛ كَمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ ^(٣) ﴿إِذَا رَزَّضُوا﴾ أَيُّ: الْأَوْجَادَ وَالنِّسَاءَ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بِالْمَعْرُوفِ شَرْعًا ﴿ذَلِكَ﴾ النَّهْيُ عَنِ الْعَضْلِ ﴿يُوعِظُ بِهِ﴾ مَنْ كَانَ يَنْكُحُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ لِأَنَّهُ الْمُنْتَفِعُ بِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ أَيُّ: تَرَكَ الْعَضْلَ ﴿أَذْكُرْ﴾ خَيْرٌ ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لَكُمْ وَلَهُمْ لَمَّا يَخْشَى عَلَى الزَّوْجَيْنِ مِنَ الرِّبَا سَبَبِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَهُمَا ﴿وَاللَّهُ يَسْتَكْمِلُ﴾ مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةَ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ فَاتَّبِعُوا أَوَامِرَهُ.

[٢٣٣] ﴿وَالْوِلْدَاتُ لِرِضْعَانٍ﴾ أَيُّ: لِرِضْعَانٍ ﴿أُولَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عَامَيْنِ ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صِفَةُ مُؤَكَّدَةٍ ^(٤)، ذَلِكَ ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْكِحَ الرِّضَاعَةَ﴾ وَلَا زِيَادَةَ عَلَيْهِ ﴿وَعَلَى الْوَلَدِ لَمْ﴾ أَيُّ: الْأَبِ رِضْعَتَيْنِ ﴿إِلْطَاعِ الْوِلْدَاتِ﴾ وَكَيْتُوبَتَيْنِ عَلَى الْإِرْضَاعِ إِذَا كُنَّ مُطْلَقَاتٍ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طَاقَتُهَا ﴿لَا تُضَاكِرُ وَلَدَةً﴾ يُولَدُهَا أَيُّ: بِسَبَبِهِ بَأَنْ تُكْرَهَ عَلَى إِرْضَاعِهِ إِذَا امْتَنَعَتْ ﴿وَلَا﴾ يُضَارُّ ﴿مَوْلُودٌ لَمْ يُولَدْ﴾ أَيُّ: بِسَبَبِهِ بَأَنْ يَكْلَفَ فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَإِضَافَةُ الْوَلَدِ إِلَى كُلِّ مِمَّنْ فِي الْمَوْضِعِ لِلِاسْتِعْطَافِ ^(٥) ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أَيُّ: وَارِثِ الْأَبِ؛ وَهُوَ: الصَّبِيُّ؛ أَيُّ: عَلَى وَلِيِّهِ فِي مَالِهِ ﴿وَمِثْلُ ذَلِكَ﴾ الَّذِي عَلَى الْأَبِ لِلْوِلْدَةِ مِنَ الرِّزْقِ وَالْكَسْوَةِ ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أَيُّ: الْوَالِدَانِ ﴿فِيصَالًا﴾ فِطْرًا لَهُ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ، صَادَرًا ﴿عَنْ تَرَايَ﴾ اتِّفَاقٍ وَتَشَاوُرٍ بَيْنَهُمَا؛ لِتُظْهِرَ مَصْلَحَةَ الصَّبِيِّ فِيهِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فِي ذَلِكَ ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خُطَابَ لِلْآبَاءِ ﴿أَنْ تَسْرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مَرَضِعَ غَيْرِ الْوَالِدَاتِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فِيهِ ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إِلَيْهِنَّ ﴿مَعَ آيَاتِنَا﴾ أَيُّ: أَرَدْتُمْ إِتْيَانَهُ لِهِنَّ مِنَ الْأَجْرَةِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِالْجَمِيلِ؛ كَطِيبِ النَّفْسِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

(١) مَا حَاجَ فِي نَزُولِ آيَةِ (٢٣٢) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: ﴿فَلَا تَعْمَلُوهُنَّ﴾ قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ؛ قَالَ: زَوْجَتِ أُخْتِ لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَقَهَا حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ بِخَطْبَتَايَ فَقُلْتُ لَهُ: زَوْجَتُكَ وَأَنْتُمْ شَرَكٌ وَأَكْرَمُكُمْ طَلَقْتُهَا، ثُمَّ جِئْتُ تَخْطِبُهَا ١٩ لَا وَاللَّهِ لَا تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَكَانَ رَجُلًا لَا بَأْسَ بِهِ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَأَتَوَلَّى اللَّهُ: ﴿فَلَا تَعْمَلُوهُنَّ﴾، فَقُلْتُ: الْآنَ أَقْبَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ. الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الطَّلَاقِ (٢٧)، بَابُ (٧٥) نَسَخِ الْمَرَاغَةِ بَعْدَ التَّطْلِيقَاتِ الثَّلَاثِ.

(١) أَيُّ: الْعِدَّةُ.

(٢) أَطْلُقُ الْاسْتِهْزَاءَ وَأَرَادَ الْمُخَالَفَةَ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٥٢٩)، وَاحَاكِمُ (٢٨٠/٢).

(٤) وَقَالَتْهَا اعْتِبَارُ الْحَوْلَيْنِ مِنْ غَيْرِ نَقَصٍ.

(٥) وَتَبَيَّنَ عَلَى أَنَّهُ حَقِيقٌ بِأَنْ يَتَّفِقَا عَلَى اسْتِصْلَاحِهِ وَالْإِشْفَاقِ عَلَيْهِ؛ فَلَا يَبْنِي أَنْ يُخْضِرَا بِهِ أَوْ يُضَاكِرَا بِهِ.

أَجَلَهُنَّ ﴿٢٣٥﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزين والعرض للخطاب ﴿يَا مَعْزُومِي﴾ شرعا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره.

﴿٢٣٥﴾ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ لَوْعُثْمَ﴾ أي من خطبة أَيْلَةٍ المتوفى عنهن أزواجهن في العدة، كقول الإنسان - مثلا -: «إني لك جميلة، ومن يجد مثلك، وزُت راعب فيك» ﴿أَوْ أَكْتَشَرْتُمْ﴾ أضرمتم ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَكَرْتُمْ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن؛ فأباح لكم التعريض ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: نكاحا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: ما عرف شرعا من التعريض، فلكم ذلك ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي: على عقده ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ أي: المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُ﴾ بأن ينتهي ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيره ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَلِيظٌ﴾ لمن يحذرهم ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

﴿٢٣٦﴾ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة (١): ﴿تَمَسَّوَهُنَّ﴾ أي: تجمعوهن ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَقْرَضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرا، ومصدرية ظرفية؛ أي: لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض يائمه ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿وَعَلَى الْيَسِيرِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ الضعيف الرزق ﴿قَدَرُهُ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الروجة ﴿مَتْنَعًا﴾ تمتعا ﴿يَا مَعْزُومِي﴾ شرعا، صفة ﴿مَتْنَعًا﴾ ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية، أو مصدر مؤكد (٢) ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين.

﴿٢٣٧﴾ ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيُصَفِّ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا بَرَّصْنَ أَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٥﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَشَرْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذَكَّرُونَ هُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٦﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرَضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتْنَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٧﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيُصَفِّ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٨﴾

﴿٢٣٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ يموتون ﴿مِنْكُمْ﴾ منكم وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا بَرَّصْنَ: أي: ليربصن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بتدبرهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل: فعدتهن ﴿أَنْ يَصْعَنَ حَمْلُهُنَّ﴾ بآية الطلاق، والأمة على النصف من ذلك بالشبهة (١) ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ

(١) أي عدة الأمة المطلقة؛ كما في حديث عائشة مرفوعا: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حضنتان». رواه الترمذي (١٨٢) وضعفه، وأبو داود (٢١٨٩)، وابن ماجه (٢٠٨٠)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (١١٩٩). ورواه الدارقطني عن ابن عمر مرفوعا ومرفوعا وصحح الموقوف كما في اللخيص الجير (٢١٣/٢).

(٢) الحزمة والكسائي.

(٣) في النسخة المطبوعة: «مؤكدة»، والمثبت من الصاوي.

[٢٣٨] ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها **﴿وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾** ^(١) هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها، أقوال، وأفرادها بالذكور؛ لِقَضَائِهَا **﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾** في الصلاة **﴿فَلْيَتَنَزَّلِ﴾** قيل: مطيعين لقوله ﷺ: «كُلُّ قُتُوبٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ طَاعَةٌ» ^(٢) [رواه أحمد وغيره]؛ وقيل: ساكتين؛ لحديث زيد بن أرقم: «كُنَّا تَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ، فَأَمَرَنَا بِالسُّكُوتِ، وَثَبِينَا عَنِ الْكَلَامِ» ^(٣) [رواه الشيخان]. [٢٣٩] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدو أو سيل أو سبع **﴿وَفِي السَّالَى﴾** جمع راجل؛ أي: مشاة، صلوا **﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾** جمع راكب؛ أي: كيف أمكن؛ مستقبلي القبلة أو غيرها، ويومئ بالركوع والسجود **﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾** من الخوف **﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾** أي: صلوا **﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾** قيل تعليمه؛ من فرائضها وحقوقها، والكاف بمعنى: مثل، و**﴿مَّا﴾** مصدرية أو موصولة.

[٢٤٠] ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ فليوصوا **﴿وَصِيَّةً﴾** وفي قراءة: بالرفع ^(٤)؛ أي: عليهم **﴿لَا زَوْجَهُمْ﴾** وليعطوهم **﴿مَتْنَعًا﴾** ما يتمتع به من النفقة والكسوة **﴿إِلَى﴾** تمام **﴿الْحَوْلِ﴾** من موتهم، الواجب عليهن تربصه **﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾** حال؛ أي: غير مخرجات من مسكنهن **﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾** بأنفسهن **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾** يا أولياء الميت **﴿فِي مَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾** شرعاً؛ كالترين، وترك الإحداد، وقطع النفقة عنها **﴿وَاللَّهُ غَفِيرٌ﴾** في ملكه **﴿حَكِيمٌ﴾** في شئيه، والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث، وترصص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة في النزول، والسكنى ثابتة لها عند الشافعي ^(٥) - رحمه الله ..

[٢٤١] ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْنَعٌ﴾ يُعْطِيَنَّ **﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾** بقدر الإمكان **﴿حَقًّا﴾** نصب بفعله المقدر ^(٦) **﴿عَلَى الْكُفَّينِ﴾** الله - تعالى -، كرره ليغم المسوسة أيضاً؛ إذ الآية السابقة في غيرها.

[٢٤٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر **﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ﴾** لَمَلَكُمْ تَعْلَمُونَ تتدبرون.

[٢٤٣] ﴿إِنَّمَا تَرَكُوا﴾ استفهام تعجب ^(٧) وتشويق ^(٨) إلى استماع ما بعده؛ أي: ينته علمك ^(٩) **﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾** أربعة أو ثمانية أو عشر أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً ^(١٠) **﴿حَدَرُ الْمَوْتِ﴾** مفعول له، وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم؛ ففروا **﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾** فماتوا **﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾** بعد ثمانية أيام أو أكثر؛ بدعاء نبهم **﴿جَزِئِيلٌ﴾** - بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي -، فعاشوا دهرًا عليهم أثر

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْنَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضْعِفُهُ لَهْ أضعافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

الموت لا يلبسون ثوبًا إلا عَادَ كالكن، واستمرت في أسباطهم **﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾** ومنه إحياء هؤلاء **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾** وهم الكفار **﴿لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾** والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال، ولذا عطف عليه: [٢٤٤] **﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** أي: لإعلاء دينه **﴿وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾** لأفوالكم **﴿عَلِيمٌ﴾** بأحوالكم فمجازيكم. [٢٤٥] **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَقْرِضُ اللَّهَ﴾** بإتفاق ماله في سبيل الله **﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾** بأن ينفعه لله **﴿يَكْبَلُ﴾** عن طيب قلب **﴿فَيَضْعِفُهُ﴾** وفي قراءة ^(١):

(١) ما جاء في نزول الآية (٢٣٨): أخرج أبو داود عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهجرة. ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله ﷺ منها، فنزلت. **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾** وقال: «إِنْ قَبِلَهَا صَلَاتَيْنِ بَعْدَهَا صَلَاتَيْنِ، أَبُو دَاوُدَ. كتاب الصلاة (٢) باب (٥) في وقت صلاة العصر (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٩٧). وأخرج مسلم عن شقيق بن عتبة عن البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية: **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾** فقال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ نَزَلَتْ وَكَيْفَ نَسَخَهَا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (٣٦) (الدليل من قال: الصلاة الوسطى صلاة العصر).

وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: **﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾** فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام. مسلم. المساجد ومواضع الصلاة (٥) باب (٧) تحريم الكلام في الصلاة.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٧٥/٣)، ووضعه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٢٥). (٢) البخاري (١٢٠٠)، ومسلم (٥٣٩). (٣) لنافع وابن كثير والكسائي وشعبة. (٤) أي: أربعة أشهر وعشرا. (٥) وتقديره: أحقه. (٦) أي: إلقاء للمخاطب في العجب، ويستفاد من الآية أن المخاطب لم يسبق له علم بتلك القصة قبل نزول الآية. (٧) أي: إلقاها في الشوق؛ لأن ما سبق بعد الطلب أُلْهِمَ بما سبق لا تعب، وعطف التشويق على العجب من عطف المسبب على السبب. (٨) في إشارة إلى أن الرؤية علمية، وضمن الفعل معنى الانتهاء؛ ليصح تعديه بـ«إلى»؛ أي: أُلْهِمَ بنته علمك إلى كذا. (٩) ذكر المفسر سنة أقوال، أصحابها الثلاثة الأخيرة؛ لأن أُلُوفًا جمع كثر، ومبدؤه بعد العشرات. (١٠) لابن كثير. بالتشديد. مع الرفع، ولابن عامر. بالتشديد. مع النصب، ولحمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو بالرفع مع التخفيف ومع إثبات الألف، ولعاصم بالنصب مع التحفيف وإثبات الألف.

شَقُولِ ﴿أَبَتْ﴾ أَقَمْ ﴿لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ﴾ مَعَهُ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ نَنْظُمُ بِهِ كَلِمَتَنَا وَنَرْجِعُ إِلَيْهِ ﴿قَالَ﴾ النَّبِيُّ لَهُمْ: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ^(١) ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ أَلَمْ نَكُنْ ﴿لَا تَقْتُلُوا﴾ خَيْرَ «عَسَى»، وَالِاسْتِفْهَامُ لَتَقْرِيرِ التَّوَقُّعِ بِهَا ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَمْ نَكُنْ﴾ «لَا نَقْتُلُ» فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَكُنَّا أَوْجَعًا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءَنَا بِسَبِيهِمْ وَقَتْلِهِمْ، وَقَدْ فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ قَوْمٌ جَالُونَ؛ أَيْ: لَا مَانِعَ لَنَا مِنْهُ مَعَ جُودِ مُقَضَّضِهِ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ عَنْهُ وَجَنُّوا ﴿وَلَا قِيلَ لَهُمْ وَهُمْ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ عَبَرُوا النَّهْرَ مَعَ طَالُوتَ - كَمَا سَأَلَنِي - «وَاللَّهُ عَالِمُ بِالظَّالِمِينَ» فَمَجَازِيهِمْ، وَسَأَلَ النَّبِيُّ^(٢) رَبَّهُ إِرْسَالَ مَلِكٍ؛ فَأَجَابَهُ إِلَى إِرْسَالِ طَالُوتَ.

[٤٧] ﴿وَقَالَ لَهُمْ تَبَيُّهُمُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ؟﴾
لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة، وكان دباعاً أو أعميا ﴿وَلَمْ يَزِدْهُ سَعَةً مِنْ أَمْوَالٍ﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿قَالَ﴾ النبي لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾ اختياره للملك ﴿وَعَلَيْكُمْ وَرَأَدْتُ بِسَطَةِ﴾ سعة ﴿فِي الْأُمَمِ وَالْجِبْتِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقاً ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مِمَّنْ يَشَاءُ﴾ إتيانه لا اعتراض عليه ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بمن هو أهل له.

[٢٤٨] وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴿لَمَا طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً عَلَىٰ مَلِكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْكِتَابُ مِنِّي الصَّدُوقُ﴾ كان فيه صور الأنبياء، أنزله على آدم واستمر إليهم؛ فعلهم العاقلة عليه وأخذوه، وكانوا يستفتحون به على عدوهم، ويقدمونه في القتال، ويسكنون إليه^(٢)؛ كما قال - تعالى -: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ لِّطَائِفَةٍ لِّقُلُوبِهِمْ﴾ **وَمِن رِّبِّكُم وَبَيِّنَاتٍ مِّمَّا تَرَكَ آدَمُ مَوْسَىٰ وَآلَ هَارُونَ**، وهي نقلا موسى وعصاه وعمامة هارون، وقفيز من المُر الذي كان ينزل عليهم، ووضاض^(٣) من الألواح **وَتَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ** حال من فاعل **يَأْتِيَكُمُ** **﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم﴾** على ملكه **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾** فحملته الملائكة بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت؛ فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد؛ فاختار من شبابهم سبعين ألفا.

أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ
قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا
قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءَ أَفْلَامِنَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا
إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ
نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ
بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
أَبْطَلُكُمْ عَلَيْهِمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ
وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
الْتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا
تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

بالتشديد ﴿وَلَهُ أَصْحَابٌ كَثِيرَةٌ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة - كما سيأتي - ﴿وَأَنَّهُ يَفِضُ﴾ يمسك الرزق عن من يشاء ابتلاءً ﴿وَيَبْطُلُ﴾ يوسع لمن يشاء امتحاناً ﴿وَلِيَّاهُ رَجُومٌ﴾ في الآخرة البعث؛ فيجازيكم بأعمالكم^(٥).

[٢٤٦] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ﴾ الجماعة ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ﴾
موت ﴿مُوسَى﴾ أي: إلى قصتهم وخبرهم ﴿وَإِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَّهُمْ﴾ هو:

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي أسامة قال: لما نزلت: **﴿لَنْ نَأْتِيَكَ بِالشَّيْءِ الْمَعِينِ﴾** **﴿وَمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ الْبُرْصِ اللَّهُ فَعَسَىٰ حَسَنًا﴾** قال أبو طلحة: يا رسول الله، وحاطني الذي كان بجانبك كذا، وكذا، والله ما استطعت أن أسرها لم أعلمها، قال: «اجتمع في فقراء أهلك» أحمد - المسند (١٤١/٣) وأصله في الصحيحين مطولاً، وسيأتي في سورة آل عمران، الآية (٩٢)، وانظر رواية الترمذي عند الآية (١١) من سورة الحديد.

(١) أي بفتح السين وكسرهما، والكسر قراءة نافع.

(٢) أي السبب المذكور في الآية السابقة.

(٣) الكلام عن التابوت وميثقه وتورته... إلخ لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ وما هذا من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين، ومرجحها إلى وهب من مبنه، وكسب الأجر، وأملهماء والإسرائيليات على ثلاثة أقسام: الأول: ما علم صحته بالنقل الصحيح، أو كان له شاهد من الشرع يؤيده؛ فهذا صحيح مقبول، الثاني: ما علم كذبه من شرعنا أو كان لا يتفق مع العقل؛ فهذا لا يصح قبوله ولا روايته، الثالث: ما سكت عنه؛ لا هو من قبيل الأول، ولا قبيل الثاني؛ فهذا نتوقف فيه لا نكذبه ولا نصدقه.

(٤) رُضاظر (بضم الراء): أى فتات.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَمَنْ فَعَتْ
 قَلِيلَةٌ عَلَيْهِمْ فَعَتْ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ ﴿٢٥١﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
 رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا
 عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٢﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
 بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو
 فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥٣﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا
 عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٤﴾

[٢٤٩] ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ خرج ﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس، وكان حراً شديداً وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي؛ وهو: بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: من أتباعي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بالفتح والضم (١) ﴿بِيَدِهِ﴾ فاشتفى بها ولم يزد عليها؛ فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لما وافوه بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ فاقصروا على الغرقة، روي أنها كفتهم بشر بهم ودوابهم، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرقة ﴿قَالُوا﴾ أي الذين شربوا (٢) ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: بقتالهم، وجنوا ولم يجاوزوه ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ﴾ بالبعث؛ وهم: الذين جاوزوه: ﴿كَمَنْ فَعَتْ قَلِيلَةٌ عَلَيْهِمْ فَعَتْ كَثِيرَةٌ﴾ بمعنى: كثير ﴿وَمِنْ فَعَتْ﴾ جماعة ﴿قِيلَ عَلَيْهِمْ فَعَتْ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والنصر.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: ظهوروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أي: اصب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٥١] ﴿فَهَزَمُوهُمْ كَسَرُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ في بني إسرائيل ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ بدل، بعض من الناس ﴿بَعْضُ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخریب المساجد ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فدفع بعضهم ببعض.

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿وَأَنْتَ اللَّهُ تَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿يَا حَقُّ﴾ بالصدق ﴿وَأَنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ التأكيد «إن» وغيرهارد لقول الكفار له: ﴿لَسْتُ مَرْسَلًا﴾ (٣).

(١) أي: فتح العين وضمها، والفتح قراءة لنافع وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالضم.

(٢) أي: العصاة، وعلى هذا التفسير يكون قولهم تبرزوا لنكولهم، وأكثر المفسرين على أنهم قالوا هذا القول بعدما عبروا النهر مع طالوت ورأوا جالوت وجنوده، وبعض المفسرين - ومنهم المصنف - أن العصاة لم يعبروا النهر، بل وقفوا بساحله وقالوا معتذرين عن التضلل منادين ومسمعين لطالوت والمؤمنين معه: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ﴾ الآية؛ ولذا قال المصنف: ... وجنوا ولم يجاوزوه. ويحتمل أن يكون القائلون هم طائفة ممن عبروا مع طالوت ولم يشربوا من النهر، ولكن حصل معهم نوع استضعاف لأنفسهم فتجمعهم على الثبات والإقدام أهل الإيمان الكامل واليقين الراسخ.

(٣) الرعد: ٤٣.

﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[٢٥٣] ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿أَرْسُلُ﴾ نعت أو عطف بيان^(١)، والحبر: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمنقية ليست لعينه ﴿يَنْهَمُ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كموسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أي: محمداً ﷺ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ على غيره؛ بعموم الدعوة، وختم النبوة، وتفضيل أمته على سائر الأمم، والمعجزات المتكررات، والخصائص العديدة ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾

قوبناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل يسير معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدى الناس جميعاً ﴿مَا أَقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد الرسل؛ أي: أمهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضاً ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾ لمشيئته ذلك ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلُوا﴾ تأكيد ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من توفيق من شاء، وخذلان من شاء.

[٢٥٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ زكاته ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ﴾ صدقة تنفع ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ بغير إذنه؛ وهو: يوم القيامة، وفي قراءة: برفع الثلاثة^(٢) ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بالله، أو بما فرض عليهم ﴿هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ لوضعهم أمر الله في غير محله.

[٢٥٥] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ الدائم بالبقاء ﴿الْقَيُّومُ﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾ نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ له فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: من أمر الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ أي: لا يعلمون شيئاً من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يعلمهم به منها؛ بإخبار الرسل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قيل: أحاط علمه بهما، وقيل: الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته^(٣)، الحديث: ﴿مَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَذَرَاهِمَ سَبْعَةِ أَفْقِيَّتٍ فِي ثُبٍّ﴾^(٤) ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: السماوات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر^(٥) ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير.

[٢٥٦] ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ على الدخول فيه ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي: ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رُشدٌ والكفر غيٌّ، نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرهم على الإسلام^(٦) ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الشيطان أو الأصنام، وهو يطلق على المفرد والجمع^(٧) ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِتَمَسَّكٍ﴾ ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بالعقد المحكم ﴿لَا انْفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعل.

(١) ما حاه في نزول الآية (٢٥٦): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أحبلت بنو النضر كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فانزل الله ﷻ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. المقلاة: التي لا يعيش لها ولد. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٢٦) في الأسير يكره على الإسلام. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٣٣٣).

(١) أو بدل، لأن المحلى بهال بعد اسم الإشارة يجوز فيه الثلاثة.

(٢) والقراءة المشفرة بالفتح من غير تنوين لابس كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون برفع الثلاثة.

(٣) الصحيح أن الكرسي موضع القدمين الشريفتين كما صحت بذلك الآثار عن ابن عباس وغيره، وأما تفسيره بالعلم فهو قول ضعيف وينسب إلى ابن عباس، والمخفوظ عنه ما تقدم.

(٤) رواه ابن جرير (١٠/٣) عن ابن زيد عن أبيه مرفوعاً به. وإن زهدوه عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو ثقة من رجال الشيخين، يروي عنه ابن وهب وغيره. وأبو محمد بن زيد ثقة مثله روى عن العبدلة الأربعة. فالحديث منقطع. وجاء نحوه عن أبي ذر مرفوعاً بلفظ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلفاءة لمقاة بأرض فلاة، وفصل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة»، وهو في الصحيحة (١٠٩).

(٥) والواجب إثبات علو الله - سبحانه - بأقسامه الثلاثة، وهي علوه بذاته فوق عرشه، وعلوه بالقهر والغلبة فوق خلقه، وعلو شأنه بتعاليه عن جميع القافض والعيوب.

(٦) روي عن ابن عباس أنه: الحصين من بني سالم بن عوف، كان له ابنان فتنصرا فبن مبعث النبي ﷺ، فأحب أن يكرهما على الإسلام فأخذهما إلى النبي ﷺ فنزلت. ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٣)، وهو ضعيف جداً؛ كما في الاستيعاب في بيان الأسباب (١٩٦/١).

(٧) وقد حده ابن القيم حكماً بما يقا، فقال: «الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه غير الله على بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله». فإذا تأملت هذا التعريف عرفت أن حكم القانون من الطاغوت، وأن الحكم القانوني طاغوت؛ لأنه يحكم بنشرع وضعي لا يستند إلى القرآن أو السنة أو إجماع الأمة. وتطهير الجبان والأركان عن درن الشرك والكفران (ص ١٠).

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُهُم مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَنَآتَهُ اللَّهُ الْمَلَكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَّآلِ
مَرَّةٍ قَرْيَةٌ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا قَامَتْهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ
قَالَ كَعَمَلَيْتَ قَالَ لَيْسَتْ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ
لَيْسَتْ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ
وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَنُظِّلْ إِلَى
الْعِطَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَامَ قَلَمًا
تَبَيَّنَ لَهُ وَقَالَ أَعْلَمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

[٢٥٧] «اللَّهُ وَلِيُّ» ناصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾
الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
يُخْرِجُهُم مِّنَ النَّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ذكر الإخراج؛ إما في مقابلة قوله:
﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾، أو في كُلِّ مَنْ آمَنَ بالنبي قَتَلَ بعثته من اليهود ثم
كَفَرُ بِهِ^(١) ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٥٨] «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ» جَادَلَ ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لَدَى^(٢) «أَنَآتَهُ
اللَّهُ الْمَلَكُ» أَي: حَمَلَهُ نَظَرُهُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ؛ وهو: النمرود
﴿إِذْ﴾ بدل من «حَاجَّ» ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ «لَا قَالَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ الَّذِي
تَدْعُونِي إِلَيْهِ؟» ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ» أَي: يخلق الحياة والموت في
الأجساد ﴿قَالَ هُوَ: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بالقتل والعفو عنه؛ ودعا
برجلين، فقتل أحدهما، وترك الآخر، فلما رآه عِيًّا^(٣) ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ منتقلاً
إلى حجة أوضح منها: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ يُحْيِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتِ بِهَا
أَنْتِ مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ تَحَيَّرَ وَدُهَشَ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بالكفر إلى محجة الاحتجاج.

[٢٥٩] «أَوَلَمْ يَكُنْ لَّآلِ» رَأَيْتَ^(٤) ﴿كَأَلَيْكَ الْكَافُ زَائِدَةً﴾ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ
هي بيت المقدس^(٥)، راكبا على حمار، ومعه سلة تين وقدح عصير؛ وهو:
عزير^(٦) ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوطها لما خَرَتْهَا
«بِخْتَنَصْر»^(٧) ﴿قَالَ أَنَّى﴾ كَيْفَ^(٨) ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟﴾
استعطافاً لقصرته - تعالى^(٩) - ﴿فَأَمَّا اللَّهُ وَالْبَاقِيَّةُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾
أَحْيَاهُ لِيَرِيهِ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: «كَمْ لَيْتَ» مكنت هنا؟
﴿قَالَ لَيْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لَأنَّهُ نَامَ أَوَّلَ النَّهَارِ، فقبض، وأُحْيِيَ عِنْدَ
الغروب؛ فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَلْ لَيْسَتْ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى
طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير مع طول
الزمان، والبهاء؛ قيل: أصل من «سَانِهَتْ»^(١٠)، وقيل للسكت من
«سَانَيْتَ»^(١١)، وفي قراءة: بحذفها^(١٢) ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف هو؛
فَرَأَاهُ مِيتًا وَعِظَامُهُ بِيضٌ تَلَوَحُ! فَحَمَلْنَا ذَلِكَ لِنَعْلَمَ ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً﴾ عَلَى
الْبَيْتِ ﴿لِّلنَّاسِ وَنُظِّلْ إِلَى الْعِطَامِ﴾ من حِمَارِكَ ﴿كَيْفَ
نُنْشِرُهَا﴾ نَحْيِيهَا^(١٣) ﴿بِضْمِ النَّوْنِ، وَقرئ: بفتحها^(١٤)﴾ من «أُنْشِرْ، وَنُشِرْ»

لغتان^(١٦)، وفي قراءة: بضمها، والزاي^(١٧)؛ نَحْرَكُهَا وَنَرَفَعُهَا^(١٨) ﴿ثُمَّ
نَكْسُوهَا الْحَمَامَ﴾ فنظر إليه وقد تركت وكسيت لحماً ونفخ فيه الروح وَنَهَقَ
﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذَلِكَ بِالْمُشَاهَدَةِ ﴿قَالَ أَعْلَمْتَ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي قراءة: «أَعْلَمُ»^(١٩) أمر من الله هـ.

(١) قوله: «ذكر الإخراج... إلخ» جواب عن سؤال مقدر حاصله: أن الكفار لم يكونوا في نور حتى يخرجوا منه إلى الظلمات، فكيف ذلك؟ أجاب المفسر بجوابين، الأول: أنه مشاكلة لما قبله، والمراد
منهم من أصل النور، والثاني: أنه إخراج حقيقي، وهو في كل من آمن بالنبي ﷺ قبل موته ثم ارتد بعد ذلك (٢) أي: إن قوله: «أَنَآتَهُ اللَّهُ الْمَلَكُ» مفعول لأجله، وهو سحرور
باللام لفقد أحد شروطه؛ وهو: عدم اتحاد الفاعل؛ لأن فاعل المحاجة هو النمرود، وفاعل إتياء الملك هو الله، وإنما حذف اللام لأن حذفها مطرد مع «أَنَ» و«إِنَّ» (٣) أي: بدل اشمال.
(٤) حيث لم يفهم معنى الكلام؛ لأن معنى: «يُحْيِي وَيُمِيتُ»: يخلق الحياة والموت، وما أجاب به اللعين ليس فيه خلق لهما كما هو ظاهر؛ ومن ثم فلم يلق عليه إبراهيم في ذلك وانتقل إلى حجة
أخرى أظهر.

(٥) أشار بهذا إلى أن «كأليكَ» معمول لحذوف يدل عليه السياق، وبه قال بعضهم، لكن من قال به يجعل الكاف اسماً بمعنى «مثل» لا زائدة. أما من جعلها زائدة جعل مدحولها مفعولاً على
الموصول ولا يكون في الكلام حذف عامر، فلحق الشارح بين القولين على وجه أوجب صعوبة الفهم. (٦) وقيل: هي القرية التي خرج منها الألو فحذر الموت. وقيل: غيرها.
(٧) وهذا هو القول المشهور، وقيل: غير ذلك، وصحح البعض أنه رجل شاك في البعث، كما هو ظاهر الآية... ولعله الأقرب من هذه الحادثة والتي قبلها كدليلين عظيمين على قدرة الله، وعلى
البعث، ولا فائدة في الاشتغال بتعيين ما أبهمه الله في كتابه، والله أعلم.

(٨) «بخت»: معناه: ابن، و«نشر»: اسم للضم؛ سمي بذلك لأن أمه لما ولدته وضعت عنده، فلما وجدته قالوا: بختنصر. أي ابن اضم، وكان كافراً ملك الأرض مشرقاً ومغرباً.
(٩) وقيل: بمعنى: متى. (١٠) أي: لا يقدر على ذلك إلا صاحب القدرة العظيمة.

(١١) أي: ففي لام الكلمة، والفعل مجزوم بسكون الهاء، فأصل سنة: سنهة، وهي ثابته وصلًا ووقفًا.

(١٢) أي: فهي زائدة، واللام الكلمة واو، والفعل مجزوم بحذف حرف العلة، ونثبت الهاء في الوقف لا في الوصل، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(١٣) أي: وصلًا، وظاهره أنها قراءة مستقلة وليس كذلك؛ وإنما هي بقية قراءة حمزة والكسائي، فهي عندهما ثبتت وفقاً وتحذف وصلًا.

(١٤) هذا التفسير لا يلزم مع قوله بعدها: «ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحْمًا»، فإن الإحياء قبله لا بعده، ويمكن أن يراد بالإحياء جمعها وضم بعضها إلى بعض، وهو معنى قراءة الزاي المعجمة.

(١٥) وهي قراءة شاذة. (١٦) لف ونشر مرتب؛ أي: نُشِرْها من أنْشَر، ونُشِرْها من نَشَر. (١٧) وبها قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، والباقون بالراء.

(١٨) أي: نرفعها من الأرض وتردها إلى مكانها من الجسد وتركب بعضها على بعض.

(١٩) حمزة والكسائي.

وضمها^(١)؛ أمهلن^(٢) إليك وقطعن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ أَرْضِكَ مِتْهُنَّ جُرْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ سَعَيْتَ﴾ سريعاً ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنيعه؛ فأخذ طاووساً ونسراً وغراباً وديكاً^(٣) وفعل بهن ما ذكر، وأمسك رعو سهن عنده ودعاهن؛ فطارت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت، ثم أقبلت إلى رعو سهن.

[٢٦١] ﴿مَثَلُ﴾ ﴿صَفَةِ نَفَقَاتٍ﴾ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعائة ضعف ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ أكثر من ذلك ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾^(٤) فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق المضاعفة.

[٢٦٢] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ على المنفق عليه؛ بقولهم - مثلاً -: «قد أحسننا إليه وحجرت حاله» ﴿وَلَا أَذَى﴾ له يذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ نواب إنفاقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٢٦٣] ﴿قَوْلٍ مَعْرُوفٍ﴾ كلام حسن، ورَدَّ على السائل جميل ﴿وَمَغْفِرَةٍ﴾ له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى﴾ بالمر وتغيير له بالسؤال ﴿وَاللَّهُ عَنِّي﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المأذون والمؤذي.

[٢٦٤] ﴿يَتْلَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ﴾ أي: أجورها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ إبطالاً ﴿كَالَّذِي﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ مراثيا لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَفَرَّكُمُ صَلْدًا﴾ صلباً أملس لا شيء عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف^(٥) لبيان مثلي المنافق المنفي رثاء الناس؛ وجمع الصمير باعتبار معنى «الذي» ﴿عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا﴾ عملوا؛ أي: لا يجدون له ثواباً في الآخرة؛ كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَئِنْ لَبِظْتُمْ فَلِّي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٣﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٢٦٤﴾ يَتْلَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي أَنْفَقَ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٥﴾

[٢٦٥] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى﴾ قال - تعالى - له: ﴿أُولَئِكَ تُؤْمِنُ﴾ بقدرتي على الإحياء؛ سأله مع علمه بإيمانه بذلك؛ ليجيبه بما سأل؛ فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَى﴾ آمنت ﴿وَلَكِنْ﴾ سألتك ﴿لِيُطْمَئِنُّ﴾ يسكن ﴿قُلُوبِي﴾ بالمعينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ﴾ [إِلَيْكَ] بكسر الصاد

(١) بالكسر قراءة حمزة وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) تفسير للفعل على كل من القراءتين، وأمره بإماليهن إليه؛ أي: تقريرهن منه ليتحقق أوصافهن، حتى يعلم بعد الإحياء أنه لم ينتقل جزء منها عن موضعه الأول أصلاً.

(٣) ولم يرد تحديدهن وتعيينهن في شيء من الأخبار الصحيحة الثابتة، فالأولى الاقتصار على إطلاق القرآن دون تعيين.

(٤) لابد من تقدير مضاف في أحد الجانبين؛ أي: مثل نفقتهم كمثال حبة، أو مثلهم كمثال باذر حبة، والشارح سلك الأول.

(٥) غني يعطي عن سعة.

(٦) الجملة استئناف مبني على السؤال؛ كأنه قيل: فماذا يكون مآلهم حينئذ؟ فقيل: لا يقدرون... إلخ.

[٢٦٥] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَمَثَلُ الَّذِينَ لَا يرجون لإينكارهم له، ومن ابتلاية﴾ (١) ﴿كُنْشَلٍ جَنَّةٍ﴾ بستان [يَرْوُونَ] بضم الراء وفتحها (٢)؛ مكان مرتفع مستو ﴿أَصَابَهَا وَاِبِلٌ فَتَأْتَتْ أَكْطَافَهَا﴾ أعطت ﴿أَكْطَافَهَا﴾ بضم الكاف وسكونها (٣)؛ ثمرها ﴿يَضَعْفَيْنِ﴾ مثلي ما يُثْمِرُ غيرها ﴿فَإِنْ لَمْ يُمْسِكْهَا وَاِبِلٌ فَطَلَّ﴾ مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها؛ المعنى: تثمر وتزكو كثر المطر أم قل؛ فكَذَلِكَ نَفَقَاتُ مَنْ ذَكَرَ تَزْكُو عِنْدَ اللَّهِ كَثُرَتْ أَمْ قَلَّتْ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[٢٦٦] ﴿أَيُّدُكُمْ﴾ أيحب ﴿أَسَدُّكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿وَمَنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا نَمْرٌ﴾ من كُلِّ الشَّجَرَاتِ ﴿وَقَدْ أَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ فَضَعُفَ مِنَ الْكِبَرِ عَنِ الْكُشْبِ ﴿وَلَوْ ذُرِّيَّةٌ مَعْقَاتٌ أَوْلَادٌ صِغَارٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ﴾ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ فَفَقَدَهَا أَخُوْجَ مَا كَانَ إِلَيْهَا، وَبَقِيَ هُوَ وَأَوْلَادُهُ عَجْزَةٌ مَحْبِرِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ. وَهَذَا تَمْثِيلٌ لِنَفَقَةِ الْمَرْئِي وَالْمَاءُ فِي ذَهَابِهَا وَغَدَمٌ نَفْعُهَا أَخُوْجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، وَالِاسْتِفْهَامُ بِمَعْنَى النِّفْيِ (١)، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ الرَّجُلُ غَيْلٌ بِالطَّاعَاتِ، ثُمَّ بَعَثَ لَهُ الشَّيْطَانُ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَخْرَقَ أَغْمَالَهُ (٢) ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا يَبَيِّنُ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فَتَحْتَبِرُونَ.

[٢٦٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾ أَي: زَكُّوا ﴿وَمَنْ طَيَّبَتْ﴾ حِيَادُ ﴿مَا كَسَبَتْهُ مِنْ الْمَالِ﴾ (١) ﴿وَمِنْ طَيِّبَاتٍ﴾ مَا أَتَرَجْنَا لَكُمْ وَمِنْ الْأَرْضِ مِنَ الْحَبِوبِ وَالثَّمَارِ ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا﴾ تَقْصِدُوا ﴿الْحَبِيبَتِ﴾ الرَّدْيِ ﴿مِنْهُ﴾ أَي: مِنَ الْمَذْكُورِ ﴿تُنْفِقُونَ﴾ هُوَ فِي الزَّكَاةِ، حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿تَتِمَّمُوا﴾ وَلَسْتُمْ بِتَاخِذِيهِ، أَي: الْخَبِيثُ لَوْ أَعْطَيْتُمُوهُ فِي حَقْوِكُمْ ﴿إِلَّا أَنْ تَعْمَضُوا فِيهِ﴾ بِالنَّهْلِ وَغَضَ الْبَصَرِ، فَكَيْفَ تَوَدُّونَ مِنْهُ حَقَّ اللَّهِ !؟ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ نَفَقَاتِكُمْ﴾ حَكِيمٌ ﴿مَحْمُودٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ﴾ (٢).

[٢٦٨] ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ يَخُوفُكُمْ بِهِ إِنْ تَصَدَّقْتُمْ؛ فَتَشْفِكُوا ﴿وَيَأْتِيُكُمْ بِالْفَقْصَةِ﴾ الْبَحْلُ وَمَنْعُ الزَّكَاةِ ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ﴾ عَلَى الْإِنْفَاقِ ﴿مَقْفَرَةً مِنْهُ﴾ لِلذُّنُوبِ ﴿وَقَضَلًا﴾ رِزْقًا خَلَقًا مِنْهُ ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ (٣) فَضْلُهُ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِالْمُنْفَقِ.

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيْهًا مَنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأْتَتْ أَكْطَافَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُبْسِكْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿أَيُّدُكُمْ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتِمَّمُوا الْحَبِيبَتِ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تَعْمَضُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَلَا يُولَى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

[٢٦٩] ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ أَي: الْعِلْمَ النَّافِعَ الْمُؤْدِي إِلَى الْعَمَلِ ﴿مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لِمَصِيرِهِ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ فِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي النَّالِ؛ يَنْعَطُ ﴿وَلَا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أَصْحَابُ الْقَوْلِ.

(٥) مَا جَاءَ فِي نزول الآية (٢٦٧): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ الرَّاءِ: ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْحَبِيبَتِ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِيْنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، كَمَا أَصْحَابُ نَخْلٍ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي مِنْ نَخْلِهِ عَلَى قَدَرِ كَثْرَتِهِ وَقَلَّتِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي بِالْقُرَى وَالْقُنُونِ فَيُعْلِقُهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ أَهْلُ الصَّفَةِ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا جَاعَ أَتَى انْقَوَ فُطْرِيهِ بَعْضًا، فَيَسْقُطُ مِنَ الْبَسْرِ وَالتَّمْرِ فَيَأْكُلُ، وَكَانَ نَاسٌ مِنْ لَا يَرِغُ فِي الْخَبْرِ يَأْتِي الرَّجُلَ بِالْقُرَى فِيهِ الشَّيْخُ وَالْحَشَمُ، وَبِالْقُرَى قَدْ انْكَسَرَ فَيُعْلِقُهُ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتِمَّمُوا الْحَبِيبَتِ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تَعْمَضُوا فِيهِ﴾ قَالُوا: لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَهْدَى إِلَيْهِ مِثْلَ مَا أُعْطَاهُ لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا عَلَى إِغْمَاضٍ وَحِيَاةٍ، قَالَ: فَكُنَا بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي أَحَدُنَا بِصَالِحٍ مَا عِنْدَهُ. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ. صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٣٨٩).

(١) أَي: طَلَبَ رِضَا اللَّهِ، وَفِيهَا إِثْبَاتُ صِفَةِ الرِّضَا لَهُ - شُبْحَانَهُ - عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ.

(٢) كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿حَسْبَاكَ يَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وَالْمَعْنَى هُنَا: أَي تَنْبِيْهًا مُبْتَدَأً مِنْ أَصْلِ أَنْفُسِهِمْ لَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

(٣) بِالضَّمِّ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عِدَا ابْنِ عَامِرٍ وَمَعَاصِمٍ.

(٤) بِالسُّكُونِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ الْكَافِ.

(٥) أَي: فَهُوَ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ؛ يَعْنِي: لَا يَحِبُّ الْمُسْلِمُ ذَلِكَ.

(٦) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (٧٥/٣).

(٧) وَهُوَ النِّقْدُ وَالْمَوَاشِي وَعُرُوضُ التِّجَارَةِ.

(٨) وَاسِعَ الصِّفَاتِ كَثِيرَ الْهَبَاتِ.

﴿أَيُّ نَعْمَ شَيْئًا إِبْدَاؤُهُ﴾ وَإِنْ تُخَفُّوهُمَا تَسْرُوهُمَا ﴿وَتُؤْتُوهُمَا آلَافَ قَرَّارَةً﴾ فَيُؤْخِرُكُمْ عَنْهَا ﴿مِنْ إِبْدَائِهَا وَإِنَّا بِمَا أَعْبَاهَا﴾ أَمَا صَدَقَةُ الْفَرَضِ فَلَا أَفْضَلَ إِظْهَارُهَا لِيُقْتَدَى بِهِ، وَلَوْلَا بَيْتُهُمْ، وَإِنَّا بِهَا الْفُقَرَاءُ مُتَعِينٌ ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بِالْبَاءِ وَالنُّونِ (١)؛ مَجْزُومًا بِالْعَطْفِ عَلَى مَحَلِّ ﴿فَهُوَ﴾ (٢) وَمَرْفُوعًا عَلَى الْاسْتِنْفَافِ ﴿عَنْكُمْ مِنْ﴾ بَعْضُ ﴿سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ عَالَمٌ بِبَاطِنِهِ كَظَاهِرِهِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ. وَلَمَّا مَنَعَ ﴿يُكْفِّرُ﴾ مِنَ الصَّدَقِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لِيَسْلُمُوا، نَزَلَ: [٢٧٢] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى﴾ أَيُّ: النَّاسُ إِلَى الدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هِدَايَتُهُ إِلَى الدَّخُولِ فِيهِ ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مَالٍ ﴿فَلَا تُؤْخِرْهُم﴾ لَأَنَّ ثَوَابَهُ لَهَا ﴿وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (٣) أَيُّ: ثَوَابِهِ (٤) لَا غَيْرَهُ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، خَيْرٌ بِمَعْنَى النِّهْيِ (٥) ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جَزَاؤُهُ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُرُونَ﴾ تَقْصُونَ مِنْهُ شَيْئًا، وَالْجَمْلَتَانِ (٦) تَأْكِيدٌ لِلأُولَى (٧).

[٢٧٣] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ خَيْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ؛ أَيُّ: الصَّدَقَاتِ ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَيُّ: حَسَبُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ، نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ وَهُمْ: أَرْبَعُمِائَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُرْضِدُوا لِتَعْلَمَ الْقُرْآنَ وَالْخُرُوجَ مَعَ السَّرَايَا ﴿لَا يَسْأَلُونَ صَرَفًا﴾ سَفَرًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لِلتَّجَارَةِ وَالْمَعَاشِ لَشُغْلِهِمْ عَنْهُ بِالْجِهَادِ ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بِحَالِهِمْ ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ (٨) أَيُّ: لَتَعَفُّفِهِمْ عَنِ السُّؤَالِ وَتَرْكِهِ ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ يَا مُخَاطَبِيَا (٩) ﴿يَسْأَلُهُمْ﴾ عَلَامَتُهُمْ مِنَ التَّوَاضُعِ وَأَثَرِ الْجُهْدِ ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ شَيْئًا فَيَحْفَظُونَ ﴿إِلْحَافًا﴾ (١٠) أَيُّ: لَا سُّؤَالَ لَهُمْ أَصْلًا؛ فَلَا يَقَعُ مِنْهُمْ إِلْحَافٌ، وَهُوَ: الْإِلْحَافُ ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ فَمَجَازٌ عَلَيْهِ.

[٢٧٤] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْإِسْرَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (١١) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُمَا آلَافَ قَرَّارَةً فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى﴾ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُفْسِدْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُرُونَ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (١٢) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْإِسْرَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

[٢٧٥] ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَوَقِّتْ بِهِ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ ﴿فِي جَانِبِكُمْ عَلَيْهِ﴾ وَمَا لِلظَّالِمِينَ ﴿بِمَنْعِ الزَّكَاةِ وَالنَّذْرِ، أَوْ بِوَضْعِ الْإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ﴾ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿مَانِعِينَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِهِ﴾

[٢٧٦] ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ تَظْهِرُوا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ أَيُّ: النَّوَافِلِ ﴿فَنِعِمَّا

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، وإنما المسكين الذي يتعفف، اقرءوا إن شئتم. يعني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة البقرة (٢) باب (٤٨). وأخرجه مسلم - كتاب الزكاة (١٢) باب (٣٤) المسكين الذي لا يجد غنى، ولا يفتن له، فيتصدق عليه.

(١) بالنون مع الجزم قراءة نافع وحزمة والكسائي، والنون مع الرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ ابن عامر وحفص بالباء ورفع الراء.

(٢) أي: مع خصره ومحلله جزم لوقوعه جواب الشرط.

(٣) وفيها إثبات صفة الوجه لله - سبحانه - على الوجه اللاتقي به.

(٤) قال ابن القيم: إن حمله - أي الوجه - على الثواب المنفصل من أبطل الباطل؛ فإن اللغة لا تحمل ذلك، ولا يعرف أن الجزاء يسمى وجهًا للمجازي، كما أن الثواب مخلوق، فقد صح عنه ﷺ أنه استعاذ بوجه الله فقال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تُضِلَّنِي...» [رواه أبو داود وغيره]، ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعذ بمخلوق... [المسرون بين الإثبات والتأويل (٢/ ٣٥٩، ٣٦٠)] تصرف.

(٥) أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله.

(٦) أي: قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُرُونَ﴾.

(٧) أي: للشرطية الأولى، وهي: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَوُضِّعَتْكُمْ﴾.

(٨) نكرة غير مقصودة للإشارة إلى أن حالهم ظهر لكل أحد.

(٩) مفعول مطلق عامله محذوف كما قدره المفسر، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله؛ أي: لا يسألون لأجل الإلحاف، ويصح أن يكون حالاً؛ أي: مصدرًا من موضع الحال تقديره: لا يسألون ملحقين.

[٢٧٥] ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٦﴾﴾^(١) يَأْكُلُونَ الرِّبَا بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

[٢٧٦] ﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ ينقصه ويذهب بركته ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها ﴿وَاللَّهُ لَا يَجِبُ﴾ كل كفاً بتحلل الربا ﴿أَتَمِّمَ﴾ فاجر بأكله أي: بعاقبه^(٢).

[٢٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٢٧٨] ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّقُوا اللَّهَ وَذُرُّوا﴾ اتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم، فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى، نزلت لما عالت بعض الصحابة بغد النهي ربما كان لهم من قبل.

[٢٧٩] ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرت به ﴿فَأَذِّنُوا﴾ اعلموا ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لكم، فيه تهديد شديد لهم، لما نزلت قالوا: «لا يذني» لنا بحربه ﴿إِنْ تَبَيَّنَ﴾ رجعت عنه ﴿فَلَكُمْ رُءُوسٌ﴾ أصول ﴿أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بزيادة ﴿وَلَا تَظْلِمُونَ﴾ بنقص^(٣).

[٢٨٠] ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ وقع^(٤) غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ لَهُ﴾ له أي: عليكم تأخيره ﴿إِلَى مِيسْرَةٍ﴾ بفتح السين وضمها^(٥)؛ أي: وقت يسر ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بالتشديد على إدغام التاء في الألف في الصاد، وبالتخفيف على حذفها^(٦)؛ أي: تصدقوا على المعسر بالإبراء^(٧) ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه، وفي الحديث: «مَنْ أَنْظَرَ مُغْسِرًا أَوْ وَضَعَ غَنَةً أَظْلَمَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»^(٨) [رواه مسلم].

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٥٠).

وأخرج أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت الآيات من سورة البقرة في الربا خرج النبي ﷺ إلى المسجد فقرأهن على الناس، ثم حرم تجارة الخمر. البخاري - كتاب الصلاة (٨) باب (٣٧) حرم تجارة الخمر في المسجد.

(١) وهو ربا الفضل ولا يكون إلا عند اتحاد الجنس.

(٢) وهو ربا النساء، ويكون في متحد الجنس ومختلفه، وهو البيع مع تأجيل العوضين أو أحدهما.

(٣) فيها إثبات صفة الحق له ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه - وعلى ما تقتضيه الحكمة البالغة.

(٤) وهذا التأويل هو مذهب الأشاعرة ينفونها بدعوى أنها توهم نقضاً؛ فيرجعونها إلى معنى إرادة الثواب والعقاب، ومذهب السلف إثباتها على الحقيقة على الوجه اللائق به - سبحانه - دون أن يقتضي ذلك عندهم نقضاً ولا تشبيهاً، كما يثبتون لازم الحجة وهو الإكرام والإثابة، ولزم ضدها وهو الإهانة والعقاب، أما المعتزلة؛ فلأنهم لا يثبتون إرادة قائمة به فيفسرون الحجة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله، وضدها بالعقاب الواجب عندهم على الله؛ بناء على مذهبهم في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي.

(٥) بصيغة الإفراد في نسخة، وفي أكثر النسخ بصيغة التثنية «لا يذني» وحذفت النون تخفيفاً؛ والمعنى على كل من النسخين: لا قدرة ولا طاقة لنا.

(٦) أشار بذلك إلى أن «كان» تامة، و«ذو» ناعلة، وهو الأقرب، ويصح كونها ناقصة و«ذو» اسمها، وخبرها محذوف تقديره: غريماً لكم.

(٧) بالضم قراءة نافع.

(٨) والتشديد قراءة السبعة عدا عاصم.

(٩) من كل الذين أو بعضه.

(١٠) مسلم (٣٠٠٦).

(١١) أي: «تَرْجَعُونَ»، وهي قراءة أبي عمرو.

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٦﴾﴾^(١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾^(٢) يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّقُوا اللَّهَ وَذُرُّوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تَبَيَّنَ فَلََكُمْ رُءُوسٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾^(٤) وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾^(٥) وَأَقْفُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨١﴾﴾^(٦) بالبناء للمفعول: تردون، وللفاعل: تسيرون^(٧) ﴿يُؤَيِّدُ إِلَى اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تَوَفَّى﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

[٢٨١] ﴿وَأَقْفُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول: تردون، وللفاعل: تسيرون^(١) ﴿يُؤَيِّدُ إِلَى اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تَوَفَّى﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

الكتاب ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الدُّنْيُ لأنه المشهود عليه، فيقر ليعلم ما عليه ﴿وَرَبِّيَ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْحَسُ﴾ ينقص ﴿بَيْنَهُ﴾ أي: الحق ﴿سَهْلاً﴾ فإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَهْلاً مبدراً ﴿أَوْ ضَعِيفاً﴾ عن الإملاء ليضعف أو يكثر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْلِلَ هُوَ﴾ لجزس أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلْيُعْلِلْ وَلْيُؤْمَرْ﴾ متولي أمره من الولد ووصي وقِيم ومُتَزَجِم ﴿يَالْعَدْلُ﴾ واستشهدوا ﴿أشهدوا على الدين﴾ شهدين ﴿شاهدين﴾ من رجالكم ﴿أي: بالغي المسلمين الأحرار﴾ فإن لَمْ يَكُونَا ﴿أي: الشاهدان﴾ رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَانِ ﴿يشهدون﴾ وَمَنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ ﴿ليدينه وعدائيه؛ وتعدد النساء لأجل﴾ أَنْ تَضِلَّ ﴿تسى﴾ إِحْدَهُمَا ﴿الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن﴾ ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿إِحْدَهُمَا﴾ الذكورة ﴿الْأُخْرَى﴾ النسية، وجملة الإذكار محل العلة؛ أي: لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال؛ لأنه سببه^(٤)، وفي قراءة: بكسر^(٥) ﴿أَنْ﴾ شرطية، ورفع ﴿تذكر﴾^(٦) استئناف^(٧)، جوابه: ﴿وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا زَالَتْ دُعَاؤُكُمْ﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسْمَعُوا﴾ تملوا من ﴿أَنْ تَكْذِبُوا﴾ أي: ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿سَهْلاً﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيراً﴾ قليلاً أو كثيراً ﴿إِلَّا أَجْلِيَّةً﴾ وقت حلوله، حال من الهاء في ﴿تَكْذِبُوا﴾^(٨) ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكُتُبُ أَفْسَطُ أَعْدَلُ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أعون على إقامتها؛ لأنه يذكرها ﴿وَأَدَقُّ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لَا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُوا﴾ تقع ﴿بِجَزْءٍ خَاصَّةٍ﴾^(٩) في قراءة: بالنصب، فـ ﴿تَكُونُوا﴾ ناقصة، واسمها ضمير «التجارة»^(١٠) ﴿تُحْبِرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تقبضونها ولا أجل فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لَا تَكْذِبُوا﴾ المراد بها المتجر فيه ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عليه؛ فإنه أدفع للاختلاف، وهذا وما قبله أمر ندب ﴿وَلَا يُضَارُّكُمْ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ صاحب الحق ومن عليه؛ بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة، ولا يضرهما صاحب الحق بتكليفها ما لا يليق في الكتابة^(١١) والشهادة ﴿وَأِنْ تَقْعَلُوا﴾ ما نهيتهم عنه ﴿فَلَيْتُمْ سُوءُكُمْ﴾ خروج عن الطاعة لاحق ﴿بِكُمْ﴾ وَأَتَوْا اللَّهَ فِي أمره ونهيه ﴿وَيُعَذِّبُكُمْ اللَّهُ﴾ مصالح أموركم، حال مقدرة، أو مستأنف^(١٢) ﴿وَأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بَيْنِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلْيُؤْمَرْ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدُهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدُهُمَا الْآخَرَى وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْذِبُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِمْ وَلَا كُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدَقُّ الْأَلْتَرَاتِبُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُّكُمْ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَقْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُ كُفْرُ اللَّهِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

[٢٨٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتم ﴿بَيْنِي﴾ كُتِلْمَ وقرض ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَآكْتُبُوهُ﴾ استئنافاً، ودفعاً للنزاع^(١) ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كِتَابَ الدِّينِ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴿بالق في كتابته لا يَرِيدُ في المال والأجل ولا يَنْقُصُ وَلَا يَأْتِ﴾ يمنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ إذا دُعِيَ إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي: فضلةً بالكتابة؛ فلا يخل بها، والكاف متعلقة بـ ﴿يَأْتِ﴾^(٢) ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تأكيد ﴿وَلْيُمْلِلْ﴾ يُمْلِ

(١) أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية للإرشاد لا للوجوب، وهو مذهب الجمهور.

(٢) عبارة غير المفسر: متعلقة بـ ﴿وَلَا يَأْتِ﴾ وهي الصواب؛ لأن التعلق المذكور على وجه التعليل للهي عن الإباء؛ أي يحرم عليه الإباء المذكور؛ أي الامتناع من الكتابة؛ لأجل تعليم الله - تعالى - إياها؛ فيجب عليه أن يذللها كما أمره الله - تعالى - ولا يخل بها؛ فالكاف للتعليل، و«ما» مصدرية، والهاء للكتاب.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ولازمة سكنو المذال، فتكون: ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾، قال البعض: من «الذكر» الذي هو ضد الأنثى؛ والمعنى: إن المرأة الثانية إذا شهدت مع الأولى ذكرتها؛ أي: جعلتها كالذكر؛ أي: كالجعل الذي لا يحتاج إلى غيره في الشهادة.

(٤) أي: لأن الضلال سبب الإذكار، والإذكار مسبب عنه؛ فنزل منزله؛ ومن شأن العرب إذا كان لليلة علة قدموا ذكر علة العلة، وجعلوا العلة معطوفة عليها بالفاء؛ لنحصل الدلائل مع عبارة واحدة، وهذا مما يعول فيه على المعنى ويهجر فيه جانب اللفظ، فلا يرد كيف جعل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ علة لاستشهاد المرتين بدل رجل مع أن علة إما هي التذكير. [تفسير أبي السعود].

(٥) لحزمة.

(٦) أي: مع التشديد فقط.

(٧) أي: إن أداة الشرط لم تعمل في لفظه، وجملة «فَقَدْ كَرِهَ» خير لبتداً محذوف؛ أي: «فهي تذكر» والجملة في محل جزم جواب الشرط.

(٨) أي: لا تمهلوا الأجل في الكتابة، وإنما تقولون: ثبت كذا مؤحلاً بكذا.

(٩) أي: اسمها مضمر فيها وتقديره: إلا أن تكون المعاملة أو المياعة أو استجارة.

(١٠) مثل أن يأمر بكتابة ما لم يطلع عليه، أو يمنع من إعطائه أجرته له.

(١١) والأولى الإقتصار عليه؛ لأن جملة حالاً بخلاف القاصرة التحوية: أن الحملة المضاربة المثنة إذا وقعت حالاً فإن الصمير يلزمها وتخلو من الواو، ولا يصح أيضاً عطفها على جملة: ﴿وَأَتَوْا اللَّهَ﴾؛ لأنه يلزم منه عطف الخبر على الإنشاء.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَهُ﴾^(١) فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آسِفٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَفْخَفُوهُ يُجَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾ أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ وَعَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٥﴾

الزكاة، وقَوْض موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قوة ﴿لَنَا بِهِ﴾ من التكليف والبلاء ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ ائتم ذنوبنا ﴿وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا ومولي أمورنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إقامة الحجة والغلبة في قتالهم؛ فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء، وفي الحديث: «لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة: قد فعلت»^(١١).

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٢٨٤ - ٢٨٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم برکوا على الركب فقالوا: أي رسول الله، كلما من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها. قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، س قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلت بها أنفسهم فأثرت الله في إثرها: ﴿أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ =

[٢٨٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين وتدابيتهم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ﴾^(١) وفي قراءة: ﴿فَرِهَان﴾ جمع رهن^(٢) ﴿مَقْبُوضَهُ﴾ تستوثقون بها، ويثبت الشئ جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب، فالتقيد بما ذكر؛ لأن التوثيق فيه أشد^(٣)، وأفاد قوله: ﴿مَقْبُوضَهُ﴾ اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿وَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: الدائن المدين على حقه فلم يترهن ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ﴾ أي: المدين ﴿أَمْنَتَهُ﴾ دينه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذا دعيت لإقامتها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آسِفٌ قَلْبُهُ﴾ خص بالذكور؛ لأنه محل الشهادة، ولأنه إذا أثم تبعه غيره^(٤)؛ فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه. [٢٨٤] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا﴾ تظهروا ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من سوء العزم عليه ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ تسروه ﴿يُجَاسِبُكُمْ﴾ يخبركم^(٥) ﴿بِهِ﴾ الله ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه، والفعلان بالجزم عطف على جواب الشرط، والرفع^(٦) أي: فهو ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم. [٢٨٥] ﴿أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه^(٧) ﴿كُلٌّ﴾ تنوينه عوض^(٨) من المضاف إليه ﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَمَلَكَيْتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ بالجمع والإفراد^(٩) ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يقولون: ﴿لَا تَفِرُّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي: ما أمرنا به سماع قبول ﴿وَأَطَعْنَا﴾ نسألك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع بالبعث. ولما نزلت الآية التي قبلها شكوا المؤمنون من الوسوسة، وشق عليهم المحاسبة بها؛ فنزل: [٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير؛ أي: ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر؛ أي: وزره، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد، ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه، قولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ بالعقاب ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تركنا الصواب لا عن عمد؛ كما أخذت به من قبلنا، وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة؛ كما ورد في الحديث^(١٠)، فسأله اعتراف بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ أمرا يثقل علينا حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي: بني إسرائيل؛ من قتل النفس في التوبة، وإخراج رُبع المال في

(١) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿فرهان﴾. (٢) أي: كل من ﴿فرهن﴾ و﴿رهان﴾ جمع ﴿فرهن﴾، مثل شق وشقفت، وكف وكعب. (٣) لأهل العلب في السفر عدم وجود الكاتب ونسيان الدين والعرض للموت، ويثبت السنة جواز الرهن في الحضر كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ اشترى طعاما من يهودي ورتقه درهما من حديد. البخاري (٢٠٦٨)، ومسلم (١٦٠٣). (٤) أي: في الإثم، لأنه ملك الأعضاء، إذا ضلح صلح الجسد كله، وإذا قُتِلَ فسد الجسد كله كما في حديث العمان بن بشير في الصحيحين؛ البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩). (٥) قوله: «يخبركم»؛ جواب عن سؤال وهو: أنه كيف قال في الإخفاء بحاسبكم به الله، مع أن حديث النفس لا إثم فيه ما لم يقع؛ للحديث المشهور فيه؛ فأجاب: بأن المراد بالخاصية سجد الإخبار به لا المعاقبة عليه، ولا حامل على هذا التقدير؛ إذ إن المواخذة إما أن تكون منسوخة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ كما في حديث مسلم. أو أن تكون المواخذة على ما أخفوه من العزم القاطع والاعتقاد الجازم، وليس مجرد حديث النفس والوسوسة. (٦) أي: على الاستعفاف، والجزم قراءة نافع وابن كثير وحزمة والكسائي وأبي عمرو. (٧) وهو أحد الوجهين، والوجه الثاني: أن يكون ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، و﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ ثان خبره ﴿أَمَّا﴾. (٨) أي: عن ﴿الرُّسُلِ﴾ و﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾. (٩) بالافراد قراءة حمزة والكسائي. (١٠) وهي قوله ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أَهْلِ الْخَطَا وَالْشَّيْثَانِ وَمَا اشْتَكَوْهُمَا عَلَيْهِ»، رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر الغفاري مرفوعا به، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣١). (١١) مسلم (١٢٦)، وانظر الحديث وتخريجه في أسباب النزول.

عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ إِلَى آخِرَتِهَا، وَقَالَ: فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَقَى اللَّهُ، فَأَخَذُواهُمُ»^(١)، وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَا أَخَافُ عَلَى أَتَمِّهِ إِلَّا ثَلَاثَ جَلَالٍ...» وذكر منها: أَنْ يُفْتَحَ لَهُمُ الْكِتَابُ؛ فَيَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ يَتَّبِعُ تَأْوِيلَهُ، وَلَيْسَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَالْإِسْخُونُ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ مَأْمَنًا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»^(٢) الحديث.

[١٠] هُوَ الَّذِي كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَزْوَاجَهُمْ مِّنْ أَفْئَةٍ أَي: عذابه ﴿سَيِّئًا وَأَوْصِيَاءَ هُمْ يَقُودُونَ﴾ كَذَابٍ الْوَاوُ^(٣)؛ مَا تَوْفَدَ بِهِ. [١١] ذُلُّهُمْ ﴿كَذَابٌ﴾ كعادة ﴿آلِ وَزَعُونَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ كعاد وثمود ﴿كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَآتَيْنَاهُمْ آلَهُهُمُ أَهْلَكَهُمْ﴾ ﴿يَذُوبُونَ﴾ والجملة^(٤) مفسرة لما قبلها^(٥) ﴿وَاللَّهُ شَوِيدٌ آفِيَاءٌ﴾ ونزل - لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام مرجعة من بدر؛ فقالوا: لا يغرنك أن قلت نفرًا من قريش أعشارًا لا يعرفون القتال -: [١٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَذُوبُونَ﴾ كَفَرُوا من اليهود: ﴿سَقَىٰ لَهُمُ الْوَالِيَاءَ﴾، في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك ﴿وَيُشْرِكُونَ﴾ بالوجهين^(٦)، في الآخرة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فتدخلونها ﴿وَيُشْرِكُونَ﴾ الفرائض هي^(٨).

[١٣] ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ عبرة، وذكر الفيل^(٩) لفضيل ﴿فِي يَتَنِينَ﴾ فرتين ﴿الْفَتَنَاتِ﴾ يوم بدر للقتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته؛ هم: النبي وأصحابه، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة ﴿وَأُخْرَىٰ كَافَّةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿وَيُشْرِكُونَ﴾ أي: المسلمين؛ أي: أكثر منهم، وكانوا نحو ألف ﴿رَأَى الْفَتَنِينَ﴾ أي: رؤية ظاهرة معانية، وقد نصرهم الله مع قلتهم ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَقِيَّةَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في ذلك ﴿الْمَذْكُورِ لِيُزَيِّنَ لِأُولَى الْأَنْفُسِ﴾ لذوي البصائر؛ ألا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟! [١٤] ﴿رَبَّنَا لِلنَّاسِ حُوبُ الشَّهَوَاتِ﴾ ما تشتهي النفس وتدعو إليه، زينها الله^(١٠) ابتلاء أو الشيطان^(١١) ﴿مِنَ الْبَشَرِ وَالْبَشَرِ وَالْفَنَاطِيرِ الْأُمُومِ﴾ الكثيرة ﴿الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الْجَهَنَّمَ وَالْجَهَنَّمَ وَالْجَهَنَّمَ وَالْجَهَنَّمَ﴾ الحسن ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿ذَلِكَ الْمَذْكُورِ﴾ منكم ﴿الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يفنى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْأَمْثَالِ﴾ المرجع؛ وهو: الجنة؛ فينبغي الرغبة فيه دون غيره. [١٥] ﴿قُلْ﴾ يا

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿كَذَابٌ﴾ عَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ﴾ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّرُ الْمُهَادَ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ فِي فِتْنَتَيْنِ ﴿الْفَتَنَاتِ﴾ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْأُخْرَىٰ كَافَّةٌ يَرَوْنَهُمْ ﴿شَيْئًا﴾ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولَى الْأَبْصَارِ ﴿رَبَّنَا لِلنَّاسِ حُوبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْبَشَرِ وَالْبَشَرِ وَالْفَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الْجَهَنَّمَ وَالْجَهَنَّمَ وَالْجَهَنَّمَ وَالْجَهَنَّمَ﴾ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمُنَاقَبِ ﴿قُلْ أُوْنِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ﴾ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ

محمد لقومك: ﴿أُوْنِيْتُكُمْ﴾ أخبركم ﴿يَخْتَرُ مِّنْ ذَلِكُمْ﴾ المذكور من الشهوات، استفهام تقرير^(١٢) ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ خير مبتدؤه ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ أي: مقدرين الخلود^(١٣) فيها. إذا دخلوها ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وغيره مما يشتدُّ ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ بكسر أوله وضمه لغتان^(١٤)؛ أي: رضا^(١٥) كثير ﴿وَرَبَّ﴾ الله ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ عالم^(١٦) ﴿وَالْيَسَادِ﴾ فيجازي كلاً منهم بعمله.

- لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم. فسلم وقال: أشرف نبورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. سبق تخريجه في تفسير سورة الفاتحة. وأخرج الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفِي عَامٍ، وَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَاتٍ خَتَمَ بِهَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَا يَفْرَاقُ فِي دَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرُبُهَا شَيْطَانٌ». الترمذي. كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٤) ما جاء في آخر سورة البقرة. صحيح سنن الترمذي (٢٣١١).

- (١) البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).
- (٢) الحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٨٠).
- (٣) وهي قراءة العشرة، وقرأ الحسن بضم الواو مصدر بمعنى: الإيقاد.
- (٤) أي حملة: ﴿كَذَبُوا...﴾ الآية. (٥) وهي قوله: ﴿كَذَابٌ عَالٍ وَزَعُونَ﴾ الآية [آل عمران: ١١].
- (٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي. (٧) أي: بئاء والياء، بالياء قراءة حمزة والكسائي.
- (٨) أخرجه أبو داود عن ابن عباس، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٦٤٧). وحسنه في الاستيعاب مجموع طرقه. الاستيعاب في بيان الأسباب (١/ ٢٣٢، ٢٣٣).
- (٩) وهو ﴿كَانَ﴾ ذكر للفصل والجر والجرور، وهو قوله: ﴿هَلْ كُنْ﴾ (١٠) كما في قول عمر: «اللَّهُ لَا ضَيْرَ لَنَا عَلَى مَا رَزَقْنَا لَنَا إِلَّا بِكَ» [رواه البخاري معلف في الرقاق باب قول النبي ﷺ: «هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ حُلُوهُ»].
- (١١) أي: بالوسوسة. (١٢) وليس المراد به هنا طلب الإقرار والاعتراف من المخاطبين كما هو معنى الاستفهام التقريري في الأصل، بل المراد به التحقيق والتثبت في نفوس المخاطبين.
- (١٣) أي: فهي حال مقدرة.
- (١٤) وهما قراءتان، والصم قراءة شعبة.
- (١٥) أنشأ بذلك إلى أن كلاً من المكسور والمضموم مصدر «رضي» فهما بمعنى واحد، وإن كان الثاني سماعيًا والأول قياسيًا.
- (١٦) وهذا تأويل، وصفة البصر من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة على الوجه اللاتق به دون أن يقتضي ذلك نقضاً أو تمثيلاً له بالخلق كما قال - شيخنا -: «لَيْسَ كَيْفُهُ شَيْءٌ وَفَوْقَهُ أَلْسِنَةُ الْخَيْرِ» [الشورى: ١١].

معبود في الوجود يَحَقُّ ﴿إِلَّا هُوَ﴾ شهد بذلك ﴿الْمَلَكُ﴾ بالإقرار
﴿وَأُولُوا أَلْبَانٍ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ﴿قَائِمًا﴾ بتدبير
مصنوعاته، ونَصَبَهُ على الحال^(١)، وإعامل فيها معنى لجملة: أي: تَقَرَّدَ
﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره تأكيداً ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه
﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[١٩] ﴿إِنَّ الْذِينَ﴾ المرضي ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو ﴿الْإِسْلَامُ﴾ أي:
الشرع المبعوث به الرسل، المبني على التوحيد، وفي قراءة ففتح ﴿إِنَّ﴾ بدل
من «أنه... إلخ»، بدل اشتمال^(٢) ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا﴾ الكُتُبَ
اليهود والنصارى في الدين؛ بأن وَحَّدَ بعض وكَفَّرَ بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمْ أَلْهُمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَنِيًّا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ
بَيَانَتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة له.

[٢٠] ﴿فَإِنَّ حَاجُونَكَ﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿فَقُلْ لَهُمْ:
«أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ أَنْقَذْتُ لَهُ أَنَا» وَتَنِي أَتَمِّنُّ﴾ وخص الوجه بالذكر؛
لشرفه؛ فغيره أولى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى
﴿وَالَّذِينَ﴾ مشركي العرب: «أَسَلْتُكُمْ» أي: أسألهم ﴿فَإِنْ أَسَلْتُمْ
فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ من الضلال ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإسلام ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
أَلْبَانٌ﴾ أي: التبليغ للرسالة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم،
وهذا قبل الأمر بالقتال^(٣).

[٢١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ بَيَانَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ﴿وفي قراءة:
﴿يَقْتُلُونَ﴾﴾ ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ يَكْفُرُونَ ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ يَكْفُرُونَ
بِالْقِسْطِ بالعدل ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ وهم: اليهود؛ روي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين
نبيًا، فنهام مائة وسبعون من غيادهم؛ فقتلهم من يومهم ﴿فَيَكْفُرُوا
أَعْلَمُهُمْ﴾ بِعَذَابِ اللَّهِ ﴿مَوْلَمُ، وَذَكَرَ الْبَشَارَةَ تَهَكُّمُ بِهِمْ، وَدَخَلَتِ الْفَاءُ فِي
خبر «إن»؛ لشيبه اسمها الموصول بالشرط^(٤).

[٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ ما عملوا من
خير؛ كصدقة وصلة رحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها؛ لعدم
شرطها ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ تَعْلِيلٍ﴾ مانعين من العذاب.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا آمَنًا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُتَّقِينَ
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿٢٠﴾ شَهِدَ اللَّهُ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ
بَيَانَتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ
فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ أَتَمِّنُّ وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا
الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلْتُكُمْ فَإِنْ أَسَلْتُمْ فَقَدْ أَهْتَدُوا
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٣﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بَيَانَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ
يَغْيِرُ حَقَّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ
النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ
أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَعْلِيلٍ ﴿٢٥﴾

[١٦] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من «الذين» قبله ﴿يَقُولُونَ﴾: يا رَبَّنَا
آتِنَا آمَنًا، صدقنا بك وبرسولك ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٧] ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية، نعت ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ في
الإيمان^(١) ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ المتصدقين
﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ الله؛ بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ أواخر الليل،
نُحِطُ بِالذِّكْرِ؛ لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

[١٨] ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ يَشْرَحُ لِحَلْقِهِ بِالذَّلَائِلِ وَالآيَاتِ ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

(١) بالتصديق بالقلب واللسان، والانقياد بالقلب واللسان والجوارح.

(٢) إم من لفظ الجلالة، أو من الضمير المتفصل ﴿هُوَ﴾ بعد ﴿إِلَّا هُوَ﴾، والثانية: أنه قائم بالقسط، ومتعلق الأولى تنزيه ذاته،
ومتعلق الثانية تنزيه صفاته.

(٣) وهي قراءة الكسائي، والتقدير: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد أن الدين...

(٤) وهذا بناء على تفسيره الإسلام بأنه الشرع؛ لأن وحدانية الله اشتمل عليها الإسلام، أما إذا فُسر بالإيمان أو التوحيد كان بدل كل من كل. وذكر الرضي: أن بدل الاشتغال أن يكون المخاطب
منظورًا للبدل عند سماع البدل منه وهو ليس كذلك.

(٥) أي: فهو منسوخ.

(٦) الصوابُ ذَكَرَ هذه العبارة بعد قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ الآية [آل عمران: ٢١]؛ لأن القراءتين إما هما في الثانية، أما الأولى فهي ﴿يَقْتُلُونَ﴾ لا غير؛ فذَكَرْنَا هُنَا شَيْئًا قَلِمَ مِنْ
الشارح.

(٧) في قراءة حمزة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾.

(٨) واسمها الموصول هو ﴿الَّذِينَ﴾ وهو في الأصل مبتدأ، والمبتدأ متى وقع اسم موصول ولو منسوخًا قرن خبره بالفاء، إلا إذا نسخ به ليت، ولعل، وكأنَّ؛ فتمتنع الفاء عند الجميع لتغير المعنى
لانتهاء معنى الخبرية؛ فلا يبقى الكلام محتتملاً للصدق والكذب بخلافه بعد دخول «إن».

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَيُتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مَّعْرُضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۖ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَن تَشَاءُ ۚ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُم ۚ تُقَنِّتُهُ ۚ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ إِن تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا يَوْمَ تَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

[٢٣] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا﴾ حظًا ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿يُدْعَوْنَ﴾ يُدْعَوْنَ ﴿إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ يُدْعَوْنَ ﴿فَيُتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مَّعْرُضُونَ﴾ عن قبول حكمه؛ نزلت في اليهود؛ زنى منهم اثنان؛ فتحاكموا إلى النبي ﷺ؛ فحكم عليهما بالرجم، فأبوا، فجيء بالتوراة، فوجد فيها؛ فرجما؛ فغضبوا.

[٢٤] ﴿فَكَيْفَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي: بسبب قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أربعين يومًا مدة عبادة آبائهم العجل ثم نزول عنهم ﴿وَعَرَّاهُمْ فِي دِينِهِمْ﴾ متعلق بقوله: ﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من قولهم ذلك.

[٢٥] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة. وَزَلَّتْ - لما وعد ﷺ أمته ملك فارس والروم؛ فقال المنافقون: هيهات -: [٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ يا الله ﴿مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ من خلقك ﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ بإياديه ﴿وَتُزِيلُ مَن تَشَاءُ﴾ بزرعه منه ﴿بِيَدِكَ﴾ بقدرتك ^(١) ﴿الْخَيْرُ﴾ أي: والشر ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢٧] ﴿تُؤَلِّجُ﴾ تدخل ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ تدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رزقًا واسعًا.

[٢٨] ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ بالوئهم ﴿مِن دُونِ﴾ أي: غير ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: بالوئهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ دين ﴿اللَّهُ﴾ في شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمُ تُقَنِّتُهُ﴾ مصدر تقننه؛ أي: تخافوا مخافة، فلكم مولائهم باللسان دون القلب، وهذا قبل عزة الإسلام، ويجري فيمن هو في بلد ليس قويًا فيها ﴿وَيُحْذِرُكُمْ﴾ يخوفكم ﴿اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أَن يغضب عليكم ^(٢) إِنْ وَالْبِئْسَ مَوْجِبُهَا ﴿وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ المرجع؛ فيجازيكم.

[٢٩] ﴿قُلِ لَهُمْ﴾ إِنْ تَتَّقُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴿قُلُوبِكُمْ﴾ قلوبكم من موالاتهم ﴿أَوْ تُبْذَرُوا﴾ تظهروه ﴿يَوْمَ تَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ هو ﴿يَقْلَبُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب من والا هم.

(١) وهذا تأويل كالح، ومعنى ركب، ومذهب السلف الصالح إثبات ما أثبتته الله لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تكيف ولا تمثيل ولا تعطيل، ثم ما يقول هؤلاء في قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: ﴿يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَبِيعُهَا نَفَقَةٌ﴾ وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي فيها إثبات صفة اليد والأصبع وغيرها على الوجه الذي يليق بربنا جلَّ وعَلا؛ ثم إن يد القدرة والنعمة لا يعرف استعمالها ألبتة إلا في حق من له يد حقيقية.

(٢) يشير بذلك أن المراد بقوله - تعالى -: ﴿نَفْسَهُ﴾ أي: غضب نفسه، وهذا مذهب المؤولة، وأما السلف فيثبتون النفس لله ﷻ، ولكنهم اختلفوا أهي صفة ذات أم هي الذات نفسها؟ وإلى الأول ذهب ابن خزيمة؛ حيث ترجم في صحيحه: باب ذكر البيان من خير النبي ﷺ في إثبات النفس لله، أما ابن تيمية فقد رجح أنها بمعنى الذات، ونسبه لجمهور العلماء. [المجموع (٩/ ٢٩٢)].

هَذَاكَ دَعَاكَ يَا رَبِّهِ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَادَّاهُ الْمَلَكُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتَيْتُكَ الْأَتُكَمَ النَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرَمًا وَآذَكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَيِّحُ بِالْعِشَى وَالْإِبْرَءِ ﴿٤١﴾ وَآذَكَرَ الْمَلَكُ يَمْرُومَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرُومُ أَفْنَى لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكُ يَمْرُومَ إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

[٤٥] اذكر ﴿٤٥﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكُ يَمْرُومَ: أَي جبريل: ﴿يَمْرُومَ إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ أَي: ولد ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبتها إليها تنبيهًا على أنها تلده بلا أب؛ إذ عادة الرجال نسبهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جلال ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العلى ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله.

[٣٨] ﴿هَذَاكَ﴾ أَي: لما رأى زكريا ذلك، وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادرٌ على الإتيان بالولد على الكبر، وكان أهل بيته انقروا ﴿دَعَا رَبَّهُ﴾ لما دخل الحراب^(١) للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولذا ضاحيًا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

[٣٩] ﴿فَدَّاهُ الْمَلَكُ﴾ أَي: جبريل^(٢) ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ﴾ أَي: المسجد ﴿أَنَّ﴾ أَي: بأن، وفي قراءة: بالكسر^(٣) بتقدير القول ﴿اللَّهُ يَبْشِرُكَ﴾ متفلاً ومخفلاً^(٤) ﴿يَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أَي: بعيسى أنه روح الله، وسُمِّيَ كلمة؛ لأنه خلق بكلمة: ﴿كُنْ﴾ ﴿وَسَيِّدًا﴾ متبوعاً ﴿وَحَصُورًا﴾ ممنوعاً من النساء ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ روي أنه لم يعمل خطبة ولم يهْم بها.

[٤٠] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ وَلَدٌ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ أَي: بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بلغت ثمانين وتسعين ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق الله غلاماً منكماً ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لا يعجزه عنه شيء، ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال، ليُجاب بها. ولما تأقت نفسه إلى سرعة التبشُّر به.

[٤١] ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أَي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ عَائِشَةُ﴾ عليه ﴿أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أَي: تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله - تعالى - ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ أَي: لباليها ﴿إِلَّا رَمْرَمًا﴾ إشارة ﴿وَأَذَكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَيِّحُ﴾ صلِّ ﴿بِالْعِشَى وَالْإِبْرَءِ﴾ أواخر النهار وأوائله.

[٤٢] ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ مَرْيَمَ﴾ أَي جبريل: ﴿يَمْرُومَ﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من مسيس الرجال^(٥) ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ أَي: أهل زمانك.

[٤٣] ﴿يَمْرُومُ أَفْنَى لِرَبِّكِ﴾ أطبعه ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أَي: ضلِّي مع المصلين.

[٤٤] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ نَكُنْ لَهُمْ مَرْيَمَ﴾ ليظهر لهم ﴿أَنَّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يرعى ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالتها؛ فنعرف ذلك؛ فتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي.

(١) أي: المسجد.

(٢) فيه إثبات صفة السمع لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه ..

(٣) فهو من تسمية الحصى باسم العام تعظيماً له.

(٤) لجمرة وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي، ويكون بفتح الياء وسكون الاء وضم الشين.

(٦) ولعل الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا هي الإشارة بطرف خفي إلى رد ما قاله الكفار من أنها زوجته، فإن العظيم عالي الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس؛ فكان الله يقول: لو كانت زوجة لي لما صرحت باسمها. (حاشية الصاوي على الجلالين).

(٧) أي: ومن الحيض والنفاس وكل قدر.

[٤٩] ﴿وَمَا يَجْعَلُهُ رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ؛ فنفخ جبريل في جيب درعها؛ فحملت، وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم، فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل، قال لهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ﴿أَلَيْسَ﴾ أي: بأبي ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ علامة على صدقي ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هي: ﴿أَنِّي﴾ وفي قراءة^(١): بالكسرة؛ استئنافاً ﴿أَخْلَقْتُ﴾ أصور ﴿لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ مثل صورته؛ فالكاف اسم مفعول ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف^(٢) ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وفي قراءة^(٣): ﴿طَائِرًا﴾ ﴿يَذُنُ اللَّهُ﴾ يارادته، فخلق لهم الخفاش؛ لأنه أكمل الطير خلقاً؛ فكان يطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ﴿وَأُتْرِيقُ﴾ أشفي ﴿الْأَكْصَمَةَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَنْبَرَمَ﴾ وَخَصَّ بالذكر؛ لأنهما ذاء إعياء^(٤)، وكان بعثه في زمن الطب؛ فأبرأ في يوم خمسين ألف بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُتِي أَلْمُوتَىٰ يَذُنُ اللَّهُ﴾ كرهه؛ لنفي توهم الألوهية فيه؛ فأحيا «عازر» - صديقاً له - وابن العجور، وابنة العاشر؛ فعاشوا وولد لهم، و«سام بن نوح» ومات في الحال ﴿وَأُتْبِئْتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَنْشُرُونَ﴾ تخبون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أعياه؛ فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَايَةً لَّكُمْ﴾ إن كنتم مؤمنين.

[٥٠] ﴿وَمَا جِئْتُكُمْ بِمُضْطَفٍّ لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ قَبْلِي﴾ من التوراة ولأجل لكم بمن الذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فيها؛ فأحل لهم من السمك والطير ما لا صبيصة له^(٥)، وقيل: أحل الجميع؛ فبعض بمعنى «كل» ﴿فَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كرهه تأكيداً ولبيني عليه ﴿فَأَنْفُخُوا اللَّهُ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته. [٥١] ﴿إِنِّي اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ فكدبه ولم يؤمنوا به.

[٥٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكَفَرَ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ أعواني ذاهباً^(٦) ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ الْخَوَارِثُ﴾ نحن أنصار الله ﴿أَعوان دينه﴾ وهم: أصفياء عيسى، أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً من الحور؛ وهو: البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿أَمَّا﴾ صدقنا ﴿وَاللَّهُ وَأَشْهَدُ﴾ يا عيسى ﴿يَا نَسًا مُسْلِمُونَ﴾.

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي أَلْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمَنْ أَضَلِّحِيتَ ﴿٤٩﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٠﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٥١﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُ الْأَكْصَمَةَ وَالْأَنْبَرَصَ وَأُنْحِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمُضْطَفًّا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٣﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٤﴾ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ أَنَّكُمْ قَالْتُمْ أَنِّي أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَمَّا بَالَهُ وَأَشْهَدُ يَا نَسًا مُسْلِمُونَ ﴿٥٥﴾

[٤٦] ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي أَلْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهَلًا﴾^(١) وَمَنْ أَضَلِّحِيتَ.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بنزوح ولا غيره ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق ولد منك بلا أب ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَلَمَّا يَقُولُ لَمْ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون.

[٤٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالنون والياء^(٢) ﴿الْكِتَابَ﴾ الخط^(٣) ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾^(٤) وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

(١) أي: ويكلمهم بأن يدعوهم إلى دين الله حال كونه كهلاً، والكهل: ما بين الغلام والشيوخ، وقيل: من له ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: من ناهز الأربعين، وقيل: في الآية إشارة إلى نزوله - عَلَيْهِ السَّلَام - في آخر الزمان؛ ففيها إخبار عن معجزتين وحيتين.

(٢) بالنون قراءة السبعة عما عاصم ونافع.

(٣) أي: الكتابة، وقيل: المراد جنس الكتب الإلهية.

(٤) قيل: المراد بها العلم، وقيل: تهذيب الأخلاق. وقيل: قوة الفهم وحسن التدبير للأمور بوضعها في مواضعها.

(٥) لنافع.

(٦) ويصح أن يعود على الطين، وحكمة المغيرة بن ماها وما يأتي في آخر المائدة أن التكلم هنا عيسى، وهناك الله ﷻ.

(٧) لنافع.

(٨) أي: أغنيا الأطباء الذين كانوا في زمنه.

(٩) أي: شوكه يؤذي بها، وأما ما له صبيصة فهو باق على حلمه لم يحرم.

(١٠) حَذَّلَهُ الْمَقْدُرُ عَلَى أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، عَلَى أَنَّهُ هَلْ مِنَ الْبَاءِ فِي ﴿أَنْصَارِي﴾ حال كوني ذاهباً إلى الله؛ أي: مُتَجِّئاً إِلَى اللَّهِ وَشَارِعاً فِي نَصْرَةِ دِينِهِ، وَقَالَ السَّيِّدِي وَابْنُ جَرِيرٍ: ﴿مَنْ أَنْصَارِي﴾ إِلَى اللَّهِ ﴿إِلَّا عَمْرَانُ: ٥٢﴾: مع الله. وقال الحسن وأبو عبيدة: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: «في»؛ أي: من أعواني في الله؛ أي: في ذات الله وسبيله.

[٥٣] ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ مِنَّا وَإِنَّا لَنَكُونُ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ من الإنجيل ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَأَكْبَرْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لك بالوحدة والرسول بالصدق. قال - تعالى :-

[٥٤] ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي: كفار بني إسرائيل بعيسى؛ إذ وُكِّلُوا به من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ بهم؛ بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه^(١) ورفع عيسى إلى السماء ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٥٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَسْمَعَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿وَرَأَيْكَ﴾ إليك من الدنيا من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ مبعذك ﴿وَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاحِلَ الَّذِينَ أَتَعَرَّكَ﴾ صدقوا بنوتك من المسلمين والنصارى ﴿فَوَقَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك؛ وهم: اليهود؛ يعلنونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَمَنَّمَا يَشَاءُ مِمَّا بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

[٥٦] ﴿فَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْرِضْهُمْ عَدَاكَ شَكِيدًا فِي الْأَذْنَانِ﴾ بالقتل والسبي والجزية ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ بَيْنَ نَصْرِي﴾ مانعين منه.

[٥٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَصَلُّوا الصَّلَاةَ فَيُؤْتِيهِمُ الْبَالَاءُ وَانْتَوَى﴾^(٢) ﴿أَجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: يعاقبهم^(٣)؛ روي أن الله - تعالى - أرسل إليه سحابة فرفعت؛ ففعلت به أمه وتكثرت؛ فقال لها: إن القيامة تجمعنا. وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أمه بعده ست سنين^(٤). وروي الشيخان حديث: «إنه ينزل قرب الساعة، ويحكم بشريعة نبينا، ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية»^(٥). وفي حديث مسلم: «إنه يمكث سبع سنين»^(٦). وفي حديث عند أبي داود الطيالسي: أربعين سنة، ويتوفى ويصلى عليه^(٧). فيحتمل أن المراد مجموع ليله في الأرض قبل الرفع وبعد.

[٥٨] ﴿وَذَلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿تَنَلُّوهُ﴾ نقصه ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمِنَ الْأَيْدِي﴾ حال من الهاء في ﴿تَنَلُّوهُ﴾، وعامله ما في ﴿وَذَلِكَ﴾ من معنى الإشارة^(٨) ﴿وَالَّذِي أَحْكَمَ﴾ المحكم؛ أي: القرآن.

[٥٩] ﴿إِنِّي مَكَّلَ عَيْسَى﴾ شأنه الغريب ﴿عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ مَادَمَ﴾ كشأنه في خلقه من غير أب، وهو من تشبيه الغريب بالأغرب؛ ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ﴿خَلَقْتُم مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بشرا ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فكان؛ وكذلك عيسى قال له: «كن» من غير أب؛ فكان.

[٦٠] ﴿أَلَحَىٰ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أمر عيسى ﴿فَلَا تَكُنْ مِّنَ الْمُتَذَكِّرِينَ﴾ الشاكرين فيه.

[٦١] ﴿فَمَن حَاجَّكَ﴾ جادلك من النصارى ﴿فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأمره ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾ ﴿فَعَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَكُم وَأَبْنَاءَنَا وَبَنَاتَكُم وَبَنَاتَنَا وَكُفْرًا كُفْرًا﴾

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْبَرْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَسْمَعَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلَ الَّذِينَ أَتَّبَعُكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْرِضْهُمْ عَدَاكَ شَدِيدًا فِي الْأَذْنَانِ وَمَا لَهُمْ بَيْنَ نَصْرِي ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ تَنَلُّوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي أَحْكَمَ الْحَكِيمُ ﴿٥٨﴾ إِنِّي مَكَّلَ عَيْسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقْتُهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ أَلَحَىٰ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَذَكِّرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَن حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَبَنَاتَنَا وَبَنَاتَكُمْ وَنَفْسَنَا وَنَفْسَكُمْ ثُمَّ نَنْتَهِلْ فَجَعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦١﴾

وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فجمعهم ﴿ثُمَّ لَنْتَهُمْ﴾ تنضرع في الدعاء ﴿فَجَعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ بأن نقول: اللهم ألعن الكاذب في شأن عيسى. وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجوه به؛ فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك. فقال ذوو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما تأهل قوم نبيا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا. فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين، وفاطمة وعلي، وقال لهم: «إِذَا دَعَوْتُ فَأَمْنُوا»، فأبوا أن يلاعنا وصالحه على الجزية^(٩). [رواه أبو نعيم]. وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون، لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا. وروي: لو خرجوا لاحترقوا.

(١) وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: إن الذي صلب شاب من تلاميذ المسيح، ويقتل مكانه ليكون رفيقه في الجنة. الدر المنثور [٢/٢٧٢].

(٢) بالنون، للسبعة عدا حفص.

(٣) وهذا تأويل سبق التنبيه والرد عليه وإثبات صفة الحب لله ﷻ على الوجه الذي يليق به سبحانه، ومن لازم عدم محبته سبحانه لهم أنه يعاقبهم.

(٤) وهذا تأويل ثاب به سنة صحيحة وهو أشبه بالإسرائيليات التي يتوقف في القول بها.

(٥) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٦) مسلم (٢٩٤٠).

(٧) وأخرجه أحمد وأبو داود (٤٣٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٣٥)، والصحيحة (٢١٨٢)، من حديث أبي هريرة، وفيه: «وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ».

(٨) لأنه مضمن معنى «أشيرة»، واعترض ذلك بأن العامل في الحال هو العامل في صاحبها، وصاحبها هو الهاء في: ﴿تَنَلُّوهُ﴾؛ فالعامل هو: ﴿تَنَلُّوهُ﴾. قال بعضهم معتذرا عن المفسر: بأنه خلط إعرابا بآخر.

(٩) أخرجه أبو نعيم في الدلائل كما في الدر المنثور (٢٣٢/٣) وأصله عند مسلم (٢٤٠٤).

فيجزيهم، وفيه وضع الظاهر موضع المضمَر.

[٦٤] ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى: ﴿تَمَتَّلُوا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوِيَّةٍ مَّصْدَرَةٍ، بِمَعْنَى: مَسْتَوٍ أَمْرُهَا ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هِيَ: ﴿أَنَّ نَ لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما اتخذتم الأَحْبَارَ والرَّهْبَانَ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَعْرَضُوا عَنِ التَّوْحِيدِ ﴿فَقُولُوا﴾ أَنْتُمْ لَهِم: ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ مَوْحِدُونَ. وَتَزَلَّ - لَمَّا قَالَ الْيَهُودُ: إِبْرَاهِيمَ يَهُودِي وَنَحْنُ عَلَى دِينِهِ. وَقَالَتِ النَّصَارَى كَذَلِكَ -: [٦٥] ﴿يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ تَخَاصُمُونَ ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ بَزَعَكُمْ أَنَّهُ عَلَى دِينِكُمْ ^(١) ﴿وَمَا أَزَلَّتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بِزَمْنٍ طَوِيلٍ، وَبَعْدَ نَزُولِهِمَا حَدَّثَتِ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بَطْلَانُ قَوْلِكُمْ؟! [٦٦] ﴿هَٰذَا لِلنَّبِيِّ﴾ أَنْتُمْ ﴿مَبْدَأُ﴾ يَا هَٰؤُلَاءِ ﴿وَالْخَبَرِ﴾ حَاجِبٌ شَرٌّ فِيمَا لَكُمْ بِهِ، عَلِمَ مِنْ أَمْرِ مُوسَى وَعِيسَى وَزَعَمَكُمْ أَنْكُمْ عَلَى دِينِهِمَا ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ مِنْ شَأْنِ إِبْرَاهِيمَ ﴿وَاللَّهُ يَمْلِكُ شَأْنَهُ﴾ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

[٦٧] قَالَ - تَعَالَى - تَبَرُّهُ لِبَرَاهِيمَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ مَائِلًا عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَى الدِّينِ الْقِيمِ ﴿مُسْلِمًا﴾ مَوْحِدًا ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[٦٨] ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ﴾ أَحَقُّهُمْ ﴿بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ فِي زَمَانِهِ ﴿وَهَٰذَا النَّبِيُّ﴾ مُحَمَّدٌ، لِمَوَافَقَتِهِ لَهُ فِي أَكْثَرِ شَرْعِهِ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ مِنْ أَمْتِهِ، فَهَمَّ الَّذِينَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولُوا: نَحْنُ عَلَى دِينِهِ. لَا أَنْتُمْ ﴿وَاللَّهُ وَفِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٢) نَاصِرَهُمْ وَحَافِظَهُمْ. وَتَزَلَّ - لَمَّا دَعَا الْيَهُودَ مُعَاذًا وَحَدِيفَةً وَعِمَارًا إِلَى دِينِهِمْ -:

[٦٩] ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لِأَنَّ إِيْمَ إِضْلَالِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ لَا يَطِيعُونَهُمْ فِيهِ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بِذَلِكَ.

[٧٠] ﴿يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الْقُرْآنِ الْمُشْتَمَلِ عَلَى نِعَتِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ؟!

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ^(٣) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَمَتَّلُوا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوِيَّةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَزَلَّتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ^(٤) هَٰذَا نَشْرُ هَٰؤُلَاءِ حَاجِبٌ شَرٌّ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ^(٥) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^(٦) إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ^(٧) وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ^(٨) يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ^(٩)

[٦٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الْمَذْكُورَ ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ الْخَبَرُ ﴿الْحَقُّ﴾ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَيْكَ اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي مُلْكِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي صَنْعِهِ.

[٦٣] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾

(٥) فائدة: أشرح الترمذي عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَلَاءَةً مِنَ الْبَيْنِ، وَإِنْ وَلِيَ أُمِّي وَعَلِيلٌ رَبِّي». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤) سورة آل عمران. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٩٤).

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١٨١، ١٨٠/٢)، ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٢١٦/٣)، والبيهقي في الدلائل (٣٨٤/٥) عن ابن عباس، وضعفه في الاستيعاب (٢٥٩/١، ٢٦٠).

[٧١] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ بالتحرif والتزوير ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ أي: نعت النبي ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق!^(١)

[٧٢] ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود لبعضهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَنْزَلَ عَلَى الْآلِينِ ءَامَنُوا﴾ أي: القرآن ﴿وَتَجِبَ الْكَهَارُ﴾ أوله ﴿وَكَفَرُوا﴾ به ﴿يَا أَيُّهَا الْعَالَمُونَ﴾ أي: المؤمنون ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن دينهم؛ إذ يقولون: ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه. وقالوا أيضًا: [٧٣] ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا ﴿إِلَّا لِمَن﴾ اللام زائدة^(٢) ﴿تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمْ﴾ قال - تعالى -: ﴿قُلْ لَّهُمْ يَا مُحَمَّد: إِنَّ إِلَهِي هَذَا إِلَهُ اللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام، وما عداه ضلال، والحيلة اعتراض^(٣) ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿يُؤَيِّدَ أَكْثَرُ نَفْسٍ مَّا أُوْتِيتُمْ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل، و﴿أَنْ﴾ مفعول «تؤمنوا»، والمستثنى منه «أحد»^(٤) قدم عليه المستثنى؛ المعنى: لا تقروا^(٥) بأن أحدًا يؤتى ذلك إلا لمن اتبع دينكم ﴿أَوْ﴾ بأن ﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾ أي: المؤمنون يغلبوكم ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ يوم القيامة؛ لأنكم أصبح دينًا، وفي قراءة: ﴿أَنْ﴾^(٦) بهزة التوسيع^(٧) أي: أيًا^(٨) أحد مثله تقرأون به؟ قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿وَاللَّهُ وَسِعَ﴾ كثير الفضل ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بمن هو أهله.

[٧٤] ﴿يَخْضَعُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٧٥] ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن﴾ إن تأمنه يقنطار^(٩) أي: بمال كبير ﴿يُؤَدُّ إِلَيْكَ﴾ لأمانته؛ كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفًا ومائتي أوقية ذهبًا فأداها إليه ﴿وَمِنْهُمْ مَن﴾ إن تأمنه يدينار^(١٠) لا يؤدُّه إليك^(١١) لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ لا تفارقه، فمضى فارقه أنكره؛ كعبد بن الأشرف استودعه قرشي دينارًا ففجده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ترك الأداء ﴿يَأْتُهُمْ قَالُوا مَا سَبَّبَ قَوْلُهُمْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ﴾ أي: العرب ﴿سَبِيلٌ﴾ أي: إنهم لاستحلالهم ظلم مَن خالف دينهم، ونسبوه إليه - تعالى -، قال - تعالى -: ﴿وَيَقُولُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

[٧٦] ﴿بَلْ﴾^(١٢) عليهم فيهم سبيل ﴿مَن أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ الذي عاهد عليه، أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿وَأَتَّقِ﴾ الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر^(١٣) أي: يحبهم؛ بمعنى: يشيهم^(١٤). ونزل في اليهود لما بدلوا نعت

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجِبَ الْكَهَارُ أُولَٰئِكَ أَكْثَرُ نَفْسٍ مَّا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفَضَائِلِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْإِلَهَ هَذَا إِلَهُ اللَّهِ أَن يُؤْتِيَ أَحَدًا بِذِكْرِ اللَّهِ إِذَا شَاءَ وَاللَّهُ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا يَخْضَعُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٣﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِن تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِن تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ بَلْ مَن أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

النبي ﷺ وعهد الله إليهم في التوراة^(١٥)، وفيمن حلف كاذبًا في دعوى أو في بيع سلعة: [٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي وأداء الأمانة ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ حلفهم به - تعالى - كاذبين ﴿فَمَنَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ﴾ نصيب ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ غضبًا^(١٦) ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ يرحمهم^(١٧) ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وَلَا يُزَكِّيهِمْ يطهرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم^(١٨).

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلًا أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعصى بها ما لم يعط، يوقع فيها رجلًا من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ البخاري - كتاب البيوع (٣٤) باب (٢٧) ما يكره من الحلف في البيع.

(١) الأولى أن يضمن الإيمان هنا معنى الاتقياء والتسليم والإقرار، فيكون المراد: فصلده واتبعه متفادًا لما جاء به، كما هو معناه الشرعي؛ فلا تكون اللام زائدة، ونظير ذلك قوله - تعالى -: ﴿فَقَامَ لَمْ يُؤْتِ﴾. والله أعلم. (٢) أي: بين العامل والمفعول. (٣) هذا باعتبار أن اللام في قوله: ﴿لِمَن﴾ زائدة، أما على عدم تقدير زيادتها فالمستثنى منه محذوف تقديره: ولا تؤمنوا؛ أي: تقروا وتعترفوا وتصرحوا لأحد من الناس بأن أحدًا يؤتى مثل ما أوتيتم من الفضائل واليكالات إلا لشخص اتبع دينكم. (٤) ضغن المفسر ﴿تُؤَيِّدُ﴾ معنى: تقروا؛ لتكون اللام في قوله: ﴿لِمَن﴾ أصلية. (٥) لاين كبير، وعلى هذه القراءة يكون هذا الكلام مستأنفًا. (٦) أي: بهزة الاستفهام الذي هو للتوبيخ مع الإنكار.

(٧) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنْ يُؤَيِّدَ أَكْثَرُ نَفْسٍ مَّا أُوْتِيتُمْ﴾ في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف تقديره: تقرأون به. (٨) إضراب إبطائي، وهو ممن عن جملة قدرها المفسر بقوله: «عليهم فيهم سبيل». (٩) وكان مقتضى الظاهر أن يقول: «فإن الله يحبه»، وهذا للاعتناء بشأن المؤمنين، وإشارة إلى عمومته لكل مؤمن. (١٠) وهذا تأويل غير جائز لهذه الصفة، وسبق بيان فساده، وبيان مذهب السلف في صفات الله ﷻ مراؤا. (١١) ذكره ابن حجر في المحاب (٧٠٢/٢) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وقال في الفتح (٢١٣/٨): «وقص الكلبي في تفسيره في ذلك قصة طويلة، وهي محتملة أيضًا، لكن المعتقد في ذلك ما ثبت في الصحيح». والكلبي وأبو صالح متهمان بالكذب؛ فالحديث موضوع. (١٢) أي: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسرهم، ولكن يمكن أن يكلمهم كلامًا يسوؤهم كما في قوله - سبحانه - لهم: ﴿أَنْتُمْ فِيهَا لَا تَكَلُمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وفي هذه الآية وغيرها إثبات صفة الكلام لله - سبحانه - على الوجه اللائق به كما هو مذهب السلف. (١٣) أي: لا ينظر إليهم نظر رحمة وإحسان، ومن لازمها: إثبات أنه ينظر للمؤمنين نظر رحمة، وفي هذا إثبات صفة البصر له على الوجه اللائق به كما جاء صريحًا في غير آية.

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرَاقًا يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَالِيَّةَ وَالنَّيِّسَ أَرْبَابًا أَيَا أَمْرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَلَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكَ إِمْرًا قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٨] ﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرَاقًا يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ﴾ طائفة؛ ككعب بن الأشرف ﴿يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ﴾ أي: يعطونها بقرآته عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: الحرف ﴿وَالْكِتَابِ﴾ الذي أنزله الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم

كاذبون. ونزل - لما قال نصارى نجران: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًا. أو لما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ: [٧٩] ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ أي: الفهم للشرعية ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ ثم يقول للناس كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ علماء عاملين منسوبيين إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيماً ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ بالضعيف والتشديد (٨٠) ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالرفع (٨١) بسبب ذلك؛ فإن فائدته أن تعملوا. [٨٠] ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالرفع (٨٢) استئنافاً؛ أي: الله (٨٣)، والنصب عطفًا على ﴿يَقُولُونَ﴾؛ أي: البشر (٨٤) أن تتخذوا للمالكية والنبيين أرباباً ﴿كَمَا اتَّخَذَتِ الصَّابِغَةُ الْمَلَانِكَةَ﴾ واليهود عزيراً، والنصارى عيسى ﴿أَيَا أَمْرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لا ينبغي له هذا (٨٥).

[٨١] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ عهدهم ﴿لَمَّا﴾ بفتح اللام؛ للابتداء وتوكيد معنى القسم (٨) الذي في أخذ الميثاق، وكسرهما متعلقة بـ «أخذ» (٩)، و«ما» موصولة على الوجهين؛ أي: للذي ﴿آتَيْنَاكُمْ﴾ إياه، وفي قراءة: ﴿آتَيْنَاكُمْ﴾ (١٠) ﴿وَمِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة؛ وهو: محمد ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ جواب القسم: إن أدركنموه، وأتممهم تبع لهم في ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم: ﴿أَقْرَبْنَا﴾ بذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَى ذَلِكَ إِمْرًا﴾ عهدي؟ ﴿قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم. [٨٢] ﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٨٣] ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ بالياء والتاء (١١)؛ أي: المتولون ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ بلا إباء ﴿وَكَرْهًا﴾ بالسيف ومعابنة ما يلجئ إليه ﴿وَالَّذِينَ تَرْتَابُونَ﴾ بالياء (١٢)، والهمزة في أول الآية للإنكار.

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره (٣/٣٢٥)، وعزاه في الدر المنثور للبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عن أبي رافع القرظي. وضعفه في الاستيعاب (١/٢٦٨).

(٢) أخرجه عبد بن حميد عن الحسن كما في الدر المنثور (٣/٢٥٠). وهو ضعيف مرسل كما في الاستيعاب (١/٢٦٩).

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، ويكون مع فتح التاء وسكون العين. وقرأ بقية السبعة: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتشديد مع ضم التاء وفتح العين.

(٤) أي: بضم الراء، قراءة نافع وابن كثير والكسائي. وقرأ أبو عمرو وبخلف عن الدوري: ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ بسكون الراء، وبقية السبعة: ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ بالفتح.

(٥) أشار بذلك إلى أن فاعل ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ - بالرفع - ضمير مستتر عائد على «الله».

(٦) أي: على هذا التقدير يكون فاعل ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ - بالنصب - ضميراً مستتراً عائداً على «بشر».

(٧) أشد بهذا إلى أن الاستفهام إنكاري تعجبي.

(٨) أي: مؤكدة لليقين المأخوذ من الميثاق؛ فإنه تقدم أن معنى الميثاق عهد مؤكد يمين.

(٩) أي: على أنها للتعليل ﴿لَمَّا﴾؛ أي: لرعاية وحفظ ما أتيتكم، وهي قراءة حمزة.

(١٠) لنافع.

(١١) بالياء لأبي عمرو وحفص، وبالطاء للباقيين.

(١٢) بالياء قراءة حفص، وقرأ بقية السبعة بالياء.

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِالصِّدْقِ
وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ^(٥) وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ^(٦) لَمَصِيرِهِ إِلَى النَّارِ الْمَوْجُودَةِ عَلَيْهِ.

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ أَي: لَا يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
وَشَهِدُوا أَنَّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ حَقٌّ وَ﴿قَدْ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(٧)
الْحُجُجُ الظَّاهِرَاتُ عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أَي:
الْكَافِرِينَ.

[٨٧] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّا عَنَيْنَاهُمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أَي: اللَّعْنَةُ أَوْ النَّارُ الْمَدْلُولُ بِهَا عَلَيْهَا ﴿لَا يَخَفُفُ
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يُخْلَعُونَ.

[٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عَلَيْهِمُ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾^(٨) بِهِمْ. وَنَزَلَ فِي الْيَهُودِ:

[٩٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيسَى﴾ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴿بِوَسْطَى ثَمَّ
أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بِمُحَمَّدٍ ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إِذَا غَرَّغُوا أَوْ مَاتُوا كُفْرًا
﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّالُّونَ﴾^(٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ لَأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ
أَفْتَدَىٰ بِهِ^(١٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ^(١١)

[٨٤] ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿إِنَّمَا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أَوْلَادِهِ ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بِالصِّدْقِ وَالتَّكْدِيبِ
﴿وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٥) مُخْلِصُونَ فِي الْعِبَادَةِ. وَنَزَلَ فِيمَنْ ارْتَدَ وَلَحِقَ
بِالْكُفَرَاءِ:

[٨٥] ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ﴾ لَمَصِيرِهِ إِلَى النَّارِ الْمَوْجُودَةِ عَلَيْهِ.

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ أَي: لَا يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
وَشَهِدُوا أَنَّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ حَقٌّ وَ﴿قَدْ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(٧)
الْحُجُجُ الظَّاهِرَاتُ عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أَي:
الْكَافِرِينَ.

[٨٧] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّا عَنَيْنَاهُمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أَي: اللَّعْنَةُ أَوْ النَّارُ الْمَدْلُولُ بِهَا عَلَيْهَا ﴿لَا يَخَفُفُ
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يُخْلَعُونَ.

[٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عَلَيْهِمُ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾^(٨) بِهِمْ. وَنَزَلَ فِي الْيَهُودِ:

[٩٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيسَى﴾ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴿بِوَسْطَى ثَمَّ
أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بِمُحَمَّدٍ ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إِذَا غَرَّغُوا أَوْ مَاتُوا كُفْرًا
﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّالُّونَ﴾^(٩)

[٩١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ
لَأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِهَا﴾ أَوْلَادِهِمْ أَوْ مَاتُوا كُفْرًا
﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّالُّونَ﴾^(٩) بِالْإِسْلَامِ وَإِذْنًا بِسَبَبِ عَدَمِ الْقَبُولِ عَنْ الْمَوْتِ عَلَى
الْكُفْرِ ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤَلَّمٌ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(١١)
مَانِعِينَ مِنْهُ.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ في الركعة الأولى، وفي الركعة الأخرى بهذه الآية: ﴿وَرَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَ
وَأَنبَتْنَا أَرْسُولًا فَاعْتَبْنَا مَعَ النَّبِيِّينَ﴾ أَوْ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (٢٩٢) في تخفيفها. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود
(١١٢٢).

(٦) ما جاء في نزول الآيت (٨٦ - ٨٩): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم تدم، فأرسل إلى قومه: سلوا لي رسول الله ﷺ، هل لي من نوبة؟
فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلاناً قد تدم، وإنه أمرنا أن نسألك: هل له من نوبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. فأرسل إليه
فأسلم. النسائي - كتاب تحريم الدم (٣٧)، باب (١٥) نوبة المرتد، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٩٢). واسم هذا الأنصاري: احارث بن سويد كما في المطالب العالية لابن
حجر (٣١٤/٣).

(١١) فيه حكاية بالمعنى؛ إذ المذكور في الآية ﴿الَّذِينَ﴾ لكن حكمهما واحد.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَمَنَ تَبْعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ طَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾

تكن على عهده حرامًا كما زعموا ﴿٩٢﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿قَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ ليتبين صدق قولكم ﴿٩٣﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فيه؛ فبهتوا ولم يأثروا بها. قال - تعالى: ﴿٩٤﴾ ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿قَاتُوا﴾ هُمُ الظَّالِمُونَ المتجاوزون الحق إلى الباطل. ﴿٩٥﴾ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ في هذا؛ كجميع ما أخبر به ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا عن كل دين إلى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. ونَزَلَ - لما قالوا: قبلتنا قبل قبلكم: ﴿٩٥﴾ ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ متبعًا ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ بآباءه، لغة في «مكة»، سميت بذلك؛ لأنها تلك أعناق الجبارة؛ أي: تدفقها، بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووضع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة؛ كما في حديث الصحيحين (١)، وفي الحديث: «أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض زبدته يضاء؛ فحدث الأرض من تحتها» (٢). ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من «الذي»؛ أي: ذا بركة ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه قبلتهم. ﴿٩٧﴾ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ منها (٣): ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت؛ فآثر قدامه فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه، ومنها: تضعيف الحسنات فيه، وأن الطير لا يعوله (٤) ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾ واجب، بكسر الحاء وفتحها (٥) لغتان في مصدر حج؛ بمعنى: قصد، ويدل من (٦) «الناس»: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ طريقًا؛ فشره ﴿بِالزَّادِ وَالزَّاجِلَةِ﴾ (٧). (رواه الحاكم وغيره) ﴿وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ أَوْ بما فرضه من الحج﴾ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم. ﴿٩٨﴾ ﴿قُلْ يَكْفُلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه. ﴿٩٩﴾ ﴿قُلْ يَكْفُلُ الْكِتَابُ لِمَ تَصَدُّونَ﴾ تَصَرُّفُونَ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بتكديكم النبي وكنتم نفعه ﴿تَبْعُونَهَا﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ مصدر؛ بمعنى: معوجة؛ أي: مائلة عن الحق ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ عالمون بأن الدين المرضي القيم هو دين الإسلام؛ كما في كتابكم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب، وإنما يؤخركم إلى وقتكم؛ ليجازيكم. ونَزَلَ - لما مرَّ بعض اليهود (٨) على الأوس والخزرج، وغاظهم تألفهم؛ فذكروهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن؛ ففشا جروا وكادوا يقتلوا: ﴿١٠٠﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ طَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾.

﴿٩٢﴾ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي: ثوابه؛ وهو: الجنة ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا﴾ تَصَدَّقُوا ﴿وَمِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازي عليه (١). ونَزَلَ - لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها (٢): ﴿٩٣﴾ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا﴾ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ وهو الإبل لما حصل له عرق الشَّما - بالفتح والقصر؛ فندر إن شفي لا يأكلها فحرم عليه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم، ولم

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نحلًا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد. وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها، طيب قال: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿قُلْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء. وإنما صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعاها يا رسول الله حيث أراك الله. قال رسول الله ﷺ: «خير». ذلك مال رابع، وإني سمعت ما قلت. وإني أرى أن يجعلها في الأقرين» قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. قسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة آل عمران (٣) باب (٥).

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٧٥)، (٧٦)، والمخالف في العجائب (٧١٦/٢)، عن الكلبي وأبي ورق، وهو موضوع كما في الاستيعاب (٢٧٤/١)، (٢٧٥).

(٢) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) من حديث أبي ذر وليس فيه أن الذي بناه الملائكة.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره من طريق عبد الله بن عمرو ومجاهد موقوفًا عليهما. وعزه في الدر المنثور للطبراني والبيهقي في شعبه عن عبد الله بن عمرو [الدر المنثور (٢٦٥/٤)].

(٤) أشار الشارح بذلك أن آياته لا تنحصر في هذين المائتين؛ ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، وإنما خصهما بالذكر؛ لعظمتهما، وأنها تقوم بهما الحجة على الكفار؛ إذ هم مبركون لهما بحواسمهم.

(٥) ليس على هذا دليل والواقع على خلافه إذ إن الطير يعوله ويجلس على سقفه كما هو مشاهد.

(٦) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة. (٧) أي: بدل بعض من كل، ولعلنا محذوف تقديره: منهم.

(٨) الحاكم في المستدرک (٤٤٢/١)، وابن ماجه (٢٨٩٦)، والترمذي (٨١٣) من حديث ابن عمر، والدارقطني من حديث أنس، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٣٥).

(٩) أخرجه ابن إسحاق في الغاري (١٨٥/٢) عن زيد بن أسلم، ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٧، ١٦/٤)، وضعفه الحاكم إسناده في الإصابة (٨٧/١)، وهذا اليهودي قيل اسمه: شاس بن

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَنَقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَعْرُوفٍ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾

[١٠١] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجب وتوبيخ ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ بَانَ يَطَاعُ ﴿فَلَا يَغْفِي﴾، وَيُشَكِّرُ فَلَا يَكْفُرُ، وَيَذْكُرُ فَلَا يُنْسِي؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ هَذَا؟ ﴿فَتَسَبَّحْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى﴾: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(١). ﴿وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ موجدون.

[١٠٣] ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ تَمَسَّكُوا ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ بعد الإسلام ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إِنْعَامَهُ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إِذْ كُنْتُمْ﴾ قبل الإسلام ﴿أَعْدَاءً﴾ قَالَتْ جَمْعٌ ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ فَصَرَّمْ ﴿بِنِعْمَتِهِ﴾ إِخْوَانًا ﴿فِي الدِّينِ وَالْوَلَايَةِ﴾ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا ﴿طَرَفٍ﴾ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴿لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُوتُوا كَفَرًا﴾ قَالَتْ كُمْ وَتَبَّهَا بِالْإِيمَانِ ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا بَيْنَ لَكُمْ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.

[١٠٤] ﴿وَلَتَكُنَّ بَيْنَكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الْفَائِزُونَ، وَ﴿مِنْ﴾ لِلتَّبَعِضِ^(٢)؛ لَأَنْ مَا ذَكَرَ فَرَضَ كِفَايَةً لَا يَلِمْ كُلَّ أُمَّةٍ، وَلَا يَلِيقُ بِكُلِّ أَحَدٍ؛ كَالْجَاهِلِ.

[١٠٥] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ عَنْ دِينِهِمْ ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ فِيهِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُمْ بَيِّنَاتٍ﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٦] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وَهُمْ الْكَافِرُونَ فَيَلْقَوْنَ فِي النَّارِ وَيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يَوْمَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[١٠٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٣) أي: جَنَّتِهِ ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ أي: هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ بَانَ يَأْخُذُهُمْ بِغَيْرِ جَرَمٍ.

- قيس. وجاء نحوه عن معاهد كما في تفسير الطبري (١٧/٤). وضعفهما في الاستيعاب (٢٧٩/١، ٢٨٠).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد، وعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في الناسخ والطبراني والحاكم وصححه ابن مردويه عن ابن مسعود. [الدر المنثور (١٠٥/٢)].

(٢) العنان: ١٦.

(٣) وفي: صلة؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ بَيْتِكُمْ مِنَ الْأَوْتَانِ﴾ [الحج: ٣٠] لم يرد اجتناب بعض الأوتان، بل أراد: فاجتنبوا الأوتان. قال ابن كثير: المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُؤَمِّرْهُ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُشَارِكْهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُغْلِبْهُ، وَكَذَلِكَ أَسْعَفُ الْإِيمَانِ﴾ [تفسير ابن كثير (٣٦٨/١)].

(٤) محكي هذا عن أبي ثني كعب. وقال الحسن: هم المنافقون تكلّموا بالإيمان بالسنتهم وأكثروا بقلوبهم. وعن عكرمة أنهم أهل الكتاب، آمنوا بأنبيائهم ومحمد ﷺ قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به. والآية - والله أعلم - تحذير لهذه الأمة أن يسلكوا سبيل الفرق والاختلاف في الدين كما سلكه من قبهم من اليهود والنصارى حتى ربما أدى بهم إلى الكفر. والعياذ بالله. بعد إيمانهم، فيقال بهم كما قيل لهؤلاء: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، ويشهد له قوله تعالى: ﴿فِي أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعِصْمَةِ بِحَبْلِ اللَّهِ وَبِهِمْ عَنِ الْفِرْقِ بَعْدَ أَنْ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

(٥) فيها إثبات صفة الرحمة لله - سبحانه.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَلَنْ يَفْتَلُوَكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ إِلَّا دَبَارَ شَيْءٍ لَا يَصُرُونَ ﴿٢١﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ أَلْذَلَّةَ آيِنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءَ وَبَغَضِبِ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَةً أَلِيلٍ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿٢٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾

أُخْرِجَتْ أَظْهَرَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ كعب الله بن سلام ﷺ وأصحابه ﷺ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ الكافرون.

[١٩] ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ﴾ أي: اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إِلَّا أَذًى﴾ باللسان من سب ووعيد ﴿وَلَنْ يَفْتَلُوَكُمْ﴾ يُولُّوكم الْأَدْبَارَ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يَصُرُوكُمْ﴾ عليكم؛ بل لكم النصر عليهم.

[٢٠] ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ أَلْذَلَّةَ آيِنَ مَا تُقِفُوا حينما وجدوا؛ فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿إِلَّا﴾ كاتين ﴿وَيَحْبِلُ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ (١) المؤمنين؛ وهو: عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية؛ أي: لا عصمة لهم غير ذلك (٢) ﴿وَبَآءَ وَبَغَضِبِ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ﴾ تأكيداً ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أمر الله ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام.

[٢١] ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي: أهل الكتاب ﴿سَوَاءً﴾ مستويين ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مستقيمة ثابتة على الحق؛ كعب الله بن سلام ﷺ وأصحابه ﷺ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَةً أَلِيلٍ أي: في ساعاته ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يصلون، حال.

[٢٢] ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ومنهم من ليسوا كذلك، وليسوا من الصالحين.

[٢٣] ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ بالباء (٣) أيها الأمة، والباء؛ أي: الأمة القائمة ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ بالوجهين (٤)؛ أي: تعدوا ثوابه؛ بل تجازون عليه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٥).

[١٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَيْدًا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ تصير.

[٢٠] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يا أمة محمد في علم الله - تعالى - خَيْرَ أُمَّةٍ

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام. البخاري - كتاب التفسير

(٦٥) - سورة آل عمران (٣) باب (٧) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (١١٣-١١٥) أخرج أحمد عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم حرج إلى المسجد إذا الناس ينتظرون الصلاة.

قال: أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم. قال: وأزل هؤلاء الآيات: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾

أحمد - المسند (٣٩٦/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٧٦٠).

(١) يعني: إلا بعهد من الله، وهو أن يسلموا.

(٢) لكن إن كان اعتصامهم بحبل من الله بأن يسلموا ارتفع عنهم الذل وعصموا نفوسهم وأموالهم، وإن كان من الناس فقد عصموا نفوسهم وعاشوا في ذل.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) أي: الباء والتاء، بالناء لمن سبق ذكرهم.

[١١٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ أَي: من عذبه ﴿سَيِّئًا﴾ وخصهما بالذكر؛ لأن الإنسان يدفع عن نفسه نارة بفداء المال، وثارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١١٧] ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الكفار ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي أو صدقة ونحوها^(١) ﴿كَمَثَلٍ يَبِيعُ فِيهَا صِرًّا﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْتَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والعصية ﴿فَأَهْلَكْنَاهُ﴾ فلم ينتفعوا به؛ وكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بضياغ نفقاتهم ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجب لضيعاعها.

[١١٨] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ أصفياء تطلعونهم على سرهم ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لَا يَأُولِيكُمْ حَبَالًا﴾ نصب بنزع الحافض؛ أي: لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّوا﴾ تمنا ﴿وَمَا عَيْنُهُمْ﴾ أي: عتقكم؛ وهو: شدة الضرر ﴿فَقَدْ بَدَتْ﴾ ظهرت ﴿الْبَغْضَاءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنْ أَقْوَاهُمْ﴾ بالوقعة فيكم وإطلاع المشركين على سرهم ﴿وَمَا تُخْفِي بُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ ذلك فلا توالوهم.

[١١٩] ﴿هَا﴾ للتبعية ﴿أَنْتُمْ﴾ يا ﴿أَوْلَادُ﴾ المؤمنين ﴿يُحِبُّوهُمْ﴾ لغرائبهم منكم وصدقاتهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لخالفتمكم لكم في الدين ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بالكتب كلها، ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَظِيمًا﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنْ الْقَيْظِ﴾ شدة الغضب؛ لما يرون من اختلافكم، ويعبر عن شدة الغضب بعض الأنامل مجازًا، وإن لم يكن ثمَّ غَضٌّ ﴿فَلَمْ يُولَوْا يَعْظِمُكُمْ﴾ أي: افقوا عليه إلى الموت^(٢)؛ فلن تروا ما يسركم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، ومنه ما يضمه هؤلاء.

[١٢٠] ﴿إِنْ تَسْتَكْبِرُوا﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةً﴾ نعمة؛ كنصر وغنيمة ﴿تَسُوْهُمْ﴾ تخزيهم ﴿وَإِنْ تُصَبِّحُوا سَيِّئَةً﴾ كهزيمة وجذب ﴿يَقْرَحُوا بِهَا﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل، وما بينهما اعتراض؛ والمعنى: أنهم متناهون في عداوتكم؛ فلم توالوهم؟! فاجتنبوهم ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَقْتُلُوا﴾ الله في مواليتهم وغيرها ﴿[يَضْرِبُكُمْ]﴾ بكسر الضاد، وسكون الراء^(٣) وضمها وتشديدها^(٤) ﴿كَيْدَهُمْ سَيِّئًا﴾ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿بَالِيَاءٌ﴾ والتاء^(٥) ﴿مُحِيطٌ﴾ عالم^(٦)؛ فيجازيهم به.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلٍ يَبِيعُ فِيهَا صِرًّا أَصَابَتْ حَرْتَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْنَاهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ حَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهُمْ وَمَا تُخْفِي بُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآؤُنَا أَوْلَادُ يُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَظِيمًا أَلَا تَأْمَلُونَ مِنَ الْقَيْظِ قُلْ مَوْثُؤُا يَعْظِمُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَسْتَكْبِرُوا تَسْأَلُهُمْ وَإِنْ تُصَبِّحُوا سَيِّئَةً يَقْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَاتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

[١٢١] ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿تُبَوِّئُ﴾ تنزل ﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا﴾ مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ﴾ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴿لَأَقْوَامِكُمْ﴾ بأحوالكم؛ وهو يوم أحد؛ خرج النبي ﷺ بألف أو إلا خمسين رجلا، والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وسوى صفوفهم، وأجلس جيشًا من الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل، وقال: «انضحوا غثًا بالثبي، لا يأتون من ورائنا، ولا تبرزوا غلبتنا أو نصرتنا»^(٧).

(١) كصلة الرحم ومواساة الفقراء.

(٢) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به، أو باشتداده إلى أن يهلكهم.

(٣) من صار يضير، وهذه القراءة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: تشديد الزاء مع ضم الضاد من ضَرْبٍ يضْرُ، وهي قراءة بقية السبعة.

(٥) قراءة المشرة بالياء، والقراءة بالتاء شاذة، وقد سها السيوطي عن التنبيه إلى ذلك كما جرت عادته بأن يقول عن القراءة الشاذة: وقرئ.

(٦) فهو - سبحانه - محيط بهم وأبعالهم ومكائدهم، حافظ له، لا يعزب عنه شيء منه.

(٧) لم أعره عليه بهذا اللفظ لكن أخرجه البخاري (٣٧٣٧) من حديث البراء بن عازب نحوه.

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾ لِيُثْبِتُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِ. وَتَزَلَّ . لما هزموا تذكروا لهم
 بنعمة الله .: [١٢٣] ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ موضع بين مكة والمدينة
 ﴿وَأَنْتُمْ أُولُوهُ﴾ بقلعة العدد والسلاح ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ نعمه.
 [١٢٤] ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ «نصركم» ﴿نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تودعهم تطمينا:
 ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُثَبِّتَكُمْ﴾ يعينكم ﴿رِزْقَكُمُ بِلَيْثَةٍ﴾ بثلثة علف من اللثيمة
 مُزْلِينَ ﴿بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ﴾^(٩).

[١٢٥] ﴿بَلَى﴾ يكفيكم ذلك، وفي الأنفال ﴿بَلَى﴾؛ لأنه أمدهم أولا
 بها، ثم صارت ثلاثة، ثم صارت خمسة؛ كما قال - تعالى -: ﴿إِنْ تَصْبِرُوا﴾ على
 لقاء العدو ﴿وَتَتَّقُوا اللَّهَ فِي الْحَالِفَةِ﴾ وبأوتوكم أي: المشركون ﴿مِنْ قَوْرِهِمْ﴾
 وقتهم ﴿هَذَا يَبْدُوذَكُمْ رِزْقَكُمُ بِخَمْسَةِ عِلْفٍ مِنَ اللَّيْثِ﴾ مَسْؤِمِينَ ﴿بِكِسْرِ الْوَاوِ﴾
 وفنحها^(١٠)؛ أي: مُعْلِينَ، وقد صبروا وأنجز الله وعده، بأن قاتلت معهم الملائكة
 على خيل بلق، عليهم عمام صفراء^(١١) أبيض^(١٢)، أرسلوها بين أكفاهم.

[١٢٦] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾ بالنصر
 ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقتلكم ﴿وَمَا
 أَنْصَرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يؤتيه من يشاء، وليس بكثرة الجند.

[١٢٧] ﴿لِيَقْطَعَ﴾ متعلق بـ «نصركم»؛ أي: ليهلك ﴿حَطَرًا مِنَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾ يرجعوا
 ﴿حَآبِيْنَ﴾ لم ينالوا ما راموه. وَتَزَلَّ . كما كُثِرَتْ رِثَائِيَّتُهُ ﷺ، وشجَّ وخجَّه
 يَوْمَ أُحُدٍ، وقال: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَعُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْذَّمِّ؟»^(١٣) .:
 [١٢٨] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بل الأمر لله فاصبر ﴿أَوْ﴾ بمعنى: «إلى»
 أن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ بالكفر.
 [١٢٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعِيدًا
 ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَاللَّهُ
 عَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته.

[١٣٠] ﴿يَتَأْتِيهَا الْيَتِيمَ أَمَامًا لَا تَأْكُلُ أَرْبَا أَضْعَفًا مِّمَّصْعَفَةً﴾
 بألف ودونها^(١٤)؛ بأن تريدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب
 ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تَلْحَقُونَ﴾ تفوزون. [١٣١] ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ
 الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أن تعذبوا بها. [١٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَارْضَوْا
 لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

(٩) ما جاء في نزول الآية (١٢٨): أخرجه البخاري عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر، يقول: «اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا»، بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»؛ فأقول الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى قوله: ﴿ظَالِمُونَ﴾. البخاري كتاب التفسير (٦٥). سورة آل عمران (٣) باب (٩).
 وأخرج مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رِثَائِيَّتِهِ يوم أُحُدٍ، وشجَّ في رأسه، فجعل يسيل الدم عنه، ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رِثَائِيَّتَهُ، وهو يدعوهم إلى الله؟»
 فأقول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ مسلم - كتاب الجهاد والسير (٦٤) باب (٣٧) غزوة أُحُدٍ.
 قال الحافظ في الفتح (٧٥/٨): «طريق الجمع بينه وبين حديث ابن عمر أنه ﷺ دعا على المذكورين بعد ذلك في صلاته؛ فنزلت الآية في الأمرين معا؛ فيما وقع من الأمر المذكور، وفيما نشأ عنه من الدعاء عليهم. وذلك في أحد...».

(١) بالتشديد، ومعه فتح اللون، قراءة ابن عامر.
 (٢) قراءتان سبعيتان، وهي بالكسر: اسم فاعل؛ والمعنى: معلمين أنفسهم آداب الحرب، وبالفتح: اسم مفعول؛ بمعنى: أن الله علمهم آدابه، وبالفتح قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عمر.
 (٣) هذا ما رواه أبو نعيم في «فضائله» عن عروة بن الزبير: «كَانَتْ عَمَامَةُ جَبْرِيلَ يَوْمَ بَدْرٍ صَفْرَاءَ؛ فَتَزَلَّتِ اللَّيْثِيَّةُ كَذَلِكَ».
 (٤) هذا ما رواه إسحاق والطبراني عن ابن عباس قال: «كَانَتْ سِيَمَاءُ اللَّيْثِيَّةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَامَتُهُمْ بَيْضَاءَ، مُعْلِينَ بِالصُّوفِ الْبَيْضِ فِي تَوَاجِيهِ الدُّوَابِّ وَأَذْنَائِهِمَا، وَجَمَعَ بَيْنَ الرَّوَاتِبِ أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَتْ عَمَامَتُهُ صَفْرَاءَ، وَغَيْرُهُ كَانَتْ عَمَامَتُهُ بَيْضَاءَ».
 (٥) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٧) وصححه الألباني، وأحمد (١٢٣٦٦، ١٢٦٦٣) من حديث أنس بن مالك، وأخرجه مسلم (٢٣٤٦) بلفظ «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رِثَائِيَّتَهُ...».
 (٦) أي: «مُضْغَفَةً» وهي قران؛ بين كثير وابن عامر، ومعناها كما ذكر المفسر؛ كان الطالب يقول: أتقضي أم تري؟ فرجا فعل ذلك مرا؛ فيزيد الدين أضعاغا مضغفة. و«مُضْغَفَةً»: إشارة إلى تكرير التضغيف عمدا بعد عام كما كانوا يضاعفون، وهذا توبيخ لا تنقيد أو بحسب الواقعة.

[١٢٢] ﴿إِذْ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿هَمَّتْ﴾ بنو سلمة وبنو حارثة جناحا
 العسكر ﴿طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ تَجَبَّأ عن القتال وترجعا، لما رجع
 عبدالله بن أبي المنافق وأصحابه، وقال: غلام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ وقال -
 لأبي جابر السلمي القاتل له: أتشدكم الله في نبيكم وأنفسكم؟ لو نعلم قتالا
 لاتبعناكم. فثبتهما الله ولم ينصرفا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّنَاهُ﴾ ناصرهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ

﴿١٣٣﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٤﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْعَافِيَةِ عَنِ الْعَثَامِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٥﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمِنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّةٌ نَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٧﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٩﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا أَنْتُمْ وَالْعَالُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَحْشٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَحْشٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤١﴾

[١٣٣] ﴿وَسَارِعُوا﴾ سارعوا، وادعوا، ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: كبرهما لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: السعة، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله بعمل الطاعات وترك المعاصي.

[١٣٤] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ السر والعسر، ﴿وَالْكَبِيرِ وَالضَّعِيفِ﴾ الكافين عن إمضائه مع القدرة، ﴿وَالْعَافِيَةِ عَنِ الْعَثَامِ﴾ من ظلمهم؛ أي: التاركين عقوبتهم، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بهذه الأفعال؛ أي: بيبهم.^(١)

[١٣٥] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ ذنباً قبيحاً؛ كالزنا، ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بما دونه؛ كالغيلة، ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: وعيده، ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمِنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ يداوموا ﴿عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ بل أعلوا عنه، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الذي أتوه معصية.

[١٣٦] ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّةٌ نَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها، ﴿وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ بالطاعة هذا الأجر. ونزل في هزيمة أحد:

[١٣٧] ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ طرائق في الكفار بإمهالهم ثم أخذهم ﴿فَسِيرُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الرسل؛ أي: آخر أمرهم من الهلاك؛ فلا تجزئوا لغلبتهم؛ فأنأ أمهالهم لوقتهم.

[١٣٨] ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ القرآن ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ منهم.

[١٣٩] ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا عن قتال الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أصابكم بأحد، ﴿وَأَنْتُمْ وَالْعَالُونَ﴾ بالغلبة عليهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً، وجوابه دل عليه مجموع ما قبله.

[١٤٠] ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ﴾ يصيبكم بأحد، ﴿فَحْشٌ﴾ بفتح القاف وضماً^(٢)؛ جهد من جرح ونحوه، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَحْشٌ مِثْلُهُ﴾ الكفار ﴿فَحْشٌ مِثْلُهُ﴾ يدر، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ نُصْرُفُهَا بَيْنَ النَّاسِ يوماً لفرقة ويوماً لأخرى؛ ليتعلموا ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أخلصوا في إيمانهم من غيرهم، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ يكرمهم بالشهادة، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين؛ أي: يعاقبهم^(٣)، وما ينعم به عليهم استدرأج.

(١) وإثبات الراو قراءة الجمهور عطفًا تفسيريًا على: ﴿وَالْيُسُورُ اللَّهُ﴾؛ كرم مصاحف مكة والعراق، و«دونها» في قراءة نافع وابن عامر على الاستئناف؛ كرم المصحف الشامي والمدني.

(٢) وهما تأويل. كما سبق مراراً. ومذهب السلف إثبات هذه الصفات دون أن يقتضي ذلك نقضاً في حق الباري ﷻ، كما يزعم هؤلاء المؤولة وغيرهم من المعطلة، ومن لازم محبته. سبحانه وتعالى - للمحسنين أن يبيهم.

(٣) بالضم لحزمة والكسائي وشعبة. وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٤) وهما تأويل، ومذهب السلف إثبات صفات رنا على الوجه الملائق به. سبحانه. ومن لازم عدم محبته للظالمين أن يعاقبهم.

[١٤٣] ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ حيث قلتم: ليت لنا يوماً كيوم بدر؛ لننال ما نال شهداؤه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ﴾ أي: سببته الحرب ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أي: بصراء تتأملون الحال كيف هي؟ فلم انهزمتم؟! ونزل في هزيمتهم لما أشيع أن النبي قُتل، وقال لهم المنافقون: إن كان قُتل فارجعوا إلى دينكم:

[١٤٤] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كغيره ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري؛ أي: ما كان معبوداً فرجعوا ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمه بالثبات.

[١٤٥] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿كَتَبْنَا﴾ مصدر؛ أي: كتب الله ذلك ﴿مُؤَجَّلًا﴾ مؤقَّتا، لا يتقدم ولا يتأخر؛ فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت، والثبات لا يقطع الحياة؟! ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بعمله ﴿تَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي: جزاءه منها ﴿تُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ ما قسم له، ولا حظ له في الآخرة ﴿وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ تُوْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي: من ثوابها ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

[١٤٦] ﴿وَكَانَ﴾ كم ﴿مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ﴾^(١) وفي قراءة: ﴿قَتَلَ﴾، والفاعل ضميره^(٢) ﴿مَعَهُ﴾ خبر مبتدؤه: ﴿رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ جنوا ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا أَسْتَكَاثُوا﴾ خضعوا لعدوهم؛ كما فعلتم حين قتل: قتل النبي ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّعِيفِينَ﴾ عسى البلاء؛ أي: يبيهم^(٣).

[١٤٧] ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ تجاوزنا الحد ﴿فِي أَمْرِنَا﴾ إيداناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضمنا لأنفسهم ﴿وَكُنْتُمْ أَقْدَامُنَا﴾ بالقرعة على الجهاد ﴿وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿فَقَاتِلْهُمْ﴾ الله ﴿تَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحَسَنَ تَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة، وحسنه: التفضل فوق الاستحقاق ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وَلِيُخَصَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٥﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الدُّنْيَا تُوْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ تُوْتِيهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّعِيفِينَ ﴿١٤٨﴾ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَكُنْتُمْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاقْتُلْهُمْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾

[١٤٩] ﴿وَلِيُخَصَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يطهرهم من الذنوب بما يصيهم ﴿وَيَمَحَقَ﴾ يهلك ﴿الْكَافِرِينَ﴾.

[١٤٢] ﴿أَمْ﴾ بل^(١) أ^(٢) ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ عدم ظهور ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ في الشدة؟!.

(١) ﴿أَمْ﴾ منقطعة؛ فلذا فسرها المفسر «بل» التي للإضراب الانقالي.

(٢) الهمزة المقدرة للاستفهام الإنكاري.

(٣) أخرجه ابن جرير عن الضحاك (٧٤/٤) من طريق جوير عنه به، وجوير ضعيف جداً كما في التقريب (١٣٦/١) وهو مرسل أيضاً، وضعفه حدًا في الاستيعاب (٣٠٥/١).

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿قاتل﴾.

(٥) يعود إلى النبي، ويحتمل أن يكون الفاعل «ريون»، وعلى القراءة الأولى: (قُلْ) يكون نائب الفاعل: «ريون»، أو ضميراً مستتراً يعود إلى «ني».

(٦) هذا تأويل سبق الرد عليه مراراً ويان مذهب السلف من إثبات الصفات على الوجه اللائق به - سبحانه - ومن لازم محبته سبحانه للصابرين أن يبيهم ويكرهم.

[١٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿رُدُّوكُمْ إِلَى الْكُفْرِ﴾ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ فأطيعوه دونهم.

[١٥١] ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضماً^(١)؛ الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أخذ على العود واستئصال المسلمين، فزعوا وهم يرجعون^(٢) ﴿يَمَّا أَشْرَكُوا﴾ بسبب إشراكهم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة^(٣) على عبادته؛ وهو: الأصنام ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالنَّاصِرِينَ﴾ ما أوى ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين هي.

[١٥٢] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إياكم بالنصر ﴿إِذَا تَحْسَنْتُمْ﴾ تقاتلونهم ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿حَتَّى إِذَا فَتِلْتُمْ﴾ جئتم عن القتال ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ﴾ اختفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي؛ فقال بعضهم: نذهب؛ فقد نصبر أصحابنا. وبعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ أمره؛ فتركتم المركز؛ لطلب الغنيمة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ اللَّهُ﴾ مَّا جُئْتُمْ ﴿مِنَ النَّصْرِ﴾ وجواب «إذا» ذلَّ عليه ما قبله؛ أي: منعكم نصره ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ فثبت به حتى قتل؛ كعبد الله بن جبير وأصحابه^(٤) ﴿ثُمَّ مَكَنَّاكُمْ﴾ عطف على جواب «إذا» المقدر: رَدُّكُمْ بِالْهَزِيمَةِ عَنْهُمْ؛ أي: الكفار ﴿لِيَتْلِيَكُمْ﴾ ليمتحنكم؛ فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ ما ارتكبتموه ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعفو.

[١٥٣] اذكروا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تبعدون في الأرض هارين ﴿وَلَا تَلُوتُونَ﴾ تُعْرِجُونَ ﴿عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي: من وراءكم؛ يقول: ﴿إِنِّي عِبَادُ اللَّهِ﴾^(٥) ﴿فَأَتَيْنَكُمْ﴾ فجازاكم^(٦) ﴿عَمَّا﴾ الهزيمة ﴿يَعْمَرُ﴾ بسبب غمكم للرسول بالخلفة؛ وقيل: الباء بمعنى: على؛ أي: مضاعفاً على غم فوت الغنيمة ﴿لِيَكَيْلًا﴾ متعلق بـ«عفا»، أو بـ«أتيناكم»؛ فـ«لا» زائدة^(٧) ﴿تَحْذَرُونَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ
﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يَمَّا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا وَلَهُمُ النَّارُ وَيَسَّ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ
وَعْدَهُ إِذْ تَحْسَنْتُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَتِلْتُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ
مَّا حُجِّبَتْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ
يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُوتُونَ عَلَى أَحَدٍ
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَىٰكُمْ فَأَتَيْنَكُمْ
عَمَّا يَعْمَرُ لَكَيْلًا تَحْذَرُونَ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا
مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

(١) بالضم لابن عامر والكسائي.

(٢) أخرجه ابن جرير عن السدي (٨١/٤) وضعفه جداً في الاستيعاب (٣٠٧/١).

(٣) سميت سلطاناً؛ لوضوحها وإثارتها، أو لقوتها ونفوذها.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٩).

(٥) أخرجه الطبري عن السدي (٨٠٥٠).

(٦) جعل الإنابة بمعنى: العقاب، وأصلها في الحسنات؛ لأنه وضعها موضع الثواب؛ ومعناه: جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون ﴿عَمَّا يَمُوتُ﴾.

(٧) قوله: «فلا زائدة» راجع إلى تعليق «كَيْلًا» بـ«أتيناكم» فقط؛ والمعنى: فجازاكم بالغم لأجل أن تحزنوا، أما إذا كانت متعلقة بـ«عَفَا» فلا تكون زائدة؛ أي: عفا عنكم لأجل أن ينفي حزنكم.

ثُمَّ أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْآمَنَةِ نُعَاسًا يَشْعِي طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفِّفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَعْقَرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْآمَنَةِ﴾ أمناً^(١) ﴿نُعَاسًا﴾ بدل^(٢) ﴿يَشْعِي﴾ يمتد^(٣) ﴿طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ وهم المؤمنون؛ فكانوا يبدون^(٤) تحت الحجب^(٥) وتسقط السيوف منهم ﴿وَلَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: حملتهم على الهمة؛ فلا رغبة لهم إلا بنجاتها دون النبي وأصحابه؛ فلم يناموا؛ وهم المناقرون ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ ظَنًّا غَيْرَ الظَّنِّ

﴿الْحَقِّ ظَنًّا﴾ أي: كظن^(٦) ﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قُتِلَ^(٧) أو لا يُضَرُّ ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي: النصر الذي وعدناه ﴿مِنْ زَائِدَةٍ غَيْرِ قُلُوبِهِمْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ بالنصب تأكيد، أو الرفع مبتدأ خبره: ﴿لِلَّهِ﴾ أي: القضاء له، يفعل ما يشاء ﴿يُخَفِّفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكَ﴾ يقولون: بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا﴾ أي: لو كان الاختيار إلينا، لم نخرج؛ فلم نقل، لكن أخرجننا كرهنا ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كَتَبَ اللَّهُ عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾ خرج ﴿الَّذِينَ كُتِبَ﴾ قضي ﴿عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِنْ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم؛ فيقتلوا، ولم ينجم قعودهم؛ لأن قضاء - تعالى - كائن لا محالة ﴿وَلَوْ﴾ فعل ما فعل بأحمد ﴿لِيَبْتَلِيَ﴾ يختبر ﴿اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاء ﴿وَلِيُمَحَّصَ﴾ يميز ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، لا يخفى عليه شيء؛ وإنما يبتلي؛ ليظهر للناس.

[١٥٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ جفغ المسلمون وجفغ الكفار بأحمد؛ وهم: المسلمون إلا اثني عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمْ﴾ أزلهم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسه ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿حَسْبٌ﴾ لا يتعجل على العصاة.

[١٥٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المناققين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾ جفغ غار؛ فقتلوا: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أي: لا تقولوا قتلهم ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً﴾ في قلوبهم ﴿وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ﴾ فلا يمنع عن الموت قعود ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالناء والياء^(٨) ﴿بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١٥٧] ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد ﴿أَوْ مِتُّمْ﴾ بضم الميم وكسر هاء^(٩)؛ من مات يموت^(١٠) ﴿وَيُمَيِّتُ﴾ أي: أناكم الموت فيه ﴿لَمَعْقَرَةٌ﴾ كائنة ﴿بَيْنَ اللَّهِ وَلِذُنُوبِكُمْ﴾ وَرَحْمَةٌ منه لكم على ذلك، واللام ومدخلها جواب القسم^(١١)، وهو في موضع الفعل، مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالناء والياء^(١٢).

(١) أشار بذلك إلى أن الأمانة والأمن بمعنى واحد، وهو الطمأنينة سواء زال الخوف أم لا؟ وقيل: إن الأمن هو الطمأنينة مع رواي سبب الخوف، والأمانة هي الطمأنينة مع وجود أسبابه.

(٢) أي: بدل كل من كل وهو ظاهر، لأن الأمانة هي التعاس بهيئها، وقيل: بدل اشتغال؛ لأن الأمانة لها اشتغال بالعباس وهو له اشتغال بها؛ لأنه لا يحصل التعاس إلا للأمن.

(٣) بالناء قراءة حمزة والكسائي، وعلى الباء الضمير عائد على التعاس، وعلى الناء الضمير عائد على الأمانة.

(٤) أي: يبدون.

(٥) جمع حجبفة: اسم للترس والدرقة.

(٦) أي: ولن يظهر دبه ولا يتم ما دعا إليه.

(٧) أشار به إلى أنه استفهام إنكاري معناه النفي.

(٨) وجملة ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَيْرٌ مِنْهُ﴾، والرفع قراءة أبي عمرو.

(٩) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(١٠) بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(١١) قوله: (مَنْ مَاتَ يَمُوتُ)، راجع إلى قراءة الضم، من باب: قال يقول، وأصله: يموت؛ بسكون الميم وضم الواو، نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها.

(١٢) قوله: (وَيُمَيِّتُ)، راجع إلى قراءة الكسر؛ وهي من باب: خاف يخاف، وأصله: من مات يموت؛ بسكون الميم وفتح الواو، نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها، ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلت ألقا.

(١٣) وجوب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم؛ لقول ابن مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أعرت فهو ملزم

(١٤) بالناء قراءة السبعة عدا حفص.

للمؤمنين، وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ﴾
بأفوههم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿ولو علموا قتلاً لم يتبعوكم﴾ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

[١٦٨] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله^(١)، أو نعت ﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾
في الدين ﴿وَقَدْ قَاتَلُوا﴾ عن الجهاد: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي: شهداء أخيه
أو إخواننا في القعود ﴿مَّا قُتِلُوا قُلٌّ﴾ لهم: ﴿فَادْرءُوا﴾ ادفعوا ﴿وَعَنَ
أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ﴾ إن كنتم صديقين ﴿في أن القعود ينجي منه﴾.
[١٦٩] ونزل في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ بالتخفيف
والتشديد^(٢) ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لأجل دينه ﴿أَمْوَاتًا بَلْ هُمْ﴾
عند ربهم ﴿أَرْوَاحُهُمْ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ تَحْضُرُ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ﴾
كما ورد في الحديث^(٣) ﴿يَرْزُقُونَ﴾ يأكلون من ثمار الجنة^(٤).

[١٧٠] ﴿وَرَحِيمٍ﴾ حال من ضمير «يرزقون» ﴿يَسَاءَ عَاقِبَتُهُمُ اللَّهُ﴾ من
فضله ﴿وَهُمْ﴾ هم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾
من إخوانهم المؤمنين، ويبدل من «الذين» ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ بآن ﴿لَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ﴾ أي: الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ المعنى:
يفرحون بأمنهم وفرحهم.

[١٧١] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ ثواب ﴿مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه
﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفًا على «نعمة» وبالكسر استئنافًا^(٥) ﴿اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ بل بأجرهم.

[١٧٢] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ دعاءٌ بالخروج
للقاتل؛ لما أراد أبو سفيان وأصحابه العودة^(٦)، تواعدوا مع النبي ﷺ سوق بدر
العام المقبل من يوم أُخِذَ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بأخذ^(٨)، وخبر
المبتدأ: ﴿بِالَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَأَتَقُوا﴾ مخالفتهم ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾
هو الجنة.

[١٧٣] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله، أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾
أي: نعيم بن مسعود الأشجعي: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ
جَبَعُوا لَكُمْ﴾ الجموع؛ ليسأتصلوكم ﴿فَاقْتَوْهُمْ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾
ذلك القول ﴿إِيْنًا﴾ تصديقًا بالله ويقينًا ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافيًا
أمرهم ﴿وَيَعْتَمِدُ الْوَكِيلُ﴾ المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ؛
فوافوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه؛ فلم يأتوا،
وكان معهم تجارات فباعوا وربعوا^(٩). قال الله - تعالى -:

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فِإِذَنْ اللَّهُ وَلِعَلَّ الْمُؤْمِنِينَ
وَلِعَلَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَيَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعَتْكُمْ هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلٌّ فَادْرءُوا وَعَنَ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ
مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ
بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

[١٦٦] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بأخذ ﴿فِإِذَنْ اللَّهُ﴾ بإرادته
﴿وَلِعَلَّ﴾ علم ظهور^(١) ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

[١٦٧] ﴿وَلِعَلَّ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن
القتال؛ وهم: عبدالله بن أبي وأصحابه: ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
أعداءه ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُوا لَوْ
نَعْلَمُ﴾ نخسين^(٢) ﴿وَقِتَالًا لَا تَبَعَتْكُمْ﴾ قال - تعالى - تكذبنا لهم:
﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ بما أظهروا من خذلانهم

(١) ما جاء في نزول الآية (١٦٩): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد حمل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياهم في الجنة نرزق، فلا يرهبوا في الجهاد ولا يتكلموا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أعلمهم عنكم. قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية. أبو داود كتاب الجهاد (٩) باب (٢٧) في فضل الشهادة. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٩).

(١) أي: بالنسبة للخلق.

(٢) وفي الآية قول آخر لعله الأقرب، وهو أن المعنى: لو تعلم أنه سيكون قتال لقاتلنا معكم. وفي الإتيان (١٢٧/٢) قال الشيخ السيوطي رحمه الله في كلامه على الحذف: (نحو ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعَتْكُمْ﴾ أي: مكان قتال، والمراد مكانًا صالحًا للقتال؛ وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أخير الناس بالقتال، ويتفكرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه، فالعادة تمنع أن يريدوا: لو تعلم حقيقة القتال، فلذلك قدره مجاهد: مكان قتال. (٣) وهو قوله: ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾. (٤) بالتشديد قراءة ابن عامر. (٥) رواه مسلم من حديث ابن مسعود (١٨٨٧)، وسبق ذكره وتخريجه عند الآية (١٥٤) من سورة البقرة. (٦) بالكسر قراءة الكسائي. (٧) أخرج نحوه النسائي في التفسير (٣٤٣/١)، والطبراني في الكبير عن ابن عباس (١١/١١٣٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١/٦): «ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز، وهو ثقة، وصححه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٥/١)». وقال الحافظ في الفتح (٢٢٨/٨-٢٢٩): «الحقوف إرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس... وضعفه في الاستيعاب (٣٣٤/١)». (٨) فيه أن الذين استجابوا لله والرسول ﷺ هم الذين حضروا أحدًا، ونزلت في أهل أحد حين داهم للقتال ثانية، وقال: «لا يخرج نقتالًا من شهد القتال»، واستجاب له المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد والخوف المريد، وسار ﷺ والمسلمون معه حتى بلعوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة، فالآية ليست في غزوة بدر الموحدة كما ذهب لبعضهم. وقول المفسر: لما أراد أبو سفيان وأصحابه... إلخ غير صحيح؛ إذ إن خروجه ﷺ والصحابه لم يكن نتيجة إرادة أبي سفيان وأصحابه العود كما ذكر. (٩) ذكره الواقدي في مغاريه (٢٨٤/١)، وأكثر أهل السير أن هذه الحادثة كانت بعد أحد في حمراء الأسد، ويؤيده ما أخرجه في الصحيحين عن عائشة ﷺ قالت لغروة: يا ابن أخي كان أبوك، منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون: خاف أن يرجعوا، قال: «من ذهب في إثرهم ... الحديث» البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (١٨٨١).

[١٧٤] ﴿فَأَنقَلَبُوا﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ بسلامة وريح ﴿لَمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته واطاعة رسوله في الخروج ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته.

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ أي: القاتل لكم: إن الناس... إلخ ﴿الشَّيْطَانُ يَوْفَىٰ﴾ كُمْ ﴿أُولَئِكَ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُون﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ حَقًّا.

[١٧٦] ﴿وَلَا يَخْزِيكَ﴾ بضم الباء وكسر الزاي^(١)، ويفتحها وضم الزاي: من «خزّنه» لغة في «أخزّنه»^(٢) ﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يعقون فيه سريعاً بنصرته؛ وهم: أهل مكة أو المنافقون؛ أي: لا نهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَصْرِوْا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بفتحهم؛ وإنما يضرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا﴾ نصيباً ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة؛ فلذلك خذلهم الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

[١٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْكُرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: أخذوه بدله ﴿لَن يَصْرِوْا اللَّهَ﴾ بكفرهم ﴿شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء^(٣) ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي﴾ أي: إملأنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَبْرًا لِّنَفْسِهِمْ﴾ وأن «وعمولها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية، ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا نُثَلِّي﴾ نعمل ﴿لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا﴾ بكثره المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة في الآخرة.

[١٧٩] ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليرك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ بالتخفيف والتشديد؛ يفصل ﴿الْخَبِيثَ﴾ المنافق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك؛ ففعل ذلك يوم أُحُد ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾ يختار ﴿مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيطّلع على غيبه؛ كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وَإِنْ تَوَيْمَنُوا وَتَشْكُرُوا النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء^(٤) ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: بركاته ﴿هُوَ﴾ أي: بخلهم ﴿خَبْرًا لَهُمْ﴾ مفعول ثان، والضمير للفصل، والأول^(٥) «بخلهم» مقدراً قبل الموصول على الفوقانية^(٦)، وقبل الضمير على التحتانية^(٧) ﴿بَلْ هُوَ مَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ﴾ أي: بركاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه؛ كما ورد في الحديث^(٨) ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرثهما بعد فناء أهلها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والياء^(٩) ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

(١) وهي قراءة نافع.

(٢) قوله: «من «خزّنه»... إلخ» راجع إلى القراءة الثانية بفتح الباء وضم الزاي.

(٣) قرأتان سيجتان، وبإتاء قراءة حمزة. وعلى قراءة التاء وهي قراءة حمزة: الخطاب للنبي ﷺ، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول أول ل (تحسين)، وقوله: ﴿أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ﴾ في محل المفعول الثاني. وعلى قراءة الياء - وهي قراءة الباقيين - : يكون قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل (تحسين) وقوله: ﴿أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ خَبْرًا...﴾ سد مسد مفعولها كما ذكر المفسر.

(٤) التاء: قراءة حمزة، وبالياء قرأ الباقون.

(٥) أي المفعول الأول.

(٦) أي فتقديره: (ولا تحسبن بخل الذين يبخلون... إلخ) خبراً لهم؛ فقول المفسر: «بخلهم» فيه تسامح؛ لأن المقدّر قبل الموصول يكون مضافاً له لا للضمير، وإنما المضاف إلى الضمير هو ما قدر قبله. (٧) أي فتقديره: (ولا يحسبن الذين يبخلون... إلخ) بخلهم خبراً لهم.

(٨) وهو قوله ﷺ: «مثل مال مانع الزكاة شجاع أقرع له زبيبتان، يأخذ بلمرئيه ويقول: أنا كنزك، أنا مالك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾... الآية. البخاري (٤٥٦٥)، ومسلم (٩٨٨).

(٩) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وبالتاء قرأ الباقون.

فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَخْزِيكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ أَنَّهُمْ لَن يَصْرِوْا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْكُرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَصْرِوْا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ كُفْرَهُمْ أَنَّهُمْ لَن يَصْرِوْا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ كُفْرَهُمْ أَنَّهُمْ لَن يَصْرِوْا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٩﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تَوَيْمَنُوا وَتَشْكُرُوا فَلَكَ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٨٠﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨١﴾

نَكَبَ ﴿وَقَتْلَهُمْ﴾ بالنصب والرفع^(١) ﴿الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾
 بالنون والياء^(٢)؛ أي: الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة: ﴿ذُوقُوا
 عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار. ويقال لهم إذا ألقوا فيها: [١٨٢] ﴿ذَلِكَ﴾
 العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان؛ لأن أكثر الأفعال تُزاول
 بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بذي ظلم^(٣) ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فيعذبهم بغير
 ذنب. [١٨٣] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿قَالُوا﴾ محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾
 قد ﴿عٰهَدَ إِلَيْنَا﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصده عنه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيََنَا﴾
 بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ فلا تؤمن لك حتى تأتينا به؛ وهو ما يُتَقَوَّبُ به إلى
 الله من نعم وغيره، فإن قيل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته، وإلا بقي
 مكانه، وعُهِدَ إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد، قال - تعالى -:
 ﴿فَلَمَّا﴾ لهم توبيخاً: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بالمعجزات
 ﴿وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ إن كنتم صديقين
 محمد ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم؛ لرضاعهم به ﴿فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ إن
 كنتم صديقين في أنكم تؤمنون عند الإنيان به؟ [١٨٤] ﴿فَإِنْ﴾
 كَذَّبْتُمْ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكُمْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾
 كصحف إبراهيم ﴿وَالْكِتَابِ﴾ وفي قراءة: ياتيات الباء فيها^(٤) ﴿الْمُنِيرِ﴾
 الواضح؛ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِلَّمَّا تُوَفِّيَتْ أَجُورُكُمْ﴾ جزاء
 أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ﴾ بعد ﴿عَنِ الْكُنَّارِ﴾ وأدخل الجنة
 فَقَدْ قَارَ نال غايه مطلوبه^(٥) ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي: العيش فيها ﴿إِلَّا﴾
 مَتَاعٌ مُزُورٌ الباطل؛ يتمتع بها قليلاً ثم يفتنى.

[١٨٦] ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ حذف منه نون الرفع؛ لتوالي النونات، والواو
 ضمير الجمع؛ لانتفاء الساكنين؛ لُحْثِيُونَ ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بالفرائض فيها
 والحوالح ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بالعادات والبداء ﴿وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الَّذِينَ أَوْتُوا
 الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ اليهود والنصارى^(٦) ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من
 العرب ﴿أَذْكُرُ كَثِيرًا﴾ من السب والطعن والتشبيب^(٧) بنسائكم
 ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزِيزٍ﴾
 الْأَمُورِ أي: من معزوماتها التي يحرم عليها؛ لوجوبها.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
 سَنَكُفُّ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْآبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
 ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٦﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ
 وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٨٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
 عٰهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيََنَا بِقُرْآنٍ
 تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَنَّكُمْ
 وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 ﴿١٨٨﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكُمْ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكُمْ جَاءَكُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٩﴾ كُلُّ نَفْسٍ
 ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَلَمَّا تُوَفِّيَتْ أَجُورُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَ وَمَا
 الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٩٠﴾ تَسَبَّحُوا فِي
 أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا
 الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْيُ كَثِيرٍ
 وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزِيزٍ الْأُمُورِ ﴿١٩١﴾

[١٨١] ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾
 وهم اليهود قالوه لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقالوا: لو
 كان غنياً ما استقرضنا^(١) ﴿سَنَكُفُّ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا﴾ في
 صحائف أعمالهم؛ ليجازوا عليه، وفي قراءة: بالياء مبنياً للمفعول^(٢) ﴿وَوَقُلْ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٦): أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه - وكان أحد الثلاثة الذين تب عليهم - وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط، منهم المسلمون، ومنهم المشركون يعبدون الأوثان، واليهود، وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالصبر والعفو، ففهم أنزل الله: ﴿وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآية. فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رجلاً يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة - وذكر قصة قتله، فلما قتلوه فرغت اليهود والمشركون، فعدوا على النبي ﷺ، فقالوا: طرق صاحبنا قتل. فذكر لهم النبي ﷺ الذي كان يقول. ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكف عنه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه. فكف النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة.

أبو داود - كتاب الخراج والإمارة (١٤) باب (٢٢) كيف كان إخراج اليهود من المدينة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٢٠٩٤).

(١) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٠/٢). عن ابن عباس بسند حسن.

(٢) لف ونشر مرتب؛ والنصب (وقلهم): على قراءة (شون) وهي قراءة حمزة، والرفع (وقلهم): على قراءة الباء للبيان.

(٣) على التفضيل في الهامش السابق.

(٤) قرأ هشام: (وبالزبر وبالكتاب)، وقرأ ابن ذكوان: (وبالزبر والكتاب).

(٥) هذا التفسير يومهم عدم إثبات رؤية المؤمنين ربه يوم القيامة، وهو مذهب المعتزلة - الذي هو أعظم نعيم وغاية مطلوب، كما قال البلقيني: استخرجته من الكشف اعتزلاً بالمناقش من تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكُنَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَ﴾. قال: أي فوز أعظم من دخول الجنة، أشار به إلى عدم الرؤية. والمصنف مذهبه إثبات الرؤية كما في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: أي لا تراه، وهذا مخصوص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْبُيُوتُ كَالْعِزَّةِ﴾ [البقرة: ٢٢، ٢٣] وحديث الشيخين: ﴿إنكم سترون ربكم...﴾.

(٨) أي بذكر محاسنهن وأوصافهن بالفصائد، وتناشدها بينهم، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف، لعنه الله.

[١٨٧] ﴿وَذَكَرَ﴾ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ: أَي: العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ أَي: الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ أَي: الكتاب، والباء والتاء في الفعلين^(١) ﴿فَتَبَيَّنَهُ﴾ طرحو الميثاق ﴿وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَأَشْتَرَوْا بِهِ﴾ أَخَذُوا بَدْلَهُ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم، فكتموه خوف فوته عليهم ﴿يُبَيِّنُ مَا يَشْتَرُونَ﴾ شَرَّاهُمْ هَذَا.

[١٨٨] ﴿لَا تَحْسِبَنَّ﴾ بالباء والتاء^(٢) ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾ فعلوا في إضلال الناس ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ﴾ في الوجهين^(٣) تأكيد ﴿بِمَقَادِرِهِ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾ في الآخرة؛ بل هم في مكان يعذبون فيه؛ وهو: جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فيها^(٤)، ومفعولا «بحسب» الأولى ذل عليها مفعولا الثانية على قراءة التحتانية^(٥)، وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط^(٦). [١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإلجاء المؤمنين.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها من العجائب ﴿وَأَخْتِلَافِ أَلْبَنِ اللَّحْمِ وَالنَّهَارِ﴾ بالجيء والذهاب، والزيادة والنقصان ﴿لَا تُكْتَبُ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِأُولَى الْأَلْبَنِ﴾ لدوي العقول. [١٩١] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت لما قبله، أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال، وعن ابن عباس: يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما، يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ خلق الذي نراه ﴿بِطَلَا﴾ حال، عبثا؛ بل دليلا على كمال قدرتك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عن العبث ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ أَهْنَتْهُ ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، فيه وُضِعَ الظاهر موضع المضمي^(٧)؛ إشعارا بتخصيص الخزي بهم ﴿وَمِنْ زَائِدَةٍ﴾ أَنْصَارٍ يمنعونهم من عذاب الله - تعالى.

[١٩٣] ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي﴾ يدعو الناس ﴿لِلْإِيمَانِ﴾ أي: إليه؛ وهو: محمد، أو إقرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا قَاغُورَ لَنَا ذُنُوبُنَا وَكَفَرْنَا﴾ غَطَّ^(٨) عَنَّا سَيِّئَاتِنَا فلا تظهرها

وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِمَقَادِرٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّأُولَى الْأَلْبَانِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا قَاغُورَ لَنَا ذُنُوبُنَا وَكَفَرْنَا عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٤﴾

بالعقاب عليها ﴿وَتَوَفَّنَا﴾ أقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾ في جملة ﴿الْأَبْرَارِ﴾ الأنبياء والصالحين. [١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل، وشؤالهم ذلك - وإن كان وعده - تعالى - لا يُخْلَفُ - سؤال أن يجعلهم من مستحقه؛ لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له، وتكرير «ربنا» مبالغة في التضرع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ الوعد بالبعث والجزاء.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (١٨٨): أنسرح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه إن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخشعوا عنه وفرحوا بمقدمهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتدروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ...﴾ الآية. البخاري كتاب التفسير (٦٥). سورة آل عمران (٣) باب (١٦).

(١) أي وهما: «بيبينه» و«لا يكتومونه»، وقراءة الباء لابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ الباقون بالتاء في الموضعين.

(٢) قرأ بالياء: نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، والباقيون بالتاء.

(٣) أي على القراءةين بالياء والتاء.

(٤) والتقدير: أنفسهم ناجين.

(٥) وتشدده: ناجين من عذاب الله.

(٦) حيث قال: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ ولم يقل: ﴿وَمَا لَهُمْ﴾.

(٧) للتوكيد.

(٨) في نسخة: «خطه»، والمثبت هو الموافق لما بعده في قوله: «فلا تظهرها... إلخ».

إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي﴾ دِينِي ﴿وَقَتَلُوا﴾ الْكَافَرِ ﴿وَقَتَلُوا﴾ بِالْخَفِيفِ وَالْتَشْدِيدِ^(١)، وَفِي قِرَاءَةٍ بِتَقْدِيمِهِ^(٢) ﴿لَا كُفْرًا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أَسْتَرَهَا بِالْمَغْفِرَةِ ﴿وَلَا دُخْلَهُنَّ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قُتَابًا﴾ مُصَدَّرٌ مِنْ مَعْنَى «لَا كُفْرًا» مُؤَكَّدٌ لَهُ ﴿وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فِيهِ التَّفَاتُ عَنْ التَّكْلُمِ^(٣) ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ الْحِزَاءِ.

[١٩٦] وَنَزَلَ - لَمَّا قَالَ الْمُسْلِمُونَ: أَعْدَاكَ اللَّهُ فِيمَا نَرَى مِنَ الْخَيْرِ، وَنَحْنُ فِي الْجَهْدِ -: ﴿لَا يَغْنَبُكَ قَلْبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٤) تَصْرِفُهُمْ ﴿فِي الْيَلَدِ﴾ بِالْجَارَةِ وَالْكَسْبِ.

[١٩٧] هُوَ ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ يَمْتَحِنُونَ بِهِ يَسِيرًا فِي الدُّنْيَا وَيَفْنَى ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِلْهَادِ الْفَرَّاشَ﴾.

[١٩٨] وَلَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لِيَجْزِ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ أَيُّ؛ مُقَدَّرِينَ الْخُلُودِ ﴿فِيهَا نُزُلًا﴾ وَهُوَ مَا يُعَدُّ لِلضَّيْفِ، وَنُصِبَهُ عَلَى الْحَالِ مِنْ «جَنَاتٍ»، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى الظَّرْفِ ﴿وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ﴾ خَيْرٌ لِلْآثَرِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

[١٩٩] ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ﴾ كَعَبِدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ، وَالنَّجَاشِيِّ^(٥) ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ﴾ أَيُّ: الْقُرْآنَ ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ﴾ أَيُّ: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿حَشِيشِينَ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «يُؤْمِنَ» مُرَاعَى فِيهِ مَعْنَى «مَنْ» أَيُّ: مُتَوَاضِعِينَ ﴿لِلَّهِ لَا يَشْكُرُونَ بِتَائِبَاتِ اللَّهِ﴾ أَيْ: عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنْ بَعَثِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا بَأَنْ يَكْتُمُوهَُا؛ خَوْفًا عَلَى الرِّيَاسَةِ؛ كَقَعْلٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يُؤْتُوْنَهُ مَرَّتَيْنِ؛ كَمَا فِي الْقَصَصِ^(٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ بِحَسَابِ الْخَلْقِ فِي قَدَرِ نَصْفِ نَهَارٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا^(٧).

[٢٠٠] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا﴾ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْمَصَائِبِ، وَعَنِ الْمَعَاصِي ﴿وَصَابِرُوا﴾ الْكَفَرَاءَ؛ فَلَا يَكُونُوا أَشَدَّ صَبْرًا مِنْكُمْ ﴿وَرَابِطُوا﴾ أَقْبِمُوا عَلَى الْجِهَادِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تَفُوزُونَ بِالْجَنَّةِ وَتَنْجُونَ مِنَ النَّارِ.

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَيْ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى بِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ قَالَتِ هَاجِرًا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَا كُفْرًا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَهُنَّ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قُتَابًا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ^(٨) لَا يَغْنَبُكَ قَلْبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَلَدِ^(٩) مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَهَادِ^(١٠) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لِيَجْزِ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا نُزُلًا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآثَرِ^(١١) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْكُرُونَ بِتَائِبَاتِ اللَّهِ ثُمَّ قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ^(١٢) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ^(١٣)

سُورَةُ النَّبَاِ

[١٩٥] ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دَعَاؤَهُمْ ﴿إِنِّي﴾ أَيُّ: بَأَنِي ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى بِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ كَائِنْ ﴿بَيْنَ بَعْضٍ﴾ أَيُّ: الذَّكَورِ مِنَ الْإِنَاثِ وَبِالْعَكْسِ، وَالْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ لِمَا قَبْلُهَا؛ أَيُّ: هُمْ سَوَاءٌ فِي الْمَجَازَةِ بِالْأَعْمَالِ وَتَرَكَ تَضْيِيعَهَا، نَزَلَتْ لَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَسْمَعُ ذِكْرَ النَّسَاءِ فِي الْهَجْرَةِ بِشَيْءٍ^(١٤)، ﴿قَالَتِ هَاجِرًا﴾ مِنَ مَكَّةِ

(٥) مَا جَاءَ فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ (١٩٥): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَسْمَعُ ذِكْرَ النَّسَاءِ فِي الْهَجْرَةِ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى بِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) سُورَةُ النَّسَاءِ (صَحِيحٌ بِمَا قِيلَ) صَحِيحٌ سَنَ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٢٠).

(٥٥) مَا جَاءَ فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ (١٩٩): أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٣٥٦/١) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا جَاءَ نَعِيُّ النَّجَاشِيِّ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلُّوا عَلَيْهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَصَلِّي عَلَى عَبْدِ حَشِيٍّ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَنَحْنُ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ (٣٨/٣): «رَوَاهُ الرِّرَّاءُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرَجَالُ الصُّبْرَانِيِّ ثَقَاتٌ» اهـ.

وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ. وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ (٣٥٢/١).

(١) بِالْتَشْدِيدِ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامِرٍ.

(٢) أَيُّ: يَتَقَدَّمُ الْمَبْنِيُّ لِلْمَفْعُولِ، لَكِنْ بِالْخَفِيفِ، وَتَكُونُ الْوَاوُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ بِمَعْنَى: مَعَ؛ أَيُّ: مَعَ كَوْنِهِمْ قَاتِلُوا فَلَمْ يَفْرُوا، بَلْ قَتَلُوا فِي حَالِ مَقَاتِلَتِهِمُ الْأَعْدَاءَ، وَهِيَ قِرَاءَةُ حِمَزَةِ وَالْكَسَايَةِ.

(٣) أَيُّ: وَكَانَ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يَقُولَ: «ثَوَابًا مِنْ عِنْدِي»، وَإِنَّمَا أَظْهَرَ مَحْسُورَ الْإِضْمَارِ تَشْرِيقًا لَهُمْ.

(٤) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ، وَذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٥٤/٢).

(٥) الْآيَاتُ مِنْ ٥٠ حَتَّى ٥٥ مِنَ السُّورَةِ.

(٦) سَبَقَ بَيَانُ أَنَّ هَذَا سَهْوٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ السَّيُوطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْبَقَرَةِ رَقْمَ (٢٠٢) - وَالصَّحِيحُ أَنَّ اللَّهَ بِحَسَابِ الْخَلْقِ فِي قَدَرِ نَصْفِ نَهَارٍ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَاعَةٍ؛ كَمَا فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نَصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي عِقَابِ مَانِعِي الزَّكَاةِ فِي الْحَشْرِ - قَوْلُهُ ﷺ: «فِي يَوْمٍ كَادَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ...» الْبُخَارِيُّ (١٣١٤)، وَمُسْلِمٌ (١٦٤٧).

سُورَةُ النِّسَاءِ

[مدنية، وآياتها مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿وَبَيْنَهُمْ﴾ فرق ونشر ﴿وَمِنْهُمَا﴾ من آدم وحواء ﴿بِرَجُلٍ كَبِيرٍ وَنِسَاءٍ كَثِيرَةٍ﴾ كثيرة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في السين^(١)، وفي قراءة بالتخفيف^(٢) بحذفها؛ أي: تتساءلون ﴿بِهِ﴾ فيما بينكم حين يقول بعضهم لبعض: أسألك بالله، وأنشدك بالله ﴿وَمَنْ اتَّقُوا﴾ الأوامر ﴿أَنْ تَقْطَعُوهَا﴾ وفي قراءة^(٣) بالجر عطفاً على الضمير في «به»، وكانوا يتناشدون بالرجوع ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظاً لأعمالكم؛ فيجازيكم بها؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢] ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه: ﴿وَمَا تَوْأَمَتَيْنِ﴾^(٤) الصغار الأئمة^(٥) لا أب لهم ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَنْدَلُوا إِلَيْهِنَّ﴾ الحرام ﴿بِالطَّبِيعِ﴾ الحلال؛ أي: تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الحيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾ مضمومة ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنْ﴾ أي: أكلها ﴿كَانَ حُوبًا﴾ ذنباً كبيراً عظيماً.

[٣] ولما نزلت تخرجوا من ولاية النمامي، وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج؛ فلا يعدل بينهم؛ فنزل: ﴿وَلَنْ خِفْتُمْ أَهْلَ نْ﴾ لا تقسطوا؛ تعدلوا ﴿فِي الْبَيْنِ﴾ فتخرجتم من أمرهم فخافوا - أيضاً - أن لا تعدلوا بين النساء^(٦) إذا نكحتموهن ﴿فَانكِحُوا﴾ تزوجوا ﴿مَا﴾ بمعنى: من ﴿طَابَ لَكُمْ مِنْ نِسَاءٍ مَتْنٍ وَثَلَاثَ رُبْعٍ﴾ أي اثنين اثنين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، ولا تزيدوا على ذلك ﴿فَلَنْ خِفْتُمْ أَهْلَ نْ﴾ لا تعدلوا؛ فيمنع بالنفقة والقسم ﴿فَوَاحِشَهُ﴾ انكحوها ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء؛ إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات^(٧) ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الأربع فقط، أو الواحدة، أو الثشري ﴿أَذْنُ﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَتَوَلَّوْا﴾ تجوروا^(٨).

[٤] ﴿وَتَوَأَمُ﴾ أعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدَقَاتٍ﴾ جمع صدقة: مهورهن ﴿نِكَاحَةٍ﴾ مصدر^(٩) عطية عن طيب نفس ﴿فَلَنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ مَتْنٍ وَثَلَاثَ رُبْعٍ﴾ تميز محول عن الفاعل؛ أي: طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبهن لكم ﴿فَكُلُّهُنَّ هِنِيئًا طَيِّبًا﴾ مريئاً محموداً العاقبة، لا ضرر فيه عليكم في الآخرة؛ نزلت ردّاً على من كره ذلك.

[٥] ﴿وَلَا تَوَلَّوْا﴾ أيها الأولياء ﴿الْأَسْفَهَاءَ﴾ المبتذرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: أموالكم التي في أيديكم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ مصدر «قام»؛ أي: تقوم بمعاشركم وصلاح أولادكم؛ فيضيعوها في غير وجهها، وفي قراءة: ﴿قِيَمًا﴾ جمع «قيمة»؛ ما تقوم به الأمعة ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: أطعموهم منها ﴿وَآكُسُوهُمْ﴾ وفولوا ﴿فَلَا تَعْرِفُوا﴾

عذوبهم عذبة جميلة؛ بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا.

[٦] ﴿وَالْبُلَّاءُ﴾ اختبروا ﴿الْيَتِيمَ﴾ قبل البلوغ: في دينهم، وتصرفهم في أموالهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ أي: صاروا أهلاً له؛ بالاحتلام أو السن؛ وهو: استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي^(١٠) ﴿فَلَنْ أَسْتَمُ﴾ أبصرتم^(١١) ﴿بَيْنَهُمْ رُشْدًا﴾ صلاحاً في دينهم ومالهم ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ بغير حق، حال ﴿وَبِدَارًا﴾ أي: مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿أَنْ يَكْبُرُوا﴾ رُشْدًا؛ فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَنْ كَانَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ﴾ غنياً فليستعفف^(١٢)؛ أي: يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجره عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إلى النمامي ﴿أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلموها، ويرثهم؛ لئلا يقع اختلاف؛ فترجعوا إلى البيعة، وهذا أمر إرشاد^(١٣) ﴿وَكُنْ لِلَّهِ﴾ الباء: زائدة ﴿حَسِيبًا﴾ حافظاً لأعمال خلقه، ومحاسبهم.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣): أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً كانت له يتيمة فكنحها، وكان لها علق، وكان يسكنها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت: ﴿وَلَنْ خِفْتُمْ أَهْلَ نْ لَا تَقِسطُوا -

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. (٢) فأسله: تتساءلون؛ فبقت التاء سبباً ثم أدغمت في السين؛ لقرب مخرجيهما. (٣) قرأه الكوفيون حمزة والكسائي وعاصم مخففاً على حذف إحدى التائين، وشدد الباقون على إدغام التاء الثانية في السين. (٤) حمزة. (٥) أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رضي الله عنه (٢٠٧/٢) وسنده ضعيف كما في الاستيعاب (٣٥٨/١). (٦) أي الدين. (٧) أي: النمامي. (٨) أي: فلا يجب إعدل بينهم ولا في القسم ولا في النفقة ولا في الكسوة. (٩) مؤكد من معنى قوله: ﴿تَوَأَمُ﴾. (١٠) لنافع وابن عامر. (١١) وكذلك هو عند الحنابلة، وأما أبو حنيفة فقال: يبلغو الذكر ثمانى عشرة سنة، والجارية سبع عشرة سنة. وقال مالك: يبلغونها ثمانى عشرة سنة. والأرجح الأول وهو قول الجمهور. (١٢) الأفضل أن يقول: علمتم؛ لما سببه للرشد. (١٣) أي: تعليم لمصالح الدنيا؛ فهو أمر مدب.

تهاون الناس في تركه؛ وعليه فهو نذير، وعن ابن عباس: واجب.

[٩] ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لِيُخَفَّ عَلَى الْيَتَامَى﴾ الآية أي: ليخفف على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: من بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَفًا﴾ أولادًا صغارًا ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضَّعَافُ ﴿فَلْيَسْعُوا اللَّهَ﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يحبون أن يُفْعَلَ بذريعتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا لِلْمِيتِ﴾ أي: سديدًا ﴿صَوَابًا﴾ بأن يأمره أن يتصدق بدون ثلثه، ويُذَّع الباقي لورثته، ولا يتركهم عائلة.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ الآية أي: يأكلون في بطونهم ﴿أَي: مَلَأَهَا﴾ نَكَارًا لأنه يقول إليها ﴿وَسَيَمْلَأُكُمْ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (١) يدخلون ﴿سَيِّئًا﴾ نَارًا شديدة يحترقون فيها.

[١١] ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ أي: يأمركم ﴿اللَّهُ فِي﴾ شأن ﴿أَوْلَادِكُمْ﴾ بما يُذَكِّرُ ﴿لِلَّذِكْرِ﴾ منهم ﴿مِثْلَ حَظِّ﴾ نصيب ﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصيب نصف المال ولهما النصف، فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ أي: الأولاد ﴿نِسَاءً﴾ فقط ﴿فَوَقَّ﴾ أُنثَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ، وكذا الانثيان، لأنه للأختين بقوله: ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فيما أولى؛ ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر؛ فعن الأنثى أولى، ﴿وَقَوَّ﴾ قيل: صلة، وقيل: لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد، لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث لواحدة مع الذكر ﴿وَلِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَحِيدَةً﴾ وفي قراءة: بالرفع (٢)؛ «فكانت» تامة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُخَوَاتِهَا﴾ أي: للثلاث، ويبدل منهما ﴿لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُمَا﴾ أَلْسُدُسٌ مِّمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ وَلَكِنْ ذَكَرَ أَوْ أُخْتٌ، ونكتة البدل: إفادة أنهما لا يشتركان فيه، وأُخْتُ بالولد ولد الابن، وبالأب الجد ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَرِثَتُهُ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ بضم الهمزة وكسرها (٣)؛ «فراؤا» من الانتقال من ضمة إلى كسرة؛ لثقله في الموضعين (٤) ﴿أَلْتَلَّكَ﴾ أي: ثلث المال أو ما يبقى بعد الزوج، والباقي للأب ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي: اثنان فصاعدًا - ذكورًا أو إناثًا - ﴿فَلِأَبِيهِ أَلْسُدُسُ﴾ والباقي للأب، ولا شيء للإخوة، وإِذْ مِنْ ذِكْرٍ مَا ذَكَرَ مِنْ بَدَلٍ تنفيذ ﴿وَصِيَّتِي يَوْصِي﴾ بالبناء للقاص والمفعول (٥) ﴿يَهَا أَوْ قَضَاءٌ﴾ أي: دين (٦) عليه (٧).

وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخرًا عنه في الوفاء: للاهتمام بها، ﴿عَائِيَاكُمْ وَبَنَاتِكُمْ﴾ مبتدأ خبره: ﴿لَا تَذَرُونَّ أَهْلَكُمْ﴾ أي: لا تتركوا أهْلَكُمْ في الدنيا والآخرة؛ فظان أن ابنه أنفع له؛ فيعطيه الميراث؛ فيكون الأب أنفع، وبالعكس، وإنما العالم بذلك هو الله؛ ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً﴾ أي: الله إِنْ أَلَّكَ كَانَ عَلَيْكُمْ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دُبرَ لهم؛ أي: لم يزل مُقَصِّصًا بذلك.

لِرَجَالٍ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ الَّتِي تَلَمَّسُوا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) يَوْصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْوَقْفِ لِلْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُخَوَاتِكُمْ مِثْلُ وَاحِدَةٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يَوْصِي بِهَا أَوْ دِينَ عَٰبَاءُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّكَ كَانَ عَلَيْكُمْ حَكِيمًا (١١)

[٧] ونزل - ردًا لما كان عليه في الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار (١) -: ﴿لِلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حَظٌّ ﴿مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الْمُتَوَفَّوْنَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعًا بتسليمه إليهم.

[٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ﴾ للميراث ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ ذُو الْقُرْبَى مِنْ لَيرث ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ﴾ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ شيقًا قبل القسمة ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: إذا كان الورثة صغارًا ﴿فَقُولُوا مَعْرُوفًا﴾ جميعًا؛ بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار، وهذا قيل: إنه منسوخ، وقيل: لا، ولكن

في التلخيص البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١) أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: عادي النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فوضأ منه ثم رش علي فأنفت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٤). وأخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواق، فبجاعت المرأة يابنتين لها، فقالت: يا رسول الله. هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم أحد، وقد استنفا عمهما مالهما وميراثهما كله فلم يدع لهما مالًا إلا أخذه فتمتري يا رسول الله؟ فوللا لا تتكحان أبداً إلا ولهما مال. فقال رسول الله ﷺ: «يقضي الله في ذلك». قال: ونزلت سورة ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ الآية. فقال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي المرأة وصاحبتها فقال لعمري: وأعطتهما الثلثين، وأعطت أمهما الثمن، وما بقي فلنك». أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (٤) ما جاء في ميراث الصلب. وقال عقبه: «أخطأ يثرو فيه، إنما هما ابنتا سعد بن الربيع. وثابت بن قيس قتل يوم البمامة. ثم ساق رواية أخرى على الصواب.

(١) أخرجه نحوه الطبري في جامع البيان (١٧٦/٤) عن قتادة، وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٣٦٧/١).

(٢) أي: لمن حضرته الوفاة. (٣) بالبناء للمفعول لابن عامر وشعبة. (٤) لنافع. (٥) بالكسر حمزة والكسائي. (٦) راجع إلى الكسر.

(٧) أي: في قوله: ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾، وقوله: ﴿فَلِأَبِيهِ أَلْسُدُسُ﴾. (٨) بابنا للمفعول لابن كثير وابن عامر وشعبة.

الفاحشة: الزنا أو اللواط^(١) ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: الرجال ﴿فَتَأْذُوهُمَا﴾ بالسُّبِّ والضرب بالنعال ﴿فَإِنْ تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَاعْرِضْهُمَا﴾ عَنْهُمْ وَلَا تُوْذُوهُمَا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ على من تاب ﴿حَسِيمًا﴾ به، وهذا منسوخ بالحد إن أُريد بها الزنا، وكذا إن أُريد بها اللواط عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرجع عنده - وإن كان مُحْضًا - بل يجلد ويغرب، وإرادة اللواط أظهر؛ بدليل ثنية الضمير^(٢)، والأول قال: أراد الزاني والزانية، ويرده تبيينهما بـ«من» المتصلة بضمير الرجال^(٣)، واشتركا في الأذى. والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال لما تَقَدَّمَ في النساء من الحسب.

[١٧] ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: التي كتب على نفسه قبولها بفضلها ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ أَسْوَءَ الْعَمَلِ﴾ المعصية ﴿بِحَقِّكَ﴾ حال؛ أي: جاهلين إذا عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْهُمْ﴾ زمن ﴿قَرِيبٌ﴾ قبل أن يُغْرَغَوْا ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعهم بهم.

[١٨] ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وأخذ في النزاع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدته ما هو فيه: ﴿إِنِّي بُنْتُ الْكَفَّ﴾ فلا ينفعه ذلك، ولا يقبل منه ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب؛ لا تقبل منهم ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا أَغْذَاً﴾ أَغْذَاً ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلماً.

[١٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ أي: ذَاتَهُنَّ ﴿كَرْهًا﴾ بالفتح والضم، لغتان^(١)؛ أي: مُكْرِهِيَهُنَّ^(٢) على ذلك - كانوا في الجاهلية^(٣) يرثون نساء أقرانهم، فإن شاءوا تزوجوهن بلا صداقي، أو زُوْجُوهُنَّ وأخذوا صداقهن، أو عَصَلُوهُنَّ؛ حتى يفتدين بما ورثته، أو يَمْتَنُّنَ فَرِثُوهُنَّ؛ فَيُتَّوُّهُنَّ عن ذلك - ﴿وَلَا﴾ أَنْ ﴿تَمْسُلُوهُنَّ﴾ أي: تمنعن أزواجهن عن نكاح غيركم؛ بِإِسْأَلِكِهِنَّ ولا رغبة لكم فيهنَّ؛ ضِرَارًا ﴿لِيَذْهَبُوا بِمَعْرُوفٍ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ يَفْسَسَ مَبِيتَهُ﴾ بفتح الباء وكسرها^(٤)؛ أي: يَبِيتَ^(٥)، أو هي بيته؛ أي: زنا أو نُشُورٌ^(٦)؛ فلکم أن تُضَارُوهُنَّ؛ حتى يَفْتَدِيَنَّ مِنْكُمْ وَيُخْلِفَنَّ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَمَعَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿وَلَعَلَّه يَجْعَلُ فِيهِمْ ذِكْرًا﴾ بآن يَرْزُقُكُمْ مِنْهُنَّ وَلَدًا صَالِحًا.

وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّعَنَّ الْمَوْتَ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَقَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٨﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّوْءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُنْتُ الْكَفَّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَعَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٢١﴾

[١٥] ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ﴾ الزَّنا ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ أي: من رجالكم المسلمين ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِي الْبُيُوتِ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّىٰ يَتَوَقَّعَنَّ الْمَوْتَ﴾ أي: ملائكته ﴿أَوْ﴾ إلى أَنْ ﴿يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الخروج منها - أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلًا؛ يجلد البكر مائة وتغريها عامًا؛ ورجم المحصنة، وفي الحديث: لَمَّا بَيَّنَّ الْحَدَّ - قال: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» [رواه مسلم]^(١). [١٦] ﴿وَالَّذَانِ﴾ بتخفيف النون وتشديدها^(٢) ﴿يَأْتِيَنِهَا﴾ أي:

(١) مسلم (١٦٩٠). وقامه: «الْيُبُ تُؤْجَمُ، وَالْيُكُزُ يُجْلَدُ».

(٢) بالشديد مع المد اللام لاين كثير.

(٣) قولان للمفسرين، ورجح المصنف الثاني بقوله: «إرادة اللواط أظهر... إلخ».

(٤) أي: في قوله: ﴿وَالَّذَانِ﴾، وقد يقال: إنه فيه تغليب الذكر على الأنثى.

(٥) وهو قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾.

(٦) وهما قرأتان، والضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) وفي بعض النسخ: «مكرهين» جمع مكره: اسم فاعل، ومفعوله محذوف؛ أي: مكرهين لهن.

(٨) أي: وفي صدر الإسلام.

(٩) بالفتح لاين كثير وشعبة.

(١٠) أي: بيها من يدعيها وأوضحها وأظهرها.

(١١) خروج عن طاعة الزوج.

وَأَنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ رَوْحٍ مَكَانَ رَوْحٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَاهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ
بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مَيْبِنَا ۖ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى
بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا عَلَيْهِ
لَا تَأْخُذُوا بَعْدَ سَلْفٍ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
سَبِيلًا ۖ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ
الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ
وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ
الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَيَنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ
أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَتَّخِذُوا بَنَاتِ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝

[٢٠] «وَلَنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ رَوْحٍ مَكَانَ رَوْحٍ» أي: أَخَذَهَا بَدَلَهَا
بأن طَلَقْتُمُوهَا «و» قد «ءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ» أي: الرُّوحَاتِ «قِطَارًا»
مَالًا كَثِيرًا ضِدًّا «فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا» ظَلَمْنَا
«وَلِئِنْ مَثَبَنَا» بَيَّنَّا، وَنَصَبْنَا عَلَى الْحَالِ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ وَاللَّانْكَارِ فِي
قَوْلِهِ [٢١] «وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ» أي: بِأَيِّ وَحَةٍ «وَقَدْ أَفْضَى» وَضَلَ
«بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ» بِالْجَمَاعِ الْمُتَوَرِّدِ لِلْمُتَعَرِّضِ «وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ
مِيثَاقًا» عَهْدًا «عَلَيْهَا» شَدِيدًا؛ وَهُوَ: مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ إِفْسَاحِهِمْ بِمَعْرِفِ
أَوْ تَشْرِيجِهِمْ لِاحْسَانِ.

[٢٢] «وَلَا تَنْكِحُوا مَا» بِعَنَى: مَنْ «نَكَحَ» أَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
إِلَّا» لَكِنْ «مَا قَدْ سَلَفَ» مِنْ فَعْلَمَكُم ذَلِكَ، فَإِنَّهُ مَغْفُورٌ عَنْهُ «إِنَّهُ» أي:
يُكَافِئُهُ «كَانَ فَحِشَةً» فِجْهًا «وَمَقْتًا» سَبًّا لِلْمَقْتِ مِنَ اللَّهِ - وَهُوَ
أَشَدُّ الْبَغْضِ - «وَسَاءَ» بِس «سَبِيلًا» طَرِيقًا ذَلِكَ.

[٢٣] «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ، وَشَمِلَتْ الْجَدَّاتِ
مِنْ قِبَلِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ «وَبَنَاتُكُمْ» وَشَمِلَتْ بَنَاتِ الْأَوْلَادِ وَإِنْ سَقَلْنَ
«وَأَخَوَاتُكُمْ» مِنْ جِهَةِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ «وَعَمَّاتُكُمْ» أي: أَخَوَاتِ آبَائِكُمْ
وَأَجْدَادِكُمْ «وَحَلَائِلُكُمْ» أي: أَخَوَاتِ أُمَّهَاتِكُمْ وَجَدَاتِكُمْ «وَبَنَاتُ الْأَخِ
وَبَنَاتُ الْأُخْتِ» وَيَدْخُلُ فِيهِنَّ أَوْلَادُهُمْ «وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ» قِيلَ
اسْتِكْمَالِ الْحَوْلَيْنِ عَشْرَ رَضَعَاتٍ^(١) - كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي الْحَدِيثِ - «وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ
الرِّضْعَةِ» وَيَلْحَقُ بِذَلِكَ - بِالشَّيْءِ - الْبَنَاتُ مِنْهَا؛ وَهُنَّ مَنْ أَرْضَعْنَهُمْ مَوْطُورَاتُهُ،
وَالْعَمَّاتُ وَالْخَالَاتُ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ مِنْهَا؛ لِحَدِيثِ «يَخْرُجُ مِنَ
الرِّضَاعِ مَا يَخْرُجُ مِنَ النَّسَبِ» [رواه البخاري ومسلم]^(٢).

«وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ» جَمْعُ «رَبِيبَةٍ»؛ وَهِيَ بِنْتُ الزَّوْجَةِ مِنْ
غَيْرِ «الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ» تَرْبُونَهُنَّ، صِفَةُ مُوَافَقَةٍ لِلْغَالِبِ؛ فَلَا مَفْهُومَ لَهَا
«وَمِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» أي: جَامِعَتُمُوهُنَّ «فَيَنْ لَمْ تَكُونُوا
دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي نِكَاحِ بَنَاتِهِنَّ إِذَا فَارَقْتُمُوهُنَّ
«وَحَلَائِلُكُمْ» أَزْوَاجُ «أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ» بِخِلَافِ مَنْ
تَبَيَّنَتْهُمْ؛ فَلَكُمْ نِكَاحُ حَلَائِلِهِمْ «وَأَنْ تَتَّخِذُوا بَنَاتِ الْأُخْتَيْنِ» مِنْ
نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ؛ بِالنِّكَاحِ، وَيُلْحَقُ بِهِمَا - بِالشَّيْءِ - الْجَمْعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَمَّتِهَا، أَوْ
خَالَاتِهَا^(٣)، وَيَجُوزُ نِكَاحُ كُلِّ وَاحِدَةٍ عَلَى الْإِنْفِرَادِ، وَمِلْكُهُمَا مَعًا، وَبَطْأً وَاحِدَةً
«إِلَّا» لَكِنْ «مَا قَدْ سَلَفَ» فِي الْجَاهِلِيَّةِ - مِنْ نِكَاحِهِمْ بَعْضُ مَا ذُكِرَ - فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهِ «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا» لِمَا سَلَفَ مِنْكُمْ قَبْلَ النَّهْيِ
«رَحِيمًا» بِكُمْ فِي ذَلِكَ.

(١) وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدُ وَهُوَ الرَّاجِحُ؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «كَانَ فِينَا أَتْرَلٌ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُخْرَجُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ نُحِبُّنَ بِحَقِّنَ مَعْلُومَاتٍ، فَذُفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ فِينَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ».

(٢) الْبُخَارِيُّ (٢٦٤٥)، وَمُسْلِمٌ (١٤٤٧).

(٣) الْبُخَارِيُّ (٥١٠٨)، وَمُسْلِمٌ (١٤٠٨).

مُتَزَوِّجِينَ^(٥) «عَبَرُ مُسْفِحِينَ» زانين «فَمَا» فَمَنْ «أَسْتَمْتَعْتُمْ» تَمَتَّعْتُمْ «بِهِ» مِنْهُنَّ «مَنْ تَزَوَّجْتُمْ بِالْوَطْءِ» فَتَأْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُهُرَهُنَّ الَّتِي فَرَضْتُمْ لَهُنَّ «فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَوْنَ» أَنْتُمْ وَهِنَّ «بِهِ» مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ «مَنْ حَطَّهَا أَوْ بَغَضَهَا أَوْ زَادَ عَلَيْهَا» إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِخَلْقِهِ «حَكِيمًا» فِيمَا دَبَّرَهُ لَهُمْ.

[٢٥] «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا» غِنَى لَهُ «أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ» الْحَرَائِرَ «الْمُؤْمِنَاتِ» وَهُوَ جَزْئِي عَلَى الْغَايِبِ؛ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ^(٦) «فَمَنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» يَنْكِحُ «مِنْ فَنَيْتِكُمْ» الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ «فَاكْتَفُوا بِظَاهِرِهِ» وَكَلُّوا الشَّرَّاءَ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ الْعَالَمُ بِتَفْصِيلِهَا وَرُبَّ أُمَّةٍ تَفْضُلُ حُرَّةً فِيهِ، وَهَذَا تَأْنِيسٌ بِنِكَاحِ الْإِمَاءِ «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» أَي: أَنْتُمْ وَهِنَّ سِوَا فِي الدُّنْيَا؛ فَلَا تَسْتَكْفُوا مِنْ نِكَاحِهِنَّ «فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ» مَوَالِيَهُنَّ «وَأَتَوْهُنَّ» أَعْطَوْهُنَّ «أَجُورَهُنَّ» مُهُرَهُنَّ «بِالْمَعْرُوفِ» مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ وَنَقْصٍ «مُحْصَنَاتٍ» عَفَافَاتٍ، حَالُ «عَبَرُ مُسْفِحَاتٍ» زَانِيَاتٍ جَهْرًا «وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ» أَيْ: لَا يَزْنُونَ بِهِنَّ سِرًّا «فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ زُوجَهُنَّ» وَفِي قِرَاءَةِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ^(٧) تَزَوَّجْنَ «فَلَنْ أَتِيَنَّ بِتَحِيَّةٍ» زَنَا «فَعَلَيْتُمْ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ» الْحَرَائِرَ الْأَبْكَارَ إِذَا زَانَيْن «وَمِنْ الْعَذَابِ» الْحَدِّ؛ فَيُجْلَدُ خَمْسِينَ وَيَعْرُضُنَّ نِصْفَ سَنَةٍ، وَيُقَاسُ عَلَيْهِنَ الْعَبِيدُ، وَلَمْ يُجْعَلِ الْإِحْصَانُ شَرْطًا لَوْجُوبِ الْحَدِّ؛ بَلْ لِإِفَادَةِ أَنَّهُ لَا رَجْمَ عَلَيْهِنَ أَصْلًا «ذَلِكَ» أَي: نِكَاحُ الْمَمْلُوكَاتِ عِنْدَ عَدَمِ الطَّوْلِ «لِيَمُنَّ خَشْيَتُ» خَافَ «الْعَنَتِ» الزَّانَا، وَأَصْلُهُ الْمَشَقَّةُ؛ سَمِيَ بِهِ الزَّانَا؛ لِأَنَّهُ سَبِيهَا بِالْحَدِّ فِي الدُّنْيَا وَالْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ «مِنْكُمْ» بِخِلَافِ مَنْ لَا يَخَافُهُ مِنَ الْأَحْرَارِ؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا، وَكَذَا مَنْ اسْتَطَاعَ طَوْلَ حُرَّةٍ؛ وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَخَرَجَ بِقَوْلِهِ: «مِنْ فَنَيْتِكُمْ» الْمُؤْمِنَاتِ «الْكَافِرَاتِ»؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا - وَلَوْ عَدِمَ^(٨) وَخَافَ - «وَأَنْ تَصْبِرُوا» عَنْ نِكَاحِ الْمَمْلُوكَاتِ «حَتَّى لَكُمْ» لَعَلَّ بَصِيرَ الْوَلَدِ رَقِيقًا «وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ» بِالتَّوَسُّعِ فِي ذَلِكَ.

[٢٦] «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ» شَرَائِعَ دِينِكُمْ وَمَصَالِحَ أَمْرِكُمْ «وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلًا» طَرِيقًا «الَّذِينَ» مِنَ الْقَبْلِ «مِنْ أَنْبِيَائِكُمْ» مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ فَتَتَّبِعُوهُمْ «وَيُؤْتِبُ عَلَيْكُمْ» يَرْجِعُ بِكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَى طَاعَتِهِ «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بِكُمْ «حَكِيمٌ» فِيمَا دَبَّرَهُ لَكُمْ.

وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِلَّاءَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَوْنَ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا^(٩) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَنَيْتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَعَلَيْتُمْ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ^(١٠) يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ سُبُلَ الْبَرِّ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الْمَعْرُوفِ وَيُؤْتِبُ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^(١١)

[٢٤] «وَمَنْ حُزِمَتْ عَلَيْكُمْ» الْمُحْصَنَاتُ «أَي: ذَوَاتُ الْأَرْوَاجِ» مِنْ الْأَنْسَاءِ «أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ قَبْلَ مَفَارِقَةِ أَرْوَاجِهِنَّ» حَرَائِرَ مُسْلِمَاتٍ كُنَّ أَوْ لَا - «إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(١٢) مِنَ الْإِمَاءِ بِالسُّبْحِيِّ؛ فَلَكُمْ وَطْأُهُنَّ - وَإِنْ كَانَ لَهُنَّ أَرْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ بَعْدَ اسْتِبْرَاءِ «كَتَبَ اللَّهُ» نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ^(١٣) أَي: كُتِبَ ذَلِكَ «عَلَيْكُمْ وَأُخْلِ» بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَالْمَفْعُولُ «لَكُمْ» تَأْ وَرَاءَ ذَلِكَ «أَي: سِوَى مَا حُزِمَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» أَنْ تَبْتَغُوا تَطْلُبُوا النِّسَاءَ «بِأَمْوَالِكُمْ» بِصَدَاقِ^(١٤) أَوْ تَمَنِ^(١٥) «مُحْصَنِينَ»

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ آيَةِ (٢٤): أُخْرِجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حَتِّينَ نَهَى جَيْشًا إِلَى أَوطَاسٍ فَلَقُوا عَدُوًّا فَقَاتَلُوهُمْ، فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا، فَكَانَ نَاشًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَمَرَحُوا مِنْ غَشْيَانِهِمْ مِنْ أَجْلِ أَرْوَاجِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي ذَلِكَ: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» أَي: فَهِنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عَدَّتُهُنَّ. مُسْلِمٌ - كِتَابُ الرِّضَاعِ (١٧) بَابُ (٩) جَوَازِ وَطْءِ الْمَسِيئَةِ بَعْدَ اسْتِبْرَاءِ.

(١١) أَي: الْمَوْكِدَ لِعَامِلِهِ الْمَعْنِيِّ، الْمُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «حُزِمَتْ»؛ فَإِنَّ التَّحْرِيمَ وَالْفَرْضَ وَالْكَسْبَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

(١٢) بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنُ عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَشُعْبَةُ.

(١٣) أَي: بِالتَّزْوِيجِ.

(١٤) أَي: بِالْمَالِكِ.

(١٥) أَوْ مُتَمَلِّكِينَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «أَوْ تَمَنِ».

(١٦) وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَإِنَّهُ إِنْ قَدَّرَ عَلَى طَوْلٍ حُرَّةً كَتَابَةِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّةً مُسْلِمَةً، وَاخْتَارَهُ الْقُرْطُبِيُّ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّ لَهُ ذَلِكَ، وَالْأُمَّةُ الْمُؤْمِنَةُ خَيْرٌ مِنَ الْحُرَّةِ الْكَتَابَةِ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ. وَهُوَ الْأَوَّلَى وَالْأَظْهَرُ بِنَصِّ هَذِهِ آيَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١٧) وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْرَةَ وَالْكَسَائِيُّ وَشُعْبَةُ.

(١٨) أَي: عَدِمَ الطَّوْلَ، وَخَافَ الْعَنَتَ.

[٢٧] ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كَوْرُهُ لِبَنِي عِيهِ ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ اليهود والنصارى، أو الجوس، أو الزناة ﴿أَنْ يَقِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ تعدلوا عن الحق؛ بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم.

[٢٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ يُهَيِّلْ عَلَيْكُمْ أَحْكَامَ الشَّرْعِ ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات.

[٢٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بالحرام في الشرع؛ كالربا والغصب ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ^(١) ﴿أَنْ تَكُونَ تَجَارَةً سَادِرَةً﴾ وفي قراءة بالنصب^(٢)، أَنْ تَكُونَ الْأَمْوَالُ أَمْوَالُ تِجَارَةٍ صَادِرَةٍ ﴿عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَكُمْ﴾ وطيب نفس؛ فلكم أَنْ تَأْكُلُوهَا وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها. أيا كان في الدنيا أو الآخرة.

- بقريئة: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في منعه لكم من ذلك.

[٣٠] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أَي: مَا نَهَى عَنْهُ ﴿عُدُوًّا﴾ تَجَاوَزًا لِلْحَالِ، حَالٍ ﴿وَطُلُوعًا﴾ تَأْكِيدٌ ﴿فَسَوْفَ نُضَيِّقُهُ﴾ نَدْخَلُهُ ﴿نَارًا﴾ يَحْتَرِقُ فِيهَا ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هَيْئًا.

[٣١] ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ﴾ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَلَيْهَا وَعِيدٌ؛ كَالْقَتْلِ وَالزَّانَا وَالسَّرَقَةِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ إِلَى السَّبْعَةِ أَقْرَبُ^(٣) ﴿تُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصَّغَارُ؛ بِالطَّاعَاتِ ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا﴾ بضم الميم وَفَتْحًا^(٤)؛ أَي: إِدْخَالًا، أَوْ مَوْضِعًا^(٥) ﴿كَرِيمًا﴾ هُوَ الْجَنَّةُ.

[٣٢] ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا أَوْ الدِّينِ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى التَّحَاشِدِ وَالتَّبَاعُضِ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ بِسَبَبِ مَا عَمِلُوا مِنَ الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ﴾ مِنْ طَاعَةِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَحِفْظِ فُرُوجِهِنَّ - نَزَلَتْ لَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: لَيْتَنَا كُنَّا رَجُلًا فَجَاهَدْنَا؛ وَكَانَ لَنَا مِثْلُ أَجْرِ الرِّجَالِ^(٦) - ﴿وَسَلُّوا﴾ بِهَمْزَةٍ، وَدُونَهَا^(٧) ﴿وَاللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مَا اخْتَجَمْتُمْ إِلَيْهِ يُفْطِكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٨) وَمِنْهُ مَحَلُّ الْفَضْلِ وَسُؤَالِكُمْ.

[٣٣] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ﴿جَعَلْنَا مَوْلَىٰ﴾ غَضَبِيَّةٌ بِمَطْوُونٍ ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ لَهُمْ مِنَ الْمَالِ ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ﴾ بِالْف، وَدُونَهَا^(٩) ﴿أَيْمَنُكُمْ﴾ جَمْعُ «يَمِين» بِمَعْنَى الْقَسَمِ، أَوْ الْيَدِ؛ أَي: الْخُلَفَاءُ الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى النُّصْرَةِ وَالْإِثْرِ ﴿فَتَأْتُوهُمْ﴾ الْآنَ

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَطُلُوعًا فَسَوْفَ نُضَيِّقُهُ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ وَسَلُّوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنْ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا

﴿نُضَيِّبُهُمْ﴾ حَظْوْطُهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ؛ وَهُوَ: السُّدُسُ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ مُطْلَعًا، وَمِنْهُ حَالِكُمْ، وَهَذَا مَنْسُوخٌ^(١) بِقَوْلِهِ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(٢).

(٥) مَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ الْآيَةِ (٣٢): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا يَغْزُو النِّسَاءُ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. ائِرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) سُورَةُ النِّسَاءِ. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٤١٩).

(١) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْاِسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ؛ لِأَنَّ التِّجَارَةَ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْأَمْوَالِ الْمَأْكُولَةِ بِالْبَاطِلِ، وَخَصَّ التِّجَارَةَ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهَا كَالْهَبَةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْوَصِيَّةِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ بِهَا.

(٢) وَالْقِرَاءَةُ لِمُفْرَدَةٍ بِالضَّمِّ، نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(٣) أَي: مِنْهَا لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِي قَبِلَ بِهَا.

(٤) وَالْفَتْحُ قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٥) لَفٌ وَنَشْرٌ مُرْتَبٌ، فَاذْخَالًا عَلَى قِرَاءَةِ ﴿مَدْخَلًا﴾؛ وَمَوْضِعًا عَلَى قِرَاءَةِ: ﴿مَدْخَلًا﴾. فَيَكُونُ اسْمُ كَانَ.

(٦) أَخْرَجَ نَحْوَهُ الطَّرِيقِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ (٩٢٣٩، ٩٢٤٠) وَنَحْوَهُ أَبُذَا عَنْ عَطَاءٍ (٩٢٤٥) وَنَحْوَهُ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ (٩٢٤٢) وَلَكِنَّهَا مُبْهَمَةٌ فِي النِّسَاءِ وَيَسَّرَ فِيهَا تَعْيِينَ أُمِّ سَلَمَةَ فِي هَذَا الْمَقُولِ. وَلَكِنْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ (٢٩٤٨) وَغَيْرُهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا يَغْزُو النِّسَاءُ وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وَأَنْزَلَ فِيهَا: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٧) بِدُونِهَا قِرَاءَةُ الْكِسَائِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ.

(٨) بِالْأَلْفِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(٩) أَي: قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٣].

(١٠) الْأَحْزَابُ: ٦.

﴿أَمَلَهُمْ﴾ فَالْبَيْتُ مِنْهُمْ ﴿قَبِضَتْ﴾ مَطْبِعَاتُ أَرْوَاجِهِمْ ﴿حَفِظْتُ﴾ لِلْقَبْرِ أَي: لِفُرُوجِهِمْ وَغَيْرِهَا مِنْ غِيَةِ أَرْوَاجِهِمْ ﴿يَمَّا حَفِظَ﴾ هُنَا ^(١) ﴿أَنَّ﴾ حَيْثُ أَوْصَى عَلَيْهِنَ الْأَرْوَاجُ ^(٢) ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوءَهُنَّ﴾ عَصَانَهُنَّ لَكُمْ؛ بَأَن ظَهَرَتْ أَمَارَتُهُ ﴿يَقِطُّهُنَّ﴾ فَخَوَّفَهُنَّ اللَّهَ ﴿وَأَهْمَرُّهُنَّ﴾ فِي الْمَصَاحِجِ اعْتَزَلُوا إِلَى فِرَاشٍ آخَرَ؛ إِنْ أَظْهَرَ النُّشُوءَ ﴿وَأَسْرَبُوهُنَّ﴾ ضَرْبًا غَيْرَ مِزْحٍ؛ إِنْ لَمْ يَرْجِعَنَّ بِالْهَجْرَانِ ﴿وَكَيْنَ أَطَقْتِكُمْ﴾ فِيمَا يَرَادُ مِنْهُمْ ﴿فَلَا تَبْتَوُوا﴾ تَطْلُبُوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ طَرِيقًا إِلَى ضَرْبِهِمْ ظُلْمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ فَاحْذَرُوهُ إِنْ يَعَاقِبُكُمْ إِنْ ظَلَمْتُمُوهُنَّ.

[٣٥] ﴿إِنَّ جَنَّمَ﴾ علمتم ﴿شَقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْبِهِمَا﴾ بين الزوجين، والإضافة للانساع؛ أي: شقاقاً بينهما ﴿فَأَبْعَثُوا﴾ إليهما برضاهما ﴿حَكَمًا﴾ رجلاً عدلاً ﴿مِّنْ أَهْلِهِ﴾ أقاربه ﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ويؤكد^(١) الرُّوحُ حَكَمَهُ في الصِّلاق وقبول عوض عليه، وتؤكدُ هي حَكَمَهَا في الاختلاع؛ فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع، أو يفرقان؛ إن رأياه، قال - تعالى -: ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ أي: الحكمان^(٢) ﴿صَلَحَا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين^(٣)؛ أي: يقدِّرُهُمَا على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرًا﴾ بالباطن كالظواهر.

[illegible]

[٣٧] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَسْخَرُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْتُرُونَ﴾
 الْكَاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به ﴿وَيَسْتَكْبِرُونَ﴾ تَأَنَّا عَلَيْهِمْ أَنَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. من
 العلم والمال؛ وهم: اليهود، وخبر المبتدأ: ﴿لَهُمْ وَعِدَ شَدِيدٌ﴾^(١) ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾
 لِلْكَافِرِينَ. بذلك وبغيره ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾. ذا إهانة.

الرجال فَوُتُّوا عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى
بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَلِيلٌ
حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ
تُشَوِّهُنَّ بِفَعْوَاهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ
وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَتَّبِعُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
فَاتَّعِثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ
يُرِيدُ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
خَبِيرًا ﴿٢١﴾ * وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ
وَأَيْنَ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ يَخْلَوْنَ
وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمْ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِمًا ﴿٢٣﴾

[٣٤] ﴿الْجِبَالُ فَوُتُوهُ﴾ مَسْلُوبُونَ ﴿عَلَى الْإِنْسَاءِ﴾ يُوَدَّبُونَهُنَّ وَيَأْخُذُونَ عَلَى أَيْدِيهِنَّ ﴿يَمَّا فَصَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أَي: بِتَفْصِيلِهِ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالْوَلَايَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿وَيَمَّا أَنْفَقُوا﴾ عَلَيْهِنَّ ﴿وَمِنْ

(١) أثار المصنف إلى أن «ما» اسم موصول، أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف قدره بقوله: «هن».

(٢) وقبل: جَفِظَ اللَّهُ لَهُنْ؛ أي: توفيق الله لهن. وقيل: بهيهن عن المخالفة.

(٣) اشتراط التوكيل هو مذهب الأحناف والشافعية، لانهما يوجبان مهمة المحكمين عندهم في الإصلاح، ولا يحق لهما اتفرق بين الزوجين إلا بتفويض منهما، بخلاف المذهب المالكي الذي يعطي المحكمين حق الحكم بالتفريق من غير توكيل منهما.

(٤). ويحتمل أن يعود الضمير على الزوجين؛ والمعنى: إن يرد الزوجان إصلاحاً؛ معايشة بالمعروف وترك ما يسيء؛ تحصل المواقفة بينهما.

(٥) ويحتمل أن يعود التضمير على الحكمين؛ والمعنى: لا يحصل اختلاف بين الحكمين؛ بل تحصل الموافقة بينهما.

(٦) أي: محذوف، وهذا تقديره.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ عَظَّمَ عَلَى الَّذِينَ قَبْلِهِمْ أَنْ يَقُولُوا أَمْوَالُهُمْ رِثَاءٌ لِلَّذِينَ هُمْ مُرَائِيُونَ لَهُمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَفْقَهُونَ قُرْآنًا﴾ صاحبًا يعمل بأمره: كهؤلاء ﴿فَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ قُرْآنًا هو.

[٣٩] ﴿وَمَاذَا عَلِمْتُمْ لَوِ اسْتَأْذَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْتُمْ مِمَّنْ رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أي ضرر عليهم في ذلك، والاستفهام للإنكار، ولو: مصدرية^(٨)، أي: لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بما عملوا.

[٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ أَخَذًا ﴿يُشْقَالُ﴾ وزن ﴿ذَرُّوْهُ﴾ أصغر غلة؛ بأن ينقصها من حسنته أو يزيدا في سيئته ﴿وَإِنْ تَكُ﴾ الذرة ﴿حَسَنَةً﴾ من مؤمن، وفي قراءة: بالرفع^(٩)؛ فد كان: تامة ﴿يُضْعِفُهَا﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة، وفي قراءة: ﴿يُضْعِفُهَا﴾ بالتشديد^(١٠) ﴿وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدره أحد.

[٤١] ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها؛ وهو: نبيا ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿وَعَلَى هَذِهِ أَشْهَادُ﴾.

[٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم الجزيء ﴿يُؤْذِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ﴾ أي: أن ﴿شُؤْيَ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل، ومع إدغامها في السين^(١١)؛ أي: تنسوى ﴿بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ بأن يكونوا تراثًا مثلها؛ لعظم هولها - كما في آية أخرى ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبَسُنِي كُتٌّ ثِرَابًا﴾ - ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه، وفي وقت آخر يكتمونه، ويقولون: ﴿وَاللَّهُ رَيْبًا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(١٢).

[٤٣] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: لا تصلوا ﴿وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ من الشراب؛ لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال سكر ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ بأن تضحوا^(١٣) ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ بإبلاج أو إنزال، ونصبه على الحال، وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إِلَّا عَابِرِي﴾ مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾ طريق؛ أي: مسافرين ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا﴾ فلكم أن تصلوا، واستثناء المسافر؛ لأن له حكمًا آخر سيأتي، وقيل: المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة؛ أي: المساجد، إلا عبورها من غير مكث ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْتَجِينَ﴾ مرضًا يضره الماء ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين، وأنتم جنب أو محدثون ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ هو المكان المَعْدُ لقضاء الحاجة؛ أي: أحدث ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وفي قراءة: بلا ألف^(١٤)، وكلاهما بمعنى: اللئس؛ وهو: الجنس باليد، قاله ابن عمر - وعليه الشافعي - وألحق به الجنس بباقي البشرية، وعن ابن عباس؛

وَالَّذِينَ يُفْقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَفْقَهُونَ قُرْآنًا وَمَاذَا عَلِمْتُمْ لَوِ اسْتَأْذَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْتُمْ مِمَّنْ رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفُهَا وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ نَسَوْنَ بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ كُنْتُمْ مَرْتَجِينَ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيْمَسُّوا أُصْبِعًا ظَهْرًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نُصَيْبًا مِنْ أَلْكَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ

هو: الجماع^(١٥) ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ تطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿فَتَيْمَسُّوهُ﴾ أفصدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ تراثًا طاهرًا، فاضربوا به ضربتين ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المؤقتين منه^(١٦)، ودمسح: يتعدى بنفسه^(١٧) وبالخرف^(١٨) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾.

[٤٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نُصَيْبًا﴾ خطأ ﴿مِنْ أَلْكَابِ﴾ وهم اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ بالهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ تخطئوا الطريق الحق؛ لتكونوا مثلهم.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٤٣): أخرجه أبو داود عن علي بن أبي طالب أن رجلاً من الأنصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاها قبل أن تحرم الخمر، فأمرهم علي في المغرب فقرا: ﴿فَلْيَكُنَّ الْكَافِرُونَ﴾ فخلط بها، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾. وأخرج أيضاً: عن عمر بن الخطاب قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: =

(١) أي: والكلام على تقدير حرف الجر «في» الدخول على المصدر المقدّر: أي: وماذا عليهم في إيمانهم؟! (٢) لافع وابن كثير. (٣) لابن كثير وابن عامر.

(٤) قرأها ﴿نَشُؤِي﴾ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم، وقرأها ﴿نَشُؤِي﴾ حمزة والكسائي، وقرأها ﴿نَشُؤِي﴾ نافع وابن عامر. (٥) سورة الباء: آية ٤٠. (٦) سورة الأنعام: آية ٢٣. (٧) حمزة والكسائي. (٨) وهذا هو الصحيح في تفسير الآية - إن شاء الله - ولا ينفك الوضوء مجرد من المرأة ولو بشهوة... لأن الأصل عدم النقص حتى يقوم دليل صحيح صريح على ذلك، ولما روت عائشة رضي الله عنها: ﴿وَقَالَ بَعْضُ نِسَائِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ﴾، كما أن تفسير ابن عباس رضي الله عنهما هو المناسب لسياق الآية كما بيّنه أهل العلم، وإن كانوا قد اختلفوا في صحة الحديث المذكور والذي أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي، فقد

صححه ابن عبد البر كما في «البل» وأما ما ورد عن ابن عباس فقد قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إن ذلك صحت عنه وهو الذي دعا له النبي ﷺ أن يعلمه التأويل، وهو أولى من يؤخذ قوته في التفسير إلا أن يعارضه من هو أرجح منه. انظر: [الشرح الممتع (١/ ٢٣٩)].

(٩) أي: من الصعيد الطيب، وهو مذهب الشافعي في الجديد، واستدل بحديث ضعيف، والراجح أن التيمم يكون بمسح الوجه واليدين إلى الكفين فقط، ويكون بضرية واحدة.

(١٠) فتكون الباء زائدة. (١١) وتكون الباء للتعدي.

قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا بَدَل ﴿١٠٤﴾ وَعَصَيْنَا بَدَل ﴿١٠٥﴾ وَاسْمَعْ ﴿١٠٦﴾ فَقَطْ ﴿١٠٧﴾ وَأَنْظُرْنَا ﴿١٠٨﴾ انْظُرْنَا يٰنَا بَدَل ﴿١٠٩﴾ رَعَيْنَا ﴿١١٠﴾ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿١١١﴾ مِمَّا قَالُوهُ ﴿١١٢﴾ وَأَوْفُوا أَعْدَلُ مِنْهُ ﴿١١٣﴾ وَلَكِنْ لَّمْ يَنْتَهُوا أَعْبَدُوهُ عَنِ رَحْمَتِهِ ﴿١١٤﴾ يَكْفُرُونَ ﴿١١٥﴾ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١٦﴾ مِنْهُمْ كَعْبِدَ اللَّهُ بَنِي سُلَيمَانَ وَأَصْحَابِيهِ.

[٤٧] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أَوَفَّا الْكِتَابَ عَامُوا بِمَا تَزَكَّاهُمْ﴾ من القرآن ﴿مَصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْطَلِسَ وَجُوهُهَا﴾ منحوا ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿فَرَدَّهَا عَلَىٰ أَذْيَارِهَا﴾ فنجعلها كالأقفاء لوجها واحدا ﴿أَوْ نُلْعِنُهَا﴾ نَسْخُفُهُمْ قَرَدَةً ﴿كَمَا لَعَنَّا﴾ مَسْخَاهَا ﴿أَصْحَابَ النَّبِيِّ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قَضَاؤُهُ ﴿مَفْعُولًا﴾، ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام (١)؛ فقيل: كان عيدا بشرط؛ فلما أسلم بعضهم رُفِعَ، وقيل: يكون طمس ومسح قبل قيام الساعة.

[٤٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ﴾: أي: الإشراك ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونََ سِوَى ذَلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾: لِمَنْ يَشَاءُ عَذَابُهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِذُنُوبِهِ ثُمَّ يَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾: كَبِيرًا.

[٤٩] ﴿أَمْ تَرَىٰ إِلَىٰ آلِ الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ وهم اليهود؛ حيث قالوا: ﴿عَنْ آبَائِنَا اللَّهُ وَاجِبُونَ﴾ ^(١) أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلِ اللَّهُ يَزُكِّي﴾ يُطَهِّرُ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ بالإيمان ﴿وَلَا يُلَظُّنُونَ﴾ يُتَّقِصُونَ من أعمالهم ﴿فَبَلِّغْ﴾ نَذْرَ تَشْرَةِ ^(٢) النواة.

[٥٠] ﴿انْظُرْ﴾ مُتَعَجِّبًا ﴿كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى آلِهِ الْكِتَابَ﴾ بِذَلِكَ ﴿وَكَلَّمَ﴾ يَوْمَ إِسْمَاعِيلَ مُيْسَاءً بَنِيَّ، وَنَزَلَ فِي كَعْبٍ بَنِ الْأَشْرَفِ وَنَحْوِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ لَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ؛ وَشَاهَدُوا قَتْلَى بَدْرٍ؛ وَحَرَضُوا الْمَشْرِكِينَ عَلَى الْأَخْذِ بِثَأْرِهِمْ وَمُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

[٥١] ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أَوْثَقُوا عُيُنَهُمْ أَذْيَةً مِّنَ الْكُتُبِ يَوْمُئِذٍ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُخْرَجُونَ ﴿١﴾ وَأَنَّهُمْ قَرِيشٌ ﴿٢﴾ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٣﴾ أَبَى سَفِيانٌ ﴿٤﴾ وَأَطْلُحُوهُ ﴿٥﴾ حِينَ قَالُوا لَهُمْ: أَنْتُمْ أَهْدَى سَبِيلًا وَنَحْنُ وَلَاءُ الْبَيْتِ؛ نَسْقِي الْحَاجَّ وَنَقْرِي الضَّعِيفَ، وَنُفَكُّ الْعَانِي، وَنَعْمَلُ... أُمِّ مُحَمَّدٍ؛ وَقَدْ خَالَفَ دِينَ آبَائِهِ، وَقَطَعَ الرَّحِمَ، وَفَارَقَ الْحَرَمَ؟ هَؤُلَاءِ ﴿٦﴾ أَيُّكُمْ أَهْدَى مَنَ الْكُفْرِ؟ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٧﴾ أَقَوْمٌ طَرِيقًا.﴾

وَاللَّهُ أَتَمُّ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿١٧﴾
 مِنَ الَّذِينَ هَادُوا أَمْحَرُونَ الْكَلِمَةَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ
 سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيْتَ بَالِ سِنَتِهِمْ
 وَطَعْنَانِي الَّذِينَ وَلَّوْا أَنفُسَهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا
 لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمُ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
 إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا
 مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَنْظِمَ وَجُوهًا فَرَدَّدَهَا
 عَلَى آذَانِهَا أَوْ لَعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ
 اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
 ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا
 ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرْكِي مَنْ يَشَاءُ
 وَلَا يَظْهَرُونَ قَبِيلًا ﴿٢١﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
 وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
 مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٢٣﴾

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ منكم؛ فيخيركم بهم لتجتنبوهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ حافظًا لكم منهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ مانعًا لكم من كيدهم.

[٦] **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا قَوْمَ يُحْرُوتَ** يغيرون **أَلَكُمُ** الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ **عَن مَّوَأِصِيءَ** التي وضع عليها **وَيَقُولُونَ** للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء: **يَوَعَّ** قولك **وَصَصَيْنَا** أمرك **وَأَمَّعَ عَيْرَ شُمُوعَ** حال؛ بمعنى: الدعاء؛ أي: لا سمعت **وَوَعَّ** يقولون له **رَزَعَا** وقد نهى عن خطابه بها؛ وهي كلمة سب بلغتهم **لِيَأْ** تحريفاً **بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعَّا** قدحاً في الدين الإسلام **رَكَوْ** أَيْمَتُمْ

اللَّهُمَّ يَنْ لَنَا فِي الْحَرِّ بَيِّنَاتٌ شَافِعَةٌ، فَرَزْتَ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ: ﴿تَسْتَوِيكَ عَنْ الْعَصَى وَالْمَيْسِرِ قُلْ يَوْمًا إِنَّكُمْ كَبِيرٌ﴾. الْآيَةَ: قَالَ: فِدَاعَا عَمْرٍ، قَفَرْتُ عَلَيْهِ. قَالَ: اللَّهُمَّ يَنْ لَنَا فِي الْحَرِّ بَيِّنَاتٌ شَافِعَةٌ، فَرَزْتَ الْآيَةَ الَّتِي فِي النَّسَاءِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الصَّلَاةَ وَآتَرْتُمْ مَكَائِرَكُمْ﴾. فَكَانَ مَادِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَقْبَمْتَ لَصَلَاةً بِنَادِي: أَلَا يَأْتِيَنَّ الصَّلَاةَ سَكْرَانٌ. فِدْعِي عَمْرٍ قَفَرْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ يَنْ لَنَا فِي الْحَرِّ بَيِّنَاتٌ شَافِعَةٌ، فَرَزْتَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْكَافِرِينَ نُورٌ﴾. قَالَ عَمْرٍ: انْتَهَبَهَا. وَصَحَّحَهُ الْأَبْيَانِي وَسَبَقَ تَخْرِيجُهُ عِنْدَ الْآيَةِ (٢١٩) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

(١) لقد أجد أن عبد الله بن سلام أسلم لما نزلت، وإن كان القرطبي قد ذكره في تفسيره بلا إسناد، ولكن ورد إسلام كعب الأحبار لما سمع هذه الآية فيما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي إدريس الخولاني، وابن جرير عن عيسى بن المنيرة وإسناده ضعيف [الدر المنثور (٣٠١/٢)].

(٢) المائدة : ١٨. (٣) فشرة النواة هي القطمير، وأما الفتيل فهو الحيط الذي في شق النواة.

وقيل: القتل هو ما يخرج بين أصبعيك أو كفيك من الوسخ إذا فتلتها، وقيل فيه غير ذلك. انظر: [الدر المنثور (٣٠٥/٢)] وغيره.

(٤) أخرج نحوه عبد الرزاق وابن جرير عن عكرمة مرسلاً بدون ذكر قتلي بدر [المصدر المذكور (٣٠٦/٢)]، وأخرجه أحمد كما في تفسير القرآن العظيم (٥٢٥/١)، والطبري في جامعه (٨٥/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٧٣/٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٥٧٢) عن عكرمة عن ابن عباس، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الصحيح.

(٥) وذلك قبل إسلامه ﷺ.

[٥٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعاً من عذابه.

[٥٣] ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا﴾ أي شيئاً تافهاً قدّر النقرة في ظهر النواة؛ لفرط بخلهم.

[٥٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة وكثرة النساء؛ أي: يمتصون زواله عنه، ويقولون: لو كان نبياً لاشتغل عن النساء^(١) ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ جدّه؛ كموسى^(٢) وداود وسليمان ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ والنبوة ﴿وَوَاتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا﴾ فكان داود تسع وتسعون امرأة، وسليمان ألف؛ ما بين حرة وسُرّة^(٣).

[٥٥] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِ﴾ فلم يؤمن ﴿وَكُنْ بِحُجَّتِهِمْ سَعِيرًا﴾ عذاباً لمن لا يؤمن.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيَانَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ ندخلهم ﴿نَارًا﴾ يحترقون فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول، غير محترقة ﴿يَلْدُرُونَ فِيهَا الْعَذَابَ﴾ ليقاسوا شدته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَرِيبًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَرْعٌ وَلَا يَنْتَبَهُونَ﴾ دائماً لا تتسَخَّه شمس؛ هو: ظل الجنة.

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ أي: ما أؤتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾ نزلت لما أخذ علي ﷺ مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة الحنفي سادنها قسراً، لما قدّم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه؛ وقال: لو علمت أنه رسول الله لم آمنه. فأمر رسول الله ﷺ برده إليه؛ وقال: «هاك خالدةً تالدة»^(٤)، فعجب من ذلك؛ فقرأ له عليّ الآية؛ فأسلم، وأعطاه عند موته لأخيه شيبه بقي في ولده والآية. وإن وردت على سبب خاص - فعمومها مغتبر بقرينة الجمع ﴿وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي لَكُمْ صِرَاطًا ﴿فِيهِ إِدْغَامٌ مِمَّ﴾ «نغم» في «ما» النكرة الموصوفة؛ أي: نعم شيئاً ﴿يُطْعَمُونَ يَوْمَهُ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿يَصِيرًا﴾ بما يفعل.

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا﴾ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا﴾ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَعْنَاهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيَانَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا فَضَحَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَرْعٌ وَلَا يَنْتَبَهُونَ﴾ ﴿وَيَدْخُلْنَاهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي لَكُمْ صِرَاطًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

﴿الْأَمْرِ﴾ أي: الولاة ﴿يُنْكَرُ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله^(١) ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ مدة حياته، وبعده إلى شئبه؛ أي: اكشفوا عليه منهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: الرد إليهما ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً.

(١) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ قال: نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعث النبي ﷺ في سرية البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١١).

وأخرج أيضاً عن علي ﷺ قال: بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطعموه. ففضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطعموني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطب. فجمعوا. فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوا. فقال: ادخلوها. فهجروا، وجعل بعضهم يسلك بعضاً ويقولون: فرنا إلى النبي ﷺ من النار. فمأزوا حتى خمدت النار فسكن غضبه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة إنما الطاعة في المعروف» البخاري - كتاب المغازي (٦٤) باب (٥٩).

(٢) والظاهر أن المراد بالناس هنا: الرسول والمؤمنون، والفضل: النبوة والكتاب والعز والنصر والتمكين، حسدتهم أي يهود على ذلك، كما اختاره طائفة من المفسرين؛ كالقاسمي والسدي. ولا وجه لظاهر إقحام ذكر النساء، كما لا نقل صحيح. والله أعلم.

(٣) المعنى: فقد جمعنا لأسلافكم من درية إبراهيم بين الملك والنبوة، فلا شيء تخصون محمداً ﷺ بأخس دون غيره من أنعم الله عليه. وأما تخصيص المفسر الملك العظيم بتعدد الزوجات ففيه نظر، والصواب الإطلاق. والله أعلم.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول بدون ذكر جملة (هاك...)، وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»، يعني حجابة الكعبة [الدر المنثور (٣١٢/٢)]. وإسنادهما ضعيف كما في الاستيعاب (٤١٤/١)، وأخرج ابن إسحاق بسند صحيح في السيرة (٤١١/٢)، ونقله ابن كثير في تفسيره (٥٢٨/١) عن صفية بنت شيبه: أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت؛ فطاف به سبعمائة على راحلته... فلما فرغ من طوافه؛ دعا عثمان بن أبي طلحة فأخذ منه مفاتيح الكعبة؛ ففتحت له فدخلها... ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية؛ فقال رسول الله ﷺ: «أليس عثمان بن أبي طلحة؟» فدعي له، فقال: «هاك مفاتيحك يا عثمان؛ اليوم يوم وفاء وبره».

وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾ الكثير الطغيان؛ وهو: كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْحُكْمِ وَإِلَى الرَّسُولِ لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمْ﴾ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ ﴿يَعْرِضُونَ عَنْكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُّوْا﴾.

[٦٢] ﴿فَكَفَّ﴾ يصنعون ﴿وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عَقُوبَةٌ ﴿يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي؛ أي: يقفرون على لإعراض والفرار منها؛ لا ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ معطوف على: ﴿يَصُدُّونَ﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بالحكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ صلحا ﴿وَتَوَقُّعًا﴾ تأليفاً بين الخصمين؛ بالتقريب في الحكم دون الحمل على مؤ الحن.

[٦٣] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعَظَّمَهُمْ﴾ خوفهم الله ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي﴾ شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ مؤثرا فيهم؛ أي: ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم.

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره؛ لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَأَسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴿فَبِهِ الْفِتَاءُ﴾ تفخيما لشأنه ﴿لَوْجَدُوا﴾ اللَّهُ تَوَّابًا ﴿عَلَيْهِمْ رَحِيمًا﴾ بهم.

[٦٥] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ (١) لا: زائدة (٢) ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ فيما شَجَرَ ﴿اخْتَلَطَ﴾ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا ﴿ضَيْقًا أَوْ شَكًّا﴾ وَمَتَا قَضَيْتَ بِهِ ﴿وَيَسْلُمُوا﴾ ينقادوا لحكمك ﴿سَلِيمًا﴾ من غير مغارضة (٣).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُّوْا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا

[٦٠] ونزل لما اختصم يهودي ومنافق؛ فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأثابه فقبض لليهودي؛ فلم يرض المنافق، وأثابه عزم؛ فذكر اليهودي ذلك، فقال للمنافق: أكذاك؟ قال: نعم؛ فقتله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

(١) ما حاء في نزول الآية (٦٥): أخرج البخاري عن عروة قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريح من الحرق، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» فقل الأنصاري: يا رسول الله، أن كان «بن عمتك» فتلون وجهه، ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجذر ثم أرسل الماء إلى جارك». واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أخفظه الأنصاري. وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه معة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. البخاري. كتاب التفسير (١٢) سورة النساء (٤) باب (١٢).

(١) أخرجه التلمبي عن ابن عباس [الدر المنثور (٣٢٠/٢)]، وقال الحافظ في الفتح (٣٨/٥): «وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً؛ لكن تقوى بطريق مجاهد، ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد». وتُعقب بأن في إسنادها الكلبي وأبا صالح وهما كذبان. (الاستيعاب ٤٢٤/١) وأخرج الطبراني في الكبير (١٢٠٤٥/٢٩٥/١١) وابن أبي حاتم في تفسيره بسند صحيح عن ابن عباس قال:

• كان أبو بردة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه؛ فضاغر إليه أناس من أسلم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. فكان أبو بردة يقول: «يا زبير، اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» فقل الأنصاري: يا رسول الله، أن كان «بن عمتك» فتلون وجهه، ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجذر ثم أرسل الماء إلى جارك». واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أخفظه الأنصاري. وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه معة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. البخاري. كتاب التفسير (١٢) سورة النساء (٤) باب (١٢).

(٢) قال القرطبي: قال مجاهد وغيره: المراد بهذه الآية من تقدم ذكره عن أراد التحاكم إلى الطاغوت، وفيهم نزلت،... وقالت طائفة: نزلت في الزبير مع الأنصاري، وكانت الحصرمة في سقي بستان... وذكر القصة.

(٣) وهو اختيار الرمخشري، وقال الطبري: قوله: ﴿فَلَا﴾ رد على ما تقدم ذكره، تقديره: فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك. ثم استأنف القسم بقوله: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْتُلُوا مَنْ
يَدْرِكُ مَا فَعَلُوا إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ
بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيهًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا أَلَّاتِيَتْهُمْ
مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْتُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا
﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ بَيَّأْنًا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
فَإَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ تَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ
فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا فَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ
مَعَهُمْ شُهَدَاءَ ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن
لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيَهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

[٧٤] قال تعالى: ﴿فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ
يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيُقْتَلْ﴾ يُشْتَشْهُدُ ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يَغْلِبُ بِغُلُوِّهِ ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
ثوابًا جزيلاً.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ مُفَسَّرَةٌ (١) ﴿اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ
اقْتُلُوا مَنْ يَدْرِكُ﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مَا فَعَلُوا﴾ أي: المكتوب
عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع: على البدل، والنصب: على الاستثناء (٢) ﴿مِنْهُمْ
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
وَأَشَدَّ تَنبِيهًا﴾ تحقيقًا لإيمانهم.

[٦٧] ﴿وَإِذَا﴾ أي: لو تَنَبَّأُوا ﴿لَا تَنَبَّأُهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿أَجْرًا
عَظِيمًا﴾ هو: الجنة [٦٨] ﴿وَلَهَدَيْتُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

[٦٩] قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة وأنت في
الدرجات العلى ونحن أسفل منك؟ فنزل: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (٣) ﴿فِيمَا
أَمَرَ بِهِ﴾ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ أَفْضَلُ
أصحاب الأنبياء؛ لمبايعتهم في الصدق والتصدق ﴿وَالشُّهَدَاءَ﴾ القتلى في
سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ غير من ذكر ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ رفقاء في
الجنة؛ بأن يستمتع فيها برويتهم وزيارتهم والحضور معهم - وإن كان مفرهم
في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم ..

[٧٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: كونهم مع من ذكر، مبتدأ خبره: ﴿الْفَضْلُ مِنَ
اللَّهِ﴾ تفصل به عليهم، لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بواب
الآخرة؛ أي: ففوقوا بما أخبركم به ﴿وَلَا يَبْنِيكَ مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ (٤).

[٧١] ﴿يَبَّأْنًا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم؛ أي: احتذروا
منه وتيقظوا له ﴿فَإَنْفِرُوا﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾ (٥) منفردين؛ سرية بعد
أخرى ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين.

[٧٢] ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ لَيُتَأَخَّرَنَّ عن القتال؛ كعبد الله بن أبي
المنافق وأصحابه، وجعلَهُ منهم من حيث الظاهر (٦)، واللام في الفعل: للقسمة
﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالُوا فَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ
مَعَهُمْ شُهَدَاءَ﴾ حاضروا فأصاب.

[٧٣] ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة
﴿لَيَقُولُنَّ﴾ نأديا ﴿كَأَن﴾ مُحَقَّقَةٌ، واسمها: محذوف؛ أي: كأنه ﴿لَمْ
يَكُنْ﴾ بالياء والتاء (٧) ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وضادقة، وهذا راجع إلى
قوله: ﴿فَدَأْنَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ واغترض به بين القول ومقوله؛ وهو: ﴿يَا﴾ للتنبيه
﴿لَيَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أخذ خطأ وافوزا من الغنيمة.

(١) أي: بمعنى: أي، وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه.

(٢) أي: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، وهي قراءة ابن عامر.

(٣) أخرجه نحوه بإسناد حسن مجموع طرقه الطبراني في الصغير (٢٦/١)، والأوسط (١٥٢/١)، رقم ١٥٣ (٤٧٧) من حديث عائشة. قال الحافظ ابن حجر في «العجاب» (٩١٤/٢): «رجال
موقوفون». وأخرج ابن شعبة في مصنفه (٥٠١/١) رقم ١١٨٢٣، والطبري في جامعه (١٠٤/٥) عن مسروق مرسلاً، ويشهد له رواية الطبراني عن عائشة.

(٤) سورة فاطر: آية ١٤.

(٥) مفرداً؛ ثبة؛ وهي: الجماعة من الرجال فوق العشرة إلى المائة.

(٦) أي: إنه ليس منهم في حقيقة الأمر، بل هو عدو لهم.

(٧) بالياء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

دعاهم؛ فَيَسَّرَ لِبَعْضِهِمُ الْخُرُوجَ، وبقي بعضهم إلى أن يُبْحَثَ مَكَّةَ، وَرَأَى ﷺ عتاب بن أسيد^(١)؛ فأُصِفَ مظلومهم من ظالمهم.

[٧٦] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أنصار دينه؛ تغلبوهم؛ لقونكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ واهيًا؛ لا يُفَاوِمُ كَيْدَ اللَّهِ بِالْكَافِرِينَ.

[٧٧] ﴿أَنزَلَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفار - لما طلبوه بمكة؛ لأذى الكفار لهم - وهم: جماعة من الصحابة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فُرِضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فُرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ ﴿يَخَافُونَ النَّاسَ﴾ الكفار؛ أي: عذابهم بالقتل ﴿كَخَشِيَ﴾ هم عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴿مَنْ خَشِيَهمْ لَهُ، وَنُصِبَ﴾ أَشَدُّ عَلَى الْحَالِ، وجواب ﴿لَمَّا﴾ دل عليه ﴿إِذَا﴾ وما بعدها؛ أي: فاجأهم الخشية ﴿وَقَالُوا﴾ جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ: ﴿رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا﴾ فَلَاحُزْنًا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ لَهُمْ: ﴿مَنْعَ الدُّنْيَا﴾ مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ فِيهَا، أَوِ اسْتِمَاعَ بِهَا ﴿قِيلَ﴾ أَيْلَ إِلَى الْفَنَاءِ ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿حَيْرَ لِمَنِ الْقُلُوبُ﴾ عَابَ اللَّهُ، بَرَكَ مَعْصِيَتِهِ ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بِالنَّاءِ وَالْبَاءِ^(٢): تُنْقَضُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ﴿قِيلَ﴾ قَدَرُ قَسْرَةِ النِّوَاةِ^(٣)؛ فَجَاهِدُوا^(٤).

[٧٨] ﴿أَنبَأْنَا تَكُونُوا يَذُرْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ لَخُصُونُ ﴿مُسَيَّدَةً﴾ مُؤْتَفَعَةً؛ فَلَا تَخْشَوُ الْقِتَالَ خَوْفَ الْمَوْتِ ﴿وَإِنْ نُصِيبَهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿حَسَنَةً﴾ خَطَبٌ وَسِعَةٌ ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ نُصِيبَهُمْ سَيِّئَةً﴾ جَذْبٌ وَتَلَاةٌ؛ كَمَا حَصَلَ لَهُمْ عِنْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ يا محمد؛ أي: بِشَوْمِكُمْ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿كُلٌّ مِنَ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ﴾ وَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ قِبَلِهِ ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي: لَا يَقَارِبُونَ أَنْ يَفْهَمُوا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلْقَى إِلَيْهِمْ، و«ما»: اسْتِفْهَامٌ تَعْجِيبٌ مِنْ فِرْطِ جَهْلِهِمْ، وَنَفْيٌ مُقَارِبَةٌ لِلْفِعْلِ أَشَدَّ مِنْ نَفْيِهِ.

[٧٩] ﴿مَّا أَصَابَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ خَيْرٍ ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أَتَلُكُ فَضْلًا مِنْهُ ﴿وَمَّا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ بَلَاءَةٍ ﴿يُنَفْسِكَ﴾ أَتَلُكُ؛ حَيْثُ ارْتَكَبْتَ مَا يَسْتَوْجِبُهَا مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ عَلَى رَسُولَاتِكَ.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمُ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فُرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ وَأَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَظْمَنُونَ فَيَصِيلًا ﴿٧٨﴾ أَيْسَأَلُكُمْ أَنْ يَذُرْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٩﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٨٠﴾

[٧٥] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ؛ أَي: لَا مَانِعَ لَكُمْ مِنَ الْقِتَالِ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ﴾ فِي تَخْلِيسِ ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الَّذِينَ خَبَسَتْهُمْ الْكُفْرَانُ عَنْ الْهَجْرَةِ وَأَذَوْهُمْ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَهُمْ﴾ كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنْهُمْ - ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ دَاعِينَ: يَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ مَكَّةَ ﴿الظَّالِمُ أَهْلُهَا﴾ بِالْكَفْرِ ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ مِنْ عِنْدِكَ ﴿وَلِيًّا﴾ يَتَوَلَّى أُمُورَنَا ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ يَنْجِيهِمْ مِنْهُمْ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ

(٥) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج النسائي عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة؛ فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا في عُرٍّ ونحن مشركون؛ فلما آمنا صرنا أذلةً فقال: «إني أمرت بالهجو، فلا تقاتلوا». فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفوا، فأنزل الله: ﴿أَنزَلَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. أخرجه النسائي - كتاب الجهاد (٢٥)

باب (١) وجوب الجهاد. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٨٩١).

(١) استخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام لعتاب بن أسيد على مكة مذکور في المغازي للواقدي وفي سيرة ابن هشام وحسنه الألباني في [فقه السيرة (ص ٤٠٠)] (وجعل عتاب بن أسيد أميراً على مكة).

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٣) تقدم قريباً عند الآية (٤٩)، أن النفل هو الذي في شق النواة طولاً، وليس هو قشر النواة.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨٠﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرُءَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَظُّونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَلَى كُمْ وَرَحْمَتُهُ لَآتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨١﴾ فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأَنكَفَ الْأَنْفُسُ وَهَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكْفَ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٢﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ۖ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٣﴾

تَقِيءُ مُقِيتًا ۖ مُقِيتًا ۖ فيجازي كلَّ أحدٍ بما عمل.

[٨٦] ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ كَأَنَّ قِيلَ لَكُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴿فَحَيُّوا﴾ الْحَيُّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ۖ بَأَن يَقُولُوا لَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحِمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ﴿أَوْ رُدُّوها﴾ بَأَن يَقُولُوا لَهُ: كَمَا قَالَ: أَيْ: الْوَاجِبُ أَخَذُهُمَا، وَالْأَوَّلُ أَفْضَلُ ۖ لِأَنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۖ مُحَابِيَةً ۖ فَيَجَازِي عَلَيْهِ، وَمِنْهُ رَدُّ السَّلَامِ، وَخَصَّتِ السَّنَةَ الْكَافِرَ وَالْمُبْتَدِعَ وَالْفَاسِقَ وَالْمُسْلِمَ عَلَى قَاضِي الْحَاجَةِ وَمَنْ فِي الْحَقَامِ وَالْأَكْلِ؛ فَلَا يَجِبُ الرُّدُّ عَلَيْهِمْ؛ بَلْ يُكْرَهُ فِي غَيْرِ الْأَحْيَاءِ؛ وَيُقَالُ لِلْكَافِرِ: «وَعَلَيْكَ».

[٨٠] ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أَعْرِضَ عَنْ طَاعَتِكَ فَلَا يُهْمُّكَ ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ حَافِظًا لأَعْمَالِهِمْ بَلْ نَذِيرًا، وَالْيَنَاءُ أَسْرَهُمْ؛ فَنَجَازِيهِمْ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ.

[٨١] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أَيْ: الْمُنَافِقُونَ - إِذَا جَاءُوكَ - : أَمْرُنَا ﴿طَاعَةٌ﴾ لَكَ ﴿فَإِذَا بَرَأُوا﴾ خَرَجُوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الطَّاءِ وَتَرْكِهِ (١)؛ أَيْ: أَضْمَرَتْ ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ لَكَ فِي حَضُورِكَ مِنَ الطَّاعَةِ؛ أَيْ: عَصِيَانِكَ ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ بِأَمْرِ يَكْتُبُ (٢) ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ فِي صَحَافَتِهِمْ؛ لِيَجَازُوا عَلَيْهِ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بِالصَّفْحِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يُقَى بِهِ؛ فَإِنَّهُ كَافٍ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ مُقَوِّضًا إِلَيْهِ.

[٨٢] ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ يَتَأَمَّلُونَ ﴿الْفَرُءَانُ﴾ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيْعَةِ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ تَنَاقُضًا فِي مَعَانِيهِ وَتَبَاطُؤًا فِي نَظْمِهِ.

[٨٣] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾ عَنِ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ ﴿مِنَ الْأَمْنِ﴾ بِالنَّصْرِ أَوْ الْخَوْفِ بِالْهَزِيمَةِ ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أَفْشَوْهُ؛ نَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، أَوْ فِي ضِعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ تَضَعُفُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَأَذَّى النَّبِيُّ ﷺ (٣) ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أَيْ: الْخَبَرُ ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أَيْ: ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ؛ أَيْ: لَوْ سَكَنُوا عَنْهُ حَتَّى يُخَيَّرُوا بِهِ ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هَلْ هُوَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَذَاعَ أَوْ لَا ﴿الَّذِينَ يَسْتَنَظُّونَهُ﴾ يَتَّبِعُونَهُ وَيَطْلُبُونَهُ عِلْمَهُ؛ وَهُمْ: الْمَذْبُوعُونَ ﴿مِنْهُمْ﴾ مِنَ الرَّسُولِ وَأُولَى الْأَمْرِ ﴿وَلَوْ أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ لَكُمْ؛ بِالْفَرْقَانِ ﴿لَآتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنَ الْفَوَاحِشِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[٨٤] ﴿فَقَتِلَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفَّ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فَلَا تَهْتَمُ بِتَخْلُفِهِمْ عَنْكَ، الْمَعْنَى: قَاتِلْ - وَلَوْ وَحْدَكَ - فَإِنَّكَ مَوْعُودٌ بِالنَّصْرِ ﴿وَهَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ ﴿عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكْفَ بِأَسَ﴾ حَرْبِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ مِنْهُمْ ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تَعَذُّبًا مِنْهُمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَأُخْرِجَنَّ وَلَوْ وَخْهَدِي﴾ (٤) فَخَرَجَ بِسَبْعِينَ (٥) رَاكِبًا إِلَى بَدْرِ الصُّغْرَى؛ فَكَفَّ اللَّهُ بِأَسَ الْكَفَّارِ؛ بِإِلْقَاءِ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَمَنْعَ أُنْبِيَّ سَفِيَانٍ عَنِ الْخُرُوجِ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي آلِ عِمْرَانَ..

[٨٥] ﴿مَنْ يَشْفَعْ﴾ بَيْنَ النَّاسِ ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ مُوَافِقَةً لِلشَّرْعِ ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ مِنَ الْأَجْرِ ﴿مِنْهَا﴾ بِسَبَبِهَا ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ مُخَالِفَةً لَهُ ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ نَصِيبٌ مِنَ الْوُزْرِ ﴿مِنْهَا﴾ بِسَبَبِهَا ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾.

(١) بِالْإِدْغَامِ لِحِزَةِ وَأُنْبِيَّ عَمُرُو.

(٢) وَصِفَةُ الْكِتَابَةِ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ - سَبْحَانَهُ - عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ، وَالَّتِي قَبْلَهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ يَدِيهِ عَلَى نَفْسِهِ: أَنْ رَعَيْتَنِي غَلَبْتُ نَفْسِي». وَفِي حَدِيثِ احْتِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى: «قَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى اشْفَعْكَ اللَّهُ بِكَلَامِي وَنَحَطْ لَكَ الثَّوَرَةَ يَدِيهِ» [متفق عليهما].

(٣) أَخْرَجَ نَحْوَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ [الدر المنثور (٢/٣٣٤)].

(٤) ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعُكْرَمَةَ (١٣٧/٢)، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَالِ الْبَرَةِ.

(٥) قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ خَرَجَ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ فِي السَّنَةِ الْمُرَاجِعَةِ لِلْهَجْرَةِ.

[٨٨] ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم؛ فقال فريق: اقتلهم، وقال فريق: لا، فنزل: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ؟﴾ أي: تفتدوهم من جملة المهتدين، والاستفهام في الموضعين للإيثار ﴿وَمَنْ يُضِلِلْهُ﴾ أي: الله فلن يهديه لكم سبيلاً ﴿طريقاً إلى الهدى﴾.

[٨٩] ﴿وَرُدُّوهُ﴾ تَمَتُّوا ﴿لَوْ تَكَفَّرُونَ﴾ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا أَنْتُمْ وَهُمْ ﴿سَوَاءً﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ توالوهم - وإن أظهروا الإيمان - ﴿حَتَّىٰ يَخْشَوُا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة تُعَقِّقُ إيمانهم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَعَذَابُكُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ تنصرون به على عدوكم.

[٩٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ بلجئون ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم؛ كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عوير الأسلمي^(١) ﴿أَوَ الَّذِينَ جَاءَكُمْ﴾ وقد ﴿حَصَرْتُمْ﴾ ضاقت ﴿صُدُّوهُمْ﴾ عن ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم؛ أي: تمسكين عن قتالهم؛ فلا تعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل - وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف - ﴿وَلَوْ سَاءَ أَلْفُ اللَّهِ﴾ تسليطهم عليكم ﴿كَسَلْتُمْ عَلَيْهِمُ﴾ بأن يقوي قلوبهم ﴿فَلَقَاتِلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأ؛ فآلفى في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ وَأَلْفُوا إِلَيْكُمْ أَلَسْتُمْ بِالصَّالِحِينَ؛ أي: اتقادوا ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالأخذ والقتل.

[٩١] ﴿سَتَجِدُونَ مَخْرَجَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ﴾ يظهروا الإيمان عندكم ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم؛ وهم: أسد وغطفان ﴿كُلُّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ دعا إلى الشرك ﴿أَرْكَسُوا فِيهَا﴾ وقعوا أشد وقوع ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْزِلُوا﴾ يترك قتالكم ﴿وَوَلَّوْا إِلَيْكُمْ أَلَسْتُمْ بِالْعَاقِلِينَ﴾ لم يكتفوا أذيبتهم عنكم ﴿فَعَذَابُكُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ وَأَوَّلِيَّتْكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿بَرَهَانًا بَيِّنًا ظَاهِرًا عَلَى قَتْلِهِمْ وَسَبِيهِمْ﴾ لغدرهم.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٨﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ وَاللَّهُ فَلَنْ يَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿٨٩﴾ ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً﴾ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهْجُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٩٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُّوهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ سَاءَ أَلْفُ اللَّهِ لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفُوا إِلَيْكُمْ أَلَسْتُمْ بِالْعَاقِلِينَ ﴿٩١﴾ سَتَجِدُونَ مَخْرَجَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أَرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْزِلُوا وَيَلْقُوا إِلَيْكُمْ أَلَسْتُمْ بِالْعَاقِلِينَ ﴿٩٢﴾ ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾

[٨٧] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ والله^(١) ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ من قوركم ﴿إِلَىٰ﴾ في ﴿يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ﴾ لَا شَكَّ ﴿فِيهِ وَمَنْ﴾ أي: لا أخذ ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ قولاً.

(١) ما جاء في نزول الآية (٨٨): أخرج البخاري عن زيد بن ثابت ؓ قال: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس من أصحابه، فقالت فرقة: نقتلهم. وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾. وقال النبي ﷺ: «إنها تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد» البخاري - كتاب فضائل المدينة (٢٩) باب (١٠) مدينة تنفي الخبث.

(١) أشار بذلك إلى أن اللام في قوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ موطئة لقسم محذوف.

(٢) روى ابن أبي حاتم عن طريق مجاهد أنها نزلت في هلال بن عوير الأسلمي وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصد ناس من قومه فكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه [فتح الباري (١٠/٨)].

[٩٢] ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا﴾ أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إِلَّا خَطَاً﴾ مخطئاً في قتله من غير قصد ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً﴾ بأن قصد رمي غيره؛ كصيد أو شجرة، فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالباً^(١) ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ نسيمة ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَوَدِيَّةٌ مَسْلُومَةٌ﴾ مودة ﴿إِلَى أَهْلِيهِ﴾ أي: ورثة المقتول ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ يتصدقوا عليه بها؛ بأن يصفوا عنها - وبينت الشئ أنها مائة من الإبل؛ عشرون^(٢) بنت مخاض، وكذا بنات لبون وبنو لبون، وحقاق وجذاع، وأنها على عاقلة القاتل^(٣)؛ وهم: عصبته في الأصل والفرع، موزعة عليهم على ثلاث سنين؛ على الغني منهم نصف دينار، والمتوسط ربع كل سنة^(٤)؛ فإن لم يفوا فبئس بيت المال؛ فإن تعذر فعلى الجاني ﴿فَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِرٌ﴾ فتحرير رَقَبَةٍ ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله كفارة، ولا دية تسلم إلى أهله؛ لحرايتهم ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد؛ كأهل الذمة ﴿فَدْيَةٌ﴾ له ﴿مَسْلُومَةٍ﴾ إلى أهله، وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهودياً أو نصرانياً^(٥)، وثلثا عشرها إن كان مجوسياً^(٦) ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الرقبة؛ بأن فقدوها وما يخلصها به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة، ولم يذكر الله - تعالى - الانتقال إلى الطعام كالظهار، وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه^(٧) ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ مصدرٌ منصوبٌ بفعله المقدر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم.

[٩٣] ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً بإيمانه ﴿فَجَزَاءُ مِنْ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَنُصِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ اللَّهِ أَبْعَدُ﴾ من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النار، وهذا مؤول بمن يستحله، أو بأن هذا جزاؤه إن جوزي، ولا بدع في خلف الوعيد لقوله: ﴿وَيَعْرِفُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٨)، وعن ابن عباس: أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة. وَيَشَاءُ آيَةُ الْبَقَرَةِ: أن قاتل العَقْد يقتل به، وأن عليه الدية إن عُفِيَ عنه - وسبق قدرها^(٩)، وَيَشَاءُ السَّنة أن بين العَقْد والخطأ قتلاً يسمى شبه العمد^(١٠) وهو: أن يقتله بما لا يقتل غالباً؛ فلا قصاص فيه، بل دية كالعمد في الصفة^(١١) والخطأ في التأجيل والحمل^(١٢)، وهو العمد أولى بالكفارة من الخطأ^(١٣).

[٩٤] ونزل: لما مرَّ نَفَرٌ من الصحابة بِرَجُلٍ من بني سليم وهو يسوق غنماً، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا تَقِيَّةً فقتلوه واساقوا غنمه^(١٤): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا سَرَسْتُمْ﴾ سافرت للجهاد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيْحُكُمْ﴾ وفي قراءة^(١٥): ﴿فَقَتْلُكُمْ﴾ في الموضوعين^(١٦) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَحَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ﴾ بألف أو دونها^(١٧)؛ أي: التحية أو الانقياد بكلمة الشهادة التي هي أماره على الإسلام

(٥) ما حاء في نزول الآية (٩٤): أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس: كان رجل في غنيمه فله حقه المسلمون. فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: =

(١) وهذا الأخير هو قتل شبه العمد، والذي يقول به جمهور الفقهاء، والمشهور عن مالك نفيه إلا في الأبن مع أبيه، والصحيح قول الجمهور باعتباره. قال الشافعي: شبه العمد ما كاد عمداً في الضرب خطأ في القتل، والخطأ ما كان خطأ فيها جميعاً، والعمد ما كان عمداً فيها جميعاً. [بداية المجتهد (٢/ ٣٩٧)]. (٢) أخرجه أحمد (٤٠٧٦)، وأبو داود (٣٩٣٩)، والترمذي (١٣٠٧)، والنسائي (٤٧٢٠) عن ابن مسعود، وضعفه الألباني (صحيح وضعيف الجامع ٤٠١٢)، السلسلة الضعيفة (٤٠٢٠، ٢٦٢١)، وابن ماجه وابن المنذر [الدر المنثور (٣٤٦/٢)]، لكن حسن الألباني أحاديث أخر ورد فيها تفصيل المدة: ثلاثون بنت مخاض وثلاثون بنت لبون وثلثون حقة وعشرة بني لبون (صحيح وضعيف الجامع ٦٤٤٣)، وكذلك حسن الألباني أحاديث فيها ذكر المدة بدون تفصيل في الإرواء (٢٢٠٤) و«بنت المخاض»: هي أنثى الإبل التي أتمت السنة الأولى. و«اللبون»: التي أتمت الثانية. والحققة: التي أتمت الثالثة. والحدقة: التي أتمت الرابعة. (٣) أخرجه البخاري (٢٧٧٣)، ومسلم (١٦٨٢) من حديث أبي هريرة. (٤) ذكره البيهقي عن عمر وعلي رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي شيبة من طريق إبراهيم النخعي عن عمر، وكذا رواه عبد الرزاق من طريقه عن عمر (تحفة الأحوذني، شرح الحديث رقم ١٣٠٧)، وضعفه الألباني في الإرواء (٢٣٠٨). (٥) ثم أجده في السنة صريحاً. (٦) هذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك فهو على النصف من الحر المسلم؛ كائناً الحر المسلم. وكذلك قول أحمد إلا أنه ضعف الدية على المسلم إذا قتل ذمياً أو مستمناً عمداً، وأما عند الحنفية فدينه كدية المسلم، وراجع قول الإمام مالك للحديث الوارد في ذلك. (٧) وهذا باتفاق بين مالك والشافعي، وأثابته على النصف منه. (٨) سورة النساء: آية ٤٨. (٩) في الصفحة السابقة. (١٠) أخرجه النسائي (٤٧٠٩)، وأبو داود (٣٩٤١)، وابن ماجه (٢٦١٧)، وأحمد (٦٧٩١)، والدارمي (٢٢٧٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، وصححه الألباني في الإرواء (٢١٩٧). (١١) أي: كونها من ثلاثة أنواع. (١٢) أي: كون العاقبة تحملها. (١٣) وهذا واضح في شبه العمد؛ لأنه يجري مجرى الخطأ في نفي القصاص، وحمل العقلة دية، وتأجيلها في ثلاث سنين، مجرى مجراه في وجوب الكفارة، وهذا مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة، أما في العمد فالأقرب عدم وجوب الكفارة كما هو ظاهر هذه الآيات، وهو قول الإمام مالك والحنفية والمشهور من مذهب الحنابلة، وأرجحها الشافعي بأن حاجته إلى تكفير ذنبه أعظم. (١٤) رواه البخاري (٤٥٩١) ومسلم (٣٠٢٥) وغيرهما. (١٥) لمحة والكسائي. (١٦) أي: هنا، وقوله فيما يأتي: ﴿فَبَيْحُكُمْ أَسْلَمَ﴾ فَبَيْحُكُمْ، ويحتمل أنه يقصد ما هنا بشقيه، وآية الحجرات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ تَائِبٌ بِشَيْءٍ مِمَّنْ بَيْنَكُمْ﴾، وهذا كذلك. (١٧) بدونها قراءة نافع وحزمه وابن عمر.

وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مَسْلُومَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِرٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدْيَةٌ مَسْلُومَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٣﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ مِنْ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَحَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَارِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ كُمْ تَبَيَّنُوا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٥﴾

﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت هذا تقيية لنفسك ومالك، فقتلوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون لذلك ﴿عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمه ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَكَائِدُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله ماله ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ تُغَضِّمُ دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنْ﴾ الله عَلَيْكُمْ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أن تقتلوا مؤمناً، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به^(٥).

(١) وهذا الأخير هو قتل شبه العمد، والذي يقول به جمهور الفقهاء، والمشهور عن مالك نفيه إلا في الأبن مع أبيه، والصحيح قول الجمهور باعتباره. قال الشافعي: شبه العمد ما كاد عمداً في الضرب خطأ في القتل، والخطأ ما كان خطأ فيها جميعاً، والعمد ما كان عمداً فيها جميعاً. [بداية المجتهد (٢/ ٣٩٧)]. (٢) أخرجه أحمد (٤٠٧٦)، وأبو داود (٣٩٣٩)، والترمذي (١٣٠٧)، والنسائي (٤٧٢٠) عن ابن مسعود، وضعفه الألباني (صحيح وضعيف الجامع ٤٠١٢)، السلسلة الضعيفة (٤٠٢٠، ٢٦٢١)، وابن ماجه وابن المنذر [الدر المنثور (٣٤٦/٢)]، لكن حسن الألباني أحاديث أخر ورد فيها تفصيل المدة: ثلاثون بنت مخاض وثلاثون بنت لبون وثلثون حقة وعشرة بني لبون (صحيح وضعيف الجامع ٦٤٤٣)، وكذلك حسن الألباني أحاديث فيها ذكر المدة بدون تفصيل في الإرواء (٢٢٠٤) و«بنت المخاض»: هي أنثى الإبل التي أتمت السنة الأولى. و«اللبون»: التي أتمت الثانية. والحققة: التي أتمت الثالثة. والحدقة: التي أتمت الرابعة. (٣) أخرجه البخاري (٢٧٧٣)، ومسلم (١٦٨٢) من حديث أبي هريرة. (٤) ذكره البيهقي عن عمر وعلي رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي شيبة من طريق إبراهيم النخعي عن عمر، وكذا رواه عبد الرزاق من طريقه عن عمر (تحفة الأحوذني، شرح الحديث رقم ١٣٠٧)، وضعفه الألباني في الإرواء (٢٣٠٨). (٥) ثم أجده في السنة صريحاً. (٦) هذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك فهو على النصف من الحر المسلم؛ كائناً الحر المسلم. وكذلك قول أحمد إلا أنه ضعف الدية على المسلم إذا قتل ذمياً أو مستمناً عمداً، وأما عند الحنفية فدينه كدية المسلم، وراجع قول الإمام مالك للحديث الوارد في ذلك. (٧) وهذا باتفاق بين مالك والشافعي، وأثابته على النصف منه. (٨) سورة النساء: آية ٤٨. (٩) في الصفحة السابقة. (١٠) أخرجه النسائي (٤٧٠٩)، وأبو داود (٣٩٤١)، وابن ماجه (٢٦١٧)، وأحمد (٦٧٩١)، والدارمي (٢٢٧٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، وصححه الألباني في الإرواء (٢١٩٧). (١١) أي: كونها من ثلاثة أنواع. (١٢) أي: كون العاقبة تحملها. (١٣) وهذا واضح في شبه العمد؛ لأنه يجري مجرى الخطأ في نفي القصاص، وحمل العقلة دية، وتأجيلها في ثلاث سنين، مجرى مجراه في وجوب الكفارة، وهذا مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة، أما في العمد فالأقرب عدم وجوب الكفارة كما هو ظاهر هذه الآيات، وهو قول الإمام مالك والحنفية والمشهور من مذهب الحنابلة، وأرجحها الشافعي بأن حاجته إلى تكفير ذنبه أعظم. (١٤) رواه البخاري (٤٥٩١) ومسلم (٣٠٢٥) وغيرهما. (١٥) لمحة والكسائي. (١٦) أي: هنا، وقوله فيما يأتي: ﴿فَبَيْحُكُمْ أَسْلَمَ﴾ فَبَيْحُكُمْ، ويحتمل أنه يقصد ما هنا بشقيه، وآية الحجرات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ تَائِبٌ بِشَيْءٍ مِمَّنْ بَيْنَكُمْ﴾، وهذا كذلك. (١٧) بدونها قراءة نافع وحزمه وابن عمر.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٩٦ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٩٧ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَمْوَالَهُمُ الظَّالِمِينَ أَنْفُسُهُمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنْتُمْ تُخَلَّفُونَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا لَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٩٨ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٩ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٠٠ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٠١ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ۝١٠٢

[٩٥] لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ بالرفع صفة، والنصب (١) استثناء؛ من زمانة أو عَمَى ونحوه. وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ

لضرر (دَرَجَةً) فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَلَا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ الجنة ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ويبدل منه (٢) (٩٦).

[٩٦] ﴿دَرَجَتٍ مِنْهُ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ منصوبان بفعلهما المقدّر (٣) ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[٩٧] ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار. إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَمْوَالَهُمُ الظَّالِمِينَ أَنْفُسُهُمْ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قَالُوا﴾ لهم موبخين: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم في أمر دينكم ﴿قَالُوا﴾ معذرين: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿قَالُوا﴾ لهم توبيخاً: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم، قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي (٤).

[٩٨] ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ﴾ الذين لا يستطيعون حيلة. لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى أرض الهجرة.

[٩٩] ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٠٠] ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمُوتْ﴾ في الْأَرْضِ مَرْغَبًا ﴿مُهَاجِرًا كَبِيرًا وَسَمِعًا﴾ في الرزق ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾ في الطريق؛ كما وقع لجندع بن صُمْرَةَ الليثي (٥) ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾ ثبت ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٠١] ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتُم ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ بآن تردوها من أربع إلى اثنين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ﴾ أي: يبالغكم بمكروه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بين اللواقح إذ ذاك (٦) فلا مفهوم له، وبينت السنة أن المراد بالسفر: الطويل؛ وهو: أربع برد؛ وهي مرحلتان، ويؤخذ من قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي (٧) ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ يبيّن العداوة.

﴿عَزَّ وَجَلَّ﴾ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا: تلك العنيفة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٧)، ومسلم - كتاب التفسير (٥٤) رقم (٣٠٢٥). وفي رواية لأحمد عن ابن عباس (٨) (٢٢٩/١): مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهو يسوق غنماً له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعدونا. فمدوا إليه قتلوه، وأترا بغنمه النبي ﷺ فنزلت هذه الآية... (٩).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩٥): أخرج البخاري عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاء ابن أم مكتوم وهو يلها على قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى. فأنزل الله على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم شوي عه، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٨).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٩٧): أخرج البخاري عن محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث فاكثبت فيه، فلفت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاه عن ذلك أشد النبي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناشاً من المسلمين كانوا مع المشركين يكترون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَمْوَالَهُمُ الظَّالِمِينَ أَنْفُسُهُمْ﴾. الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٩).

(١) بالنصب قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

(٢) أي: غفر لهم مغفرة، ورحمهم رحمة.

(٤) ذكره الطبري مرسلاً عن قتادة في جامع البيان (١٥١/٥)، وكان شيئاً مربكاً كثيراً، فلما سمع الآية قال: والله ما أنا من استثنى الله؛ فإني لأجد حيلة ولي من المال ما يليني وأبعد منها، والله لا أبيت بمكة، أخرجنوني. فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التَّجِيعَ فأدركه الموت... وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠/٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٩٥٣/٢، ٩٥٤) بسند حسن عن الزبير بن العوام قال: هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة؛ فنهشته حية في الطريق؛ فمات ففوت فيه: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾... الآية.

(٥) أي: قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ الآية، إلخ.

(٦) وعليه أيضاً جمهور أهل العلم خلافاً للحنفية القائلين بوجوبه على المسافر.

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا بَأْسِلِحَتِهِمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مِّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٣﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقُوَىٰ إِن تَكُونُوا تَالِمُونَ فَإِنَّهُمْ يَبَالِغُونَ كَمَا تَأَلَّمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٥﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٦﴾

[١٠٢] ﴿وَلِذَا كُنْتُ﴾ يا محمد حاضرًا ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب، فلا مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ﴾ وتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي: الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي: صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي: الطائفة الأخرى ﴿مِن وَرَائِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة، وقد فعل النبي ﷺ كذلك بطن نخل. [رواه الشيخان] (١) ﴿وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمت إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم؛ فيأخذوك، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مِّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر، وهو أحد قولين للشافعي، والثاني: أنه سنة، ورجع ﴿وَحُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من العدو؛ أي: احذروا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة (٢).

[١٠٣] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ فرغتم منها ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ أمنتُم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أدوها بحقوقها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ أي: مفروضًا ﴿مَوْقُوتًا﴾ أي: مقدراً وقها؛ فلا تؤخر عنه.

[١٠٤] ﴿لَا يَبُثُّ طَائِفَةٌ﴾ (٣) في طلب أبي سفيان وأصحابه، لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات -: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ﴾ طلب ﴿الْقُوَى﴾ الكفار لقتالهم ﴿إِن تَكُونُوا تَالِمُونَ﴾ نجدون ألم الجراح ﴿فَلْيَهِنُوا يَتَالِمُونَ﴾ كما تالمتُم ﴿أي: مثلكم، ولا يجبنون﴾ (٤) على قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم، فأنتم تريدون عليهم بذلك؛ فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ (٥) في صنعه.

[١٠٥] وسرق طُعْمَةُ بن أبيرق درْعًا وَخَنَافًا عند يهودي، فوجدت عنده،

فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قَوْمُهُ النَّبِيَّ ﷺ أن يجادل عنه ويرثه؛ فنزل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (٦) القرآن ﴿يَا لِحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿أَنْزَلْ﴾ ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ﴾ أعلمك ﴿اللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾ كطعمة ﴿خَصِيمًا﴾ مخاصمًا عنه.

(١) ما جاء في نزول الآية (١٠٢): أخرج أحمد عن مجاهد عن أبي عبيد الزرقاني قال: كنا مع رسول الله ﷺ ببغداد فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القلعة. فصلينا بنا رسول الله ﷺ الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا عرتهم. ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبياتهم وأنفسهم قال: فنزل جبريل ﷺ بهذه الآية بين الظهر والعصر: ﴿وَلِذَا كُنْتُ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾. قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح. قال: فصفتنا خلفه صفين... إلخ. أحمد. المسند (٥٩٤/٦٠). وأخرجه أبو داود دون التصريح بلفظ الآية. وفيه نزلت آية القصر. كتاب الصلاة (٢) باب (٢٨١) صلاة الخوف. وصحيح سنن أبي داود (١٠٩٦).

(١) البخاري (٤١٣٧)، ومسلم (٨٤٠) من حديث جابر بن عبد الله. (٢) وهم جميع من حضر أحدًا من المؤمنين الناجين، وكانوا ستمائة وثلاثين.

(٣) في «حاشية الصاوي»: «يجبنوا»، وقال في «الشرح»: «الماسب «يجبنون» بالنون إلا أن يقال: حذفت تخفيفًا.

(٤) ذكره البيهقي في تفسيره (٢٨٢/٢).

(٥) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة نحوه [الدر المنثور (٣٨٤/٢)]، ورواه الكلبي عن ابن عباس كما في تفسير البيهقي (٢٨٣/٢)، ورواه الطبري برقم (١٠٤١٤) عن ابن زيد أيضًا (١٨٤/٩).

لأن وبال حياتهم عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾ كثير الخيانة ﴿أَيُّهَا﴾ أي: بعاقبه^(١).

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: طعمة وقومه حياءً ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إِذْ يَبْتَغُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ علماً.

[١٠٩] ﴿هَآؤُنْتُمْ﴾ يا ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿جَدَلْتُمْ﴾ خاصمتهم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: عن طعمة وذويه، وقرئ: ﴿عَنْهُمْ﴾ (٢) وفي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلْ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِذَا عَذِبُهُمْ أَم مِّنْ يَّكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا يتولى أمرهم، ويذب عنهم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك^(٣).

[١١٠] ﴿وَمَنْ يَمَلَّ سَوَاءً﴾ ذنباً بسوء به غيره؛ كرمي طعمة اليهودي ﴿أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ﴾ يعمل ذنباً قاصراً^(٤) عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ منه؛ أي: يَتُبُّ يَجِدُ اللَّهَ عَفْوَكَ لَهُ ﴿رَحِيمًا﴾ به.

[١١١] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿فَلْيَمَّا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لأنَّ وَبَالَه عَلَيْهَا وَلَا يَضُرُّ غَيْرَهُ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صناعه.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ذنباً صغيراً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ذنباً كبيراً ﴿ثُمَّ يَرَوْهُ بَرِيًّا﴾ منه ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿ثِيئَتَنَا﴾ برميهِ ﴿وَإِثْمَانَا﴾ بئساً بكسبه.

[١١٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾^(٥) بالعصمة ﴿هَلَّتْ﴾ أضمرت ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَنْ يُضْلُوكَ﴾ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضْلُوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ لأن وبال إضلالهم عليهم ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من الأحكام والغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾.

وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا هَآؤُنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَم مِّنْ يَّكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا وَمَنْ يَعْمَلْ سَوَاءً أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ بِحَسْرَةٍ رَّحِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ وَعَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيًّا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

[١٠٦] ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ ما هممت به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي؛

(١) وهذا تأويل من المصنف رحمه الله لصفة عدم المحبة من الله بلامها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات وغيرها على ما يليق بجلال الله تعالى.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) أشار بذلك إلى أن الاستغفار إنكارى بمعنى النفي.

(٤) في حاشية الصاوي: «يعمل ذنب قاصره».

(٥) وفيها إثبات صفة الرحمة لله - سبحانه.

[١١٤] ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ أي: الناس؛ أي: ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾ بنوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل برٍّ ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ الْمَذْكُورَ ﴿أَتَيْتَكَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيَهُ﴾ بالنون والياء^(١)، أي: الله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١١٥] ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقًا ﴿غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: طريقهم الذي هم عليه من الدين؛ بأن يكفر ﴿تَوَلَّى﴾ مَا تَوَلَّى نَجَعْلُهُ وَالْيَا مَا تَوَلَاهُ مِنَ الضَّلَالِ؛ بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ونُضِلُّهُ. ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترق فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعًا هي.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق^(٢).

[١١٧] ﴿إِنْ﴾ مَا يَدْعُونَ، يعبد المشركون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿إِلَّا إِنْشَاءً﴾ أصنامًا مؤنثة؛ كاللات والعزى ومناة ﴿وَلِنْ﴾ ما يَدْعُونَ، يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا سَطَطْنَا مَرْيَدًا﴾ خارجًا عن الطاعة لطاعتهم له فيها؛ وهو: إبليس.

[١١٨] ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعدَه عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشيطان ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ لأجعلن لي ﴿مِنْ عَبْدِكَ نَصِيبًا﴾ حَقًّا ﴿مَقْرُوضًا﴾ مقطوعًا أَدْعُوهم إلى طاعتي.

[١١٩] ﴿وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ﴾ عن الحق بالسوسة ﴿وَلَا يَنْبَغِيَنَّهُمْ﴾ ألقي في قلوبهم طول الحياة، وأن لا تَهْتَ ولا حِسَابٌ ﴿وَلَا مَرْتَبُهُمْ﴾ لِيَبْتَكَنَ يَقْطَعْنَ ﴿ءَاذَانَ الْآفَاقِ﴾ وقد فعل ذلك بِالْبَحَائِرِ^(٣) ﴿وَلَا مَرْتَبَهُمْ﴾ فَلْيَغْزِرْكَ خَلْقُ اللَّهِ دِينَهُ^(٤) بالكفر، وإحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ يتولاه ويطيعه ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ يَبْتَا نصيره إلى النار المؤبدة عليه.

[١٢٠] ﴿يَعُدُّهُمْ﴾ طول العمر ﴿وَيُؤَمِّنُهُمْ﴾ نيل الآمال في الدنيا، وأن

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ اتَّبِعْهُ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْشَاءً لَّتُخَذَ مِنْ عِبَادِكُمْ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَغْزِرْكَ خَلْقُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا يَعُدُّهُمْ وَيُؤَمِّنُهُمْ وَمَا يَعُدُّهُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرْوًا أُولَئِكَ مَاؤُنْهْمُ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾

لا تَهْتَ ولا جَزَاءً ﴿وَمَا يَعُدُّهُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا عُرْوًا﴾ باطلًا. [١٢١] ﴿أُولَئِكَ مَاؤُنْهْمُ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ معدلاً.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٠٥ - ١١٦): أخرج الترمذي عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت مَثًا يقال لهم بنو أبيرق يشر، وبشير، ومبشر، وكان بشير رجلًا ناقصًا يقول الشعر بهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الحديث أو كما قال الرجل، وقالوا ابن أبيرق قالها ... فقدمت صافضة من الشام فباتع عمي رفاعه بن زيد حملًا من الدرهم فحمله في مشرة له، وفي المشرة سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت فنفتق المشرة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعه، فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنفتق مشرتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال: فتحنسنا في الدار وسألنا، فقبل لنا: قد ربنا بني أبيرق استوفدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم. قال: وكان بنو أبيرق قالوا: ونحن نسأل في الدار. والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهيل - رجل منا له صلاح وإسلام - فلما سمع لبيد اختط سيفه وقال: أنا أسرق؟ فوالله ليخالطكم هذا السيف أو لنبيتن هذه السرفة. قالوا: إليك عنها أيها الرجل مما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها. فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له.

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعه بن زيد فنقبوا مشرة له وأخذوا سلاحه وطعامه، فلبدوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي ﷺ: (سامر في ذلك) فلما سمع بنو أبيرق أنوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة فكلوه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرفة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلته، فقال: عمدت إلى أهل بيت ذك منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرفة على غير ثبت ولا بينة. قال: فرجعت، ولوددت أنني خرجت من بعض مالي ولم أكلهم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعه فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان.

فلم يلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ وَلَا تَكُنْ لِلْمُشْرِكِينَ حَصِيصًا﴾ بني أبيرق ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أي ما قلت لقتادة ﴿إِنَّمَا اللَّهُ =

(١) بالياء قراءة حمزة وأبي عمرو.

(٢) جمع بحيرة، وهي أن تلد الناقة أربعة بطون وتأتي في الخامس يذكّر، فكانوا لا يحملون عليها ولا يأخذون نتاجها ويجعلون لها للطوغيت. ويشقون آذانها علامة على ذلك.

(٣) وقيل: المراد بهلما التغير الوشم. وقيل: المراد خصاء الدواب. والأقرب كما اختاره بعض المفسرين: أنه يشمل تغير الخلقة الظاهرة؛ بالوشم والوشر والثقص والتفليج للحمس، ونحو ذلك، كما يشمل الخلقة الباطنة؛ حيث إنه - سبحانه - خلق عبادة حنفاء مقطوعين على الحق، فأجتنبتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسق والعصيان.

وَعَدًا وَحَقًّا حَقًّا^(١) ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي: قولاً.

[١٢٣] وَنَزَلَ - لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب :: ﴿لَيْسَ﴾ الأمر منوطاً ﴿بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾^(٢) بل بالعمل الصالح ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ إما في الآخرة^(٣) أو في الدنيا بالبلاء والنحن - كما ورد في الحديث^(٤) - ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يحفظه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾^(٥) يمنع منه.

[١٢٤] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ شَيْئًا﴾ من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأُولَئِكَ يُدْخِلُونَ بالبناء للمفعول والفاعل^(٦) ﴿الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرًا﴾ قدَّر نَفْرَةَ النواة.

[١٢٥] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد^(٧) ﴿أَخْسَنُ دِينًا وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: انتقاد وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مؤخِّدٌ ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ حال؛ أي: مثلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صديقاً لخالص المحبة له.

[١٢٦] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَكُنَّ﴾ الله بكلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا علمًا وقدرًا؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[١٢٧] ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي﴾ شأن ﴿الْإِسَاءَةِ﴾

وميراثهن ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن من آية الميراث، وفتيكم أيضاً ﴿فِي يَتِمَّى الْإِسَاءَةِ﴾ التي لا تُؤْتِيهِنَّ مَا كُتِبَ ﴿فَرَضَ﴾ لهنَّ من الميراث ﴿وَتَرَعُونَ﴾ أيها الأولياء

عن^(٨) ﴿أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن، وتعطلوهن^(٩) أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن؛ أي: يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وَوَيْ﴾ في ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الصغار

﴿مِنَ الْوُلْدِ﴾ أن تعطوهم حقوقهم^(١٠) ﴿وَوَيْ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَقْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ فإن الله

كان به عليمًا فيجازيكم به^(١١).

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا^(١٢) لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا^(١٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرًا^(١٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا^(١٥) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا^(١٦) وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي الْإِسَاءَةِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى الْإِسَاءَةِ الَّتِي لَا تُوْتِيهِنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرَعُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا^(١٧)

[١٢٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعدهم الله ذلك

كَانَ عَقُورًا رَجِيمًا وَلَا يُجَادِلُ... إلى قوله: ﴿عَقُورًا رَجِيمًا﴾ أي لو استغفروا الله لغفر لهم، ﴿وَمَنْ يَكْتِيبْ إِثْمًا﴾ إلى قوله: ﴿إِثْمًا يُبَيِّنُ﴾ قوله للبيد: ﴿وَلَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ إلى قوله: ﴿مُسَوِّفٌ تُوْتِيهِ أَمْرًا عَظِيمًا﴾.

فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلح فرده إلى رفاعه، فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلح، وكان شيئاً قد عسى أو عشي في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولاً، فلما أتته بالسلح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ يُنَاقِ الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدًى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ قُلُوبُهُمْ مَأْتُولٌ وَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١) جَهَنَّمَ وَمَا كُنْتُمْ تُعْبَدُونَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَقُولُونَ إِلَّا قَوْلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِهِ يَكْفُرْ وَمَنْ يُشْرِكْ بِهِ يَكْفُرْ فَقَدْ ضَلَّ سَبِيلًا بَعِيدًا.

فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأهات من شعره، فأخذت رحله فوضعتها على رأسها، ثم خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان؟ ما كنت تأتيني بخير. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (حسن). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٢).

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: ﴿قَابُوا وَسَدُّوا﴾ ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها. مسلم - كتاب البر والصلة (٤٥) باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٧): أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَنَصِيرًا﴾ إلى ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَنَصِيرًا﴾ قالت: يا ابن أخي، هي التهمة تكون في حجر وليها =

(١) أشار بذلك إلى أن «وعداً» و«حقاً» منصوبان بعلين محذوفين من لفظهما، ويصح أن يكون «حقاً» صفة لدوعدا. (٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر من طريق جوير عن الضحاك كما في الدر المنثور (٣٩٩/٢).

(٤) يشير إلى ما أخرجه عبد بن حميد في مسنده، والترمذي في سننه وضعفه، في نزول الآية أن أبا بكر قال: يا رسول الله، وأنتا لم تجزئوا بكل سوء علمناه؟ فقال ﷺ: وَأَمَّا أَنْتَ وَأَضْحَاكَ الْوَلَدُ فَتَجُزُّونَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ دُونُ، وَأَمَّا الْأَخْوَارُ فَتَجْتَمِعُ لَهُمْ ذَلِكَ، حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَضَعَفَ الْأَبَانِي إِسْنَادُهُ فِي ضَعِيفِ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٣٢٤٣).

(٥) بالياء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة. (٦) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

(٧) هذا على أحد وجهي التفسير، وأن الرغبة بمعنى: الزهد، والبعض قدر «في» إشارة إلى أن الرغبة بمعنى: الحب، ويؤيده ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: «هَذِهِ التَّيْمَةُ تَكُونُ فِي جِوَرٍ وَلَهَا فَرِغَتْ فِي جَعَالِهَا وَنَازِلَهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يُنْقَضَ صِلَاقُهَا، فَهَؤُلَاءِ عَنْ يَكَايِهِمْ إِلَّا أَنْ يُقْسَطُوا لَهُمْ فِي إِكْمَالِ الصَّدَقَةِ... الحديث. (٨) أي: تمنعوه.

(٩) وكانوا في الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقاً ولا النساء.

[١٢٨] ﴿وَإِنْ أَمْرًا﴾ مرفوع بفعل^(١) يفسره ﴿خَافَتْ﴾ تَوَقَّعَتْ ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾ زوجها ﴿شُورًا﴾ تَرْفَعًا عليها بترك مضاجعتها، والتفسير في نفقتها، لبعضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاصًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ فيه إدغام الناء في الأصل في الصاد، وفي قراءة: ﴿يُصْلِحَا﴾^(٢) من أصلح ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القسم والنفقة؛ بأن ترك له شيئاً طلياً لبقاء الصحية؛ فإن رضيت بذلك، وإلا فعلى الزوج أن يوفيهما حقها أو يفارقهما ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفقرة والنشور والإعراض، قال - تعالى - في بيان ما يجبل عليه الإنسان: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ شدة البخل؛ أي: مجبِلَتْ عليه؛ فكأنها حاضرت له لا تعيب عنه؛ المعنى: أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها، والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا عَشْرَةَ نِسَاءٍ﴾ وَتَتَّقُوا الجور عليهن ﴿فَارْتَبُوا﴾ كَانَتْ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا فيجازيكم به^(٣).

[١٢٩] ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ تسووا ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلَا تَبِيلُوا﴾ كَلَّ الْمِيلَ إلى التي تحبون في القسم والنفقة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي: تتركوا المال عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أمي ولا هي ذات ثقل ﴿وَإِنْ تُصِلِحُوا﴾ بالعدل بالقسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور ﴿فَارْتَبُوا﴾ كَانَتْ عَفْوَ اللَّهِ مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِنَ الْمِيلِ ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

[١٣٠] ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ أي: الزوجان بالطلاق ﴿يُتَيْنِ اللَّهُ كُفْلًا﴾ عن صاحبه ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ أي: فضله؛ بأن يرزقها زوجها غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ خلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبر لهم.

[١٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِمَعْنَى الْكِتَابِ﴾ من قبلكم ﴿أَي: اليهود والنصارى﴾ ﴿وَيَاكُمْ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَلَقَدْ﴾ لهم ولكم: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ بما وصَّيتم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وعبداً؛ فلا يضرة كفركم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَكِيمًا﴾ محموداً في صنعه بهم.

[١٣٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كرره تأكيداً لتقرير موجب التقوى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيداً؛ بأن ما فيهما له.

[١٣٣] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا﴾ يا ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِغَيْرِهَا﴾ بَدَلِكُمْ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾.

وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُعِنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِغَيْرِهَا فَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

[١٣٤] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لمن أراده لا عند غيره، فلم يطلب أحدكم^(٤) الأخس وملا طلب الأعلى بإخلاصه له؛ حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

- تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها، فريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيهما مثل ما يعطيهما غيره. فنهوا أن ينكحوا إلا أن يقسطوا لهم ويملوا بهن أعلى ستهن من الصداق ... قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتِيكَ النَّبِيُّ﴾، والذي ذكر الله أنه ينلي عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها: ﴿وَإِنْ جُنِفَ إِلَّا تَقْبَلُوا فِي الْبَيْنِ فَاكْبَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ﴾، وقول الله في الآية الأخرى: ﴿وَيَسْتَفْتِيكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يعني هي رغبة أحدكم لبيته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن. البخاري - كتاب الشركة (٤٧) باب (٧) شركة اليم وأهل الميراث.

(٥) ما جاء في نزول لآية (١٢٨): أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا﴾، قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمسكتر منها، يريد أن يفارقه، تقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٢٤).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة. ففعل، فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. كانه من قول ابن عباس. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٤).

(١) ولا يصح جعله مبتدأ؛ لأن أداة الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقدرا.

(٢) وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي، وقرأ بقية السبعة ﴿يُصْلِحَا﴾.

(٣) في حاشية الصاوي: وأحدهم.

وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ المشهود عليه ﴿عَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ قَالَهُ أَوْلَىٰ بِهَا مِنْكُمْ، وأعلم بمصالحهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ في شهادتكم؛ بأن ثماثوا الغني لرضاه، أو الفقير رحمة له ﴿لَنْ﴾ لا ﴿تَعْدِلُوا﴾ عن الحق ﴿وَلَنْ تَلُودُوا﴾ تحرفوا الشهادة، وفي قراءة^(١) بحذف الواو الأولى تخفيفاً ﴿أَوْ تَعْرِضُوا﴾ عن أداها ﴿فَلَنْ﴾ الله كَانَتْ يَمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿يَأَيُّهَا﴾ به.

[١٣٦] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴿مُحَمَّدٌ ﷺ﴾؛ وهو: القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ على الرسل؛ بمعنى: الكتب، وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين^(٢) ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[١٣٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بوسى؛ وهم: اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادتهم العجل ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبسى ﴿ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَنْ يَكُنَ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الحق.

[١٣٨] ﴿بَشِّرْ﴾ أخبر يا محمد ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ بِأَنَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿مَوْلَعًا﴾ هو: عذاب النار.

[١٣٩] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل أو نعت للمنافقين ﴿يَجِدُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿أَيُّبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ استشفهم إنكاري؛ أي: لا يجدون عندهم ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة، ولا ينالها إلا أولياؤه.

[١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول^(٣) ﴿عَلَيْكُمْ﴾ في الْكِتَابِ القرآن في سورة الأنعام^(٤) ﴿أَنْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ فلا تَعْدُوا معها^(٥) أي: الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ إنكروا إذاً إن إكراههم في إكراههم في الإنم^(٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾ في جهنم جميعاً كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ عَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ قَالَهُ أَوْلَىٰ بِهَا مِنْكُمْ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَلَنْ تُلَوُّوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَيْتَبَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٣٥﴾

[١٣٥] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ قائمين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَاءَ﴾ بالحق ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ فاشهدوا عليها؛ بأن تقروا بالحق ولا تكتموا ﴿أَوْ﴾ على ﴿الْوَالِدِينَ﴾

(١) لحمرة وابن عامر.

(٢) أي: ﴿نَزَّلَ﴾ و﴿أُنْزِلَ﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

(٤) وهو قوله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا رَأَيْنَا أَكْبَرُ الْقَوْمِ يَخُوضُونَ فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(٥) أي: كفروا أو غيره؛ فالراضي بالكفر كافر، والراضي بالهجر عاصي.

[١٤١] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ قبلة^(١) ﴿يَرْبَعُونَ﴾ ينتظرون ﴿يَكُمُ﴾ الدوائر ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفر وغنمة ﴿وَمِنْ اللَّهِ قَالُوا﴾ لكم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد؛ فأعطونا من الغنمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ﴾ نشتول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَوَلَّيْنَا أَلَم﴾ ننفقكم من المؤمنين ﴿أَنْ يَظْفَرُوا بِكُمْ﴾ بتخذيلهم ومراسلتهم بأخبارهم؛ فلنا عليكم المنة، قال - تعالى -: ﴿فَاللَّهُ يَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿بِأَنْ يَدْخُلَكُمْ الْجَنَّةَ وَيَدْخُلَهُمُ النَّارُ﴾ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً طريقاً بالاستئصال^(٢).

[١٤٢] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم أحكامه الدينية ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ مجازيهم على خداعهم^(٣)؛ فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نية على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا كَسَالِينَ﴾ يراؤون الناس بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ يصلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء.

[١٤٣] ﴿مُذَبِّذِينَ﴾ مترددين ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿لَا﴾ منسوين ﴿إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: الكفار ﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: المؤمنين ﴿وَمَنْ يَضِلَّ﴾ الله فلن تجد لهم سبيلاً طريقاً إلى الهدى. ﴿يَتَّبِعُوا الَّذِينَ﴾ آمنوا لا ننجدوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أريدون أن يجعلوا لله عليكم بموالائهم ﴿سُلْطَنًا نُبِينًا﴾ برهاناً بيناً على نفاقكم.

[١٤٤] ﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ فِي الذَّرِكِ﴾ المكان ﴿الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو فقرها ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعاً من العذاب.

[١٤٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من انفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَأَعْتَصَمُوا﴾ رتقوا ﴿بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من الرياء ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما يؤتونه ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآخرة؛ وهو: الجنة.

الَّذِينَ يَرِثُصُوتُ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤٢﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالِينَ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٣﴾ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٤﴾ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنًا نُبِينًا ﴿١٤٥﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٧﴾ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾

[١٤٧] ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمة ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ به، والاستفهام بمعنى النفي؛ أي: لا يعذبكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿عَلِيمًا﴾ بخلفه.

(١) وهو قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [النساء: ١٣٩]، والأحسن أنه نعت ثان للمنافقين.

(٢) دفع بذلك ما يقال: إن الكفار بالمشاهدة لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا، فأجاب بأن المعنى: أن الكفار لا يستأصلون المؤمنين، ويجاب أيضاً: أن المراد سبيلاً بالشرع؛ فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة؛ فمن ذلك أن الكافر لا يرث المسلم، وليس له أن يملك عبداً مسلماً، ولا يقتل مسلماً بالذمعي.

(٣) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها الله لنفسه، وسبق بيان مذهب السلف فيها وفي أمثالها في مواضع كثيرة ووجوب الإيمان بها وإثباتها لله على ما يليق به - سبحانه وتعالى - دون تأويل أو تعطيل أو تمثيل أو تكيف.

ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿عَلِيمًا﴾ بما يفعل.

[١٤٩] ﴿إِنْ تَبَدُّوا﴾ تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ من أعمال البر ﴿أَوْ تَخَفَوْهُ﴾ تعلموه سرًّا ﴿أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ﴾ ظلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

[١٥٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقْرِفُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿بَأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ دُونَهُمْ﴾ وَيَقُولُونَ قَوْلًا يَبْغِضُ مِنْ الرُّسُلِ ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ مِنْهُمْ﴾ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ الْكَفَرِ وَالْإِيمَانِ ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا يذهبون إليه.

[١٥١] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد (٢) لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: عذاب النار.

[١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يُقْرِفُوا بَيْنَ أَلْحَرِ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ﴾ بالياء والنون (٣) ﴿أُجُورُهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[١٥٣] ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كما أنزل على موسى نعتًا؛ فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي: أبأؤهم ﴿مُوسَى أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عيانًا ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّلَافَةَ﴾ الموت عقابًا لهم ﴿يُظْلِمُهُمْ﴾ حيث تَعَثَّوْا في السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجرات على وحدانية الله ﴿فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ ولم نستأصلهم ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى إِتْيَانًا لُنَّاسٍ﴾ تسلطًا بِنسبنا ظاهرًا عليهم؛ حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِثْقَلِهِمُ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم؛ لـخافوا فقبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ وهو مفضل عليهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجدوا انحناء ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال (٤)، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: لا تعتدوا ﴿فِي السَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وَكَأَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك فنقضوه.

﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفَوْهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقْرِفُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ قَوْلًا يَبْغِضُ مِنْ بَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُقْرِفُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ أُجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا﴾ ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّلَافَةَ يَظْلِمُهُمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَدْنَا مُوسَى إِتْيَانًا لُنَّاسٍ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾

[١٤٨] ﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من أحد؛ أي: يعاقبه عليه (١) ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به؛ بأن يخبر عن ظلم ظالمه

(١) وهذا تأويل لصفة المحبة التي أثبتها لنفسه ببعض لوازمها، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وإثباتها على ما يليق بجلاله - سبحانه ..

(٢) أي: وعامه محذوف ويقدر مؤخرًا عن الجملة المؤكدة لها، وتقديره: أحق حَقًّا.

(٣) بالنون قراءة السبعة عدا حمص.

(٤) لنافع، واجلس قالون حركة العين.

[١٥٥] ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ﴾ «ما» زائدة، و«الباء» للسببية متعلقة بمحذوف؛ أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿وَيَشْقَهُمْ وَكُفِّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلَهُمُ الْآيَاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ﴾ للنبي ﷺ ﴿قُلُونَا غُلَّتْ﴾ لا تعي كلامك ﴿بَلْ طَمَعَ﴾ ختم الله عليهم بكفرهم فلا تعي وغطا ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قِيلًا﴾ منهم؛ كعبدالله بن سلام وأصحابه.

[١٥٦] ﴿وَيَكْفُرُهُمْ﴾ ثاني بعيسى، وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ حيث رموها بالزنا.

[١٥٧] ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ في زعمهم^(١)؛ أي: مجموع ذلك عذبناهم، قال - تعالى - تكذبا لهم في قتله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ المقتول والمصلوب - وهو صاحبهم - بعيسى؛ أي: ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: في عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من قتله؛ حيث قال بعضهم - لما رأوا المقتول؛ الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده -: فليس به، وقال آخرون: بل هو هو ﴿مَا هُمْ بِهِ﴾ بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع^(٢)؛ أي: لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ حال مؤكدة لنفي القتل [١٥٨] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١٥٩] ﴿وَإِنَّ﴾ ما ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: الكتابي حين يعاين ملائكة الموت؛ فلا ينفعه إيمانه، أو قبل موت عيسى^(٣) لما ينزل قرب الساعة - كما ورد في حديث^(٤) - ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما فعلوه، لما بعث إليهم.

[١٦٠] ﴿فَيُظْلَمُونَ﴾ أي: فيسب ظلم ﴿مِنْ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَجَلَتْ لَهُمْ﴾ هي التي في قوله - تعالى -: ﴿حَرَمَتْ كُلُّ ذِي ظُلْمٍ﴾^(٥) الآية ﴿وَبَصَدَّهِمُ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه صفا كثيرا.

[١٦١] ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْإِطْلَاقِ﴾ بالحكم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما.

[١٦٢] ﴿لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ﴾ الثابتون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبدالله بن سلام ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ﴾ يؤمنونك بما أنزل إليك وما أنزل من

فِيمَا نَقُصُّهُمْ مَيْتَقَهُمْ وَكُفِّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلَهُمُ الْآيَاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُونَا غُلَّتْ بَلْ طَمَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا يَكْفُرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قِيلًا ﴿١٥٦﴾ وَيَكْفُرُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَوَعَدْنا الْقِيَمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَجَلَتْ لَهُمْ وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْإِطْلَاقِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦٠﴾ لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦١﴾

قَبْلَكَ ﴿١٦٢﴾ من الكتب ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصب على المدح^(٦)، وفري بالرفع^(٧) ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء^(٨) ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة.

(٥) ثالثة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: واقروا إن شئتم: «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَوَعَدْنا الْقِيَمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا».

البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٤٩) نزول عيسى ابن مريم، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧١) نزول عيسى ابن مريم حاكما بشرعية نبينا محمد ﷺ.

(١) متعلق بقوله: ﴿فَيُظْلَمُونَ﴾، وفي نسخة «في زعمهم» بالإفراد؛ ويكون متعلقا بقوله: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾.

(٢) لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم.

(٣) وهذا وجه آخر في التفسير.

(٤) الأنعام: ١٤٦.

(٥) وذلك تعظيما لشأنهم.

(٦) وهي قراءة شاذة.

(٧) بالياء قراءة حمزة.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُكُورًا ۗ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۚ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۚ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۚ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۚ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ ﴾

[١٦٣] ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَكَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ ﴾ ابن إسحاق ﴿ وَالْأَسْبَاطِ ۚ أَوْلَادُهُ ۚ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ ﴾

﴿ وَأَتَيْنَا ۚ أَبَاهُ ۚ دَاوُدَ زُكُورًا ۚ ﴾ بالفتح؛ اسم للكتاب المؤتى، والضم (١)؛ مصدر بمعنى: مزبورا؛ أي: مكتوبا.

[١٦٤] ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ ﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف من إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس، قاله الشيخ (٢) في سورة غافر (٣) ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى ۚ بِلَا وَسْطَةٍ ۚ تَكْلِيمًا ۚ ﴾.

[١٦٥] ﴿ رُسُلًا ۚ بَدَلَ مِنْ رُسُلًا ۚ قَوْلُهُ ۚ مُبَشِّرِينَ ۚ بِالْثَوَابِ مِنْ أَمْسٍ ۚ وَمُنْذِرِينَ ۚ بِالْعِقَابِ مِنْ كَفَرٍ ۚ أَرْسَلْنَاهُمْ ۚ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ۚ تَقَال ۚ بَعْدَ ۚ إِرْسَالِ ۚ الرُّسُلِ ۚ إِلَيْهِمْ ۚ يَقُولُوا: رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَبِّحَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ ﴾ (٤) فيعتابهم لقطع عذرهم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ۚ فِي مَلِكِهِ ۚ حَكِيمًا ۚ ﴾ في صنعه.

[١٦٦] ﴿ وَنَزَلَ ۚ لَمَّا شِئِلَ الْيَهُودُ عَنْ نُبُوتهِ ۚ فَانْكروه ۚ ۚ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ ۚ ﴾ (٥) بين نبوتك ﴿ يَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ۚ ﴾ من القرآن المعجز ﴿ أَنْزَلَهُ ۚ ﴾ ملتبسا ﴿ بِعِلْمِهِ ۚ ﴾ أي: علما به، أو وفيه علمه ﴿ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ۚ ﴾ لك أيضا ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ شَهِيدًا ۚ ﴾ على ذلك.

[١٦٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ بِاللَّهِ ۚ وَصَدُّوا ۚ النَّاسَ ۚ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ دِينَ الْإِسْلَامِ بِكُفْرِهِمْ ۚ نَعَتْ مُحَمَّدٍ ۚ وَهُمْ: الْيَهُودُ ۚ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ۚ عَنْ الْحَقِّ ۚ.

[١٦٨] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ بِاللَّهِ ۚ وَظَلَمُوا ۚ نَبِيَهُ بِكُتْمَانِ نَعْتِهِ ۚ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۚ مِنْ الطَّرِيقِ ۚ.

[١٦٩] ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ۚ أَي: الطَّرِيقَ الْمُودِي إِلَيْهَا ۚ خَالِدِينَ ۚ مَقْدَرِينَ الْخُلُودِ ۚ فِيهَا ۚ إِذَا دَخَلُوهَا ۚ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۚ هُنَا.

[١٧٠] ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ ۚ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ۚ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ ۚ مُحَمَّدٌ ۚ بِالْحَقِّ ۚ مِنْ رَبِّكُمُ فَتَأْمِنُوا ۚ بِهِ، وَاقْصِدُوا ۚ خَيْرًا لَكُمْ ۚ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا ۚ بِهِ ۚ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَلَكًا وَخَلْقًا وَعِبَدًا ۚ فَلَا يَضُرُّهُمُ كُفْرُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ۚ بِخَلْقِهِ ۚ حَكِيمًا ۚ فِي صُنْعِهِ بِهِمْ.

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) أي: الجلال المحلي.

(٣) أي: عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ ﴾ [عائز: ٧٨].

(٤) القصص: ٤٧.

(٥) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٣٩/٦)]. وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٥٢٠/١).

﴿إِنْ كَانَتْ﴾ أي الأخان ﴿أَثْنَتَيْنِ﴾ أي: فصاعداً؛ لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات^(١) ﴿فَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ بِمَا تَرَكَ﴾ الأخ ﴿وَلِنْ كَانُوا﴾ أي: الورثة ﴿إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلَهُمَا الْاِثْنَتَانِ﴾ منهم ﴿وَمَنْ حَظَّ الْاِثْنَتَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَصِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه الميراث، روى الشيخان عن البراء: أنها آخر آية نزلت؛ أي: من الفرائض^(٢).

سورة المائدة

[مدنية، وآياتها مائة وعشرون آية^(٣)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ العهد المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَيْعَتُ الْأَعْمَى﴾ الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح^(٤) ﴿إِلَّا مَا يَمْلِكُ عَلَيْكُمْ﴾ تحريره في ﴿حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ﴾ النِّمَّةِ^(٥) الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحرير لما غرض من الموت^(٦) ونحوه ﴿غَيْرَ مُجْلِ الصِّدِّ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ أي: مُخْرَجُونَ، ونصب ﴿غَيْرَ﴾ على الحال من ضمير ﴿لَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرِيدُ﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا سَعْيَكُمْ﴾ جمع سعيعة؛ أي: معالم دينه؛ بالصيد في الإحرام ﴿وَلَا التَّهَرَّجُوا﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا الْمَلَذَى﴾ ما أهدي إلى الحرم من الثَّغْمِ بالعرض له ﴿وَلَا الْفَلْتَةَ﴾ جمع فلاة؛ وهي: ما كان يقلد به من شجر الحرم ليأمن؛ أي: لا تعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿وَلَا تَحْلُوا﴾ تحلوا ﴿مَائِينَ﴾ قاصدين ﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ بأن تقاتلوه^(٧) ﴿يَنْتَعُونَ﴾ قَصَلاً رزقاً ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ بالنجارة ﴿وَرِضْوَاناً﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد، وهذا منسوخ بآية براءة^(٨) ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَاصْطَادُوا﴾ أمر بإباحة ﴿وَلَا يَجُوزُ عَلَيْكُمْ﴾ يكسبكم ﴿سِتْنَانٌ﴾ بفتح النون وسكونها^(٩)؛ بعض ﴿فَوْرٍ﴾ لأجل ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْبُدُوا﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَمَازُونَا عَلَى الْاَبْرِ﴾ بفعل ما أمرتم به ﴿وَالْتَقَوْا﴾ بترك ما نهيتهم عنه ﴿وَلَا تَمَازُونَا﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿عَلَى الْاَبْرِ﴾ المعاصي ﴿وَالْمَدُونِ﴾ التعدي في حدود الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّسُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَن تَصِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْفَى إِلَّا مَا يَمْلِكُ عَلَيْكُمْ غَيْرُ مُجْلِ الصِّدِّ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا سَعْيَكُمْ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ قَصَلاً مِنْ رَبِّهِمْ رِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجُزُ مِنْكُمْ شَتَانٌ قَوْمٌ أَنْ صَدُّوا عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْبُدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

[١٧٦] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكَلَالَةِ^(١) ﴿قُلِ اللَّهُ يُفَيِّسُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ إِنْ أَمَرُوا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ ﴿هَلَكَ﴾ مَاتَ ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: ولا والد؛ وهو: الكَلَالَةُ ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ من أبوين أو أب ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا﴾ أي: الأخ كذلك ﴿يَرِيهَا﴾ جميع ما تَرَكَتْ ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ فَإِنْ كَانَتْهَا وَلَدٌ ذَكَرٌ؛ فلا شيء له، أو أنثى فله ما فضل من نصيبها، ولو كانت الأخت أو الأخ من أم فَقَرَضُهُ الشُّدُسُ - كما تقدم أول السورة -

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٧٦): أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يهوداني ماشيين فأعمني عليّ، فوضأ ثم صب عني من وضوئه فأفقت. قلت: يا رسول الله كيف أفضي في مالي؟ فلم يرُدْ عليّ شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّسُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ مسلم - كتاب الفرائض (٢٣) - باب (٢) ميراث الكَلَالَةِ.

(١) اختلف في المراد بالكَلَالَةِ؛ وأصح الأقوال فيها هي أن يموت الميت وليس له فرع ولا أصل.

(٢) لأن الجملة الشرطية لا يليها إلا الفعل ولو تقديرًا.

(٣) البخاري (١٩٤) س حديث جابر، وأخرج نحوه مسلم (١٦١٦).

(٤) البخاري (٤٦٠٥)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) في نسخة: مدنية، مائة وعشرون أو: وثلاث أو: ثلاث آية.

(٦) لو قال: «بعد التذكية» لكان أحسن؛ يشتمل البحر - أيضًا.

(٧) وهي عشرة أشياء مطعومة كما جاءت في الآية: أولها الميتة وأخرها ما ذبح على النصب.

(٨) لأن ما قبل ﴿وَلَا﴾ فيما أحل. وما بعدها فيما حرم؛ أي: ما بعدها مغاير لما قبلها في الحكم والاتصال إذا كانا متفقين في الحكم، ويلزم من ذلك أن كل استثناء منقطع؛ لأن ما بعد ﴿وَلَا﴾ دائماً مخالفاً لما قبلها منقطعاً كان أو متصلاً. وأهل اللغة على أن الاستثناء المتصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، والمنقطع أن يكون من غير جنسه.

(٩) وإن حمل على غير القتال؛ كالظلم، فليس بمنسوخ.

(١٠) أي: قوله: ﴿وَلَا التَّهَرَّجُوا الْحَرَامَ وَلَا الْمَلَذَى وَلَا الْفَلْتَةَ وَلَا مَائِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ [المائدة: ٢]، وليس في المائدة منسوخ غير هذه الآية.

(١١) بالسكون قراءة شعبة وابن عامر.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمَرْوِيَّةُ وَالطَّيْحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقِ الْيَوْمَ يَسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكَلَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
رِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ
غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ١٢ يَسْتَأْذِنُكَ مَاذَا
أَجَلَ لَهُمْ قُلْ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَةُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ
مُكَلِّينَ يُعَاْمِنُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ
وَاذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٣
الْيَوْمَ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَةُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حَلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسْلِفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ١٤

لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ الْحَارِمَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِن قَبْلِكُمْ حَلَّ لَكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
مَهْرُهُنَّ مُحْصِنِينَ مُتَزَوِّجِينَ غَيْرِ مُسْلِفِينَ مُعَلِّينَ بِالزَّانَا بِهِنَ وَلَا
مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ مِنْهُنَّ تَسْرُونَ بِالزَّانَا بِهِنَ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ
يَرْتَدَّ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ الصَّالِحُ قَبْلَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَعْتَدُ بِهِ، وَلَا يَنْبَأُ عَلَيْهِ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ إِذَا مَاتَ عَلَيْهِ.

[٣] حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ أَي: أكلها وَالْدَّمُ أَي: المسفوح - كما
في الأنعام^(١) - وَتَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، بَأَن ذُبِحَ عَلَى اسْمِ غَيْرِهِ
وَالْمُنْخَفَقَةُ الميته خنقاً وَالْمَوْفُودَةُ المقتولة ضرباً وَالْمَرْوِيَّةُ الساقطة
من علو إلى أسفل فماتت وَالطَّيْحَةُ المقتولة ينطح أخرى لها وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ مِنْهُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ أَي: أدرستم فيه الروح من هذه الأشياء
فَذَبَحْتُمُوهُ، وَمَا ذُبِحَ عَلَى اسْمِ النُّصُبِ جمع نصاب؛ وهي: الأصنام
وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا تطلبوا القسم والحكم بِالْأَزْلَمِ جمع زلم - يفتح
الزاي وضمها مع فتح اللام -: قدح - بكسر القاف - صغير لا ريش له ولا
نصل، وكانت سبعة عند سادن الكعبة، عليها أعلام، وكانوا يحكمونها؛ فإن
أمرتهم اتسمروا وإن نهيتهم انتهوا وَذَلِكُمْ فَسُقِ خروج عن الطاعة، ونزل
يوم عرفة عام حجة الوداع^(٢) : الْيَوْمَ يَسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ
ترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ
أَكَلَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ أحكامه وفرائضه، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام
وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ رِعْمَتِي بأكماله، وقيل: بدخول مكة آمين وَرَضِيتُ
أَي: اختَرْتُ^(٣) لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ مَجَاعَةٍ إِلَى أَيْ
شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ فَأَكَلَهُ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ مائل لَلْإِثْمِ معصية فَإِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ لَهُ مَا أَكَلَ رَحِيمٌ به في إباحته، بخلاف المائل للإثم؛ أَي: التلبس
به كقاطع الطريق والباغي مثلاً؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ الْأَكْلُ.

[٤] يَسْتَأْذِنُكَ يَا مُحَمَّدُ مَاذَا أَجَلَ لَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ قُلْ أَجَلَ لَكُمْ
الطَّيْبَةُ الْمُسْتَلَذَاتُ وَوَصِيدٌ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ الْكَوَاسِبُ مِنَ
الكلاب والسباع والطيور مُكَلِّينَ حَالٍ مِنْ كَلْبَتِ الْكَلْبِ - بالتشديد ؛
أَي: أرسلته على الصيد تَعْلُمُونَهُنَّ حَالٍ مِنْ ضَمِيرِ مُكَلِّينَ؛ أَي:
تُؤَدِّبُونَهُنَّ بِمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ مِنْ آدَابِ الصَّيْدِ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَإِنْ
قُلْتُمْ بَأَن لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ، بخلاف غير المعلمة؛ فَلَا يَحِلُّ صيدها، وَغَلَامَتُهَا^(٤)
أَنْ تَشْتَرِيَهَا إِذَا أُوسِلَتْ وَتَنْزِرَ إِذَا رُجِرَتْ، وَتَمْسِكُ الصَّيْدَ وَلَا تَأْكُلْ مِنْهُ،
وَأَقْلُ مَا يَعْرِفُ بِهِ ثَلَاثُ مَرَاتٍ؛ فَإِنْ أَكَلَتْ مِنْهُ فَلَيْسَ بِمَا أَمْسَكْنَ عَلَى
صَاحِبِهَا؛ فَلَا يَحِلُّ أَكْلُهُ كَمَا فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ وَفِيهِ: أَنَّ صَيْدَ الشَّهْمِ
إِذَا أُوسِلَ وَدُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَصَيْدِ الْمُغْلَمِ مِنَ الْجَوَارِحِ^(٥) . وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ
عَلَيْهِ عِنْدَ إِسْرَائِهِ^(٦) وَأَقْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

[٥] الْيَوْمَ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيْبَةُ الْمُسْتَلَذَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
أَي: ذبائح اليهود والنصارى حَلَّ حلال لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ إِيَّاهُمْ حَلَّ

(١) أَي: في قوله - تعالى -: «هُوَ دَمًا مَسْفُوحًا» [الأنعام: ١٤٥].

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٠٧)، ومسلم (٣٠١٧).

(٣) هذا تأويل لصفة الرضا الثانية لله ﷻ على الوجه الذي يليق به سبحانه. ومن لوازمها أنه اختار ما رضاء من الدين لهذه الأمة.

(٤) ذكر أربع علامات وهي معتبرة في الكلب والسبع، وأما الطير فلا يعتبر فيه إلا قبذان: ألا يأكل منه، وإذا أرسل استرسل، ويرى مالك أن الأكل يس قبيلاً كذلك في الكلب والسبع، ولم يأخذ بالحديث.

(٥) لا يوجد بهذا اللفظ في الصحيحين ولكن يستفاد هذا الحكم من أحاديث فيها. انظر: البخاري (٥٠٦٢)، ومسلم (٣٥٦٥).

(٦) ذهب المصنف إلى أن الضمير عائد إلى «مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ»، وقيل: عائد إلى «مَا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ»؛ أَي: سوا الله إذا أدرستم ذكاته.

ألقوا المسح بها من غير إمالة ماء، وهو اسم جنس فيكني أقل ما يصدق عليه؛ وهو: مسح بعض شفره^(٣)، وعليه الشافعي ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب، عطفًا على ﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾، وبالجر على الجوار^(٤) ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ أي: معها - كما يثبت الشئ^(٥) ١. وهما: العظام الناتان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم، والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس المسح يغيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعي، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ فاعتسلوا ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْتَجِينَ﴾ مرضًا يضره الماء ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين ﴿أَوْ جَسَدًا أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ أي: أخذت ﴿أَوْ لَنَسَمْتُمُ النِّسَاءَ﴾ سبق مثله في آية النساء ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾ بعد طلبه ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ اقصدا ﴿صَدِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابًا طاهرًا ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المرفقين ﴿بِنِئَةِ﴾ بضريرتين^(٦)، والباء للإلصاق، وَبَيَّنَّتِ الشَّيْءُ أَنَّ المراد استيعاب العضوين بالمسح^(٧) ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ يُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداث والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام؛ ببيان شرائع الدين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة^(٨).

[٧] ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِثْقَةً﴾ عهده ﴿الَّذِي وَافَقَكُمْ بِهِ﴾ عاهدكم عليه ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ للنبي ﷺ حين بايعتموه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ في كل ما تأمر به وتنهى؛ بما نحب ونكره ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ميثاقه أَنْ تنقضوه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، فيغيره أولى.

[٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُرُونًا قَوْمِينَ﴾ قاتمين ﴿لِلَّهِ﴾ بحقوقه ﴿شُهَدَاءَ يَأْخُضُونَ﴾ بالعدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يحميلكم ﴿سِتْرَانِ﴾ بفض ﴿قَوْمٍ﴾ أي: الكفار ﴿عَنْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ فتناولوا منهم؛ لعداوتهم ﴿أَعْدِلُوا﴾ في العدو والولي ﴿هُوَ﴾ أي: العدل ﴿أَقْرَبُ لِلْقَوِيِّ وَأَنْفَقُوا﴾ اللَّهُ إِنَّكَ اللَّهُ حَيِّرٌ يَمَّا تَعْمَلُونَ فيجازيكم به.

[٩] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وعدًا حسنًا ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَنَسَمْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِثْقَةَ الَّتِي وَاتَّقَمَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُرُونًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ يَأْخُضُونَ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٩

[٦] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾ أي: أردتم القيام ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ وأنتم محدثون ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ أي: معها - كما يثبت الشئ^(٩) - ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء للإلصاق^(١٠)؛ أي:

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦): أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها: سقطت قلادة لي بالبلاء - ونحن داخلون المدينة - فأناب النبي ﷺ ونزل، فنتى رأسه في حجري رافدًا. أقبل أبو بكر فلكرني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قلادة؟ في الموت لكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد؛ فنزلت: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية. قال أسيد بن حصير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم. البخاري - التفسير (٦٥) - سورة المائدة (٥) باب (٣).

(١) من حديث وائل بن حجر الحضرمي أن النبي ﷺ غسل في وضوئه يمينه ويساره، حتى جاوز المرفق ثلاثًا، وغسل رجله حتى حاوز الكعبين. أخرجه الدارقطني من حديث عثمان، وأخرجه الدارقطني والبيهقي عن جابر، وأخرجه الزبair والطبراني من حديث وائل بن حجر، وأخرجه الطحاوي والطبراني من حديث ثعلبة بن عباد عن أبيه مرفوعًا [فتح الباري (٣٥٠/١)]. وانظر: صحيح الجامع (٤٦٩٨)، والسلسلة الصحيحة (٩٩/٥).

(٢) وقيل: للتبعض. وهو قول مرجوح.

(٣) وقال أبو حنيفة: يجب مسح الجميع كما يجب مسح الوجه في التيمم. وهو الصحيح.

(٤) قراءة الجرارين كثير وأبي عمرو وحزمة وشعبة، وقوله: «على الجوار»؛ أي: فهو في المعنى منصوب بفتحة مقدرة على آخره، واعترض على هذا بأنه لم يرد الجوار بالمجاورة إلا في النعت، والأولى أن يقال: إنه مجرور بفتحة، ومعطوف على الرؤوس، والمسح مسلط عليه ويحمل على حالة ليس الخف.

(٥) كما تقدم قربنا في حديث وائل بن حجر.

(٦) حديث الضربين ضعيف، والصحيح أن التيمم ضربة واحدة كما في حديث عمار عند البخاري مرفوعًا: «إنما كان يكفركم هكذا»، ونفع فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه. البخاري (٣٤٧).

(٧) حديث زوي عن ابن عمر عند الدارقطني (١٨٠/١) مرفوعًا، وصححه الأئمة وقفه على ابن عمر.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

[١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَنْ يَسْطُورُوا﴾ يدنو ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَنْ يَسْطُورُوا﴾ ليفتكوا بكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ^(١)

[١٢] ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بما يذكر بعد^(٢) ﴿وَبَعَثْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة - أقمنا ﴿مِنْهُمْ أَتَى عَشَرَ نَفِيسًا﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه؛ بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والصرة ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ﴾ وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ﴿وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ وَعَزَّيْتُمُوهُمْ ﴿نَصَرْتُمُوهُمْ﴾ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴿بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ﴾ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمِيثَاقِ﴾ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿أَخْطَأَ طَرِيقَ الْحَقِّ وَالسَّوَاءِ فِي الْأَصْلِ: الْوَسْطُ، فَتَقْضُوا الْمِيثَاقَ.

[١٣] قال الله - تعالى -: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ﴾ «ما» زائدة ﴿مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها؛ أي: يبدلونه ﴿وَنَسُوا﴾ تركوا ﴿حَظًّا﴾ نصيبًا ﴿فِيمَا ذُكِّرُوا﴾ أمروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﷺ ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَى خَائِبَةٍ﴾ أي: خيانة ﴿وَمِنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ من أسلم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وهذا منسوخ بآية السيف^(٣).

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَنْ يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّيْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِبَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

(١) فائدة: قال الألوسي: «والآية إشارة إلى ما أخرجه مسلم وغيره من حديث جابر أن المشركين رأوا أن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم بمسفات قاموا إلى الطهر مقاء، فلما صلوا ندبوا ألا كانوا أكبروا عليهم، وهما أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى صلاة العصر؛ فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف...».

وقبل غير ذلك. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢٤/٦، ١٢٥).

(٢) أي: من قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية [التائدة: ١٢].

(٣) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْلَوُ أَعْنَ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ وَسُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

[١٤] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ متعلق بقوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل العهد، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل؛ من الإيمان وغيره، ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم، فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[١٥] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾ تكتمون ﴿وَمِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة والإنجيل؛ آية الرجم وصفته ^(١) ﴿وَيَعْلَوُ أَعْنَ كَثِيرٍ﴾ من ذلك؛ فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا إفضاحكم. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ قرآن ﴿مُبِينٌ﴾ يبين ظاهراً.

[١٦] ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ أي: بالكتاب ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ بأن آمن ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

[١٧] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث جعلوه إلهاً، وهم العقويّة - فرقة من النصارى ^(٢) - ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ أي: يدفع ﴿وَمِنَ اللَّهِ سَيِّئًا﴾ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا؛ أي: لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلهاً؛ لقدّر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَاءٌ ^(٣) ﴿قَدِيرٌ﴾

(١) فائدة: أخرج الحاكم (٤/٤٠٠) وغيره عن ابن عباس ؓ قال: (من كفر بالرجم، فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحاسب. وذلك قول الله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٧٦/١٠) وصححه الأرنؤوط. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤٤٢٠).

(٢) بل هذا هو معتقد عامتهم.

(٣) والأولى الإطلاق وعدم التقييد. كما أطلق الله ﷻ، ورسوله ﷺ، كما أنه أكمل في الصفة، والله أعلم.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿فَاتَّهَبَا﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿مَحْرَمَةً﴾ عليهم أن يدخلوها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ﴾ بتحيرهم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وهي تسعة فراسخ، قاله ابن عباس ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْرِ الْفَيْسِقِينَ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم^(١) في الموضع الذي ابتدءوا منه، ويسرون النهار كذلك حتى انقضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين، قيل: وكانوا ستمائة ألف، ومات هارون وموسى في الشَّيْء، وكان رحمة لهما وعدايب لأولئك، وسأل موسى ربه عند موته أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر؛ فأدناه - كما في الحديث^(٢) -، وثني يوشع بعد الأربعين، وأمر بقتل الجبارين؛ فصار بمن بقي معه وقتلهم، وكان يوم الجمعة، ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، وروى أحمد في مسنده حديث: «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَحْسُ عَلَى بَنِي إِيلَافٍ إِلَّا يَوْشَعَ^(٣) لَيَالِي سَارَ إِلَى يَتِيبِ الْقُدْسِ»^(٤).

[٢٧] ﴿وَأَتَى﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على قومك ﴿بَنَاءً﴾ خبر ﴿أَبْنَى مَادَمَ﴾ هابيل وقابيل ﴿يَالْحَقَّ﴾ متعلق بـ ﴿وَأَتَى﴾ ﴿إِذْ قَرَأَ قُرْآنًا﴾ إلى الله؛ وهو: كيش لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيل؛ بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ وهو قابيل؛ فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لم؟ قال: لتقبل قربانك دوني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿بَسَطْتَ﴾ مددت ﴿إِلَيْكَ يَدَكَ لَيَقْتُلَنَّكَ مَا آتَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ أي: أخاف الله رب العالمين ﴿فِي تِلْكَ﴾. [٢٩] ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ﴾ ترجع ﴿إِلَيْهِ﴾ يائمه قلبي ﴿وَأُنِصَّ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ولا أريد أن أبوء يائمه إذا قتلتك، فأكون منهم، قال - تعالى -: ﴿وَذَلِكُمْ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

[٣٠] ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ زينت ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾ فصار ﴿مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ بقتله، ولم يدر ما يصنع به؛ لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله على ظهره.

[٣١] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يَبْحَثُ التراب بمنقاره ويرجله ويَنْزِيهِهُ على غراب ميت حتى وازاه ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤْزِرُ﴾ يَشْرُ سَوْءَةً جيفة ﴿أَخِيهِ قَالِ يَتَوَلَّى عَجْرُتُ﴾ عن ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤْزِرُ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حمله، وحفر له وواراه.

قَالُوا يَمْوَسِي إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٨﴾ * وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَأَ قُرْآنًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٩﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بَيْتِي وَأُتِيكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٢﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤْزِرُ سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالِ يَتَوَلَّى عَجْرُتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤْزِرُ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣٣﴾

[٢٤] ﴿قَالُوا يَمْوَسِي إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا﴾ هم ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ عن القتال.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ موسى حينئذ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَآخِي﴾ ولا أملك غيرهما؛ فاجبرهم على الطاعة ﴿فَافْرِقْ﴾ فافصل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ في هذا الحديث، قال: قلت يا رسول الله، أرايت إن دخل علي بيتي وبسط يده ليقبلي؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «كن كابي آدم»، وتلا يزيد - هو يزيد بن خالد الرملي شيخ أبي داود -: ﴿لَوْ بَسَطْتَ إِلَيْكَ يَدَكَ لَيَقْتُلَنَّكَ مَا آتَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ الآية.

أبو دود - كتاب الفتن والملاحم (٢٩) باب (٢) في النهي عن السعي في الفتنة. وأشار محققه في هامشه (٤٥٦/٤) أنه وقع في نسخة: «كن كخبر ابني آدم». وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٨١).

وقوله: «في هذا الحديث» يعني حديث أبي بكر مرفوعاً: «إنها ستكون فتنة، يكون المضطجع فيها غيراً من الجالس...» وهو عند مسلم في كتاب الفتن (٥٢) باب (٣) نزول الفتن كموافق القطر.

وفي آخر الحديث عند مسلم: «فقال رجن: يا رسول الله أرايت إن أكرهت حتى ينطقي بي إلى أحد الصغين - أو إحدى الفتنين - فضررتي رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: بيوه يائمه وإئمه، ويكون من أصحاب النار».

(١) أخرج نحوه ابن جرير عن مجاهد وعن الربيع بن أنس [الدر المنثور (٤٨٢/٢)].

(٢) البحاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢).

(٣) أي: قبل يوشع، ولا فقد حبست لنبينا ﷺ مرتين؛ يوم الخندق، وصبيحة ليلة الإسراء.

(٤) رواه أحمد (٧٩٦٤) عن أبي هريرة مرفوعاً باللفظ: «إن الشمس لم تهب لبشر...»، وانظر: صحيح الجامع (٥٦١٢).

[٣٢] ﴿وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ الذي فعله قابيل ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا﴾ قتلها ﴿أَوْ﴾ بغير فساده ﴿أَنَّهُ﴾ في الأرض ﴿مَن كَفَرَ أَوْ رَدَّ أَوْ قَطَعَ طَرِيقًا أَوْ نَحْوَهُ﴾ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ^(١) ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَيْدَ مَنَّهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُتْرُوتٌ﴾ مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك.

[٣٣] ونزل في العرينين - لما قدموا المدينة وهم مرضى ^(٢)؛ فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوابها وألبانها، فلما ضحكوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل :- ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ بِمُحَارَبَةٍ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا يقطع الطريق ﴿أَن يَقْتُلُوا أَوْ يُكَلِّبُوا أَوْ يَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ أي: أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أَوْ يُنْفِوا مِنْ الْأَرْضِ﴾ ^(٣) ﴿أَوْ﴾ لترتيب الأحوال، فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل، والنفي لمن أخاف فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ^(٤)، وأصح قوله: أن الصلب ثلاثاً ^(٥) بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً. ويلحق بالنفي ما أشبهه في التشكيل من الخيس وغيره ^(٦) ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ﴾ جَزَاءٌ ذن ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو عذاب النار.

[٣٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من المحاربين والقطاع ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ﴾ لهم ما أتوه ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، عتبر بذلك دون ﴿فلا تحذوهم﴾؛ ليفيد أنه لا يسقط عنه توبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين، كذا ظهر لي، ولم أر من تعرض له، والله أعلم. فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب ^(٧)، وهو أصح قول الشافعي، ولا تنفيد توبته بعد القدرة عليه شيئاً، وهو أصح قوله أيضاً ^(٨).

[٣٥] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم إليه من طاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿لَقَدْ تَقْلُحُونَ﴾ تموزون.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَيْدَ مَنَّهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُتْرُوتٌ ^(١) إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^(٢) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ^(٣) يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ^(٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ^(٥)

[٣٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٣، ٣٤): أخرج النسائي عن أنس: أن نفرًا من عُكْل قدموا على النبي ﷺ فاجتوا المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوابها وألبانها ففعلوا، فقتلوا راعيها واستاقوها، فبعث النبي ﷺ في طلبهم قال: فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم، ولم يحسمهم، وتركهم حتى ماتوا، فانزل الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ﴾ الآية. النسائي - كتاب تحريم الدم (٣٧) باب (٧)، والحديث عند البخاري بدون ذكر نزول الآية.

البخاري - كتاب الوضوء (٤) باب (٦٦) أبواب الإبل والدواب والغنم ومرايضها.

(١) لم أجده عن ابن عباس أو غيره، وأخرج ابن جرير (٢٠٢/٤) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال: أويق نفسه كما لو قتل الناس جميعًا. وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ قال: من سلم من قتلها. وانظر أيضًا: [الدر المنثور (٦٤/٣)]. وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ليس من نفس تقتل ظلمًا، إلا كان على ابن آدم الأول كفل - أي نصيب - من دمها؛ لأنه أول من سن القتل». البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (٤٤٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٩٨) والنسائي (٣٩٥٩) عن أنس بن مالك، والقصة في البخاري ومسلم بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٥٨).

(٣) وعند مالك: ﴿أَوْ﴾ على بابها للتخيير، لكن بحسب ما يراه الحاكم.

(٤) أي: ثلاثة أيام.

(٥) وعند مالك: النفي لإبعاده عن الأرض مسافة قصر، ولا يكفي الحيس.

(٦) أي: إذا تاب قبل القدرة عليه؛ فلا يسقط في هذه الحال المذكورة إلا الصلب؛ لأنه من حق الله.

الكوع، وَيَنْتَبِثُ الشَّئُ أَنْ الَّذِي^(١) يقطع فيه ربع دينار فصاعداً، وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى، وبعد ذلك يعز^(٢) ﴿جَزَاءً﴾ نصب على المصدر ﴿يَمَّا كَسَبَا نَكَالاً﴾ عقوبة لهما ﴿وَنَآلَهُمَا اللَّهُ عَذَابًا غَيْرَ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه. [٣٩] ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ رجع عن السرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَارْتَبَّ اللَّهُ بَنُو ثِيَابٍ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في التعبير بهذا ما تقدم؛ فلا يسقط بتوبته حق الآدمي من القطع ورد المال، نعم يَنْتَبِثُ الشَّئُ أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الإمام سقط القطع، وعليه الشافعي^(٣).

[٤٠] ﴿أَلَمْ تَلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه التعذيب والمغفرة.

[٤١] ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا مَحْزَنٌ﴾ صنع ﴿الَّذِينَ يُسْرِغُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يعقون فيه بسرعة؛ أي: يظهره إذا وجدوا فرصة ﴿وَنَآلَهُمُ الْعَذَابُ﴾ يقولون ﴿أَلَمْ يَأْمُرْنَا بِأَقْوَاهُمْ﴾ بالسنتهم متعلق بـ ﴿قَالُوا﴾ ﴿وَلَمْ تَأْمُرْهُمْ فُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿سَمِعُوا لَكُذِبَ﴾ الذي افترته أجهارهم سماع قبول ﴿سَمِعُوا﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾ لأجل قوم ﴿آخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ وهم أهل خير، زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما؛ فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يَحْرِقُونَ أَلْكَبَ﴾ الذي في التوراة؛ كآبة الرجم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها؛ أي: يبدلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ الحكم المحرف؛ أي: الجلد الذي أفتاكم به محمد ﴿فَحُذِرُوا﴾ فاقبلوه ﴿وَأَنْ لَمْ تَوْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فَحُذِرُوا﴾ أن تقبلوه ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ إضلاله ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ في دفعها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ فُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر، ولو أراد لكان ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ ذل بالفضيحة والحزبة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِغُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهُمْ وَلَمْ تَأْمُرْهُمْ فُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمِعُوا لَكُذِبَ سَمِعُوا لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِأَقْوَاهُمْ أَلْكَبَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تَوْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ فُلُوبَهُمْ وَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

[٣٧] ﴿يُرِيدُونَ﴾ يمتنون ﴿أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم.

[٣٨] ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ «ال» فيهما موصولة مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره؛ وهو: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أي: يمين كل منهما من

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٩): أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرفت على عهد النبي ﷺ فجاء بها الذين سرفتهم، فقالوا: يا رسول الله، إن هذه المرأة سرفتنا، قال قومها: فحنن نفديها. يعني أهلها. فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا يدها» فقالوا: نحن نفديها بخمسائة دينار. قال: «اقطعوا يدها» قال: فقطعت يدها اليمنى، فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال: «نعم، أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك» فأبذل الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ إلى آخر الآية. أحمد - المسند (١٧٧/٢). وقال أحمد شاذر: إسناده صحيح (٦٦٥٧). قال ابن كثير: «وهذه المرأة هي المخزومية التي سرفت. وحديثها ثابت في الصحيحين».

(١) رواه البخاري (٦٢٩١)، ومسلم (٣١٨٩، ٣١٩٠، ٣١٩٢)، عن عائشة مرفوعاً.

(٢) وهذا مذهب الشافعي ومالك، وعند الحنيفة ورجحه ابن قدامة: لو عاد في الثالثة والرابعة يعز، ولا تقطع يده اليسرى ولا رجله اليمنى. وهو الأصح؛ لأن قطع يديه يفوت منفعة الجنس، فلا تبقى له يد يأكل بها ولا يتوضأ ولا يستطيب ولا يدفع عن نفسه؛ فيصير كالهالك، ولأنه لو جاز قطع اليدين لقطعت اليسرى في المرة الثانية لأنها آلة البطش الكيليني، وإنما لم تقطع للمفسدة في قطعها. [الغني (٩/ ١٠٦ - ١٠٩)].

(٣) وعند مالك: لا ينفع عفوه من مطلقاً؛ لأنه حق الله.

(٤) أي: لقوله: ﴿الَّذِينَ يُسْرِغُونَ﴾ [المائدة: ٤١].

[٤٢] هُمْ ﴿سَمِعُوا لَكَذِبَ أَنْكَلُونَ﴾ [لِلشُّعْبِ] ﴿بِضْمِ الْحَاءِ وَسُكُونِهَا﴾^(١)؛ أَي: الْحَرَامُ؛ كَالرَّشَا ﴿فَإِنْ جَاءَهُمْ﴾ لِحُكْمِ بَيْنَهُمْ ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هَذَا التَّخْيِيرُ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ الْآيَةُ، فَيَجِبُ الْحُكْمُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَرَافَعُوا إِلَيْنَا، وَهُوَ أَصَحُّ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ^(٢)، فَلَوْ تَرَافَعُوا إِلَيْنَا مَعَ مُسْلِمٍ وَجِبَ إِجْمَاعًا ﴿وَإِنْ تَقَرَّضْ عَنْهُمْ فَكُنْ بِضُرِّكَ سَيِّئًا﴾ وَإِنْ حَكَمْتَ بَيْنَهُمْ ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الْعَادِلِينَ فِي الْحُكْمِ؛ أَي: بَيْنَهُمْ^(٣).

[٤٣] ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُكَ اللَّهُ وَعِنْدَهُ التَّوْرَةُ﴾ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ بِالرَّجْمِ، اسْتِفْهَامٌ تَعَجِيبٌ؛ أَي: لَمْ يَقْصِدُوا بِذَلِكَ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، بَلْ مَا هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ^(٤) ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ يَعْرِضُونَ عَنْ حُكْمِكَ بِالرَّجْمِ الْمَوَافِقَ لِكِتَابِهِمْ ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التَّحْكِيمَ ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٤٤] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَنُورٌ﴾ يَانُ لِلْأَحْكَامِ ﴿يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ انْقَادُوا لِلَّهِ ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ﴾ الْمُلَمَّاءُ مِنْهُ ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ الْفُقَهَاءُ ﴿بِمَا﴾ أَي: بِسَبَبِ الَّذِي ﴿أَسْتَحْفَظُوا﴾ اسْتَوْدَعُوهُ؛ أَي: اسْتَحْفَظَهُمُ اللَّهُ إِيَّاهُ ﴿مَنْ كَتَبَ اللَّهُ أَنْ يَدُلُّهُ﴾ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ أَنَّهُ حَقٌّ ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ﴾ أَيُّهَا الْيَهُودُ فِي إِظْهَارِ مَا عِنْدَكُمْ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالرَّجْمِ وَغَيْرِهَا ﴿وَأَخْشَوْا﴾ فِي كِتْمَانِهِ ﴿وَلَا تَنْفَرُوا﴾ تَسْتَبْدِلُوا ﴿بِإِيتَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا تَأْخُذُونَهُ عَلَى كِتْمَانِهَا ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ بِهِ.

[٤٥] ﴿وَكُنَّا﴾ فُرْصَنَا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أَي: التَّوْرَةَ ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تَقْتُلُ ﴿بِالنَّفْسِ﴾ إِذَا قَتَلَهَا ﴿وَالْعَيْنَ﴾ نَفَقًا ﴿بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفِ﴾ يُجْدَعُ ﴿بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنِ﴾ تَقْطَعُ ﴿بِالْأُذُنِ وَاللِّسَنِ﴾ تَقْلَعُ ﴿بِاللِّسَنِ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ الْارْفَعِ فِي الْأَرْبَعَةِ^(٥) ﴿وَالْجُرُوحَ﴾ بِالْوَجْهِينِ^(٦) ﴿قِصَاصٌ﴾ أَي: يَقْتَضِ فِيهَا إِذَا أَمَكَ؛ كَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَمَا لَا يُمْكِنُ فِيهِ الْحُكْمُ، وَهَذَا الْحُكْمُ وَإِنْ كَتَبَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ مُقَرَّرٌ فِي شَرْعِنَا ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾

سَمِعُوا لَكَذِبَ أَنْكَلُونَ لَلشُّعْبِ بِضْمِ الْحَاءِ وَسُكُونِهَا أَي: الْحَرَامُ؛ كَالرَّشَا فَإِنْ جَاءَهُمْ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ هَذَا التَّخْيِيرُ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ الْآيَةُ، فَيَجِبُ الْحُكْمُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَرَافَعُوا إِلَيْنَا، وَهُوَ أَصَحُّ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ، فَلَوْ تَرَافَعُوا إِلَيْنَا مَعَ مُسْلِمٍ وَجِبَ إِجْمَاعًا وَإِنْ تَقَرَّضْ عَنْهُمْ فَكُنْ بِضُرِّكَ سَيِّئًا وَإِنْ حَكَمْتَ بَيْنَهُمْ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ الْعَادِلِينَ فِي الْحُكْمِ؛ أَي: بَيْنَهُمْ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا الَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ الْمُلَمَّاءُ مِنْهُ وَالْأَحْبَارُ الْفُقَهَاءُ بِمَا أَي: بِسَبَبِ الَّذِي أَسْتَحْفَظُوا اسْتَوْدَعُوهُ؛ أَي: اسْتَحْفَظَهُمُ اللَّهُ إِيَّاهُ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ أَنْ يَدُلُّهُ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ أَنَّهُ حَقٌّ فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ أَيُّهَا الْيَهُودُ فِي إِظْهَارِ مَا عِنْدَكُمْ مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالرَّجْمِ وَغَيْرِهَا وَأَخْشَوْا فِي كِتْمَانِهِ وَلَا تَنْفَرُوا تَسْتَبْدِلُوا بِإِيتَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا تَأْخُذُونَهُ عَلَى كِتْمَانِهَا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

أَي: بِالْقِصَاصِ؛ بَأَنْ مَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ لِمَا أَتَاهُ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فِي الْقِصَاصِ وَغَيْرِهِ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ (٤٥): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَجُلًا عَضَ بِرَجُلٍ، فَنَزَعَ يَدَهُ، فَوَقَعَتْ ثِيَابُهُ، فَانْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «بَعْضُ أَحَدِكُمْ أَخَاهُ كَمَا بَعْضُ الْفَحْلِ!! لَا دِيَةَ لَهُ». فَاتَّزَلَ اللَّهُ: «وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ». التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ الدِّيَةِ (١٤) بَابُ (٢٠) مَا جَاءَ فِي الْقِصَاصِ. وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَالحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ يَبْنُو ذَكَرَ نَزْلَ الْآيَةِ، وَكَذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ لَكِنْ مِنْ حَدِيثِ بَعْلَى بْنِ أُمِيَّةٍ.

(١) بِالضَّمِّ قِرَاءَةُ الْكَسَائِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو.

(٢) وَمَشْهُورٌ مَذْهَبُ مَالِكٍ أَنَّ التَّخْيِيرَ بَاقٍ وَلَيْسَ بِمَنْسُوخٍ، وَبِهِ قَالَ أَحْمَدُ وَهُوَ الرَّاجِحُ، وَاسْتَأْخَرَ السَّعْدَنِيُّ مَعْلَلًا بِهِمْ لَا قَصْدَ لَهُمْ فِي الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِأَهْوَائِهِمْ، وَكَذَلِكَ الْقَاسِمِيُّ وَزَادَ: لِأَنَّهُ لَا مَعَاةَ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ، فَالْأَوَّلَى فِيهَا التَّخْيِيرُ، وَالْأُخْرَى فِيهَا كَيْفِيَةُ الْحُكْمِ إِذَا حُكِمَ بَيْنَهُمْ.

(٣) وَهَذَا تَأْوِيلٌ بِإِلْزَامِ الصِّفَةِ، وَسَبَقَ بَيَانُ مَذْهَبِ السَّلَفِ مِنْ إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ وَغَيْرِهَا عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ - سَبِيحَانَهُ.

(٤) وَهُوَ الْجَدَلُ.

(٥) لِلْكَسَائِيِّ.

(٦) بِالرَّفْعِ وَالضَّمِّ، وَالرَّفْعُ قِرَاءَةُ الْكَسَائِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ. قُلْ هِيَ التَّوْرَةُ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَتُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حال ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ لما فيها من الأحكام ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَقُلْنَا﴾: ﴿لِيُحْكَمْ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ من الأحكام، وفي قراءة (١) بنصب «يحكم» وكسر لامه، عطفًا على معمول «آتينا» ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢).

[٤٨] ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بأنزله ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَايِي﴾ قُلْ هِيَ التَّوْرَةُ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَالْحَقُّ﴾ الكتاب بمعنى: الكتب (٣) ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم﴾ بين أهل الكتاب إذا ترفعوا إليك ﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ عادلاً ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ لكل جعلنا منكم أيها الأمم ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة ﴿وَمِنْهَا جَا﴾ طريقاً واضحاً في الدين يشون عليه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على شريعة واحدة ﴿وَلَكِنْ﴾ وفرقكم فرقاً ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ لختبركم ﴿فِي مَا آتَيْنَكُم﴾ من الشرائع المختلفة؛ لينظر الطبع منكم والعاصي ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ﴾ سارعوا إليها ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالبعث ﴿فَلْيَحْكُمُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ من أمر الدين، ويجزي كلاً منكم بعمله.

[٤٩] ﴿وَأَن أَعْلَمَ بَيْنَهُم﴾ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاعْتَدِرْهُمْ لِمَنْ لَا يَقْتَرُونَكَ يضلوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا عَنْ الْحُكْمِ الْمُثْلُ وَأَرَادُوا غَيْرَهُ ﴿فَأَعْلَمَ أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ﴾ بالعقوبة في الدنيا ﴿بِبَعْضِ دُورِهِمْ﴾ التي أتوها؛ ومنها: التولي، ويجازيهم على جميعها في الأخرى ﴿وَرَأَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَفْسِقُونَ﴾.

[٥٠] ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ بالياء والتاء (٤)؛ يطلبون من المداينة والميل إذا تولوا؟ استفهام إنكاري ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ يَقُومُونَ عند قوم ﴿يُوقُونَ﴾ به خصوصاً بالذكر؛ لأنهم الذين يتدبرون.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٥١﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّجًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِن أَحْكَمَتْ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُورِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٥٤﴾ فَخُذْ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُونَ ﴿٥٥﴾

[٤٦] ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أتينا ﴿عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ أي: النبيين ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (٤١ - ٤٧): أخرج مسلم عن البراء بن عازب قال: مرُّ على النبي ﷺ يهودي محملاً مجلولاً فدعاهم ﷺ فقال: «هكذا تحدون حد الزاني في كتابكم؟» قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمهم، فقال: «أنتم بك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أعيرك. فجده الرجم، ولكنه كثير في أشرافنا، فكان إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيم على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أتممته». فأمر به فرجم، فأمر الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكُمُ الَّذِينَ يُكْفِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ يقول: اتوا محملاً فإن أمركم بالتحميم والجلد مخذوه وإن أقامكم بالرجم فاحذروا، فأمر الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ مسلم. كتاب الخلود (٢٩) باب (٦) رجم اليهود أهل الذمة في الزنى.

وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: إن الله ﷻ أنزل: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُقْسِقُونَ﴾، أنزلها الله في لطافتين من اليهود، وكانت إحداهما قد فهرت الأخرى في الجاهلية، حتى ارتضوا، أو اصطلحوا. على أن كل قبيل قتله العزيرة من الذليلة فدبته حمسون وسقاً، وكل قبيل قتله الذليلة من العزيرة فدبته مائة وسق. فكانوا على ذلك حتى قدم النبي ﷺ المدينة فذلت الطائفتان كلتاها لمقدم رسول الله ﷺ ويومئذ لم يظهر ولم يوطئها عليه وهو في الصلح.

فقتلت الذليلة من العزيرة قبلاً، فأرسلت العزيرة إلى الذليلة أن: «بعوا إلينا غنات وسق، فقالت الذليلة: وهل كان هذا في حين فط، دينهما واحد، ونسبهما واحد، وبديهما واحد، دية بعضهم نصف دية بعض. إنا إنما أعطيناكم هذا شيئاً منكم لنا وفرقاً منكم، فأما إذا قدم محمد فلا نعطيك ذلك، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله ﷺ بينهم، ثم ذكرت العزيرة فقالت: والله ما محمد يعطيك منكم منكم، ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا شيئاً منا وقهراً لهم، فدشوا إلى محمد من يخبر لكم رأيه، إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه، وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه.

فدشوا إلى رسول الله ﷻ ناشوا من المنافقين ليخبروا بهم رأي رسول الله ﷻ فلما جاء رسول الله ﷻ أخبر الله ﷻ رسوله بأمرهم كله، وأرادوا، فأمر الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكُمُ الَّذِينَ يُكْفِرُونَ﴾ في الكفر من الذلوت قالوا: آمناً، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ثم قال: فيها: والله. نزلت، وإياها عن الله ﷻ. أحمد. المسند (٢٤٦/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٢١٢).

وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَكْمًا فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ عَرِضْ عَلَيْهِمْ﴾، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط الآية. قال: كان بنو النضير إذا قتلوا من بني فريضة أدوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة. فسوى رسول الله ﷻ بينهم. أبو داود. كتاب الأفضية (١٨) باب (١٠). الحكم بين أهل الذمة. (حسن صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٣٠٦٢).

(١) أي في «العين» وما بعدها، وهي قراءة لحمة. (٢) أي: فذالة للجنس. (٣) بالياء قراءة ابن عامر.

[٥١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ توالونهم وتوادونهم ﴿بِمَتْنِهِمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي كُفْرِهِمْ﴾ ومن يتولهم ينكم فائدهم منهم من جعلتهم ﴿لِيَن آتِيَهُمُ الْقَوْمُ الْفَاطِلِينَ﴾ بوالائهم الكفار [٥٢] ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَمٌ﴾ ضعف اعتقاد؛ كبد الله بن أبي المنافق ﴿يَسْتَرْغُونَ فِيهِمْ﴾ في موالائهم ﴿يَقُولُونَ﴾ معتردين عنها: ﴿تَحْشَى أَنْ تُصِيبَا دَائِرَةً﴾ يدور بها الدهر علينا؛ من جذب أو غلبه، ولا يتم أمر محمد؛ فلا يبرونا، قال - تعالى -: ﴿فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لنبهه بإظهار دينه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ بهتك ستر المنافقين واقتضاهم ﴿فَيَصْبَحُوا عَلَى مَا أَتَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الشك وموالاة الكفار ﴿تَذِيرٌ﴾.

[٥٣] ﴿وَيَقُولُ﴾ بالرفع استئنافاً - بواو ودونها(١)، وبالنصب(٢) عطفًا على ﴿يَأْتِي﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لبعضهم إذا هنك سترهم تعجبًا: ﴿أَمْوَلَهُمُ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ في الدين قال - تعالى -: ﴿حِطَّتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَلُهُمُ﴾ الصالحة(٣) ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿خَيْرِينَ﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب.

[٥٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ﴾ بالفتح والإدغام(٤)، يرجع ﴿مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ إلى الكفار، إخبار بما علم الله وقوعه، وقد ارتد جماعة بعد موت النبي ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِدَلِيلٍ﴾ يقوي حججه ويحيونه، قال ﷺ: ﴿هُم قَوْمٌ هَذَا﴾، وأشار إلى أبي موسى الأشعري(٥) [رواه الحاكم في صحيحه] ﴿أَذَلَّةٌ﴾ عاطفين ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ﴾ أشتاء ﴿عَلَى الْكُفْرَيْنِ يُجْهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ تَوَمَّةَ لَا يَمُرُّ﴾ فيه؛ كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿وَالَّذِي فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله. [٥٥] وَنَزَلَ - لما قال ابن سلام: يا رسول الله، إن قومنا هجرونا -: ﴿إِنَّمَا وَاعِدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَرَكُوعُونَ﴾ خاشعون، أو يصلون صلاة التطوع.

[٥٦] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْفَاطِلُونَ﴾ لنصره إياهم؛ أوقعه موقع: ﴿فإنهم﴾ بياناً لأنهم من حربه؛ أي: أتباعه.

[٥٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكَمْ هُزُؤًا﴾ مهزوءاً به

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَاقَهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاطِلِينَ﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَمٌ يَسْتَرْغُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَا دَائِرَةً فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيَصْبَحُوا عَلَى مَا أَتَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَذِيرٌ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَيْرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكُفْرَيْنِ يُجْهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ تَوَمَّةَ لَا يَمُرُّ ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ إِنَّمَا وَاعِدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَرَكُوعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْفَاطِلُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافَرُ أَوْلِيَاءُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كَثْرَ الْمُؤْمِنِينَ

﴿وَلَعِبًا مِّنَ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافَرُ﴾ المشركين؛ بالجر والنصب(٨) ﴿أَوْلِيَاءُ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك موالائهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم.

- وأخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، وكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة أدى مائة وسق من تمر، فلما بعث النبي ﷺ قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة، فقالوا: ادفعوا إلينا نقتله، فقالوا: بيننا وبينكم النبي ﷺ، فأقره، فنزلت: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَهُمْ فَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ والقسط: النفس بالنفس، ثم نزلت: ﴿أَغْلُظْ عَلَيْهِمْ يَسُوءُونَ﴾. النسائي - كتاب القسامة (٤٥) باب (٩، ٨).

(١) بدونها قراءة نافع وابن عامر.

(٢) أي: مع إثبات الواو قراءة أبي عمرو.

(٣) أي: بحسب الظاهر.

(٤) بالفتح؛ أي: يستركونهم، وهي قراءة نافع وابن عامر.

(٥) أخرجه ابن سعد وابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عياض الأشعري، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٦٨/٧) [الدر المنثور (١٨٨/٢)].

(٦) قال ابن جرير: يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجلود والتدبير. وقال مثله ابن كثير.

(٧) أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نحوه [الدر المنثور (٥٢٠/٢)] وهو موضوع كما ذكر صاحب الاستيعاب (٦٧/٢).

(٨) بالجر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

على «أَنْ آمَنَّا» المعنى: ما تذكرون إلا إيماننا، ومخالفتمكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه، وليس هذا مما ينكر^(١).

[٦٠] «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ» أخبركم «بِشَيْءٍ مِّنْ أَهْلِ «ذَلِكَ» الذي تنقمونه «مُتَوَبِّهٌ» ثواباً بمعنى جزاء^(٢) «عِنْدَ اللَّهِ» هو «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ» أبعدته عن رحمته «وَعَصِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ» والخنازير «بِالْمَسْخِ» «وَمِنَ «عَبْدِ الطُّغُوتِ» الشيطان بطاعته، وروعي في «مِنْهُمْ» معنى «مِنَ»، وفيما قبله: لفظها؛ وهم: اليهود، وفي قراءة^(٣) بضم باء «عَبْدٌ» وإضافته إلى ما بعد اسم جمع لـ «عَبْدٍ»، ونصبه بالعطف على «الفردة» «أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا» تمييز؛ لأن ماوأهم النار «وَأَصْلُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» طريق الحق، وأصل السواء الوسط، وذكر «شَرٌّ» «وَأَصْلُ» في مقابلة قولهم: لا نعلم ديناً شراً من دينكم.

[٦١] «وَإِذَا جَاءَكُمْ» أي: منافقو اليهود «قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا» إليكم متلبسين «بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا» من عندكم متلبسين «بِالْهُدَى» ولم يؤمنوا «وَاللَّهُ أََعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ» من النفاق.

[٦٢] «وَرَرَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ» أي: اليهود «يُسْرِعُونَ» يقعون سريعاً «فِي الْآثِرِ» الكذب «وَالْعُدُولِ» الظلم «وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحْتُ» الحرام؛ كالرش «لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» من عملهم هذا [٦٣] «لَوْلَا» هلا «يَهْتَمُّ» الرَبِّيُّونَ وَالْأَخْبَارُ» منهم «عَنْ قَوْلِهِ الْإِثْمُ» الكذب «وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» من ترك نهيهم.

[٦٤] «وَقَالَتِ الْيَهُودُ» لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالا: «يَدَّ أُنُو مَعُولَةً» مقبوضة عن إردار الرزق علينا؛ كنؤا به عن البخل - تعالى الله عن ذلك - قال - تعالى -: «غُلَّتْ» أمسكت «الْأَيْدِي» عن فعل الخيرات دعاء عليهم «وَلِيُنَازِلَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» مبالغة في الوصف بالجود، وثقَّى اليد؛ لإفادة الكثرة^(٤)؛ إذ غاية ما يبذله

السخي من ماله أن يعطي يديه «يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ» من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه «وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» من القرآن «طُغْيَانًا وَكُفْرًا» لكفرهم به «وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدُوةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ» فكل فرقة منهم تخالف الأخرى «كَلِمًا أَوْ قُدْرًا نَارًا لِلْحَرْبِ» أي: لحرب النبي ﷺ «أَطْفَاءُهَا اللَّهُ» أي: كلما أرادوه ردُّهم «وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا» أي: مفسدين بالمعاصي «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» بمعنى: أنه يعاقبهم^(٥).

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هَاهُنَا وَإِلْعَابًا ذَلِكَ بَأْسُهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ يٰ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ وَمَا آتَاكُمْ اللَّهُ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْتَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦١﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مُتَوَبِّهٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ لَجَأُوا بِكَ آلَافًا مِّنْهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦٣﴾ وَرَرَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْآثِرِ وَالْعُدُولِ وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْلَا يَهْتَمُّهُمْ الرَّبِّيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمُ وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَلَقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدُوةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَقْدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾

[٥٨] «وَمِنَ الَّذِينَ» «وَإِذَا نَادَيْتُمْ» دعوتهم «إِلَى الصَّلَاةِ» بالأذان «اتَّخَذُوا» أي: الصلاة «هَاهُنَا وَإِلْعَابًا» بأن يستهزئوا بها ويتضحكوا «ذَلِكَ» الاتخاذ «يَأْتُهُمْ» أي: بسبب أنهم «قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ».

[٥٩] «وَنَزَلَ» لما قال اليهود للنبي ﷺ: «مَنْ يَأْتِي مِنَ الرِّسْلِ» فقال: «يَاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْتَا» الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم: «قُلْ يٰ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ»^(١) تذكرون «وَمَا آتَاكُمْ اللَّهُ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْتَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ» إلى الأنبياء «وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ» عطف

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٧٤/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص ٦٥)، وأخرج نحوه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس وفيه: «فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤس بعيسى» [الدر المنثور (٥٢٢/٢)]، وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٧١/٢).

(٢) فالاستثناء منقطع.

(٣) أي: بالقلب، وهو تهكم بهم.

(٤) لجمرة.

(٥) وله - سبحانه - يدان حقيقة، ومذهب السلف بالإجماع إثبات الصفات لله على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل.

(٦) وهذا تأويل بلازم للصفة وهو خلاف مذهب السلف، وسبق بيان إثبات هذه الصفة ونحوها لله على الوجه اللائق به - سبحانه - «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وهو السميع البصير [الشورى: ١٧].

[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ مما قالوا، استفهام توبيخ ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

[٧٥] ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهو بمضي مثلهم وليس ياله كما زعموا، وإلا لما مضى ﴿وَأَنْتُمْ صِدِّيقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَأَنَّا يَأْتِيَنَّكَ﴾ كثيرهما من الناس؛ ومن كان كذلك لا يكون إلها؛ لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿أَنْظُرْ﴾ متعجبا ﴿كَيْفَ بُنِيَ لَهُمُ الْأَنْبُتُ﴾ على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْ﴾ كيف ﴿يُؤَفَّفُكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام البرهان.

[٧٦] ﴿قُلْ أَشْهَدُكَ مِنْ دُوبِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالكم، والاستفهام للإنكار.

[٧٧] ﴿قُلْ يَهْدِي إِلَيْكُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ ﴿لَا تَعْلَمُوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ علوا ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعه فوق حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ بغلوهم؛ وهم: أسلافهم ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ عن طريق الحق، والسواء في الأصل: الوسط.

وَحَسِبُوا إِلَّا تَكُونُ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي إِسْرَءِيلَ يَلْعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا لَا بَدَأَ الْطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ بُنِيَ لَهُمُ الْأَنْبُتُ ثُمَّ أَنْظِرْ أُنْظِرْ أَتُؤَفَّفُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ يَأْتَاهُ الْكِتَابُ لَا تَعْلَمُونَ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

[٧١] ﴿وَحَسِبُوا﴾ ظنوا ﴿أَنَّ﴾ ﴿لَا تَكُونُ﴾ بالرفع ^(١)؛ فَأَنْ مَخْفَفَةٌ، والنصب؛ فهي ناصبة؛ أي: تقع ﴿فِتْنَةً﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحق؛ فلم يصبروه ﴿وَصَمُوا﴾ عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ ثانيا ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بَدَلٌ من الضمير ^(٢) ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق مثله ^(٣) ﴿وَقَالَ لَهُمُ﴾ ﴿الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي إِسْرَءِيلَ يَلْعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فإني عبد ولست ياله ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في العبادة غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منعه أن يدخلها ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ رَأَيْدَةٌ ﴿أَنْصَارٍ﴾ ينعونهم من عذاب الله.

[٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أي: أحدها، والآخران: عيسى وأمّه؛ وهم: فرقة من النصارى ﴿وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويؤخذوا ﴿لَيَمَسَّنَّ أَلِيمٌ﴾ كَفَرُوا أي: ثبتوا على الكفر ﴿مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ مؤلم؛ وهو: النار.

(١) قراءة أبي عمرو وحمة والكسائي.

(٢) أي: في قوله: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١]، والضمير هو الفاعل.

(٣) في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لَنْتُهَآ أَنْتَهَآ حَقًّا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

لَهُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ
دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ ﴿٨٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلَوِهِمْ
لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ
أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ
خَالِدُونَ ﴿٩٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ مَا اخْذُوا حَتْلًا وَلَا كُنْ كَثِيرًا
مِنْهُمْ فَاسْفُوتَ ﴿٩١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً
لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ
أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي
ذَلِكَ بَأْسَ مِنْهُمْ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ
وَأْتَاهُمُ الْبُيُوتُ وَمَا كَانُوا يَرْجُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا
مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَفَأَرْسَلْنَاكَ

﴿٧٨﴾ لَوَيْتَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ بَأْسَ
دَعَا عَلَيْهِمْ؛ فَمَسَحُوا قُرْءَةً؛ وَهُمْ: أَصْحَابُ آيَةِ ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بَأْسَ
دَعَا عَلَيْهِمْ؛ فَمَسَحُوا خُتَايِرَ؛ وَهُمْ: أَصْحَابُ الْمَائِدَةِ ﴿ذَلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

﴿٧٩﴾ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي: لا ينهوا بعضهم بعضاً ﴿عَنْ﴾
معاودة ﴿مُنْكَرِ فَعْلَوِهِمْ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فعلهم هذا.

﴿٨٠﴾ ﴿تَرَى﴾ يا محمد ﴿كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
من أهل مكة فغضا لك ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من
العمل لمعادهم الموجب لهم ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ
خَالِدُونَ﴾.

﴿٨١﴾ ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ﴾ محمد ﴿وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْهِ مَا اخْذُوا حَتْلًا﴾ أي: الكفار ﴿أَوْ لِيَاةٍ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسْفُوتَ﴾
خارجون عن الإيمان.

﴿٨٢﴾ ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يا محمد ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا
الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من أهل مكة؛ لتضاعف كفرهم وجهلهم
وانهماكهم في اتباع الهوى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ﴾ أي: قرب مودتهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ﴾
بسبب أن ﴿مِنْهُمْ قَبِيلٌ﴾ علماء ﴿وَرُحَبَاءٌ﴾ غشاة ﴿وَأَنَّهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة. نزلت في وفد
النجاشي القادمين عليه من الحبشة قرأ ﴿سُورَةُ يَس﴾ فبكوا وأسلموا؛ وقالوا:
ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى^(١).

﴿٨٣﴾ قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ من القرآن ﴿تَرَى
أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ صدقنا
بنبيك وكتابك ﴿فَأَكْثَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المقرين بتصديقهم.

(١) أخرجه نحوه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبير [الدر المنثور (٥٣٧/٢)].

والمشهور في كتب السير والتفاسير أنها نزلت في النجاشي وأصحابه، بعدما سمعوا سورة «مریم» من جعفر بن أبي طالب عليه السلام، لما قدم مع المسلمين في الهجرة الأولى للحبيشة، ففاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، ثم أسلم النجاشي. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٩/١٤)، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٨٠٥/٤)، وأبو نعيم في الحلية (١١٧/١) عن عروة بن الزبير، وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٨٠/٢).

قال القاضي كنعان معلقاً على ذلك في قرة العين على تفسير الجلالين ص ١٥٣: «وما بحب التنبيه إليه؛ أن هذه الآيات لا تشمل جميع النصارى كما يتوهم البعض؛ فإن عداوتهم للمسلمين ظاهرة، ووقائع التاريخ في الأندلس والحروب الصليبية، حتى عصرنا، تشهد على ذلك، بل تشير الآيات إلى جماعة موصوفة منهم، سمعوا القرآن؛ ففاضت أعينهم من الدمع لمعرفة الحق، ثم آمنوا؛ ففي هؤلاء نزلت الآيات... اهـ».

قلت: ويؤكد ذلك ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٩/٦ رقم ٦١٢١) بسند صحيح عن سلمان قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة صنعت طعناً، فجئت به النبي ﷺ فقال: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: صدقة. فقال لأصحابه: «كلوا» ولم يأكل، ثم إنني رجعت حتى جمعت طعناً، فأتيته به، فقال: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: هدية، فضرب يده فأكل، وقال لأصحابه: «كلوا». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن النصارى؟ قال: «لا خير فيهم ولا فيمن أحبهم»، فقتت وأنا مثقل، فأقر الله ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ حتى بلغ: ﴿يَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾؛ فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقال: «يا سلمان، إن أصحابك هؤلاء الذين ذكر الله». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٣/٩): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير سلامة العجلي وقد وثقه ابن حبان» وصححه في الاستيعاب (٨٢/٢).

[٨٧] ونزل - لما هم قَوْمٌ من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام، ولا يقربوا النساء والطيب، ولا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفراش -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنْهُمْ طَبِئَتٌ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا﴾ (١) تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٨٨] ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ مفعول، والجاء والمجرور قبله حال متعلق به ﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مَوْمِنُونَ﴾ (٢).

[٨٩] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ الْكَائِنِ﴾ الكائن في أَيْمَنِكُمْ هو: ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف؛ كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله، ولكن يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ، بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة: ﴿عَاقِدْتُمْ﴾ (٣) ﴿الْأَيْمَنَ﴾ عليه؛ بأن حلفتكم عن قصد ﴿فَكَفَرْتُمْ﴾ أي: اليمين؛ إذا خنتكم فيه ﴿إِلْعَاقًا عَشْرَةَ مَسْكِينٍ﴾ لكل مسكين مَدٌّ ﴿وَمِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْبَعُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي: أفضديه وأغلبه؛ لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كَسَوْتُمْهُمُ﴾ بما يسمى كسوة؛ قميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعي (٤) ﴿أَوْ تَحَرَّيْرُ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي: مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حملًا للمطلق على المقيد (٥) ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾ واحدًا مما ذكر ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ كفارته، وظاهره أنه لا يشترط التتابع؛ وعليه الشافعي ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَرَةٌ أَيْمَنِيكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحننتم ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ أن تنكثوها ما لم تكن على فعل يَرُ أو إصلاح بين الناس - كما في سورة البقرة - ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦) على ذلك (٧).

[٩٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ الْمُسْكِرُ الَّذِي يَخَامِرُ الْعَقْلَ﴾ ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ القمار ﴿وَالْأَنصَابُ﴾ الأصنام ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾ قدام الاستقسام ﴿وَبَشِّرْ﴾ خبيث مستفذر ﴿مِنَ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الذي يزينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجس المعبر عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْهَمُونَ﴾.

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٨﴾ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا اجْتَنِبْ تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٩٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَبِئَتٌ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٩١﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَقْبُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مَوْمِنُونَ ﴿٩٢﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ الْكَائِنِ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَنَ فَكَفَرْتُمْ بِطَاعَةِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْبَعُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُمُ أَوْ تَحَرَّيْرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةٌ أَيْمَنَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٩٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْهَمُونَ ﴿٩١﴾

[٨٤] ﴿و﴾ قالوا في جواب من عيّرهم بالإسلام من اليهود: ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ القرآن؛ أي: لا مانع لنا من الإيمان مع وجوب مقتضيه ﴿وَنَطْمَعُ﴾ عطف على: ﴿نُؤْمِنُ﴾ ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين الجنة.

[٨٥] قال تعالى: ﴿فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتْ تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا أَلْأَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان.

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٧)، (٨٨): أخرج الترمذي عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني إذا أصبت اللحم انتشرت إلى النساء وأخذتني شهوتي، فحرمت علي اللحم. فأمر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنْهُمْ طَبِئَتٌ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا﴾ إِنَّكَ اللَّهُ لَا تُحِزُّهُمْ طَبِئَتٌ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا (١). الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب

(٦) سورة المائدة (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٤١).

(٧) ما جاء في نزول الآية (٨٩): أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال: كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدة، فنزلت: ﴿وَمِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْبَعُونَ أَهْلِيكُمْ﴾. ابن ماجه - كتاب الكفارات (١١) باب (١٠)، وسكت عليه الألباني.

فائدة: أخرج البخاري عن عائشة أن أباها كان لا يبحث في بين حتى أنزل الله كفارة اليمين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥).

(١) أخرجه نحوه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة وليس فيه ذكر الطيب والقيام، وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي (قال: كانوا حرموا الطيب واللحم فأمر الله هذا فيهم)، وفي البخاري (٤٦٧٥) ومسلم (٢٤٨٧) عن عائشة قصة نحو ذلك بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية، وليس فيها ذكر الطيب (الدر المنثور ٥٤٤/٦).

وأخرج الطبري عن السدي... فحرم بعضهم أكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء... (١٣٤٥).

(٢) لابن ذكوان، وبالتخفيف بدون ألف قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) والجمهور، وهو الراجح.

(٤) وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة: لا يحمل المطلق على المقيد إلا إذا اتحد السبب، وهنا اختلف فلا حمل، ويكفي في اليمين والظهار عنده عتق الكافرة.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ
الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا
الْبَلْعُ الْمُمِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ
مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ ءَأْيَدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ
بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ
مِنْكُمْ فَتَعَدَّىٰ فَجْزَاءٌ مِّثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا
عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذَا يَبْلُغُ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَرَةً طَعَامَ مَسْكِينٍ
أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا يَدُوقُ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إِلَيْهِ ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴿ذُو
الْإِنْتِقَامِ﴾ مِمَّنْ عَصَاهُ، وَالْحَقُّ بِقَتْلِهِ مُتَعَدِّيًا فِيمَا ذَكَرَ الْخَطَأُ.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ﴾ إِذَا اتَّيَمُّوهُمَا؛ لِمَا يَحْصُلُ فِيهِمَا مِنَ الشَّرِّ وَالْفِتَنِ ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾
بِالْإِشْغَالِ بِهِمَا ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ خَصَّصَهَا بِالذِّكْرِ تَعْظِيمًا لَهَا ﴿فَهَلْ
أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ عَنْ إِيَّتَاهُمَا؛ أَي: انْتَهَوْا^(٩١).

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾ الْمَعَاصِيَ ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عَنْ
الطَّاعَةِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْمُمِينُ﴾ الْإِبْلَاقُ الْبَيْنُ، وَجَزَاؤُكُمْ عَلَيْنَا.
[٩٣] ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا﴾
أَكَلُوا مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قَبْلَ التَّحْرِيمِ ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ الْخُرُمَاتِ ﴿وَعَمِلُوا
وَصَلَّوْا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَمِلُوا﴾ ثَبَتُوا عَلَى التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا
وَأَحْسَنُوا﴾ الْعَمَلَ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَشِيهُمُ^(٩٢).

[٩٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ﴾ لِيُخَبِّرَكُمْ ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾ يَرْسِلُهُ لَكُمْ ﴿وَمِنَ
الصَّيْدِ تَنَالَهُ﴾ أَي: الصَّغَارَ مِنْهُ ﴿ءَأْيَدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ الْكِبَارَ مِنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ
بِالْحَدِيثَةِ وَهُمْ مُخْرِمُونَ^(٩٣)؛ فَكَانَتْ الْوَحْشُ وَالطَّيْرُ تَغْشَاهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴿لِيَعْلَمَ
اللَّهُ﴾ عِلْمَ ظُهُورٍ ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ حَالٌ؛ أَي: غَائِبًا لَمْ يَرَهُ؛ فَيَجْتَنِبُ الصَّيْدَ
﴿فَمَن أَعْدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ النَّهْيُ عَنْهُ؛ فَاصْطَادَهُ ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ مُخْرِمُونَ بِحُجٍّ أَوْ
عَمْرَةٍ ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَدِّيًا فَجْزَاءٌ﴾ بِالتَّوْبِينِ وَرَفْعِ مَا بَعْدَهَا؛ أَي: فَعَلِيهِ جَزَاءٌ
هُوَ: ﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ أَي: شَبِيهِ فِي الْخَلْقَةِ، وَفِي قِرَاءَةِ^(٩٤)؛ بِإِضَافَةِ
«جَزَاءٍ»، ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أَي: بِاللَّهِ رَجُلَانِ ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ لَهَا قُطْعَةٌ يُمِيزَانِ
بِهَا أَشْبَهَ الْأَشْيَاءَ بِهِ، وَقَدْ حَكَّمَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ^(٩٥) فِي النِّعَامَةِ بِذَنْبَةٍ،
وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ فِي بَقَرِ الْوَحْشِ وَحِمَارِهِ بِبَقْرَةٍ، وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَوْفٍ فِي
الظُّبْيِ بِشَاةٍ، وَحَكَّمَ بِهَا^(٩٦) ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ وَغَيْرُهُمَا فِي الْحَمَامِ؛ لِأَنَّهُ يَشَبِيهِهَا فِي
الْعَبِّ^(٩٧) ﴿هَذَا﴾ حَالٌ مِنَ «جَزَاءٍ» ﴿يَبْلُغُ الْكَعْبَةَ﴾ أَي: يَبْلُغُ بِهِ الْحَرَمَ؛ فَيَذْبَحُ
فِيهِ، وَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى مَسَاكِينِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَذْبَحَ حَيْثُ كَانَ، وَنَصَبَهُ نَعْمًا لِمَا
قَبْلَهُ. وَإِنْ أَضْفِيفَ؛ لِأَنَّ إِضَافَتَهُ لَفْظِيَّةٍ؛ لَا تَقْبِدُ تَعْرِيفًا؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلصَّيْدِ مِثْلُ
مِنَ النَّعْمِ كَالْعَصْفُورِ وَالْجَرَادِ فَعَلِيهِ قِيَمَتُهُ ﴿أَوْ﴾ عَلَيْهِ ﴿كَفَّارَةٌ﴾ غَيْرُ الْجَزَاءِ.
وَإِنْ وَجَدَهُ - هِيَ: ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ مِنْ غَالِبِ قُوَّةِ الْبَلَدِ مَا يَسَاوِي قِيَمَةَ
الْجِزَاءِ لِكُلِّ مَسْكِينٍ مِثْلًا، وَفِي قِرَاءَةِ^(٩٨)؛ بِإِضَافَةِ ﴿كَفَّارَةٌ﴾ لِمَا بَعْدَهُ، وَهِيَ
لِلْبَيَانِ ﴿أَوْ﴾ عَلَيْهِ ﴿عَدْلٌ﴾ مِثْلُ «ذَلِكَ» الطَّعَامِ ﴿صِيَامًا﴾ بِصَوْمِهِ؛ عَنْ
كُلِّ مِثْلٍ يَوْمٍ، وَإِنْ وَجَدَهُ وَجِبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ﴾ ثَقُلَ جَزَاءُ
﴿أَمْرِهِ﴾ الَّذِي فَعَلَهُ ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْ سَلَفٍ﴾ مِنْ قَتْلِ الصَّيْدِ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ

(٩٠) مَا جَاءَ فِي زُيْلِ الْآيَتَيْنِ (٩٠، ٩١). أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتُ مِنَ الْقُرْآنِ. قَالَ: ... وَآتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: تَعَالِ نَطْعُوكَ وَنَسْقِيكَ خَمْرًا - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَحْرِمَ الْخَمْرَ. قَالَ: فَاتَّيَبْتُ فِي حُشٍّ - وَالْحِشِّ: الْبَسْتَانُ. فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْرُوبٍ عَنْدهُمْ وَزِقٌ مِنْ خَمْرٍ. قَالَ: فَأَكَلْتُ وَشَرَبْتُ مَعَهُمْ. قَالَ: فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عَنْدهُمْ، فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيِي الرَّأْسِ فَضْرِبَنِي بِهِ، فَجَرَحَ بَأْنَفِي، فَآتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبِرْتُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي - بِعَيْنِي نَفْسِهِ - شَأْنَ الْخَمْرِ ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصْنَامُ وَالْأَكْثَابُ وَالْأَكْثَامُ﴾. مُسْلِمٌ كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (٤٤) بَابُ (٥) فَضْلُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ بِيْنِ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شَفَاءٍ، فَزَلَّتْ لِي فِي الْبَقْرَةِ: ﴿يَسْتَلْزِمُكَ غَرَبُ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الْآيَةَ. فَدَعَا عُمَرَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بِيْنِ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شَفَاءٍ، فَزَلَّتْ لِي فِي الْمَالِدَةِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾. فَدَعَا عُمَرَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْتُ انْتِهَيْنَا. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٦) سُورَةُ الْمَالِدَةِ. وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: حُرِّمَتِ الْخَمْرُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَأْكُلُونَ الْمَيْسِرَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ: ﴿يَسْتَلْزِمُكَ غَرَبُ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فَقَالَ النَّاسُ: مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، إِنَّمَا قَالَ: ﴿فِيهَا إِثْمٌ كَثِيرٌ﴾، وَكَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ صَلَّى رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، أَمْ أَصْحَابُهُ فِي الْمَغْرِبِ خَلَطَ فِي قِرَاءَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا آيَةً أَغْلَظَ مِنْهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾. فَدَعَا عُمَرَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْتُ انْتِهَيْنَا. سَبَقَ تَحْرِيمُهُ فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ عِنْدَ الْآيَةِ رَقْمَ (٢١٩).

ثُمَّ أُنْزِلَتْ آيَةٌ أَغْلَظُ مِنْ ذَلِكَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ الْكَلْبُ وَالْأَصْنَامُ وَالْأَكْثَامُ وَمِثْلُ عَدْلٍ لَّيْسَ بِكُمْ فَاجْتَنِبُوا لَكُمْ تَقِيَهُونَ﴾. فَقَالُوا: انْتَهَيْنَا. سَبَقَ تَحْرِيمُهُ فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ عِنْدَ الْآيَةِ رَقْمَ (٢١٩). (٩١) مَا جَاءَ فِي زُيْلِ الْآيَةِ (٩٢): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَتَبَ سَلَفِي الْقَوْمِ فِي مِثْلِ أَبِي طَلْحَةَ - وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْقُضَيْخَ - فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادًا يَنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ. (٩٢)

(٩٣) وَهَذَا تَأْوِيلٌ لِلصَّفَةِ بِأَعْرَاضِهَا، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ إِثْبَاتُ الْإِيمَانِ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ - سَبْحَانَهُ - وَسَبَّحَ ذَلِكَ مَرَّاتًا. (٩٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مِقَاتٍ بْنِ حِيَّانٍ [الْمَدَنِيُّ] (٥٧٦/٢).

(٩٥) لِلنَّافِعِ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبُو عُمَرَ وَابْنُ عَامَرَ. (٩٦) أَيِ الْبَلَدَةِ. (٩٧) أَي: شَرِبَ الْمَاءَ بِلا مُقَصِّدٍ. (٩٨) لِلنَّافِعِ وَابْنِ عَامَرَ.

نمرات كل شيء إليه، وفي قراءة^(٢): ﴿فِيمَا﴾ بلا ألف؛ مصدر قام غير مُغَلٍّ
 وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ بمعنى: الأشهر الحرم. ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب.
 قياماً لهم؛ بأمنهم من القتال فيها ﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَ﴾ قياماً لهم؛ بأمن صاحبيهما
 من التعرض له ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿يَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فَإِنْ جَعَلَهُ ذَلِكَ لِحُبِّ الْمَصَالِحِ لَكُمْ
 ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن.
 [٩٨] ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 لَأَوْلِيائِهِ﴾ رَجِيمٌ بهم.

[٩٩] ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ تظهرون
 من العمل ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون منه؛ فيجازيكم به.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ الْحَرَامُ وَالطَّيِّبُ الْحَلَالُ وَنَوَى
 أَصْحَابَكَ﴾ أي: شرك ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَتَأُولَى
 الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْهَمُونَ﴾ تفوزون.

[١٠١] ﴿وَنَزَلَ﴾ لما أكرموا سؤاله ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ
 أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّئَ﴾ تظهر ﴿لَكُمْ سَوْؤُكُمْ﴾ لما فيها من المشقة ﴿وَإِنْ سَأَلْتُمْ
 عَنَّا جِنِّ يُزِيلُ الْفَرَءَانَ﴾ في زمن النبي ﷺ ﴿بُدِّئَ لَكُمْ﴾ المعنى: إذا سألتكم
 عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإدائها، ومتى أبداها ساءتكم؛ فلا تسألوا عنها؛
 قد عفا الله عنها عن مسألتكم؛ فلا تعودوا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: الأشياء ﴿قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أنبياءهم؛
 فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿بِهَا كَافِرِينَ﴾ بتركهم
 العمل بها.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ﴾ شرع ﴿اللَّهُ مِنْ بَيْعَرٍ وَلَا سَلْبَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا
 حَرَمٍ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، روى البخاري عن سعيد بن المسيب
 قال: البعيرة: التي يمنح درها للطواغيت؛ فلا يحلبها أحد من الناس،
 والسالبة: التي كانوا يسيبونها لأنهم؛ فلا يحمل عليها شيء، والوصيلة:
 الناقة البكرة تكرر في أول نتاج الإبل بأثنى، ثم تنثني بغد بأثنى، وكانوا
 يسيبونها لطواغيتهم؛ إن وصلت إحداها بأحرى، ليس بينهما ذكر، والحام:
 فحل الإبل يضرب الضراب المعداد؛ فإذا قضى ضرابه ودغوه للطواغيت
 وأعفوه من أن يحمل عليه شيء وشوهه الحامي ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِقُتُولِ
 اللَّهِ الْكَذِبُ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه ﴿وَأَكْذَبَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ في ذلك
 افتراء؛ لأنهم قلدوا فيه آباءهم.

أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَعَةً لِكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ
 وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
 إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٨﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
 فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿١٠٠﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
 تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
 وَلَوْ أَعْجَبَكُمُ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ
 لَعَلَّكُمْ تَفْهَمُونَ ﴿١٠٢﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ
 أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّئَ لَكُمْ سَوْؤُكُمْ وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَنْهَا جِنِّ يُنْزِلُ
 الْفَرَءَانَ بُدِّئَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾
 قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٤﴾ مَا جَعَلَ
 اللَّهُ مِنْ بَيْعَرَةٍ وَلَا سَلْبَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا حَرَمٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٥﴾

[٩٦] ﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾ أيها الناس - خلافاً لكم أو مخرجين - ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾
 أن تأكلوه؛ وهو: ما لا يعيش إلا فيه؛ كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البر؛
 كالسرطان ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما يقذفه ميتاً ﴿مَتَعَةً﴾ تمتيعاً ﴿لَكُمْ﴾ تأكلونه
 ﴿وَالسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين منكم؛ يتزودونه ﴿وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ﴾ وهو: ما
 يعيش فيه من الوحش المأكول؛ أن تصيدهوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فلو صاده خللاً
 فللمحرم أكله. كما بينته السنة^(١). ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[٩٧] ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ الْحَرَمَ ﴿فِيمَا لِلنَّاسِ﴾
 يقوم به أمر دينهم؛ بالحج إليه، وديناهم؛ بأمن داخله، وعدم التعرض له، وجبي

= قال: فقال لي أبو طلحة: أخرج أهرقها، فخرجت فهرقتها، فجرت في سلك المدينة. فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية. البخاري - كتاب المظالم (٤٦) باب (٢١) صب الحمر في الطريق.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠١): أخرج البخاري عن موسى بن أسن عن أسن ﷺ قال: حطبت رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلاً قط. قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً ولكم كثيراً». قال: فغضب أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين، فقال رجل: من أي؟ قال: «أبوك فلان». فنزلت هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّئَ لَكُمْ سَوْؤُكُمْ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة باب (١٢).

وأخرج أيضاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل من أي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّئَ لَكُمْ سَوْؤُكُمْ﴾ حتى فرغ من الآية كلها. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥) باب (١٢).

(١) روى البخاري (٢٣٨٢) ومسلم (٢٠٦٣) واللفظ له عن أبي قتادة السلماني أنه كان مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحاب له محرمين وهو غير محرم فرأى حملاً وحشياً فاستوى على فرسه فسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا عليه فسألهم رمحه فأبوا عليه فأخذته ثم شد على الحمار فقتله، فأكل منه بعض أصحاب النبي ﷺ وأبى بعضهم، فأدركوا رسول الله ﷺ فسألوه عن ذلك فقال: «إنما هي طعمة أطعمكموها الله». (٢) لابن عامر. (٣) أخرج نحوه الطبري عن أسن بن مالك وفيه (سألوه حتى أجفوه بالمسألة...) (١٢٩٧)، وعن قتادة وفيه «حتى أكلوا عليه...» (١٢٨٠)، وأخرج البخاري (٤٢٥٦) عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل: من أي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟

[١٠٤] «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ» أي: إلى حكمه من تحليل ما حرمهم ﴿فَقَالُوا حَسْبُنَا﴾ كافياً ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مَنَافَةً﴾ من الدين والشريعة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ بُعِثَ اللَّهُ مَوْلًى إِلَيْهِمْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ إلى الحق، والاستفهام للإنكار. [١٠٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: احفظوها، وقوموا بصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: المراد: لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، وقيل: المراد غيرهم؛ لحديث أبي ثعلبة الحشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «اتَّبِعُوا بِالْغُرُوبِ، وَتَنَاهَا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شَيْخًا طَاعًا وَهُوَ مُتَّبَعٌ وَذُنَا مُؤْتَرَةٌ وَغِيَابُ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ نَفْسُكَ»^(١) [رواه الحاكم وغيره] «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» فيجازيكم به.

[١٠٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ خبر بمعنى الأمر: أي: لشهد، وإضافة ﴿شَهِدُوا﴾ لـ «بين» على الاتساع^(٢) و﴿بين﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾ أو ظرف لـ ﴿حَضَرَ﴾ «أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ» أي: غير ملتكم ﴿إِنْ أَنتَهُ حَضَرَتُكُمْ﴾ سافرتكم ﴿فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا تَوْفِقُوهُمَا﴾ صفة «آخَرَانِ» «وَمِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ» أي: صلاة العصر ﴿فَيَقْسِمَانِ﴾ يحلفان ﴿بِاللَّهِ﴾ إِنْ أَزْنَيْتُمْ شَكِكْتُمْ ويقولان: ﴿لَا نَشْتَرِي بِدِينِ اللَّهِ﴾ كَيْتَا عِوَضًا نَأْخُذَ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا بَآنٍ نَحْلِفُ بِهِ أَوْ نَشْهَدُ كَذِبًا لِأَجْلِهِ ﴿وَلَوْ كَانُ الْقَسْمُ لَهُ أَوْ الشَّهَادَةُ لَهُ﴾ ذَا قُرْبَى قَرَاتِهِ مَا ﴿وَلَا تَكُنْ شَهِدَةً لِلَّهِ﴾ التي أمرنا بها ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إِذْ كَتَمْنَاهَا ﴿لَيْنَ الْآثِمِينَ﴾.

[١٠٧] ﴿إِنْ غَيْرُكَ﴾ أطلع بعد حلفهما ﴿عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي: فعلا ما يوجب؛ من خيانة أو كذب في الشهادة؛ بأن وَجَدَ عندهما مثلاً ما أَثَمَ به وادعيا أَنَّهُمَا ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿مَنْ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوصية؛ وهم: الورثة، ويبدل من «آخَرَانِ» «الَّذِينَ» بالميت؛ أي: الأقربان إليه، وفي قراءة^(٣) «الَّذِينَ» جمع أول؛ صفة أو بدل من «الَّذِينَ» ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين؛ ويقولان: ﴿لَشَهِدْنَا﴾ يميننا ﴿أَنَّهُ﴾ أَصْدَقُ ﴿مِنْ شَهِدَتَهُمَا﴾ يمينها ﴿وَمَا أَهْتَدَيْنَا﴾ تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إِنَّا إِذَا لَيْنَ الظَّالِمِينَ﴾ المعنى: ليشهد المحتضر على وصيته اثنين، أو يوصي إليهما من أهل دينه أو غيرهم؛ إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن ارتاب الورثة فيهما؛ فَادَّعَا أَنَّهُمَا خَانَا بِأُحْدِ شَيْءٍ أَوْ دَفَعَهُ إِلَى شَخْصٍ زَعَمَا أَنَّ الْمَيِّتَ أَوْصَى لَهُ بِهِ؛ فليحلفا إلى آخره، فإن أطلع على أمانة تكذيبهما فَادَّعَا دَفْعًا لَهُ؛ حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادعوه، والحكم ثابت في الوصيين، منسوخ في الشاهدين^(٤)، وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة، واعتبار صلاة العصر؛ للتغليظ، وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة؛ لخصوص الواقعة التي نزلت لها؛ وهي: ما رواه البخاري^(٥) أن رجلاً من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن بداء - أي: وهما نصرانيان -

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عَابَةً أَوَّلَوْ كَانُوا هُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتَهُ حَضَرَتُكُمْ فَأَصْبِرْكُمْ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا تَوْفِقُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَاقْسِمَا بِاللَّهِ إِنْ أَزْنَيْتُمْ لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا تَكُنْ شَهِدَةً لِلَّهِ إِنَّهُ إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ ﴿إِنْ غَيْرُكَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَقْلَابَيْنِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَنَّهُمَا قَدْ شَهِدْتَهُمَا وَمَا أَهْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ذَلِكَ أَذَقَ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا وَيُخَافُوا أَنْ تُرَدَّ يَمْنُ بَعْدَ ائْتِمَارِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا جثمتا من فضة مَخُوضًا بالذهب؛ فرعوا إلى النبي ﷺ؛ فنزلت؛ فاحلفهما؛ ثم وَجَدَ الجام بمكة؛ فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي؛ فنزلت الآية الثانية؛ فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا، وفي رواية الترمذي^(١)؛ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه، وفي رواية؛ فمرض؛ فأوصى إليهما، وأمرهما أن يُبْلِغَا ما ترك أهله؛ فلما مات أحذا الجأَمَ وَدَفَعَا إلى أهله ما بقي.

[١٠٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور؛ من ردَّ اليمين على الورثة ﴿أَذَقَ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ أي: الشهود أو الأوصياء ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿أَوْزَقَ﴾ أقرب إلى أن ﴿يُخَافُوا أَنْ تُرَدَّ يَمْنُ بَعْدَ ائْتِمَارِهِمْ﴾ على الورثة المدعين؛ فيحلفون على خيانتهم وكذبهم؛ فيفتضحون ويغرمون؛ فلا يكذبوا ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تُمَرُون به سماع قَبُولِ ﴿وَأَنَّه لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير^(٢).

(٥) ما جاء في رول الآيات (١٠٦ - ١٠٨): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما: قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما =

(١) لم أجده عند الحاكم، ورواه الترمذي (٢٩٨٤) وأبو داود (٣٧٧٨) وابن ماجه (٤٠٠٤) وضعفه الألباني لكن بعضه صحيح. صحيح وضعيف الجامع (٢٣٤٤)، ضعيف الترغيب والترهيب (١٨٤٦).

(٢) أي: التسميح والتجاوز، وأضيفت إلى «البين» ولم تنصف إلى «الأموال»؛ لأن الشهادة على الأموال تمنع فساد البين، والأصل فيه شهادة بينهم؛ أي: ففرض عليكم أن يشهد الوصية بينهم اثنين؛ فحذف المفعول به، وأضيفت الشهادة إلى الظرف، وهو المسمى عند النحويين بالمفعول على السعة. (٣) لحزة وشعبة. (٤) أي: عند من يشترط في الشهود الإسلام ولو عند فقد المسلمين، وأما من لم يشترط فلا نسخ عنه. (٥) البخاري (٢٧٨٠). (٦) أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) سورة المائدة. [ضعيف الإسناد جلتا] [ضعيف سنن الترمذي (٥٨٦)].

لهم توبخاً لقومهم: ﴿مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿أَجَبْتُمْ بِهِ﴾ به حين دعوتهم إلى التوحيد ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العباد، وذهب عنهم علمه؛ لشدة هول يوم القيامة؛ وفرغهم، ثم يشهدون على أمهم لما يسكنون.

[١١٠] اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ بشكرها ﴿إِذْ آتَيْنَاكَ﴾ قُوَّتُكَ ﴿يُوحِ الْأَقْدُسُ﴾ جبريل ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ حال من الكاف في ﴿آتَيْنَاكَ﴾ ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً ﴿وَكَهَلًا﴾ يفيد نزوله قبل الساعة؛ لأنه رفع قبل الكهولة. كما سبق في آل عمران .. ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالزُّرْنَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيِّئَةٍ﴾ كصورة ﴿الطَّيْرِ﴾ والكاف اسم بمعنى: مثل، مفعول ﴿يَاذَنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ بإرادتي ﴿وَنُفِثَ الْأَكْصَمُ وَالْأَنْزَمُ﴾ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرَجُ الْمَوْتَى من قبورهم أحياء ﴿يَاذَنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ﴾ حين هَمُّوا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ وفي قراءة: ﴿سَاجِرٌ﴾ ^(١) أي: عيسى.

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِرِسُولِي﴾ وَرِسُولِي عيسى ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِهِمَا﴾ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

[١١٢] اذكر ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ يفعل ﴿رَبُّكَ﴾ وفي قراءة: بالقوفانية ونصب ما بعده ^(٢)؛ أي: تقدر أن تسأله ﴿أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ قال لهم عيسى: ﴿أَتَقْوُوا اللَّهَ﴾ في اقتراف الآيات ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٣] ﴿قَالُوا نُؤَيِّدُكَ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿فَلَوْنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَتَعْلَمَ﴾ نرداد علماً ﴿أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُنْ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالَُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ^(٣) إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ آتَيْنَاكَ يُرُوحَ الْأَقْدُسُ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالزُّرْنَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيِّئَةٍ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَنُفِثَ الْأَكْصَمُ وَالْأَنْزَمُ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ^(٤) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِرِسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ^(٥) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالُوا أَتَقْوُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ^(٦) قَالُوا نُؤَيِّدُكَ نَأْكُلُ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُنْ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ^(٧)

[١٠٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو: يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾

= بتركتهم فقدوا جاماً من فضة مخوَّضاً من ذهب، فأحضرهما رسول الله ﷺ ثم وجد الجمجمة، فقالوا: اجننا من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا: لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجمجمة لصاحبهم. قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يُنَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾. البخاري كتاب الوصايا (٥٥) باب (٣٥).

(١) لحمة والكسائي.

(٢) أي: ﴿تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ وهي قراءة الكسائي.

[١١٤] ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا أَيُّ يَوْمِ نَزَلُهَا ﴿عِيدًا﴾ نَعْظُمُهُ وَنُشْرِفُهُ ﴿لَا كُنَّا﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿لَنَا﴾؛ بِإِعَادَةِ الْجَارِ ﴿وَمَآخِرُنَا﴾ مِنْ يَأْتِي بَعْدُنَا ﴿وَالْيَةِ مِنْكَ﴾ عَلَى قَدَرِنَا وَنَبَوْتِي ﴿وَأَرْزُقْنَا﴾ بِإِيَّاهَا ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

[١١٥] ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ مُسْتَجِيبًا لَهُ: ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا﴾ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ^(١) ﴿عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ﴾ أَيُّ: بَعْدُ نَزُولِهَا ﴿مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ فَنَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ؛ عَلَيْهَا سَبْعَةُ أَرْغَافَةٍ وَسَبْعَةُ أَحْوَاتٍ، فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى شَبِعُوا^(٢). قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَفِي حَدِيثٍ: «أَنْزِلَتِ الْمَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْرًا وَلَحْمًا فَأَمَرُوا أَنْ لَا يَحْمِلُوا وَلَا يَدْجِرُوا لَعْدًا فَحَاتُوا وَادَّخَرُوا؛ فَمَسَحُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرًا»^(٣).

[١١٦] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِذْ قَالَ ﴿أَيُّ يَقُولُ﴾ اللَّهُ: ﴿لَعِيسَى؛ فِي الْقِيَامَةِ تَوَيْخًا لِقَوْمِهِ: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ مَاَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ﴾ عِيسَى؛ وَقَدْ أَرَعَدُ: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تَنْزِيهَا لَكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ مِنْ شَرِيكَ وَغَيْرِهِ ﴿مَا يَكُونُ﴾ مَا يَنْبَغِي ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ خُبْرٌ ﴿لَيْسَ﴾ وَ﴿لِي﴾ لِلنَّبِيِّينَ ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا﴾ أَخْفِيهِ ﴿فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أَيُّ: مَا تَخْفِيهِ مِنْ مَعْلُومَاتِكَ^(٤) ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾^(٥).

[١١٧] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ وَهُوَ: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رَقِيبًا؛ أَمْعُهُمْ مَا يَقُولُونَ ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قَبَضْتَنِي؛ بِالرَّفْعِ إِلَى السَّمَاءِ ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ﴾ الْحَفِظُ لِأَعْمَالِهِمْ ﴿وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنْ قَوْلِي لَهُمْ، وَقَوْلِهِمْ بَعْدِي، وَغَيْرَ ذَلِكَ ﴿شَهِيدٌ﴾ مُطَّلِعٌ، عَالِمٌ بِهِ.

[١١٨] ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾ أَيُّ: مِنْ أَقَامَ عَلَى الْكُفْرِ مِنْهُمْ ﴿فَإِنَّهُمْ عِيَاذٌ﴾ وَأَنْتَ مَالِكُهُمْ؛ تَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ شِئْتَ، لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْكَ ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أَيُّ: لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ﴾ عَلَى أَمْرِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي صَنْعِهِ.

[١١٩] ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا﴾ أَيُّ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ فِي الدُّنْيَا؛ كَيْسِيُّ ﴿صِدْقُهُمْ﴾ لِأَنَّهُ يَوْمُ الْحِزَاءِ ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿بَطَاعَةً﴾^(٦) ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِشَوَابِهِ^(٧) ﴿ذَلِكَ الْقَرُورُ الْمَطْمُوحُ﴾ وَلَا يَنْفَعُ الْكَاذِبِينَ فِي الدُّنْيَا صِدْقُهُمْ فِيهِ؛ كَالْكَفَارِ لِمَا يُؤْمِنُونَ عِنْدَ رُؤْيَا الْعَذَابِ.

[١٢٠] ﴿يَلِلَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خَزَائِنُ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَالرِّزْقِ

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مَاَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنْتُ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَرُورُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

وغيرها ﴿وَمَا فِيْن﴾ أُنْثَى بِهَامَا تَغْلِيًا لِعَنِ الْعَاقِلِ ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَمِنْهُ إِثَابَةُ الصَّادِقِ وَتَعَذِيبُ الْكَاذِبِ. وَخَصَّ الْعَقْلَ ذَاتَهُ فَايِسَ عَلَيْهَا بِقَادَرٍ^(٨).

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلقى عيسى حجته، ولقاه الله في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مَاَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: فلقاه الله: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ الآية كلها. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٠).

(٢) بالتخفيف: أي: للزاي، ولازمه سكون النون، قراءة حمزة والكسائي وإن كثير وأبي عمرو.

(٣) ذكره البغوي عن ابن عباس (١١٩/٣)، وأخرج قريبًا منه ابن جرير عن إسحاق بن عبد الله [الدر المنثور (٦١٣/٢)].

(٤) أخرجه الترمذي (٢٩٨٧) وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأباري في كتاب الأضداد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عمار بن ياسر مرفوعًا [الدر المنثور (٦١٢/٢)]، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٥٨٧).

(٥) ومذهب السلف إثبات صفة النفس لله ﷻ على الوجه اللاتق به، وهل هي الذات أم صفة للذات؟ قولان للسلف، والجهميون أنها هي الذات.

(٦) وهذا تأويل بصفة رضاه ﷻ ومذهب السلف إثباتها لله ﷻ على الوجه اللاتق به بلا تأويل أو تعطيل أو تكيف أو تمثيل، وسبق مرارًا التنبيه على ذلك.

(٧) هذا تأويل لصفة الرضا ببعض لوازمها من الثواب ونحوه، وسبق مرارًا التنبيه على ذلك.

(٨) ومثل هذا الإطلاق الأولي الإمساك عنه، ولم يقل به أحد من السلف.

سورة الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ يَقُولُونَ ۖ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمْتَرُونَ ۚ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۚ وَمَا أَنْتُمْ مِنْ
عَائِدَةٍ إِلَيْهِمْ إِلَّا أَنْتُمْ مَعْرُضِينَ ۚ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا يهْتَكِرُونَ ۚ
الْوَيْلُ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتَقَرَّبُونَ ۚ فِي الْأَرْضِ
مَا لَهُمْ لِمَنْ يُنَادُوا أَنْصُرْهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ فَأَجْعَلَ اللَّهُ الْآفَافَ
لِغِيَرِهِمْ مِنْ تَحْتِهَا فَاَهْلَكُهُمْ يُدْخِلُهُمْ فِي بُحَيْرٍ مُّغَرَّجَةٍ
فِي يَوْمٍ يُخْلَقُ السَّمَاءُ كَمَا يَخْلَقُ السَّمَاءَ الْأُولَىٰ ۚ
لَقَدْ آتَيْنَا الْكُرْآنَ بِالْغُرُبَاتِ وَأَنْزَلْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ
عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَاهُ لَكَانَ الْقُرْآنُ لَا يُبْطَلُونَ ۚ

سورة الأنعام

[مكية^(*)] إلا: ﴿وَمَا تَدْرُوْنَ أَنَّ اللَّهَ﴾ الآيات الثلاث، وإلا: ﴿قُلْ تَسَاءَلُوا﴾
الآيات الثلاث، وهي: مائة وخمس، أو: وست وستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وهو: الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد
الإعلام بذلك للإيمان به أو الشاء به أو هما؟ احتمالات، أفيدنا الثالث، قاله

الشيخ^(١) في سورة الكهف ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خصهما
بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ﴾ أي: كل ظلمة ونور، وجمعهما^(٢)؛ دونه؛ لكثرة أسبابها، وهذا من
دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بِرَبِّهِمْ
يَعْتَدُونَ﴾ يسبون غيره في العبادة.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾
لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروب ﴿عِنْدَهُ﴾ بعنكم ﴿ثُمَّ
أَنْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتداء
خلقكم، ومن قدر على الابتداء فهدى على الإعادة أقدر.

[٣] ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ مستحق للعبادة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرون وما تجهرن به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ تعملون من
خير وشر.

[٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿مِنْ﴾ صلة ﴿عَائِدَةٍ مِنْ عَائِدَاتِ
رَبِّهِمْ﴾ من القرآن ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْمِئِينَ﴾.

[٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾
عواقب ﴿مَا كَانُوا يهْتَكِرُونَ﴾.

[٦] ﴿الْوَيْلُ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتَقَرَّبُونَ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كَمْ﴾ خبرية؛ بمعنى:
كثيرة ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمم من الأمم الماضية ﴿مَكَتَّهُمْ﴾
أعطيناهم مكاناً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَوْ كُنْكَ نَعْتُ﴾ لَكَرَّ
فيه، التفات عن الغيبة ﴿وَأَنْزَلْنَا السَّمَاءَ مَطَرًا﴾ عليهم ﴿مَذَرَارًا﴾ متتابعاً
﴿وَجَعَلْنَا الْآفَافَ لِمَنْ يَحْتَرِبُ مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت مساكنهم ﴿فَاَهْلَكْنَاهُمْ بِدُخَانٍ مُّطَوَّيٍّ﴾
بتكذيبهم الأنبياء ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قَرْنًا مَّخْرُوجًا﴾.

[٧] ﴿لَوْ أَنْزَلْنَاهُ لَكَانَ الْقُرْآنُ لَا يُبْطَلُونَ﴾ مكتوباً ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾ رقى؛ كما اقترحه
﴿فَلَمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ من «عابونه»؛ لأنه أنقى للشك ﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْكُرْآنَ
إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّؤْتٍ﴾ ثقتنا وعنادنا.

[٨] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه
﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوا؛ فلم يؤمنوا ﴿فَلَقَضَىٰ الْأَمْرَ﴾ بهلاكهم ﴿ثُمَّ
لَا يُنْظَرُونَ﴾ يهللون لتوبته أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم؛ من إهلاكهم
عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا.

(*) فائدة: تقسيم الشور إلى مكية ومدنية، وتكون الشورة كلها مكية أو مدنية إما هو الأغلب الأعظم في شور القرآن، ذلك أنه قد وردت آيات مدنية في شور مكية والعكس على وجه القلة، وسبب
ذلك ما تقرّر بأن ترتيب الآيات توقيفي بالإجماع كما تقدّم، قال ابن حجر رحمه الله: وقد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدنية في الشور المكية... إلى أن قال: وأما عكس ذلك
وهو نزول شيء من سورة مدنية، تأخر نزول تلك الشورة إلى المدنية فلم أره إلا نادراً.
والاستثناء المذكور مشهور في تحبّ القراء ومثبت في المصاحف، وثبوت وقوعه دلل عليه الأدلة، لكن هل يُقبل كل ما يذكر من الاستثناء أم لا بد من النظر فيه؟
ذهب المحققون من أهل التفسير إلى أنه لا يصح الاستثناء إلا بتدليل لأنه خلاف الأصل. ولا يجوز القول عن هذا الأصل إلا بتدليل صحيح صريح.
قال ابن الحصار في نظرية للسور المكية والمدنية:

وذا الذي احتفظ فيه الزوّاة له
وما سوى ذلك مكّي صرله
فلننسى كلّ غلاب جاء غفيرةً
إلا خلاف له حظ من النظر

وقد تنبّه السوطي رحمه الله ما قبل باستثناءه وذكر الأدلة على ذلك مختصراً في كتابه الإنقاذ.

(١) أي: الحلال المحلي.

(٢) أي: الظلمة.

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: المنزل لإيهام ﴿بَلَدًا لَّجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الملك ﴿رَجُلًا﴾ أي: على صورته؛ ليمكنوا من رؤيته؛ إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ ﴿لَلْبَشَرِئَاتُ﴾ شُبُهَاتُ ﴿عَلَيْهِمْ مَا يَلْبُسُونَ﴾ على أنفسهم؛ بأن يقولوا: ما هذا إلا بشر مثلكم.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ بَرُئِينَ مِنْ بَلَدِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِالْأَلْبَتِ سَجَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهو: العذاب؛ فكذا يحق بمن استهزأ بك.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الرسل؛ من هلاكهم بالعذاب؛ ليعتبروا.

[١٢] ﴿قُلْ لَيْنَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ إن لم يقولوه؛ لا جواب غيره ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(١) قضى على نفسه ﴿الرَّحْمَةَ﴾ فضلاً منه، وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لَا رَبَّ شَكَّ﴾ ﴿فِيهِ الْآلِيَتُ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتعرضها للعذاب، مبتدأ، خبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَمْ﴾ - تعالى - ﴿مَا سَكَنَ﴾ حل ﴿فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: كل شيء؛ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يفعل.

[١٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَعَزَّ اللَّهُ أَخَذَ وَلِيًّا﴾ أعبدوه ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ يُوزِقُ ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ يُوزَقُ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله من هذه الأمة ﴿وَوُكِّلَ لِي﴾ لا تُكَوِّنَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ به.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عِبَادَةَ غَيْرِهِ﴾ عَذَابُ يَوْمِ عَظِيمٍ هو: يوم القيامة.

[١٦] ﴿مَنْ يُصِرَّ﴾ بالبناء للمفعول؛ أي: العذاب، وللفاعل^(٢)؛ أي: الله، والعائد: محذوف ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ - تعالى -؛ أي: أراد له الخير^(٣) ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ النجاة الظاهرة.

[١٧] ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاء كمرض وقهر ﴿فَلَا كَافٍ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحة وغنى ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَا كَلَّ الْجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلْبَشَرِئَاتُ عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ بَرُئِينَ مِنْ بَلَدِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿قُلْ لَمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿قُلْ أَعَزَّ اللَّهُ أَخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿مَنْ يُصِرَّ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿وَهُوَ الْغَايُ فَفَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

قَدِيرٌ ومنه مَشَكَّ به؛ ولا يقدر على رده عنك غيره.

[١٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ الْقَادِرُ﴾ الذي لا يعجزه شيء مستعلاً^(٤) ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ ببواطنهم؛ كظواهرهم.

(١) وفيها إثبات صفة الكتابة له - سبحانه - كما سبق التنبيه عليه.

(٢) قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) هذا تأويل للصفة بلازمها، ومذهب السلف إثبات ما أثبت الله لنفسه على ما يليق به سبحانه.

(٤) قال ابن جرير: ﴿الْقَاهِرُ﴾: الدَّلُّ الشَّعْبَةُ خَلَقَ الْعَالِي عَلَيْهِمْ. وقال ابن كثير: هو الذي خضعت له الرقاب، ودُنَّتْ له الجبابرة، وغَنَّتْ له الوجوه، وَفُتَّهَ كل شيء.

(٥) وهذا تأويل لصفة الفوقية، وهو مذهب المولاة الذين يفنون عن الله علو الذات، وهو - سبحانه - له علو الذات وعلو الشأن وعلو القهر.

الأصنام.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَرُ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةٍ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ أُذَكِّرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لَكُمْ لَشَهَادَتُهُ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ

[٢١] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِنْ أَقْبَرَنِي عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يَفْلُحُ الظَّالِمُونَ﴾ بذلك. ﴿وَمَنْ﴾ ذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخا: ﴿إِنَّ شِرْكَاءَكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شركاء الله.

[٢٢] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾ بالباء والياء ^(١) ﴿فَتَنْتَقِمُ﴾ بالنصب والرفع ^(٢)؛ أي: معذرتهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: قولهم ﴿وَاللَّهُ رِيئًا﴾ بالجر: نعم، والنصب ^(٣) نداء ^(٤) ما كُنا مشركين ^(٥).

[٢٣] قال - تعالى -: ﴿أَنْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وَوَصَّلْ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ﴾ ثَمَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿هُ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَرَكَاةٍ﴾.

[٢٤] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أعطية لهم ^(١) لا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ يفهموا القرآن ﴿وَوَفَّىٰ آذَانَهُمْ وَقْرًا﴾ صمما؛ فلا يسمعون سماع قبول ﴿وَأِنْ يَرَوْا كُفْلًا مَائِدًا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا اسْتِطَاعَ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ كالأصحاك والأعاجيب، جمع أسطورة، بالضم.

[٢٥] ﴿وَمِنْهُمْ يَهْتَوُونَ﴾ الناس ﴿عَنْهُ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَيَتَّبِعُونَ﴾ يتابعون ﴿عَنْهُ﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلت في أبي طالب كان ينهى عن آذاه ولا يؤمن به ^(١).

[٢٦] ﴿وَأِنْ﴾ ما ﴿يَهْلِكُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ يُفْقَهُوا﴾ عرضوا ﴿عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَلنَّبِيِّ﴾ للتبعية ﴿أَيُّتَنَا تَرُدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا تُكَذِّبُ بِآيَاتِي رَبَّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ برفع الفعلين استئنافا، ونصبهما في جواب التمني، ورفع الأول ونصب الثاني ^(١)، وجواب «لو» لرأيت أمرا عظيما.

(١) فائدة: أخرجه البخاري عن سعيد قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ، قال: ... ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ عَيْبَاتِكُمْ﴾، ﴿وَاللَّهُ رِيئًا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فقد كتموا في هذه الآية... فقال: ... أما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ عَيْبَاتِكُمْ﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فحتم على أفواههم، فتنتطق أيديهم؛ فندخل عرف أن الله لا يكتم حديثا، وعنده ﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَغَصَصُوا أَرْسُولَهُ لَوْ كُنْهُمْ إِلَّا نَجْمٌ كَرِهُوا أَنْ يَكْتُمُونَ اللَّهَ عَيْبَاتِكُمْ﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة فصلت (٤١) الترجمة.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي، والكلبي كذاب.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالنصب قراءة نافع وحمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالنصب قراءة حمزة والكسائي.

(٥) أخرجه نحوه الغرياني وعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي». وحسه صاحب الاستيعاب بمجموع طرقه (١٣٢/٢)، وأخرجه نحوه أيضا ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن القاسم بن مخيمرة [الدر المنثور (١/٥)].

(٦) بالرفع ثم النصب قراءة ابن عامر، وبالرفع في الفعلين قراءة نافع والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

[١٩] وَتَزَلَّ - لما قالوا للنبي ﷺ: اثنا من يشهد لك بالنبوة؛ فإن أهل الكتاب أنكروك ^(١) :: ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةٍ تَمَيِّزٌ مَحْوَلٌ عَنِ الْمُبْتَدَأِ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه؛ لا جواب غيره؛ هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُذَكِّرَكُمْ﴾ أخوفكم يا أهل مكة ﴿بِهِ﴾ وَمَنْ يَبْلُغْ عَطَفٌ عَلَى ضَمِيرٍ ﴿أَنْذَرَكُمْ﴾؛ أي: بلغه القرآن من الإنس والجن ﴿أَيُّكُمْ لَشَهَادَتُهُ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى﴾ استفهام إنكاري ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه من

[٢٨] قال - تعالى -: ﴿بَلِّغْ لِلضَّالِّينَ عِلْمَ رَبِّهِمْ﴾^(١) عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ﴿يَذَاهِبْ عَنْهُمُ غِيظَهُمْ﴾ ظاهر ﴿لَهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ يكتفون بقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَئِيمًا مَّا كُنَّا مُتَكِرِينَ﴾ بشهادة جوارحهم؛ فضمنوا ذلك ﴿وَلَوْ رُدُّوا إِلَى الدُّنْيَا فَرَضًا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الشرك ﴿وَلَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ في وعدهم بالإيمان.

[٢٩] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أي: منكر البعث: ﴿إِن مَّا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٠] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فُتِفُوا﴾ عرضوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لرأيت أمرا عظيما ﴿قَالَ لَهُمْ عَسَىٰ لِسَانُ الْمَلَائِكَةِ تَوْبِيحًا﴾ أي: أَلَيْسَ هَذَا؟ البعث والحساب ﴿وَالْحَقُّ قَالُوا بَلَّيْنَا وَرَبِّيَ﴾ إنه الحق ﴿قَالَ فَذَوْقُوا الْعَذَابَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ به في الدنيا.

[٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَتَّىٰ غَايَةَ الْكَذِبِ﴾ إذا جاءتهم الساعةُ القيامةُ ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُوا خَسِرْنَا﴾ هي شدة التألم، ونداؤها مجاز؛ أي: هذا أوانك فاحضري ﴿عَلَىٰ مَا قَرَّرْنَا﴾ قسرتنا ﴿فِيهَا﴾ أي: الدنيا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ بأن تأتيهم عند البعث في أقبح شيء صورة، وأنته ربحا؛ فتركهم ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بما يَرُودُونَ يحملونه حملهم ذلك.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الاشتغال بها ﴿إِلَّا لُوبٌ وَلَهْوٌ﴾ وأما الطاعة وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشوك ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالباء والتاء^(٣)، ذلك فيؤمنون.

[٣٣] ﴿قَدْ جَاءَ الْحَقُّقُ﴾^(٤) ﴿تَعْلَمُ إِنَّهُمْ﴾ أي: الشأن ﴿يَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ لك من التكذيب ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَكَ﴾ في السر لعلهم أنك صادق، وفي قراءة بالتحقيق^(٥)؛ أي: لا ينسبونك إلى الكذب ﴿وَلَكِنَّ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ وضعه موضع المضمر ﴿بَيَّاتِ اللَّهُ﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ يكذبون.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَصَبِرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّىٰ أَنهَضَ نَصَرًا﴾ أي: إهلاك قومهم؛ فاصبر حتى يأتيك النصر لإهلاك قومك ﴿وَلَا يُبَدِّلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾ مواعيده^(٦) ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِكَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ما يسكن به قلبك.

بَلِّغْ لَهُم مَّا كَانُوا يُحْتَفُونَ مِنْ قَبْلُ وَوَرُدُّوا الْعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فُتِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَّيْنَا وَرَبِّيَ قَالَ فَذَوْقُوا الْعَذَابَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا لَوْ أَنَّا حَسَرْنَا عَلَىٰ مَا قَرَّرْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لُوبٌ وَلَهْوٌ وَلِلَّذَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ عَلِمْنَا إِنَّهُ يَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبِرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّىٰ أَنهَضَ نَصَرًا وَلَا مُبَدِّلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِكَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَرِهَ عَظُمَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْ الْإِسْلَامِ؛ لِحِرْصِكَ عَلَيْهِمْ ﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْلُغَ نَفَقًا سَرِيًّا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا مَصْعَدًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَيَّاتُكَ﴾ مما اقترحوا فاعمل؛ المعنى: أنك لا تستطيع ذلك؛ فاصبر حتى يحكم الله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعْنَاهُمْ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ ولكن لم يشأ ذلك؛ فلم يؤمنوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بذلك.

[٣٥] ﴿وَإِنْ كَانَ كَرِهَ عَظُمَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام؛ لحرصك عليهم ﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْلُغَ نَفَقًا سَرِيًّا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا مَصْعَدًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَيَّاتُكَ﴾ مما اقترحوا فاعمل؛ المعنى: أنك لا تستطيع ذلك؛ فاصبر حتى يحكم الله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعْنَاهُمْ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ ولكن لم يشأ ذلك؛ فلم يؤمنوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بذلك.

(٥) فائدة: دخول «قد» على الفعل المضارع من «علم» جاء في ستة مواضع في القرآن الكريم؛ قال ابن هشام في كتابه «معنى اللبيب عن كتب الأعاريب»: «... المعنى الثالث من معاني «قد»: التثقل، وهو ضريان: تثقل وقوع الفعل نحو: «قد يصدق الكذب»، وقد يجود البخيل»، وتثقل متعلقه نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ تَعْلَمُ مَا أُشْرَفُ عَلَيْهِ﴾ أي: ما أتم عليه هو أقل معلوماته سبحانه، وزعم بعضهم أنها في هذه الأمثلة للتحقيق؛ اهـ. وقد أخذ الجلالان؛ الخليلي والسيوطي بقول هذا البعض؛ إنها للتحقيق لا للتثقل في هذه المواضع على خلاف القاعدة.

(١) أي: الإبطالي؛ والمعنى: ليس الأمر كما قالوا: من أنهم لو رُدُّوا لآمَنُوا.

(٢) لابن عامر.

(٣) بالياء، قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) لنافع والكسائي.

(٥) المراد بكلمات الله هنا ما كتبه بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين، ووعده إياهم بذلك. ومن لوازم ذلك إثبات صفة الكلام لله ﷻ كما هو مذهب السلف.

بالتشديد والتخفيف^(١) ﴿٣٨﴾ «آيَةٌ» مما افترحوا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن نزولها بلائاً عليهم؛ لوجوب هلاكهم إن جحدوها.

[٣٨] ﴿وَمَا وَمَ﴾ زائدة ﴿وَدَاخِرَ﴾ قمشي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلَمَ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿يَجْتَاحُو إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿مَا فَطَرْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ فلم نكتبه ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيقضي بينهم، ويقصص للجهنم من القرآن، ثم يقول لهم: كونوا تراثاً.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿سُوءٌ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿وَبِكُمْ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿مَنْ يَسْكُ اللَّهُ﴾ إضلاله ﴿يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَأْ﴾ هدايته ﴿يَجْعَلُهُ عَلَنَ صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَوِيرٍ﴾ دين الإسلام.

[٤٠] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿آرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَتَيْتُمْ آسَافَةَ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أَغْرَبَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها.

[٤١] ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كَشَفَهُ ﴿وَنَسُونَ﴾ تتركون ﴿مَا كُنْتُمْ كُنْتُمْ﴾ معه من الأصنام؛ فلا تدعونه.

[٤٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ زَايِدَةٍ﴾ زائدة ﴿فَبَلَكَ﴾ رسلاً فكذبوهم ﴿فَأَخَذْتَهُمُ بِالْأَسَافَةِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرُّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنون.

[٤٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ فُهَلَّا ﴿إِذْ جَاءَهُمُ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي: لم يفعلوا ذلك مع قيام المفتضي له ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تلبث للإيمان ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي؛ فأصروا عليها.

[٤٤] ﴿فَلَمَّا دُكِّرُوا﴾ تركوا ﴿مَا دُكِّرُوا﴾ وعظوا وشُفُوا ﴿يَدِي﴾ من البأساء والضراء؛ فلم يعظوا ﴿فَتَحَنَّنَّا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢) ﴿عَلَيْهِمْ أَبَوَّكَ كُلِّي شَيْءٍ﴾ من النعم استدراجاً لهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فرح بطير ﴿أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ بغتة ﴿فَجَاءَهُمْ مُّسْبِطُونَ﴾ أي: من كل خير^(٣).

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ فَرًّا إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلَمٍ يَطِيرُ يَجْتَاحِيهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَطَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَكُفِّرْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَتَيْتُمْ السَّاعَةَ أَغْرَبَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَنَسُونَ مَا كُنْتُمْ كُنْتُمْ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْتَهُمُ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرُّعُونَ﴾ ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا دُكِّرُوا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحَنَّنَّا عَلَيْهِمْ أَبَوَّكَ كُلِّي شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[٣٦] ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿وَالْمَوْتَىٰ﴾ أي: الكفار، شبههم به في عدم السماع ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُرْجَعُونَ﴾ يردون؛ فيجازيهم بأعمالهم.

[٣٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ﴾

(١) فائدة: أخرج أحمد عن عفيّة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ مَا يَحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا دُكِّرُوا مَا دُكِّرُوا بِرَبِّهِمْ فَتَحَنَّنَّا عَلَيْهِمْ أَبَوَّكَ كُلِّي شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾. مسند أحمد (١٤٥/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦١).

(٢) بالتخفيف، ولازمه سكون النون، قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالتشديد قراءة ابن عامر.

[٤٥] ﴿تَقَطِّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: آخرهم؛ بأن استوصلوا ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين.

[٤٦] ﴿قُلْ لِّأَهْلِ مَكَّةَ﴾ أَرَأَيْتُمْ أَخْبِرُونِي ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ أَصْغَمَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ أَغْمَاكُمْ وَخَسَمَ﴾ طبع ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فلا تعرفون شيئاً ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ بِأَيِّكُمْ يَوْمَ﴾ بما أخذه منكم؛ برعكم ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصْرَفُ﴾ نُيْسِنُ ﴿الْآيَاتِ﴾ الدلالات على وحدانيتنا ﴿نَعْمَ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يَغْرِضُونَ عنها؛ فلا يؤمنون.

[٤٧] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعَثَ أَوْ جَهَنَّةَ لِيلاً أَوْ نَهَاراً ﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون؛ أي: ما يهلك إلا هم.

[٤٨] ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٤٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يخرجون عن الطاعة.

[٥٠] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ التي منها يوزق ﴿وَلَا إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ما غاب عني ولم يؤخ إليّ ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ من الملائكة ﴿إِنْ﴾ ما أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى الكافر ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ المؤمن؟ لا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فتؤمنون.

[٥١] ﴿وَأَنْذِرْ خَوْفٌ يَدُ﴾ أي: القرآن ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخَسَّرُوا﴾ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ؛ أي: غيره ﴿وَلَوْ﴾ ينصروهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم، وجملة النفي: حال من ضمير ﴿يُخَسَّرُوا﴾؛ وهي محل الخوف، والمراد بهم: المؤمنون العاصون ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله؛ بإقلاعهم عما هم فيه، وعمل الطاعات.

[٥٢] ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَجْهَهُ﴾ - تعالى - لا شيئاً من أعراض الدنيا؛ وهم: الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم؛ ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك؛

فَقَطِّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَسَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعَثَ أَوْ جَهَنَّةَ هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخَسَّرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

طمعاً في إسلامهم^(١) ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ إن كان باطنهم غير مريض ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن فعلت ذلك.

اللَّهُ يَأْتِلَهُمُ بِاللَّيْلِ إِنَّهُمْ لَهُ؛ فَيَهْدِيهِمْ؟ بلى.

[٥٤] ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ كتب: قضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ إِنَّهُ﴾ أي: الشأن، وفي قراءة: بالفتح^(١)، بدل من ﴿الرَّحْمَةَ﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ سَوْئًا يُجْزَئْهُ سَوَاءٌ بِجَهَنَّمَ﴾ من حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رجع ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمله عنه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَوَاتَهُ﴾ أي: الله ﴿عَفْوُهُ﴾ له ﴿رَجِيمٌ﴾ به، وفي قراءة: بالفتح^(٢)؛ أي: فالغفرة له.

[٥٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿فَمُضِلٌّ﴾ بين ﴿الْأَيْتِ﴾ القرآن؛ ليظهر الحق، فيفعل به ﴿وَلَسْتَبِينَ﴾ تظهر ﴿سَبِيلَ﴾ طريق ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ فتجتنب، وفي قراءة: بالتحانية^(٣)، وفي أخرى: بالفوقانية ونصب ﴿سَبِيلَ﴾^(٤)؛ خطاب للنبي ﷺ.

[٥٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُبِّئُكُمْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ يُؤْتِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْتُمْ أَهْوَاءُكُمْ﴾ في عبادتها ﴿فَدَّ صَلَّكَ إِذَا﴾ إن اتبعنا ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَّبِعِينَ﴾.

[٥٧] ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِنْ رَبِّي وَ﴾ قد ﴿كَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ بري؛ حيث أشركتم ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إِلَّا بِمَا يَقْضِي﴾ القضاء ﴿الْحَقُّ وَهُوَ سَرِيرُ الْفَصِيلِينَ﴾ الحاكمين، وفي قراءة: ﴿يَقْضُ﴾^(٥) أي: يقول.

[٥٨] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ﴾ لقضَى الأَمْرِ بَيِّنِي وَيَبَيِّنْكُمْ ﴿بِأَنَّهُمْ لَكُمْ﴾ واستريح، ولكنه عند الله ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ متى يعاقبهم^(٦).

[٥٩] ﴿وَعِنْدَهُ﴾ تعالى - ﴿مَقَاتِلُ الْغَيْبِ﴾ خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وهي: الخمسة التي في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية^(٧)، كما رواه البخاري^(٨) ﴿وَيَتَذَكَّرُ﴾ في ذلك ﴿وَرَقَّةٌ﴾ لا يعلمها ولا حبة في ظلمت الأرض ولا رطب ولا يابس ﴿عُطِفَ﴾ على: ﴿وَرَقَّةٌ﴾ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو: اللوح المحفوظ، والاستثناء: بدل اشتمالي^(٩) من الاستثناء قبله.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَيْسَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَفْقَهُونَ قُلْ إِنِّي نُبِّئُكُمْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ يُؤْتِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْتُمْ أَهْوَاءُكُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنْتُمْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا نَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا نَعْلَمُهَا وَلَا يَابِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

[٥٣] ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾ اجتنبنا ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: الشريف بالوضيع، والغني بالفقير؛ بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿لِيَقُولُوا﴾ أي: الشرفاء والأغنياء؛ منكبين: ﴿أَهَؤُلَاءِ﴾ الفقراء ﴿مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ بالهداية؛ أي: لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه، قال - تعالى -: ﴿أَلَيْسَ

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٥١ - ٥٨): أخرج مسلم عن سعد قال: كنا عند النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: أصدر هؤلاء لا يجتزون علينا. قال: ركت أنا، وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرُؤُوا الْكِتَابَ﴾. وقالوا: إننا نريد أن نجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا؛ فإن وفود العرب تأتيك فستضي أن ترانا العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جئنا فآلمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فآلمهم معهم إن شئت.

قال: «نعم». فسألو: فما كتب لنا عليك كتابا. قال: فدعا بصحيفة، ودعا عليا ليكتب، وحين فرغ من نأية، فزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَقْرُؤُوا الْكِتَابَ﴾. وقالوا: إننا نريد أن نجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا؛ فإن وفود العرب تأتيك فستضي أن ترانا العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جئنا فآلمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فآلمهم معهم إن شئت.

قال: «نعم». فسألو: فما كتب لنا عليك كتابا. قال: فدعا بصحيفة، ودعا عليا ليكتب، وحين فرغ من نأية، فزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَقْرُؤُوا الْكِتَابَ﴾. وقالوا: إننا نريد أن نجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا؛ فإن وفود العرب تأتيك فستضي أن ترانا العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جئنا فآلمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فآلمهم معهم إن شئت.

قال: «نعم». فسألو: فما كتب لنا عليك كتابا. قال: فدعا بصحيفة، ودعا عليا ليكتب، وحين فرغ من نأية، فزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَقْرُؤُوا الْكِتَابَ﴾. وقالوا: إننا نريد أن نجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا؛ فإن وفود العرب تأتيك فستضي أن ترانا العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جئنا فآلمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فآلمهم معهم إن شئت.

(١) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿إِنَّهُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين. (٢) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿إِنَّهُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين. (٣) حمزة والكسائي وشعبة: (٤) نافع. (٥) والقراءة المغسرة لحمزة والكسائي وأبي عمرو وابن عامر. (٦) لقمان: ٣٤. (٧) البخاري (١٠٣٩) عن عبد الله بن عمر مرفوعا. (٨) وذلك أن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح، وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح، وكما أفاده المفسر، وأما إن أريد بالكتاب علم الله كان بدل كل من كل لزيادة التأكيد والإيضاح.

(١) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿إِنَّهُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين. (٢) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿إِنَّهُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين. (٣) حمزة والكسائي وشعبة: (٤) نافع. (٥) والقراءة المغسرة لحمزة والكسائي وأبي عمرو وابن عامر. (٦) لقمان: ٣٤. (٧) البخاري (١٠٣٩) عن عبد الله بن عمر مرفوعا. (٨) وذلك أن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح، وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح، وكما أفاده المفسر، وأما إن أريد بالكتاب علم الله كان بدل كل من كل لزيادة التأكيد والإيضاح.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْغَايُ الْقَاهِرُ عَادِيَهُ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً مَّلَائِكَةً تَحْصِي أَعْمَالَكُمْ وَحَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ فِي قَرَارِهِ ﴿٦١﴾ وَتُوفَّاهُ ﴿٦٢﴾ وَرُسُلُنَا الْمَلَائِكَةُ الْمَوْكَلُونَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ وَهُمْ لَا يُعْرَظُونَ ﴿٦٣﴾ يَقْصِرُونَ بِمَا يَوْمُونَ بِهِ. ﴿٦٤﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ ﴿٦٥﴾ مَالِكُهُم ﴿٦٦﴾ الْحَقُّ الثَّابِتُ الْعَدْلُ لِيَجْزِيَهُمْ ﴿٦٧﴾ آلا لَهُ الْمُلْكُ الْقَضَاءُ النَّافِذُ فِيهِمْ ﴿٦٨﴾ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسْبِيِّينَ بِحَاسِبِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ فِي قَدَرِ نَفَارٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا لَخَدِيبٌ ﴿٦٩﴾ بِذَلِكَ. ﴿٧٠﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ مَكَّةَ: ﴿٧١﴾ مَنْ يُنَبِّئُكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَأَنْبِئُكُمْ أَهْوَالَهُمَا فِي أَسْفَارِكُمْ حِينَ تَدْعُوهُمْ تَضَرَّعًا عِلَانِيَةً وَخَفِيَّةً سِرًّا يَقُولُونَ: ﴿٧٢﴾ لَيْتَ لَمْ يَكُنْ قِسْمٌ أَمِينُنَا ﴿٧٣﴾ وَفِي قَرَارِهِ: ﴿٧٤﴾ أَمِينُنَا ﴿٧٥﴾ أَيْ: اللَّهُ وَمَنْ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ وَالشَّدَائِدِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّكْرَيْنِ الْمُؤْمِنِينَ. ﴿٧٦﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿٧٧﴾ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ بِالْخَفِيفِ وَالشَّدِيدِ ﴿٧٨﴾ فِتْنًا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ عَمَّ سِوَاهَا ثُمَّ أَنْتُمْ تُفْتَرُونَ بِهِ. ﴿٧٩﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ مِنْ السَّمَاءِ كَالْحِجَارَةِ وَالصَّبْحَةِ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ كَالْخَسْفِ أَوْ يَلْبِسَكُمْ يُخْلِطُكُمْ شَيْعًا وَبَيْنًا فِرْقًا مُخْتَلَفَةً الْأَهْوَاءِ وَيُؤَيِّنُكُمْ بِأَسْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ بِالْقِتَالِ قَالَ ﷺ: «هَذَا أَهْوَاؤُكُمْ وَأَنْبِئُكُمْ: وَلَمْ يَزَلْ مَا قِيلَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» [رواه البخاري] ﴿٨٠﴾ وَرَوَى مُسْلِمٌ حَدِيثَ: «سَأَلْتُ رَبِّي أَلَّا يُجْعَلَ بَأْسُ أُمَّتِي بَيْنَهُمْ فَتَنْتَفِيهِا» ﴿٨١﴾ وَفِي حَدِيثٍ: «لَمْ تَزَلْ قَالَ: «أَمَّا إِنَّهَا كَائِنَةٌ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بَعْدُ» ﴿٨٢﴾ أَنْظَرُ كَيْفَ تَصْرَفُ نَبِينَ لَهُمْ ﴿٨٣﴾ الْآيَاتِ الدَّلَالَاتِ عَلَى قَدَرِنَا ﴿٨٤﴾ لَعَلَّهُمْ يَنْفَهُونَ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ بَاطِلٌ. ﴿٨٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِمُ بِالْقُرْآنِ ﴿٨٦﴾ قَوْلَكَ وَهُوَ الْحَقُّ الصِّدْقُ ﴿٨٧﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿٨٨﴾ أَنْتُمْ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ فَأَجَازِيكُمْ، إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ. وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ .. ﴿٨٩﴾ لِكُلِّ نَبَلٍ خَبِيرٌ مُسْتَقَرٌّ وَقَدْ يَقَعُ فِيهِ وَيَسْتَقِرُّ وَمِنْهُ عَذَابُكُمْ وَتُسَوِّفُ تَعْمَلُونَ تَهْدِيدُكُمْ لَهُمْ. ﴿٩٠﴾

﴿٦٨﴾ وَإِنَّا رَأَيْنَا الَّذِينَ يَحْضُرُونَ فِي آيَاتِنَا الْقُرْآنَ بِالْإِسْتِهْزَاءِ فَاعْرَضْ عَنْهُمْ وَلَا تَجَالِسْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا فِيهِ إِدْغَامُ نُونٍ ﴿٦٩﴾ الشَّرْطِيَّةُ فِي «مَا» الْمَزِيدَةُ ﴿٧٠﴾ يُنَبِّئُكُمْ بِسُكُونِ النَّوْنِ وَالتَّخْفِيفِ، وَفَتْحِهَا وَالتَّشْدِيدِ ﴿٧١﴾ فَقَعْدَتُ مَعَهُمْ ﴿٧٢﴾ فَلَا تَقْعُدُ بَعْدَ الْكُفْرِ أَيْ: تَذَكُّرُ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ فِيهِ وَضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ.

(١) سبق الرد على ما ذهب إليه المفسر من تأويل هذه الصفة وبيان مذهب السلف فيها.

(٢) لحزمة.

(٣) سبق بيان أن هذا سبق قلم من السيوطي رحمه الله ، وأن الحساب يقع في قدر نصف نهار مقداره خمسون ألف سنة وليس أيام الدنيا. راجع تفسير اية (٢٠٢) من سورة البقرة.

(٤) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٦) البخاري (٤٦٢٨) عن جابر بن عبد الله مرفوعاً.

(٧) مسلم (٢٨٩٠) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً.

(٨) رواه الترمذي (٢٩٩٢) وأحمد (١٣٨٧) ونعيم بن حماد في الفتن وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً [إندر المنثور (٣٢/٣)] وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن

الترمذي (٥٩٢).

(٩) بفتحها قراءة ابن عامر.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧٠﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَزَّوهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ بُسِّلَ نَفْسُ يَمَّا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعِدْ كُلَّ عَدْلٍ لَأُؤْخَذَ مِنْهَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ أَنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابٍ بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتَبِهْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمَرَ نَا السَّلَامَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ﴿٧٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٤﴾

[٦٩] وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف؛ فنزل: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (١) الله ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ أي: الخاضعين ﴿مِنْ زَائِدَةٍ﴾ أي: إذا جالسوهم ﴿وَلَكِنْ﴾

عليهم ﴿ذِكْرِي﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض. [٧٠] ﴿وَذَرِ﴾ اترك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ باستهزائهم به ﴿وَعَزَّوهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فلا تتعرض لهم - وهذا قبل الأمر بالقتال - ﴿وَذَكَرَ بِهِمْ﴾ عظم ﴿بِهِمْ﴾ بالقرآن الناس لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تُبْسِلَ نَفْسُ﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿يَمَّا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وَإِنْ تَعِدْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ تقدي كل فداء ﴿لَأُؤْخَذَ مِنْهَا﴾ ما تقدي به ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

[٧١] ﴿قُلْ أَدْعُوا﴾ أنعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بتركها؛ وهو: الأصنام ﴿وَنُرْذُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ نرجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ اللَّهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ﴾ أضلته ﴿الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ﴾ متحيرا؛ لا يدري أين يذهب، حال من: الهاء (٢) ﴿لَهُ﴾ أَصْحَابٌ ﴿رُفَقَةٌ﴾ يدعونهم إلى الهدى؛ أي: ليهدهو الطريق؛ يقولون له: ﴿انْتَبِهْ﴾ فلا يجيبهم؛ فيهلك، والاستفهام (٣): للإنكار، وجملة التشبيه: حال من ضمير ﴿نُرْذُ﴾ ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ﴾ الهدى. وما عداه ضلال ﴿وَأَمَرَ نَا السَّلَامَ لِرَبِّ﴾ بأن نسلم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٧٢] ﴿وَأَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ﴾ - تعالى - ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة؛ للحساب.

[٧٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: مُحَقًّا. ﴿وَمِنْ﴾ ذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشيء: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ هو: يوم القيامة؛ يقول للخلق: قوموا؛ فيقوموا. ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ الصديق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن؛ النفخة الثانية من إسماعيل، لا مُلْك فيه لغيره ﴿لَيْنَ الْمُلْكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ (٤) ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شُهِد ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بباطن الأشياء كظواهرها.

(١) ذكر البغوي عن ابن عباس نحوه (١٥٥/٣).

(٢) أي: الضمير في: ﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾.

(٣) في قوله: ﴿ادْعُوا﴾.

(٤) غافر: ١٦.

[٧٤] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرْ ۖ هُوَ لَقِيهِ وَاسمعه: تارخ^(١)﴾ **﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾** تعبدها؟ استفهام توبيخ ﴿إِنِّي أَرَدْتُ وَقَوْمًا﴾ باتخاذها ﴿فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ﴾ مُبِينٌ ﴿يَتَّبِعِينَ﴾.

[٧٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما أربناه إضلال أبيه وقومه ﴿نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بها، وجملة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وما بعدها: اعتراض وعطف على ﴿قَالَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَزَا أَظْلَمَ﴾ عَلَيْهِ أَيْلَ رَا كَوْنًا ﴿قِيلَ ۖ هُوَ الزُّهْرَةُ﴾ قَالَ ﴿لِقَوْمِهِ ۖ وَكَانُوا نَجَّامِينَ ۖ﴾ **﴿هَذَا رَبِّي﴾** في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ إِلَّا إِلَٰهًا﴾ أن اتخذهم أرباباً؛ لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال^(٢)؛ لأنهما من شأن الحوادث؛ فلم ينجع فيهم ذلك.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾ طالعاً ﴿قَالَ لَهُمْ ۖ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي يَبْتَغِي عَلَى الْهَدْيِ ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ تعريض لقومها؛ بأنهم على ضلال؛ فلم ينجع^(٣) فيهم ذلك.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً﴾ قَالَ هَذَا ﴿ذَكَرُهُ ۖ لَنذَكِّرَهُ خَيْرُهُ﴾^(٤) ﴿رَبِّي﴾ هَذَا أَكْبَرُ مِنْ الْكُوكَبِ وَالْقَمَرِ ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ وقويت عليهم الحجة؛ ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَتْلُو فِي بُرَىٰ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله - من الأصنام والأجرام المحذرة المحتاجة إلى تمحيص ..

[٧٩] فقالوا له: ما تعبد؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[٨٠] ﴿وَسَاجِدًا قَوْمَهُ﴾ جادلوه في دينه، وهددوه بالأصنام؛ أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قَالَ أَتَخْشَوْنَ﴾ بتشديد النون، وتخفيفها؛ بحذف إحدى النونين^(٥). وهي: نون الرفع عند النجاة، ونون الوقاية عند القراء - أئجدالونني ﴿فِي﴾ وحدانية ﴿أَللَّهُ وَقَدْ هَدَّنَا﴾ - تعالى - إليها ﴿وَلَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من الأصنام؛ أن تصيبني بسوء؛ لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَسَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من المكروه يصيبني؛ فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرْ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَدْتُ وَقَوْمًا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١) وَكَذَلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فَلَمَّا جَزَا عَلَيْهِ أَيْلَ رَا كَوْنًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ إِلَّا إِلَٰهًا﴾^(٢) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً﴾ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا رَبِّي هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي يَبْتَغِي عَلَى الْهَدْيِ ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾^(٣) تَعْرِضُ لِقَوْمِهِ بِأَنَّهُمْ عَلَى ضَلَالٍ فَلَمْ يَنْجَعْ فِيهِمْ ذَلِكَ. ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً﴾ قَالَ هَذَا ﴿ذَكَرُهُ ۖ لَنَذَكِّرَهُ خَيْرُهُ﴾^(٤) ﴿رَبِّي﴾ هَذَا أَكْبَرُ مِنَ الْكُوكَبِ وَالْقَمَرِ ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ وَقَوِيَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ؛ وَلَمْ يَرْجِعُوا ﴿قَالَ يَتْلُو فِي بُرَىٰ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بِاللَّهِ - مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَجْرَامِ الْمُحَذَّرَةِ الْمُحْتَاجَةِ إِلَى تَمْحِصٍ ..

[٨١] ﴿رَكَعًا مُّتَوَاتِلًا﴾ مَا أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ - وهي لا تنزع ولا تنفع - ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَتُنْكِرُونَ أَشْرَكَ رَبِّي﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حُجَّةً وَبِرْهَانًا - وهو القادر على كل شيء - ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أنحن أم أنتم؟ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مَنْ الْأَحَقُّ بِهِ؟ أَي: وهو: نحن؛ فاتبعوه.

(١) ويقرأ بالحاء المعجمة، والحاء المهملة، وقيل: إن أَرَزَ اشْتُئِمُّ، وتارخ لَقِيَهُ.

(٢) وهذه العبارة مجملة، ولم ترد في كلام السلف، فإن أراد بها نفي صفات الفعل من الجهي والزلزال الإلهي وغيرها من الصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ، فهذا تأويل وتعطيل وهو خلاف مذهب السلف، وإن أراد بها نفي التغير الذي يقتضي نقضا فيكون المعنى صحيحا، ولكن هذه الألفاظ لم ترد في كلام السلف، فالأولى اجتنابها.

(٣) أي: يؤثر ويؤيد.

(٤) وهو قوله: ﴿رَبِّي﴾.

(٥) بالتخفيف والحذف قراءة نافع وابن ذكوان.

على وحدانية الله - من أقول الكوكب وما بعده - والنبؤ: ﴿عَاتِبَتْهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أرشدناه لها؛ بحجة ﴿عَلَى قَوْمِهِ تَرَفَعَ دَرَجَتٍ مِّنْ شَأْنِهِ﴾ بالإضافة والتثنية^(٢)؛ في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلَيْهِ﴾ بخلقه.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنه ﴿كَسَلًا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: نوح ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ابن يعقوب ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَذَكَرْنَا وَيْحَ﴾ ابنه ﴿وَعِيسَى﴾ ابن مريم؛ فيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَالْيَاسَ﴾ ابن أخي^(٣) هارون؛ أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٨٦] ﴿وَأَسْمَاعِيلَ﴾ ابن إبراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ اللام زائدة ﴿وَيُوشَعَ وَطُوطًا﴾ ابن هارون؛ أخي إبراهيم ﴿كَسَلًا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْمُعْلَمِينَ﴾ بالنبوة.

[٨٧] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ دُرِجْتُمْ فِي ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ عطف على «كُلًّا» أو «نُوحًا»، و«مِنْ»: للتبعض؛ لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كفر ﴿وَأَجْنِبْنَاهُمْ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٨٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ﴾ وكو أشركوا؛ فرضا ﴿لَحِيطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٨٩] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب ﴿وَالْحُكْمَ الْحَكِيمَ﴾ والنبوة فإن يكفر بها أي: بهذه الثلاثة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿وَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أرصدنا لها ﴿قَوْمًا لِّيُضِلُّوا بِهَا كُفْرِيَّ﴾ هم: المهاجرون والأنصار.

[٩٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ﴾ هم ﴿اللَّهُ فَبُهِدْنَاهُمْ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿أَقْنَدَهُ﴾ بهاء السكت وقفاً وصلوا، وفي قراءة^(٤): بحذفها وصلوا ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿أَجْرًا﴾ تعطينه ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنسان والجن.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٨﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ شَأْنِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَرَكَرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩١﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَطُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٩٣﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّصُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لِّيُضِلُّوا بِهَا كُفْرِيَّ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهِدْنَاهُمْ أَقْنَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٥﴾

[٨٢] قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: شريك - كما فُسر بذلك في حديث الصحيحين^(١) - ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ، ويُبدل منه: ﴿حُجَّتُنَا﴾ التي احتج بها إبراهيم

(١) وهو حديث ابن مسعود: لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين وقالوا: أيما لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «فَيَسِّرْ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشُّكُّ»؛ أَلَمْ تَشْفَعُوا قَوْلَ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: «يَبْنِيُّ لَا تُشْرِكْ بِأَبِي إِسْحَاقَ لَقَدْ لَطَمْتُ عَظِيمًا» [لقمان: ١٣]... الحديث. البخاري (٤٦٢٩)، ومسلم (١٢٤).

(٢) بالإضافة قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون» قال: وهو الصحيح؛ فيلبس من ذرية هارون.

(٤) حمزة والكسائي.

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: اليهود ﴿اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق عظمته: أو ما عرفوه حق معرفته ﴿إِذْ قَالُوا لَنبِيِّ اللَّهِ﴾ وقد خاصموه في القرآن: - ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ﴾ البلاء والناء^(١) في المواضع الثلاثة^(٢) ﴿فَرَأَيْتُمْ﴾ أي: يكتبونه في دَفَائِرٍ مُّقْطَعَةٍ ﴿يُنَادُونَهَا﴾ أي: ما يجوب إبداءه منها ﴿وَيُحْفُونَ﴾ كثيرًا ﴿مَّا فِيهَا﴾ كنت محمد ﷺ ﴿وَعَلِمْتُمْ﴾ أيها اليهود؛ في القرآن ﴿مَا لَمْ تَقُولُوا أَنَّهُ لَا آبَاءَ لَكُمْ﴾ من التوراة؛ بيان ما التمس عليكم، واختلقت فيه ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ أنزله. إن لم يقولوه. لا جواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوَاصِمِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾^(٣).

[٩٢] ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكًا مُّصَدِّقًا لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَلَنُنَزِّلَهُ﴾ بالناء والباء^(٤)، عطف على معنى ما قبله؛ أي: أنزلناه للبركة، والتصديق، ولنتنزه به ﴿أَمْ الْفِرْعَوْنُ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خوفًا من عقابها^(٥).

[٩٣] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بادعاء النبوة، ولم يتبع ﴿أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يَوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزلت في مسيلة^(٦) ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وهم: المستهزون، قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِي عَذَابِ سَكْرَاتٍ﴾ ﴿الْوَرَىٰ وَالْمَلَكُوتُ﴾ بأسطوا أيديهم؛ إليهم بالضرب والتعذيب؛ ويقولون لهم تعنيفًا: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ إلينا؛ لنقبضها ﴿الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذبًا ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِنَا تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تكبرون عن الإيمان بها، وجواب «لَوْ»: رأيت أمراً فظيماً.

[٩٤] ﴿وَكُلٌّ﴾ يقال لهم - إذا بعثوا -: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: حفاة عراة غرلاً ﴿وَنَرْكُم مَّا خَوَّلْتُمْ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَأَىٰ ظُهُورَكُمْ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿وَكُلٌّ﴾ يقال لهم توبيخًا: ﴿مَا تَرَىٰ مِنْكُمْ شُفَعَاءَ كُفْرًا الْأَصْنَامِ﴾ الذين رَعِمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ أي: في استحقاق عبادتكم ﴿شُرْكُوكُمْ﴾ لله ﴿لَقَدْ

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يَسْتَوُونَ بِهَا وَيُحْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَقُولُوا أَنَّهُ لَا آبَاءَ لَكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوَاصِمِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكًا مُّصَدِّقًا لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَنُنَزِّلَهُ الْفِرْعَوْنُ وَمَنْ حَوْلَهُ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يَوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي عَذَابِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِنَا تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُفْرًا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرْكُوكُمْ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ^(٧) وضللكم؛ أي: تشتت جمعكم، وفي قراءة: بالنصب^(٨)؛ ظرف؛ أي: وضللكم بيشكم وضلَّ ذهب عنكم مَّا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ في الدنيا؛ من شفاعتها.

(١) بالباء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: «يجعلون»، و«يدعون»، و«يجعلون».

(٣) أخرج العبري نحوه عن ابن عباس في جامع البيان (١٧٧/٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره، وحسن صاحب الاستيعاب إسناده (١٤٥/٢).

(٤) بالباء قراءة شعبة.

(٥) أي: الآخرة.

(٦) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جريج، وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة، وأخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة [الدر المنثور (٥٦/٢)]. وقال صاحب

الاستيعاب: «إسناده ضعيف جدًا» (١٤٨/٢).

(٧) بالرفع قراءة حمزة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة: هو فاعل «تَقَطَّعَ»، و«البين» بمعنى: الوصل، وهو المراد هنا، ويطلق ويراد به البعد، من باب تسمية الأضداد.

(٨) والفاعل في هذه القراءة: ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله: «شُفَعَاءَ كُفْرًا»؛ لأن بين الشفع والمشفوع له اتصال، و«بَيْنَكُمْ» ظرف له، والتقدير: تقطع الوصل فيما بينكم.

﴿الْبَلِّ﴾ ﴿حُسْبَانًا﴾ حسابًا للأوقات، أو الباء محذوفة؛ وهو: حال من مقدَّر؛ أي: يجريان بحسبان - كما في آية الرحمن^(١) - ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلفه.

[٩٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْيَوْمِ﴾ في الأسفار ﴿فَقَدْ فَصَّلْنَا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[٩٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي: آدم ﴿فَنَسَنَّا^(٢)﴾ منكم في الرحم ﴿وَمُسَوِّدٌ﴾ منكم في الصلب، وفي قراءة: بفتح الفاف؛ أي: مكان قرار لكم ﴿فَقَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ما يقال لهم.

[٩٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ النَّبَاتِ﴾ فيه التفات عن العبيبة ﴿بِهِ﴾ بالماء ﴿وَبَنَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ﴾ نبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي: النبات، شيئًا ﴿خَضِرًا﴾ بمعنى: أخضر ﴿فَنُخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُّزَكَّيًّا﴾ يركب بعضه بعضًا، كسنان الحنطة ونحوها ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ خبز، ويدل منه: ﴿مِنَ طَلْحِهَا﴾ أول ما يخرج منها، والمبتدأ: ﴿فَتَرَوْنَ﴾ عراجين ﴿دَابَّةً﴾ قريب بعضها من بعض ﴿وَوَجَّعْنَا مِنْهَا شَبَابِثَ﴾ بساتين ﴿وَمِنَ الْأَنْبِثِ وَالزُّبُرِ وَالرِّمَاحِ شُبَّانًا﴾ وزفُّها، حال ﴿وَعَرَبٍ مُّسَوِّدَةٍ﴾ ثمرهما ﴿أَنْظُرُوا﴾ يا مخاطبون^(٤) نظر اعتبار ﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾ بفتح التاء والميم، وبضمهما^(٥)؛ وهو: جمع «ثمرة» كـ «شجرة» و«شجر»، و«حشيشة» و«حشيش» ﴿إِذَا أَمَرَ﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿وَوَجَّعْنَا إِلَى ثَمَرِهِ﴾ نضجه إذا أدرك كيف يعود ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوصًا بالذكر؛ لأنهم المتفوعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[١٠٠] ﴿وَجَعَلُوا لِيهِ﴾ مفعول ثانٍ ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول أول، ويدل منه: ﴿الْحِنَ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَوَجَّعْنَا لِيهِمْ﴾ فكيف يكونون شركاء ﴿وَوَجَّعْنَا﴾ بالتخفيف، والتشديد^(٦)؛ أي: اختلقوا ﴿لَهُمْ بَيِّنٌ وَبَيِّنَتٌ يَفْتَرِ عَلَيْهِ﴾ حيث قالوا: عزَّزَ ابن الله والملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَكَ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ بأن له ولدا.

[١٠١] هو ﴿يَبْنِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعها من غير مثال سبق ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ زوجة ﴿وَمَخْلُقُ كُلِّ نَفْسٍ﴾ من شأنه أن يُخْلِقَ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْخَيْبِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْخَيْبَ مِنَ الْأَمْتِ وَمُخْرِجُ الْأَمْتِ مِنَ الْخَيْبِ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَالِقُ الْخَيْبِ﴾ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ آيَل سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمَسْجَرٌ وَمُسَوِّدٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّزَكَّيًّا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزُّبُرِ وَالرِّمَاحِ شُبَّانًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبَتِ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ﴿يَبْنِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[٩٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْخَيْبِ﴾ شاقٌّ ﴿الْخَيْبِ﴾ عن النبات ﴿وَالنَّوَى﴾ عن النخل ﴿يُخْرِجُ الْخَيْبَ مِنَ الْأَمْتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَمُخْرِجُ الْأَمْتِ مِنَ الْخَيْبِ﴾ النطفة والبيضة ﴿وَمِنَ الْخَيْبِ ذَلِكُمُ﴾ الفالق الخرج ﴿اللَّهُ فَالِقُ الْخَيْبِ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟.

[٩٦] ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ مصدرٌ بمعنى: الصبح؛ أي: شاقٌّ عمود الصبح؛ وهو: أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ﴾ ﴿سَكَنًا﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بالنصب: عطفًا على محل

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٤) وفي بعض النسخ: «يا مخاطبين» باعتباره نكرة غير معين.

(٥) بالضم حمزة والكسائي.

(٦) بالتشديد قراءة نافع.

[١٠٢] ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ وَحُذِّرُهُ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿حَفِظَ﴾.

[١٠٣] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (١) أَي: لا تراه، وهذا مخصص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُبْصِرُ مَا يُعْزِرُ عَنْ رَيْبَا يُذِرُ﴾ (٢) وحدث الشيخين «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَتَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» (٣)، وقيل: المراد: لا تحيط به «وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» أَي: يراها، ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط به علماً «وَهُوَ اللَّطِيفُ» بأوليائه «لَتُخَيِّرَ» بهم.

[١٠٤] قل يا محمد لهم: «قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ» حُجَجٌ «مِنْ رَبِّكُمْ» فَمَنْ أَبْصَرَ «هَا قَامَنَ» فَلْيَتَفَقَّهْ «أَبْصَرَ» لأن ثواب إبطاره له «وَمَنْ عَمِيَ» عنها؛ فضل «فَعَلَيْهَا» وبال إضلاله «وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُحِيطٍ» رقيب لأعمالكم، إنما أنا نذير.

[١٠٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر «نُصْرَفُ» نين «الْآيَاتِ» ليعتبروا «وَيَقُولُوا» أَي: الكفار في عاقبة الأمر: «[وَأَزْشَتْ]» (٤) ذاكرت أهل الكتاب، وفي قراءة: «ذَرَسَتْ» أَي: كتب الماضين؛ وجمت بهذا منها «وَلَتُنَبِّئَنَّهُمْ لِقَوْمٍ يَكُونُونَ».

[١٠٦] ﴿أَتُنَبِّئُ مَا أَرْجَى إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ﴾ أَي: القرآن «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ».

[١٠٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ رقيباً؛ فتجازيهم بأعمالهم «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ» فتجبرهم على الإيمان - وهذا (٥) قبل الأمر بالقتال..

[١٠٨] ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ هُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: الأصنام «فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا» اعتداء وظلماً «يَغْيَرُ عَلَيْهِ» أَي: جهلاً منهم بالله «كَذَلِكَ» كما زينا لهؤلاء ما هم عليه «رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ» من الخير والشر؛ فأثروهم «ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ» في الآخرة «فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» فيجازيهم به.

[١٠٩] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أَي: كفار مكة «يَاللَّهِ جَهْدَ آيَاتِهِمْ» أَي: غاية اجتهدهم فيها «لَئِنْ جَاءَتْهُمْ بَأْهٌ» مما افترحوا «لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبُهُمْ» لهم: «إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» ينزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير «وَمَا يُشْعِرُكُمْ» يدريكم بإيمانهم إذا جاءت؛ أَي: أنتم لا تدرون ذلك «إِنَّمَا» (٦) إذا جاءت لا يُؤْمِنُونَ» لما سبق في علمي، وفي قراءة: بالناء (٧) خطاباً للكفار، وفي أخرى:

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلْيَنْفَسِهْ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيطٍ ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُدْعُوا لَدَرَسَتْ وَلَكِنَّهُمْ يُقِيمُونَ يَعْلَمُونَ أَتَسْبِعُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ آيَاتِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ بَأْهٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ أَقْلًا إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

يفتح (أن)؛ بمعنى: لعل، أو معمولاً لما قبلها.

[١١٠] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ نحول قلوبهم عن الحق؛ فلا يفهمونه «وَأَبْصَرَهُمْ» عنه؛ فلا يبصرونه؛ فلا يؤمنون «كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ» أَي: بما أنزل من الآيات «أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ» نتركهم «فِي طُغْيَانِهِمْ» ضلالهم «يَعْمَهُونَ» يترددون متحيرين.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن مسروق قال: قلت لعائشة (رضي الله عنها) هل رأى محمد (ﷺ) ربه؟ فقالت: لقد قفْتُ شعري بما قلت، أين أنت من ثلاث؟ من حدثكهم فقد كذب؛ من حدثك أن محمداً (ﷺ) رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾... ولكن رأى جبريل (عليه السلام) في صورته مرتين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة النجم (٥٣) باب (١)، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧٨) إثبات رؤية المؤمنين ربه في الآخرة.

(٢) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٣) أخرج نحوه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بفتح السين أيضاً «ذَرَسَتْ» بمعنى: التمعت.

(٥) أَي: الأمر بالإعراض عن المشركين، وليس الإخبار على الإيمان.

(٦) وهي قرلة ابن كثير وأبي عمرو، وشعبة بخلافه.

(٧) حمزة وابن عامر، ولا يقرأ بالناء إلا من يقرأ «هَان» [أنها] بالفتح. أما من يقرأ بكسر «ان» فينعي معها الياء في «لا يؤمنون».

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك.

[١١٢] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويبدل منه: ﴿شَيْطَانٍ﴾ مرّة ﴿الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ موهبة من الباطل ﴿غُرُورًا﴾ أي: ليغروهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَهُ﴾ أي: الإيهام المذكور ﴿فَذَرْنَهُمْ﴾ دع الكفار ﴿وَمَا يَفْعَلُونَ﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم - وهذا قبل الأمر بالقتال ..

[١١٣] ﴿وَلَيَصْحُنَّ﴾ عطف على ﴿غُرُورًا﴾ أي: تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: الزخرف ﴿أَفَعِدَّةٌ﴾ قلوب ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَعْرِفُونَ﴾ يكسبوا ﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الذنوب؛ فيعاقبوا عليه. ونزل - لما طلبوا من النبي ﷺ أَنْ يجعل بينه وبينهم حكماً -: [١١٤] قل: ﴿أَفَتَعْبَأُكُمْ اللَّهُ بِآيَاتِي﴾ ^(١) أطلب ﴿حُكْمًا﴾ قاضياً بيني وبينكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ مُبَيَّنًا فيه الحق من الباطل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَمْلِكُونَ أَنْتُمْ إِنْ تَزِيدُوا﴾ بالصخيف والتشديد ^(٢) ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُتَمَرِّينَ الشاكين فيه، والمراد بذلك: التقرير للكفار أنه حق.

[١١٥] ﴿وَوَسَّاتُ﴾ [كَلِمَاتُ] ^(٣) رَبِّكَ ﴿بِالْأَحْكَامِ وَالْمَوَاعِيدِ﴾ صِدْقًا وَعَدْلًا تميز ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بنقص أو خليف ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ ^(٤) بما يفعل.

[١١٦] ﴿وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة؛ إذ قالوا: ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك.

[١١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فيجازي كلًا منهم.

[١١٨] ﴿تَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ بِكُمْ﴾ أي: ذبح على اسمه ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَانَ هُمُ الْمُتَوَقِّعُونَ﴾ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانٍ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَهُ فَذَرْنَهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾ وَلَيَصْحُنَّ إِلَيْهِ أَفَعِدَّةٌ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَعْرِفُونَ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

[١١١] ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَانَ هُمُ الْمُتَوَقِّعُونَ﴾ كما اقترحوا وَحَشَرْنَا جَمْعًا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا بضمين؛ جمع ﴿قُبُلٍ﴾ أي: فوجًا فوجًا، وبكسر القاف وفتح الباء ^(١)؛ أي: معانية؛ فشهدوا بصدقك ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لما سبق في علم الله ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم؛ فيؤمنوا

(١) فائدة: أخرج النسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ يقول ووضع رداءه ناحية الخندق، وقال: ﴿وَوَسَّاتُ﴾ [كَلِمَاتُ] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فندر - أي سقط - ثلث الحجر، وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برق. ثم ضرب الثانية وقال: ﴿وَوَسَّاتُ﴾ [كَلِمَاتُ] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فندر الثلث الآخر، فبرق برقًا فراه سلمان. ثم ضرب الثالثة وقال: ﴿وَوَسَّاتُ﴾ [كَلِمَاتُ] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس. النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (٤٢) غزوة الترك والحبيشة، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٩٧٦).

(١) بالكسر قراءة نافع وابن عامر.

(٢) لم أجده.

(٣) بالخفيف قراءة السبعة عدا ابن عامر وحفص.

(٤) قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

[١١٩] ﴿وَمَا لَكُمْ أَنْ﴾ ﴿لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فَضَّلَ﴾ بالبناء للمفعول، وللفاعل في الفعلين^(١) ﴿لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(٢) في آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيْسَةُ﴾ ﴿إِلَّا مَا أَضْطَرُّنَا إِلَيْهِ﴾ منه؛ فهو أيضاً حلال لكم؛ المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذكر، وقد بين لكم الحرام أكله؛ وهذا ليس منه ﴿وَإِنْ كَثُرَ لَا يُضِلُّكُمْ﴾ بفتح الياء وضمها^(٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بما نهوا أنفسهم؛ من تحليل الميتة وغيرها ﴿يَغَيِّرُ عَلَيْكُمْ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين.

[١٢٠] ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿ظَهَرَ الْآثَرُ وَبَاطِنُهُ﴾ علانيته وسره، و﴿الْآثَرُ﴾ قيل: الرنا، وقيل: كل معصية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْآيَةِ﴾ سَيُخْرَجُونَ فِي الْآخِرَةِ ﴿يَمَّا كَانُوا يَقْفَرُونَ﴾ يكتسبون.

[١٢١] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات، أو دُبِح على اسم غيره، وإلا فما ذبحه المسلم ولم يُسَمَّ فيه عمداً أو نسياناً؛ فهو حلال، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي^(٤) ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: الأكل منه^(٥) ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عما يحل ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُفْسِدُ﴾ يوسوس ﴿إِلَى أَوْلِيَاءِهِمُ﴾ الكفار ﴿لِيُجْدِلَكُمْ﴾ في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٦).

[١٢٢] وَنَزَلَ فِي أُنْبِيَاءٍ جَهْلٍ وَغَيْرِهِ: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا﴾ بالكسر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ﴾ فِي النَّاسِ ﴿يَبْصُرُ بِهِ﴾ الحق من غيره؛ وهو: الإيمان ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ «مثل»: زائدة؛ أي: كمن هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ وهو: الكافر؟ لا ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿رُؤْيَى لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

[١٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فُشَاق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِينَ﴾ ﴿لِيُتَكْرَفُ فِيهَا﴾ بالصد عن الإيمان ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا﴾ بِأَنْفُسِهِمْ ﴿لأن وباله عليهم﴾ ﴿وَمَا تَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهِ﴾ حَتَّى نَوْقَ وَيُشَلَّ مَا أَوْفَى رُسُلُ اللَّهِ ﷺ من الرسالة والوحي؛ لينا؛ لأننا أكثر مالا، وأكبر سبيها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ والجمع والافراد^(٧)، و﴿حَيْثُ﴾ مفعول به لفعل دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾

وَمَا لَكُمْ أَنْ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطَرُّنَا إِلَيْهِ وَإِنْ كَثُرَ لَا يُضِلُّكُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بَعِثْ عَلَيْنَا رِبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظَهَرَ الْآثَرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْآيَةِ سَيُخْرَجُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُفْسِدُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلَكُمْ وَأَنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِينَ لِيَمْلَأَ فِيهَا وَمَا يَمْلَأُ يَمْلَأُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَا حَتَّى نَوْقَ وَمِثْلَ مَا أَوْفَى رُسُلُ اللَّهِ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ

أي: يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه؛ فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلًا لها ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾ ذُلٌّ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بما كَانُوا يَمْكُرُونَ؛ أي: بسبب مكرهم.

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١١٩ - ١٢١): أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس قال: أتى ناس النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أتأكل ما يقتل، ولا تأكل ما يقتل الله؟ فأمر الله: ﴿تَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧) سورة الأنعام. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٤).

(١) بالبناء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، ووافقه في الثاني حمزة والكسائي وشعبة.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) وعند مالك وأبي حنيفة ورواية عن أحمد: إن تركها عمداً لا تؤكل.

(٥) وقيل: إن الضمير يعود على ما ذكر اسم غير الله عليه عند الذبح، ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَوْ يَشَأْ أُولَ الْغَيْرِ اللَّهُ يَدْرُكُ﴾.

(٦) بالجمع قراءة السبعة عدا ابن كثير وحفص.

أي: يسلمه ﴿عَلَّ الذِّبْنَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿وَهَذَا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرْطُ﴾ طريق ﴿رَبِّكَ﴾ مستقيماً لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكد للجملته، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿فَدَفَضْنَا﴾ بِنَا ﴿الْأَيَّتْ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: يتعظرون، وخصوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون.

[١٢٧] ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَٰمِ﴾ أي: السلام؛ وهي الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا﴾ وما كانوا يعملون.

[١٢٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ تَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون وباء^(٦)؛ أي: الله الخلق ﴿جَمِيعًا﴾ ويقال لهم: ﴿يَتَمَعَّشَرُ الْجَنِّ قَدِ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ﴾ يا عواظكم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمُ﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات، والجن بطاعة الإنس لهم ﴿وَكَلَّمْنَا أَبْنَاءَ الَّذِينَ أُتِلَّتْ لَنَا﴾ وهو يوم القيامة، وهذا تحسر منهم ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم على لسان الملائكة^(٧): ﴿النَّارُ مَثْوًى مِنْكُمْ﴾ مأواكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم^(٨)؛ فإنه خارجها؛ كما قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرِيجَهُمْ لَكُلِّ لَاحِجٍ﴾^(٩) وعن ابن عباس: أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون ف«ما» بمعنى: «من» ﴿إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٢٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿تُؤْتَى﴾ من الولاية ﴿بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: على بعض ﴿وَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي.

[١٣٠] ﴿يَتَمَعَّشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ أي: من مجموعكم؛ أي: بعضكم الصادق بالإنس، أو رسل الجن نذروهم الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِنِي وَبَدَرْتُمْ عَنْهُمْ إِفْقَارًا﴾ أي: قتلوا شهادتنا على أنفسنا أن قد بلغنا، قال - تعالى -: ﴿وَعَرَّضْنَاهُمْ لِأَحْيَاءَ الَّذِينَ﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٧﴾ وَهَذَا صِرْطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٨﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا يُعَالِمُونَ ﴿١٢٩﴾ وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَتَمَعَّشَرُ الْجَنِّ قَدِ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا قَالُوا نَارُ مَثْوًى لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٠﴾ وَكَذَلِكَ نُفِي بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣١﴾ يَتَمَعَّشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِنِي وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّضْنَاهُمْ لِأَحْيَاءِ الَّذِينَ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٢﴾

[١٢٥] ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ بأن يقدف في قلبه نوراً؛ فينفسح له ويقبله - كما ورد في حديث^(١) - ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ الله ﴿أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢)؛ عن قبوله ﴿خَرَجًا﴾ شديد الضيق؛ بكسر الراء: صفة، وفتحها^(٣): مصدر؛ وصف فيه مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ﴾ وفي قراءة: ﴿يَصْأَعِدُ﴾^(٤) وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسكونها^(٥) ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ العذاب أو الشيطان؛

(١) يشير إلى ما جاء في حديث: لما نزلت هذه الآية شيل رسول الله ﷺ عن صدره، فقال: «هُوَ نُورٌ يُقَدِّفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ؛ فَيَنْشُرُ لَهُ وَيَنْفِخُ لَهُ...» الحديث. أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧/٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٥)، وإسناده ضعيف جداً؛ فيه عبد الله بن المسور وهو متروك كما قال الدارقطني.

(٢) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٣) لابن كثير.

(٤) بالنون قراءة السبعة عدد، حفص.

(٥) ظاهر الآية أن هذا الكلام من الله تعالى إليهم، وفيها إثبات صفة الكلام لله ﷻ كما هو مذهب السلف. وقول المصنف: على لسان الملائكة، صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، وربما هذا فرار من إثبات صفة الكلام لله ﷻ. والله أعلم.

(٦) في معنى هذا الاستثناء أقوال عدة للمفسرين، فذهب بعضهم إلى أنها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار، والمستثنى العصاة؛ لأنهم لا يخلدون، ورؤى أن السياق في بيان حال الكفار، وبأن استعمال ﴿مَا﴾ للعقلاء قليل، وذهب بعضهم إلى أن المراد المدة التي كانوا فيها في الدنيا والبرخ ويوم القيامة قبل دخولهم النار، وذهب بعضهم إلى أن المراد الفل من النار إلى الزمهرير، وقيل: المراد المبالغة في الخلود؛ بمعنى: أنه لا ينتهي إلا وقت مشيئة الله، وهو مما لا يكون. وقيل: المراد بيان أن أمرهم موكول إلى الله، وأن ذلك ليس بأمر واجب عليه. وقيل: المراد إلا ما شاء من زيادة عذابهم، وقيل: استثنى قولاً سبق علمه أنهم يسلمون. وقيل غير ذلك، فالحق أعلم.

(٩) الصفات: ٦٨.

[١٣١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أَنْ﴾ اللام مقدرة، وهي مخففة؛ أي: لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ﴾ أَلْفَرَى يُطْلَوُ منها ﴿أَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لم يُوسِّلْ إليهم رسول بين لهم؟

[١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من العالمين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ جزاء ﴿وَمَا عَمِلُوا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَفْعَلُونَ﴾ بالبلاء والتاء^(١).

[١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ، يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿كَأَنَّا كُنَّا مِنْ دُونِهِ قَوْمٌ مُلْكُونٌ﴾ أذهبهم؛ ولكنه أبفكم رحمة لكم.

[١٣٤] ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين عذابنا.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتَوَكَّرُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ عسى حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْهُ﴾ موصولة؛ مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَهُمْ عَقِيبَةُ الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَوْمَ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرِّ﴾ الزرع ﴿وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين، ولشركائهم نصيبًا يصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ﴾ بالفتح والضم^(٢) ﴿وَهَذَا لَشُرْكَائِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه؛ وقالوا: إن الله غني عن هذا. كما قال - تعالى -: ﴿كَانَ لِشُرْكَائِهِمْ قَلِيلٌ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: لجهته^(٣) ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ يَصِلُ إِلَيْكَ شُرْكَائِهِمْ^(٤)﴾ ساء ﴿بِئْسَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

[١٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذُكِرَ ﴿ذُنُوبَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بالوَأَدِ ﴿شُرْكَائِهِمْ﴾ من الجن؛ بالرفع: فاعل ﴿ذُنُوبَ﴾، وفي قراءة: بينائه للمفعول ورفع «قتل»، ونصب «الأولاد» به، وجر «شركائهم» بإضافته^(٥)، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول - ولا يضر^(٦) - وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿يُزَادُهُمْ﴾ يهلكهم ﴿وَلَيْسُوا بِدِينِهِمْ﴾ يخلطوا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا قَدْرَهُمْ وَمَا يُفْعَلُونَ﴾

ذَلِكَ أَنْ تَرَى كُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ أَلْفَرَى يُطْلَوُ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَفْعَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَتَوَكَّرُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْهُ تَكُونُ لَهُمْ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرِّ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَهَذَا لَشُرْكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرْكَائِهِمْ قَلِيلٌ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ يَصِلُ إِلَيْكَ شُرْكَائِهِمْ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرْكَائِهِمْ يَزَادُهُمْ وَلَيْسُوا بِدِينِهِمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا قَدْرَهُمْ وَمَا يُفْعَلُونَ ﴿١٣٧﴾

(١) بالتاء قراءة ابن عامر.

(٢) أي: للزاي، والضم للكسائي.

(٣) أي: إلى المضارفات التي شرع الله الصرف فيها؛ كالصدقة وصلة الرحم وقري الضيف.

(٤) أي: يجعلونه لأنهم ويفتقونها في مصالحها.

(٥) لابن عامر.

(٦) يرد على من أنكر ذلك.

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ
بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ طُهْرُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ
أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ
لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً
فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ وَحَكِيمٌ
عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ
مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا
أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ
كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآذُوا نَوَاهِجَهُ يَوْمَ حَصَادِهِ
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ
حُمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ لَوْ إِمَارَ زَرْقُكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرٌ﴾ حرام ﴿لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾
مَنْ نَشَاءُ مِنْ خِدْمَةِ الْأَوْنَانِ وَغَيْرِهِمْ ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: لا حجة لهم فيه

﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ طُهْرُهَا﴾ فلا تركب؛ كالسواحب والحوامي ﴿وَأَنْعَامٌ لَا
يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم، ونسبوا
ذلك إلى الله ﴿افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه.

[١٣٩] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ الحرمة؛ وهي: السواحب
والبحائر ﴿خَالِصَةٌ﴾ حلال ﴿لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ أي:
النساء ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً﴾ بالرفع والنصب^(١) مع تأنيث الفعل وتذكيره^(٢)
﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصَفَهُمْ﴾ ذلك بالتحليل
والتحريم؛ أي: جزاءه ﴿إِنَّهُ وَحَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقهم.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٣) ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾
بالوَادِ ﴿سَفَهًا﴾ جهلاً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ بما ذُكِرَ
﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٤).

[١٤١] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾
مبسوطات على الأرض؛ كالبطيخ ﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ بأن ارتفعت على
ساق؛ كالنخل ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُمْ﴾ ثمره وخبثه في
الهيئة والطعم ﴿وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ ورقهما، حال ﴿وَعَيْرَ
مُتَشَابِهٍ﴾ طعمهما ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ قبل النضج ﴿وَآذُوا
نَوَاهِجَهُ﴾ زكاته ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ بالفتح والكسر^(٥)؛ من الغشْرِ^(٦) أَوْ
بِضْفِهِ^(٧) ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بإعطاء كنه^(٨)؛ فلا يبقى لبعاليكم شيء ﴿إِنَّكُمْ لَا
يُحِبُّونَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين ما حُدَّ لهم.

[١٤٢] ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حُمُولَةٌ﴾ صالحة للحمل عليها؛
كالإبل الكبار ﴿وَفَرَسَاتٌ﴾ لا تصلح له؛ كالإبل الصغار والغنم؛ سُئِلَتْ
فَرَسًا؛ لأنها كالفرس للأرض؛ لدنوها منها ﴿كُلُوا وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا
تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرائقه من التحريم والتحليل ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُبِينٌ﴾ يبين العداوة.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. البخاري كتاب المناقب (٦١) باب (١٢) قصة زمزم وجاهل العرب.

(١) بالرفع لابن كثير وابن عامر.

(٢) بالتأنيث لابن عامر وشعبة.

(٣) بالتشديد لابن كثير وابن عامر.

(٤) أي: جاء «حصاده». بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن كثير.

(٥) أي: فيما سقي بغير كلفة؛ كمنط ونحوه من غير آلة.

(٦) أي: فيما احتاج في سقيه إلى كلفة وآلة.

(٧) قوله: «إعطاء كنه فلا يبقى لبعاليكم شيء»؛ تفسيره الإسراف بهذا هو قول محمد بن مروان المعروف بالسدي الصغير، وهو قول غير قوي. واختار ابن جرير الطبري قول عطاء بن أبي رباح أنه
نهى عن الإسراف في كل شيء، وظاهر سياق الآية النهي عن الإسراف في الأكل؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن؛ كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

[١٤٣] ﴿تَمَيِّزَةَ أَرْوَاحٍ﴾ أضاف؛ بدل من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ زوجين ﴿أَنْثَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ﴾ بالفتح والسكر (١) ﴿أَنْثَيْنِ قُلْ﴾ يا محمد - لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإنانها أخرى، ونسب ذلك إلى الله : ﴿لَا تَذَكَّرْنَ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أَيُّ الْأُنثَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا اسْتَحَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيْنِ﴾ ذكرا كان أو أنثى ﴿تَبْتَغِي بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؛ المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام، أو الأنوثة فجميع الإناث، أو اشتغال الرحم فالزوجان، فمن أين التخصص؟ والاستفهام للإنكار.

[١٤٤] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَيْ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيْنِ أَمْ﴾ بل ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ وَصَّيْنَاهُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ التحريم، فاعتمدتم ذلك! لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِنِّي أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٤٥] ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا ذُكِّرَ فَأَكَلَهُ﴾ ﴿غَيْرَ بَاسٍ وَلَا عَادٍ﴾ (٢) ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَجِيمٌ﴾ به، ويلحق بما ذُكِّرَ بالشَّيْءِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ وَمَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ.

[١٤٦] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَرَمَاتٌ كُلُّ ذِي ظُفْرٍ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه؛ كالإبل والنعامة ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَاتٌ عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا﴾ الثروب (٣)، وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي: ما علق بها منه ﴿أَوْ﴾ حملته ﴿الْحَوَائِصَ﴾ الأمعاء، جمع حوايا، أو حواية ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُفْرٍ﴾ منه؛ وهو: شحم الإلية؛ فإنه أحسن لهم ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿حَرَمْتُهُمْ﴾ به ﴿بِغَيْرِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم - بما سبق في سورة النساء (٤) - ﴿رَبَّنَا اصْصِلُوا﴾ في أخبارنا ومواعدنا.

تَمَيِّزَةَ أَرْوَاحٍ مِنَ الضَّأْنِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمَّا الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيْنِ تَبْتَغِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمَّا الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاهُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِنِّي أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاسٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَجِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَاتٌ كُلُّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَاتٌ عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَائِصَ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُفْرٍ ذَلِكَ حَرَمْتُهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَرَبَّنَا اصْصِلُوا

(١) بالفتح لاين كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) بابتاء قراءة حمزة وابن كثير وابن عامر.

(٣) وهذا سبق قلم من المصنف كَقَوْلِهِ: فقراءة الرفع مع النوقانية وليس مع النوقانية كما ذكر المصنف، وهي لاين عامر.

(٤) راجع تفسير ﴿غَيْرَ بَاسٍ وَلَا عَادٍ﴾ في سورة البقرة آية (١٧٣).

(٥) جمع «ثرب»: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، والمراد هنا الذي على الكرش فقط.

(٦) أي: قوه تعالى: ﴿فِيمَا تَفْضِيهِمْ يَشْفَعُ لَهُمْ وَكَفَرِهِمْ يَكْفِيكَ اللَّهُ﴾ الآية [النساء: ١٥٥]، إلى قوله: ﴿يُظِلُّ بَيْنَ الْأَيْدِي عَادُوا حَرَمَاتٍ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُجِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

رَحِمَهُ وَسِعَتْهُ ﴿١٤٨﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ عَذَابُهُ إِذَا جَاءَ ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كما كذب هؤلاء ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسولهم ﴿حَتَّىٰ ذُاقُوا بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿فَلَوْلَا هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ أَنْ اللَّهُ فِي ذَلِكَ ظَنُّكَ﴾ لا علم عندكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ تَكْذِيبُونَ فِيهِ. [١٤٩] ﴿قُلْ﴾ إن لم يكن لكم حجة ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْكُلِّيَّةُ﴾ الثَّامَةُ ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ.

[١٥٠] ﴿قُلْ هَلْمْ﴾ أَحْضَرُوا ﴿شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ الذي حرّمه ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرْيَبُونَ بَعْدَ اللَّوْنِ﴾ يَشْرِكُونَ.

[١٥١] ﴿قُلْ تَسَالَوْا أَتْلُو﴾ أَمْ أَرَأَيْتُمْ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أَهْلُ نَفْسُ مَفْضُومَةٌ ﴿لَا تَحْزَنْكُمْ بِهِ شَيْئًا﴾ أَحْسَنُوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ﴿بِالْوَادِ﴾ مِنْ أَجْلِ ﴿إِمْلَاقٍ﴾ فَقَرَّ تَخَافُونَهُ ﴿تَحْنُ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ الْكِبَارَ كَالزُّنَا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أَي: عَلَانِيَتِهَا وَسِرَّهَا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كَالْقَوْدِ وَحَدِّ الرَّذَّةِ وَرَجْمِ الْمُحْصَنِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿وَصَنَعَكُمْ مِنْ لَعْنَةٍ لَمَقُولُونَ﴾ تَدْبِرُونَ. (٥)

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٩﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذُاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْكُلِّيَّةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥١﴾ قُلْ هَلْ هُمْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرْيَبُونَ بَعْدَ اللَّوْنِ ﴿١٥٢﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفٌّ عَنِ الْفَوَاحِشِ بِهٖ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَنَعَكُمْ مِنْ لَعْنَةٍ لَمَقُولُونَ ﴿١٥٣﴾

[١٤٧] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ فِيمَا جِئْتَ بِهِ ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾ رَبُّكُمْ ذُو

(٥) فائدة: أخرج الحاكم في مستدركه (٣٤٨/٢) عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّكُمْ يَبْعِي عَلَى ثَلَاثٍ؟» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿قُلْ تَسَالَوْا أَتْلُو مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حَتَّىٰ فَرَغَ مِنَ الْآيَاتِ - فَمَنْ وَفَّى فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ انْتَقَصَ مِنْهُ شَيْئًا فَأَذْرَكَهُ اللَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا كَانَتْ عِقَابُهُ، وَمَنْ أَخْرَى إِلَى الْآخِرَةِ فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَبُهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَقَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَجْرِهَاهُ. وَأَجْرُهُ أَيُّضًا مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ فِي تَعْظِيمِ قَدْرِ إِصْلَاحِ (٦١٥/٢).

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرُؤُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالحصلة التي هِيَ أَحْسَنُ، وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بأن يحتلم^(٥) ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْيَمْرَآنَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها في ذلك؛ فإن أخطأ في الكيل والوزن - والله يعلم صحة نيته؛ فلا مؤاخذه عليه؛ كما ورد في حديث^(١)، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فِي حُكْمٍ أَوْ غَيْرِهِ﴾ فَأَعِدُّوا^(٢) بالصدق ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له أو عليه ﴿فَا فُرِيًّا﴾ قرابة ﴿وَرِيعَهُ﴾ الله أَوْفُوا^(٣) ذَلِكَمُ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿بِالشَّدِيدِ تَتَعَفُونَ﴾^(٤) والسكون.

[١٥٣] ﴿وَأَن﴾ بالفتح، على تقدير اللام، والكسر استئنافاً^(٥) ﴿هَذَا﴾ الذي وصيتم به ﴿بِصِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين؛ تميل ﴿بِكُمْ﴾ عن سبيلِهِ، دينه ﴿ذَلِكَمُ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٦).

[١٥٤] ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة، و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وَتَقْصِيلاً﴾ بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمُ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٥٥] ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَآتَيْنَاهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكفر ﴿فَلَمَّكُمْ زُرْحُومٌ﴾ أنزلناه.

[١٥٦] ﴿لَ﴾ أن، لا ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِنْ﴾ مخفية، واسمها محذوف؛ أي: إنا ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم ﴿لَعَنَفَيْنَا﴾ لعدم معرفتنا لها؛ إذ لَيْسَتْ بِعَيْنَا.

[١٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لوجه أذهاننا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ لمن اتبعه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَطَاعَ وَمَن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾ أعرض ﴿عَنْهَا سَتَجِدُنَا الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: أشده ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرُؤُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْيَمْرَآنَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ قَاعِدُوا وَلَوْ كَانَتْ ذَاقِرْتُمْ وَرِيعَهُ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكَمُ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٧) وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^(٨) ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَقْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ^(٩) وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ^(١٠) أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَعَنَفَيْنَا^(١١) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً فَمَن أَطَاعَ وَمَن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَتَجِدُنَا الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ^(١٢)

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٥٢): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرُؤُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ الآية. اتفق من كان عنده يبيع فحول طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل من طعامه فيحس له حتى يأكله أو يفسد، فاشد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأمر الله ﷻ: ﴿وَسَتَجِدُنَا عَنْ أَكْثَرِ قُلٍّ مُّشْرِحٍ ثُمَّ خَيْرٌ وَإِنْ تُحَايِلُوهُمْ فَيَغْلِبُوا﴾ فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابه بشرابه. سبق تخريجه عند الآية (٢٢٠) من سورة البقرة. (هـ) فائدة: أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً». قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾. مسند أحمد (٤٦٥/١، ٤٦٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٤١٤٢)، وأخرج نحوه ابن ماجه من حديث سابر بن عبد الله، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١١).

(١) أخرج ابن مردويه عن سعيد بن المسيب قال: تلا رسول الله ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْيَمْرَآنَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فقال: من أوفى على يديه في الكيل واليزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤخذ وذلك تأويل وسعها (الدر المنثور (١٠/٣)).

(٢) وهي قراءة نفع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٣) بالكسر قراءة حمزة والكسائي، وقرأ ابن عامر بالفتح مع سكون لونه.

تنفعها توبتها؛ كما في الحديث ﴿قُلْ أَنْتَظِرُونَ﴾ أخذ هذه الأشياء ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ذلك.

[١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيْنَهُمْ﴾ باختلافهم فيه؛ فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا يَشْكُرُونَ﴾ فرقا في ذلك، وفي قراءة: ﴿فَارْزُقُوا﴾^(١) أي: تركوا دينهم الذي أمروا به؛ وهم: اليهود والنصارى ﴿لَسْتَ فِي شَيْءٍ﴾ أي: فلا تعرض لهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولاه ﴿وَمَنْ يُبْتَغِمْ﴾ في الآخرة ﴿يَمَّا كَانُوا يَقْعَلُونَ﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف.

[١٦٠] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿فَلَمْ يَشْكُرْ﴾ أمثالها^(٢) أي: جزاء عشر حسنات ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: جزاءه ﴿وَمَنْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من جزائهم شيئا.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ويبدل من محله: ﴿وَبِنَا قِيمًا﴾ مستقيما^(٣) ﴿يَلَهُ إِزِيدُهُمْ حَيْثُ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي عِبَادَتِي مِنْ حَجٍّ وَغَيْرِهِ﴾ وبجائى حياتي ﴿وَمَسَاجِدِي﴾ موتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٦٣] ﴿لَا شَرِيكَ لَمْ﴾ في ذلك ﴿وَبِذَلِكَ﴾ أي: التوحيد ﴿أُفْرِزْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

[١٦٤] ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْيَ رَبِّي﴾ أي: لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ الْمَالِكِ﴾ كل شيء ولا تكسب كل نفس ذنبا ﴿إِلَّا عَلَيْهِمَا وَلَا تَزُرُ﴾ تحمل نفس ﴿وَارِدَةً﴾ أمة ﴿وَزَرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضا فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم؛ ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّكُمْ لَعُودُونَ﴾ للمؤمنين ﴿رَجِيعٌ﴾ بهم.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُونَ إِنَّمَا تَنْتَظِرُونَ لِلَّذِينَ فَرَقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شُرَكَاءَ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ قَرِيبٌ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيْنًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُفْرِزْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنْيَ رَبِّي وَأَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذوبون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالناء والباء^(١) ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره؛ بمعنى: عذابه^(٢) ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي: علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها؛ كما في حديث الصحيحين^(٣) ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ الجملة صفة «النفس» ﴿أَوْ﴾ نفسا لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾^(٤) طاعة؛ أي: لا

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾». البخاري. كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٠)، وأخرجه مسلم. كتاب الإيمان (١) باب (٧٢) بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(٢) الباء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهذا تأويل لهذه الصفة من صفات الفعل التي أتيها ربنا ﷻ لنفسه، ونحن نتبناها له ونؤمن بها على الوجه اللاتق به. شبحائه. ولا يشبه إتيانه إتيان الخلقين، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(٤) البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧)، وعند مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» (٢٧٠٣)، والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

(٤) حمزة والكسائي.

(٥) وهذا التفسير على القراءة بالتشديد، وهي لنافع وابن كثير وأبي عمرو، وأما على قراءة باقي السبعة بدون تشديد فعلى أنه مصدر نعت به، وأصله «قوم» كدعوض، فأُعِلَّ لإعلال ففعل كالتقديم.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

[مكية إلا ﴿وَسَتَلَهُمْ﴾ عَنْ الْقَرْيَةِ ﴿الْثَمَانِ أَوْ الْخَمْسِ آيَاتِ، مائتان وخمس أو : ست آيات، نزلت بعد (ص)] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْتَصَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بمراده بذلك.

[٢] هذا ﴿كُنْتُ أُنْزِلُ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿وَمَنْهُ﴾ أَنْ تبلغه مخافة أَنْ تكذب ﴿لِيُنْذِرَ﴾ متعلق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾ أي: للإنذار ﴿بِهِ﴾ وَذَكَرْتُ تذكراً ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٣] قل لهم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تتخذوا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿أُولَئِكَ﴾ تطيعونهم في معصيته - تعالى - ﴿فَلَا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ بالثناء والياء^(١): تعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال، وفي قراءة: يسكونها^(٢)، و﴿مَا﴾ زائدة، لتأكيد القلة.

[٤] ﴿وَكَمْ﴾ خبرية، مفعول ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَجَاءَهَا بِأَسَافٍ﴾ عذابنا ﴿يَبِئْسَ﴾ ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَالُوا﴾ ناعمون بالظهير؛ والقيلولة: استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم؛ أي: مرة جاءها ليلاً، ومرة جاءها نهاراً. [٥] ﴿مَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ قولهم ﴿يَدْجَاءُهُمْ بِأَسَافٍ﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ.

[٦] ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: الأمم عن إجابتهم الرسل، وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْقُرْسِيِّينَ﴾ عن الإبلاغ.

[٧] ﴿فَلَنَقْصُرَ عَنْهُمْ﴾ لنخبرهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عوموا.

[٨] ﴿وَالْوَزْنَ﴾ للأعمال أو لصحافتها بميزان له لسان وكفتان - كما ورد في حديث^(٣) - كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم السؤال المذكور؛ وهو: يوم القيامة ﴿الْحَقُّ﴾ العدل، صفة الوزن ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالחסنات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسيفات ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتصويرها إلى النار ﴿يَمَّا كَانُوا يَكِيدُونَ بِظُلْمٍ﴾ بجحودون.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾ بالياء^(٤)؛ أسباباً تعيشون بها، جتمع معيشة ﴿فَلَا مَا﴾ لتأكيد القلة ﴿شَكَرْتُمْ﴾ على ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمَص ﴿١﴾ كُنْتُ أُنْزِلُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسَافٍ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُرَ عَنْهُمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَكِيدُونَ بِظُلْمٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

[١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: أباكم آدم ﴿فَمِنْ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: صورناه وأنتم في ظهركم ﴿فَمِنْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا تحيةً بالانحناء ﴿سَجَدُوا﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أبا الجن؛ كان بين الملائكة ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن مروان بن الحكم قال: قال لي زيد بن ثابت: «ما لك تقرأ في المغرب بقصار؟» وقد سمعت النبي ﷺ يقرأ بطولي الطولين. البخاري - كتاب الأذان (١٠) باب (٩٨) القراءة في المغرب. وأخرج أبو داود وزاد: وقال - أي ابن أبي مليكة راوي الحديث - : قلت: وما طولي الطولين قال: - أي عروة بن الزبير الراوي عن مروان - : الأعراف، والأخرى الأعمام. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (١٢٢) قدر القراءة في المغرب، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٢٨).

(١) قوله: «بالتاء» أي: مع تشديد الدال بعدها، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقوله: «والياء» أي: قبل التاء مع تخفيف الدال، وهي قراءة ابن عامر. (٢) هكذا في النسخ المطبوعة التي بأيدينا، وهو سهو من المصنف رحمه الله، وصوابه: «بتخفيفها» أي الدال، وحاصله: أن في «تذكرون» ثلاث قراءات سبعة هي: «تذكرون» بالتاء مع تشديد الدال وتخفيفها، و«تذكرون» بياء قبل التاء.

(٣) أخرج ابن المنذر واللائكالي عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان. وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي في قوله: ﴿وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] قال: أخبرني أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: له لسان وكفتان يوزن، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ومنالهم في الجنة بما كانوا ياتونهم يظلمون [الدر المنثور (٢/٢٩١)]، وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات»، ولم أقف على حديث مرفوع فيه ذكر الميزان.

(٤) أي: باتفاق القراء؛ لأن الياء أصلية.

[١٥] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾^(١) أي: يوم النفخة الأولى.

[١٦] ﴿قَالَ فِيمَا آغُوتُنِي﴾ أي: يا غواثك لي؛ و«الباء» للقسام وجوابه ﴿لَأَمْتَدَنَّ لَكُمْ﴾ أي: لبني آدم ﴿مِنْ رَبِّكَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي: على الطريق الموصل إليك.

[١٧] ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: من كل جهة؛ فأمنعهم عن سلوكه، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم؛ لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله - تعالى. ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مؤمنين.

[١٨] ﴿قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا بِالْهَمزة؛ معيба أو مقموتا ﴿مَنْحُورًا﴾ مُبْعَدًا عن الرحمة ﴿لَنْ يَمَكَّ مِنْهُمْ﴾ من الناس؛ و«اللام» للابتداء، أو موطئة للقسام؛ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: منك بذريعتك ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «من» الشرطية؛ أي: من تبعك أعذبه.

[١٩] ﴿ذُوقْ﴾ قال: ﴿تَذَادُمُ أَشْكُنَ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير في ﴿أَشْكُنَ﴾ ليعطف عليه ﴿وَرَوْحِكَ﴾ حواء، بالمد ﴿الْجَنَّةَ فَكَلًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكمل منها؛ وهي: الجنة^(٢) ﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٠] ﴿فَوَسَّوْا لَهَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿يَبْدِي﴾ يظهر ﴿لَهَا مَا وَرَى﴾ فُوعِل؛ من المواراة ﴿عَنْهَا مِنْ سَوَاءٍ تِهْمًا وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾ كراهة ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً﴾ وقرئ بكسر اللام^(٣) ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ أي: وذلك لازم عن الأكل منها؛ كما في آية أخرى: ﴿هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةٍ تُقْلَدُ وَمَلِكٌ لَا يُبَلِّغُ﴾^(٤).

[٢١] ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي: أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في ذلك.

[٢٢] ﴿فَذَلَّلْنَاهُمَا﴾ حطَّهْمَا عن منزلتهما ﴿يُفْرِدُونَ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أي: أكلَا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُهُمَا﴾ أي: ظهر لكل منهما فُتْبَلُهُ وَقِيلَ الآخر وَذُبُرُهُ، وَشُمُيْ كُنْ مِنْهُمَا سَوَاءٌ؛ لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَوَّعَا لِيحْضَبَانِ﴾ أخذًا ليزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يَبْسُ العداوة، والاستفهام للتقرير.

قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ قَالَ فِيمَا آغُوتُنِي لَأَقْصِدَنَّ لَهُمْ سِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَقَامْدُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿وَيَقَادِمُ أَسْكُنَ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ فَكَلًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فَوَسَّوْا لَهَا الشَّيْطَانُ لِيَبْدِيَ لَهُمَا مَا وَرَى عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تِهْمًا وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فَذَلَّلْنَاهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْضِبَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

[١٢] ﴿قَالَ﴾ - تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَهْمُنَ ﴿لَا﴾ زائدة ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ فَاخْرُجْ ﴿مِنْهَا﴾ ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الدَّالِّينَ.

[١٤] ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أخرني ﴿إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

(١) الحجر: ٣٨.

(٢) لم يرد ما يعتمد عليه في تعيين هذه الشجرة، ولا حاجة إلى ذلك؛ لأنه ليس المقصود معرفة عين تلك الشجرة، وما لا يكون مقصودًا لا ينبغي الانشغال به - كما ذكر أهل التحقيق.

(٣) وهي قراءة شاذة.

(٤) طه: ١٢٠.

[٢٣] ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بِمَعْصِيَتِنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٢٤] ﴿قَالَ أَهْطُوا﴾ أي: آدم وحواء؛ بما اشمئتما عليه من ذريتهما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكَّرَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا﴾ أي: مكان استقرار ﴿وَمَتَّعَ﴾ تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ تنقضي فيه أجالكم.

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي: الأرض ﴿يَحْيَوْنَ﴾ وفيها تموتون وميتها ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول^(١).

[٢٦] ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِسَانَ﴾ أي: خلقناه لكم^(٢) ﴿يُؤَدِّرِيْ﴾ يستر ﴿سَوْءَ تَكُمُ وَرِيشًا﴾ وهو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسٍ الْقَوِيُّ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن، بالنصب^(٣) عطف على ﴿لِسَانٍ﴾، والرفع مبتدأ، خبره: جملة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب.

[٢٧] ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْقَهُكُمْ﴾ بضلكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ أي: لا تتبعوه؛ ففتنوا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ﴾ بفتنته ﴿وَمِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ﴾ حال ﴿عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا﴾ أي: الشيطان ﴿رَبَّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ﴾ للطفاة أجسادهم، أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ﴾ أعواناً وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً﴾ كالشرك، وطوافهم بالبيت عراة قائلين: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها. فنهوا عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا﴾ فاقصدنا بهم ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضاً ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: إني الله لا يأمر بالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟ أنه قاله، استفهام إنكار.

[٢٩] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾ معطوف على معنى ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: قال: أقسطوا وأقيموا. أو قبله فاقبلوا، مقدراً ﴿وَجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: أخلصوا له سجودكم ﴿وَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تَعُودُونَ﴾ أي: يعيدكم أحياء يوم القيامة.

[٣٠] ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿غَيْرِهِ﴾ وَنَحْسَبُ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ.

(١) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي وابن ذكوان.

(٢) وهذا أحد الأقوال، وهو كقولهم تعالى: ﴿وَأَرْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ قَلِيلًا﴾ أي: خلق، وقيل: المراد المطر الذي ينبت به القطن والكتان. فجعل المسبب بمنزلة السبب، وقيل: المعنى: ألهمناكم كيفية صعبته. وقيل: المعنى: قضينا وقسمنا لكم؛ حيث كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وقضاياه - شيخناؤه - مما توصف بالنزول. وقيل: هو على ظاهر معناه المعروف، فإنه ينزل من ظهور الأنعام من أصولها وأوبارها وأشعارها، وهذا الأخير هو الأقرب. وفي الآية إثبات صفة علوية. جل وعلا. فوق خلقه، وهو ما يتحاشى المفسر - عفا الله عنه - إثباته موافقة لمذهبه الأشعري. ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْتَابًا لِّمَنْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ وانظر مجموع الفتاوى (٢٤٦/١٢ - ٢٥٧).

(٣) وهي قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَّعَ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِسَانَ يُؤَدِّرِيْ سَوْءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسٍ الْقَوِيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْقَهُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا إِنَّهُ يَرْسِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ لِلَّهِ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٢﴾

[٣٢] ﴿قُلْ﴾ إنكاراً عليهم: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من اللباس ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات ﴿وَمِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة بهم، بالرفع والنصب^(١)، حال ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ نبيها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون؛ فإنهم المستفعلن بها.

[٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر؛ كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: جهرها وسرها ﴿وَالْإِثْمَ﴾ المعصية ﴿وَالَّذِينَ عَلَى النَّاسِ يَغِيْرُ الْحَقَّ﴾ وهو الظلم ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَا يَرْزُقُ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ عليه.

[٣٥] ﴿يَبْنِيْءُ ءَادَمَ إِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنَّ﴾ الشرطية في «ما» المريدة ﴿يَأْتِيَنَّهُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَفْضُلُونَ عَلَيْكُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنْ أَنْتُمْ﴾ الشريك ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاشْتَكَبُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٣٧] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ عَنْهُمُ﴾ يصيبهم ﴿حُطَّتْهُمْ﴾ حُطَّتْهُمْ ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة ﴿يَقُولُونَ لَهُمْ قَالُوا﴾ لهم تبكيًا: ﴿إِنِّ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهَا﴾ فلم نرهم ﴿وَسُيُودًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَلْهَتُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿يَبْنِيْءُ ءَادَمَ خُدُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَطَيَّبَتْ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالَّذِينَ تَتَّبِعِيْهِ الْغَيِّرُ الْحَقَّ وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ ﴿يَبْنِيْءُ ءَادَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّهُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَفْضُلُونَ عَلَيْكُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنْ أَنْتُمْ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ عَنْهُمُ رَبُّهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ تَهْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا إِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْهُمْ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

[٣١] ﴿يَبْنِيْءُ ءَادَمَ خُدُوْا زِينَتَكُمْ﴾ ما يستر عورتكم^(٢) ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما شئتم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (٣١): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يعبرني تطوافاً يجعله على فرجها؟ تقول: اليوم يلدو بعضه أو كله. فما بدا منه فلا أحله. فنزلت هذه الآية: ﴿خُدُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٢) رقم (٣٠٢٨).

(٢) بالرفع قراءة نافع.

﴿أَنْ لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَ﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿وَيَبْغُونَ﴾ أي: أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابًا﴾ حاجر، قيل: هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ استوت حسناتهم وسبائهم؛ كما في الحديث^(١) ﴿يَرْفَعُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِإِسْمِهِمْ﴾ بعلامتهم؛ وهي: بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين؛ لرؤيتهم لهم؛ إذ موضعهم عال ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ يَدْخُلُونَهَا﴾ أي: أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾ في دخولها. قال الحسن: لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم. وروى الحاكم عن حذيفة قال: «بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة؛ فقد غفرت لكم»^(٢).

[٤٧] ﴿وَلَا يَصْرَفُ أَصْبَرُهُمْ﴾ أي: أصحاب الأعراف ﴿لِقَاءَهُ﴾ لِقَاءَهُ ﴿أَصْحَابِ النَّارِ﴾ قالوا ربنا لا نجعلنا في النار ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ في النار ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٨] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون^(٣) ﴿أَهْلُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا إِنَّا لَهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ تُخْزَوْنَ﴾ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا﴾ إن الله حرّمهما على الكافرين^(٤) ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالُوا﴾ نَسْنَسُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَهُ يَوْمَهُمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ^(٥).

[٤٩] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا فَمِثْلَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ.

[٥٠] ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالُوا﴾ نَسْنَسُهُمْ ﴿تَرْكَهُمْ فِي النَّارِ﴾ كما كانوا لِقَاءَهُ يَوْمَهُمْ هَذَا ﴿بَرْكَهُمُ الْعَمَلُ لَهُ﴾ وما كانوا يَتَنَبَّهُونَ بِجَحْدَرَتِهِمْ. أي: وكما جحدوا.

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ مُؤَدَّتُ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ^(١) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ^(٢) وَيَبْغُونَ حِجَابًا وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَنَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ^(٣) * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(٤) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ^(٥) أَهْلُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا إِنَّا لَهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ تُخْزَوْنَ^(٦) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ^(٧) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالُوا نَسْنَسُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَهُ يَوْمَهُمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ^(٨)

[٤٤] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ تقريراً أو تأكيداً: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ كم ﴿رِجَالًا﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ مُؤَدَّتُ بَيْنَهُمْ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم:

(١) أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صوابه دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صوابه دخل النار». قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: «أولئك أصحاب الأعراف» ﴿ثُمَّ يَدْخُلُونَهَا وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾.

والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة والدر المنثور (١/٦٢/٣).

(٢) الحاكم (٢/٣٢٠)، وقال في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) وهما قراعتان شاذتان، على عادة المصنف رحمه الله؛ حيث يغير في الشاذ في الغالب (بقرئ)، وفي السبعي بقوله: «وفي قراءة».

(٤) قال السمين الحلبي: «أي وعلى هاتين القراعتين؛ فالجملة المنفية في محل نصب بقول مقدر، ذلك القول منصوب على الحال؛ أي مقولاً لهم: لا خوف... اهـ».

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِأَيٍّ أَهْلَ مَكَّةَ بِكِتَابٍ ﴿يَكْتَبُ﴾ قُرْآنَ ﴿فَصَلَّنَهُ﴾ عَلَىٰ هُدًى وَرَحْمَةٍ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ﴿وَعَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حَالٍ أَيٍّ: عَالِمِينَ بِمَا فُضِّلَ فِيهِ هُدًى حَالٍ مِنَ الْهَاءِ ﴿وَرَحْمَةً لِّغَيْرِ يُؤْمِنُونَ﴾ بِهِ .

[٥٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ مَا يَنْتَظِرُونَ ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ عَاقِبَةُ مَا فِيهِ ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ شَكَّوْهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تَرَكَوا الْإِيمَانَ بِهِ: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾ قَوْلُ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ هَلْ تَرَوْهُ إِلَى الدُّنْيَا ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نُوحِدُ اللَّهَ وَنَتْرَكُ الشِّرْكَ؛ فَيَقَالُ لَهُمْ: لَا .

قال - تعالى -: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ إِذْ صَارُوا إِلَى الْهَلَاكِ ﴿وَصَلَّى﴾ ذَهَبَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ مِنْ دَعْوَى الشَّرِكِينَ .

[٥٤] ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا؛ أَيٍّ: فِي قَدَرِهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ شَمْسٌ، وَلَوْ شَاءَ خَلَقَهُنَّ فِي لَحْظَةٍ، وَالْعَدُولُ عَنْهُ لِعَلِّمَ خَلْقَهُ التَّثْبِتَ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْجِ﴾ هُوَ فِي اللُّغَةِ: سَرِيرُ الْمَلِكِ، اسْتَوَاءٌ يَلِيقُ بِهِ^(١) ﴿يُعْثِي الْبَلَاءَ﴾ مُخَفِّقًا وَمُنْشِدًا^(٢)؛ أَيٍّ: يُطْغِي كُلًّا مِنْهُمَا بِالْآخِرِ ﴿يُطْلِمُ﴾ يُطْلِبُ كُلَّ مِنْهُمَا بِالْآخِرِ طُلُوبًا ﴿حِينَئِذٍ﴾ سَرِيعًا ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ بِالنَّصَبِ عَطْفًا عَلَى ﴿السَّمَوَاتِ﴾ وَالرُّفْعَ مُبْتَدَأً خَبْرَهُ: ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ مَذْلَلَاتٌ ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بِقُدْرَتِهِ^(٣) ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جَمِيعًا ﴿وَالْأَكْمَارُ﴾ كُلُّهُ ﴿تَبَارَكَ﴾ تَعَاظَمَ ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ مَالِكِ ﴿الْعَالَمِينَ﴾ .

[٥٥] ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حَالًا؛ تَذَلُّلًا وَخُفْيَةً ﴿سِرًّا﴾ إِنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ الْمُتَعَذِّبِينَ فِي الدُّعَاءِ؛ بِالتَّشَدُّقِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ .

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بَعَثَ الرُّسُلَ ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ مِنْ عِقَابِهِ وَطَمَعًا فِي رَحْمَتِهِ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنِ الْمُحْسِنِينَ﴾ الْمُطِيعِينَ، وَتَذَكِيرٌ ﴿قَرِيبٌ﴾ الْخَبَرُ بِهِ عَنْ رَحْمَتِهِ لِإِضَافَتِهِ إِلَى اللَّهِ .

[٥٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [نُشْرًا]^(٤) بِأَيِّ يَدَيِّ رَحْمَتِهِ؛ أَيٍّ: مُتَفَرِّقَةً فُتَامَ الْمَطَرِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِسُكُونِ الشَّيْنِ تَخْفِيفًا^(٥)، وَفِي أُخْرَى: بِسُكُونِهَا وَفَتْحِ النَّونِ مَعْدِلًا^(٦)، وَفِي أُخْرَى: بِسُكُونِهَا وَضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ بِدَلِ النَّونِ^(٨)؛ أَيٍّ: مُبَشِّرًا، وَمُفَرِّدَ الْأَوَّلَى: «نُشُورٌ» كَمَا «رَسُولٌ»، وَالْآخِرَةُ^(٩): «بَشِيرٌ» حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ حَمَلَتِ الرِّيَّاحُ سَحَابًا يَقَالُ بِالْمَطَرِ

وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَهُ عَلَىٰ هُدًى وَرَحْمَةٍ لِّغَيْرِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ شَكَّوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ قَهْلَ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ تُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْثِي الْبَلَاءَ لَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَسِيتًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا نَقَالَا سُقْنَاهُ إِلَى الْكِدْرِ مِمَّنِ فَأَنْزَلْنَاهُ إِلَى الْمَاءِ فَاتْرَجْنَاهُ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿سُقْنَاهُ﴾ أَيٍّ: السَّحَابَ، وَفِيهِ التَّفَاتُ عَنْ الْغَيْبَةِ ﴿إِلَيْكَ مَيِّتٌ﴾ لَا نَبَاتَ بِهِ؛ أَيٍّ: لِإِحْيَائِهَا ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ﴾ بِالْبَلَدِ ﴿الْمَاءَ فَاتْرَجْنَاهُ﴾ بِالْمَاءِ ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ الْإِخْرَاجَ ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ مِنْ قُبُورِهِم بِالْإِحْيَاءِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ هُنُومُونَ .

(١) إِنْ كَانَ الْمُصَنِّفُ يَرِيدُ بِذَلِكَ تَقْوِيسَ كَيْفِيَةِ اسْتِزْوَاجِ هَذَا حَقٍّ، كَمَا قَالَ مَالِكٌ: «... وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ»، وَأَمَّا إِنْ كَانَ يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ مَعْنَى اسْتِزْوَاجِ نَفْسِهِ مَجْهُولٌ، فَيَكُونُ فِرَازًا مِنْ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْعُلُوِّ وَالْإِسْتِزْوَاجِ عَلَى الْعَرْشِ؛ إِذْ إِنَّ كَلَامَ السَّلَفِ فِي مَعْنَى اسْتِزْوَاجِ أَنَّهُ الْعُلُوُّ وَالْإِرْفَاعُ وَالِاسْتِقْرَارُ .

(٢) بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ، وَلَا يَزِمُهُ فَتْحُ الْبَاءِ قِرَاءَةُ حِمَزَةٍ وَالْكَسَاءُ وَشُعْبَةٌ .

(٣) بِالرُّفْعِ فِي الْأَرْبَعِ الْكَلِمَاتِ قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ .

(٤) وَهَذَا صَرَفٌ لِلْفَتْحِ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَتَطْوِيلٌ لَصِفَةِ الْأَمْرِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ كَلَامُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ، وَهُوَ غَيْرُ الْقُدْرَةِ .

(٥) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو .

(٦) لِابْنِ عَامِرٍ .

(٧) لِحِمَزَةِ وَالْكَسَاءِ .

(٨) وَهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ .

(٩) فِي نَسْخَةِ مَطْبُوعَةٍ: «وَالْآخِرَةُ» .

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ وَيَادِّنُ رَبِّهَ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يُخْرِجُ
إِلَّا زَكَاةً أَوْ كَذِبًا أَفْكَارًا لَا يَكْفُرُ إِلَّا كَذِبًا ۖ أَفْكَارًا لَا يَكْفُرُ إِلَّا كَذِبًا ۖ
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ وَاتَّقُوا يَوْمَ عَذَابِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ قَالَ يَتَقَوَّمُوا
لَيْسَ بِي ضَالُّةٌ ۖ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۖ
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصِّحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ۖ أَوْحَيْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ
عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيَذُرَكُمْ وَلِتَلْزَمُوا وَاعِدَكُمْ تَرْجَمُونَ
(١٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَخْبَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أَنَّهُمْ كَاوُوا قَوْمًا عَمِينَ ۖ * وَإِلَىٰ
عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۖ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ
إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ ۖ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ۖ
قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ۖ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۖ

[٥٨] ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخْرِجُ نَبَاتُهُ﴾ حسناً ﴿يَادِّنُ﴾

رَبِّهِ ۖ ﴿لَا يُخْرِجُ إِلَّا زَكَاةً أَوْ كَذِبًا﴾ عسراً بمشقة، وهذا مثل للكافر ﴿كَذَلِكَ﴾ كما
يُخْرِجُ مَا ذَكَرَ ﴿تُصَرِّفُ﴾ تُبَيِّنُ ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾ كَذِبًا ۖ ﴿أَفْكَارًا﴾ كَذِبًا ۖ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ
يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ بالجر (١) صفة له ﴿إِلَهُ﴾ وبالرفع
بدل من محله ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾
هو يوم القيامة.

[٦٠] ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ

يَتَّقُونَ ۖ ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَالَّةٌ﴾ هي أعم من الضلال؛ ففيها أبلغ
من فيه ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[٦٢] ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ (٢) بالتخفيف والتشديد ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصِّحُ لَكُمْ
وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

[٦٣] ﴿أَوْحَيْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ موعظة ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ
لِيَذُرَكُمْ وَلِتَلْزَمُوا وَاعِدَكُمْ تَرْجَمُونَ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿وَلِتَلْزَمُوا وَاعِدَكُمْ
تَرْجَمُونَ﴾ بها.

[٦٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخْبَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ﴾ السفينة
﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿أَنَّهُمْ كَاوُوا قَوْمًا
عَمِينَ﴾ عن الحق.

[٦٥] ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ إِلَىٰ عَادٍ ﴿الْأُولَىٰ﴾ (٣) ﴿أَمَّا هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا
عِبَادُ اللَّهِ﴾ وخُودُهُ ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿تَخَافُونَهُ فَتُؤْمِنُونَ﴾ .

[٦٦] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ ۖ
جهالة ﴿وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ في رسالتك.

[٦٧] ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ۖ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

(١) وهي قراءة الكسائي.

(٢) بالتخفيف قراءة أبي عمرو.

(٣) وهم قوم نبي الله هود عليه السلام؛ كما جاء وصفهم بذلك في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠] ، وأما عاد الآخرة، وهم المعنويون بـ «عاده» عند الإطلاق . فهم

«نود» قوم بني الله صالح عليه السلام.

[٦٨] ﴿أَتُفْسِدُكُمْ وَسَخَّرْتُ لَكُمْ نَاصِحَ أَمِينٍ﴾ مَأْمُونٌ عَلَى الرِّسَالَةِ.
 [٦٩] ﴿أَوْ يَحْسَبُ أَنْ جَاءَهُ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكَ عَلَى لِسَانٍ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً قُوَّةً وَطَوْلًا، وَكَانَ طَوْلُهُمْ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَفَصِيرُهُمْ سِتِينَ^(١)﴾ فَاذْكُرُوا ءَالَ اللَّهِ اللَّهُ نِعْمَهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تَفْرِزُونَ.
 [٧٠] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا يَوْمَ تَبَدَّلْنَا﴾ بِه مِنَ الْعَذَابِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِكَ.

[٧١] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وَجِبَ ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ﴾ عَذَابٌ ﴿وَعَصَبٌ أَتَجِدُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُوهَا﴾ أَي: سَمَّيْتُمْ بِهَا ﴿أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾ أَصْنَامًا تَعْبُدُونَهَا ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أَي: بِعِبَادَتِهَا ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حُجَّةً وَبِرْهَانٍ ﴿فَانظُرُوا﴾ الْعَذَابِ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ذَلِكَ بِكَذِّبِكُمْ لِي، فَأَرْسَلْتُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ.
 [٧٢] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ أَي: هُوَذَا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿يَرْجِعُهُمْ إِنَّا وَقَعْنَا دَايِرَ الْقَوْمِ﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴿أَي: اسْتَأْصَلْنَاهُمْ﴾ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿عُطِفَ عَلَى﴾ كَذَّبُوا.

[٧٣] ﴿وَوُكِّلْنَا إِلَى شُؤْدٍ﴾ بِتَرْكِ الصَّرْفِ^(٢)؛ مَرَادُهُ بِه الْقَبِيلَةَ ﴿أَخَاهُمْ صَاحِبًا قَالَ يَتَقَوَّرُ أَغْبَدُوا اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ مُعْجَزَةٌ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ عَلَى صَدَقِي ﴿هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ حَالٌ، عَامِلُهَا مَعْنَى الْإِشَارَةِ، وَكَانُوا سَأَلُوهُ أَنْ يَخْرِجَهَا لَهُمْ مِنْ صَخْرَةٍ غَشَّيْهَا ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ﴾ يَغْفِرُ أَوْ ضَرْبٌ ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

أَتُفْسِدُكُمْ رَسَلَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ يَحْسَبُ أَنْ جَاءَهُ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكَ عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَاذْكُرُوا ءَالَ اللَّهِ اللَّهُ نِعْمَهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا يَوْمَ تَبَدَّلْنَا إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَصَبٌ أَمْجِدُ لَوْ تَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَتَشْرُونَ آبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَانْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَى شُؤْدٍ أَخَاهُمْ صَاحِبًا قَالَ يَتَقَوَّرُ أَغْبَدُوا اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

(١) تحديد طول أطولهم وأقصرهم على هذا النحو مخالف لما جاء في الصحيح في وصف آدم عليه السلام؛ ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن». البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١). فهذا الحديث صريح في أنه ليس بعد آدم من هو أطول منه.

(٢) أي بالبيع من الصرف؛ للعلمية والثابت.

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
 فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ
 الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا الْآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ
 قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
 أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ
 مُؤْمِنُونَ ﴿٧٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي
 ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٨﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ
 أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَسْتَنَائِمًا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ
 مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٩﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
 جِثِيمِينَ ﴿٨٠﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
 رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ
 ﴿٨١﴾ وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ
 بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
 شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٤] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ في الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾

وَبَوَّأَكُمْ ﴿أسكنكم﴾ في الأرض تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا ﴿تسكنونها في الصيف﴾ وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴿تسكنونها في الشتاء﴾ ونصبه على الحال المقدره ^(١) ﴿فَاذْكُرُوا الْآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

[٧٥] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ تَكَبَّرُوا عن الإيمان به ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: من قومه، بدل مما قبله لإعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ إليكم ﴿قَالُوا﴾: نعم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

[٧٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم، فَعَلُوا ذَلِكَ.

[٧٧] ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ عقرها ﴿فَدَاؤُهَا﴾ ^(٢) بأمرهم؛ بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَثْنًا يَمَّا نَعِدُنَا﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٧٨] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض، والصيحة من السماء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ باركين على الرُكَبِ ميتين.

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾.

[٨٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لَوْطًا﴾ وَيُذِلُّ مِنْهُ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الإنسان والجن.

[٨١] ﴿إِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال الألف بينهما على الوجهين، وفي قراءة: ﴿إِنَّكُمْ﴾ ^(٣) ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿منجاوزون الحلال إلى الحرام﴾.

(١) أي تدحرجونها مقدّرين جعلها بيوتاً لكم.

(٢) ابن سالف.

(٣) قرأ السبعة علدا نافع وحفص بهزتين على لفظ الاستفهام، الذي في معناه التوبيخ، غير أن ابن كثير يسهل الهمزة الثانية بين الهمزة والياء، وكذلك أبو عمرو لكنه يدخل بين الهمزتين ألفاً فيمد، وهشاماً يدخل بين الهمزتين ألفاً مع تخفيفهما، بخلاف عنه، وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعتين في كلمة، الثانية منهما مكسورة، ومع موافقة نافع لابن كثير موافقة قالون لأي عمرو وهشام.

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾ أي: لو طأ وأتباعه ﴿وَمِنْ قَوْمِكُمْ إِلَهُهُمْ أَنَا شَيْءٌ يَبْطَلُهُمُونَ﴾ من أديار الرجال.

[٨٣] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا مِمَّا كَانَتْ مِنْ أَلْفَافِينَ﴾ الباقي في العذاب.

[٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل؛ فأهلكتهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتَاكُمُ شُعَبًا قَالَتْ يَتَقَوْمُ آبَعْدُوا إِلَهَهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ معجزة ﴿يَتَنَبَّأُونَ﴾ على صديقي ﴿فَأَوْفُوا﴾ أتموا ﴿الْكَيْدَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا﴾ تنقصوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بيعت الرسل ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مريدي الإيمان فبادروا إليه.

[٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ طَرِيقٍ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو العكس^(١) منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ تطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرْتُمْ﴾ وآنظروا كيف كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُفْسِدِينَ قبلكم بتكذيب رسلهم؛ أي: آخر أمرهم من الهلاك.

[٨٧] ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ فآصبروا؛ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَخُصِمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم بإجاء الحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أعدلهم.

وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ أَنَّهُمْ أَنَا شَيْءٌ يَبْطَلُهُمُونَ ﴿٨٣﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا مِمَّا كَانَتْ مِنْ أَلْفَافِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتَاكُمُ شُعَبًا قَالَتْ يَتَقَوْمُ آبَعْدُوا إِلَهَهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا الْكَيْدَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرْتُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٧﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَخُصِمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرٌ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨٨﴾

(١) المكس (يفتح الميم وسكون الكاف): الضريبة، والجباية والإتاوة التي تؤخذ بغير حق. وأصله في اللغة: الخيانة. و«المكاس»: هو أخذها.

وأخرج مسلم في صحيحه (١٦٩٥) في قصة رجم الغامدية: «... لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له...». وفي هذا دليل على عظم هذا الذنب وأن المكس من أقبح المعاصي والذنوب والموبقات؛ وذلك لكثرة مطالبات الناس له وظلامتهم عنده. كما ذكر النووي في شرحه على صحيح مسلم.

وأخرج أحمد في مسنده (١٦٨٤٣) وأبو داود في سننه (٢٩٣٧) من حديث عتبة بن عامر مرفوعاً: «لا يدخل الجنة صاحب مكس». وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٦٣١).

ملتهم قَطُّ، وعلى نحوه أجاب: ﴿قَالَ أَلَمْ نَعُودْ فِيهَا﴾ ﴿وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ لها؟! استفهام إنكار.

[٨٩] ﴿فَقَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِيثَاقًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَهُودِ﴾ يعني ﴿لَمَّا أَنْ تَعُودُ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَسَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء، ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ الحاكمين.

[٩٠] ﴿وَقَالَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْقُضِ اللَّهُ مِيثَاقَهُ بِنَا وَأَنْتُمْ كَذِبُونَ﴾

[٩١] ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ﴾ الرزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ مبتدا وخبره: ﴿كَانَ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَنْتَوُوا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم.

[٩٢] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ كَانُوا هُمُ الْخَائِرُونَ ﴿التَّائِيدِينَ﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق.

[٩٣] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ﴾ وَقَالَ يَقَوْمُ لَقَدْ أَتَيْنَاكُمْ بِرِسَالَةٍ تَزَكِي وَنَصَحَتْ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ ءَاسَى﴾ أحزن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ استفهام بمعنى النفي^(١).

[٩٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسِ﴾ أهلها بالأساءة ﴿بَشْدَةِ الْفَقْرِ﴾ والسرارة ﴿الْمَرَضِ﴾ ألمهم يضربون ﴿يَتَلَلُونَ فِي مَمْنُونٍ﴾ يتلذذون في مومنون.

[٩٥] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَّوْا﴾ كثروا ﴿وَقَالُوا﴾ كفروا للنعمة: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ السرارة والسرارة ﴿كَمَا مَنَّ﴾ وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه، قال - تعالى - :: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ﴾ بالعذاب ﴿بِقَتَّةٍ﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه قبله.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُولُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ ﴿فَقَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِيثَاقًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَهُودِ﴾ ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَسِرُونَ﴾ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا لَمْ يَنْتَوُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَائِرِينَ﴾ ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَقَوْمُ لَقَدْ أَتَيْنَاكُمْ بِرِسَالَةٍ تَزَكِي وَنَصَحَتْ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَعُونَ﴾ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَّوْا وَقَالُوا قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ ﴿الضَّرَاءِ وَالسَّرَاءِ﴾ فَأَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

[٨٨] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُولُنَّ﴾ ترجعن ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾ ديننا، وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد؛ لأن شعبيًا لم يكن في

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ المكذِبين ﴿ءَامَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد^(١) ﴿عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ سَمَاءٍ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.
[٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ المكذِبون ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيْتَاتٍ﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ غافلون عنه.
[٩٨] ﴿أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحًى ﴿نَهَارًا﴾ وَهُمْ يَلْعَبُونَ.

[٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استدراجاً إليهم بالنعمة وأخذهم بغتة^(٢) ﴿فَلَا يَأْتِيَنَّ مَكْرَهُ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ بين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ بالسكنى ﴿مِنْ بَعْدِ هَلَاكِ أَهْلِهَا﴾ بفتح هاء، مخففة واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَوْ نَشَاءُ﴾ أَصْبَنَهُمْ بالعذاب ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ كما أصبنا من قبلهم، والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ، والفاء والواو الداخلة عليهما للطف، وفي قراءة: يسكون الواو في الموضع الأول^(٣) عطفاً بـ ﴿وَأَوْ﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ المعظة سماع تدبير.

[١٠١] ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ التي مر ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ أخبار أهدبها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا﴾ كفروا به ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم، بل استمروا على الكفر ﴿كَذَلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أي: الناس ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ أي: وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق^(٤) ﴿وَإِنْ﴾ مخففة ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ بَشَّنا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: الرسل المذكورين ﴿مُوسَى﴾ بِأَيَّتِنَا التسع ﴿إِلَىٰ رُفْعُونَ وَمَلَأْنَاهُ﴾ قومه ﴿فَفَلَحُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالكفر من إهلاكهم.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرُّوْنَ إِلَىٰ رَسُولٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَّتَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴿٩٩﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٠﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠١﴾ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ بَشَّنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِأَيَّتِنَا إِلَىٰ رُفْعُونَ وَمَلَأْنَاهُ فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٤﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرُّوْنَ إِلَىٰ رَسُولٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٥﴾

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه -، وهي فيما سقت له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه ﷻ مجردة بدون ذكر متعلقها، وكذا لا يشتق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع.

(٣) وهو قوله - تعالى -: ﴿أَوْ آمِنَ﴾، وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٤) وهم في صلب أبيهم آدم ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُ رَكَّبَكَ مِنْ نَحْوِ آدَمَ مِنْ لُطُوفِهِ دُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْبَهَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

- [١٠٦] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ فيها.
- [١٠٧] ﴿قَالَ لَنْ عَصَاةٌ فَإِذَا هِيَ تُمْبَرُّ مِثْلَ﴾ حية عظيمة.
- [١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ﴾ ذات شعاع^(١) ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة^(٢).
- [١٠٩] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر، وفي الشعراء: أنه من قول فرعون نفسه؛ فكانهم قالوه معه على سبيل التشاور.
- [١١٠] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَنْصَبِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.
- [١١١] ﴿قَالُوا أَرَبِئَّةٌ وَأُنْثَىٰ﴾ أخر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين.
- [١١٢] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ﴾ وفي قراءة: ﴿سَحَارٍ﴾^(٣) ﴿عَلِيمٌ﴾ يفضّل موسى في علم السحر؛ فجمعوا.
- [١١٣] ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا أَأِتَيْنَاكَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(٤) ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.
- [١١٤] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَيِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.
- [١١٥] ﴿قَالُوا يَكُونُ مِنَّا أَنْ تُلْقَىٰ﴾ عصاك ﴿وَيَمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُنْفَكِينَ﴾ ما معنا.
- [١١٦] ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حيالهم وعصيهم ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿وَأَسْرَبُوهُمْ﴾ خوفهم؛ حيث خيلوها حيات تسعى ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾.
- [١١٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل^(٥)؛ تبتلع ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ يلقبون بتمويههم.
- [١١٨] ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر.
- [١١٩] ﴿فَغُلِبُوا﴾ أي: فرعون وقومه ﴿هَٰذَا لَكُمْ أَنْتَقَبُوا صَنِيعِينَ﴾ صاروا ذليلاًين.
- [١٢٠] ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾.

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٠٧﴾ قَالَتْ هِيَ عَصَاةٌ فَإِذَا هِيَ تَمُوتُ يَدَهُ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ عَلَيْهِ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَنْصَبِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرَبِئَّةٌ وَأُنْثَىٰ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ عَلَيْهِ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَيِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَكُونُ مِنَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَمِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُنْفَكِينَ ﴿١١٥﴾ قَالُوا أَلْقُوا لَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هَٰذَا لَكُمْ أَنْتَقَبُوا صَنِيعِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾

- [١٠٥] فكذبه فقال: أنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ وفي قراءة: بتشديد الياء^(١)، فه ﴿حَقِيقٌ﴾ مبتدأ خبره: ﴿وَأَنْ﴾ وما بعده.
- ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وكان استنقذهم.

(١) مع فتحها، أي: بياء ﴿عَلَىٰ﴾ من قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ وهي لنافع.

(٢) من غير برص ولا مرض.

(٣) أي: السمرة.

(٤) لحزمة والكساية.

(٥) ظاهر كلام المصنف يفيد أن هنا قراءتين فقط، مع أنها أربع. فكان عليه أن يقول: وإدخال ألف بينهما وتركه، وبقيت خامسة وهي ﴿إِنَّ﴾ بهزئة واحدة، وهي قراءة نافع وابن كثير وحفص، أما قراءة الاستفهام فهي لباقي السبعة، على أصل كل واحد كما سبق ذكره في: ﴿إِنَّكُمْ لَأَتُونَ﴾.

(٦) أي: وأصلها: تلتقف، وهي قراءة السبعة عدا حفص.

قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
 فِرْعَوْنُ أَمْسِكْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّ هَذَا مَكْرٌ
 مَكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لَخُجْرُومَتِهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ
 ﴿١٢٣﴾ لَا فُطْرَنَ إِلَيْكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصْلِبَنَّكُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَقُصُّمْ
 إِلَّا أَنْ أَمَّا يَاتِيَتْ رَبَّنَا لَمَجَاءُ تَأْتِيَنَا أَفْوَجًا عَلَيْنَا صَبْرًا
 وَتَوَقَّ مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتُمْ مُوسَى
 وَقَوْمُهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ
 أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾
 قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ
 لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾
 قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ
 عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ
 فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
 بِالْيَسِينِ وَنَقَصْنَا لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٣٠﴾

﴿١٢١﴾ قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿١٢٢﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٣﴾ لعلهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر.

﴿١٢٤﴾ قَالُوا فِرْعَوْنُ أَمْسِكْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّ هَذَا مَكْرٌ مَكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لَخُجْرُومَتِهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٥﴾ مَا نَقُصُّمْ مَنِي.

﴿١٢٦﴾ لَا فُطْرَنَ إِلَيْكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ أَي: يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿١٢٧﴾ ثُمَّ لَأُصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ.

﴿١٢٨﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿١٢٩﴾ راجعون في الآخرة.

﴿١٣٠﴾ وَمَا نَقُصُّمْ تكرر ﴿١٢١﴾ أَمَّا أَنْ أَمَّا يَاتِيَتْ رَبَّنَا لَمَجَاءُ تَأْتِيَنَا أَفْوَجًا عَلَيْنَا صَبْرًا عند فعل ما توعدنا به؛ لئلا نرجع كفارًا ﴿١٢٢﴾ وَتَوَقَّ مُسْلِمِينَ.

﴿١٢٣﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ له ﴿١٢٤﴾ أَنْتُمْ مُوسَى وَقَوْمُهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿١٢٥﴾ وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ وكان صنع لهم أصنامًا صغارًا يعبدونها، وقال: أنا ربكم وربها؛ ولذا قال: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَخْلَى ﴿١٢٦﴾ قَالَ سَنُقَتِّلُ بالتشديد والتخفيف ﴿١٢٧﴾ أَبْنَاءَهُمْ المولودين ﴿١٢٨﴾ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ كفعلا بهم من قبل ﴿١٢٩﴾ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ قادرون؛ ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل.

﴿١٣٠﴾ قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فيها.

﴿١٣١﴾ قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فيها.

﴿١٣٢﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْيَسِينِ بالقسط ﴿١٣٣﴾ وَنَقَصْنَا مِنَ الشَّجَرِ لَعْلَهُمْ يَدَّ كُرُونِ يتعظون فيؤمنون.

(١) وهي قراءة نافع والنبري وأبي عمرو وابن عامر؛ حيث قرأوا بهجمة مخففة وبعدها همزة بين يين، وبعدها ألف بدل من الساكنة، وكذلك قرأ قبل إذا ابتأ بها، أما في الوصل فقرأوا بواو بدل من الهمزة الأولى؛ لانضمام ما قبلها وهي مفتوحة، وخفف الثانية بين يين إرادة التخفيف، وقرأ حفص بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية وبعدها ألف، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بهجرتين محققتين بعدهما ألف، وكذلك في موضع طه والشعراء.

(٢) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وَلَنْ نُصِيبَهُمْ سَيْئَةً﴾ جذب وبلاء ﴿يَظُنُّوٓا۟﴾ يتشاءموا ﴿يَمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُٓ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما يصيبهم من عنده.

[١٣٢] ﴿وَقَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعا عليهم.

[١٣٣] ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخن بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ السوس، أو نوع من القزاد^(١) ففتبع ما تركه الجراد ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَالدَّمَ﴾ في مياههم ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ مبيات ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يما عهد عندك ﴿من كشف العذاب عنا إن آمنا﴾ ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ بِكَ وَلَنُرْسِلَنَّ بِكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ يَلْفُوهٖ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

[١٣٦] ﴿فَلَنَنْفِخَنَّ مِنْهُمْ فَاغْرَقْنَهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ البحر المالح ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرونها.

[١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعباد؛ وهم: بنو إسرائيل ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر صفة للأرض؛ وهي: الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾ وهي قوله - تعالى -: ﴿وَرُبِّيذِلَّ أَنْ تَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) إلخ ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا﴾ على أذى عدوهم ﴿وَدَمَّرْنَا أَهْلَكُنَا﴾ ما كانت يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وقومه من العمارة ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء وضمها^(٣)؛ يرفعون من البنيان.

فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ۗ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٤﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ۖ إِنَّمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَيْنَ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ بِكَ وَلَنُرْسِلَنَّ بِكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٥﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ يَلْفُوهٖ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٦﴾ فَانْفِخْنَا مِنْهُمُ ابْنُ الْيَمِّ يَأْتُهُمْ كَذِبًا بَيْنَنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ الحصب والغنى ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي:

(١) وقيل: هو القمل المعروف.

(٢) القصص: ٥٠.

(٣) بالضم قراءة شعبة وابن عامر.

وَجَوْرًا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُمُونَ
عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا
لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَرٌ
مَاهُمْ فِيهِ وَيَطِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ
أُبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلَذُنِبِكُمْ
مِّنَ الْفِرْعَوْنَ يُسْأَلُونَ سَوَاءَ أَعْدَابُ يُقْتَلُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ * وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِّقَّتِ رَبِّيَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ
مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ
رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِن
أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا
تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا فَلَمَّا
أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

[١٣٨] ﴿وَجَوْرًا﴾ عِزًّا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا ﴿فَمَرُوا﴾ عَلَى قَوْمٍ يَمْكُمُونَ ﴿بِضَمِّ الْكَافِ وَكَسْرِهَا﴾ ﴿عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ﴾ يَقِيمُونَ عَلَى عِبَادَتِهَا ﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ صَنَعًا نَعْبُدُهُ ﴿كَأَلِهَتِهِمْ قَالُوا﴾ يَجْهَلُونَ ﴿حَيْثُ قَابِلْتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِمَا قَلَّمْهُ﴾.

[١٣٩] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَرٌ﴾ هَالِكٌ ﴿مَا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٤٠] ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾ مَعْبُودًا، وَأَصْلُهُ: أَبْغَى لَكُمْ ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فِي زَمَانِكُمْ بِمَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: [١٤١] ﴿وَوَاعِدُوا﴾ إِذْ أَبْغَيْتُمْكُمْ ﴿وَفِي قِرَاءَةٍ﴾: ﴿أَبْغَيْتُمْكُمْ﴾ (١) ﴿مِنْ عَالٍ فِرْعَوْنَ يُسْأَلُونَ﴾ يَكْفُلُونَكُمْ وَيَذِيقُونَكُمْ ﴿سَوَاءَ الْعَذَابِ أَشَدُّهُ وَهُوَ: يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يَسْتَبْقُونَ ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ فِي ذَلِكُمْ ﴿الْإِنْجَاءُ وَالْعَذَابُ﴾ إِنْجَاءٌ أَوْ ابْتِلَاءٌ ﴿مِنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أَفَلَا تَتَعَلَّوْنَ فَتَنْتَهُوْا عَمَّا قَلَّمْ؟

[١٤٢] ﴿وَوَعَدْنَا﴾ بِالْفِ وَدُونَهَا (٢) ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ نُكَلِّمُهُ عِنْدَ انْتِهَائِهَا بِأَنْ يَصُومَهَا وَهِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ، فَصَامَهَا، فَلَمَّا تَمَّتْ أَنْكَرَ تَخْلُوفَ قِيَمَةٍ (٣)؛ فَاسْتَأْذَنَ؛ فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِعَشْرَةِ أُخْرَى لِيُكَلِّمَهُ بِخُلُوفٍ قِيَمَةٍ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ﴾ مِنْ ذِي الْحِجَةِ ﴿فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّيَ﴾ وَقْتُ وَعْدِهِ بِكَلَامِهِ إِيَّاهُ ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حَالٌ ﴿لَيْلَةً﴾ تَمَيِّزٌ ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عِنْدَ ذَهَابِهِ إِلَى الْجَبَلِ لِلْمَنَاجَاةِ: ﴿أَخْلِفْنِي﴾ كُنْ خَلِيفَتِي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أَتْرُكُهُمْ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بِمُوَاقِفَتِهِمْ عَلَى الْمَعَاصِي.

[١٤٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أَي: لِلْوَقْتِ الَّذِي وَعَدْنَاهُ بِالْكَلامِ فِيهِ ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بِلَا وَسْطَةٍ كَلَامًا سَمِعَهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ (٤) ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نَفْسَكَ ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِنِي﴾ أَي: لَا تَقْدِرُ عَلَى رُؤْيِي، وَالتَّعْبِيرُ بِهِ دُونَ «لَن أَرَى» يُفِيدُ إِمْكَانَ رُؤْيِيهِ - تَعَالَى - ﴿وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْكَ ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ ثُبْتُ﴾ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ﴿أَي: تَبَيَّنَ رُؤْيِي، وَإِلَّا فَلَا طَاقَةَ لَكَ﴾.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ أَي: ظَهَرَ مِنْ نُورِهِ قَدْرُ نِصْفِ أَثْمَلِيَةِ الْخَنْصَرِ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ صَحِيحِهِ الْحَاكِمِ (٥) ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بِالْقَصْرِ وَالْمَدِّ (٦)؛ أَي: مَدَكُوكَا مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا﴾ مَغْشِيًا عَلَيْهِ لَهَوْلُ مَا

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) لابن عامر.

(٣) بَدَلُ ألف قراءة أبي عمرو.

(٤) أخرجه الديلمي عن ابن عباس مرفوعًا. [الدر المنثور (٥٣٦/٣)].

(٥) وهذا فرار من المفسر من إثبات الجهة والعلو بذاته. شَيْعَانَةٌ، كما هو منهج الأشاعرة، وأما عند أهل السنة: فهم مجمعون على إثبات هذا العلو، ومهم من بَيَّنَّ الجهة لكن بقصدون بذلك إثبات العلو، ومنهم من قال في الجهة والمكان: لا ينبغي إثباتهما ولا فصلهما مطلقًا. يعني يستفصل القائل بذلك عن مراده؛ فإن أراد نفي العلو أو غيره من المعاني الباطلة ردَّ قوله، وإن أراد بذلك إثبات العلو، واقفاه، وهذا هو الصحيح - إن شاء الله.

(٦) المستدرک (٣٢٠/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعًا ذكر طرف الخنصر.

وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعًا ذكر طرف الخنصر.

وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعًا ذكر طرف الخنصر.

وفي سنن الترمذي (٣٠٠٠) قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وروى أحمد (١١٨١٢) عن أنس بن مالك مرفوعًا ذكر طرف الخنصر.

(٧) بالمد قراءة حمزة والكسائي.

رَأَى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ تَزَيُّدًا لَكَ ﴿ثُبْتُ إِلَيْكَ﴾ مِنْ سَوَالٍ مَا لَمْ أَوْمَرْ بِهِ ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فِي زَمَانِي.

[١٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَامِ﴾ أي: ألواح التوراة، وكانت من صدر الجنة، أو زبرجد، أو زمرد، سبعة أو عشرة^(١) ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ تبيينًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ بدل من الجار والمجرور ﴿قَبْلَهُ﴾ فنحنها ﴿قَبْلَهُ﴾ قلنا مقدارًا ﴿يَقُودُوا﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَمْرًا قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ فرعون وأتباعه؛ وهي: مصر؛ لتعبروا بهم.

[١٤٦] ﴿سَاصِرُفٌ عَنْ عَابَتِي﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لَكَ﴾ بأن أخذناهم؛ فلا يتكبرون فيها ﴿وَلَنْ يَرْوَوْا﴾ كَلَّ عَابَتِي لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَلَنْ يَرْوَوْا سَبِيلَ ﴿طَرِيقَ﴾ الرُّشْدِ ﴿وَلَنْ يَرْوَوْا سَبِيلَ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يسلكوه ﴿وَلَنْ يَرْوَوْا سَبِيلَ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ذلك ﴿الْصَّرَفِ﴾ بأنهم كذبوا بِعَابَتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَفِلِينَ ﴿تَقْدِمُ مَثَلَهُ﴾.

[١٤٧] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير؛ كصلة رحم وصدقة؛ فلا ثواب لهم^(٢)؛ لعدم شرطه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَجْزُونَ﴾ إِلَّا ﴿جَزَاءً﴾ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْمَعَاصِي﴾.

[١٤٨] ﴿وَأَتَّخِذَ قَوْمٌ مَوْسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنْ ثُلَيْثِهِمْ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلغة غوس^(٣)؛ فبقى عندهم ﴿عِجْلًا﴾ صاعه لهم منه السامري ﴿جَسَدًا﴾ بدل؛ لحمًا ودماغًا ﴿لَهُمْ خَوَارٌ﴾ أي: صوت يسمع؛ انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه؛ فإن أثره الحياة فيما يؤضغ فيه^(٤)، ومفعول ﴿أَتَّخَذَ﴾ الثاني محذوف؛ أي: إلها ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يتخذونها؟! ﴿أَتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ باتخاذهم.

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سَيطَ فِي آيَاتِهِمْ﴾ أي: ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوْا﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا﴾ بها، وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما^(٥) ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَامِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٦﴾ سَاصِرُفٌ عَنْ عَابَتِي الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لَكَ أَلَيْسَ لِيُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرْوَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرْوَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٧﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَأَتَّخِذَ قَوْمٌ مَوْسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَرُّوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا سَيطَ فِي آيَاتِهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾

[١٤٤] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالَتِي﴾ بالجمع والإفراد^(١) ﴿وَبِكَلِمِي﴾ أي: تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لأنهم.

(١) بالإفراد قراءة نافع وابن كثير.

(٢) والصحيح عدم تحديد شيء من ذلك من غير دليل.

(٣) في الآخرة؛ لعدم إيمانهم، ولكنهم يجازون عليه في الدنيا حتى إذا أقضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها. رواه مسلم (٢٨٠٨).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين، وظاهر الآية يقتضي أن الحلي ملك لهم؛ وأن الإضافة في قوله: ﴿ثُلَيْثِهِمْ﴾ هي إضافة الملك. لكن قولهم في آية طه: ﴿ثُمَّ لَمَّا أَوْرَازُكُم مِّنْ ذَبَابٍ فَأَنقَضُواكُمْ وَأَقْبَلَكُم مِّنْ دُونِهَا﴾ [طه: ٨٧] بإضافة الزينة إلى غيرهم وهم القبط يعكر على ذلك. وأجيب بأن قولهم يحتمل أن يكون لظنهم الحرمة لجهلهم؛ وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٥) أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿وَأَتَّخِذَ قَوْمٌ مَّوْسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ ثُلَيْثِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. قال: حين دفنوها ألقي عليها السامري قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام. [الدر المنثور (٢٣٤/٣)].

(٦) بالتاء قراءة حمزة والكسائي، وعلى قراءة الباء يكون ﴿وَرَحْمَتَنَا﴾ مرفوعًا على الفاعلية، وعلى قراءة التاء يكون منصوبًا على النداء.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِسْمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَتَجِدُكُمْ أَتَمَرِّبُونَ عَلَى الْآلُوحِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنْ الْقَوْمُ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِالْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْآلُوحَ وَفِي سُجَّتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَتَّهْلِكُهُمْ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

بهم؛ ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَأِنِّي أَتَّهْلِكُهُمْ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي﴾؟ استفهام استعطاف؛ أي: لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي: الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ أضلاله ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ هدايته ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ متولي أمورنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: ﴿بِسْمَا﴾ أي: بسبب خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ ها ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ خلافتكم هذه؛ حيث أشركتكم ﴿أَتَجِدُكُمْ أَتَمَرِّبُونَ عَلَى الْآلُوحِ﴾ (١) الألواح (٢) التوراة غضباناً لربه؛ فكتسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعره يمينه، ولحيته بشماله ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ غضباناً ﴿قَالَ﴾: يا ﴿ابْنَ أُمِّ﴾ بكسر الميم (٣) وفحتها؛ أراد: أمي، وذكروها أغطف لقلبه ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا قَارِبُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ﴾ تُفْرَح ﴿بِالْأَعْدَاءِ﴾ بإهانتك إياي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ عبادة العجل في المواجهة. [١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِإِخِي﴾ أشركته في الدعاء؛ إرضاء له ودفعاً للشتمات به ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١٥٢] قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ﴾ عذاب (٤) ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فعذبوا بالأمر يقتل أنفسهم، وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهاهم ﴿نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله؛ بالإشراك وغيره. [١٥٣] ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا عنها ﴿مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: التوبة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٥٤] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْآلُوحَ﴾ التي ألَّفها ﴿وَفِي سُجَّتِهَا﴾ أي: ما نسخ فيها؛ أي: كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون، وأدخل اللام على المفعول؛ لنقدمه.

[١٥٥] ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي: من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره - تعالى - ﴿لِمِيقَاتِنَا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه؛ ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل؛ فخرج بهم ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يزالوا قومهم حين عبدوا العجل. قال: وهم غير الذين سألوها الرؤية وأخذتهم الصاعقة (٥)، ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل خروجي

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة؛ إن الله ﷻ أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت». (المسند ٢٧١/١)، وصرحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٤).

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة.
(٢) تأويل الغضب من الله بالعذاب هذا مذهب المعتزلة، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به، ومن لازمها استحقاقهم العذاب.
(٣) أخرج عبد بن حميد وابن أبي عمير العذني في مسنده وابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: إن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم يرضوا بالعجل ولم يبهوا عنه. قلت: ولكن أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن نوف الكعالي ما يفيد أنهم هم الذين سألوها الرؤية. انظر: [الدر المنثور ٢٣٨/٣: ٢٣٩].

﴿وَأَكْتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا أَلَيْنَاكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَتَّبِعُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

[١٥٦] ﴿وَأَكْتُبْنَا﴾ أَوْجَبُ (١) ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

الْآخِرَةِ﴾ حَسَنَةً ﴿إِنَّا هُنَا﴾ ثَبَاتًا ﴿إِلَيْنَا﴾ قَالَ ﴿- تعالى -: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ غَشَتْ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٥٧] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ محمدًا ﷺ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَتَّبِعُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما حرم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ من الميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ثقلهم ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الشدائد ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كفتل النفس من التوبة، وقطع أثر النجاسة ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وَوَقَرُّوهُ ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ أي: القرآن ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

[١٥٨] ﴿قُلْ﴾ خطاب للنبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ترشدون.

[١٥٩] ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في الحكم.

[١٦٠] ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِرْقَانَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ «أَفَنَقَى عَشْرَةً» حال ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه، أي: قبائل ﴿أُمَمًا﴾ بدل مما قبله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه ﴿أَبِ أَضْرِبِ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَأَنبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿فَدَعَا كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ سبط منهم ﴿مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ في التيه، من حر الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَرَ وَالسَّلَوى﴾ «هما الترجيعين»^(١) والطير السماوي - بخفيف الميم والقصر - وقلنا لهم: ﴿كُونُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦١] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِرْيَةِ﴾ «إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ» بيت المقدس ﴿وَكُنُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا: أَمْرًا﴾ «حِطَّةً وَأَدْخُلُوا الْبَابَ» أي: باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿تَغْزُونَ﴾ بالنون والتاء مَبْنِيًّا للمفعول^(٢) ﴿لَكُمْ خُطْبَتِيكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابًا.

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حية في شجرة. ودخلوا يزحفون على أستانهم^(٣) ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِجْرًا﴾ عذابًا ﴿وَمِنَ السَّمَاءِ يَمَاسُ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦٣] ﴿وَسَأَلْنَاهُمْ يَا مُحَمَّدُ تَوْبِيحًا﴾ «عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ» مجاورة بحر القلزم؛ وهي: «أبلة»، ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يعتدون ﴿فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذْ ظُرِفَ لَـ﴾ «يَعْدُونَ» «تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا» ظاهرة على الماء «وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ» لا يعظمون السبت؛ أي: سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء من الله ﴿كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ولما صادوا السمك افترقت القرية اثلاثًا؛ ثلث صادوا معهم، وثلث نهوهم، وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي.

وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَأَنبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدَّرْنَا كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا سَالِوَهُمُ الْغَمَرَ وَالسَّلَوى كَلَامًا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خُطْيَئَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِجْرًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَاسُ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلْنَاهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

(هـ) فائدة: أخرج مسلم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن النبي ﷺ أن: «الْكُفَاةُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ». مسلم - كتاب الأشربة (٣٦) باب (٢٨) فضل الكفاة ومداواة العين بها.

(هـ) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: قال لبي إسرائيل: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ فدخلوا يزحفون على أستانهم، فبدلوا، وقالوا: حطة حية من شعيرة البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الأعراف (٧).

(١) وهو شيء حلوا كان ينزل عليهم مثل التلج.

(٢) بالناء لابن عامر ونافع، لكن ابن عامر قرأ ﴿خُطْبَتِيكُمْ﴾ بالإفراد، وقرأ أبو عمرو بالنون كالباقين لكنه قرأ ﴿خُطْبَتِيكُمْ﴾ من غير تاء على الجمع المكسر لخطيئة، كالذي في سورة البقرة.

وَأَذَقْنَا أُمَّةً مِنْهُمْ لِمَ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا سَأَلْنَا أَمَا دُكِرُوا بِهِ أُنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾
فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾
وَأَذَقْنَا دَرَكًا مِنْ رَبِّكَ لِيَبْتَغِنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يُسْأَلُ عَنْ
سُوءِ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾
وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْطًا مِنْهُمْ الصَّلَاحُونَ وَمِنْهُمْ
دُونَ ذَلِكَ وَبَوَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ
يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيَعْفَرُ لَنَا وَإِنْ
يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ
أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى
خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ ﴿١٧٠﴾

[١٦٤] ﴿وَإِذْ﴾ عطف على ﴿وَإِذْ﴾ قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ لم تصد ولم
تنه لمن نهى: ﴿لَمْ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾:
موعظتنا ﴿مَعذِرَةٌ﴾ نعتذر بها ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾ فلا ننسب إلى تقصير في ترك
النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الصيغ.
[١٦٥] ﴿فَلَمَّا سَأَلْنَا﴾ تركوا ﴿مَا دُكِرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهِ﴾ فلم

يرجعوا ﴿أُنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء
﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

[١٦٦] ﴿قُلْنَا عَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَنْ﴾ ترك ﴿مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا
قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ صاغرين؛ فكانوها، وهذا تفصيل لما قبله، قال ابن عباس:
ما أدري ما قيل بالفرقة الساكسة.

وقال عكرمة: لم تهلك، لأنها كرهت ما فعلوه، وقالت: ﴿لَمْ يَعْطُونَ﴾
البح. وروى الحاكم عن ابن عباس: أنه رجع إليه وأعجبه^(١).

[١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ﴾ أعلم^(٢) ﴿رَبِّكَ لِيَبْتَغِنَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود
﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يُسْأَلُ عَنْ سُوءِ الْعَذَابِ﴾ بالذلل وأخذ الجزية؛ فبعث
عليهم «سليمان»، وبعده «بختنصر» فقتلهم وسبواهم وضرب عليهم الجزية؛
فكانوا يؤدونها إلى الجوس إلى أن بعث نبينا ﷺ؛ فضرها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ
لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَأَذَقْنَا لَعْنَهُمْ﴾ لأهل طاعته ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم.

[١٦٨] ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمْ﴾ فرفناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أَمْطًا﴾ فرقًا ﴿وَبَوَلَّوْنَهُمْ
الصَّلَاحُونَ وَمِنْهُمْ نَاسٌ دُونَ ذَلِكَ﴾ الكفار والفساقون ﴿وَبَوَلَّوْنَهُمْ
بِالْحَسَنَاتِ﴾ بالتعم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ التعم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن فسقهم.

[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة عن آبائهم
﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: حطام هذا الشيء الدنيء؛ أي: الدنيا من
حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيَعْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ﴾
الجملة حال؛ أي: يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه،

وليس في التوراة وعْدُ المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِمْ
مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ الإضافة بمعنى: في ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
وَدَرَسُوا﴾ عطف على ﴿يُؤْخَذُ﴾ قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة
المغفرة إليه مع الإصرار؟! ﴿وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ﴾ الحرام
﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء^(٣)، أنها خير؛ فيؤثرونها على الدنيا.

[١٧٠] ﴿وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٤) ﴿بِالْكِتَابِ﴾ منهم
﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ
الْمُصَلِّينَ﴾ الجملة خبر «الذين»، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر؛ أي:
أجرهم.

(١) الحاكم (٣٥٢/٢)، وقال في التلخيص: صحيح، وأخرج نحوه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن عكرمة، وأخرج نحوه أيضًا عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن
عكرمة [الدر المنثور (٢٥٠٢/٣)، (٢٥٣)].

(٢) مفعوله محذوف، والتقدير: أعلم ربك أسلافهم.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة شعبة.

معاندة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقُونَ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الواردة بها الحديث^(١)، و﴿الْحُسْنَىٰ﴾ مؤنث «الأحسن» «قَادَعُوهُ» سَمُّهُ «يَهَا» وَدَرُوا، اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْجِدُونَ﴾ من ألحد ولحد^(٢)؛ يميلون عن الحق ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لأهلهم؛ كاللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان «سَيَجْزُونَ» في الآخرة جزاء «مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ» وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٨١] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ هم أمة محمد ﷺ؛ كما في حديث^(٣).

[١٨٢] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَاقِبَتِنَا﴾ القرآن من أهل مكة «سَنَسْتَدْرِجُهُم» نأخذهم قليلاً قليلاً «وَمِنَ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ».

[١٨٣] ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أمهلهم «إِنِّي كِيدِي مَتِينٌ» شديد لا يطاق. [١٨٤] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا «مَا يَصَاحِبُهُمْ» محمد ﷺ «وَمِنْ حَيْثُ» جنون «إِنْ» ما «هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» ينذر الإنذار.

[١٨٥] ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾ مُلْك «السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفِي مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» بيان له «مَا»؛ فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿وَفِي﴾ في «أَنْ» أي: أنه «عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ قُرْبٌ» «الْجَهَنَّمَ» فيموتوا كفاراً؛ فيصبروا إلى النار؛ فيبادروا إلى الإيمان «فِيَّايَ حَرِيصٌ بَعْدُ» أي: القرآن «يُؤْمِنُونَ».

[١٨٦] ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء والنون، مع الرفع^(٤) استئنافاً، والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء «فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ» يترددون تحيزاً.

[١٨٧] ﴿يَسْتَلُونَكَ﴾ أي: أهل مكة «عَنِ السَّاعَةِ» القيامة «إِيَّانَ» متى «مُرْسِهَا قَدْ» لهم: «إِنَّمَا عَلِمَهَا» متى تكون «عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا» بظهرها «لَوْفَهَا» اللام بمعنى: في «إِلَّا هُوَ ثَلُثٌ» عظمت «فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» على أهلها؛ لهرلها «لَا تَأْتِيكَ إِلَّا بَمَنَّةٍ» فجاءه «يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَيٌّ» مبالغ في السؤال «عَنْهَا» حتى علمتها «عَلَّ إِنَّمَا عَلِمَهَا عِنْدَ اللَّهِ» تأكيد «وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» أن علمها عنده - تعالى -.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ قَادَعُوهُمَا وَدَرُوا الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ إِنْ كِيدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حَيْثُ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ هَدْيُهُمْ فَيَكُونُوا فِي سَطْرٍ مِّنْ شَيْءٍ وَأَنْ يَضِلُّ اللَّهُ فَلَاهَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٥﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفُهَا إِلَّا هُوَ ثَلُثٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَمَنَّةٍ كَأَنَّكَ حَيٌّ عِنَّا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٦﴾

[١٧٩] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خَلَقْنَا «لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا» الحق «وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا» دلائل قدرة الله؛ بصر اعتباري «وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا» الآيات والمواعظ سماع تدبير واتعاظ «أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ» في عدم الفقه والبصر والاستماع «بَلْ هُمْ أَضَلُّ» من الأنعام؛ لأنها تَطْلُبُ مَنَافِعَهَا وَتَهْرَبُ مِنْ مَضَارِّهَا، وهؤلاء يقدمون على النار

(١) بل الأسماء أكثر من ذلك ولا يخصصها إلا الله ﷻ؛ كما في حديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَإِثْرُ عَبْدِكَ وَإِثْرُ أَفْئِكَ...» وفيه: «وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ تُسَمِّي بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْقَبْرِ عِنْدَكَ...» الحديث [رواه أحمد برقم (٣٧٠٤ - ٤٣٠٦)]. وأما حصر الأسماء في التسعة وتسعين في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره؛ فلم يصح.

(٢) يشير إلى العراةين فيها، فيفتح الحاء قرأ حمزة، من «الحدة الثلاثي».

(٣) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «هذه أمتي بالحق يحكمون ويقضون وأخذون ويعطون».

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ كان يقول إذا قرأها: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها» «وَمِنْ قَوْرِ مَوْحٍ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَعْدِلُونَ» [الأعراف: ١٥٩]. [الدر المنثور (٢/٢٧٧)].

(٤) بانون مع الرفع قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وبالياء مع الجزم قراءة حمزة والكسائي.

[١٨٨] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أجليه ﴿وَلَا ضَرًّا أَدْفَعُهُ﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ مَا غَاب عَنِّي ﴿لَنَسْتَكْثِرُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ من فقر وغيره؛ لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين وَبَشِيرٌ بالجنة ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٩] ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: آدم ﴿وَجَعَلَ خَلْقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ وبأنفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا﴾ هو النطفة ﴿فَحَمَرَتْ بِهِ﴾ ذهب وجاءت؛ لحفته ﴿فَلَمَّا أَفَلَّتْ﴾ بكبر الولد في بطنها، وأشفقا أن يكون بهيمة^(١) ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آمَنَّا بِكَ﴾ ولذا ﴿صَلَحَا﴾ سويا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك عليه.

[١٩٠] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ ولذا ﴿صَلَحَا جَعَلَا لَكُم شُرَكَاءَ﴾ وفي قراءة: بكسر الشين والتنون^(٢)؛ أي: شريكا ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾ بتسميته عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله، وليس بإشراك في العبودية؛ لعصمة آدم^(٣).

وروي سمره عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا وَلَدَتْ حَوَاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ - وَكَانَ لَا يَعْشُقُ لَهَا وَلَدًا - فَقَالَ: سُبِّحَ عَبْدُ الْحَارِثِ؛ فَإِنَّهُ يَعْشُقُ؛ فَمَسَمَتْهُ؛ فَعَاشَ؛ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرُهُ»^(٤) إرواه الحاكم، وقال: صحيح. والترمذي وقال: حسن غريب. ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: أهل مكة به من الأصنام، والجملة سببية عطف على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ وما بينهما اعتراض.

[١٩١] ﴿يُشْرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾. [١٩٢] ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي: لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾ بمنعها من أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره، والاستفهام للتوبيخ. [١٩٣] ﴿وَإِنْ دَعَوْهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى الْمَدَى لَا يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥) ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدْعَوْتُهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ أَنْتَ صَكُوتٌ﴾ عن دعائهم، لا يتبعوه؛ لعدم سماعهم.

[١٩٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ دَعَوْتَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا﴾ مملوكة ﴿أَمْثَلُكُمْ قَادَعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنها آلهة.

[١٩٥] ثُمَّ بَيَّنَّ غَايَةَ عِزِّهِمْ وَفَضْلَ عَابِدِهِمْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَيْدٍ جَمْعُ يَدٍ﴾ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ؟ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ مَوَادِّتٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ استفهام إنكاري؛ أي: ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم؟! ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ إلى هلاكهم ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُظْهِرُونَ﴾ تمهلون؛ فإني لا أبالي بكم.

(١) يشير إلى ما ورد في بعض الأحاديث والآثار والتي يفهم منها أن المراد بهذا السياق آدم وحواء، وهي وإهية الإسناد معلولة كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره، ولا يعتمد عليها؛ إذ أصلها مأخوذ من أقاصيص مثبلة أهل الكتاب، ويُقَالُ لثمة من السلف لها، وذكر كثير من المفسرين لها لا يجدي في صحتها شيئاً كما أفاده أهل التحقيق.

(٢) لنافع وشعبة.

(٣) هذا الذي احتاره المفسر من أن الكلام في آدم وحواء، وفسروا الشرك بأنه تسمية الولد «عبدالحارث» لا في الصفة والرواية. وقال آخرون: إن ما في الآيتين لا يعني آدم وزوجته، بل يعم جنس الآدميين، وبين حال المشركين من ذريتهما، وهذا الذي يعمل عليه، فقوله - تعالى -: ﴿جَعَلَا لَكُم﴾؛ يعني: الجنسين؛ أي: الذكر والأنثى الكافرين، دل على هنا قوله تعالى بعدها: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ولم يقل: «الشركاء». قال القرطبي: هذا حسن. وروى ابن كثير في تفسيره عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى زرقهم الله أولاداً فهدودوا ونصروا... قال ابن كثير: وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري - رجحه الله - في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته. ١. هـ.

(٤) الترمذي (٣٠٠٣) وأحمد (١٩٢٥٨) وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٤٧٦٩).

(٥) بالتحفيف قراءة نافع.

[١٩٩] ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ^(١) فلا تقابلهم بسفاههم.

١٦١ وَإِنِ وَلَّىٰ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ
 وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ
 وَلَا أَنفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا
 وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦٣﴾ خذ الْعَفْوَ
 وَأْمُر بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٦٤﴾ وَلَمَّا بَلَغْنَاكَ
 مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعًا فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٥﴾ إِنِ
 الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
 فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَفْوِ ثُمَّ
 لَا يَقْصُرُونَ ﴿١٦٧﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِنَايَةٍ قَالُوا أَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا
 قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ
 وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٨﴾ وَإِذَا فُرِئَ الْقُرْآنُ
 فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَادْكُرْ رَبَّكَ
 فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
 وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿١٧٠﴾ إِنِ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
 لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَهُمْ سَجِدُونَ وَلَهُ سَبْحُودٌ ﴿١٧١﴾

[٢٠١] إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا سَأَلَهُمْ ﴿طَائِفٌ﴾^(١) وَفِي قِرَاءَةِ: ﴿طَائِفٌ﴾ أي: شيءٌ أَلَمَ بِهِمْ ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكُّرًا﴾ عقابُ اللهِ وَثَوَابُهُ ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْشِرُونَ﴾ الحقُّ من غيره؛ فيرجعون.

[٢٠٢] ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ أي: إخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمْدُونَهُمْ﴾ أي: الشياطين ﴿فِي اللَّيْلِ نَمُّهُمْ﴾ هم ﴿لَا يُفْصِرُونَ﴾ يكفون عنه بالبصير؛ كما تبصر التتقون.

[٢٠٣] ﴿وَرَادَا لَمْ يَأْتِيَهُمَا﴾ أي: لأهل مكة ﴿يَنَابِئُ﴾ بما اقترحوا ﴿قَالُوا﴾
 ﴿تَوَلَّوْا﴾ هَلَّا ﴿أَخْبَيْنَاهُمَا﴾ أنشأهما من قبل نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا أُنِيبُ﴾
 ﴿مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ وليس لي أن أتى من عند نفسي بشيء ﴿هَذَا﴾
 ﴿الْقُرْآنُ بَصَائِرُ﴾ حُجَّتْ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٠٤] وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ۚ عَنِ الْكَلَامِ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ۚ نَزَلَتْ فِي تَرْكِ الْكَلَامِ فِي الْخَطِيئَةِ (١) وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْقُرْآنِ، لاشتغالها عليه، وقيل: في قراءة القرآن مطلقاً (٢).

[٢٠٥] ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أي: سرًّا **نَضْرَعًا** تذللاً **وَحِيقَةً** خوفاً منه ﴿وَفَوْقَ السَّرِّ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي: قصداً بينهما **بِالْأَذْوَرِّ وَالْأَصَالِ** أوائل النهار وأواخره **وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ** عن ذكر الله.

[٢٠٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ يُسَبِّحُونَهُ يزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَمْ يَسْجُدُوا﴾ أي: يخصونه بالخشوع والعبادة، فكأنوا مثلهم.

[١٩٦] إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهِ ﴿١﴾ متولي أموري ﴿٢﴾ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ﴿٣﴾ الْقُرْآنَ ﴿٤﴾ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿٥﴾ بحفظه.

[١٩٧] ﴿وَالَّذِينَ نَادَعُوا مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَهْتَئِذٍ فِيكُمْ ذُرًى وَمَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ فكيّف بأبالي بهم.

[١٩٨] ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَىٰ هَذَا لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ﴾
أي: الأصنام يا محمد ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يقابلونك كالناظر ﴿وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾.

(٥) فائدة: أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم عيينة بن حصص بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس - وكان من النفر الذين يدينهم عمر، وكان القراءة أصحاب مجالس عمر ومشاورة كهولاً كانوا أو شباناً - فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر. فلما دخل عليه قال: هين يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطيني الجزل، ولا تحكم بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: **خُذِ الْقَفْظَ وَأَمْسِكْ بِالْأَمْرِ** وأقرض **الْمُهْلِكِ** ﷺ، وإن هذا من الجاهمين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقفاً عند كتاب الله. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الأعراف (٧) باب (٥)، **خُذِ الْقَفْظَ وَأَمْسِكْ بِالْأَمْرِ**.

(١) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أخرجه نحوه ابن مردويه عن ابن عباس، وأخرجه نحوه أيضاً ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس، ففي هذه الآثار ما يفيد أن الإصبات للقراءة في الصلاة وللخطبة على النساء. [الدر المنثور (٨٧٣/٢)]، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٨٧/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٦/٥)، والطبري في جامعه (١١٠/٩). والبيهقي في الكبرى (١٥٥/٢) وغيرهم من طرق عن مجاهد. وهو صحيح يجموعها عن مجاهد.

(٣) ويدخل في ذلك دخولاً أولياً متأكداً الاستماع والإنصات للإمام إذا قرأ في الصلاة الجهرية، وهذا القول بالعموم هو الأرجح، واختاره غير واحد من المفسرين.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

[مدنية، أو: إلا ﴿وإذ يصر بك﴾ الآيات السبع؛ فمكية، خمس أو ست أو سبع وسبعون آية، نزلت بعد البقرة^(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر، فقال الشبان: هي لنا؛ لأننا باشرنا القتال.

وقال الشيوخ: كنا ردنا لكم تحت الرايات، ولو انكشفتهم لقتلنا؛ فلا تستأثروا بها.

[١] فنزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ يَا مُحَمَّدٌ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلْ لَهُمُ: ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ﴾ يجعلها حيث شاء ﴿وَالرَّسُولُ﴾ يقسمها بأمر الله^(٢)؛ فقسمها ﷺ بينهم على السواء [رواه الحاكم في المستدرک^(٣)] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وأصلحوا ذات بينكم، أي: حقيقة ما بينكم، بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿حَقًّا﴾ [٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أي: وعيده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتَهُ رَأَوْهُمْ إِيمَانًا﴾ تصديقًا ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ به يثقون، لا بغيره. [٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقًا بلا شك ﴿هُمْ دَرَجَتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة. [٥] ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أخرج» ﴿وَأَنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ الخروج، والجملة حال من كاف ﴿أَخْرَجَكَ﴾ و﴿كَمَا﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم، وقد كان خيرًا لهم؛ فكذاك أيضًا، وذلك أن أبا سفيان قدم يغير من الشام، فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها، فعلمت قريش، فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة؛ ليزبوا عنها؛ وهم: النفي، وأخذ أبو سفيان بالغير طريق الساحل؛ فنجت؛ فقبل لأبي جهل: ارجع. فأبى، وسار إلى بدر؛ فاشاور النبي ﷺ أصحابه، وقال: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ؛ فَوَافَقَهُ عَلَى قِتَالِ النَّفِيرِ^(٤)»، وكره بعضهم ذلك، وقالوا: لم نستعد له. كما

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَدَّ ذَاتَ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ يَكْفِيتَهُ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ وَيَبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

قال - تعالى: [٦] ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ القتال ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليه عيانًا في كراهتهم له. [٧] ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنْ غَدَّ ذَاتَ الشَّوْكَةِ﴾ أي: البأس والسلاح؛ وهي: العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلعة عددها ومددها؛ بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ﴾ يظهره ﴿يَكْفِيتَهُ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ آخرهم؛ بالاستئصال؛ فأمركم بقتال النفير [٨] ﴿لِيُخَيِّقَ﴾

(٥) ما جاء في نزول السورة: خرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنه سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عباد بن الصامت عن الأنفال فقال: فيها معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في الفل وسأيت فيه أخلاقنا. أحمد - المسند (٣٢٢/٥). وأخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي (٣٢٦/٢). وأخرج أحمد أيضًا عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتل سعيد بن العاص وأخذت سيفه - وكان يسمى ذا الكتيبة - فأنبت به نبي الله ﷺ قال: «ذهب فاطرحه في القبض» قال: فرجعت وبني ما لا يعمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلسي. قال: فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال. فقال لي رسول الله ﷺ: «ذهب فخذ سيفك». أحمد. المسند (١٨٠/١). وأخرجه مسلم. كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (١٢) الأنفال وفيه: نزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٥): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من فعل كذا وكذا فعل من النفل كذا وكذا». قال: فقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات، فلم يرموها، فلما فتح الله عليهم قال المشيخة: كنا ردنا لكم، لو انهزمت لقتلنا، فلا تذهبوا بالغنم وبقى، فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا، فأنازل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾ إلى قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ يقول: فكان ذلك خيرًا لهم، فكذاك أيضًا فأطيعوني فإني أعلم بما عاقبه هذا منكم. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٥٦) في النفل (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٧٦).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة عن عباد بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدراء، فالتقى الناس، ففهم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفته الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن -

(١) المستدرک (٣٢٦/٢)، وروى نحوه أحمد (٢١٦٨٥، ٢١٦٩١) عن عباد بن الصامت، وكذلك ابن مردويه عن عائشة [الدر المنثور (٢٩٤/٣)] وصححه الألباني في فقه السيرة بلفظ: «قسمهما رسول الله ﷺ بين المسلمين».

(٢) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿١﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى
وَلِتُظْمِنَ بِهِ فُؤُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾ إِذْ يُغَشِّبُكُمُ الْغَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كَرِّمَهُ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ
رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ
﴿٣﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ
ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا
فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾ ذَلِكَ كَذُوبُهُمْ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿٧﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾

أَلْحَقْ وَيُطِيلُ ﴿١﴾ يحق ﴿٢﴾ الْبَطْلُ ﴿٣﴾ الكفر ﴿٤﴾ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥﴾ المشركون
ذلك.

[٩] اذكر ﴿١﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴿٢﴾ تطلبون منه العون بالنصر عليهم ﴿٣﴾

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مُمِدُّكُمْ﴾ معينكم ﴿بِالْفِ﴾
الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿١﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً، وعدهم بها أولاً، ثم
صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة؛ كما في آل عمران، وقرئ: ﴿بِالْفِ﴾ (١)
كـ «أفلس» جمع. [١٠] ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَى
وَلِتُظْمِنَ بِهِ فُؤُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.
[١١] اذكر ﴿١﴾ إِذْ يُغَشِّبُكُمُ الْغَاسَ أَمَنَةً ﴿٢﴾ أمناً مما حصل لكم من الخوف
﴿وَمِنَهُ﴾ - تعالى - ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كَرِّمَهُ﴾. من الأحداث
والجنابات ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوسته إليكم؛ بأنكم لو كنتم على
الحق ما كنتم ظمأى محدثين، والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾ يحبس ﴿عَلَى
قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أن تسوخ في الرمل.

[١٢] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِّي﴾
أي: بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالإعانة والتبشير
﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ﴾ أي: الرؤوس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: أطراف اليدين
والرجلين؛ فكان الرجل يقصد ضرب رقبته الكافر؛ فتسقط قبل أن يصل إليه
سيفه (٢)، ورامهم ﴿بِقَبْضَةٍ مِنَ الْحَصَى﴾ فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه
منها شيء؛ ففهموا (٣). [١٣] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا﴾
خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[١٤] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ
لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابُ النَّارِ﴾. [١٥] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ أي: مجتمعين؛ كأنهم لكثرتهم يرحفون ﴿فَلَا
تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين.

[١٦] ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ (٤) أي: يوم لقائهم ﴿يُذْهِبُهُمْ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾
منعطفًا ﴿لِقِتَالٍ﴾ بأن يريهم القوة مكيدة، وهو يريد الكرّة ﴿أَوْ مُتَحَيِّرًا﴾
منعطفًا ﴿إِلَى فِئَةٍ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رجع
﴿بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي، وهذا
مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعيف.

= نفينا عنها العدو وهزناهم. وقال الذين أحذقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحب بها منا، نحن أحذقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به. فنزلت: ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾. فقسما رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين. قال: وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدو نقل الربع، وإذا أقبل راجعاً وكل الناس نقل الثالث. وكان يكره الأنفال. ويقول: «ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم». أحمد - المسند (٣٢٤/٥)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١٣٦، ١٣٥/٢)، وصححه ابن حبان (الإحسان: ١٦٩٣).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرجه مسلم عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً - فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أجز لي ما وعدتني. اللهم أت ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعدي في الأرض». فما زال يهتف بربه، ماذا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر، فأخذ رداؤه فلقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كفكنا مناشدتك ربك، فإنه سيسجز لك ما وعدك. فانزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ فأمد الله باللائكة.

قال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه. وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقاً. فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين. مسلم - الجهاد والسير (٣٢) باب (١٨) الإمداد باللائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرجه أبو داود عن أبي سعيد قال: نزلت في يوم بدر. . . ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ يُذْهِبُهُمْ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٠٦) في التولي يوم الزحف. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٠٦).

(١) وهي قراءة شاذة. (٢) أخرجه ذلك أبو الشيخ وابن مردويه عن أبي أمامة بن سهل الأنصاري عن أبيه. [الدر المنثور (٣٣/٤)]، ويشهد له ما رواه مسلم عن ابن عباس ﷺ قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ، يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيزوم فنظر إليه؛ فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه... الحديث» وتقدم تخريجه قريباً في أسباب النزول. (٣) روى ذلك الطبراني بإسناد حسن والواقدي وابن جرير الطبري وغيرهم. وعند مسلم أنه ﷺ فعل ذلك وقاله يوم حنين؛ فيحتمل تكرار الأمر منه ﷺ في الغزوات. (مسلم ١٧٧٧).

[١٧] ﴿فَلَمَّا تَفَتَّلُوهُمْ﴾ بيدر بقوتكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلَّهٗمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى؛ لأن كُفَا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بَشَرٍ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ بإبصار ذلك إليهم؛ فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءٌ﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْعُثُ﴾ لأقوالهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بأحوالهم.

[١٨] ﴿ذَلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوْهِنٌ﴾ مضعف ﴿كَيِّدُ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٩] ﴿إِنْ تَسْتَغِيثُوا﴾ أيها الكفار؛ إن تطلبوا الفتح؛ أي: القضاء؛ حيث قال أبو جهل منكم: «اللهم أينما كان أقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة»^(١)؛ أي: أهلكه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك؛ وهو: أبو جهل ومن قُبل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَأِنْ تَنْهَوْا﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا ﴿لِقَالِ النَّبِيِّ ﷺ﴾ ﴿تَعُدُّ﴾ لنصره عليكم ﴿وَأَنْ تَقْبَلُوا﴾ تدفع ﴿عَنْكُمْ﴾ ففتحكم ﴿جَمَاعَاتِكُمْ﴾ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿بَكْسَر﴾ «إِنْ» استئنافاً، وفتحها على تقدير اللام^(٢).

[٢٠] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواظ.

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاض؛ وهم: المنافقون أو المشركون.

[٢٢] ﴿إِنَّ سَرَّ الْأَوَائِبِ عِنْدَ اللَّهِ الْهُمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿أَلَيْكُمْ﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضاً، وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عنه ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عناداً وجحوداً.

[٢٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين؛ لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُ

فَلَمَّا تَفَتَّلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلَّهٗمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوْهِنٌ كَيْدُ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَغِيثُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ سَرَّ الْأَوَائِبِ عِنْدَ اللَّهِ الْأَصْمُ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ وَآيِهِ تَحْشُرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجاريكم بأعمالكم.

[٢٥] ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ إن أصابتكم ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بن تَعْمُهم وغيرهم، واتفقوا بانكار موجبها من المنكر ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

(١) ما حاه في نزول الآية (١٩): أخرجه أحمد في المسند عن عبد الله بن ثعلبة بن ضمر - بهجمة مصغراً - أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة: فكان المستفتح. (المسند ٤٣١/٥)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣٢٨/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن إسحاق في المغازي (٢٧٠/٢) وفيه عنده زيادة: «...» وكان ذلك استفتاحه، فأزل الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغِيثُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾.

(٢) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو وابن كثير.

(٣) روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هم نفر من بني عبد الدار. صحيح البخاري (٤٦٤٦).

تَعُوذُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَ﴿١﴾ لَا تَحْزَنُوا أَمَّا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ ما ائتمتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمُولُكُمْ وَأُولَئِكُمْ فَتَنَةٌ لَكُمْ، ضَاةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه؛ بمراعاة الأموال والأولاد والحيانة لأجلهم.

[٢٩] ﴿وَنَزَلَ فِي تَوْبَتِهِ﴾: ﴿يَأْتِيهَا الْيَتِيمَ أَمْسُوا إِنْ تَشَاءُوا اللَّهَ﴾ بالإبانة وغيرها ﴿يَعْمَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون؛ فتجنون ﴿وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٠] ﴿وَقَدْ أَذَكَّرَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿وَأَذَى يَمَكُرُ بِكَ الْيَتِيمَ كَفَرُوا﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿لِيُتَبَوَّكَ﴾ يوتفوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ قتلهم قتل رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمَكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمَكُرُ اللَّهُ﴾ بهم؛ بتدبير أمرك؛ بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٣١] ﴿وَإِذَا نُنَاقِلُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قاله النضر بن الحارث؛ لأنه كان يأتي الحيرة، يخرجه؛ فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة ﴿إِن﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَصْطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

[٣٢] ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ المنزل ﴿مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على إنكاره، قاله النضر وغيره استهزاء وإيهاماً أنه على بصيرة، وجزم ببطلانه. قال - تعالى - [٣٣] ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِعَذَابِهِمْ﴾ بما سألوهم ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل غم، ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيا والمؤمنين منها ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِعَذَابِهِمْ وَهُمْ يَسْتَعْفِفُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك غفرانك. وقيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم. كما قال - تعالى - : ﴿لَوْ تَرَكْنَا لَعَذَابُ الْيَتِيمَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٥).

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَذَفَكُمْ النَّاسُ فَتَأْوَلَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُصْرِهِمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَحْزَنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَتَحْزَنُوا أَمَّا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمُولُكُمْ وَأُولَئِكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَشَاءُوا اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ وَأَذَى يَمَكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُتَبَوَّكَ أُوْقَتْلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥﴾ وَإِذَا نُنَاقِلُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَصْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِعَذَابِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٨﴾

[٢٦] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخَذَفَكُمْ النَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَتَأْوَلَكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ قواكم ﴿يُصْرِهِمْ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه. ونزل في أبي لبابة مروان ابن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة؛ لينزلوا على حكمه؛ فاستشاروه؛ فأشار إليهم أنه الذبيح؛ لأن عياله وماله فيهم. [٢٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

(٥) ما جاء في زول الآيتين (٣٣، ٣٤): أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فنزلت: ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِعَذَابِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعُذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٣)، وباب (٤).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤٦/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٤/٥) والسيوطي في الدر المنثور (٤٨/٤)، وإسناده ضعيف.

(٢) لم أجده.

(٣) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به. شتيخاته، وهي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه صفات مجردة بدون ذكر متعلقها؛ وكذا لا يشق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر، ولا مخادع.

(٤) أخرجه نحوه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي. وليس فيه ذكر الانحياز بالكتب وإنما فيه سماعه لسجع أهلها وكلامهم - [الدر المنثور (٣٢٧/٣)]. وإسناده ضعيف جداً كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢٣٢/٢).

(٥) الفتح: ٢٥.

[٣٤] ﴿وَمَا لَهُمْ أَهٌ نَّ﴾ لَا يَعْلَمُهُمُ اللَّهُ ﴿بِالسَّيْفِ بَعْدَ خُرُوجِكَ، والمستضعفين، وعلى القول الأول: هي ناسخة لما قبلها، وقد عذبهم الله بيدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يَمْنَعُونَ النَّبِيَّ ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَنْ يَطُوفُوا بِهِ ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كَمَا زَعَمُوا ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَفِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنْ لَا وَلَايَةَ لَهُمْ عَلَيْهِ. [٣٥] ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾ صَفِيرًا ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تَصَفِيفًا أَيْ: جَعَلُوا ذَلِكَ مَوْضِعَ صَلَاتِهِمْ الَّتِي أَمَرُوا بِهَا^(١) ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ بيدر ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿إِنَّ الْبَيْتَ كَفَرُوا يُفْشِقُونَ أَمْرَهُمْ﴾ فِي حَرْبِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ﴾ نَدَامَةً؛ لِفَوَاتِهَا وَفَوَاتِ مَا فَصَدُوهُ ﴿ثُمَّ يُقَالُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْهُمْ ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿يُحْتَرُونَ﴾ يَسْأَوُونَ. [٣٧] ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ«تَكُونُ» بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ^(٢)؛ أَيْ: يَفْصِلُ ﴿الْخَبِيثَ﴾ الْكَافِرَ ﴿وَالطَّيِّبَ﴾ الْمُؤْمِنَ ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جِمَاعًا﴾ يَجْمَعُهُ مَتْرَاكَمَا بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَ هُمُ الْخَبِيرُونَ﴾.

[٣٨] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كَأَنِّي سَفِيَانٌ وَأَصْحَابِي: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عَنِ الْكُفْرِ وَقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿يَغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ﴿وَإِنْ يَبْغُوا﴾ إِلَى قِتَالِهِ ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَيْ: سُنَّتُنَا فِيهِمْ بِالْإِهْلَاكِ؛ فَكَذَا نَفْعَلُ بِهِمْ.

[٣٩] ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾ تَوْجِدَ ﴿فِتْنَةً﴾ شَرَكٌ ﴿وَيَكُونُوا﴾ الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمْ وَحْدَهُ، وَلَا يَمِيدُ غَيْرُهُ ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ عَنِ الْكُفْرِ ﴿قَارَبَ اللَّهُ يَمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ﴾ فَيَجَازِيهِمْ بِهِ.

[٤٠] ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ نَاصِرَكُمْ وَمُتَوَلِّي أُمُورِكُمْ ﴿وَيَعْمُ الْمَوْلَى﴾ هُوَ ﴿وَيَعْمُ النَّصِيرُ﴾ أَيْ: النَّاصِرُ لَكُمْ.

وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ وَإِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَفِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْشِقُونَ أَمْرَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جِمَاعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَ هُمُ الْخَبِيرُونَ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونُوا الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمْ فَإِنْ أَنْتَهُوا قَارَبَ اللَّهُ يَمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ

(١) قال القرطبي: ... وفي معنى الآية رد على الجهال من المصوفة الذين يرقصون ويصفقون، وذلك كله منكر ينتزه عن مشه العفلاء، وينسبه فاعله بالمشركون فيما كانوا يفعلونه عند البيت اهـ.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي، فتكون هكذا: ﴿يُعْشِرُونَ﴾.

المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه، من أن لكل خمس الخمس، والأحماس الأربعة الباقية للغنائم. **﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾** فاعلموا ذلك **﴿وَمَا﴾** عطف على **﴿بِاللَّهِ﴾** **﴿أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾** محمد ﷺ من الملائكة والآيات **﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾** أي: يوم بدر الفارق بين الحق والباطل **﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾** المسلمون والكفار **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** ومنه نصركم مع قتلهم وكثرتهم.

[٤٢] **﴿إِذْ﴾** بدل من **﴿يَوْمَ﴾** **﴿أَنْتُمْ﴾** كاثون **﴿بِالْعُدُوِّ الَّذِينَ﴾** القرى من المدينة؛ وهي - بضم العين وكسرها^(١) - : جانب الوادي **﴿وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوءِ﴾** البغدى منها **﴿وَالرَّكْبُ﴾** العير كاثون بمكان **﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾** مما يلي البحر **﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ أَنْتُمْ وَالنَّفِيرَ لِلْقِتَالِ﴾** لاختلفت في الميعاد ولكنكم جمعكم بغير ميعاد **﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا﴾** في علمه؛ وهو: نصر الإسلام ومحق الكفر، فعمل ذلك **﴿لِيَهْلِكَ﴾** يكفر **﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** أي: بعد حجة ظاهرة قامت عليه؛ وهي: نصر المؤمنين مع قتلهم على الجيش الكثير **﴿وَيُحْيِي﴾** يؤمن **﴿مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**.

[٤٣] اذكر **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ﴾** أي: نومك **﴿فَلَيْلًا﴾** فأخبرت به أصحابك؛ فسروا **﴿وَلَوْ أَرَادْتُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ﴾** جبشتم **﴿وَلَنَنزِعَنَّ﴾** اختلفتم **﴿فِي الْأَمْرِ﴾** أمر القتال **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾** كنم من الفشل والتنازع **﴿إِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** بما في القلوب.

[٤٤] **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾** أيها المؤمنون **﴿إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قِيلًا﴾** نحو سبعين، أو مائة، وهم ألف؛ لتقدموا عليهم **﴿وَقَلَّلَكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾** ليقدّموا ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياهم مثلهم؛ كما في آل عمران **﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾** نصير **﴿الْأُمُورُ﴾**.

[٤٥] **﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾** جماعة كافرة **﴿فَاتَّبَعُوا﴾** لقتالهم ولا تنهزموا **﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾** ادعوه بالنصر **﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾** تفوزون.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ ولذي القربى **﴿وَالْيَتَامَى﴾** وأبناء السبيل **﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾** والله على كل شيء قدير **﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الَّذِينَ هُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوءِ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنَّ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ وَلَنَنزِعَنَّكُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلَّلَكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾** **﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاتَّبَعُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾**

[٤١] **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾** أخذتم من الكفار قهراً **﴿مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾** يأمر فيه بما يشاء **﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾** قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب **﴿وَالْيَتَامَى﴾** أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء **﴿وَالسَّبِيلِ﴾** ذوي الحاجة من المسلمين **﴿وَأَبْنَاءُ السَّبِيلِ﴾**

[٤٦] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ غلبوا ﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قوتكم ودولتكم ﴿وَأَصِيرُوا إِنْ اللَّهُ مَعَ الْفَظِيرِينَ﴾ بالنصر والعون.

[٤٧] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ليمنعوا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطَرًا وَرِيَاءَ النَّاسِ﴾ حيث قالوا: لا نرجع حتى نشرب الخمر، وننحر الجزور، وتضرب علينا القيان^(١) يدر فتسمع بذلك للناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالباء والتاء^(٢) ﴿يُحِيطُ﴾ علماً فيجازيهم به.

[٤٨] ﴿وَوَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين - لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر - ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ أَيُّومَ﴾ مِنَ النَّاسِ وَإِنْ جَارَ لَكُمْ﴾ من كنانة، وكان أنهم في صورة سراقه بن مالك سيّد تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ﴾ التقت ﴿الْفِتْنَتَانِ﴾ المسلمة والكافرة، ورأى الملائكة وكانت يده في يد الحارث بن هشام ﴿تَكْصُ﴾ رجع ﴿عَنِ عَقْبِيهِ﴾ هارباً ﴿وَقَالَ﴾ - لما قالوا له: أتخذلنا على هذه الحال؟! - ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ من جواركم ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة^(٣) ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أن يهلكني ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٤٩] ﴿وَإِذْ يَكْفُرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿ضعف اعتقاد:﴾ عَرَّ هَؤُلَاءِ أَي: المسلمين ﴿دِينَهُمْ﴾ إذ خرجوا مع قتلهم بقاتلون الجمع الكثير توهمًا أنهم ينصرون بسببه، قال - تعالى - في جوابهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يثق به، يغلب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

[٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَكَّى﴾ بالياء والتاء^(٤) ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُفُونَ﴾ حال ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَذْنَهُمْ﴾ بمقامع من حديد ﴿وَيَقُولُونَ لَهُمْ﴾ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ أَي: النار، وجواب ﴿لَوْ﴾ لرأيت أمراً عظيماً.

[٥١] ﴿ذَلِكَ﴾ التعذيب ﴿يَمَّا قَتَمَتْ أَيْدِيَكُمْ﴾ عبر بها دون غيرها؛ لأن أكثر الأعمال نزاول بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنْ اللَّهُ مَعَ الْفَظِيرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ أَيُّومَ مِنَ النَّاسِ وَإِنْ جَارَ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِتْنَتَانِ تَكْصُ عَلَى عَقْبِيهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ عَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَكَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُفُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْنَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ يَمَّا قَتَمَتْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ كَذَّابٌ عَلَى فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

[٥٢] ذَابَ هَؤُلَاءِ ﴿كَذَّابٌ﴾ كعادة ﴿عَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ جملة ﴿كَفَرُوا﴾ وما بعدها: مفسرة لما قبلها ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على ما يريد ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

(١) جمع «فَيْن»، «القَيْنَة»: هي الأمة المملوكة الغنية. وقيل: «لو كانت غير مغنية»، «القَيْن»: العبد.

(٢) ظهره أهما سبعيتان، وليس كذلك، بل التاء الفوقية لم يقرأ بها أحد من السبعة ولا العشرة، فذكرها سبق قلم.

(٣) أخرج نحوه الطبري مختصراً في جامع البيان (١/٤١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١/٥) دون ذكر سراقه والحارث. وحسن صاحب الاستيعاب إسناد (٢٤١/٢).

(٤) بالتاء قراءة ابن عامر.

[٥٤] ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

[٥٥] ﴿وَنَزَلَ فِي قِرْطَةَ^(١)﴾: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٦] ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَاهِدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله في عذرهم.

[٥٧] ﴿فَإِذَا مَا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية في ﴿مَا﴾ المزيدة ﴿تَنْقُضْتُمْ﴾ تجدنهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَتَرَدُّ﴾ فرق ﴿بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ﴾ من الحاربيين؛ بالتسكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يَذْكُرُونَ﴾ يتعطلون بهم.

[٥٨] ﴿وَإِنَّمَا تَخَافُونَ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بأمرة تلوح لك ﴿فَإِذْ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ حال؛ أي: مستويا أنت وهم في العلم بنقض العهد؛ بأن تعلمهم به؛ لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾.

[٥٩] ﴿وَنَزَلَ فِيمَنْ أَفْلَتَ يَوْمَ بدر^(٢)﴾: ﴿وَلَا تَحْصِينَ﴾^(٣) يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا﴾ الله؛ أي: فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ لا يفوتونه، وفي قراءة: بالتحثانية، فالفعول الأول محذوف؛ أي: أنفسهم، وفي أخرى: بفتح ﴿إِنْ﴾^(٤) على تقدير اللام.

[٦٠] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ لقتالهم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ: ﴿هِيَ الرُّغْمِي﴾ [رواه مسلم]^(٥) ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ مصدر؛ بمعنى: حبسها في سبيل الله ﴿تَرْهَبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: غيرهم؛ وهم: المنافقون، أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُمْلِكُونَ﴾ تنقصون منه شيئا.

[٦١] ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾ بكسر السين وفتحها^(٦)؛ الصلح ﴿فَاجْتَنِبْهُمْ﴾ وعاهدهم، وقال ابن عباس: هذا منسوخ بآية السيف. وقال مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب؛ إذ نزلت في بني قريظة^(٧) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثنى به ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^(٨) كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ^(٩) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ^(١٠) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَاهِدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ^(١١) فَإِذَا تَنْقَضَتْ عَنْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَتَرَدُّ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ^(١٢) وَمَا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ^(١٣) إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ^(١٤) وَلَا يُحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنْهُمْ لَا يُعْجِزُونَ^(١٥) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ^(١٦) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِبْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(١٧)

[٥٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي: بسبب أن ﴿اللَّهُ لَمْ يَكُ مُعَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفراً؛ كتبديل كفار مكة إطاعتهم من جوع وأمنهم من خوف وَتَعَثَّ النبي ﷺ إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَاهِدَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٦] [الدر المنثور (٣/٣٤٧)].

(٢) ذكر نحوه البغوي في تفسيره (٣/٣٦٩).

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) لأن عامر.

(٥) أخرجه نحوه مسلم (٣٥٤١) عن عتبة بن عامر مرفوعاً.

(٦) بالكسر لشعبة.

(٧) قال ابن كثير: وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر، وذكرها مكتنف لهذا كله. ثم قال معلقاً على القول بالنسخ: «وفيه نظر أيضاً؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيراً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص. والله أعلم». اهـ.

[٦٢] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِمْ كَافٍ﴾ كافٍ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. بالصلح؛ ليستعدوا لك ﴿فَلَنْ يَنْصُرَهُمُ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِمْ كَافٍ﴾. وبالمؤمنين.

[٦٣] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمَرُوا بِالْقَوْلِ الْغَيْرِ الْمُبِينِ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحسان ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ بِقُدْرَتِهِ﴾. بَيْنَ قُلُوبِهِمْ. غالب على أمره ﴿حِكْمُهُمْ﴾ لا يخرج شيء عن حكمته.

[٦٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَسْبُكَ اللَّهُ وَهُوَ حَسْبُكَ﴾ حَسْبُكَ ﴿مَنْ أَتَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٦٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَرِّصْ عَلَى الْقِتَالِ﴾ حَرِّصْ ﴿لِلْكَفَّارِ﴾. إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَعْلَمُوا بِأَمْنَتِي مِنْهُمْ ﴿وَإِنْ يَكُنْ بِأَلْيَاءٍ وَآلِيَاءُ﴾ (١) ﴿مِنْكُمْ يَأْتِيهِمْ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وهذا خبر؛ بمعنى الأمر؛ أي: ليقاتل العشرون منكم المائتين، والمائة ألف ويقتلوا لهم، ثم يُخْبِرُ - لا تَكْثُرُوا - بقوله: [٦٦] ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ شُعْفًا﴾ بضم الضاد وفتحها (٢)، عن قتال عشرة أمثالكم (٣) ﴿وَإِنْ يَكُنْ بِأَلْيَاءٍ وَآلِيَاءُ﴾ (٤) ﴿مِنْكُمْ يَأْتِيهِمْ صَابِرَةٌ يَعْلَمُوا بِأَمْنَتِي﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَعْلَمُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته؛ وهو: خبر بمعنى الأمر؛ أي: ليقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بعونه.

[٦٧] ﴿وَنَزَلَ - لَمْ أَخَذُوا الْفِدَاءَ مِنْ أَسْرَى بَدْرٍ﴾ (٥): ﴿مَا كَانَتْ لِيَنْتَ أَنْ تَكُونَ﴾ بالباء والياء (٦) ﴿لَهُمْ أَسْرَى حَتَّى يَخْرُجَ فِي الْأَرْضِينَ﴾ يبلغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الَّذِينَ﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الْآخِرَةَ﴾ أي: ثوابها بقتلهم (٧) ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا منسوخ بقوله: ﴿لِيَأْمُرًا مَّا بَعْدَ وَلِيًّا فِدَالَةً﴾ (٨).

[٦٨] ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٦٩] ﴿لَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا لَيْسَ بِأَنْتُمْ وَاللَّهُ لَمَّا غَنِمُوا رِجْمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٦٥، ٦٦): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَعْلَمُوا بِأَمْنَتِي﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف، فقال: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ شُعْفًا﴾ فإن يَكُنْ مِنْكُمْ صَابِرَةٌ يَعْلَمُوا بِأَمْنَتِي. قال: فلما خفف الله عنهم العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٧).

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (٦٧ - ٦٩). أخرجه مسلم عن ابن عباس قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا بني الله، هم أبو بكر، ولكي أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم؛ فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسيته لعمر فأضرب عنقه؛ فون هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يكيان. قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء أتت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تابكت ليكأنكما. فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة». شجرة قريبة من بني الله ﷺ وأمر الله ﷺ: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنْتَ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ أَسْرَى حَتَّى يَخْرُجَ فِي الْأَرْضِينَ﴾ إلى قوله: ﴿لَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا لَيْسَ بِأَنْتُمْ وَاللَّهُ لَمَّا غَنِمُوا رِجْمٌ﴾ (١٨) الإمداد باللائحة.

وأخرج الترمذي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم تزل الغنائم لأحد سود الرؤوس من فلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها» قال سليمان الأعمش: فمن يقول هذا إلا أبو هريرة الآن، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تزل لهم؛ فأمر الله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٩) سورة الأنفال. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٦٣).

(١) بالباء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم.

(٣) بالباء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) أخرجه مسلم (٣٣٠٩) عن عمر بن الخطاب.

(٥) بالباء قراءة أبي عمرو.

(٦) القتال: ٤.

يَمَّا أَجَذَ مِنْكُمْ. من الفداء؛ بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثبتكم في الآخرة
وَيَغْفِرَ لَكُمْ. ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ عَفَّورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[٧١] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي: الأسرى ﴿يُخَانَتُكَ﴾ بما أظهروا من القول
﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ﴾ بدر؛ قتلاً
وأسراً؛ فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في
صنعه.

[٧٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ النبي ﷺ ﴿وَنَصَرُوا﴾ وهم الأنصار
﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصر والإرث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾
مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ ﴿بِكسر الواو وضحتها﴾ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم
وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَقٌّ يُهَاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بآخر
السورة ﴿وَلَنْ أَسْتَصِرَّكُمْ فِي الَّذِينَ قَعَلْتُمْ﴾ النصير ﴿لهم على الكفار﴾ إلا
على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد؛ فلا تصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم
﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِ أَوْلِيَاءِ بَعْضٍ﴾ في النصر والإرث؛ فلا
إرث بينكم وبينهم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: تولى المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُنْ
فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا
وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

[٧٥] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ أي: بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة
﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُوا
الْأَرْثِ﴾ ذوو القربات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في الإرث؛ من التوارث في
الإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ
﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ﴾ ومنه حكمة الميراث.

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ
فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ
وَاللَّهُ عَفَّورٌ رَّحِيمٌ ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ
مِنْ قَبْلُ فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا
وَإِنْ أَسْتَصِرَّكُمْ فِي الَّذِينَ قَعَلْتُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ قِسْقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِبَعْضِ أَوْلِيَاءِ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي
الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ وَأُولُوا الْأَرْثِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[٧٠] ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ يَت﴾ [الأسارى] (١) وفي قراءة:
﴿الأسرى﴾ ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَكَأَنَّهُمْ رَجَبُهُمْ﴾ [النساء: ٣٣] كان لرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب، فبرث أحدهما الآخر،
فسخ ذلك الأنفال، فقال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْثِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾. أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (١٦) سح ميراث العقد بميراث الرحم، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود
(٣٥٣٥): حسن صحيح.

(١) وهي قراءة أبي عمرو.

(٢) بالكسر حمزة.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

سُورَةُ التَّوْبَةِ

[مدنية، أو إلا الآيتين آخرها. مائة وثلاثون،
أو: إلا آية، نزلت بعد المائة] (*)

ولم تكتب فيها بالبسملة؛ لأنه ﷺ لم يأمر بذلك؛ كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم^(١). وأخرج في معناه عن علي: أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمان بالسيف^(٢). وعن حذيفة: «إِنَّكُمْ تَسْتَوْنَهَا سُورَةُ التَّوْبَةِ وَهِيَ سُورَةُ الْعَذَابِ»^(٣)، وروى البخاري عن البراء: أنها آخر سورة نزلت^(٤).

[١] هذه ﴿سُرَّةُ﴾ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿وَإِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عهدًا مطلقًا أو دون أربعة أشهر أو فوقها، ونص العهد بما يذكر في قوله: [٢] ﴿فَيَسْجُودُ﴾ سبوا أمين أيًا المشركون ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أولها شوال - بدليل ما سيأتي -، ولا أمان لكم بعدها ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَذْرُ مَعْجَرٍ اللَّهِ﴾ أي: فأتيت عذابه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَعَزَّى الْكَافِرِينَ﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل والآخرة بالنار. [٣] ﴿وَأَذَانٌ﴾ إعلام ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴿يَوْمَ انْصَحْ﴾ أي: بأن ﴿اللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بَرِيءٌ أَيْضًا، «وقد بعث النبي ﷺ عليًا من الشقة؛ وهي: سنة تسع، فأذن يوم النحر يمتن يده الآيات، وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف في البيت عريان»^(٥) [رواه البخاري]. ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ﴾ من الكفر ﴿وَهُوَ حَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَنْ الْإِيمَانِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَذْرُ مَعْجَرٍ اللَّهِ وَبَشِّرِ﴾ أَخِيرِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَدَابِ اللَّهِ﴾ مؤلِّم؛ وهو: القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة. [٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُواكُمْ شَيْئًا ﴿مِنْ شُرُوطِ الْعَهْدِ﴾ وَلَمْ يَطْهَرُوا ﴿يَعَاوَنُوا﴾ عَلَيْكُمْ أَحَدًا ﴿مِنَ الْكُفَرِ﴾ فَأَيَّدُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى انْقِضَاءِ مَدَّتِهِمْ ﴿الَّتِي عَاهَدْتُمْ عَلَيْهَا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْآتِفِينَ﴾ بإتمام العهود.

[٥] ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ﴾ خَرَجَ ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ وهي آخر مدة التأجيل^(٦) ﴿وَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ بِالْأَسْرِ﴾ وَأَخْضَرُوهُمْ فِي الْقِدَاعِ وَالْحَصُونِ، حَتَّى يَضْطَرُّوا إِلَى الْقَتْلِ أَوِ الْإِسْلَامِ ﴿وَأَعْدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ طريق يسلكونه، ونصب ﴿كُلِّ﴾ عَلَى

بِرَاءَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿فَيَسْجُودُ﴾ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَذْرُ مَعْجَرٍ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ فَهُوَ حَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فاعلموا أَنَّهُمْ عَذْرُ مَعْجَرٍ اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَدَابِ اللَّهِ ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُواكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُطْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَتْهُمُ إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَى مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ بِالْأَسْرِ وَأَخْضَرُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ

نزع الحافض ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ﴾ فخلُّوا سبيلهم ﴿ولا تتعرضوا لهم﴾ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿لن تاب.

[٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مرفوعٌ بفعل يفسره ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أَمْنُهُ ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ وهو دار قومه إن لم يؤمن؛ لينظر في أمره ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ دين الله؛ فلا بد لهم من سماع القرآن؛ ليعلموا.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن البراء: آخر سورة نزلت براءة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التوبة (٩) باب (١) والمراد معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، فأولها مثلاً رُل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر بالناس - كما سيأتي - وقد نزلت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهي من المائة في حجة الوداع سنة عشر بينما غالب سورة براءة نزل في غزوة تبوك سنة تسع، وقد أخرج النسائي عن ابن عباس أن سورة النصر آخر سورة نزلت من القرآن، فالجمع بينهما أن آخر سورة النصر نزولها كاملة، بخلاف براءة فالمراد معظمها. (راجع تفصيل ذلك في الفتح ٨/ ١٦٧، ٦٥٥، ٦٠٦).

(١) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٢) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٣) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٤) البخاري (٤٦٥٤)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧) عن أبي هريرة.

(٦) قيل: هم: «بنو ضمرة» من قبائل «بني بكر» من «كنانة» قال: «بني بكر» من «كنانة» لم ينقضوا عهدهم مع النبي ﷺ فأمر بإتمام عهدهم إلى مدتهم. وقيل: هم من لهم عهد مؤقت ولم ينقضوه.

(٧) قيل: هذا التأجيل خاص بالذين نقضوا العهد، وهم «قریش» الذين أعانوا حلفاءهم «بنی دُلَّ» من «بنی بكر» على «خزاعة» حلفاء النبي ﷺ. وقيل: هو لمن كان له عهد مطلق ليس بمؤقت؛ فضرر له هذا الأجل يسبح في الأرض؛ أي يذهب إليها لينجو بنفسه.

رَسُولِهِ ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ بِهِمَا غَادِرُونَ﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿يَوْمَ الْحُدُوبَةِ﴾ وَهُمْ: قريش المستثنون من قبل (١) ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء به، و«ما» شرطية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة.

[٨] ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد ﴿وَأِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿لَا يَرْفُتُوا﴾ يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلَّا﴾ قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ بل يؤذوكم ما استطاعوا، وجملة الشرط حال ﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بكلامهم الحسن ﴿وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ﴾ الوفاء به ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ﴾ نافضون للعهد.

[٩] ﴿أَشْرَوْا بِعَاثِلَةِ اللَّهِ﴾ القران ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا؛ أي: تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾ بس ﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ به عملهم هذا.

[١٠] ﴿لَا يَرْفُتُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾.

[١١] ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلِحُزْنِكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿فِي الَّذِينَ وَفَّقَصَلَّ﴾ نين ﴿أَلَا لَيْتَ يَوْمٍ يَسْلُكُونَ﴾ يتدبرون.

[١٢] ﴿وَأِنْ نَكَثُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَنَهُمْ﴾ مواعيتهم ﴿بَيْنَ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عابوه ﴿فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفَرِ﴾ رؤسائه فيه، وضع الظاهر موضع المضمر ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ﴾ عهود ﴿لَهُمْ﴾ وفي قراءة: بالكسر (٢) ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ عن الكفر.

[١٣] ﴿أَلَا﴾ للتخصيص ﴿فَتَقَاتِلُوا قَوْمًا نَكَثُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَنَهُمْ﴾ عهودهم ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ من مكة - لما تشاوروا فيه بدار الندوة - ﴿وَهُمْ بَدِءُوكُمْ﴾ بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر، فما يمنعكم أن تقاتلوهم؟! ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أنخافوهم؟! ﴿فَاللَّهُ أَعَزُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْفُتُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ ﴿٨﴾ أَشْرَوْا بِعَاثِلَةِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْفُتُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلِحُزْنِكُمْ فِي الَّذِينَ وَفَّقَصَلَّ الْأَلَيْتَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفَرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهُمْ يُبَاخِرُ الرَّسُولَ وَهُمْ بَدِءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

[٧] ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ

(١) وقيل: هم: «بنو ضمرة الذين دخلوا في عهد قريش».

(٢) أي: «لا إيمان لهم» وهي لابن عامر.

[١٤] ﴿فَتَلَوُهُمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ﴾ بذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَضْرِبُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فعل بهم؛ وهم: بنو خراعة.

[١٥] ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كَرَبَهَا ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام؛ كما في سفیان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[١٦] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمْ﴾ الله علم ظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ بطانة وأولياء؛ المعنى: ولم يظهر المخلصون؛ وهم: الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ بالافراد والجمع^(١)؛ بدخوله والقعود فيه ﴿شُهَدَائِنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم شرطها ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَرَ أَحَدًا﴾ إلا الله فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ^(٢).

[١٩] ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْقَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك ﴿كَفَنَ مَآمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في الفضل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، نزلت ردًا على من قال ذلك^(٣)؛ وهو: العباس أو غيره^(٤).

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً﴾ عند الله من غيرهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الظافرون بالخير.

فَتَلَوُهُمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِبُهُمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شُهَدَائِنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَرَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٩): أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، فقال آخر: وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قُلتُم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ. وهو يوم الجمعة. ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستقيت فيها احتلتكم فيه. فأنزل الله ﷻ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْقَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ إلى آخرها. مسلم - كتاب الإمارة (٣٣) باب (٢٩) فض الشهاداة في سبيل الله.

(١) بالافراد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب. ويكون المقصود: المسجد الحرام.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس (ترويه في العباس) [الدر المنثور (٣/٣٩٥)]: وأخرجه مسلم (٣/٤٩١) عن النعمان بن بشير (نزولها في رجل).

مُقِيمٌ دائِمٌ.

[٢٢] ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ. [٢٣] وَنَزَلَ فِيمَن تَرَكَ الْهَجْرَةَ لِأَجْلِ أَهْلِهِ وَتِجَارَتِهِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَبَنُونَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ اختاروا ﴿الْكَفَرُ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ يَكْفُرْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٢٤] ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْنَاؤُكُمْ وَبَنُونَكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ أَقْرَبُكُمْ مِنِّي فَاتَّبِعُونِي﴾ وفي قراءة (١): ﴿عَشِيرَتُكُمْ﴾ وَأَمَّا قَوْلُكُمْ فَاتَّبِعُونِي﴾ اكتسبتموها ﴿وَتَجِدُوا فِيهَا قَوْمًا فِيهَا كُفْرًا﴾ عدم نفاذها ﴿وَمَسْكُونًا تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ ففعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿فَتَرَضَّوْا﴾ انتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ تهديد لهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٢٥] ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبدِر وقرينة والنضير ﴿وَوَإِذْ تَرَكَتُمْ فِي شَوَالِ سَنَةِ ثَمَانَ﴾ إِذْ بدل من ﴿يَوْمٍ﴾ ﴿فَعَجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ﴾ فقلتم: لن تغلب اليوم من قلة. وكانوا اثني عشر ألفاً، والكفار أربعة آلاف ﴿فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: مع رحبها؛ أي: سعتها؛ فلم تجدوا مكاناً تطمئنون إليه؛ لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ منهزمين، وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء، وليس معه غير العباس، وأبو سفيان أخذ بركابه [٢٦] ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فردوا إلى النبي ﷺ لما ناداهم العباس بإذنه (٢)، وقاتلوا ﴿وَأُنْزِلَ جُودًا لِّزُرَّتْهَا﴾ ملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَأَحْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَبَنُونَكُمْ وَأَحْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَضَّوْا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأُنْزِلَ جُودًا لِّمَنْ تَرَوُّهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾

[٢١] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ

(١) لشعبة.

(٢) أي ياذن رسول الله ﷺ.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٨] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ﴾ فذر؛ لحب باطنهم ﴿فَلَا يَفْرَوْنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا﴾ عام يتبع من الهجرة ﴿وَلَنْ حَقَّقَهُ عَلَيْهِمْ فَقَرَاءُ﴾ بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُعْذِرُكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ وقد أغناهم بالفتح والحزبة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ والا لأنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ كالحمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان؛ وهو: دين الإسلام ﴿وَمِنْ بَيَانِ لِلَّذِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَنْ يَدٍ﴾ حال؛ أي: منقادين، أو بأيديهم لا يؤكلون بها ﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ﴾ عيسى ﴿أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يَضَعُونَ﴾ يشابهون به ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ من آبائهم تقليدا لهم ﴿فَتَنَلَّهُمْ﴾ لنعمهم ﴿اللَّهُ أَفْ﴾ كيف ﴿يُؤَفِّكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام الدليل.

[٣١] ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهْبَنَهُمْ﴾ عُتَاةَ النصارى ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله^(١) ﴿وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوهُ﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إِلَّاهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَفْرَوْنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا وَلَنْ حَقَّقَهُ عَلَيْهِمْ فَقَرَاءُ بِانْقِطَاعِ تِجَارَتِهِمْ عَنْكُمْ فَسَوْفَ يُعْذِرُكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يَضَعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَنَلَهُمْ اللَّهُ أَلَّا يُؤَفِّكُوا وَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَاهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

(١) أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال بعد أن قرأ هذه الآية: «أما إلههم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه». كتاب

تفسير القرآن (٤٨) - باب (١٠) سورة براءة. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٧١).

[٣٣] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ﴾ يُظَاهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

[٣٤] ﴿يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كَثُرَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا﴾ يأخذون ﴿أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ﴾ كالرشا في الحكم ﴿وَيَصُدُّوا﴾ يصدون ﴿النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْذِبُونَ﴾ الكذوب ﴿الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُنَّهَا﴾ أي: الكنوز ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لا يؤدون منها حق من الزكاة والخير ﴿فَيُبَشِّرُهُمْ﴾ يخبرهم ﴿بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾ تحرق ﴿بِهَا جَاهَهُمْ وَجُودُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها، ويقال لهم: ﴿هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَفْقَهُونَ فَلَوْ مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ أي: جزاءه.

[٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ المعتد بها للسنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ في كتاب الله: اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَنَبَأَ﴾ أي: الشهور ﴿أَرْبَعَةَ حُرُمٍ﴾ مُحَرَّمَةٍ؛ ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وَرَجَبُ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تحريمها ﴿الَّذِينَ الْقَيْمُ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيمَنْ﴾ أي: الأشهر الحرم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي، فإنها فيها أعظم وزرا، وقيل: في الأشهر كلها ﴿وَقَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كُلَّهُ﴾ جميعا في كل الشهور ﴿كَمَا يُقْلِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ وأعلموا أن الله مع المؤمنين ﴿بِالنَّصْرِ﴾ والنصر^(١).

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ تَوْحِيدُهُ وَتَوَكَّرَ الْكَافِرُونَ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ وَعَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كَثُرَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُنَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُودُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَفْقَهُونَ فَلَوْ مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِمْ أَنفُسَكُمْ وَقَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كُلَّهُ كَمَا يُقْلِلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ شَوْعُهُ وَبَرَاهِينُهُ ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بأفواههم فيه ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ﴾ يظهر ﴿تَوْحِيدُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذلك.

(٥) فائدة: 'خرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل وانهار حتى تعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أن ذلك تاما. قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا، فوفي كل من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيقي من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم». مسلم. كتاب الفتن وأشرراط الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا احلصة.

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ثوبان لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ قال: كما مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: أنزل في الذهب والفضة ما أنزل لو علمنا أي المال خير فتخذه؟ فقال: «أفضله: لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه». الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٠).

(٥٥) فائدة: أخرج البخاري عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟ قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كفر فم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله لظهور الأموال. البخاري. كتاب الزكاة (٢٤) باب (٤) ما أدى زكاته فليس بكافر.

(١) في الآية إثبات معية الله ﷻ الخاصة للمؤمنين، ومعية الله تعالى مع عبده نوحا، معية عامة، ومعية خاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقة المعية الصحية اللافقة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستويا على عرشه، وقرن بين الأمرين كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيهِ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا يَحِيطُ بِهَا وَمَا يَشُوعُ مِنْهُ﴾ ومن أشد ما يبرح ﴿وَمَا يَمَسُّهُ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يصير أعمالهم من فوق عرشه، فعلمه لا يابض معيته، ومعيته لا تبطل عنه.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجَلِّونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُطَاطَأُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلِئْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَنْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ أَلَا تَنْفِرُوا بَعَثَ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ أَلَا تَضُرُّهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾

[٣٧] ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ أي: التأخير لحزمة شهر إلى آخره؛ كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير مخزومة الحوم إذا هلّ وهم في القتال إلى صفر ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتحها ^(١) ﴿يُجَلِّونَهُ﴾ كَجَلَّوْا يُجَلِّونَهُ أَي: النسِيءُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُطَاطَأُوا يوافقوا بتحليل شهر وتحریم آخر بذلك ﴿عِدَّةَ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من الأشهر؛ فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا، ولا ينظروا إلى أعيانها ﴿فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسنا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿لَا دَعَا النَّبِيَّ ﷺ النَّاسَ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ﴾ وكانوا في عسرة وشدة حَرْوً؛ فشق عليهم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلِئْتُمْ﴾ ^(٢) يادغام التاء في الأصل في التلئة واجتلاب همزة الوصل؛ أي: تباطأتم وملتزم عن الجهاد ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ والقعود فيها؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿أَنْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿وَمِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي: بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب متاع ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حقير.

[٢٩] ﴿وَاللَّهُ﴾ يادغام «لا» في نون «إن» الشرطية في الموضعين ^(٣) ﴿تَنْفِرُوا﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يَعِزُّبَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً ﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت بهم بدلکم ﴿وَلَا تَضُرُّهُ﴾ أي: الله، أو النبي ﷺ ﴿سَكِينَتًا﴾ بترك نصره؛ فإن الله ناصر دينه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دينه وتأييده.

[٤٠] ﴿أَلَا تَضُرُّهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة؛ أي: ألجؤوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ حال؛ أي: أحد اثنين، والآخر أبو بكر - المعنى: نصره الله في مثل تلك الحالة؛ فلا يخذله في غيرها - ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿هُمَا فِي الْغَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾ بدل ثانٍ ﴿يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ أبي بكر - وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: (لو نظر أحدكم تحت قدميه لأبصرنا) ^(٤) : ﴿لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل: على النبي ﷺ. وقيل: على أبي بكر، ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿وَجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾

ملائكة في الغار، ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: دعوة الشرك ﴿السُّفْلَى﴾ المقلوبة ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هُوَ الْعُلْيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعته.

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد. [الدر المنثور (٤٢٧/٣)]، وهو مرسل صحيح الإسناد كما قال صاحب الاستيعاب (٢٧٧/٢).

(٣) أي: هذا، وقوله: ﴿إِلَّا تَضُرُّهُ﴾.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

﴿أَوْ مَخْلَافًا﴾ موضعاً يدخلونه ﴿لَوْلَا إِلَيْنَا وَهُمْ يَجْحَدُونَ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراراً لا يرده شيء؛ كالفرس الجموح.

[٥٨] ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلُوكُكَ يَجْنِبُكَ﴾ (٥٨) ﴿فِي﴾ قسَمِ ﴿الْصَّدَقَاتِ﴾ إِنَّا أَعْطَوْنَا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾.

[٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفيها ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أن يغنيننا وجواب (لوه): لكان خيراً لهم.

[٦٠] ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ﴾ الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِ﴾ أي: الصدقات؛ من جاب وقاسم وكاتب وخائبر ﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ ليسلموا، أو ثبت إسلامهم، أو يسلم نظراً لهم، أو يذبوا عن المسلمين، أقسام؛ الأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي - رضي الله تعالى عنه - لعز الإسلام، بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح ﴿وَفِي﴾ فَكَّ ﴿الرِّقَابِ﴾ أي: المكاتبين ﴿وَالْقَدِيرِينَ﴾ أهل الدُّنْيَا إِنْ اسْتَدَانُوا لغير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء، أو لإصلاح ذَاتِ النَّيِّبِ ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: القائمين بالجهاد من لا فيء لهم ولو أغنياء ﴿وَأَيُّ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾ نصب يفعله المقدر ﴿وَيُنِزِّلُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه؛ فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء، ولا يمنع صنف منهم (١) إذا وجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض، وأفادت (اللام) وجوب استغراق أفرادها (٢)، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها. كما أفادته صيغة الجمع، وبينت الشئ أن شرط المعطى منها الإسلام، وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً.

[٦١] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: المنافقين ﴿الَّذِينَ يَبْذُونَ النَّيِّبَ﴾ بغيته وينقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ - إذا نهوا عن ذلك؛ لئلا يبلغه -: ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ أي: يسمع كل قِيلٍ وَيَقْبَلُهُ، فإذا حلفنا أن لا نمل نقل صدقنا ﴿قُلْ﴾: هو ﴿أَذُنٌ﴾ مُشْتَمِعٌ ﴿حَتَّىٰ لَكُمْ﴾ لا مُشْتَمِعٌ شَرٌّ ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم، و(اللام) زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالرفع عطفاً على ﴿أَذُنٌ﴾ والجر (٣) عطفاً على ﴿حَتَّىٰ﴾ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُبْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكُفْرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْزُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَعْرَظًا أَوْ مَدَحَلًا لَوْلَا إِلَيْنَا وَهُمْ يَجْمَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنِ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْقَدِيرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآيَةُ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ خَيْرٌ لَّكُمْ يَوْمُنُ بِلِلَّهِ وَيَوْمُنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

[٥٥] ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ أي: لا تستحسن بغيرها عليهم؛ فهي: استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ أي: أن يعذبهم ﴿بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة، وفيها من المصائب ﴿وَتَرْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكُفْرُونَ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب. [٥٦] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أي: مؤمنون ﴿وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْزُقُونَ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين؛ فيحلفون بغيرته. [٥٧] ﴿لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا﴾ يلجأون إليه ﴿أَوْ مَعْرَظًا﴾ سراديب

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٨): أخرجه البخاري عن أبي سعيد قال: بينما النبي ﷺ يقسم، جاء عبد الله بن ذي الحويصرة الميمى فقال: أعدل يا رسول الله. فقال: «وبللك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه. قال: «دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يقرقون من الدين كما يقرق السهم من الرمية، ينظر في قلذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نعليه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم. أيهم: رجل إحدى يديه. أو قال: ثنية - مثل ثدي المرأة. أو قال: مثل البضة تدر - يخرجون على حين فرقة من المسلمين. قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه. جيء بالرجل على الثنت التي نعت النبي ﷺ قال: فترلت فيه: «وَمِنْهُمْ مَّن يَلُوكُكَ يَجْنِبُكَ». البخاري - كتاب استنباط المرتدين (٨٨) باب (٧) من ترك قال الخوارج للتأليف.

(١) ذكر الثوري عن الشافعي: أن الكفار إن جاز تأليفهم فإنما يعطون من سهم المصالح من النبي ونحوه، ولا يعطون من الزكاة. وقال جمهور الحنفية بنسخ سهم المؤلفة قلوبهم. وعند الحابلة والمالكية: أنه باق لم ينسخ، وهو الصحيح؛ لأن القول بالنسخ ليس عليه دليل صريح. والحاجة إلى تأليف القلوب لم تنقطع.

(٢) وهذا مذهب الشافعي، وعند الجمهور لا يلزم تعميم الأصناف؛ فالإمام في قوله - تعالى -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾، لبيان المصرف، لا للاستحقاق، وهذا هو الأرجح، لكن قال مالك: الأمر عندنا في قسم الصدقات أن ذلك لا يكون إلا على وجه الاجتهاد من الوالي، فأبي الأصناف كانت الحاجة فيه والعدد أثر ذلك الصنف بقدر ما يرى الوالي... وهو أولى ما يؤخذ به في حال وجود الحاكم الشرعي، وإلا فالأقرب ما نقل عن النخعي وغيره: إذا كان المال كثيراً ففرقه في الأصناف، وإذا كان قليلاً فأعطه صنفًا واحدًا... مع مراعاة الأشد حاجة... والله أعلم.

(٣) بالجر قراءة حمزة.

[٦٢] ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ بالطاعة ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً، وتوحيد الضمير؛ لتلازم الرضاهين، أو خبر «الله» أو «رسوله» محذوف.

[٦٣] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ بالله ﴿أَيُّ الشَّانِ﴾ أي: الشان ﴿مَنْ يُعَادِدُ﴾ يشاقق ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ جزء ﴿خَلِيداً فِيهَا ذَلِكَ الْخَزِيءُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٤] ﴿يَخَذَرُ﴾ يخاف ﴿الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق، وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلْ أَسْتَهْزِئُكُمْ﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مَظْهَرًا مَا تَخَذَرُونَ﴾ لإخراجه من نفاقكم.

[٦٥] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿لِيَقُولُوا﴾ معتردين: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَكُنَّا نُلْعَبُ﴾ في الحديث؛ لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿أَيُّ اللَّهِ وَعَالِيهِمْ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٦٦] ﴿لَا تَعْدِرُوا﴾ عنه ﴿فَدَكَّرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ بالياء مبنياً للمفعول، والنون مبنياً للفاعل ﴿عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها؛ كمخشي بن حمير^(١) ﴿تُعَذِّبُ﴾ بالناء والنون^(٢) ﴿طَائِفَةً﴾^(٣) يَأْتُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ مصرين على النفاق والاستهزاء.

[٦٧] ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: منسابهون في الدين؛ كأبعض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿سُئِلَ اللَّهُ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُعَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِيداً فِيهَا ذَلِكَ الْخَزِيءُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ يَخَذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ أَسْتَهْزِئُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَظْهَرًا مَا تَخَذَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ عَنِ الْمُنَافِقِينَ وَأَخْبَتَصَرْتُمْ عَنْهُمْ قُلْ اللَّهُ يَعْلَمُ أَعْيُنُكُمْ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ يَخَذَرُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ أَسْأَلُ اللَّهَ فَتَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْفَاسِقِينَ ﴿٦٨﴾

هِيَ حَسْبُهُمْ جزاء وعقابا ﴿وَلَعْنَةُ اللَّهِ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم، أنتم أيها المنافقون.

(١) في بعض النسخ: «جحش بن حمير».

(٢) بالبناء للمفعول في الفعلين قراءة السبعة عدا عاصم؛ ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ عن طائفةٍ منكم تُعَذِّبُ طائفةً، وقرأ عاصم بالنون والبناء للفاعل فيها.

(٣) بالرفع والنصب؛ ففيها فراءتان سبجتان: الأولى: ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ عن طائفةٍ منكم تُعَذِّبُ طائفةً بالرفع، والثانية: ﴿إِنْ نَعْفُ﴾ عن طائفةٍ منكم تُعَذِّبُ طائفةً بالنصب. وراجع الحاشية السابقة.

وَأُولَٰئِكَ فَاسْتَغْنَوْا ﴿٧٠﴾ تَتَعَمَّوْا ﴿٧١﴾ بِخَلْقِهِمْ ﴿٧٢﴾ نَصَبِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا ﴿٧٣﴾ فَاسْتَغْنَوْا ﴿٧٤﴾
أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ ﴿٧٥﴾ بِخَلْقِكُمْ ﴿٧٦﴾ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ ﴿٧٧﴾ وَخُضَّتُمْ
فِي الْبَاطِلِ وَالطُّغْيَانِ فِي النَّبِيِّ ﷺ ﴿٧٨﴾ كَالَّذِي خَاصُّوا ﴿٧٩﴾ أَيُّ: كَخَوَاضِهِمْ
﴿٨٠﴾ وَأُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٨١﴾

[٧٠] ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَ
قَوْمُ هُودٍ﴾ و﴿وَكُمُودٌ﴾ قوم صالح و﴿وَقَوْمٌ لِّمُرِّهِمْ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم
شعيب و﴿وَالْمُؤَيَّدِينَ﴾ قرى قوم لوط؛ أي: أهلها و﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ
يَأْتِيَنَّهُمْ﴾ بالمعجزات؛ فكذبوهم؛ فأهلكوا و﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾
بأن يعذبهم بغير ذنب و﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

[٧١] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴿٧٢﴾ لَا يَجْزِيهِ شَيْءٌ عَنِ إِجْزَارِ
وَعْدِهِ وَوَعْدُهُ ﴿٧٣﴾ لَا يَضَعُ شَيْئًا إِلَّا فِي مَحَلِّهِ.

[٧٢] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ إقامة و﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ
أَكْبَرُ﴾ أعظم من ذلك كله و﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَثَرُ أَمْوَالًا
وَأُولَٰئِكَ فَاسْتَغْنَوْا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَغْنَوْا بِخَلْقِهِمْ
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضَّتُمْ
كَالَّذِي خَاصُّوا أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَكُمُودٌ وَقَوْمُ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤَيَّدِينَ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ
يَأْتِيَنَّهُمْ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٧﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَأُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٧٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٩﴾

[٦٩] ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَثَرُ أَمْوَالًا

(هـ) فائدة: في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ مقبل قوله في المنافقين: ﴿بَعْضُهُمْ يُؤْمِنُ وَبَعْضُهُمْ يُكَذِّبُ﴾.

قال الصاهر بن عاصم: وعبر في جانب المؤمنين والمؤمنات بأنهم أولياء بعض للإشارة إلى أن الأحمة الجامعة بينهم هي ولاية الإسلام؛ فهم فيها على السواء؛ ليس واحد منهم مقلداً للآخر ولا
تابعاً له على غير بصيرة؛ لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتناصر بخلاف المنافقين، فكان بعضهم ناشئ من بعض في مذاهبهم...، التحرير والتنوير (١١/٢٦٢).

[٧٣] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهاز والملكوت ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

[٧٤] ﴿يُخَلِّفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿يَاللَّهُ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك عنهم من الشبث ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمَازٍ يَتْلُونَ﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عودته من تبوك - وهم بضعة عشر رجلاً -؛ فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه؛ فزُفوا^(١) ﴿وَمَا تَقْضُوا﴾ أنكمروا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم؛ المعنى: لم ينلهم منه إلا هذا، وليس مما ينقم^(٢) ﴿فَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿بِكَ خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا يَصِيرُ﴾ يمنعهم.

[٧٥] ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وهو ثعلبة بن حاطب؛ سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالا، ويؤدي منه إلى كل ذي حق حقه؛ فدعا له؛ فوسع عليه؛ فانقطع عن الجمعة والجماعة؛ ومنع الزكاة^(٣)؛ كما قال - تعالى -: [٧٦] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ خَبِلُوا بِوَعْدِ اللَّهِ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَهُمْ مَصْرُوفُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي: فصر عاقبتهم ﴿بِفَقَاقٍ ثَابِتًا﴾ في قلوبهم إلى يوم يلقون^(٤) أي: الله؛ وهو: يوم القيامة ﴿بِمَا أَسْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُونَهُ﴾ وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ^(٥) فيه، فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بركاته، فقال: «إِنَّ اللَّهَ مُتَعَفِّفٌ أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ»؛ فجعل يحثو التراب على رأسه، ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثم إلى عمر فلم يقبلها، ثم إلى عثمان فلم يقبلها، ومات في زمانه^(٦).

[٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي: المنافقون ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أشروا في أنفسهم ﴿وَوَجَّهَتْهُمْ﴾ ما تاجوا به بينهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ ما غاب عن العيان. ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقال المنافقون: مُزَاء. وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله غني عن صدقة هذا. فنزل: [٧٩] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٤﴾ يُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمَازٍ يَتْلُونَ إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَكْخَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ خَبِلُوا بِوَعْدِ اللَّهِ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ لِقَائِهِ يَوْمَ يَخْلِفُ اللَّهُ مَا وَعَدُونَهُ وَيَسْأَلُ أَنْ يُدْعَى لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْوَعْدِ أَفَيْسَ لَهُمْ مُصْرَقُونَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

يعيبون^(١) ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ المستقلين ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ فَيَأْتُونَ به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ والخبر ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم^(٢) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٧٩): أخرجه البخاري عن أبي سعيد ؓ قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرأي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا. فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ...﴾ الآية. البخاري - كتاب الزكاة (٢٤) باب (١٠) اتقوا النار ولو بشق تمرة.

(١) القصة أخرجه البيهقي في الدلائل عن عروة وعن حذيفة بن إيمان، وأخرجها ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك وليس في أي منها أن عمار بن ياسر ضرب وجوه الرواحل وانظر: الدر المنثور (٤٦٤/٣ - ٤٦٦) وحسنه صاحب الاستيعاب بقوله: وهذا إسناد حسن؛ رجاله ثقات، إلا ابن إسحاق وهو صدوق حجة في «الغازي» الاستيعاب (٢٩١/٢).

(٢) أي يكره؛ فالاستيعاب منقطع.

(٣) هذه القصة التي أشار إليها السيوطي وهي قصة متداولة على الألسن نقلها بعض المفسرين دون إنكار نسبتها إلى ثعلبة، وتعبها آخرون بالقد واستبعدوا نزولها في حق صحابي شهد معركة بدر، قال القرطبي: وثعلبة بديري، أنصاري، وعن شهد الله له ورسوله بالإيمان، فما روي عنه غير صحيح، والمراجع أنها نزلت في رجال من المنافقين كما قال الضحاك، والله أعلم.

(٤) أخرجه الحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والعسكري في الأمثال والطبراني وابن منده والبارودي وأبو نعيم في معرفة الصحابة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عسك عن أبي أمانة الباهلي كما في الدر المنثور (٤٦٧/٣). قال البيهقي في الشعب (٧٩/٤، ٨٠): «وفي إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور فيما أهل التفسير، والله أعلم». وقال البيهقي في الجمع (٢٣٧/٧): «رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الأنهاني، وهو متروك». ولزبد من البيان والتفصيل راجع كتاب «الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي ثعلب بن حاطب ؓ» لسليم الهلالي.

(٥) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها الله ﷻ لنفسه، وهي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكنها لا تطلق عليه - شُخَّانَة - مجردة بدون ذكر متعلقها، كما لا يشق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: سخر... ومذهب السلف الإيمان بها على الوجه اللائق به - شُخَّانَة - من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكيف.

بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار. وفي البخاري حديث: «لَوْ عَلِمَ آتِي لَوْ زِدَتْ عَلَى الشَّيْعِينَ غَفْرًا لَزِدَتْ عَلَيْهَا»^(٢)، وقيل: المراد العدد المخصوص. لحديثه أيضًا: «وَسَازِيدُ عَلَى الشَّيْعِينَ»^(٣)، فَيَنْ لَّهُمْ حَسَمُ الْمَغْفِرَةِ بآية: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ»^(٤)، «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآلِهِ وَرَسُولِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».

[٨١] ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم ﴿خَلْفَ﴾ أي: بعد ﴿رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَا تُنْفِرُوا﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ من تبوك، فالأولى أَنْ يُقَرِّبَهَا بترك التخلف ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا.

[٨٢] ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ في الآخرة ﴿كثيرًا جزاءً﴾ بما كانوا يكذبون ﴿خبر عن حالهم بصيغة الأمر.

[٨٣] ﴿فَإِنْ رَجَعْتَ﴾ رَدَّكَ ﴿اللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ من تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَاسْتَدْرَكُوا لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى قَبْرِهِمْ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿وَأَذْأَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ أَعْمُوا بِاللَّهِ وَجِهَهُمْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا دَرْنَاكَ مَعَ الْقَلْعِدِينَ﴾

[٨٤] ﴿وَمَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ابْنِ أُتَيٍّ نَزَلَ﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴿لَدَفْنِ أَوْ زِيَارَةٍ﴾ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿كافرون.

[٨٥] ﴿وَلَا تُجِيبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

[٨٦] ﴿وَلَمَّا أَنْزَلْتَ سُورَةَ﴾ أي: طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَعْمُوا بِاللَّهِ وَجِهَهُمْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ﴾ ذوو الغنى ﴿وَمِنْهُمْ﴾ وَقَالُوا دَرْنَاكَ مَعَ الْقَلْعِدِينَ﴾.

اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨١﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨٢﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْرَكَوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَذْأَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ أَعْمُوا بِاللَّهِ وَجِهَهُمْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا دَرْنَاكَ مَعَ الْقَلْعِدِينَ ﴿٨٧﴾

[٨٠] «اسْتَغْفِرَ» يا محمد ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ تخيير له في الاستغفار وتزكوة، قال ﷺ: «إِنِّي خِيْتُ فَاخِزْتُ»؛ يعني: الاستغفار. [رواه البخاري]^(١) «إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» قيل: المراد

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٨٤): أخرجه البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لما توفي عبدالله بن أبي جاه ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه. فقام عمر فأخذ ثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا خِيَرْتِي اللَّهُ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً» وَسَازِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ» قَالَ: إِنَّهُ مَنَاقِف. قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنزَلَ اللَّهُ: «وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة براءة (٩) باب (١٢).

(١) البخاري (١٣٦٦) عن عمر بن الخطاب مرفوعًا.

(٢) البخاري (١٣٦٦) ..

(٣) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر مرفوعًا.

(٤) المناقب: ٦.

(٥) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن عبد الله بن عمر مرفوعًا.

[٨٧] ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ جمع «خالفه» أي: النساء اللاتي تخلفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحيز.

[٨٨] ﴿لَكِنَّكَ أَرْسِلْتَ رَسُولًا مَعَهُمْ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون.

[٨٩] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٩٠] ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في النال؛ أي: المعتذرون؛ بمعنى: المذورين، وقرئ به^(١) ﴿يَتَأْتُونَ الْأَعْرَابَ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم؛ فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩١] ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ كالسيوخ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالعقبي والزمنى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرْجٌ﴾ إنهم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في حال قعودهم؛ بعدم الإرجاف والتشيط والطاعة ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿وَيَنْ سَبِيلَ﴾ طريق بالمواخذه ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم في التوسعة في ذلك.

[٩٢] ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَيَذْلَبُنَّهُمْ﴾ معك إلى الغزو؛ وهم: سبعة من الأنصار، وقيل: بنو مقرن ﴿قُلْتُ لَا أَجِدُ مَا أُحِلُّكُمْ عَلَيْهِ﴾^(٢) حال ﴿تَوَلَّوْا﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ أي: انصرفوا ﴿وَأَعْيَبُهُمْ فَيْضٌ﴾ تسيل ﴿وَيَنْ لِلْبَيَانِ﴾ الدَّمْعَ حَزَنًا لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ في الجهاد.

[٩٣] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ فِي التَّخَلُّفِ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ تقدم مثله.

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّكَ أَرْسِلْتَ رَسُولًا مَعَهُمْ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَسَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَيَذْلَبُنَّهُمْ وَلَا أَجِدُ مَا أُحِلُّكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَبُهُمْ فَيْضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٩٣﴾

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن أبي موسى ﷺ قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الخيلان لهم إذ هم معي في جيش العسرة - وهي غزوة تبوك - فقلت: يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: «والله لا أحملكم على شيء»، ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزينا من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه علي. فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ فلم ألبث إلا سبعة إذ سمعت بلالا ينادي: أي عبدالله بن قيس، فأجبتة. فقال: أجب رسول الله بدعوك. فلما أتته قال: «شذ هذين القرنين - لست أبرة اتباعهن حينئذ من سعد - فاطلق بهن إلى أصحابك...». البخاري - كتاب المغازي (٦٤) باب (٧٨) غزوة تبوك.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَجَابِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يُرْثِرُونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٧﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٨﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَالْأَعْرَابُ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَابِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾ وَالْأَعْرَابُ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَفْوَراً رَجِيمٌ ﴿١٠١﴾

[٩٤] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو

﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ نصديقكم ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَجَابِكُمْ﴾ أي: أخبرنا بأحوالكم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرُدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: الله ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٩٦) فيجازيكم عليه.

[٩٥] ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ رجعتكم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك، أنهم معذرون في التخلف ﴿لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ بتوك المقاتلة ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ﴾ قذرة؛ لخبث باطنهم ﴿وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٩٦] ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: عنهم، ولا يرفع رضاءكم مع سخط الله.

[٩٧] ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل المدن؛ لجفاءهم وغلظ طبائعهم وتبعيدهم عن سماع القرآن ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أولى ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ من الأحكام والشرائع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

[٩٨] ﴿وَالَّذِينَ الْأَعْرَابُ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة وخساراً، لأنه لا يرجو ثوابه، بل ينفقه خوفاً؛ وهم: بنو أسد وغطفان ﴿وَيَتَرَبَّصُّ﴾ ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَابِرَ﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم؛ فينخلص، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالضم والفتح^(٩٩)؛ أي: يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم.

[٩٩] ﴿وَالَّذِينَ الْأَعْرَابُ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كجهينة ومدينة ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرْبًا﴾ تقرباً ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَ﴾ وسيلة إلى ﴿صَلَاتِ الرَّسُولِ﴾ له ﴿أَلَّا إِنَّهَا﴾ أي: نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ﴾ بضم الراء وسكونها^(١٠٠) ﴿لَهُمْ﴾ عنده ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته^(١٠١) ﴿إِنْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَفْوَراً﴾ لأهل طاعته ﴿رَجِيمًا﴾ بهم.

(٩٥) فائدة: أخرج البخاري عن كعب بن مالك: ... وكنا أيها الثلاثة الذين خلفوا عن الأمر الذي قيل من هؤلاء الذين اعتذروا وحين أنزل الله لنا التوبة، فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ من المخلفين فاعتذروا بالباطل ذكروا بشراً ما ذكر به أحد؛ قال الله سبحانه: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَجَابِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ...﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة براءة (٩) باب (١٨) ﴿وَكُلُّ الْفَكَّةَةِ الْأَيْتُ خُتُّوا...﴾.

(١) بالضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة ورش.

(٣) وهذا تفسير باللازم، فإز من المفسر من إثبات الصفة كما هو منهج الأشاعرة، وسبق التنبيه على أن منهج أهل السنة إثبات الصفات على الوجه اللائق به - سبحانه - من غير تكييف ولا تقييد ولا تأويل ولا تعطيل.

[١٠٠] ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ وَالْأَصَارُ ﴿وَهُمْ مِنْ شَهِدٍ بَدَأُوا، أَوْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ﴾ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يَاجْتَنِبُ فِي الْعَمَلِ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِطَاعَتِهِ ^(١) ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِوَابِهِ ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فِي قِرَاءَةِ: بِزِيَادَةِ «مَنْ» ^(٢) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠١] ﴿وَمَنْ حَزَلَكُمْ﴾ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ﴿فِرَاقَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ﴾ كَانَسَلَمَ وَأَشْجَعَ وَغَفَارَ ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ مُنَافِقُونَ أَيْضًا ﴿مَرَدُّوْا عَلَى الْيَفَاقِ﴾ لِحُجَا فِيهِ وَاسْتَشْرَوْا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ خُطَابَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ﴿تَحْنُ تَعْلَمُهُمْ سَعْدَهُمْ مَرَدُّنَ﴾ بِالْفَضِيحَةِ، أَوْ الْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ﴿فَمَنْ يَرُدُّوْا﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هُوَ النَّارُ.

[١٠٢] ﴿وَمَنْ قَوْمٌ﴾ مَآخِرُونَ ﴿مَبْتَدَأُ﴾ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴿مَنْ التَّخَلُّفِ، نَعْتَهُ، وَالْخَبَرِ:﴾ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا ﴿وَهُوَ جِهَادُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، أَوْ اعْتَرَفَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ﴾ وَآخَرًا سَيِّئًا ﴿هُوَ:﴾ تَخَلُّفَهُمْ ﴿عَنْهُ﴾ أَنَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ وَجَمَاعَةٍ أَوْتَفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي سَوَارِي الْمَسْجِدِ - لِمَا بَغَهُمْ مَا نَزَلَ فِي الْمُتَخَلِّفِينَ - وَحَلَفُوا لَا يَحْلَهُمْ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ؛ فَحَلَّاهُمْ لِمَا نَزَلَتْ ^(٣).

[١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ مِنْ ذُنُوبِهِمْ؛ فَاخْذُ ثُلُثَ أَمْوَالِهِمْ وَتَصَدَّقْ بِهَا ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: ادْعُ لَهُمْ ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ رَحْمَةٌ﴾ قِيلَ: «طُمَأْنِينَةٌ بَقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ» ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٠٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ بِالصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ عَلَى عِبَادِهِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِهِمْ؟! وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، وَالْقَصْدُ بِهِ هُوَ تَهْيِيجُهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالصَّدَقَةِ.

[١٠٥] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ، أَوِ لَنْتُمْ﴾: «اعْتَمَلُوا» مَا شِئْتُمْ ﴿فَسَبَّحُوا اللَّهَ عَزَّ وَرَّسُولَهُ وَالْأَنْبِيَاءَ وَسَرُدُّونَ﴾ بِالْبَعَثِ ﴿إِلَى عَلِيِّهِ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةُ﴾ أَي: اللَّهُ ﴿فَيُتَيْبِقُكُمْ يَسَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ^(٤) فَيَجَازِيكُمْ بِهِ.

[١٠٦] ﴿وَالْآخِرُونَ﴾ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ ﴿[مُؤْجَوُونَ]﴾ بِالْهَمْزِ وَتَرْكِهِ ^(٥): مُؤَخَّرُونَ عَنِ التَّوْبَةِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ ﴿إِنَّمَا يَعِدُهُمُ﴾ بِأَنْ يَجِيبَهُمْ بِلَا

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ وَالْأَصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَاجْتَنِبُ فِي الْعَمَلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِطَاعَتِهِ ^(١) وَرَضُوا عَنْهُ بِوَابِهِ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِي قِرَاءَةِ: بِزِيَادَةِ «مَنْ» ^(٢) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ حَزَلَكُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ فِرَاقَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ أَيْضًا مَرَدُّوْا عَلَى الْيَفَاقِ لِحُجَا فِيهِ وَاسْتَشْرَوْا لَا تَعْلَمُهُمْ خُطَابَ لِلنَّبِيِّ ﷺ تَحْنُ تَعْلَمُهُمْ سَعْدَهُمْ مَرَدُّنَ بِالْفَضِيحَةِ، أَوْ الْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْقَبْرِ فَمَنْ يَرُدُّوْا فِي الْآخِرَةِ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ هُوَ النَّارُ [١٠٢] وَمَنْ قَوْمٌ مَآخِرُونَ مَبْتَدَأُ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ مَنْ التَّخَلُّفِ، نَعْتَهُ، وَالْخَبَرِ: خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَهُوَ جِهَادُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، أَوْ اعْتَرَفَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ وَآخَرًا سَيِّئًا هُوَ: تَخَلُّفَهُمْ عَنْهُ أَنَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ وَجَمَاعَةٍ أَوْتَفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي سَوَارِي الْمَسْجِدِ - لِمَا بَغَهُمْ مَا نَزَلَ فِي الْمُتَخَلِّفِينَ - وَحَلَفُوا لَا يَحْلَهُمْ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ؛ فَحَلَّاهُمْ لِمَا نَزَلَتْ ^(٣) [١٠٣] خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا مِنْ ذُنُوبِهِمْ؛ فَاخْذُ ثُلُثَ أَمْوَالِهِمْ وَتَصَدَّقْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ أَي: ادْعُ لَهُمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ رَحْمَةٌ قِيلَ: «طُمَأْنِينَةٌ بَقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ» وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [١٠٤] أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ بِالصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ عَلَى عِبَادِهِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ الرَّحِيمُ بِهِمْ؟! وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، وَالْقَصْدُ بِهِ هُوَ تَهْيِيجُهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالصَّدَقَةِ [١٠٥] وَقِيلَ لَهُمْ، أَوِ لَنْتُمْ: «اعْتَمَلُوا» مَا شِئْتُمْ فَسَبَّحُوا اللَّهَ عَزَّ وَرَّسُولَهُ وَالْأَنْبِيَاءَ وَسَرُدُّونَ بِالْبَعَثِ إِلَى عَلِيِّهِ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةُ أَي: اللَّهُ فَيُتَيْبِقُكُمْ يَسَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ^(٤) فَيَجَازِيكُمْ بِهِ [١٠٦] وَالْآخِرُونَ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ [مُؤْجَوُونَ] بِالْهَمْزِ وَتَرْكِهِ ^(٥): مُؤَخَّرُونَ عَنِ التَّوْبَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ إِنَّمَا يَعِدُهُمُ بِأَنْ يَجِيبَهُمْ بِلَا

توبة ﴿وَمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صَنْعِهِ بِهِمْ؛ وَهُمْ الثَّلَاثَةُ الْآتُونَ بَعْدَ: مُرَارَةِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَهَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ، تَخَلَّفُوا كَسَلًا وَمِيلًا إِلَى الدَّعْوَةِ لَا نَفَاقًا، وَلَمْ يَعْتَدُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ كَغَيْرِهِمْ، فَوَقَّفَ أَمْرَهُمْ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَهَجَّرَهُمُ النَّاسُ حَتَّى نَزَلَتْ تَوْبَتُهُمْ بَعْدَ.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إذا أعجبك حسن عمل امرئ فقل: ﴿اعْمَلُوا فَسَبَّحُوا اللَّهَ عَزَّ وَرَّسُولَهُ وَالْأَنْبِيَاءَ﴾ ولا يستخفلك أحد. البخاري - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦)...

قال الخافظ في الفتح (٥١٤/١٣): وقال ابن التين عن الداودي: معناه: لا تغتر بمدح أحد وحاسب نفسك. والصواب ما قاله غيره: أن المعنى: لا تغرَّك أحد بعمله فظن به الخير إلا إن رأيته واقفاً عند حدود الشريعة.

(١) حرى المصنف على طريقته في تأويل الصفات ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات الصفات لله ﷻ التي أثبتتها لنفسه على الوجه اللائق به - شيخنا - ومنها صفة الرضا، ومن لازمها التوفيق للطاعات وقبولها والإثابة عليها.

(٢) لا بن كثير.

(٣) وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٨٧/٣)] وكذا ابن المنذر والبيهقي في الدلائل وليس فيها التصريح بأن ذلك بسبب ما نزل في المتخلفين. وحسنه صاحب الاستيعاب بشواهد. (الاستيعاب ٣/٣٢٥).

(٤) بالهمز قراءة ابن كثير وشعبة وأبي عمرو وابن عامر.

والحر، والنواسة على المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك، وكانوا سألو النبي ﷺ أن يصلي فيه؛ فنزل: [١٠٨] ﴿لَا تَقُمْ﴾ تصل ﴿وفيهِ أَبَدًا﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة ثَلَّثِي فِيهَا الْجَيْفُ ﴿لَتَسْجِدَ أُنَاسٌ﴾ بَيِّنَتْ قِوَاعُهُ ﴿عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم خَلَلْتَ بِذَارِ الْهَجْرَةِ، وهو: مسجد قباء؛ كما في البخاري (١) ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿وَفِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا﴾ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴿أَيُّ شَيْئِهِمْ﴾ أي شئهم (٢)، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، روى ابن خزيمة في «صحيحه» عن عويمر ابن ساعدة: أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء، فقال: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الشَّاءَ فِي الطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي تَطْهَرُونَ بِهِ؟»، قالوا: والله يا رسول الله، ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط؛ فغسلنا كما غسلوا (٣). وفي حديث رواه البزار: فقالوا: تنبع الحجارة بالماء (٤). فقال: «هُوَ ذَاكَ، فَعَلَيْكُمْو» (٥).

[١٠٩] ﴿أَمَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى﴾ مخافة ﴿رَبِّكَ وَاللَّهُ وَ﴾ رجاء ﴿وَرُضُونِ﴾ منه ﴿حَتَّى أَمْ مَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى شُكٍّ﴾ طرف ﴿جُرِّي﴾ بضم الراء وسكونها (٦)؛ جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَأَنهَارٍ يَدٍ﴾ سقط مع ثابته ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خير (٧)، تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه، والاستفهام للتقرير؛ أي: الأول خير؛ وهو مثال: مسجد قباء، والثاني مثال: مسجد الضرار ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[١١٠] ﴿لَا يَزَالُ يُبَيِّنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِبَّيْكَ﴾ شَكًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لَا أَنَّ تَقَطَّعَ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بأن يموتوا ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

[١١١] ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ بأن يبذلوها في طاعته؛ كالجهاد ﴿وَأَنَّ لَهُمُ الْحِجَّةَ يَقْبَلُونَ﴾ في سبيل الله ﴿فَيَقْبَلُونَ وَيُسَلِّتُونَ﴾ جملة استئناف بيان للشراء، وفي قراءة: بتقديم النبي للمفعول (٨)؛ أي: فيقتل بعضهم ويقتل الباقي ﴿وَسَدَّ عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْزَّبُورِ﴾ وَمَنْ أَوْفَى يَعْتَدِي رَبَّكَ اللَّهُ؛ أي: لا أحد أوفى منه ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا﴾ فيه النفات عن الغيبة ﴿بَيْنَكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِدَى﴾ وَذَلِكَ البيع ﴿هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ﴾ المُنْبِيلُ غَايَةَ الْمَطْلُوبِ.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِلْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَلَّا الْحُسُفُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٩﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴿١١٠﴾ أَفَمَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنهَارُ يَهْدِي فِيهِ نَارُ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١١﴾ لَا يَزَالُ يُبَيِّنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِبَّيْكَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْحِجَّةَ يَقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْبَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ ﴿١١٣﴾

[١٠٧] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ﴿وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ﴾ ضِرَارًا مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وَكُفْرًا﴾ لأنهم بثَّوه بأمر أبي عامر الراهب؛ ليكون معقلًا له يقدم فيه من يأتي من عنده، وكان ذهب ليأتي بجند من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يصلون بقاء؛ بصلابة بعضهم في مسجدهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترفقًا ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل نبائه؛ وهو: أبو عامر المذكور ﴿وَلَيَحْلِلْنَ إِنْ﴾ مَا أَرَدْنَا ﴿بَيْنَانَهُ﴾ الفعللة ﴿الْحُسُفُ﴾ من الرفق بالمسكين في المطر

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠٨): أخرج أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿وَفِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فهم هذه الآية.

أبو داود - كتاب الطهارة (١) باب (٢٣) في الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٤).

وأخرج ابن ماجه عن أبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك: أن هذه الآية نزلت ﴿وَفِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار، إن الله قد أثنى عليكم في الطهور، فما طهروكم؟» قالوا: نوضاً للصلاة، ونغسل من الجنابة، ونستنجي بالماء.

قال: «هو ذاك فعليكموه». ابن ماجه - كتاب الطهارة (١) باب (٢٨) الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٢٨٥).

(١) البخاري (٣٩٠٦) من حديث عائشة.

(٢) وهذا تأويل لصفة الحق بأحد لوازمها وهو الإثبات، ومذهب السلف إثبات ما أثبتته الله ﷻ لنفسه ورسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف ﴿لَيْسَ كَيْتَبُهُ﴾ شَيْءٌ وَهُوَ الْكِتَابُ الْعَظِيمُ [الشورى: ١١].

(٣) أخرجه أحمد (١٤٩٣٨) وابن خزيمة والطبراني والحاكم وابن مردويه عن عويم بن ساعدة [الدر المنثور (٤٩٧/٣)]، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب (٥٣٩/٢).

(٤) مختصر زوائد مسند البزار (١٥٠) والجمع بين الحجارة والماء كما قال النووي: باطل. ولا يصح الحديث بهذا اللفظ. وانظر: الضعيفة حديث رقم (١٠٣١).

(٥) بسكونها حمزة وشعبة وابن عامر. (٦) قدره؛ إشارة إلى أن خير ﴿مَنْ﴾ الثانية محذوف.

(٧) حمزة والكسائي.

[١١٢] ﴿التَّائِبِينَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ^(١)؛ من الشرك والنفاق^(٢) ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿الْمُتَّحِدِينَ﴾ له على كل حال ﴿السَّائِبِينَ﴾ الصائمون ﴿الْمُتَّحِدِينَ﴾ المتحدون ﴿أَي: المصلون﴾ ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ لأحكامه بالعمل بها ﴿وَيُؤْتِرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنة.

[١١٣] وَنَزَلَ فِي اسْتِغْفَارِهِ ﷺ لَعْنَهُ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْتِغْفَارِ بَعْضِ الصَّاحِبَةِ لِأَبِيهِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكُفْرِ﴾.

[١١٤] ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ يَقُولُ: سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾^(٣) رجاء أن يسلم ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ بموته على الكفر ﴿تَوَلَّى مِنْهُ﴾ وترك الاستغفار له ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَكْرَهُهُ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى.

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ لِلْإِسْلَامِ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ من العمل؛ فلا يتقوه؛ فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلِيمٌ﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ وَيُبَيِّنُ وَمَا لَكُمْ أَيْهَا النَّاسُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلَا نُصِيرُكُمْ عَنْ ضَرْبِهِ﴾.

[١١٧] ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ أي: آدم توبته ﴿عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أي: وقتها؛ وهي: حالهم في غزوة تبوك، كان الرجلان يقتسمان تمرًا، والعشرة يعقبون البعير الواحد، واشتد الحر حتى شربوا القُرُوثَ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَرِيحُهُ﴾ بالباء والياء^(٤): تميل ﴿فَلَوْ بَقِيَ مِنْهُمْ عَنْ اتِّبَاعِهِ إِلَى التَّخَلُّفِ﴾ لما هم فيه من الشدة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بالباء ﴿إِنَّهُمْ يَهْمُ رَوْفٌ رَجِيمٌ﴾.

التَّائِبُونَ الْعَالِمُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِبُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكُفْرِ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَوَلَّى مِنْهُ وَتَرَكَ اسْتَغْفَارَ لَهُ ﴿١١٥﴾ وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَكْرَهُهُ كَثِيرٌ عَلَى الْكُفْرِ وَالْعُدْوَانِ عَلَى آلِهِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٦﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ وَيُبَيِّنُ وَمَا لَكُمْ أَيْهَا النَّاسُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ تَبْلُغُوا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ أَجْمَعِ ﴿١١٧﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٨﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٣، ١١٤): أخرج البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أمية. فقال النبي ﷺ: «أبي، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: «لأستغفر لك ما لم أنه عنك». فنزلت: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكُفْرِ﴾. وأخرجه الترمذي عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبيه، وهما مشركان، فقلت له: تستغفر لأبيك وهما مشركان؟ فقال: أليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك؟ فذكرت ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

لترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. (حسن) صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٧).

ورواه النسائي - كتاب الجنايز (٢١) باب (١٠٢) النهي عن الاستغفار للمشركين - وفيه: فنزلت: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾ الآية. ورواه أحمد - المسند (٩٩/١)، إسناده صحيح. فإظهار أن الآيتين نزلتا جميعاً، وأن الاختصار من تصرف الرواة.

(١) أي: هم التائبون.

(٢) متعلق بـ ﴿التَّائِبِينَ﴾.

(٣) مريم: ٤٧.

(٤) بالباء قراءة السبعة عدا حمزة وحفص.

[١٢٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قِيلُوا لِلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ: الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ مِنْهُمْ﴾ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً شَدَّةً: أَي: أَغْلَظُوا عَلَيْهِمْ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِّنَ الْقُرْآنِ فَجَاهِهِمْ﴾ أَي: الْمُنَافِقِينَ ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ لِأَصْحَابِهِ اسْتَهْزَاءً: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ تصديقًا، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بفرحون بها.

[١٢٥] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ ضَعُفُ اعْتِقَادٍ ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كَفَرُوا إِلَىٰ كُفْرِهِمْ؛ لَكُفْرِهِمْ بِهَا ﴿وَسَاءَلُوا وَهُمْ كُفْرُورًا﴾.

[١٢٦] ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بِالْبَاءِ: أَي: الْمُنَافِقُونَ، وَالتَّاءِ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿أَنَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يَتَلَوْنَ ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بِالْفِطْحِ وَالْأَمْوَاضِ ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ مِنْ نِفَاقِهِمْ ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يَتَذَكَّرُونَ.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فِيهَا ذَكَرَهُمْ وَقَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يَرِيدُونَ الْهَرَبَ، يَقُولُونَ: ﴿هَذَا بَرَكَةٌ مِّنْ أَحَدٍ﴾ إِذَا قَمِعْتُمْ؛ فَإِنْ لَمْ يَرَهُمْ أَحَدٌ قَامُوا، وَلَا تَبَتُّوا ﴿ثُمَّ أَنصَرَفُوا﴾ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عَنِ الْهُدَىٰ ﴿يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الْحَقُّ؛ لَعَدَمِ تَدْبِيرِهِمْ.

[١٢٨] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أَي: مِنْكُمْ؛ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾ شَدِيدٌ ﴿عَلَيْهِ مَا عَشَيْتُمْ﴾ أَي: عَنَتُمْ؛ أَي: مَشَقَّتْكُمْ وَلِقَاؤُكُمْ الْمَكْرُوهَ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أَنْ تَهْتَدُوا ﴿يَا مُؤْمِنِينَ رَوْفٌ﴾ شَدِيدُ الرَّحْمَةِ ﴿رَحِيمٌ﴾ يَرِيدُ لَهُمُ الْخَيْرَ.

[١٢٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِكَ ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ﴾ كَافِيَ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ بِهِ وَتَقَشَّ لَا بَغْيَهِ ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرْسِيِّ﴾ ﴿الْعَظِيمِ﴾ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، عَنْ أَنَسٍ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: آخِرُ آيَةِ نَزَلَتْ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.^(١)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قِيلُوا لِلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ
هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَا تَوَّأَوْهُمْ كُفْرُورًا وَلَا
يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْقَهُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ وَإِذَا مَا
أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَوْكُمْ
مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

سُورَةُ التَّوْبَةِ

(١) بالناء قراءة حمزة.

(٢) وهذا رأي الحسن البصري والصراب أن العرش غير الكرسي، فالكرسي موضع القدمين له - شَيْخَانَةٌ - أما العرش فهو سرير الملك، وهو الذي عليه استوى الرحمن - جُلُّ فِي غَلَاةٍ.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٣٨/٢)، وأخرجه أحمد في المسند (١١٧/٥)، وقد ورد أن آخر آية نزلت هي: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾، وورد أيضًا أنها: ﴿وَأَلْفُوا يَوْمًا تُرْجِمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، وقد جمع الحافظ ابن حجر بين هذه الآثار، ورجح - وغيره من العلماء - آخريه آية البقرة لما فيها من الإشارة إلى معنى الوفاة المستطرفة لحاقمة النزول [الفتح (٥٣/٨)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ۚ أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝ إِنَّ رَبَّنَا لَأَعْلَمُ الْاِلٰهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اَسْوٰى عَلَى الْعَرْشِ ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ اِذْنِهِ ۚ ذٰلِكُمْ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ فَاَعْبُدُوْهُ ۚ اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ ۝ اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللّٰهُ حَقًّا اِنَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ وَلِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيْمٍ وَعَذَابٌ اَلِيْمٌ يَّمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوْا عَدَدَ السَّيِّنِ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اَللّٰهُ ذٰلِكَ اِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ ۝ اِنْ فِيْ اٰخْتِلَافِ اَلْيَلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اَللّٰهُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُوْنَ ۝ ١١

سورة يونس

[مكية إلا: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ﴾ الآيتين، أو: الثلاث، أو: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ الآية. مائة وتسع، أو: وعشر آيات، نزلت بعد الإسراء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ﴾

الْكِتَابِ ﴿الْقُرْآن، والإضافة بمعنى «من»﴾ الْكَبِيرِ ﴿الحكم.

[٢] ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة، استفهام إنكار، والجار والمجرور حال من قوله: ﴿عَجَبًا﴾ بالنصب خبر «كان»، وبالرفع اسمها^(١)، والخبر وهو اسمها على الأولى: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾؛ أي: بإحساننا ﴿إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنْذِرَ﴾ خَوْفٍ ﴿النَّاسِ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: بأن ﴿لَهُمْ قَدَمٌ﴾ سلف ﴿صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: أجراً حسناً بما قدموه من الأعمال ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ﴾ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿يَسْتَفْتُونَ﴾ فِي قِرَاءَةِ: ﴿لَسِحْرٌ﴾، والمشار إليه النبي ﷺ.

[٣] ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَأَعْلَمُ الْاِلٰهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي: في قمرها، لأنه لم يكن ثَمَّ شمس ولا قمر، ولو شاء لخلقهم في لحة، والعدول عنه لتعليم خلقه الثبوت ﴿ثُمَّ اَسْوٰى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءه بليق به ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ اِذْنِهِ﴾ ردّاً لقولهم: إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذٰلِكُمْ﴾ الخالق المدبر ﴿اَللّٰهُ رَبُّكُمْ فَاَعْبُدُوْهُ﴾ وخذوه ﴿اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ﴾ يادعاهم التاء في الأصل في الدال^(٢).

[٤] ﴿اِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللّٰهُ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المقدر ﴿اِلَيْهِ﴾ بالكسر استئنافاً، والفتح^(٣) على تقدير الهم ﴿يَبْدُو الْخَلْقَ﴾ أي: بدأه بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيْدُهُ﴾ بالبعث ﴿لِيَجْزِيَ﴾ يثيب ﴿الَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيْمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ اَلِيْمٌ﴾ مؤلم ﴿يَمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ﴾ أي: بسبب كفرهم.

[٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ ذات ضياء؛ أي: نور ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿لِتَعْلَمُوْا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السَّيِّنِ وَالْحِسَابِ﴾ مَا خَلَقَ اَللّٰهُ ذٰلِكَ الْمَذْكُورِ ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لا عبثاً، تعالى عن ذلك ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء والنون^(٤) ﴿بَيْنَ﴾ الْاَلَايَةِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ يتدبرون.

[٦] ﴿إِنْ فِي اٰخْتِلَافِ اَلْيَلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ اَللّٰهُ فِي السَّمٰوٰتِ﴾ من ملائكة، وشمس، وقمر، ونجوم، وغير ذلك ﴿وَفِي الْاَرْضِ﴾ من حيوان، ونبات، وبحار، وأنهار، وأشجار، وغيرها ﴿لَايٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ﴾ فيؤمنون، خصصهم بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها.

(١) وهي قراءة شاذة، ولم يجر المفسر على عادته في الإشارة إلى القراءة الشاذة بقوله: (وقرئ).

(٢) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر وفالون وأبي جعفر ويعقوب، وقرأ بنخفيف الدال (تَذَكَّرُونَ): حفص وحزمة والكسائي وحلف.

(٤) ظاهرها أنها بالفتح قراءة سبعية وليس كذلك، بل هي عشيرة لأبي جعفر.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن عامر وحزمة والكسائي وشعبة.

[٧] ﴿إِنَّ الْذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة؛ لإنكارهم لها ﴿وَالْمَأْثُورَ بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿عَتَوْنَ﴾ تاركون النظر فيها.

[٨] ﴿أُولَئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

[٩] ﴿إِنَّ الْذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ﴾ يرشدهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ يهديهم، به بأن جعل لهم نوراً يهتدون به يوم القيامة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ الْخَيْرِ﴾.

[١٠] ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا﴾ طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي: يا الله، فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم ^(١) ﴿وَقِيَّتُهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَامٌ وَأُخْرُ دَعْوَتُهُمْ أَنْ﴾ مفسرة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١١] ونزل لما استعجل المشركون العذاب: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ^(٢) ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع والنصب ^(٣) بأن يهلكهم، ولكن يهلكهم ﴿فَتَذَرُكَ﴾ تترك ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي مُلْكِنَا﴾ يترددون متحيرين ^(٤).

[١٢] ﴿وَلَوْ سَأَلَ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ﴾ الضَّرَّ ﴿الْمَرَضَ وَالْفَقْرَ﴾ دَعَا لِحَاجَتِهِ ﴿أَي: مضطجعا أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ أي: في كل حال ﴿فَلَنَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضَرْمَهُ مَرَّةً﴾ على كفره ﴿كَانَ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنه ﴿لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْمِ مَسْئَمٍ كَذَلِكَ﴾ كما زين له الدعاء عند الضرر والإعراض عند الرخاء ﴿وَزَيْنَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونُ الْأُولَى﴾ الأمم ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا أهل مكة ﴿لَنَّا ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿وَوَقَدْ﴾ قد ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا يَنْصِتُونَ﴾ عطف على ﴿ظَلَمُوا﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿تَجْزَى الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ الْخَيْرِ ﴿٩﴾ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأُخْرُ دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا الْجَنَّةَ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضَرْمَهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْمِ مَسْئَمِهِ كَذَلِكَ زَيْنَ لَهُ مَسْئَمَهُ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونُ الْأُولَى مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونُ الْأُولَى مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا يَنْصِتُونَ كَذَلِكَ تَجْزَى الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلِيفَةً﴾ جمع خليفة ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم فنصدقوا رسلنا؟.

(١) هذا أحد الأقوال، والقول الآخر أن المعنى أن دعاءهم الذي يدعون به في الجنة هو تسييح الله وتقديسه، وخاتمة دعائهم الذي هو التسييح أن يقولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذا هو الأرجح.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة ابن عامر.

(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.

(٤) أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ قال: هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: اللَّهُمَّ لَا تَارِكْ فِيهِ وَالعنه. ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ قال: لأهلك من دعا عليه ولأماته. [الدر المنثور (٣٤٦/٥)]. وأخرجه البخاري في كتاب التفسير (٦٥) - سورة يونس (١٠).

باب (١) الترجمة.

يَكُونُ ﴿١٦﴾ بِنَعْيٍ ﴿١٦﴾ أَنْ أُنْذِرَ مِنْ تِلْقَايَ قِيلَ ﴿١٦﴾ تَقِيَّتُ إِنِّ مَا أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾ هو يوم القيامة.

﴿١٦﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِكْتُكُمْ أَعْلَمُكُمْ ﴿١٦﴾ بِهِ، وَلَا نَافِعَ عَظْفَ عَلَى مَا قِيلَ، وَفِي قِرَاءَةِ (١): بِلَامِ جَوَابِ «لَوْ»؛ أَيْ: لِأَعْلَمُكُمْ بِهِ عَلَى لِسَانِ غَيْرِي ﴿١٦﴾ فَقَدْ لَيْتُ ﴿١٦﴾ مَكَتَ ﴿١٦﴾ عُمَرَا سَنِيًّا (٢) أَرْبَعِينَ ﴿١٦﴾ مَن قَبْلَهُ ﴿١٦﴾ لَا أَحْدَثُكُمْ بِشَيْءٍ ﴿١٦﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي قَبْلِي.

﴿١٧﴾ ﴿١٧﴾ مَن: أَيْ: لَا أَحَدَ ﴿١٧﴾ أَظْلَمُ مَن أَقْدَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٧﴾ بِنَسْبَةِ الشَّرِيكِ إِلَيْهِ ﴿١٧﴾ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴿١٧﴾ الْقُرْآنَ ﴿١٧﴾ (بَنِي) أَيْ: الشَّأْنَ ﴿١٧﴾ لَا يُفْلِحُ ﴿١٧﴾ يَسْعَدُ ﴿١٧﴾ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ الْمَشْرُكُونَ.

﴿١٨﴾ ﴿١٨﴾ وَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ؛ أَيْ: غَيْرِهِ ﴿١٨﴾ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ﴿١٨﴾ إِنْ لَمْ يَعْبُدُوهُ ﴿١٨﴾ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴿١٨﴾ إِنْ عْبُدُوهُ، وَهُوَ الْأَصْنَامُ ﴿١٨﴾ وَيَقُولُونَ ﴿١٨﴾ عَنْهَا: ﴿١٨﴾ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ لَهُمْ: ﴿١٨﴾ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ تَخْبِرُونَهُ ﴿١٨﴾ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴿١٨﴾ اسْتَغْفَاهُمْ إِنْكَارًا إِذْ لَوْ كَانَ لَهُ شَرِيكَ لَعَلِمَهُ؛ إِذْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ﴿١٨﴾ سُبْحَنَهُ ﴿١٨﴾ تَنْزِيهَا لَهُ ﴿١٨﴾ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ مَعَهُ.

﴿١٩﴾ ﴿١٩﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً ﴿١٩﴾ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى نُوحٍ (٣)، وَقِيلَ: مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى عَمْرِو بْنِ لُحْيٍ ﴿١٩﴾ فَاتَّخَذُوا ﴿١٩﴾ بَأْنَ ثَبِتَ بَعْضُ وَكَفَرَ بَعْضُ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴿١٩﴾ بِتَأْخِيرِ الْجَزَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١٩﴾ لَفُتِيَ بِلَهْمٍ: أَيْ: النَّاسُ فِي الدُّنْيَا ﴿١٩﴾ وَبِمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ مِنَ الدِّينِ بِتَعَذُّبِ الْكَافِرِينَ.

﴿٢٠﴾ ﴿٢٠﴾ وَيَقُولُونَ ﴿٢٠﴾ أَيْ: أَهْلُ مَكَّةَ: ﴿٢٠﴾ لَوْلَا ﴿٢٠﴾ هَلَّا ﴿٢٠﴾ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿٢٠﴾ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿٢٠﴾ آيَةً مِنْ رَبِّهِ ﴿٢٠﴾ كَمَا كَانَ لِلْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْمُنَاقَةِ وَالْعَصَا وَالْيَدِ ﴿٢٠﴾ فَقُلْ لَهُمْ: ﴿٢٠﴾ إِنَّمَا الْغَيْبُ ﴿٢٠﴾ مَا غَابَ عَنِ الْعِبَادِ؛ أَيْ: أَمْرُهُ ﴿٢٠﴾ لِلَّهِ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ الْآيَاتِ، فَلَا يَأْتِي بِهَا إِلَّا هُوَ، وَإِنَّمَا عَلَيَّ التَّبْلِيغُ ﴿٢٠﴾ فَانْظُرُوا ﴿٢٠﴾ الْعَذَابَ إِنْ لَمْ تَوْمِنُوا ﴿٢٠﴾ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ.

وَإِذَا تُنْزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا نَبْهَتِ قَالِ الذُّبَابُ لَا تَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتُ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَايَ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِكْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَيْتُ فِيكُمْ عُمَرَاءَ مَن قَبْلَهُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ فَمَن أَظْلَمُ مَن أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٨﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُتِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٠﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢١﴾

﴿١٥﴾ ﴿١٥﴾ وَإِذَا تُنْزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا ﴿١٥﴾ الْقُرْآنَ ﴿١٥﴾ يَبْهَتُونَ ﴿١٥﴾ ظَاهِرَاتٍ، حَالِ ﴿١٥﴾ قَالِ الذُّبَابُ لَا تَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴿١٥﴾ لَا يَخَافُونَ الْبَعْثَ: ﴿١٥﴾ أَتَيْتُ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا ﴿١٥﴾ لَيْسَ فِيهِ عِبٌّ أَهْمُنَا ﴿١٥﴾ أَوْ بَدَّلَهُ ﴿١٥﴾ مِنْ تِلْقَايَ نَفْسِكَ ﴿١٥﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿١٥﴾

(١) لابن كثير، بحلف عن البري، وتكون اللام للتأكيد؛ أَيْ: وَلَافَتْ زَاكُم.

(٢) وجري المفسر فيه على طريقة من يجعله مثل «حين» ومنه حديث: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ نَبِيًّا كُنَيْتَيْنِ يُوشِفُ» فِي إِحْدَى الرَّوَابِيتِ.

(٣) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وهو الصحيح؛ فَإِنَّ قَوْمَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا هُمُ الْأَوَّلُ مِنْ كَفَرِ بِالرَّحْمَنِ وَعَبَدُوا الْأَوْثَانَ مِنَ الْأُمَمِ.

[٢١] ﴿وَإِذَا أَدْقَا النَّاسُ﴾ أي: كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ مطرًا وخصبًا ﴿مِنْ بَعْدِ صَرَّةٍ﴾ بؤس وجذب ﴿مَسْتَهْمٌ﴾ إذا لهم مَكْرٌ فِي عَابَاتِنَا ﴿بِالاستهزاء والتكذيب﴾ ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاة^(١) ﴿إِنْ رُسُلُنَا﴾ الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَكْذُرُونَ﴾ بالباء والياء^(٢).

[٢٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُبْرِزُكُمُ﴾ وفي قراءة: ﴿يُثْثِرُكُمْ﴾^(٣) ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ السَّفِينِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ فِيهِ الثَّقَاتُ عَنِ الْخَطَابِ ﴿بِرِيحٍ طَبَيعَةٍ﴾ لينة ﴿وَقَرَحُوا﴾ يَهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عاصِفٌ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: أهلكوا ﴿دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ الدعاء ﴿لِيُنْ﴾ لام قسم ﴿أَجْعَلَنَا مِنْ هَٰؤُلَاءِ الْأَهْوَالِ﴾ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿الْمُوحِدِينَ﴾.

[٢٣] ﴿فَلَمَّا أَتَتْهُمْ إِذَا هُمْ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بالشرك ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْكُمْ﴾ ظلمكم ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ لأن إثمه عليها هو ﴿[مَنْعَكُمْ]﴾^(٤) السَّيْرَةَ الدُّنْيَا تمتعون فيها قليلاً ﴿فَدُّرْ﴾ إِلَيْنَا سَرَحَكُمْ ﴿بعد الموت﴾ فَتَبَيَّنَتْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿فنجازيكم عليه﴾ وفي قراءة بنصب ﴿مَنْعَكُمْ﴾^(٥) أي: تمتعون.

[٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾ صفة ﴿الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَا﴾ مطر ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ بسببه ﴿بَثَّ الْأَرْضُ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿بِمَا يَأْكُلُ النَّاسُ مِنَ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا﴾ وَالْأَنْفَعُ مِنَ الْكَلَامِ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَغْذَبَ الْأَرْضُ زُرْعَهَا﴾ بهجتها من النبات ﴿وَأَزْيَّتْ﴾ بالزهر، وأصله: تربت أبليت التاء زايًا وأدغمت في الزاي ﴿وَطَرَسَ﴾ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ تَدِيرُونَ عِبَادًا ﴿متمكنون من تحصيل ثمارها﴾ أَتْلَاهَا أَمْرًا ﴿قَضَانَا أَوْ عَذَابًا﴾ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالخضود بالمنجل ﴿كَانَ﴾ مخففة؛ أي: كأنها ﴿لَمْ تَنْ﴾ تكن ﴿بِالْأَمْسِ﴾ كَذَلِكَ فَفَصِّلْ تُبَيِّنْ ﴿الْآيَتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

[٢٥] ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ أي: السلامة وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٦) دين الإسلام.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن الواس بن سمعان الكلبي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَنَفِي - أَيِ جَانِبِي - الصِّرَاطِ زُورَان - أَيِ: حِدَارَان - لِهَمَا أَبْوَابَ مُفْتَحَةٍ، عَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ وَدَاعٌ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ، وَدَاعٌ يَدْعُو فَوْقَهُ» وَهُوَ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

والأبواب التي على كنف الصراط حدود الله، فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر، والذي يدعو من فوقه واعظ ربه. الترمذي. كتاب الأمثال (٤٥) باب (١) ما جاء في مثل الله لعباده، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٢٩٥).

(١) وحقيقة المكر هو التدمير الحكيم في إزال العقوبة بالجزم من حيث لا يشعر، فهو أحص من مطلق المجازاة؛ فالكر من الله سبحانه بدير لرد كيد الكائد في تحره وإنزال العقوبة به من حيث لا يشعر، ومجازاته بجنس عمله وسعيه وبيته، وسبق بيان مذهب السلف في هذا النوع من الصفات، وأنها فيما سبقت له مدح وكمال، ونشنته لله ﷻ على ما يليق به. شيخنا - من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمس ولا تكيف.

(٢) ظاهره أنها بالياء قراءة سبعة وليس كذلك، بل هي عشرية لرؤح.

(٣) لابن عامر.

(٤) قراءة الرفع للسبعة عدا حفص.

(٥) وهي قراءة حفص.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ عَظِفَ عَلَىٰ﴾ [الَّذِينَ أَحْسَنُوا]؛ أي: وللذين ﴿كَسَبُوا﴾ [الذنبيات] عملوا الشرك ﴿جَزَاءَ سَيِّئَةٍ يَبْتَغِيهَا وَيُرْهِفُهُمْ ذَلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ﴾ [زائدة] عاصيهم مانع ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ﴾ [البست] وجوههم قطعاً بفتح الطاء جمع قطعة، وإسكانها أي: جزءاً^(١) ﴿فَرَأَىٰ الْأَيْلَ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْرِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكُونُونَ﴾ [يَوْمَ تَحْشُرُهُمْ] أي: الخلق جميعاً ثم يقول للذين أشركوا مكانكم ﴿نُصِبَ بِهِ الرُّمُومُ﴾ مقدراً ﴿أَنْتُمْ﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر؛ يعطف عليه ﴿وَشُرَكَاءُ وَكُفْرًا﴾ أي: الأصنام ﴿فَوَرَّيْنَا﴾ [مِيزَانًا] بينهم وبين المؤمنين كما في آية ﴿وَأَمَّنُوا يَوْمَ يَأْتِي الْتَّجْرُمُونَ﴾^(٢) ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ [شُرَكَاءُهُمْ مَّا كُنْتُمْ] إيانا تعبدون ﴿مَا﴾ نافية، وقدم المفعول للفاصلة^(٣).

[٢٩] ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا يَبَيِّنُنَا بَيْنَكُمْ إِن﴾ مخففة؛ أي: إنا ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾.

[٣٠] ﴿مَّا لَئِكَ﴾ أي: ذلك اليوم ﴿تَبَلَّوْا﴾ من البلوى، وفي قراءة بناءين^(٤) من التلاوة ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ قدمت من العمل ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ﴾ [الثابت الدائم] ﴿وَصَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ عليه من الشركاء.

[٣١] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ [مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ] بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ بمعنى الأصماع؛ أي: خلقها ﴿وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ [بين الخلائق] ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ هو ﴿اللَّهُ فَقُلْ لَهُمْ﴾ [أَفَلَا تَنْقُونَ] فتموتون.

[٣٢] ﴿فَذَلِكُمْ﴾ [الفاعل لهذه الأشياء] ﴿اللَّهُ رَزَقَكُمُ الْحَقَّ﴾ [الثابت] ﴿فَمَآذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ استفهام تقرير؛ أي: ليس بعده غيره، فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال ﴿وَأَنَّ كَيْفَ تَصْرُفُونَ﴾ [عن الإيمان] قيام البرهان؟!.

[٣٣] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَيْمَتْ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ كفروا، وهي ﴿لَا مَلَأَتْ جَهَنَّمَ﴾ الآية^(٥)، أو هي ﴿أَنْتُمْ لَا تَدْرُونَ﴾.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [والذين كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمَثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ الْإِلِّ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِنَّا نَاتَعْبُدُكُمْ^(٦) كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا يَبَيِّنُنَا بَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ^(٧) هُنَالِكَ تَبَلَّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ^(٨) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ^(٩) فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَآذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِ تَصْرِفُونَ^(١٠) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَيْمَتْ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ^(١١)

[٢٦] ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ [الجنة] ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي النظر إليه - تعالى - كما في حديث مسلم^(١) ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ يعشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ كآبة ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

(١) مسلم (١٨١) عن صهيب بن سنان عن النبي ﷺ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

(٢) بالإسكان قراءة الكسائي وابن كثير.

(٣) يس: ٥٩.

(٤) أي لمرعاة ربوس الآيات.

(٥) حمزة والكسائي.

(٦) السجدة: ١٣.

[٣٤] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ اللَّهُ يَسْتَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ تَوْفِيقِي﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل.

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يَنْتَبِعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾ يهدي ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِي﴾ أحق أن يتبع؟ استفهام تقرير وتوبيخ؛ أي: الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه؟

[٣٦] ﴿وَمَا يَنْتَبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا غُلًّا﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿وَإِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْرَأَ﴾ أي: افتراء ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلَكِنْ أَنْزَلَ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَقْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ تبين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لَا رَبَّ شَكَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمُنْكَرِينَ﴾ متعلق بـ ﴿تَصْدِيقٍ﴾ أو «أنزل» المحذوف، وقرئ^(١) برفع ﴿تَصْدِيقٍ﴾ و﴿تَقْصِيلٍ﴾ بتقدير هو.

[٣٨] ﴿أَمْ بَلْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأَنزِلُوا سُورَةَ يَسْأَلُونَ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء؛ فإنكم عربون فصحاء مثلي ﴿وَأَنزِلُوا﴾ للإعانة عليه ﴿مَنْ اسْتَطَاعَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء فلم يقدروا^(٢) على ذلك.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي: القرآن ولم يتدبروه ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء.

[٤٠] ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ لعلم الله ذلك منهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أبداً ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم.

[٤١] ﴿وَإِنْ كَذَّبَكَ فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: لكل جزاء عمله ﴿أَنَّهُ رِيتُونِ وَمَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ اللَّهُ يَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ تَوْفِيقِي قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَنْتَبِعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ وَمَا يَنْتَبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا غُلًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْرَأَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَقْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأَنزِلُوا سُورَةَ يَسْأَلُونَ وَأَنزِلُوا وَمَنْ اسْتَطَاعَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ وَإِنْ كَذَّبَكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ وَمِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ

[٤٢] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ مع الصمم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

(١) أي: شذوذاً.

(٢) وهي نسخة: «تقدروا» بالباء، والمثبت أظهر.

القبور ﴿لَا سَاعَةَ مِنَ الْكَفَّارِ﴾ لهول ما رأوا، وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بعثوا، ثم ينقطع التعارف؛ لشدة الأحوال، والجملة حال مقدرة^(١)، أو متعلق الظرف^(٢) ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

[٤٦] ﴿وَمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المريدة ﴿رَبُّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْلَمُ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَوْ نُرِيكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مُطْلِعٌ ﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذبوه ﴿فَضَى بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، فيعذبون وينجي الرسول ومن صدقه ﴿وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذاك نفعل بهؤلاء.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. [٤٩] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أجلبه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يقدرني عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ﴾ يتأخرون عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ يتقدمون عليه.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ﴾؛ أي: الله ﴿يَسْتَأْذِنُ﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ أي: العذاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون، فيه وضع الظاهر موضع المضمَر، وجملة الاستفهام جواب الشرط؛ كقولك: إذا أتيتك ماذا تعطيني؟ والمراد به التهويل؛ أي: ما أعظم ما استعجلوه.

[٥١] ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ خلَّ بكم ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾؛ أي: الله، أو العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير، فلا يقبل منكم، ويقال لكم: ﴿ءَالْتَمَنَّا تَزْمُونُ﴾ وقد كنتم به تَسْتَعْجِلُونَ استهزاء.

[٥٢] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا دُفَعُوا عَتَابَ الْخُلْدِ﴾ أي: الذي تخلصون فيه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٥٣] ﴿وَسَنَسْخِرُونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾؛ أي: ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلْ إِيَّايَ﴾ نعم ﴿وَرَبِّكَ إِنَّمَا لِحَقِّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بغايتين العذاب.

وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٩﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥١﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَتَاكُمْ عَذَابُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٣﴾ أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَالْتَمَنَّا تَزْمُونُ ﴿٥٤﴾ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا دُفَعُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَسْتَعِزُّونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِيَّايَ وَرَبِّي إِنَّهُ وَلِحَقِّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٧﴾

[٤٣] ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ شبههم بهم في عدم الاهتمام، بل أعظم ﴿فَأَنَّى لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الْأَفْئِدَةِ﴾^(١).

[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾^(٢) كان؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَلْسُوا﴾ في الدنيا أو

(١) الحج: ٤٦.

(٢) هي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص بالياء: ﴿يُحْشَرُهُمْ﴾.

(٣) أي: يوم نحشرهم متعارفين بينهم.

(٤) أي: «يوم»، وتقدير الكلام: يتعارفون بينهم يوم نحشرهم.

[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ كُفِرَتْ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ جميعاً من الأموال ﴿لَافْتَدَتْ بِوَهٍّ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أخفاها رؤسائهم عن الضعفاء الذين أضلّوهم مخافة التعبير ﴿وَقُصِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلاقين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ شيئاً.

[٥٥] ﴿أَلَا إِنَّ يَوْمَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ ثابت ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٥٦] ﴿هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

[٥٧] ﴿يَتْلِيهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَدَجَّ تَكُم مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كتاب فيه ما لكم وما عليكم وهو القرآن ﴿وَشِفَاءٌ﴾ دواء ﴿لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٥٨] ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ﴾ الإسلام ﴿وَرَحْمَتَهُ﴾ القرآن ﴿فِي ذَلِكَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ﴾ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ من الدنيا والباء والباء^(١).

[٥٩] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ خلق^(٢) ﴿لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ كالبحيرة والسائبة^(٣) والميتة ﴿قُلْ هَلْ أَلَّفَهُ بَيْنَ يَدَيْكُمْ﴾ في ذلك بالتحليل والتحرير ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ نَفِثُوسٌ﴾ تكذبون بنسبة ذلك إليه.

[٦٠] ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: أي شيء ظنهم به ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أَيْحْسِبُونَ أَنَّهُ لَا يَعْقِبُهُمْ؟! لا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

[٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أمر ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾ أي: من الشأن أو الله ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ أنزله عليكم ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ خاطبه وأُمّته ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رقباء ﴿إِذْ تُفَيْصُونَ﴾ تأخذون ﴿فِيهِ﴾ أي: العمل ﴿وَمَا يَنْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر غلّة

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ يَتْلِيهَا النَّاسُ أَهْلُ مَكَّةَ فَدَجَّ تَكُم مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ كِتَابٌ فِيهِ مَا لَكُمْ وَمَا عَلَيْكُمْ وَهُوَ الْقُرْآنُ وَشِفَاءٌ لِلْمَآلِ فِي الصُّدُورِ مِنَ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ وَالشُّكُوكِ وَهُدًى مِنَ الضَّلَالِ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ الْإِسْلَامَ وَرَحْمَتَهُ الْقُرْآنَ فَبِذَلِكَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْبَاءِ وَالْبَاءِ^(١) ﴿٥٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ أَخْبَرُونِي مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ خَلْقًا^(٢) لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ هَلْ أَلَّفَهُ بَيْنَ يَدَيْكُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ أَمْ عَلَى اللَّهِ نَفِثُوسٌ تَكْذِبُونَ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ. ﴿٦٠﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ أَي: أَي شَيْءٍ ظَنُّهُمْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْحْسِبُونَ أَنَّهُ لَا يَعْقِبُهُمْ؟! لَا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ بِإِمِهَالِهِمُ وَالْإِنْعَامَ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ. ﴿٦١﴾ وَمَا تَكُونُ يَا مُحَمَّدُ فِي شَأْنٍ أَمْرٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ أَي: مِنْ الشَّأْنِ أَوْ اللَّهَ مِنْ قُرْآنٍ أَنْزَلَهُ عَلَيْكُمْ وَلَا تَعْمَلُونَ خَاطِبُهُ وَأُمَّتُهُ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا رِقَبَاءَ إِذْ تُفَيْصُونَ تَأْخِذُونَ فِيهِ أَي: الْعَمَلَ وَمَا يَنْزُبُ يَغِيبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَزَنَ ذَرَّةٍ أَصْغَرُ غَلَّةٍ

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّنٌ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ.

(١) بالناء لابن عامر.

(٢) الأقرب: كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ. أَنْ يَحْمِلَ الْإِنْزَالَ عَلَى مَعَاهِ الظَّاهِرِ، وَيَكُونُ فِي آيَةِ إِثْبَاتِ عُلُوِّهِ - تَعَالَى - بَذَاتِهِ فَوْقَ خَلْقِهِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ قَاطِبَةً، وَهُوَ مَا يَحْتَاجُشِي الْمُسَرِّ ذِكْرَهُ مُوَافَقَةً لِمَذْهَبِ الْأَشَاعِرَةِ.

(٣) سَبَقَ بَيَانُ مَعْنَى الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ عِنْدَ تَفْسِيرِ آيَةِ (١٠٣) مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ.

[٦٤] ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فُشِّرَتْ فِي حَدِيثٍ صَحِيحِهِ الْحَاكِمُ بِالرُّوْيَا الصَّالِحَةِ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ^(١) ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الْجَنَّةُ وَالْثَوَابُ ﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لَا تَحُلِفُ لِمَوَاعِيدِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٥] ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ لَكَ: لَسْتُ مَرْسَلًا وَغَيْرِهِ ﴿إِنَّ﴾ اسْتِنَافَ ﴿الْمِرَّةِ﴾ الْقُوَّةَ ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِلْقَوْلِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِالْفِعْلِ فَيَجَازِيهِمْ وَيَنْصَرِكُ.

[٦٦] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ عِبِيدًا وَمَلَكًا وَخَلْقًا﴾ وَمَا يَبْجَعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَدْعُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ أَصْنَافًا ﴿شُرَكَاءَ﴾ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ﴿إِنْ﴾ مَا يَدْعُونَ ﴿يَدْعُونَ﴾ فِي ذَلِكَ ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ أَي: ظَنُّهُمْ أَنَّهَا إِلَهَةٌ تَشْفَعُ لَهُمْ ﴿وَأِنْ﴾ مَا هُمْ ﴿إِلَّا يَحْمُسُونَ﴾ يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ لِنَسْكُتُوا فِيهِ وَلِنَهَارًا مُبْصِرًا﴾ إِسْنَادُ الْإِبْصَارِ إِلَيْهِ مَجَازٌ؛ لِأَنَّهُ يُبْصِرُ فِيهِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دَلَالَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعٌ تَدْبِيرٌ وَاتِّعَاضٌ.

[٦٨] ﴿قَالُوا﴾ أَي: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ: ﴿أَتَعْبُدُ اللَّهَ وَلَدًا﴾ قَالَ تَعَالَى لَهُمْ: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ عَنِ الْوَلَدِ ﴿هُوَ الْعَلِيُّ﴾ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُ الْوَلَدَ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ﴿لَكُمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا وَعِبِيدًا ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حُجَّةٍ ﴿بِهَذَا﴾ الَّذِي يَقُولُونَهُ ﴿أَنقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ.

[٦٩] ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بِنِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لَا يَسْعُدُونَ.

[٧٠] لَهُمْ ﴿مَتَاعٌ﴾ قَلِيلٌ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مَدَّةَ حَيَاتِهِمْ ﴿ثُمَّ﴾ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ بِالْمَوْتِ ﴿ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿يَمَّا﴾ كَانُوا يَكْفُرُونَ.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ أَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَشْعُرُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْمَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخِرُّصُونَ﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ لِنَسْكُتُوا فِيهِ وَلِنَهَارًا مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿قَالُوا أَتَأْتِخَذُ اللَّهَ وَلَدًا﴾ سُبْحَنَهُ وَهُوَ الْعَلِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

[٦٢] ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

[٦٣] هُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿اللَّهُ بِامْتِنَالِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

(١) المشترك (٣٤٠/٢). ورواه الترمذي (٢١٩٩) وأحمد (٢٦٢٥٠) عن أبي الدرداء مرفوعًا. ورواه الترمذي (٢٢٠١) وابن ماجه (٢٨٨٨) وأحمد (٢١٦٣٠) عن عباد بن الصامت مرفوعًا، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٨٥٤).

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَنتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَانِ اللَّهُ سَيَبْطِلُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُصْلِحُ
 عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُخَيِّئُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَاءَ أَمْنٍ لِّمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ عَلَى
 خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
 فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَلْقَوْنِي
 كُنتُمْ عَامِتُمْ بِاللَّهِ فَاعْلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾
 فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
 ﴿٨٥﴾ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
 وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا يُبْصِرُ يُبُوتَا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ
 قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى
 رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ
 وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

[٧٩] وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فائق في علم السحر.

[٨٠] فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى ﴿٨٠﴾ بعد ما قالوا له: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُلْقِيٌّ

وَلَيْمَّا أَنْ تَكُونَ تَحْتَ الْمُلُوكِ﴾ (١): ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾.

[٨١] ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ جبالهم وعصيهم ﴿قَالَ مُوسَى مَا﴾ استفهامية مبتدأ خبره ﴿جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ (٢) بدل، وفي قراءة بهزرة واحدة (٣) إخبار (٤)، فـ «ما» (٥) اسم موصول مبتدأ (٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ﴾ أي: سيمحقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٨٢] ﴿وَيُخَيِّئُ﴾ يثبت ويظهر ﴿اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَمَاءَ أَمْنٍ لِّمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً﴾ طائفة ﴿مِّن﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِ﴾ أي: فرعون ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ بصرفهم عن دينه بتعذيبه ﴿وَلِإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ متكبر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَلِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية.

[٨٤] ﴿وَقَالَ مُوسَى يَلْقَوْنِي إِن كُنتُمْ عَامِتُمْ بِاللَّهِ فَاعْلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا بنا.

[٨٦] ﴿وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٨٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ اتخذوا ﴿الْقَوْمَ كَمَا يُبْصِرُ يُبُوتَا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فضلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف، وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أتموها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة.

[٨٨] ﴿وَقَالَكَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ أنتهم ذلك ﴿لِيُضِلُّوهُ﴾ في عاقبته ﴿عَنِ سَبِيلِكَ﴾ دينك ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ امسحها ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ المؤلم، دعا عليه وأمرن هارون على دعائه.

(١) الأعراف: ١١٥.

(٢) قرأ أبو عمرو بالمد والهمز، وقوله: خبره؛ أي: ﴿جِئْتُمْ بِهِ﴾، وبدل؛ أي: ﴿السِّحْرُ﴾.

(٣) أي همزة الوصل في «السحر».

(٤) أي فهو إخبار.

(٥) على هذه القراءة.

(٦) وخبره: جملة: «إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ».

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ
فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ
قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ
مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾
وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٩٧] ﴿وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا ينفعهم
حينئذ.

[٨٩] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ﴾ فمسخت أموالهم
حجارة، ولم يؤمن فرعون حتى أدركه العرق ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة
والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في
استعجال قضائي، روي أنه مكث بعدها أربعين سنة^(١).

[٩٠] ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ﴾ لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ
وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ مفعول له ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ
أَنَّهُ أَيُّ: بَأَنَّهُ، وفي قراءة بالكسر^(٢) استنفاً ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ-
بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ كره ليقبل منه فلم يقبل، ودس جبريل في فيه
من حمأة^(٣) البحر مخافة أن تناله الرحمة^(٤).

[٩١] وقال له: ﴿ءَأَلْقَنَ﴾ تؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ﴾ بضاللك وإضلالك عن الإيمان.

[٩٢] ﴿فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نخرجك من البحر ﴿بِبَدَنِكَ﴾ جسدك الذي لا
روح فيه ﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾ بعدك ﴿ءَايَةً﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا
يقدموا على مثل فعلك، وعن ابن عباس أن بعض بني إسرائيل شكوا في موته
فأخرج لهم لبروه^(٥) ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿عَنْ ءَايَتِنَا
لَغَافِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها.

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ﴾ منزل كرامة، وهو
الشام ومصر ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض
﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾
من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين.

[٩٤] ﴿فَإِنْ كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ من القصص
فرضاً^(٦) ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت
عندهم يخبروك بصدقه، قال ﷺ: «لا أشك ولا أسأل»^(٧) ﴿لَقَدْ جَاءَكَ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه.

[٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ﴾.

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب

(٥) ما جاء في برول الآية (٩٤): أخرج أبو داود عن أبي زميل قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله ﷻ: ﴿فَإِنْ كُنْ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قال: فقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً نقل: ﴿مُّوَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ وَالْأَطْلَحَ وَالْأَكْبَرُ وَهُوَ يُحْيِي بَعْضُنَا وَيَمُوتُ بَعْضُنَا﴾ أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (١١٨) في رد الموسومة. (حسن الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٤٢٦٢).

(١) أخرجه الحكيمة الترمذي عن مجاهد وهو قول ضعيف، كما ذكر القاضي كعان في قرعة العينين.

(٢) لحمة والكسائي.

(٣) أي طينه.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٠٣٢) وأحمد (٢٦٨١) عن ابن عباس مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٦).

(٥) ذكر ابن كثير في تفسيره نحوه وكذلك في البداية والنهاية، وأخرج نحوه الطبري (١٧٨٧٤).

(٦) أخرجه عبد الرزق وابن جرير عن قتادة [الدر المنثور (٥٧١/٣)] وهو ضعيف لإرساله.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ
لَمَاءَ آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٩﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ
كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
﴿١٠٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَجْعَلُ الرِّجْسَ
عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْأَيُّتُ وَالَّذُرْعَن قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٠٢﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ
قُلْ فَأَنْتَظِرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ نُنْجِي
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾
قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَنْ أَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مَرَبَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾

[٩٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أريد أهلها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل نزول

العذاب بها ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ لَمَاءَ آمَنُوا﴾ عند رؤية
أمر العذاب ولم يؤمنوا إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ انقضاء أجالهم.

[٩٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ
النَّاسَ﴾ بما لم يشأ الله منهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لا.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَتَجْعَلُ
الرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون آيات الله.

[١٠١] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿أَنْظِرُوا مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله - تعالى - ﴿وَمَا تُعْنِي الْأَيُّتُ
وَالَّذُرْعَن﴾ جمع نذير؛ أي: الرسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله؛ أي:
ما تنفعهم.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بكذبك ﴿إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ
خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ أي: مثل وقائعهم من العذاب ﴿قُلْ فَأَنْتَظِرُوا﴾
ذلك ﴿إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنْجِي﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا﴾ من العذاب ﴿كَذَلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النبي
ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين.

[١٠٤] ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ﴾؛ أي: أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ
دِينِي﴾ أنه حق ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره وهو
الأصنام لشككم فيه ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقبض أرواحكم
﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَلَنْ أَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه ﴿وَلَا
تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٦] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا
يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبدته ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مَرَبَ الظَّالِمِينَ﴾.

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْ
بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ
فإنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٩﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ
إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَخُوضَ لَكُمْ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١١٠﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِبِ أَحْكَمَتِ آيَتُهُ وَفُرُصَتِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
الْأَعْبَادُ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ ثُمَّ يُنَوِّتُوا إِلَيْهِ يَمِيعَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ إِلَّا أَنَّهُمْ
يَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ الْأَحْيَاءُ يَسْتَفْشُونَ شِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

ونزل كما رواه البخاري^(١) عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى^(٢) أو
يجامع فيفضي^(٣) إلى السماء.

[٥] وقيل: في المنافقين: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ﴾ أي:
الله ﴿أَلَا جِنَّةً يَسْتَفْشُونَ شِيَابَهُمْ﴾ يتغشون بها ﴿يَتَمَلَّمُ﴾ تعالى ﴿مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يعني استخفاؤهم^(٤) ﴿إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

[١٠٧] ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ﴾ يصيبك ﴿اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلَا
كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ وَإِنْ يُرِيدْ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ دافع
﴿لِفَضْلِهِ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾
وهو الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

[١٠٨] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾؛ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ
فإنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾
فأجبركم على الهدى.

[١٠٩] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ من ربك ﴿وَأَصِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم
﴿حَتَّىٰ يَخُوضَ لَكُمْ اللَّهُ﴾ فهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أغلظهم، وقد صبر
حتى حكم على المشركين بالقتال، وأهل الكتاب بالجزية.

سُورَةُ هُودٍ

[مكية إلا: ﴿وَأَنذِرُ الْمَسْلُومَ﴾ الآية، أو: إلا: ﴿فَلَمَّا كَثُرَ﴾
الآية، و﴿أَوَّلَتْكَ يَوْمَئِذٍ﴾ الآية. مائتان واثنان، أو: وثلاث
وعشرون آية، نزلت بعد يونس^(٥)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّكِبِ﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا ﴿كَتَبْتُ أَخْبَرْتُ﴾ أي: عجيب
النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فَصَّلْتُ﴾ بيّنت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿وَمِنْ
لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: الله.

[٢] ﴿أَنَّهُ﴾ أي: بأن ﴿لَا تُقْبَدُوا إِلَّا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن
كفرتم ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالثواب إن آمنتم.

[٣] ﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ يُنَوِّتُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾
بالطاعة ﴿يَمِيعَكُمْ﴾ في الدنيا ﴿مَتَاعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ في
العمل ﴿فَضْلَهُ﴾ جزاءه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فيه بحذف إحدى التاءين؛ أي:
تعرضوا ﴿فإنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة.

[٤] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الثواب والعذاب.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، قد شئت؟! قال: «شيتني هود الواقعة والمرسلات وعم يساءلون، وإدا الشمس كورت». الترمذي - كتب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٧) سورة الواقعة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٥): عن محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ﴾ قال: سألته عنها؟ فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم. أخرجه البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (١).

(١) البخاري (٤٦٨٢).

(٢) أي: يقضي حاجته من البول والغائط.

(٣) فالآية على هذا القول في تعليم التوحيد والراقبة، وأن الله مطلع عليهم في جميع أحوالهم، ولا ينافي ذلك نذب التغطية عند التخلي والجماع.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُودُونَ مِنْ بَعْدِ الْآلِهَةِ لَيَقُولُنَّ الْإِنْسَانُ أَكْفَرُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ﴾ ﴿لَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَفَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿وَلَئِنْ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِثْرَ حِمَّةٍ ثُمَّ نَزَعْنَاهُ مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْكُمْ قَفُورٌ﴾ ﴿وَلَئِنْ أَدْقْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَابِقُ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا أَلَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ كُنْزًا أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

[٦] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ هي ما دب عليها ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو

الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بعد الموت أو في الرحم ﴿كُلٌّ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّن، هو اللوح المحفوظ.

[٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ﴾ قبل خلقهما ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ وهو على متن الريح ^(١) ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾؛ أي: خلقهما وما فيهما من منافع لكم ومصالح؛ ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أطوع لله ﴿وَلَئِنْ قُلْتُمْ﴾ يا محمد لهم: ﴿إِنَّكُمْ مَعْبُودُونَ مِنْ بَعْدِ الْآلِهَةِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن الناطق بالبعث أو الذي تقوله ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ بَيِّن، وفي قراءة ^(٢) ﴿سَاحِرٌ﴾ والمشار إليه النبي ﷺ.

[٨] ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ مَجِيءٍ أَتَوْا أَوْفَاتٍ﴾ مَعْدُودَةٌ لَيَقُولُنَّ استهزاء: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ ما يمنع من النزول، قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعاً عنهم ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ من العذاب.

[٩] ﴿وَلَئِنْ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الكافر ﴿مِثْرَ رَحْمَةٍ﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهُ مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْكُمْ قَفُورٌ﴾ قنوط من رحمة الله ﴿كَقُورٍ﴾ شديد الكفر به.

[١٠] ﴿وَلَئِنْ أَدْقْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَتْهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ﴾ المصائب ﴿عَنِّي﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿إِنَّهُمْ لَفَرِحَ﴾ بطر ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أوتي.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في النعماء ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به ﴿وَصَابِقُ بِهِ صَدْرُكَ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَنْ يَقُولُوا أَلَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أَنْزَلْ عَلَيْهِ كُنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدق كما افترحنا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما افترحوه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ فيجازيهم.

(١) هذا القول مروى عن ابن عباس، ومعناه أن الريح مخلوقة قبل الماء، والصحيح أن أول مخلوق هو الماء لحديث البخاري عن عمران بن حصيص، أنه ﷺ من عن أحوال هذا العالم؛ فقال: «كان الله، ولم يكن شيء غيره»، وكان عرشه على الماء. رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٢).

(٢) لحمة والكسائي.

[١٣] ﴿أَمْ﴾ بل أُولَئِكَ أَقْرَبُهُ ﴿أَي﴾ القرآن ﴿قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة^(١) ﴿مُقَرَّبَتْ﴾ فإنكم عربون فصحاء مثلي، تحداهم بها أولاً ثم بسورة^(٢) ﴿وَأَدْعُوا﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنْ أَسْتَطْعَمَ﴾ من دون الله ﴿أَي﴾ غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افترأ.

[١٤] ﴿فَإِنْ﴾ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴿أَي﴾ مَنْ دَعَوْتَهُمْ للمعاونة ﴿فَاعْلَمُوا﴾ خطاب للمشرِكين ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ﴾ ملتبساً ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ وليس افترأ عليه ﴿وَأَنْ﴾ مخففة ﴿أَي﴾ أنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ بعد هذه الحجة القاطعة؛ أَيْ: أسلموا.

[١٥] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن أصر على الشرك، وقيل: هي في المرائين ﴿وَنُوفٍ إِلَيْهِمْ﴾ أَعْمَلَهُمْ ﴿أَي﴾ جزء ما عمله من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أَيْ: الدنيا ﴿لَا يَخْشَوْنَ﴾ بنقصون شيئاً.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُوا﴾ ﴿فِيهَا﴾ أَيْ: الآخرة، فلا ثواب له ﴿وَيُطْلَىٰ﴾ ثَا كَاثُوا يَمْلُوكُ.

[١٧] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْرَفٍ﴾ بيان ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو النبي ﷺ أو المؤمنون، وهي القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له بصدقة ﴿وَمِنْهُ﴾ أَيْ: من الله، وهو جبريل ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ القرآن ﴿كُتِبَ مُوسَىٰ﴾ التوراة شاهد له أيضاً ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حال، كمن ليس كذلك؛ لا ﴿أُولَئِكَ﴾ أَيْ: من كان على ينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أَيْ: بالقرآن، فليهم الجنة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ مِنَ الْآخِرَابِ ﴿جَمِيعَ الْكُفَّارِ﴾ فَالْآخِرُ مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ ﴿شك﴾ ﴿وَمِنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أَيْ: أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَمَنْ﴾ أَيْ: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسول بالبلاغ وعلى الكفار بالكذب: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ آلَا

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مَفْتَرِينَ
وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُخْسِرُونَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْرَفٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ
كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِهِ مِنَ الْآخِرَابِ فَالْآخِرُ مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ
الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَعْبُدُونَ عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ^(٣) المشرِكين.

[١٩] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كُفِرُونَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ بَدَىٰ الْمُؤْمِنَ فَبُذِعَ عَلَيْهِ كُفَّهُ وَبُسْتَرَهُ، فيقول: أتعرف ذنبك كذا؟ أتعرف ذنبك كذا؟ فيقول: نعم أي رب. حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى من نفسه أنه هلك؛ قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسنته. وأما الكفار والمنافق فيقول الأشهاد: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (٤) ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

(١) وغير ذلك من وجوه تحشيه وإعجازه الكثيرة.

(٢) في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ شَكٍّ مِّنْ مَا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعِفُ لَهُمْ أَعْدَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢١﴾ لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْمَىٰ وَالْأَصْبَحِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتْيَ لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَىٰ أَتَّبِعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَبَادُوا بِرَأْيِ وَمَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُصِيَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ كُفَرًا وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾

[٢٠] ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾ أنصار ينعونهم من عذابه ﴿يُضَاعِفُ لَهُمْ

الْعَذَابَ﴾ بإضالهم غيرهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ للحق ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أي: لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك.

[٢١] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ على الله من دعوى الشريك.

[٢٢] ﴿لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾ سكنوا واطمأنوا أو أنابوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٤] ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ صفة ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾ الكفار والمؤمنين ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرِ﴾ هذا مثل الكافر ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟﴾ لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(١) فيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ تتعظون.

[٢٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [أي:] أي: بأني، وفي قراءة بالكسر^(٢) على حذف القول^(٣) ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [بِسْمِ الْإِنْدَارِ.

[٢٦] ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.

[٢٧] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم الأشراف: ﴿مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ ولا فصل لك علينا ﴿وَمَا تَرَىٰ أَتَّبِعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَبَادُوا بِرَأْيِ﴾ [بَادَى] الرَّأْيِ بالهمز وتركة^(٤)؛ أي: ابتداء من غير تفكير فيك، ونصبه على الظرف؛ أي: وقت حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فتستحقون به الاتباع منا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في الخطاب.

[٢٨] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿وَمِنْ رَبِّي وَآتَنِي رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿وَمِنْ عِنْدِي﴾ [فَعُصِيَّتْ] خفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وفي قراءة: بتشديد الميم والبناء للمفعول^(٥) ﴿أَنْتُمْ كُفَرًا وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ﴾ أنجبركم على قبولها ﴿وَأَنْتُمْ كُفَرًا كَاذِبُونَ﴾ لا نقدر على ذلك.

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) قراءة [أي] بالفتح للكناسي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) تقديره: «قال إني».

(٤) بالهمز قراءة أبي عمرو.

(٥) وبلون التشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وهي المفسرة أولاً.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُوا لَا آتَاكُمُ عَلَيْهِمْ عَلَى تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ﴾ مَالًا ﴿مَالًا﴾ تَعَطُّوْنِهِ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿أَجْرِي﴾ ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كَمَا أَمَرْتُمُونِي ﴿إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ﴾ بِالْبَيْتِ فِي جَارِيهِمْ وَيَأْخُذُ لَهُمْ مِنْ ظَلَمِهِمْ وَطَرْدِهِمْ ﴿وَلَكَيْتَ أَزِيدُكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِكُمْ.

[٣٠] ﴿وَيَقُولُوا مَنْ يَضُرُّنِي﴾ بِمَعْنَى ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أَي: عَذَابِهِ ﴿إِنْ طَرَدْتَهُمْ﴾ أَي: لَا نَاصِرَ لِي ﴿أَفَلَا﴾ فَهَلَا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ يَادْعَامُ النَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ (١) تَعْتَظُونَ.

[٣١] ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا لِي﴾ أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ ﴿إِنِّي مُلْكٌ﴾ بَلْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ تَخْفَرُ ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قُلُوبِهِمْ ﴿إِنِّي إِذًا﴾ إِنْ قُلْتُ ذَلِكَ ﴿لَكُنَّ الظَّالِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالُوا يَنْبُحُ قَدْ جَنَّاسْنَا﴾ خَاصَمْتَنَا ﴿فَاكْزَرْتَ جِدْنَا فَأَيْنَا بِمَا نَعْمَدُكَ﴾ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِيهِ.

[٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ ﴿وَمَا أَشْعَرُ بِمُعْجِزِينَ﴾ بِفَاتِنِ اللَّهِ.

[٣٤] ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أَي: إِغْوَاءَكُمْ، وَحَوَابِ الشَّرْطِ دَلَّ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي﴾ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

[٣٥] قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ يَقُولُونَ ﴿أَي: كَفَارِ مَكَّةَ﴾ أَفْتَرَيْنَهُ ﴿اخْلُقْ مُحَمَّدُ الْقُرْآنَ﴾ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُمْ فَمَلَكُ إِجْرَائِي ﴿إِنَّمَا﴾ أَي: عَقُوبَتُهُ ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا يَجْعَلُونَ﴾ مِنْ إِجْرَائِكُمْ فِي نَسْبَةِ الْإِفْتِرَاءِ إِلَيَّ.

[٣٦] ﴿وَأَوْحَى إِلَيَّ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَنْفَعُكُمْ﴾ تَحْرَنُ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ مِنَ الشَّرْكِ. فَدَعَا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ﴾ (٢) إِلَخ، فَأَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُ فَقَالَ: [٣٧] ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ﴾ السَّفِينَةَ ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بِرَأْيِ مَنْ وَحَفْظُنَا (٣) ﴿وَوَحِّينَا﴾ أَمْرَنَا ﴿وَلَا تَخْطِبْنِي فِي

وَيَقُولُوا لَا آتَاكُمُ عَلَيْهِمْ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنْ آَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُوا مَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مُلْكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ وَإِنِّي إِذَا لَمَنْ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْبُحُ قَدْ جَنَّاسْنَا فَكَزَرْتَ جِدْنَا فَأَيْنَا بِمَا نَعْمَدُكَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَقُلْ إِجْرَائِي وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا يَجْعَلُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَى إِلَيَّ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَنْفَعُكُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾

الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كَفَرُوا بِرُكْ إِهْلَاكِهِمْ ﴿إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ﴾.

(١) قرأ بتحفيف الذال حفص وحزمة والكسائي وشدها بقية السبعة.

(٢) نوح: ٢٦.

(٣) في هذه الآية وغيرها يثبت - شيخنا - لنفسه عتبا يرى بها جميع المراتب، وهي صفة حقيقة لله تعالى على ما يليق به - شيخنا -، نؤمن بها ونثبتها لربنا كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأما تأويل العين بأنها عبارة عن الإدراك والإحاطة فهو مذهب الأشاعرة وغيرهم من أهل التأويل.

[٤٠] ﴿حَقٌّ﴾ غاية الصنع ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَقَارَ الْقَرْوُ﴾ للبخاز بالماء^(١)، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَلَمَّا أَتَى فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى؛ أي: من كل أنواعهما ﴿اثنَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، وهو مفعول^(٢)، وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: منهم بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

[٤١] ﴿وَقَالَ﴾ نوح: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ يَجْرِيهَا﴾ [وَمَوْسِمَهَا] بفتح اليمين وضمهما^(٣) مصدران؛ أي: جريها ورسوها؛ أي: منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يهلكنا.

[٤٢] ﴿وَهُنَّ يَجْرِي بِهِنَّ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان^(٤) ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن السفينة: ﴿يَبْتَئِ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٤٣] ﴿قَالَ سَوَاءٌ لِي جِبِلٌّ يَعْصِمُنِي﴾ بمعنى ﴿مِنْ أَلَمَاءَ﴾ قال لا عاصم اليوم من أمر الله عذابه ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ رَحِمَ﴾ الله فهو المعصوم، قال تعالى: ﴿وَسَالَ بِهِنَّ أَلَمٌ فَكَانَ مِنَ الْمُنْذَرِينَ﴾.

[٤٤] ﴿وَقِيلَ يٰنَارُ أَتْلِي مَاءَكِ﴾ الذي نبع منك فشرته دون ما نزل من السماء فصار أنهارًا وبحارًا ﴿وَيَسْمَاءُ أَقْلِي﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿رَغِيضٌ﴾ نقص ﴿أَلَمَاءَ وَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ثم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكًا ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

[٤٥] ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا تخلف فيه ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ﴾ أعلمهم وأعدلهم.

وَيَصْنَعُ الْفُلَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْتَمُوتُ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَقَارَ الْقَرْوُ فَلَمَّا أَحْمِلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمَوْسِمَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئِ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَوَاءٌ لِي جِبِلٌّ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يٰنَارُ أَتْلِي مَاءَكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكِيمِينَ ﴿٤٥﴾

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ جماعة ﴿مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ استهزؤا به ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا نبهونا وغرقتم.

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ نَعْتَمُوتُ مَنْ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

(١) قول جمهور السلف وعلماء الخلف أن المعنى: حتى فار الماء من التناثر التي هي مكان النار، صارت تقور ماء، وقيل: المراد الكتابة عن اشتداد الأمر، كما يقال: حمي انطيس، والوطيس: التنور، وهو من فصيح الكلام وبلغه، وقيل غير ذلك.

(٢) والقراءة المفسرة بإضافة «كُلٌّ» هي قراءة السبعة عدا حفص الذي نون؛ حيث عدى الفعل وهو «أَحْمِلُ» إلى «زَوْجَيْنِ» فيكون مفعولًا، و «اثنَيْنِ» نعتًا لـ «زَوْجَيْنِ» وفيه معنى التأكيد، كقوله: «لَا تَنْتَبِهُوا إِلَّا هِزْ اثنَيْنِ»، والتقدير: أحمل فيها زوجين اثنين من كل شيء، ثم حذف ما أضيف إليه «كُلٌّ» كقوله: «كُلٌّ» أما الجمهور فعُدَى الفعل إلى «اثنَيْنِ»، والتقدير: أحمل فيها اثنين.

(٣) أي في قوله: ﴿يَجْرِيهَا وَمَوْسِمَهَا﴾، وقوله: «بفتح اليمين» سبق قلم؛ فإن فتحهما قراءة شاذة؛ والصواب أن يقول: بضم اليمين، أو فتح الأولى مع ضم الثانية، والأولى قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) على افترض صحة تسمية ابن نوح بهذا الهالك بـ «كنعان»؛ فإنه غير «كنعان» جد الكنعانيين، فإن جدهم هو: كنعان بن سام بن نوح.

قَالَ يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ رَعَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِينَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْبُوحُ أَهَيْطَ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين أو من أهل دينك ﴿إِنَّهُ﴾ أي: سؤالك إياي بِنجاته ﴿رَعَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فإنه كافر ولا نجاة للكافرين، وفي قراءة (١) بكسر ميم ﴿عَمِلٌ﴾ فعل، ونصب ﴿غَيْرُ﴾ فالضمير لابنه ﴿فَلَا تَسْتَلِينَ﴾ [تَسْأَلِينَ] بالتشديد والتخفيف (٢) ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ من إجماع ابنك ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بسؤالك ما لم تعلم (٣).

[٤٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

[٤٨] ﴿قِيلَ يَنْبُوحُ أَهَيْطَ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَلَامٍ﴾ بسلامة أو بجمعة ﴿وَمِنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾ خيرات ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ في السفينة أي من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ﴾ بالرفع ممن معك (٤) ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، وهم الكفار.

[٤٩] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا﴾ أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴿الْقُرْآنَ﴾ فَاصْبِرْ ﴿عَلَى التَّلْيِغِ وَأَذَى قَوْمِكَ﴾ كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْغَيْبَ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[٥٠] ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ إِنْ عَادَ لَعَنَاهُمْ ﴿مِنَ الْقَبِيلَةِ﴾ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَخُذُوهُ مَا لَكُمْ مِنْ زَائِدَةٍ ﴿إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ إِنْ مَا ﴿أَنْتُمْ﴾ فِي عِبَادَتِكُمُ الْأَوْثَانِ ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ كاذبون على الله.

[٥١] ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجْرًا﴾ إِنْ مَا ﴿أَجَرِيَ﴾ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴿خَلَقَنِي﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾.

[٥٢] ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر وكانوا قد مُنِغَوْهُ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ مِدْرَارًا ﴿كثير الدور﴾ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى ﴿مَعِ قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ مشركين.

[٥٣] ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ برهان على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: نقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) لكسائي.

(٢) بالنون المشددة مع فتح اللام وصلًا ووفقًا قراءة ابن كثير، وقرأ قالون، وابن عامر ﴿فَلَا تَسْأَلِينَ﴾ وصلًا ووفقًا، وقرأ ورش وأبو جعفر ﴿فَلَا تَسْأَلِينَ﴾ بإثبات الياء وصلًا، وحذفها وفتحًا.

(٣) أي: أنهاك.

(٤) أي من ذريتهم.

[٥٥] ﴿مِن دُونِهِ فَكِدُون﴾ احتالوا في هلاكهم ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأولادكم ﴿فَمَنْ لَا يَظُنُّونَ﴾ تمهلون.

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنَّ زَائِدَةٍ﴾ زائدة ﴿وَدَائِدَةٍ﴾ نسيمة تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِكُمْ﴾ أي: مالكها وقاهرها، فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه، ونخص الناصية بالذكر؛ لأن من أخذ بناصيته يكون في غاية الدل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الحق والعدل.

[٥٧] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه حذف إحدى التاءين؛ أي: تعرضوا ﴿فَقَدْ أَرْسَلْنَاكُمْ مَاءً أَرْسَلْنَا بِهِ الْبَرْقَ وَنَسَخْلَفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَ شَيْئًا﴾ بإشراككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ رقيب.

[٥٨] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي كُنَّا نَقُولُ﴾ إشارة إلى آياتهم؛ أي: فسبحوا في الأرض وانظروا إليها، ثم وصف أحوالهم فقال: ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ بَلَدٍ لَّيَالِيَهُمْ نِسْفُ اللَّيْلِ وَمَعَهُمُ الرَّسُولُ﴾ لأن من عصى رسولاً عصى جميع الرسل؛ لا إشراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي: السفلة ﴿أَمَرَ كُلَّ فِرْعَوْنَ بِرَحْمَةٍ مِّن رَّبُّهُمُ﴾ معاند للحق من رؤسائهم.

[٦٠] ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ الْآخِرَةِ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَجَعَلْنَا لَهُمْ مِّن رَّبِّهِمْ أَجْرًا غَيْرُ الْمَنكُورِ﴾ من رحمة الله ﴿لَعَادَ قَوْمِ هُودٍ﴾.

[٦١] ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَالِحًا قَالَ يَتَقَوِّمُوا أَعْبَادَ اللَّهِ وَخُذُوا زِينَتَكُمْ مِمَّا لَكُمْ مِن بَيْنِ أَيْدِيكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ ابتداء خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بخلق أديكم آدم منها ﴿وَأَسْتَعْمِرُوا فِيهَا﴾ جعلكم عملاً تسكنون بها ﴿فَاسْتَغْفِرُوا﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا﴾ ارجعوا ﴿إِلَىٰ آلِهِم بِالسَّلَامَةِ﴾ إذ ربي قريب ﴿من خلقه بعلمه﴾ عجيب ﴿لمن سأله﴾.

[٦٢] ﴿قَالُوا يَصْلِحْ ذَنبَكَ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ نرجو أن تكون سيداً ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ الذي صدر منك ﴿أَلَمْ نَقُلْ لَّكَ أَن تَقْبَلَ مَا يَمُنُّ بِآيَاتِنَا﴾ من الأوثان ﴿وَلَا تَلِيَّ سَلَكِ سَبِيلًا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مَرْيَبٍ﴾ موقع في الرب.

إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرِكَ بِعُصَاةِ الْهَيْتَانِ بِسُوءِ قَالِ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ أَنَّ بَرِيءًا مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٦﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٧﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَائِدَةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِكُمْ إِنِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَرْسَلْنَاكُمْ مَاءً أَرْسَلْنَا بِهِ الْبَرْقَ وَنَسَخْلَفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٩﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٦٠﴾ وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي كُنَّا نَقُولُ رَبِّهِمْ وَعَصُوا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦١﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْآخِرَةِ إِلَّا إِنَّا عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ الْعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوِّمُوا أَعْبَادَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمِرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ إِنِّي رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦٣﴾ قَالُوا لِيَصْلِحْ فَذَكَّرْت فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٤﴾

[٥٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا اعْتَرِكَ﴾ أصابك ﴿بِعُصَاةِ الْهَيْتَانِ بِسُوءٍ﴾ فخلبك؛ لسببك إياها، فأنت تهدي ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ عَلَيَّ﴾ وأشهدوا أنني بريء مما تشركون به.

(١) تأويل هذه الرحمة بالهداية أو غيرها؛ هي طريقة المولة خوف إرادة التشبيه في صفات الله ﷻ، وهذا فهم خاطئ، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات التي أنبأها ربنا ﷻ لنفسه دون أن يفتني ذلك تشبيهاً وهو - شبحاً - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو التميع البصير ﴿الشورى: ١١﴾.

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً^(١) فَمَن يَصْغُرَنِي بِمَرْكَمٍ لِّي بِذَلِكَ عِزًّا تَحْسِيرًا تَضْلِيلًا. [٦٤] وَيَقْوِرُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ^(٢) فَنَذَرُهَا تَأْكُلُ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ غَفْرًا فَاذْكُرُوا عَذَابَ قُرَيْبٍ^(٣) إِن عَقَرْتُمُوهَا. [٦٥] فَعَقَرُوهَا عَقَرًا قَدَّارًا بِأَمْرِهِمْ فَقَالَ صَالِحٌ: «تَمَتَّعُوا» عِشُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَهْلِكُونَ ذَلِكَ وَعَدَّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ فِيهِ. [٦٦] فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بِهَلَاكِهِمْ وَبِجَنَّتَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ^(٤) وَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ رَّحِمَةً مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ^(٥) بِكسر الميم إعرابًا وفتحها بناءً لإضافته إلى مبني^(٦) وهو الأكمر^(٧) [٦٧] وَأَخَذَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ^(٨) الْغَالِبُ^(٩) رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ. [٦٨] وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينَ^(١٠) بَارِكِينَ عَلَى الرِّكْبِ مَتِينِينَ. [٦٩] وَأَخَذَ^(١١) مَخْفَقَةً وَاسْمُهَا مَحْذُوفٌ أَي: كَانَهُمْ «لَمْ يَفْعَلُوا» يَقِيمُوا فِيهَا^(١٢) فِي دَارِهِمْ «أَلَا إِنَّمَا تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِّتَمُودَ^(١٣) بِالصَّرْفِ وَتَرْكِهِ^(١٤) عَلَى مَعْنَى الْحَيِّ^(١٥) وَالْقَبِيلَةِ^(١٦). [٧٠] وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرِ^(١٧) بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بَعْدَهُ «قَالُوا سَلَمًا» مَصْدَرٌ «قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» عَلَيْهِمْ «فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِوَجَلِّ حَبِيلٍ^(١٨) مَشْوِي. [٧١] فَلَمَّا رَأَى أَلْيَهُمْ لَا يُفْعِلُ إِلَيْهِ نَصْرَهُمْ» بِمَعْنَى: أَكْرَهُهُمْ «وَأَرْسَلْنَا^(١٩) إِلَى قَوْمِ لُوطٍ لَّنَهْلِكَهُمْ. [٧٢] وَأَرْسَلْنَا^(٢٠) إِلَى امْرَأَةِ إِبْرَاهِيمَ سَارَةَ «قَائِمَةً» تَخْدِمُهُمْ «فَصَبَحَتْ» اسْتَبْشَارًا بِهَلَاكِهِمْ «فَنَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ» بَعْدَ «إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» وَلَدَهُ تَعِيشَ إِلَى أَنْ تَرَاهُ.

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً^(١) فَمَن يَصْغُرَنِي بِمَرْكَمٍ لِّي بِذَلِكَ عِزًّا تَحْسِيرًا تَضْلِيلًا. [٦٤] وَيَقْوِرُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ^(٢) فَنَذَرُهَا تَأْكُلُ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ غَفْرًا فَاذْكُرُوا عَذَابَ قُرَيْبٍ^(٣) إِن عَقَرْتُمُوهَا. [٦٥] فَعَقَرُوهَا عَقَرًا قَدَّارًا بِأَمْرِهِمْ فَقَالَ صَالِحٌ: «تَمَتَّعُوا» عِشُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَهْلِكُونَ ذَلِكَ وَعَدَّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ فِيهِ. [٦٦] فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بِهَلَاكِهِمْ وَبِجَنَّتَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ^(٤) وَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ رَّحِمَةً مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ^(٥) بِكسر الميم إعرابًا وفتحها بناءً لإضافته إلى مبني^(٦) وهو الأكمر^(٧) [٦٧] وَأَخَذَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ^(٨) الْغَالِبُ^(٩) رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ. [٦٨] وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينَ^(١٠) بَارِكِينَ عَلَى الرِّكْبِ مَتِينِينَ. [٦٩] وَأَخَذَ^(١١) مَخْفَقَةً وَاسْمُهَا مَحْذُوفٌ أَي: كَانَهُمْ «لَمْ يَفْعَلُوا» يَقِيمُوا فِيهَا^(١٢) فِي دَارِهِمْ «أَلَا إِنَّمَا تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِّتَمُودَ^(١٣) بِالصَّرْفِ وَتَرْكِهِ^(١٤) عَلَى مَعْنَى الْحَيِّ^(١٥) وَالْقَبِيلَةِ^(١٦). [٧٠] وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرِ^(١٧) بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بَعْدَهُ «قَالُوا سَلَمًا» مَصْدَرٌ «قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» عَلَيْهِمْ «فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِوَجَلِّ حَبِيلٍ^(١٨) مَشْوِي. [٧١] فَلَمَّا رَأَى أَلْيَهُمْ لَا يُفْعِلُ إِلَيْهِ نَصْرَهُمْ» بِمَعْنَى: أَكْرَهُهُمْ «وَأَرْسَلْنَا^(١٩) إِلَى قَوْمِ لُوطٍ لَّنَهْلِكَهُمْ. [٧٢] وَأَرْسَلْنَا^(٢٠) إِلَى امْرَأَةِ إِبْرَاهِيمَ سَارَةَ «قَائِمَةً» تَخْدِمُهُمْ «فَصَبَحَتْ» اسْتَبْشَارًا بِهَلَاكِهِمْ «فَنَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ» بَعْدَ «إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» وَلَدَهُ تَعِيشَ إِلَى أَنْ تَرَاهُ.

(١) البقرة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، التي هي من صفاته . وشيخائهُ . ونشيتها له ﷻ كما هو مذهب السلف على الوجه اللائق به .

(٢) أي اسم الإشارة؛ وهو «هذه» ما فيه من معنى الفعل، وتقديره: «خذوها».

(٣) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

(٤) أي في اللغة؛ أما قراءة فهما سواء.

(٥) بالصرف قراءة الكسائي.

(٦) قوله: «الحي» راجع للصرف؛ فإن اسم «تمود» يُصرف إذا أُطلق مرادًا به الأب الأكبر أو الحي؛ أي ديارهم.

(٧) قوله: «القبيلة» راجع لتركه؛ فإن اسم «تمود» يمنع من الصرف للعلمية والتأنيث إذا أُريد به القبيلة.

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّغْوُ﴾ الخوف ﴿وَجَاءَتْهُ الْبَشَرُ﴾ بالولد أخذ ﴿يُحْيِدَانَا﴾ يجادل رسلنا ﴿فِي﴾ شأن ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾.

[٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ كثير الأناة ﴿أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ رجاء، فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفهلكون قرية فيها مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا، قال: أفرايتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطاً، قالوا: نحن أعلم بمن فيها... إلخ (١).

[٧٦] فلما أطال مجادلهم قالوا: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ أغرض عن هذا ﴿الجدال﴾ ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وَأَنَّهُمْ أَنفِيتُمْ عَذَابَ غَيْرِ مَرْدُودٍ﴾. [٧٧] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدر (٢)؛ لأنهم حسان الوجه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد.

[٧٨] ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ لما علموا بهم ﴿يَهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ وَيَنْبِئُ﴾ قبل مجيئهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ السَّمَاتِ﴾ وهي إتيان الرجال في الأديار ﴿قَالَ لُوطُ﴾: ﴿يَقْتُولُونَ هَؤُلَاءَ بَنَاتِي﴾ فتزوجهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَفْزُرُون﴾ تفضحون ﴿فِي ضَيْفِي﴾ أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ زَكِيٌّ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

[٧٩] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وَأِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُذِئُ﴾ من إتيان الرجال.

[٨٠] ﴿قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ طاقة ﴿أَوْ عَاوِجَ إِلَيَّ رُكْنِي شَدِيدٍ﴾ عشيرة تنصرتني لبطشت بكم.

[٨١] فلما رأته الملائكة ذلك ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بسوء ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ طائفة ﴿يَقْطَعُ﴾ يقطع ما ينزل بهم ﴿إِلَّا إِيَّائُنَا﴾ بالرفع (٣) بدل من ﴿أَحَدٌ﴾، وفي قراءة: بالنصب استثناء من الأهل؛ أي: فلا تشر بها ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ فقيل: لم يخرج بها، وقيل: خرجت والتفتت فقالت: وا قومها، فجاءها حجر فقتلها، وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك. قالوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

قَالَتْ يَوْلَيْتُ أَنِّي لَأَمْلِكُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٤﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّغْوُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرُ يُحْيِدَانَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٧﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٨﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٩﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَقُومُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُون فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ زَكِيٌّ ﴿٨٠﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُزِيدُ ﴿٨١﴾ قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ عَاوِجَ إِلَيَّ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٢﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا إِيَّائُنَا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٣﴾

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَوْلَيْتُ﴾ كلمة يقال عند أمر عظيم، والألف مبذلة من ياء الإضافة ﴿وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ له مائة، أو: وعشرون سنة، ونصبه على الحال، والعامل فيه ما في «ذا» من الإشارة ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد لهرمين. [٧٣] ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قدرته (١) ﴿رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ محمود ﴿مُجِيدٌ﴾ كريم.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «قال لوط: ﴿لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ عَاوِجَ إِلَيَّ رُكْنِي شَدِيدٍ﴾ قال: «قد كان يأوي إلى ركن شديد، ولكنه عن عشيرته؛ فما بعث الله ﷻ بعده نبياً إلا بعثه في ذروة من قومه». المسند (٥٣٣/٢، ٣٨٤). وحسن الأرنؤوط إسنادَه في تخريجِه على المسند (١٠٩٠٣) (٥٢٥/١٦). قال ابن الأثير: ذروة كل شيء أعلاه. (النهاية ١٥٩/٢).

وأخرجه الترمذي أيضاً - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سورة يوسف، وضعفه الألباني بلفظ «ذروة» وحسنه بلفظ «ذروة»، وانظر: الصحيحة (١٦١٧)، قال ابن الأثير: الذروة: العدد الكثير - (النهاية ٢١٠/١).

والحديث في الصحيحين مختصراً بلفظ: «يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد». البخاري (٣٣٨٧)، ومسلم (١٥١).

(١) الأمر غير القدرة، والاستفهام في الآية للإلحاح؛ أي كيف تعجبين من قضاء الله وقدره، وتما قدرته وهو لا يستحيل عليه شيء، وإنما أنكروا عليها مع كون ما تعجب منه من خوارق العادة لأنها من بيت النبوة، ولا يخفى على مثله أن هذا من مقدوراته سبحانه؛ فـ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

(٢) ذوي بعض هذا الحوار عن قتادة السدوسي، وبعبارة عن سعيد بن جبير رحمهما الله، ولم يثبت شيء منه مرفوعاً إلى النبي ﷺ، فالأولى: الانقصار على الصميم الثابت والإعراض عما لم يثبت وليس في ذكره كبير فائدة.

(٣) أي: ضاق صدره لعدم الخلاص من ذلك المكروه، والأصل فيه أن البحر إذا حمل عليه ضعف ومد عقفه وضاق ذرعُه؛ أي: صدره.

(٤) بالرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

[٨٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بِإِهْلَاكِهِمْ﴾ جعلنا عليها ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ أي: بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبع بالنار ﴿مَنْضُودٍ﴾ متتابع. [٨٣] ﴿مُسَوَّمَةٍ﴾ معلمة عليها اسم من يرمى بها ﴿عند ربك﴾ ظرف لها ﴿ومنا﴾ الحجارة أو بلادهم ﴿ومن الظالمين﴾ أي: أهل مكة ﴿يبغون﴾.

[٨٤] ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ﴾ وحده ﴿مَّا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴿إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ نعمة تنبئكم عن التطفيف ﴿وإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُونَ﴾ بكم، يهلككم، ووصف اليوم به محاز؛ لوقوعه فيه.

[٨٥] ﴿وَتَقَوَّمُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموها ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئا ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره؛ من (عُتِيَ) بكسر المثلثة: أفسد، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها ﴿تَعْتُونَ﴾.

[٨٦] ﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ﴾ رزقه ابقاى لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البخس ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ رَقِيبٌ أجازيكم بأعمالكم، إنما بعثت نذيرا.

[٨٧] ﴿قَالُوا﴾ له استهزاء: ﴿يَنْشَعِبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَنْ تَنْتَرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ؟﴾ المعنى: هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

[٨٨] ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُوا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا سَعًا﴾ حلالا، أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟ ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ وأذهب ﴿إِلَىٰ مَا أَنْهَكُم عَنْهُ﴾^(١) فارتكبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ لكم بالعدل ﴿مَّا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٣﴾ مُسَوَّمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٥﴾ وَيَتَقَوَّمُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ ﴿٨٧﴾ قَالُوا يَنْشَعِبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَنْتَرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٨﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَّا مَا أَنْهَكُم عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٩﴾

(١) فائدة: أخرج أحمد عن مسروق أن امرأة جاءت إلى ابن مسعود فقالت: أنبت أوك تنهى عن الواصلة؟ قال: نعم ... الحديث، وفيه: قالت المرأة: فلعله في بعض سائلك؟! قال: ادخلي. فدخلت ثم خرجت، فقالت: ما رأيت بأشأ. قال: ما حفظت إذن وصية العبد الصالح: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَّا مَا أَنْهَكُم عَنْهُ﴾.

المسند (١١/٤١٤-٤١٥)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٩٤٥). وقوى الأرنؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٣٩٤٥) (٥٨/٧). وأصله في الصحيحين: البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

﴿يَجْرِمُ﴾، والضمير مفعول أول، والثاني (١): ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من العذاب ﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ﴾ أي: منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿وَيَنْصِبُكُمْ يُجِيدُ﴾ فاعتبروا.

[٩٠] ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَذُوذٌ﴾ محب لهم.

[٩١] ﴿قَالُوا﴾ إلهنا بقلة المبالاة: ﴿يَنْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ﴾ نفهم ﴿كثيراً﴾ وما نقول ﴿وإنَّا لَنرَبُّكَ﴾ فينا صعيماً ذليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمَنَّكَ﴾ بالحجارة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ﴾ كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعره.

[٩٢] ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَزْهَقِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ فتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿وَأَتَّخِذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَأَيْتُمْ ظَهْرَنَا﴾ منبؤاً خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيكم.

[٩٣] ﴿وَيَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَقْلُتُونَ مِنْ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَفَعُوا انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿بَجَّيْنَا شُعَبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثَثٍ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٩٥] ﴿كَانَ﴾ مخففة؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَتَوَّأ﴾ يقيموا ﴿فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لَعْنَيْنِ﴾ كما بعثت نعوذ.

[٩٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر.

[٩٧] ﴿إِنْ فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيهِ﴾ فأتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد.

وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ يَبْعِدُ (٨٨) وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَذُوذٌ (٨٩) قَالُوا أَيْنَ شُعَيْبٌ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ (٩٠) قَالَ يَنْقُورُ أَزْهَقِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخِذْتُمُوهُ وَرَاءَ كُمُ ظَهْرًا إِنَّا رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩١) وَيَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَقْلُتُونَ مِنْ بَيَاتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَفَعُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٢) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثَثٍ (٩٣) كَأَن لَّمْ يَعْلَمُوا فِيهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ نَعُودٌ (٩٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٦)

[٨٩] ﴿وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمُكُمْ﴾ بكسبتكم (١) ﴿شِقَاقِي﴾ خلافي فاعل

(١) هذا هو قول الزجاج. وقال الحسن البصري وقادة: «يجملنكم».

(٢) أي المفعول الثاني هو: المصدر المؤول من جملة.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْدَحَهُمُ النَّارَ وَيَنْسُ الْوَرْدُ
 الْمَرْوُودُ ﴿١٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَنْسُ
 الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ
 مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿٢٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا تَتَابَعٌ ﴿٢١﴾
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ
 أَلَمٌ شَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
 ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿٢٣﴾
 وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدُّودٍ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿٢٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي
 النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿٢٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿٢٧﴾
 * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوزٍ ﴿٢٨﴾

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدم ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فينبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْدَحَهُمُ﴾ أدخلهم ﴿النَّارَ وَيَنْسُ الْوَرْدُ الْمَرْوُودُ﴾ هي. [٩٩] ﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لعنة ﴿رِفْدُ الْعُونِ﴾ العون ﴿الْمَرْفُودُ﴾ رُفِدَهم. [١٠٠] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي: الفرى ﴿فَقَائِمٌ﴾ هلك أهله دونه ﴿وَحَصِيدٌ﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾ هلك بأهله فلا أثر له كالزروع المحصود بالمناجل. [١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالشرك ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾ دفعته عنهم ﴿آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتَابَعٍ﴾ تخسير. [١٠٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَى﴾ أريد أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنْ أَخَذَهُ﴾ أَلَمٌ شَدِيدٌ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ﴾ ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ الآية (١). [١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَآيَةً﴾ لعلهم ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ذلك ﴿أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ ﴿فِيهِ﴾ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ يشهده جميع الخلائق. [١٠٤] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدُّودٍ﴾ لوقت معلوم عند الله. [١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿وَلَا تَكَلَّمُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ تعالى ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: الخلق ﴿شَقِيٌّ وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ﴾ ﴿كَبَّ كُلِّ فِي الْأُورِ﴾. [١٠٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا﴾ في علمه تعالى ﴿فَتَنَّى النَّارَ لَمْ يَزَفِيرٌ﴾ صوت شديد ﴿وَشَهِيقٌ﴾ صوت ضعيف (٢). [١٠٧] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: مدة دوامهما في الدنيا ﴿إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مدتهما مما لا ينتهي له (٣)، والمعنى: خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

[١٠٨] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَعَاذُوا﴾ بفتح السين (٤) وضمها ﴿فَتَنَّى الْجَنَّةَ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا ﴿غَيْرَ﴾ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴿كَمَا تَقْدَمُ﴾ ودل عليه فيهم قوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوزٍ﴾ مقطوع، وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف، والله أعلم بمراده.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا نبي الله، فعلام نعمل؟ على شيء قد فرغ منه، أو على شيء لم يفرغ منه؟ قال: «بل على شيء قد فرغ منه، وجرت به الأقلام يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٢) سورة هود. وضمحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٨٦).

(١) البخاري (٥٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٣).
 (٢) روي هذا التفسير عن ابن عباس، وقيل غير ذلك. وأصل «الزفير» هو: أول صوت الحمار، و«الشهيق»: آخره، وكلاهما يصدران عن الحمار بقوة وشدة. وهما يصدران عن الإنسان أيضًا خاصة حال تعب وإرهاقه.
 (٣) وأكثر علماء السلف والخلف أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعاة الشافعين ثم برحمته - سبحانه -، وأما قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] فجزئياً على عادة العرب في إفادة الدوام بذلك، أو المراد جنس السماوات والأرض؛ لأنه لا بد في عالم الآخرة أيضًا من سموات وأرض.
 (٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُنِينَ بِرَبِّهِمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَكُنِيَ سَيِّئًا مَّرِيبًا﴾ موقع في الريبة.

[١١١] ﴿وَأَن﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢) ﴿كُلًّا﴾ كل الخلائق ﴿لَمَّا﴾ «ما» زائدة، واللام موطئة لقسم مقدر، أو فارقة^(٣)، وفي قراءة: بتشديد «لما» بمعنى «إلا» فـ«إن»^(٤) نافية ﴿لَيُؤَيِّدَنَّكُمْ رَبُّكُمُ أََعْمَلَهُمْ﴾ أي: جزاءها ﴿إِنَّهُمْ يَمَّا يَمَعُلُونَ خَيْرٌ﴾ عالم بيوطنه كظواهره.

[١١٢] ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿كَمَا أَمَرْتَ وَ﴾ ليستقيم ﴿مَنْ تَابَ﴾ آمن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُمْ يَمَّا يَمَعُلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾ قبلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عبودة أو مهادنة أو رضا بأعمالهم ﴿فَتَنَسَّكُمُ﴾ تصيكم ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ زَايِدَةٍ أَوْ يَزِيدَةٍ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ تمنعون من عذابه.

[١١٤] ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ الغداة والعشي؛ أي: الصبح والظهر والعصر ﴿وَرُفْعًا﴾ جمع زلفة؛ أي: طائفة ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء ﴿إِنَّ الْمَسْتَنِينَ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب الصغائر، نزلت^(٥) فيمن قيل أجنبية فأخبره النبي ﷺ فقال: ألي هذا؟ فقال: «لجميع أمتي كلهم» رواه الشيخان^(٦) ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ﴾ عظة للمتعطين.

[١١٥] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك، أو على الصلاة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالصبر على الطاعة.

[١١٦] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ الْأُمِّ الْمَاضِيَةِ﴾ «من قبلكم أولوا يقية» أصحاب دين وفضل ﴿يَتَّبِعُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ المراد به النفي؛ أي: ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿فَلَيْلًا وَمَنْ أُنْجِيْنَا مِنْهُمْ﴾ نهوا فنجوا، و«من» للبيان ﴿وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وترك النهي ﴿مَا أَتْرَفُوا﴾ نعموا ﴿فَبِهِ وَكَانُوا يُجْرِمُونَ﴾.

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ مِنْهُ لَهَا وَوَهْلَهَا مُصْلِحُونَ﴾ مؤمنون.

فَلَا تَأْكُلُ فِي مَرْيَةٍ مِمَّا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُونَ بِمَا نَصِيبُهُمْ مِنْ مَقْصُودٍ ﴿١١٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٩﴾ وَإِنْ كُلًّا لَمَّا لَيُؤَيِّدَنَّكُمْ رَبُّكُمُ أََعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٢٠﴾ فَاَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢١﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا أَسْرَكُوا وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ ﴿١٢٣﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٤﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١٢٦﴾

[١١٩] ﴿فَلَا تَأْكُلُ﴾ يا محمد ﴿فِي مَرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِمَّا يَعْْبُدُونَ هَوَاهُ﴾ من الأصنام، إننا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَبْغُدُ آبَاؤُهُمْ﴾ أي: كعبادتهم ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم ﴿وَأِنَّا لَمَوْفُونَ بِمَا نَصِيبُهُمْ﴾ مثلهم ﴿نَصِيبُهُمْ﴾ حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ أي: ناقصا.

[١٢٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٤): أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأنتزلت عليه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة هود (١١) باب (٥).

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وشعبة.

(٢) أي بين «إن» المهملة والنافية.

(٣) على قراءة التخفيف، وقرأها بالتخفيف نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي.

(٤) البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣) عن ابن مسعود.

[١١٨] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَمَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَبِئْسَ مَا يَفْعَلُونَ﴾ في الدين.

[١١٩] ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ﴾ أراد لهم الخير^(١)، فلا يختلفون فيه ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: أهل الاختلاف له، وأهل الرحمة لها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٢٠] ﴿وَكُلًّا﴾ نصب بـ ﴿نَقُصُّ﴾ وتوينه عوض المضاف إليه؛ أي: كل ما يحتاج إليه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا﴾ بدل من ﴿كُلًّا﴾ ﴿تَنْتَبِهُ﴾ نطمئن ﴿يَوْمَ﴾ فؤادك ﴿قَلْبِكَ﴾ وجماءك في هذه ﴿الْأَنْبَاءِ أَوْ الْآيَاتِ﴾ ﴿الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٍ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوصاً بالذكر لانففاعهم بها في الإيمان بخلاف الكفار.

[١٢١] ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عَلَيْهِمْ﴾ على حالتنا تهديد لهم.

[١٢٢] ﴿وَأَنْظِرُوا﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ ذلك.

[١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿وَلِأَنَّا﴾ [يرجع] بالبناء للفاعل يعود، وللمفعول يرد^(٢) ﴿الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فينتقم من عصى ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وخذ^(٣) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ مِمَّا يَسْمُونُ﴾ وإنما يؤخرهم، وفي قراءة بالفوقانية^(٤).

سُورَةُ يُوسُفَ

[مكية، مائة وإحدى عشرة آية، نزلت بعد هود]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَعَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِمْ فؤادك وجماءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفِيلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

[٤] اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب: ﴿يَا أَبَتِ﴾ بالكسر دلالة على بقاء الإضافة المحذوفة، والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الباء^(١) ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾ جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء.

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر للحق من الباطل.

[٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفقهون معانيه.

[٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ﴾ مخففة؛ أي: وإنه ﴿كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفِيلِينَ﴾.

(١) تأويل رحمة الله ﷻ بإرادة الخير والثواب ونحوه مذهب المؤولة، وهذا فرع التعطيل، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعميل ولا تكييف ولا تمثيل.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة السبعة عدا نافع وحفص.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالفتح قراءة ابن عامر.

قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا
 إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ
 رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
 وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ
 وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ
 إِلَيْنَا إِنَّمَا وَمَا وَخُنْ عَصِيْبُهُ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾
 أَفْتَلَوْا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْحِلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ
 وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ
 لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْغَيْبِ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ
 السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا بِأَنْ
 نُيَسِّرَ يَسَّرَ لِيُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعِ وَيَلْعَبُ
 وَنِاتِلَهُ لَخَفِطُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَلَخَافُ
 أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ
 أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَلْخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾

[٥] ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾
 يحتالون في هلاكك؛ حسداً لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس

أملك والقمر أبوك ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة.
 [٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ أولاده ﴿كَمَا أَتَمَّهَا﴾ بالنبوة ﴿عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ رَّبُّكَ عَلَيْهِمْ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

[٧] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾ خبر ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ وهم أحد عشر
 ﴿آيَاتٍ﴾ عبر ﴿لِلْسَّائِلِينَ﴾ عن خبرهم.

[٨] اذكر ﴿إِذْ قَالُوا﴾ أي: بعض إخوة يوسف لبعضهم: ﴿لِيُوسُفُ﴾
 مبتداً ﴿وَأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ﴾ خير ﴿إِلَيْنَا وَمَا وَخُنْ عَصِيْبُهُ﴾
 جماعة ﴿إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ خطأ ﴿مُبِينٍ﴾ بين بإظهارهما علينا.

[٩] ﴿أَفْتَلَوْا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي: بأرض بعيدة ﴿يَبْحِلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾
 أيكم بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغريمكم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد
 قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ بأن تتوبوا.

[١٠] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ هو يهوذا: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْغَيْبِ﴾
 في غيبوبة الجب، مظلم البئر، وفي قراءة بالجمع (١) ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ
 السَّيَّارَةِ﴾ المسافرين ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما أردتم من التفريق فاكتفوا
 بذلك.

[١١] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمُرُنَا بِأَنْ نُيَسِّرَ يَسَّرَ لِيُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ﴾
 لقائمون بمصلحه.

[١٢] ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿يَزْتَعِ﴾ يرفع ونزع ﴿وَنِاتِلَهُ﴾
 والباء (٢) فيهما ننشط وننزع ﴿وَأِنَّا لَهُ لَنَخْفِظُونَ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ أي: ذهابكم ﴿بِهِ﴾ لرفاقه
 ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ المراد به الجنس، وكانت أرضهم كثيرة
 الذئاب ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ مشغولون.

[١٤] ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة
 ﴿إِنَّا إِذَا لَلْخَاسِرُونَ﴾ عاجزون.

(١) لنافع.

(٢) بالياء مع كسر العين قراءة نافع، وبالنون مع كسرها قراءة ابن كثير، وبالنون مع إسكانها قراءة أبي عمرو وابن عامر، والياء ساكنة في جميع القراءات.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِ لَتُسَبِّحُنَّهُمْ بَأْمَرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ
أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ
بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ
بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ
فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا عِلْمٌ وَأَسْرُوهُ
بِضْعَةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى
أَمْرِهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ
وَاتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

[١٥] فأرسله معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾ عزموا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ﴾ وجواب ﴿لَمَّا﴾ محذوف؛ أي: فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله، وأدلوه، فلما وصل إلى نصف البئر ألقيوه لموت فسقط في الماء، ثم أوى إلى صخرة فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم بهذا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ في الحب وخشي خفيقة، وله سبع عشرة سنة أو دونها؛ تطمينا لقلبه ﴿لَتُسَبِّحُنَّهُمْ﴾ بعد اليوم ﴿بَأْمَرِهِمْ﴾ بصنيعهم ﴿هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بك حال الإنباء.

[١٦] ﴿وَيَاكَ أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾.

[١٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نرسي ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق ﴿لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ عندك لانهمتنا في هذه القصة؛ لحبة يوسف، فكيف وأنت تسيء الظن بنا^(١).

[١٨] ﴿وَيَاكَ عَلَى قَمِيصِهِ﴾ محله، نصب على الظرفية؛ أي: فوقه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾؛ أي: ذي كذب بأن ذبحوا سحلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا: إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحا وعلم كذبهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ زَيْبَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزع فيه، وهو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أمرى ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمر يوسف.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَى﴾ أرسل ﴿دَلْوَهُ﴾ في البئر فعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾^(٢)، وفي قراءة: ﴿يَبُشْرَى﴾، ونداؤها محاز؛ أي: احضري فهذا وقتك ﴿هَذَا عِلْمٌ﴾ فعلم به إخوته فأنوه ﴿وَأَسْرُوهُ﴾ أي: أخفوا أمره جاعليه ﴿بِضْعَةٍ﴾ بأن قالوا: هذا عبدا أبق، وسكت يوسف خوفاً من أن يقتلوه^(٣) ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍ بَخِيسٍ﴾ ناقص ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين ﴿وَكَانُوا﴾ أي: إخوته^(٤) ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين.

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ وهو قطمير العزيز ﴿لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي﴾ زليخا: ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ مقامه عندنا ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وكان حصورا^(٥) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما نجينا من القتل والحب وعطفنا عليه قلب

(١) هذا الكلام قدّره المؤلف إشارة إلى أن ﴿لَوْ﴾ شرطية وجوابها محذوف، والأقرب جعل الواو حالية و﴿لَوْ﴾ رائدة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) والقول الآخر: أي أسره الواردون من بقية السيارة، وقالوا: اشتريناه من أصحاب الماء وهو الظاهر؛ أي أن الذين أسروه بضاعة وشروه ثمن بخس هم السيارة؛ أي المسافرين من القافلة، واشتراه منهم رجل من أهل مصر؛ فلم يقع بيعه وشراؤه إلا مرة واحدة.

(٤) وهذا على القول الأول، وعلى القول الآخر: يكون الضمير عائداً إلى السيارة، ويكون زهدهم فيه؛ لخوفهم من إتاقه كما زعم إخوته.

(٥) أي: لا يأتي النساء أو غنيما، والضمير يعود إلى العزيز.

العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا، عطف على مقدار متعلق بـ ﴿مَكَّنَّا﴾ أي: لنملكه أو الواو زائدة ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ تعالى، لا يعجزه شيء ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو ثلاثون سنة أو: وثلاث ﴿وَاتَيْنَهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقها في الدين قبل أن يبعث نبيا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

الشان ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الزناة.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْسُفَ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وَهُمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك ^(١) ﴿لَوْلَا أَن رَّآهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس: مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله ^(٢)، وجواب «لولا»: لجامعها ﴿كَذَلِكَ﴾ أريانه البرهان ﴿لِيُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ الخيانة ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ الزنا ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [المخلصين] ^(٣) ﴿فِي الطَّاعَةِ﴾ وفي قراءة بفتح اللام، أي: المختارين. [٢٥] ﴿وَأَسْتَبَقَا الْآبَاءَ﴾ بادر إليه يوسف للفرار، وهي للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبه إليها ﴿وَقَدَّتْ﴾ شقت ﴿فَيَبِصُمُ﴾ من دُبرٍ ﴿وَأَلْفَا﴾ وجدا، ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَا الْآبَاءِ﴾ فنزعت نفسها ثم ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ زنا ﴿إِلَّا أَن يُسَجَّنَ﴾ يحبس في سجن ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم بأن يضرب.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئاً: ﴿هِيَ زَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ابن عمها، روي أنه كان في المهد ^(٤) فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ فَيَبِصُمُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ﴾ قدام ﴿فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾. [٢٧] ﴿وَأِنْ كَانَتْ فَيَبِصُمُ قَدْ مِنْ دُبرٍ﴾ خلف ﴿وَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿كَلِمًا رَاءَ﴾ زوجها ﴿فَيَبِصُمُ قَدْ مِنْ دُبرٍ قَالَ إِنَّمَا﴾ أي: قولك: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ الخ ^(٥) ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ أيها النساء ﴿إِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[٢٩] ثم قال: يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الأمر ولا تذكره لئلا يشيع ﴿وَأَسْتَغْفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذُنُوبِكِ﴾ كُنتِ مِنَ الْفَاطِيئِينَ ﴿الْأَثَمِينَ﴾ واشتهر الخبر وشاع.

[٣٠] ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر: ﴿أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ عبداها ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴿تَمِيزُ﴾ أي: دخل حبه شغاف قلبها؛ أي: غلافه ﴿إِنَّا لَنَرُّهَا فِي صَكْلٍ﴾ أي: في خطا ﴿رُبِينٍ﴾ تين بحبها إياه.

وَرَاوَدَتْهُ الْفَاحِشَةُ الْآتِيَّةُ هَوًى فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَكْبُوتَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّآهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَسْتَبَقَا الْآبَاءَ وَقَدَّتْ فَيَبِصُمُهُ مِنْ دُبرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَا الْآبَاءِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ قَالَ هِيَ زَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ فَيَبِصُمُهُ وَقَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ فَيَبِصُمُهُ وَقَدْ مِنْ دُبرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا رَأَتْهُ أَقْبَمَتْهُ وَقَدْ مِنْ دُبرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذُنُوبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرُّهَا فِي صَكْلٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

[٢٣] ﴿وَرَاوَدَتْهُ الْفَاحِشَةُ الْآتِيَّةُ هَوًى فِي بَيْتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: طلبت منه أن يواقعها ﴿وَعَلَّقَتْ الْأَكْبُوتَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتْ﴾ له: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: هلم، واللام للبتين، وفي قراءة بكسر الهاء ^(١)، وأخرى بضم التاء ^(٢) ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ الذي اشتراني ﴿رَبِّي﴾ سيدي ^(٣) ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ﴾ أي:

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أي مع فتح الهاء، وهي لابن كثير، وذكر المصنف ثلاث قراءات وكلها سبعة، وبقي فرائد اللسان هما: ﴿هَيْتُ﴾ بكسر الهاء والهمزة الساكنة وفتح التاء أو ضمها.

(٣) والقول الآخر أنه الرب على ظاهره وهو الله ﷻ.

(٤) معاذ الله أن ينسب مثل هذا الهم لبي كرم مع أن الله ﷻ أثبت براته في أكثر من خمسة مواضع من القصة ذاتها، وجمهور القراء على الوقف عند قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْسُفَ﴾، ومعناه: إرادة الفاحشة، وأما علة بها فمفسري لوجود برهان ربه، وهذا سائق في اللغة؛ إذ يجوز تقديم جواب (لولا) عليها؛ فيكون المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، ونظيره قوله - تعالى -: ﴿إِنْ كَانَتْ فَيَبِصُمُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ﴾. ﴿وَأَلْفَا﴾ مجرد خاطر طرا عليه بمقتضى الجبهة البشرية، ثم دفعه وصرفه الله عنه بمقتضى العصمة النبوية... وهذا القول أحسن ما قيل في تفسير الآية.

(٥) وهذه الرواية من الإسرائيليات الرديئة التي لا تليق بنبي كرم.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام، والباقون بفتحها.

(٧) أخرج ذلك أحمد والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا
وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ
أَكْذَبْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَّتُهُ
عَنْ نَفْسِي ۖ فَاسْتَعْصَمْتُ وَلِئَن يَفْعَلَ مَا أُمَرُهُ وَلَيْسَ جَنَّتَ
وَلَيْكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي
إِلَيْهِ ۖ وَلَا أَضْرِبُ عَنِّي كِتْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كِتْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتَهُ
حَتَّىٰ حِينَ ۖ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي
أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي
خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتُنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُنْجِيْنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ۖ إِلَّا نَبَاتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِ ۖ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾

بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ دين ﴿قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾
تاكيد ﴿كَافِرُونَ﴾.

[٣١] ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ غيبتهن لها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ﴾
أَعَدَّتْ ﴿لَهُنَّ مُتَكًا﴾ طعامًا يقطع بالسكين؛ للاتكاء عنده^(١) وهو الأتويع
﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ﴾ ليوسف: ﴿أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ
فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْذَبْنَهُ﴾ أعظمته ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين، ولم يشعروا
بالألم؛ لشغل قبهن يوسف ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهاً له ﴿مَا هَذَا﴾ أي:
يوسف ﴿بَشَرًا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لما حواه من الحسن الذي لا
يكون عادة في النسمة البشرية، وفي الحديث: «أنه أعطي شطر الحسن»^(٢).

[٣٢] ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن: ﴿فَذَلِكُنَّ﴾
﴿الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ في حبه، بيان لعذرها ﴿وَلَقَدْ رُودَّتُهُ عَنْ نَفْسِي ۖ
فَاسْتَعْصَمْتُ﴾ امتنع ﴿وَلِئَن يَفْعَلَ مَا أُمَرُهُ﴾ به ﴿لَيْسَ جَنَّتَ﴾
الضغينة؛ الدليل؛ فقلن له: أطع مولاتك.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَلَا أَضْرِبُ عَنِّي
كِتْدَهُنَّ أَصْبُ﴾ أُولُ ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُن﴾ أصبر ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ المذنبين، والقصد
بذلك الدعاء؛ فلذا قال تعالى: [٣٤] ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ
عَنْهُ كِتْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[٣٥] ﴿ثُمَّ بَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ الدالات على براءة
يوسف أن يسجنوه، دل على هذا: ﴿لَيْسَ جُنَّتَهُ حَتَّىٰ﴾ إلى ﴿حِينَ﴾ ينقطع
فيه كلام الناس.

[٣٦] ﴿فَسَجَنَ﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ غلامان للملك؛ أحدهما
ساقيه، والآخر صاحب طعامه، فرأياه يعبر الرؤيا، فقالا: لنختبرنه ﴿قَالَ
أَحَدُهُمَا﴾ وهو الساقى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً ﴿وَقَالَ
الْآخَرُ﴾ وهو صاحب الطعام: ﴿إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ
مِنْهُ نَبْتُنَا﴾ خبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ بتعبيره ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُنْجِيْنَ﴾.

[٣٧] ﴿قَالَ﴾ لهما مخبراً أنه عالم بتعبير الرؤيا: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ
تُرْزَقَانِيهِ﴾ في منامكما ﴿إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ في اليقظة ﴿قَبْلَ أَنْ
يَأْتِيَكُمَا تَأْوِيلَهُ﴾ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ فيه حث على إيمانهما، ثم قواه

(١) سمي الطعام بذلك؛ لأنه يتوكل عنده على عادة المتكبرين من أكل الفواكه حال الاتكاء.

(٢) رواه مسلم (١٦٢) عن أنس بن مالك مرفوعاً.

[٤٤] ﴿قَالُوا﴾: هذه ﴿أَصْنَعْتُ أَخْلَعُ﴾ أخلاط ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَقَالَ الَّذِي نَحَا يَنْهَاهُ﴾ أي: من الفتيين، وهو السافى ﴿وَاذْكُرْ﴾ فيه إبدال التاء في الأصل دالاً وإدغامها في الدال؛ أي: تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ حين، حال يوسف: ﴿أَنَا أَنْتُمْ تَتَأْوِيلُوا قَارِئُونَ﴾.

[٤٦] فأرسوه فأنى يوسف فقال: يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ﴿أَفَتَنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَسْمَانُ بِأَكْلِهِنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُتُودَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلَّيْ أَنْجِعَ إِلَى النَّاسِ﴾ أي: الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ تعبيرها.

[٤٧] ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي: ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَابًا﴾ متتابعة، وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿فِي سُتُودٍ﴾ ثلثا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ فادرسوه.

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السبع الخصبات ﴿سَبْعُ شِدَادٍ﴾ مجذبات صعب، وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين الخصبات؛ أي: تاكلونه فيهن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ﴾ تدخرون.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السبع المجذبات ﴿عَامٌ فِيهِ يَأْكُلُ النَّاسُ بِالْمِطْرِ﴾ وفيه يعصرون الأعناب وغيرها لخصبه.

[٥٠] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها: ﴿أَتُنَوِّي بِهِ﴾ أي: بالذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: يوسف ﴿الرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصداً لإظهار براءته: ﴿أَنْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَتَعْلَمَ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿الْيَسَوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي ^(١) ﴿يَكِيدُونِ عَلِيمٌ﴾ ^(٢).

[٥١] فرجع فأخبر الملك فجمعهم ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿إِذْ رَاوَدْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل وجدتن منه ميلاً ليكن؟ ﴿فَلَمَّا خَشَّ إِلَيْهِ مَا عَلَمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنِّ حَصَصَ﴾ وضع ﴿الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قوله: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ ^(٣).

قَالُوا أَصْنَعْتَ أَخْلَعُ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ الَّذِي نَحَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أَنْتُمْ بِتَأْوِيلِهِ
فَارْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفَتَنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
يَسْمَانُ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُتُودَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلَّيْ أَنْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُتُودٍ إِلَّا
قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ كُنْ
مَادَّةً لِمَنْ يَأْكُلُهَا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
عَامٌ فِيهِ يَأْكُلُ النَّاسُ فِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُنَوِّي
بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَنْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَتَعْلَمَ مَا بَالُ
الْيَسَوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَافٍ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾
قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ فَلَنْ خَشَّ
إِلَيْهِ مَا عَلَمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنِّ حَصَصَ
الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَالِقِينَ ﴿٥٢﴾

[٥٢] فأخبر يوسف بذلك فقال: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهله ^(١) ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَالِقِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لبث في السجن طول ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول أجبت» ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَنْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَتَعْلَمَ مَا بَالُ الْيَسَوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سورة يوسف. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٦٠٤). وأصله في الصحيحين بمعناه البخاري (٦٩٩٢)، ومسلم (١٥١).

قال النووي: «... وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله تواضعا وإيثارا للبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف». شرح النووي على مسلم (٣٣٩/٢ - ٣٤٠).

(١) قيل: المراد بالرب: الله - تعالى - ويكون في كلامه الظن الفرض لله ﷻ.

(٢) يوسف: ٢٦.

(٣) اختيار المصنف أن يوسف هو قائل ذلك، وهو قول الطبري وبعض التابعين كمجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم؛ وظاهر السياق والذي عليه أكثر المحققين من المفسرين - كابن كثير وابن تيمية وابن القيم وغيرهم - أن هذا من كلام امرأة العزيز والمعنى: ليعلم زوجي أنني لم أرتكب الفاحشة، وإنما هي مراودة، وما أبرئ نفسي؛ فإن النفس البشرية يغلب عليها الشهوة فأمر بالسوء.

[٥٥] ﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿أَجْعَلِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَافِظٌ عَلَيْهَا﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل: كاتب حاسب.

[٥٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كإتعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَوَكَّلْ﴾ ينزل ﴿وَهِيَ حَيْثُ يَسَّاءُ﴾ بعد الضيق والحس، وفي القصة أن الملك تَوَجَّه وَحَمَّه^(١) وولاه مكان العزيز، وعزله ومات بعد، فزوجه امرأته فوجدتها عذراء وولدت له ولدين^(٢)، وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٥٧] ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

[٥٨] ودخلت سينا القحط، وأصاب أرض كنعان الشام ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين، ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بئمه ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمْ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمْ لَهُ مُتُكِرُونَ﴾ لا يعرفونه؛ لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية، فقال كالنكر عليهم: ما أقدمكم بلاد؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه فاحتبسه؛ ليسلي به عنه، فأمر يائزاهم وإكرامهم.

[٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ وفي لهم كيلهم ﴿قَالَ أَتُونِي بِأَجْرِكُمْ﴾ من أيكم؟ أي: بنيامين؛ لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أنه من غير بخس ﴿وَلَمَّا حَزَّ الْمُزْلِينَ﴾.

[٦٠] ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ قالوا سترود عنه أباه ﴿وَلَمَّا لَفَّ بَعْضُهُمْ أَمْرًا بِبَعْضٍ﴾ أي: عطف على محل ﴿فَلَا كَيْلَ﴾ أي: تُحرموا ولا تقربوا.

[٦١] ﴿قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْ آبَائِهِ﴾ سنجهد في طلبه منه ﴿وَلَمَّا لَفَّ بَعْضُهُمْ أَمْرًا بِبَعْضٍ﴾.

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفَتْيَاهُ﴾ وفي قراءة: ﴿لِفَتْيَاهُ﴾ غلامانه ﴿أَجْعَلُوا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ لِّبَعْضٍ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة، وكانت دراهم ﴿فِي يَمِينِهِمْ﴾ أوعيتهم لعلهم يعرفونها إذا أنشكروا إلى أهلهم وفروا أوعيتهم لعلهم يرجعون إليها؛ لأنهم لا يستحلون إمساكها.

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا بَنَاتَانَا مِيعَ مِنَّا الْكَيْلَ﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلْ﴾ بالنون والياء^(٣) ﴿وَلَمَّا لَفَّ بَعْضُهُمْ أَمْرًا بِبَعْضٍ﴾.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ إلا ما رجعتي ﴿إِن رَّبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ؟﴾ استخلصه ﴿لِنَفْسِي﴾ فلما كلمه وقال إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴿قَالَ أَجْعَلِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أي حفيظ عليها ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نصيب أجر المحسنين ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرّفهم وهم له منكرون ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ قال أتوني بأجركم من أيكم إلا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير الميزلين ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ قالوا سترود عنه أباه ﴿وَلَمَّا لَفَّ بَعْضُهُمْ أَمْرًا بِبَعْضٍ﴾ وقال لفتيته أجعلوا بضعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا أنشكروا إلى أهلهم لعلهم يرجعون ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا إِنَّا نَمْنَعُ مِنَّا الْكَيْلَ﴾ فأرسل معنا أخانا نكتل وإننا له لحافظون ﴿١٣﴾

[٥٣] ثم تواضع لله^(١) فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ من الزلل ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ الجنس ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِالسُّوءِ﴾ إلا ما، بمعنى ﴿مَنْ﴾ ﴿رَجَعَتْ رَبِّي﴾ فقصمه ﴿إِن رَّبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٥٤] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ؟﴾ استخلصه لنفسي أجمعه خالصا لي دون شريك، فجاءه الرسول وقال: أجب الملك، فقام وودع أهل السجن ودعا لهم، ثم اغتسل ولبس ثيابا حسنا ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ﴾ له: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا، فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام وازرع زرعا كثيرا في هذه السنين الخصبه وادخر الطعام في سنبله فتأتي إليك الحلق ليمتاروا منك، فقال: ومن لي بهذا؟.

(١) هذا على اختيار المصنف أن الكلام المتقدم وهذا من كلام يوسف، وأكثر الخققين على خلافه وأنه من كلام امرأة العزيز.

(٢) أي حلاه بخاته.

(٣) هذا الكلام ليس عليه دليل، وهو يتنافى مع مقام النبوة؛ إذ كيف يتزوج نبي كريم من امرأة علم منها إرادة الفحشاء؟!

(٤) أي: لا كيل ولا قوب.

(٥) والقراءة الأولى لتافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْسَكْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ ۖ
 قَبْلَ ۚ قَالَ هَلْ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا
 مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا
 مَا نَبِغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
 أَخَانًا وَنَزِدُادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۚ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ
 لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي
 بِهِ ۚ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّاءُ اتَّوهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا
 نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ
 وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
 شَيْءٍ ۚ إِنَّكُمْ أَلَا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ
 يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ
 قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ
 قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

[٦٤] ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْسَكْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِنْ قَبْلَ﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿قَالَ هَلْ خَيْرٌ حِفْظًا﴾ وفي قراءة: ﴿حِفْظًا﴾^(١)، تمييز كقولهم: لله دره فارسا ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فأرجو أن يمين بحفظه.

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبِغِي﴾ «ما» استفهامية؛ أي: أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا؟ وقرئ بالفوقانية^(٢)؛ خطأً ليعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم هذبه. بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴿نأتي بالميرة لهم وهي الطعام وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزِدُادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأخينا ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ سهل على الملك لسخائه.

[٦٦] ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا﴾ عهدًا ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ بأن تخلفوا ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴿بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به، فأجابه على ذلك﴾ فَلَمَّاءُ اتَّوهُ مَوْثِقَهُمْ ﴿بذلك﴾ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ نحن وأنتم ﴿وَكَيْلٌ﴾ شهيد، وأرسله معهم.

[٦٧] ﴿وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ لئلا تصيبكم العين ﴿وَمَا أُغْنِي﴾ أدفع ﴿عَنْكُمْ﴾ بقولي ذلك ﴿مِنْ اللَّهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ قدره عليكم، وإنما ذلك شفقة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إِلَّا يَشُوحْ وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[٦٨] قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي: متفرقين ﴿مَا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: فضائه ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْنَاهُ﴾ لتعلمنا إياه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلهام الله لأصفيائه.

[٦٩] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴿تخزن﴾ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿من الحسد لنا، وأمره أن لا يخبرهم، وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن ييقنه عنده.

(١) وهي قراءة حفص وحزمة والكسائي، والقراءة الأولى للنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أي: تنغي، وهي قراءة شاذة.

[٧٢] ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعًا﴾ صاع ﴿الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا بِيدِهِ بِالْحِمْلِ﴾ زعيم ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيلا.

[٧٣] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ما سرقنا قط.

[٧٤] ﴿قَالُوا﴾ أي: المؤذن وأصحابه: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أي: السارق ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم: ما كنا سارقين، ووجد فيكم؟

[٧٥] ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ يُسْتَرْقَى، ثم أكد بقوله: ﴿هُوَ﴾ أي: السارق ﴿جَزَاؤُهُ﴾ أي: المسروق لا غير، وكانت سنة آل يعقوب ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسرقه، فصرحوا يوسف بنفثيش أو عيبتهم.

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَرْعَابِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ لئلا يتهم ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السقاية ﴿مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ﴾ الكيد ﴿كَذْنَا يُوْسُفَ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَتَا كَانَ يُوْسُفُ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿فِي دِينَ الْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر؛ لأن جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّا أَنْ يَنْشَأَ اللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه؛ أي: لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله يالهامه سؤال إخوته وجوابهم يستنهم ﴿تَرْفَعُ [دَرَجَاتٍ] مَنْ نَشَاءُ﴾ بالإضافة والتنوين^(١) في العلم كيوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى الله - تعالى.

[٧٧] ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: يوسف وكان سرق لأبي أمه صنفاً من ذهب فكسره؛ لئلا يعبد^(٢).

﴿فَأَسْرَهَا يُوْسُفَ فِي نَفْسِهِ﴾ وَلَمْ يُبْدِهَا بِظَهَرِهَا ﴿لَهُمْ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله ﴿قَالَ﴾ في نفسه: ﴿أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا﴾ من يوسف وأخيه لسرقتمكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ بما تصفون ﴿تَذْكُرُونَ مِنْ أَمْرِهِ﴾.

[٧٨] ﴿قَالُوا بَكَتُنَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَخَذَّ أَحَدًاكَ﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُ﴾ بدلاً منه ﴿إِنَّا زَرَنَّاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك.

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعًا الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٧﴾ فَبَدَأَ بِأَرْعَابِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذْنَا يُوْسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوْسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾

[٧٠] ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ هي صاع من الذهب مرصع بالجوهر ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾. [٧١] ﴿قَالُوا وَ﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَفْقِدُونَ﴾.

(١) بالإضافة لدافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) روى ذلك ابن مردويه مرفوعاً عن ابن عباس مرفوعاً، وقيل غير ذلك، ولم يصح من ذلك شيء مرفوعاً ولا موقوفاً، والصحيح أن قولهم هذا محض كذب وإفراء على يوسف وأخيه، كما نقل القرطبي عن الحسن البصري.

﴿وَجَعَلْنَا يَوْسَفَ مُرْجَدًا مَدْفُوعًا^(١)﴾ يدفعها كل من رآها لردائها، وكانت دراهم زبوا^(٢) أو غيرها ﴿فَأَوْفَى﴾ أتم ﴿لَنَا الْكَيْلَ وَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يبيهم، فرق لهم وأدر كته الرحمة، ورفع الحجاب بينه وبينهم.

[٨٩] ثم ﴿قَالَ﴾ لهم توبيخا: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسَفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿وَأَيُّدِ﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذْ أَنْشَرْ جَاهِلُونَ﴾ ما يقول إليه أمر يوسف.

[٩٠] ﴿قَالُوا﴾ بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متبئين: ﴿أَوَإِنَّكَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(٣) ﴿لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ﴾ أنعم ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا بِالْاجْتِمَاعِ﴾ إئت من يتيي يخف الله ويصير على ما يناله ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر.

[٩١] ﴿قَالُوا نَالَهُ لَقَدْ عَازَرَكَ﴾ فضلك ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا بِالْمُلْكِ وَغَيْرِهِ﴾ وإن مخففة، أي: إنا ﴿كُنَّا لَخٰطِلِيْنَ﴾ آلمين في أمرك فأذلناك. [٩٢] ﴿قَالَ لَا تَنْزِبْ﴾ عتب ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ خصه بالذكر؛ لأنه مظنة التشريب فغيره أولى ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[٩٣] وسألهم عن أبيه فقالوا: ذهب عيناه، فقال: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقى في النار، كان في عنقه في الحب وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله وقال: إن فيه ريحا ولا يلقى على مبتلى إلا عوفي^(٤) ﴿فَالْقَوُّهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ بصر ﴿بَصِيرًا وَأَتَوْفَى بِأَعْيُنِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعَيْسُ﴾ خرجت من عريش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمُ﴾ لمن حضر من بنه وأولادهم: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ﴾ أوصلته إليه الصبأ^(٥) بإذنه تعالى من مسير ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر ﴿كُلَّ مَا أَنُفِّدُونُ﴾ تستفهمون لصدقهموني.

[٩٥] ﴿قَالُوا لَهُ﴾: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ﴾ خطلك ﴿الْقَدِيرِ﴾ من إفراط في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد.

يَبْقَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْكُسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجَعَلْنَا بِضَعَتِ مُرْجَدًا قَاوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْشَرْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَازَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخٰطِلِيْنَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَنْزِبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا قَاوْفُهُ عَلَى وَجْهِهِ أَيْ يَأْتِ بِصِيرًا وَأَتَوْفَى بِأَعْيُنِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَ الْعَيْسُ قَالَ أَبُوهُمُ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ لَوْلَا أَن تُفْنِدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿٩٥﴾

[٨٧] ثم قال: ﴿يَبْقَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اطلبوا خبرهما ﴿وَلَا تَأْكُسُوا﴾ تفنطوا ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ رحمته ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف. [٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ﴾ الجوع

(١) أي مردودة.

(٢) جمع «زيف»، وهو الذي خلط به نحاس أو غيره مع الفضة، فيكون مرغوبا عنه.

(٣) أي التحقيق والتسهيل؛ فالقراءات أربع سبعة. وقرأ ابن كثير هنا بالخير ﴿إِنَّكَ﴾ وهي قراءة خامسة سبعة أيضا.

(٤) ليس على ذلك دليل، وإنما هو من الإسرائيليات التي لا يعتمد مثلها في تفسير كلام الله، كما أن ظاهر نسبة القميص لنفسه عليه السلام خلاف ما ذكر، والله أعلم.

(٥) «الصبأ»: ريح مهبط من مطلع الشمس؛ إذا استوى الليل والنهار، ومقابلتها: «الدبور»، وأخرج الشيخان من حديث ابن عباس مرفوعا: «نُصِرْتُ بالصبأ، وأهلكت عاد بالدبور».

[٩٦] ﴿فَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

[٩٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ .

[٩٨] ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ . آخر ذلك إلى السحر؛ ليكون أقرب إلى الإجابة أو إلى ليلة الجمعة، ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم.

[٩٩] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ فِي مَضْرَبِهِ^(١) ﴿ءَاذَنْتَ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَبُوِّي﴾ أباه وأمه، أو خالته ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ إن شاء الله ءامين﴿ فدخلوا وجلس يوسف على سريره.

[١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبُوِّي﴾ أجلسهما معه ﴿عَلَى الْأَمْرِ﴾ السرير ﴿وَوَضَعَا﴾ أي: أبواه وإخوته ﴿لَهُ سَجْدًا﴾ سجدوا انحناء لا وضع جبهة وكان تحتهم في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَتْلِبُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ إلخ ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ لم يقل من الحب تكرمًا، لئلا تخلل إخوته ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَدْوِ﴾ البادية ﴿وَمِنْ بَيْنِ أَنْ تَزْغَ﴾ أفسد ﴿السَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ إن ربي لطيف لما يشاء إنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ﴿بخلقه﴾ الْحَكِيمُ ﴿في صنعه، وأقام عنده أبوه أربعًا وعشرين سنة أو سبع عشرة سنة، وكان مدة فراقه ثمانين سنة أو أربعين أو ثمانين سنة، وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضى بنفسه ودفنه ثمة، ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثًا وعشرين سنة^(٢).

[١٠١] ﴿وَلَمَّا تِمَّ أَمْرُهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَدُومُ تَأْتَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْمَلِكِ الدَّائِمُ فَقَالَ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿فَاطَّرَ﴾ خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ﴾ متولي مصالحتي ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من آبائي، فعاش بعد ذلك أسبوعًا أو أكثر ومات وله مائة وعشرون سنة، وتشاخ المصريون في قبره فجعلوه في صندوق من مرمر ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانبيه، فسبحان من لا انقضاء للملكة^(٣).

[١٠٢] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿وَمِنْ أَنْبَاءِ﴾ أخبار ﴿الْغَيْبِ﴾

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبُوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبُوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتْلِبُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ السَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطَّرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذَا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذَا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ في كيدته أي عزموا عليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به أي: لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها، وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي.

[١٠٣] ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) أي خيمته، وكان ذلك خارج امدية على عادة الملوك.

(٢) هذه التفاصيل لا دليل صحيح عليها، فالأولى الاكتفاء بقصة الله علينا، وهو أحسن القصص.

(٣) هذه التفاصيل لا دليل صحيح عليها، فالأولى الاكتفاء بما قصه الله علينا، وهو أحسن القصص.

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ حيث يقرن بأنه الخالق الرازق ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ به عبادة الأصنام، ولذا كانوا يقولون في تليبتهم: «ليبك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك»، يعونها.

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ غَشِيَةٍ﴾ نعمة تغشاهم ﴿بَيْنَ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها قبله.

[١٠٨] ﴿قُلْ لَهُمْ: هَذِهِ سَبِيلِي﴾ وفسرها بقوله: ﴿أَدْعُوا إِلَى دِينِ اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي﴾ آمن بي، عطف على ﴿أَنَا﴾ المبتدأ الخبر عنه بما قبله ﴿وَسَيَحْنُ اللَّهُ﴾ تنزيهاً له عن الشركاء ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من جملة سبيله أيضاً.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا﴾ [يُوحَى] ﴿وَفِي قِرَاءَةِ النَّوْنِ وَكُسر الحاء^(١)﴾ [إِلَيْهِمْ] لا ملائكة ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأمصار؛ لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجهلهم وجاهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أهل مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الله ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ بالباء والتاء^(٢)، يا أهل مكة هذا فتوّنون.

[١١٠] ﴿حَقٌّ﴾ غاية لما دل عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا﴾ أي: فترأى نصرهم حتى ﴿إِذَا اسْتَيْسَسَ﴾ يس ﴿الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ الرسل^(٣) ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ بالتشديد تكذيباً لا إيمان بعده، والتخفيف^(٤)؛ أي: ظن الأمم أن الرسل أنحلوا ما وعدوا به من النصر ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُفِخَ﴾ [فَنُفِخَ] بنونين مشدداً ومخففاً، وبنون مشدداً ماض^(٥) ﴿مِنْ نَشَأٍ﴾ ولا يردُّ بأسناً عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿مِمَّا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُنْتَفَى﴾ يختلق ولكن كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لاتفاعهم به دون غيرهم.

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٨﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٩﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا لَأُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا يَعْلَمُونَ ﴿١١١﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُفِخَ مِنْ نَشَأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَانٍ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٢﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١٣﴾

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تأخذه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ وكم ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون بها.

(١) بالياء قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٢) بالياء لحزمة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) وهذا راجع لقراءة التشديد في ﴿كُذِّبُوا﴾.

(٤) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) حاصل ما ذكره ثلاث قراءات، وظاهر كلامه أنها كلها سبعة، وليس كذلك؛ فقراءة التشديد مع النونين قراءة شاذة، أما قراءة التخفيف مع النونين فيه للسبعة عدا عاصم وابن عامر.

سُورَةُ الرَّحْمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجًا وَأَنْهَارًا وَكُلٌّ فِي الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَتَجَوَّزَةٌ وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْطَبِ وَرَعٍ وَنَحِيلٍ صُنُوفًا وَغَيْرِ صُنُوفٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَذْكَاءُ تَرَبَّاءُ تَأَلَّفَى خَلْقَ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْيُنِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ منكرين البعث: ﴿أَوَذَّا كُنَّا تَرَبَّاءُ تَأَلَّفَى خَلْقَ جَدِيدٍ﴾ لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها^(٨)، وفي قراءة بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني^(٩)، وأخرى عكسه^(١٠) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْيُنِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

سُورَةُ الرَّحْمَةِ

[مكية إلا: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ الآية. أو: - مدنية إلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا﴾ الآية، ثلاث، أو: أربع، أو: خمس، أو: ست وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَةِ﴾ الله أعلم بمداهم بذلك ﴿وَتِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن، مبتدأ خبره: ﴿الْحَقُّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بأنه من عنده تعالى.

[٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: العمد جمع عماد وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق به^(١) ﴿وَسَحَرَهُ﴾ ذَلَّلَ ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾ بين ﴿الْآيَاتِ﴾ دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾ بالبعث ﴿تُوقِنُونَ﴾.

[٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ﴾ بسط ﴿الْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿فِيهَا رِجًا﴾ جبالاً نوابت ﴿وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ من كل نوع ﴿يُغْشَى﴾ يغطي ﴿الَّيْلَ﴾ بظلمته ﴿النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في صنع الله.

[٤] ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ﴾ بقاع مختلفة ﴿مَتَجَوَّزَةٌ﴾ متلاصقات، فمنها طيب وسبخ، وقليل الربيع وكثيره، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿وَجَعَلْنَا﴾ بساتين ﴿مِنْ أَغْطَبِ وَرَعٍ﴾ بالرفع عطفًا على ﴿وَجَعَلْنَا﴾، والجر^(٢) على ﴿أَغْطَبِ﴾، وكذا قوله^(٣): ﴿وَنَحِيلٍ صُنُوفًا﴾ جمع صنو، وهي الثَّخَلَاتُ^(٤) يجمعها أصل واحد وتنشعب فروعها ﴿وَعَبِيرٍ صُنُوفًا﴾ مفردة ﴿تُشْقَى﴾ بالناء؛ أي: الجنات وما فيها، والياء^(٥)؛ أي: المذكور ﴿بِمَاءٍ وَنَحِيلٍ وَنُفَضِّلُ﴾ بالنون والياء^(٦) ﴿بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ بضم الكاف وسكونها^(٧)؛ فمن حلو وحامض، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٥] ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾

(١) سبق التعليق على هذا الإحلاق وأنه إذا كان توبيخًا في الكيفية فعم، وأما إن كان المراد نفي معناه من العلو والاستقرار فهذه طريقة أهل التأويل.

(٢) بالجر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر وشعبة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر وشعبة.

(٤) وفي نسخة مطبوعة: «الثخلات».

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٦) فهذه أربع قراءات.

(٧) باليسكون قراءة نافع وابن كثير.

(٨) بالنافع والكسائي.

(٩) حاصل ما ذكره المؤلف من القراءات ما يلي:

قرأ نافع والكسائي ﴿أَوَذَّا﴾ بهمزتين؛ الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام.

وقرأوا ﴿أَوَذَّا﴾ بهمزة واحدة مكسورة على الخبر كل على أصله، فقالون يسهل الثانية في ﴿أَوَذَّا﴾ ويدخل ألفًا بينها وبين الأولى، وورش يسهلها من غير إدخال، والكسائي يحققها من غير إدخال، وقرأ ابن عامر بالإخيار في الأول والاستفهام في الثاني وكل على أصله كذلك، فهشام يحققها مع الإدخال فولاً واحداً، وابن ذكوان يحققها بلا إدخال.

وقرأ بقية السبعة بالاستفهام فيهما وكل على قاعدته، فابن كثير بالتسهيل بلا إدخال، وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وعاصم وحزمة بالتحقيق من غير إدخال.

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا ﴿١﴾ هَلَّا ﴿٢﴾ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿٣﴾ عَلَى مُحَمَّد ﴿٤﴾ آيَةً مِّن دُونِهِ ﴿٥﴾ كَالْعَصَا وَالْيَدِ وَالنَّاقَةِ؟ قَالَ - تعالى -: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ﴿٦﴾﴾ مخوف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿٧﴾ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٨﴾﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يفترون.

[٨] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ﴿١﴾﴾ من ذكر وأُنْثَى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وَمَا تَقْضِي شَيْءٌ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٢﴾﴾ من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزَادُ أُنْثَى مَنَّهُ ﴿٣﴾﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٤﴾﴾ بقدر وحد لا يتجاوز.

[٩] ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴿١﴾﴾ ما غاب وما شُهِد ﴿الْكَبِيرُ ﴿٢﴾﴾ العظيم ﴿الْمُتَعَالَى ﴿٣﴾﴾ على خلقه بالقهر ^(١)، بياء ودونها ^(٢).

[١٠] ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ فِي عِلْمِهِ مَن قَالَ ﴿١﴾﴾ في علمه تعالى ﴿مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ﴿٢﴾﴾ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ ﴿٣﴾ مستتر ﴿بِالْإِيلِ ﴿٤﴾﴾ بظلامه ﴿وَسَارٍ ﴿٥﴾﴾ ظاهر بذهابه في سرية ^(٦) أي طريقه ﴿بِالنَّهَارِ ﴿٧﴾﴾.

[١١] ﴿لَهُ ﴿١﴾﴾ لِلْإِنْسَانِ ﴿مُعَقِّبَتٌ ﴿٢﴾﴾ ملائكة تتعقبه ﴿مِّن بَيْن يَدَيْهِ ﴿٣﴾﴾ قدومه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ ﴿٤﴾﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِّن أَمْرِ اللَّهِ ﴿٥﴾﴾ أي: بأمر من الجن وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ ﴿٦﴾﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّى يَبْعُزُوا مَّا يَأْتِيهِمْ ﴿٧﴾﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُورَ سَوْءًا ﴿٨﴾﴾ عذابًا ﴿فَلَا مَرَدَ لَهُ ﴿٩﴾﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُمْ ﴿١٠﴾﴾ لئن أراد الله بهم سوءًا ﴿مِّن دُونِهِ ﴿١١﴾﴾ أي: غير الله ﴿مِنْ زَائِدَةٍ ﴿١٢﴾﴾ زائدة ﴿وَالِإِذْ ﴿١٣﴾﴾ بمنعهم.

[١٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَكُمْ خَوْفًا ﴿١﴾﴾ للمسافرين من الصواعق ^(٢) ﴿وَلَمَّا عَاثَ ﴿٣﴾﴾ للمقيم في المطر ^(٤) ﴿وَيُنْشِئُ ﴿٥﴾﴾ يخلق ﴿السَّحَابَ ﴿٦﴾﴾ الْإِنْقَالَ بِالْمَطَرِ.

[١٣] ﴿رُسُجُ الزَّعْدِ ﴿١﴾﴾ هو ملك ^(٢) موكل بالسحاب يسوقه متلبسًا ﴿بِحَمْدِهِ ﴿٣﴾﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَيُسَبِّحُ ﴿٤﴾﴾ السَّحَابُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴿٥﴾ أي: الله ﴿وَيُرْسِلُ ﴿٦﴾﴾ الصَّوَاعِقَ ﴿وَهِيَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ السَّحَابِ ﴿٧﴾﴾ فَيَصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ﴿٨﴾﴾ فحرقه، ونزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعو فقال: من رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو أم من فضة أم نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بيقحف ^(٩) رأسه ^(١٠) ﴿وَهُمْ ﴿١١﴾﴾ أي: الكفار ﴿يَجْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ يخاضعون النبي ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾﴾ القوة أو الأخذ.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٢﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَقْضِي الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٣﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى ﴿٤﴾ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَن أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارٍ بِالنَّهَارِ ﴿٥﴾ لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ وَمِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُورَ سَوْءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِّن وَالٍ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَكُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الْإِنْقَالَ ﴿٧﴾ وَيُسَبِّحُ الزَّعْدَ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِّن خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجْعَلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿٨﴾

[٦] ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء: ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ الْعَذَابِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ الرحمة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾ جمع ﴿الْمَثَلَةُ﴾ يوزن ﴿الشَّمْرَةُ﴾؛ أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، أفلا يعتبرون بها؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ ولا لم يترك على ظهرا دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه.

(١) وهذا أحد معاني العلو الثابتة لله ﷻ، وله العلو الشامخ وعلو القهر وعلو الذات، ولا يجوز قصر العلو على نوع واحد فقط.
(٢) في البوصل والوقف، فبالياء فرأى بن كثير، على الأصل؛ لأن الألف واللام أذهبا التوين الذي تحذف الباء من أجله، فرجعت الباء، وبالحذف قرأ الباقون اتباعًا للخط، واكتفاء بدلالة الكسرة على الياء.

(٣) قال في القاموس المحيط: السارب: الناهب على وجهه في الأرض.

(٤) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خوفًا وطمعًا للمسافرين والمقيمين معًا، فهو تارة يكون خيرا، وأخرى شؤا، للجميع.

(٥) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خوفًا وطمعًا للمسافرين والمقيمين معًا، فهو تارة يكون خيرا، وأخرى شؤا، للجميع.

(٦) أخرج الترمذي في كتاب التفسير عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا من الرعد ما هو؟ قال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه محاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله... الحديث، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٩٢)، والمحاريق: جمع مخراق، والمراد به هنا آلة تخرج بها الملائكة السحاب. وقيل: المراد بتسبيح المخلوقات من الجمادات وغير العقلاء: تسبيح الدلالة؛ فكل محدث يدل على أن الله خالق قادر. وقل: هذا التسبيح حقيقة، ولا مانع من أن ينطق الله أي شيء بذلك، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ شَيْءٍ نَّفْثُورٌ كَسْبِحُهُمْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَمِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾، وقوله: ﴿الَّذِي أَلْقَى كُلَّ قَوْمٍ﴾، ولا تعارض بين القولين؛ فالرعد ملك موكل بالسحاب، وهو يسبح بحمد ربه، كما أن المخلوقات كلها تسبح حقيقة بحمد الله، والله أعلم.

(٧) بكسر القاف؛ عظم الرأس الذي فوق الدماغ.

(٨) أخرج نحوه النسائي والزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أنس بن مالك (٩٩/٤) في الدر المنثور. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٠٤/١) رقم (٦٩٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة.

[١٤] ﴿لَهُ تَعَالَى دَعْوَةُ الْمُنَى﴾ أي: كلمته، وهي لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ﴾^(١) يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره وهم الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ مما يطلبونه ﴿إِلَّا﴾ استجابة ﴿كَبْسُطٍ﴾ أي: كاستجابة باسط ﴿كَتَبَهُ إِلَى الْمَاءِ﴾ على شفير البحر يدعو ﴿يَتْلَعُ فَاذْ﴾ بارتفاعه من البحر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَلَّوٍ﴾ أي: فاه أبداً فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ﴾ عبادتهم الأصنام، أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ ضَيَاعٍ﴾.

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ كالنافقين ومن أكرهه بالسيف^(٢) ﴿وَمَنْ يَسْجُدْ﴾ ظللهم بِالْعُدْوَةِ الْبُكْرِ^(٣) ﴿وَالْأَصَالِ﴾ العشايا.

[١٦] ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ﴾ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ إِنْ لَمْ يَقُولُوا فلا جواب غيره ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: أَفَأَنْتُمْ مِنْ دُونِهِ؟ أي: غيره ﴿أَوَلَيْسَ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وتركتم مالكمها؟ استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسَوَّى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ الإيمان؟ لا ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَمَا يَخْلُقُ فَتَشَبَّهَ الْخَلْقُ﴾ أي: خلق الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار؛ أي: ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة ﴿وَمَوْهُ الْوَحِيدُ الْقَهْرُ﴾ لعباده. ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال: [١٧] ﴿أَنْزَلَ تَعَالَى﴾ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً ﴿مَطَرًا﴾ فَسَاءَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴿فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ عاليًا عليه، هو ما على وجهه من قدر ونحوه ﴿وَمَا يُوقِدُونَ﴾ بالناء والباء^(٤) ﴿عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿أَبْنَسَاءَ﴾ طلب ﴿جَلِيَّةٍ﴾ زينة ﴿أَوْ مَتَّعَ﴾ يتنفع به كالأواني إذا أذيت ﴿زَيْدٌ يَتْلُوهُ﴾ أي: مثل زبد السيل وهو خبثه الذي ينفيه الكبر ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَبْصُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ وَالْبَاطِلَ﴾ أي: مثلهما ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ﴾ من السيل وما أوقد عليه من الجواهر ﴿يَذْهَبُ جُفَاءً﴾ باطلاً مرميًا به ﴿وَأَمَّا مَا يَبْعَثُ النَّاسُ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمْكُكُ﴾ يبقى ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ زمانًا، كذلك الباطل يضمحل وينمحى وإن علا على الحق في بعض الأوقات، والحق ثابت باق، ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَصْرُفُ﴾ يَبْسُفُ ﴿اللَّهُ الْأَمْتَالُ﴾.

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبْسُطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ يَلْبَغُ فَاذْ وَمَا هُوَ بِبَلَّوٍ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَّلَهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْأَصَالِ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَأَنْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْ لِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسَوَّى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَمَا يَخْلُقُ فَتَشَبَّهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَحِيدُ الْقَهْرُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَاءَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَصْرِبُ اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فَاَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُكُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْتَالُ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ وَلَوْ أَنَّ لَهُمْ مَتَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَدُوا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ

[١٨] ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه بالطاعة ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَدُوا بِهِ﴾ من العذاب ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ وهو المأخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء ﴿وَمَا أَوْفَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش هي.

(١) ظاهرهما أنهما قراءتان سبعيتان، وليس كذلك، فالباء هي قراءة السبعة، أما التاء فشاذة.

(٢) هذا المعنى غير واضح، ولا يستقيم مع قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، والأقرب أن يقال: إن المراد بالسجود كرهاً: هو انقياد غير المؤمنين من الكفار والمنافقين لإرادته شخاطة وتديبه وتصريفه، لا يقدرون أن يمتنعوا عليه، وكذا تتقاد له تعالى ظلالمهم؛ كما لا يبعد أن يخلق الله تعالى في الظلال أفعالها وعقولا بها تسجد لله، كما خلقها للجال والغيرها حتى اشتغلت بالنسيح، ويجوز أن يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعاً لأصحابها، وهذه الآية كقولها تعالى: ﴿وَلَهُ أَشْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ نَفْسٍ يَنْفَخُ فِي ظُلُمَةٍ عَنِ الْيَمِينِ وَالْأَسْأَلِ شَجْدًا لِلَّهِ وَمَنْ دَرَجُونَ﴾ [النحل: ٤٨].

(٣) جمع بكرة وهي من أول النهار.

(٤) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

عهد ﴿وَلَا يَنْفُضُونَ الْعَيْثَ﴾ بترك الإيمان أو الفرائض.
 [٢١] ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿وَيَخْفُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ وعيده. أي: وعيده. تقدم مثله.
 [٢٢] ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿أَتَيْتَهُمْ﴾ طلب ﴿وَرَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا فِي الطَّاعَةِ﴾ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوكَ ﴿يَدْفَعُونَ﴾ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

[٢٣] هي ﴿جَنَّتْ عَنِّي﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَزُرِّيَّاتِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم، يكونون في درجاتهم تكملة لهم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة، أو القصور أول دخولهم للجنة^(١).

[٢٤] يقولون: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فَعِمَّ عَنْهُ الدَّارُ﴾ عقباكم.

[٢٥] ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿وَالَّذِينَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ وَيَقْرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿١٨﴾

[٢٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالعصا والبد والناقة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ إضلالة؛ فلا تغني عنه الآيات شيئا ﴿وَيَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أُنَابَ﴾ رجع إليه. ويبدل من ﴿مَنْ﴾: [٢٨] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: وعده ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: قلوب المؤمنين.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَى﴾ لِمَا يَذْكُرُ أُولَ الْأَلْبَابِ ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْعَيْثَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخْفُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوكُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ ﴿جَنَّتْ عَنِّي يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَعِمَّ عَنْهُ الدَّارِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ﴾ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿١٨﴾

[١٩] ونزل في حمزة وأبي جهل^(١): ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فأمّن به ﴿كَمْ هُوَ أَعْمَى﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ﴾ يتعظ ﴿أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[٢٠] ﴿وَالَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم النذر، أو كل

(١) لم أقف في كتب أسباب النزول أو غيرها من كتب التفسير على ما يشهد لهذا القول، والمشهور أن الآية عامة في التفريق بين المؤمنين والكافرين كما ذكر ذلك قتادة وغيره. كما في الدر المنثور وتفسير الطبري وغيرهما. والله أعلم.

(٢) ولأدليل على هذا الحصر، وظاهر إطلاق الآية - عليه المفسرون - أنه غير محصور بهذا الوقت، بل يدخلون عليهم في غيره.

[٢٩] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ﴾^(١) مصدر من الطيب^(٢)، أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها^(٣) ﴿لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ﴾ مرجع.

[٣٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا نَبَأَهُمْ﴾ نقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَتَيْنَا مِنْ قَبْلِكَ أَجْرَهُمْ﴾ ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له: وما الرحمن؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾.

[٣١] ونزل لما قالوا له: إن كنت نبيا فسير عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا؛ لغرس ونزرع، وابتع لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبي^(٤): ﴿وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا شَهِرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿وَأَوْ قَطِعتْ﴾ شققت ﴿بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ بأن يحيوا لما آمنوا ﴿بَلْ يَلَوُ الْأُمَمُ جَمِيعًا﴾ لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره إن أوتوا ما اقترحوا، ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعا في إيمانهم: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ يعلم^(٥) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ﴾ مخفية: أي: أنه ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ يصنعهم: أي: كفرهم ﴿فَارْعَوْهُمُ﴾ داهية تفرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجلب ﴿أَوْ تَحُلْ﴾ يا محمد بجيشك^(٦) ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ مكة ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ وقد حل بالحدودية حتى أتى فتح مكة.

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كما استهزئ بك، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمَلَيْتُمْ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُمْ أَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: هو واقع موقعه، وكذلك أفعَل بمن استهزأ بك.

[٣٣] ﴿أَفَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر، وهو الله، كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا، دل على هذا ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ﴾ له من هم؟ ﴿أَمْ﴾ بل أُنَبِّئُونَهُمْ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي: بشريك ﴿لَا يَخْلُقُ لَهُ﴾ في الأرض استفهام إنكار؛ أي: لا شريك له إذ لو كان لعلمه، تعالى عن ذلك ﴿أَمْ﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ يَرَيْنَ لِلَّذِينَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِثُوا نَبَأَهُمْ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَتَيْنَا مِنْ قَبْلِكَ أَجْرَهُمْ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ لَّإِلَهِ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا شَهِرَتْ بِهِ الْجِبَالُ وَأَوْ قَطِعتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى سِيرَتْ بِهِ لِلْبِالِ أَوْ قَطِعتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تُحِلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُمْ أَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُمْ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ يَرَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مُكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَذَابٌ أَشَدُّ وَمِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾

كَفَرُوا مُكْرَهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٤] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد منه ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَذَابٌ أَشَدُّ﴾ أي: عذابه ﴿وَمِنْ وَاقٍ﴾ مانع.

(١) قال الزمخشري: ﴿طُوبَى﴾: مصدر من «طاب» كبرى وزلغى، ومعنى «طوبى لك»: أصبت خيرا وطيبا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه عن محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى لو يسير الراكب الجواب في ظلها لساير فيه مائة عام قبل أن يقطعها...» الحديث [الدر المنثور (١١٣/٤)].

وجاء نحو هذا المعنى في حديث رواه أحمد (١٢٤٥) عن أبي سعيد الخدري مرفوعا، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣٩/٤) رقم (١٩٨٥) وحسنه في صحيح الجامع (٣٩١٨).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٥/١٢) رقم (١٢٦١٧) عن ابن عباس، والفضاء المقدسي في الأحاديث المختارة (٥٥٦/٩)، رقم (٥٥٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٣/٧): «رواه الطبراني، وفيه قابوس بن أبي طيبان، وقد وثق».

(٤) وهي لغة هوازن؛ حيث يطلقون «يئس» على معنى «علم».

(٥) والقول الآخر، وهو الظاهر من السياق: أن الضمير يعود إلى الفارعة؛ أي: تصيب من حولهم؛ لينظفوا ويعتبروا.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا تَنْعَقِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ أَكْثَرُ الْكَتَبِ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ وَقُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُ ﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلُهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلَهُمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَقْبَى الدَّارُ ﴿٤٤﴾

[٣٥] ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿الجنة﴾ التي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ﴿مبتدا خبره محذوف﴾ أي: فيما تُفَصِّلُ عليكم ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ما يؤكل فيها ﴿دَائِمٌ﴾ لا ينفى ﴿وَبِلْغَتُهَا﴾ دائم لا تتسخه شمس لعدمها فيها ﴿وَبِلْغَتُهَا﴾ أي: الجنة ﴿عَقْبَى﴾ عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿وَعَقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهَدْيِ الْكِتَابِ﴾ كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ كذكر الرحمن وما عدا القصص ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْزِلْتُ﴾ فيما أنزل إلي ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُ ﴿مرجعي﴾.

[٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنزال ﴿أُنْزِلْتُ﴾ أي: القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿وَلِئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضاً ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بالتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ مانع من عذابه.

[٣٨] ونزل لما عيروه بكثرة النساء^(١): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ أولاداً وأنت مثلهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مريبون ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ مدة ﴿كِتَابٍ﴾ مكتوب فيه تحديده.

[٣٩] ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ منه ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢)، فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله الذي لا يتغير منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل.

[٤٠] ﴿وَأَمَّا﴾ فيه ادغام نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية في ﴿مَا﴾ المزيدة ﴿فَرِيضَتِكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك. وجواب الشرط محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَوْ تَوَفِّيكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ ما عليك إلا التبليغ ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم.

[٤١] ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ﴾ أي: أهل مكة ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾ في خلقه بما يشاء ﴿لَا مُعَقَّبَ﴾ لا راد ﴿لِحُكْمِهِ﴾ وهو سريع ﴿الْحِسَابِ﴾.

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم بأبيائهم كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ وليس مكروهم كمكروه؛ لأنه - تعالى - ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيعد لها جزاءه، وهذا هو المكر كله؛ لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ المراد به الجنس، وفي قراءة: ﴿الْكُفَّارُ﴾^(٣) ﴿لِمَنْ عَقْبَى الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ألهم أم النبي ﷺ وأصحابه.

(١) كان تعبيرهم له ﷺ بذلك بقصد الطعن في نبوته ﷺ.

(٢) وهما قراءتان سبيتان، وبالتشديد قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٣) وانقراءة المفسرة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

وَقُولُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدُ عَلِيمِ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَقِيلَ
لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ
فَضْلَ اللَّهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا
اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكَ: لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ لَهُمْ: كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَمَنْ عِنْدُ عَلِيمِ الْكِتَابِ﴾ من مؤمني اليهود والنصارى.

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

[مكية إلا: ﴿أَنْتُمْ تَرَىٰ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا﴾ الآيتين فمدينيتان. وآياتها:

إحدى، أو: اثنتان، أو: أربع، أو: خمس وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراحه بذلك، هذا القرآن ﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِمْ﴾ وبإذن من ﴿إِلَى النُّورِ﴾: ﴿إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقِ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْحَمِيدِ﴾ المحمود.

[٢] ﴿اللَّهُ﴾ بالجر بدل أو عطف بيان وما بعده صفة، والرفع (١) مبتدأ خبره: ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

[٣] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

[٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ﴾ بلغة ﴿قَوْمِهِ﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴿لِيُفْهَمَهُمْ مَا آتَىٰ بِهِ﴾ ﴿فَضْلَ اللَّهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ التسع، وقلنا له: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ بنعمه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التذكير ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ للنعم.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي در قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يعث الله نبياً إلا بلغة قومه». (المسند ١٨٥/٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٩٧).

(١) بالرفع فراءة دفع وابن عامر.

وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ اَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ اَنْجَاكُمْ مِنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوْنَكُمْ سُوًۢءَ الْعَذَابِ وَيُذَيِّحُوْنَ اَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُوْنَ نِسَاءَكُمْ وَفِيْ ذٰلِكُمْ بَلَاٌۢءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمٌ ۝۱۱ وَاِذْ تَاَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَاۤ اَزِيْدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ اِنَّ عَذَابِيْ لَشَدِيْدٌ ۝۱۲ وَقَالَ مُوسٰى اِنْ تَكْفُرُوْۤا اَنْتُمْ وَمَنْ فِى الْاَرْضِ جَمِيْعًا فَاِنَّ اللّٰهَ لَغَنِيٌّ حَمِيْدٌ ۝۱۳ اَلَمْ يَاتِكُمْ نَبُوۤاۤلُ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ تُوجِبُوْنَ اَعْيُنُهُمْ اَلَا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ اِلَّا اللّٰهُ جَاۤءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ فَرَدُّواۤ اَيْدِيَهُمْ فِىْۤ اَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوْۤا اِنَّا كَفَرْنَا بِمَاۤ اُرْسِلْتُمْ بِهِۦ وَاِنَا لَفِيْ شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُوْنَۤا اِلَيْهِۚ مُّرِيبٌ ۝۱۴ قَالَتْ رُسُلُهُمْ اَفِى اللّٰهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَدْعُوْكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ اِلٰىۤ اَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوْۤا اِنْ اَنْتُمْ اِلَّاۤ اَبَشْرٌ مِّثْلُنَاۤ اُرِيْدُوْنَ اَنْ تَصُدُّوْۤا عَمَّاۤ كَانِ يَعْبُدُۢاۤ اٰۤبَاؤَنَاۤ فَاَنْتُمْۤ اِسْلَاطِيْنٌ مُّبِيْنٌ ۝۱۵

[٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿﴾ اِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ اَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ اَنْجَاكُمْ مِنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوْنَكُمْ سُوًۢءَ الْعَذَابِ وَيُذَيِّحُوْنَ اَبْنَاءَكُمْ ﴿﴾ المولودين ﴿﴾ وَيَسْتَحْيُوْنَ ﴿﴾ يَسْتَحْيُوْنَ ﴿﴾ لِقَوْلِ بعض الكهنة: اِنْ مولودا يولد في بني اسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿﴾ وَفِيْ ذٰلِكُمْ ﴿﴾ الانجاء اَو العذاب ﴿﴾ بَلَاٌۢءٌ ﴿﴾ انعام اَو ابتلاء ﴿﴾ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيْمٌ ﴿﴾.

[٧] ﴿وَ﴾ اِذْ تَاَذَّنَ ﴿﴾ اَعْلَمَ ﴿﴾ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ ﴿﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿﴾ لَاۤ اَزِيْدَنَّكُمْ وَلَٰكِنْ كَفَرْتُمْ ﴿﴾ جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبكم، دل عليه: ﴿﴾ اِنَّ عَذَابِيْ لَشَدِيْدٌ ﴿﴾.

[٨] ﴿وَ﴾ قَالَ مُوسٰى ﴿﴾ لقومه: ﴿﴾ اِنْ تَكْفُرُوْۤا اَنْتُمْ وَمَنْ فِى الْاَرْضِ جَمِيْعًا ﴿﴾ فَالْتِ اللّٰهُ لَنُفِيْ ﴿﴾ عن خلفه ﴿﴾ حَمِيْدٌ ﴿﴾ محمود في صنعه بهم.

[٩] ﴿اَلَمْ يَاتِكُمْ﴾ استفهام تقرير ﴿نَبُوۤاۤلُ﴾ خبر ﴿الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قَوْمٌ تُوجِبُوْنَ اَعْيُنُهُمْ اَلَا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ اِلَّا اللّٰهُ ﴿﴾ لكنهم ﴿جَاۤءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ﴾ بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿فَرَدُّوۤاۤ اَيْدِيَهُمْ فِىْۤ اَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: الأمم ﴿اَيْدِيَهُمْ فِىْۤ اَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: إليها؛ ليعضوا عليها من شدة الغيظ ^(١) ﴿وَقَالُوْۤا اِنَّا كَفَرْنَا بِمَاۤ اُرْسِلْتُمْ بِهِۦ﴾ في زعمكم ﴿وَاِنَا لَفِيْ شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُوْنَۤا اِلَيْهِۚ مُّرِيبٌ﴾ موقع في الريبة.

[١٠] ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ اَفِى اللّٰهِ شَكٌّ﴾ استفهام إنكار؛ أي: لا شك في توحيده للذلائل الظاهرة عليه ﴿فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ خالق ﴿السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ يدعوكم إلى طاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ﴾ «من» زائدة فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو تبعضية لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿اِلٰىۤ اَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿قَالُوْۤا اِنْ﴾ ما ﴿اَنْتُمْ اِلَّاۤ اَبَشْرٌ مِّثْلُنَا﴾ تُرِيْدُوْنَ اَنْ تَصُدُّوْۤا عَمَّا كَانِ يَعْبُدُۢاۤ اٰۤبَاؤَنَا ﴿﴾ من الأصنام ﴿فَاَنْتُمْۤ اِسْلَاطِيْنٌ مُّبِيْنٌ﴾ حجة ظاهرة على صدقكم.

(١) هذا قول ابن مسعود، وقيل: معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل بأمرונهم بالسكوت. وقيل: بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيباً لهم. وقيل: بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل وعدم الإيمان بهم. وقيل غير ذلك.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَرَبُّرُؤُوسِهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّنا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحْصِنٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوْءَا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر يا مخاطب، استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خلق» ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بذلك. [٢٠] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

[٢١] ﴿وَرَبُّرُؤُوسِهِ جَمِيعًا﴾ أي: الخلاق، والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي؛ لتحقيق وقوعه ﴿وَالَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ المتبوعين: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ «من» الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض ﴿قَالُوا﴾ المتبوعون: ﴿لَوْ هَدَّنا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ لدعواكم إلى الهدى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِنٍ﴾ زائدة ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ ملجأ.

[٢٢] ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوْءَا أَنفُسَكُمْ﴾ على إجابتي ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيبكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾ بفتح الياء وكسرها^(١) ﴿إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٣] ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَامٌ﴾.

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾^(٢).

(١) فائدة أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: وأخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحث. أي تسقط. ورقها؟. فوقع في نفسي أنها النخلة، فكرهت أن أتكلم وكنم أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما قال النبي ﷺ: وهي النخلة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة إبراهيم (١٤) باب (١) ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، وأخرجه مسلم - كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١٥) المؤمن مثل النخلة.

(٢) بالكسر قراءة حمزة.

تُؤْتِي أَكْهَامَهُ كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ حَيْثَ
كَشَجَرَةٍ حَيْثَ أَجْنَحْتَ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ
قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ
مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ
الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا زَكَاةَ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

﴿٢٥﴾ ﴿تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿أَكْهَامَهُ﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بإرادته، كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السماء ويناله بركته وثوابه كل وقت ﴿وَيَضْرِبُ﴾ بين ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يعطون فيؤمنون.

﴿٢٦﴾ ﴿وَمِثْلُ كَلِمَةِ حَيْثَ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ حَيْثَ﴾ هي الخطل ﴿أَجْنَحْتَ﴾ استوصلت ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ مستقر وثبات، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة.

﴿٢٧﴾ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هي كلمة التوحيد ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: في القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبهم فيجيبون بالصواب - كما في حديث الشيخين (١) ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون: لا ندري كما في الحديث ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: شكرها ﴿كُفْرًا﴾ هم كفار قريش ﴿وَأَسْأَلُوا﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ الهلاك.

﴿٢٩﴾ ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ المقرهي.

﴿٣٠﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بفتح الباء وضمها (٢) ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿تَسْتَمُوا﴾ بدنياكم قليلاً ﴿فَإِن مَّصِيرَكُمْ﴾ مرجعكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا زَكَاةً سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فُداً﴾ فيه ﴿وَلَا خِلَالَ﴾ مخالفة أي: صداقة تنفع، هو يوم القيامة.

﴿٣٢﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ جاريتين في فلكهما لا يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لتبتغوا فيه من فضله.

(١) أخرج نحوه البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١) عن البراء بن عازب مرفوعاً.

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

وَأَن تَكُفِّرُ بَيْنَ كُلِّ مَسْأَلَةٍ ثُمَّ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا إِلَهُنَّ لَطُفُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٦﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَصْلَابٌ كَثِيرٌ أَمِنَ النَّاسُ فَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَتَّكِنُ مِن دُرِّيَّتِي ابْنِ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٩﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ دُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤١﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ عَفْلًا عما يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٣﴾

[٣٤] ﴿وَأَن تَكُفِّرُ بَيْنَ كُلِّ مَسْأَلَةٍ﴾ على حسب مصالحكم ﴿وَأَن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ بمعنى إنعامه ﴿لَا تَحْصُوهَا﴾ لا تطبقوا عددا ﴿إِنَّ إِلَهُنَّ لَطُفُومٌ كَفَّارٌ﴾ كثير الظلم لنفسه بالمصيبة والكفر لنعمة ربه.

[٣٥] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ مَكَّةَ﴾ أي آمنا، وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يفتل خاله^(١) ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾ عن أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ.

[٣٦] ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ أي: الأصنام ﴿أَسْلَلَنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ بعبادتهم لها ﴿فَن تَبِعَنِي﴾ على التوحيد ﴿فَلَنُفِّرَنَّ بَنِيَّ﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿هذا قبل علمه﴾^(٢) أنه . تعالى . لا يغفر الشرك.

[٣٧] ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَتَّكِنُ مِن دُرِّيَّتِي﴾ أي: بعضها وهو إسماعيل مع أمه هاجر ﴿ابْنِ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ هو مكة ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الذي كان قبل الطوفان ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً﴾ قلوبا ﴿مِنَ النَّاسِ تَهْوِي﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: لو قال: أفئدة الناس لحنن إليه فارس والروم والناس كلهم^(٣) ﴿وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وقد فعل بنقل الطائف إليه^(٤).

[٣٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ نسر ﴿وَمَا نُظْهِرُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ في الأرض ولا في السماء ﴿يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِهِ﴾ تعالى . أو كلام إبراهيم.

[٣٩] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي﴾ أعطاني ﴿عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ﴾ ولد له تسع وتسعون سنة ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ ولد له مئة واثنان عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ﴾.

[٤٠] ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَاجْعَلْ مِن دُرِّيَّتِي مَنْ يَقِيمُهَا﴾ وأنى به من لإعلام الله . تعالى . له أن منهم كفارا ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ المذكور.

[٤١] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقيل: أسلمت أمه، وقرئ ﴿وَالِدَيَّ﴾ مفردا ﴿وَوَالِدَيَّ﴾^(٥) ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ثبت.

[٤٢] قال . تعالى .: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ عَفْلًا عما يَسْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون من أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ لهول ما ترى، يقال: شخص بصر فلان؛ أي: فتحه فلم يغمضه.

(١) أي لا يقطع حشيشة النبات بنفسه.

(٢) أو أنه يقصد العصيان غير الشرك. ويكون هذا من شفقة الخليل عليه الصلاة والسلام؛ حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله بذكره هذين الاسمين الشريفين في هذا الموضع.

(٣) ذكره بهذا اللفظ ابن كثير في تفسيره (٥٢١/٢). وأخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال: لو كان إبراهيم عليه السلام قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم لحججه اليهود والنصارى والناس كلهم، ولكنه قال: أفئدة من الناس، فخص به المؤمنين زائد المنور (١٦٢/٤).

(٤) أي إلى الحرم، وهذا قول لا دليل عليه، والصحيح أن الله قد استجاب له بأن جعل الثمرات تجي إليه من كل مكان مصداق قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَشْكُرْ لَهَا مَا بَاعَتْ بِئِهَا يُجِبْ إِلَيْكَ تَمَرَاتٌ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا...﴾ [القصص: ٥٧]

(٥) وهما قرأتان شاذتان.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ
وَأَفْعَدْتُ لَهُمْ هَوَاءً ۖ وَأَنْذَرْتُ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ
فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ
دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعُ الرَّسُولَ ۖ أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ
مَالِكُمْ مِنْ زَوَالِ ۖ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ
الْأَمْثَالَ ۖ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۖ فَلَا
تُحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ ۖ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ
وَيَرْزُقُ اللَّهُ الْوَحِيدَ الْقَهَّارَ ۖ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۖ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ طَيْرٍ وَتَعَشَّى
وُجُوهُهُمُ النَّارُ ۖ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ هَذَا بَلَّغُ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذِرُوا بِهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَحِيدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ۖ

نهار من أيام الدنيا لحديث^(١) بذلك.

[٥٢] «هَذَا» القرآن «بَلَّغُ لِلنَّاسِ» أي: أنزل لتبليغهم «وَلِيُنْذِرُوا وَلِيَعْلَمُوا» بما فيه من الحجج «وَأَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ» أي: الله «وَحِيدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ» أي: أصحاب العقول

[٤٣] «مُهْطِعِينَ» مسرعين، حال «مُقْنِعِي» رافعي «رُءُوسِهِمْ» إلى السماء «لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ» بصرهم «وَأَفْعَدْتُ لَهُمْ هَوَاءً» خالية من العقل لفرعهم.

[٤٤] «وَأَنْذَرْتُ» خوف يا محمد «النَّاسَ» الكفار «يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ» هو يوم القيامة «فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا» كفروا: «رَبَّنَا أَخْرِنا» بأن تردنا إلى الدنيا «إِلَّا أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ» بالتوحيد «وَتَتَّبِعُ الرَّسُولَ» فيقال لهم توبيحاً: «أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ» حلفت «مِنْ قَبْلِ» في الدنيا «مَا لَكُمْ مِنْ» زائدة «زَوَالٍ» عنها إلى الآخرة.

[٤٥] «وَسَكَنْتُمْ» فيها «فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بالكفر من الأمم السابقة «وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ» من العقوبة فلم تنزعوا «وَضَرَبْنَا» بينا «لَكُمْ الْأَمْثَالَ» في القرآن، فلم تعتبروا.

[٤٦] «وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ» بالنبي ﷺ «مَكْرَهُمْ» حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجهم «وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ» أي: علمه أو جزاؤه «وَزَيْنَ» ما «كَانَ مَكْرُهُمْ» وإن عظم «لِيَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ» المعنى: لا يعبأ به ولا يضر إلا أنفسهم، والمراد بالجبال هنا حقيقتها، وقيل: شرايع الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات، وفي قراءة^(١) بفتح لام «لَتَزُولَ» ورفع الفعل، ف«إن» مخففة، والمراد تعظيم مكْرهم، وقيل: المراد بالمكر كفرهم، ويناسبه على الثانية^(٢): «تَكْادُ السَّمَوَاتُ يَفْطُرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا»^(٣)، وعلى الأولى: ما قرئ^(٤): «وما كان».

[٤٧] «فَلَا تُحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ» بالنصر «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» غالب لا يعمده شيء «ذُو انْتِقَامٍ» ممن عصاه.

[٤٨] أذكر «يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ» هو يوم القيامة، فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما في حديث الصحيحين^(٥)، وروى مسلم حديث: سئل النبي ﷺ: أين الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط»^(٦)، «وَيَرْزُقُوا» خرجوا من القبور «لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ».

[٤٩] «وَتَرَى» يا محمد، تبصر «الْمُجْرِمِينَ» الكافرين «يَوْمَئِذٍ مُقَرَّرِينَ» مشدودين مع شياطينهم «فِي الْأَصْفَادِ» القيود أو الأغلال. [٥٠] «سَرَّابِلُهُمْ» قمصهم «مِنْ طَيْرٍ» لأنه أبلغ لاشتعال النار «وَتَعَشَّى» تعلق «وُجُوهُهُمْ النَّارُ».

[٥١] «لِيَجْزِيَ» متعلق بـ«يرزوا» «اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» من خير وشر «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» يحاسب جميع الخلق في قدر نصف

(١) للكسائي.

(٢) أي: القراءة الثانية.

(٣) مرص: ٩٠.

(٤) أي: الذي قرئ، وهي قراءة شاذة؛ أي قرئ شاذاً: (وما كان مكْرهم...).

(٥) البخاري (٥٥١٠) ومسلم (١٩٤٢) عن سهل بن سعد مرفوعاً.

(٦) مسلم (١٩٤٢) من حديث عائشة.

(٧) أخرج الطبري (٢٥٩/١٩) عن إبراهيم في قوله: «فَتَصْبَحُ الْجَنَّةُ يَوْمَئِذٍ خَيْرَ مُسْتَقَرٍّ وَأَحْسَنَ مَقِيلًا» [التفرقان: ٢٤] قال: كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف فليل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار.

وأخرج نحوه عن ابن جريج وكذلك ذكره ابن كثير عن سعيد بن عبيد (٣٠٤/٢)، وكذلك البغوي عن عطاء عن ابن عباس ومقاتل (٢٢١/٨)، وسبق بيان أن السيوطي رحمه الله قد -

سُورَةُ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ زُيْمَايُودُ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسُوفَ يُغْلَبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمْرِهِ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِيَنَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نَزَّلَ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا
إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ
فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾
لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَبَتْ أَنْصَبُ نَابِلٌ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سُورَةُ الْحَجَرِ

[مكية، تسع وتسعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] الرَّاءُ: الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ
الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ مظهر للحق من
الباطل، غطف بزيادة صفة.

[٢] ﴿زُيْمَا﴾ بالتشديد والتخفيف^(١) ﴿يُودُ﴾ يتنمى ﴿الَّذِينَ
كَفَرُوا﴾ يوم القيامة إذا عابوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾
وهو ذُوبٌ للتكثير فإنه يكثر منهم تنمى ذلك، وقيل: للتقليل فإن الأحوال
تدهشهم فلا يفقهون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة.

[٣] ﴿ذَرَهُمْ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بدنيهم
﴿وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ﴾ يشغلهم ﴿الْأَمْلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسُوفَ
يُغْلَبُونَ﴾ عاقبة أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٤] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ زائدة ﴿قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ﴾
أجل ﴿مَعْلُومٌ﴾ محدود لا ملامها.

[٥] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمْرِهِ﴾ زائدة ﴿أَمْرُهُ أَجَلُهُ وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه.

[٦] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة للنبي ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٧] ﴿لَوْ مَا﴾ هلاً ﴿تَأْتِيَنَا بِالْمَلَكَةِ﴾ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ في
قولك: إنك نبي وإن هذا القرآن من عند الله.

[٨] قال - تعالى -: ﴿مَا تَنْزِيلُ﴾^(٢) فيه حذف إحدى التاءين

﴿الْمَلَكَةِ﴾ إِلَّا بِالْحَقِّ بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا﴾ أي: حين نزول الملائكة
بالعذاب ﴿مُنْظَرِينَ﴾ مؤخرين.

[٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم «إن» أو فصل^(٣) ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ القرآن
﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقص.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِي شَيْعِ﴾ فرق ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

[١١] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾
كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

[١٢] ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك
ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ﴾ أي: كفار مكة.

[١٣] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنة
الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم، وهؤلاء مثلهم.

[١٤] ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾ في الباب
﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون.

[١٥] ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَبَتْ﴾ سدت ﴿أَنْصَبُ نَابِلٌ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾
يعجل إلينا ذلك.

(١) بالتشديد. قراءة السبعة عدا نافع وعاصم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وعندهم ﴿الْمَلَكَةُ﴾ بالرفع، وفراً شعبة كذلك لكن بضم التاء، وقرأ حفص وحمره والكسائي: ﴿مَا تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ﴾ بالنون ونصب ﴿الْمَلَكَةِ﴾.

(٣) ضمير فصل، واعترض بأن ضمير الفصل لا يكون إلا ضمير غيبة ولا يقع إلا بين اسمين، وهنا ليس كذلك، فالأولى الاختصار على الأول.

[٣٤] ﴿قَالَ فَخَرَجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَاتَّكَ بِجِبرٍ﴾ مطرود.

[٣٥] ﴿وَأَنَّ عَلَيْنَا لَلْعَنَةُ إِيَّ يَوْمِ الَّذِينَ﴾ الجزاء.

[٣٦] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

[٣٧] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: يا غواث لي، والباء للقسمة وجوابه:

﴿لَأَزِيدَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٤١] ﴿قَالَ تَعَالَى﴾: هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ.

[٤٢] ﴿هُوَ﴾ وإن عبادي: أي: المؤمنين ﴿لَكِنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قوة

﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ أَتَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الكافرين.

[٤٣] ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من اتبعك معك.

[٤٤] ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أطباق ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ منها ﴿يُنْتَهَمُ جُزْءٌ﴾

نصيب ﴿مَقْسُومٌ﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها.

[٤٦] ﴿وَيَقَالُ لَهُمْ﴾: ادْخُلُوا هَذَا بَابًا ﴿أَيُّ سَالِمِينَ﴾ من كل مخوف، أو مع

سلام، أي: سلموا، وادخلوا ﴿بِأَمْرٍ﴾ من كل فرع.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ حقد ﴿إِخْوَانًا﴾ حال منهم

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٥) حال أيضًا؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض

لدوران الأسرة بهم.

[٤٨] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْوَى﴾ تعب ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُتَسْمِعِينَ﴾ أبدًا.

[٤٩] ﴿نَجْوَى﴾ نَجْوَى يا محمد ﴿عِبَادِي﴾ أَنَّى أَنَا الْعَفْوَُّرُ للمؤمنين

﴿الرَّجِيمِ﴾ بهم.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ المؤلم.

[٥١] ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَافٍ إِتْرَاهِيمَ﴾ وهم الملائكة اثنا عشر أو عشرة أو

ثلاثة منهم جبريل^(٦).

قَالَ يَا بَلِيسَ مَا لَكَ لَا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ
لِأَسْجُدْ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَافٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾
قَالَ فَخَرَجْنَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
الَّذِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا
أَغْوَيْتَنِي لَأَزِيدَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٣٩﴾ لِأَعْبَادِكَ مِنْهُمْ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى
مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ
أَتَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوا هَذَا بَابًا أَمِينٍ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَجَسٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴿٤٨﴾
* نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَُّرُ الرَّجِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَافٍ إِتْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾

[٣٢] ﴿قَالَ تَعَالَى﴾: يَا بَلِيسَ مَا لَكَ، ما منعك ﴿لَمْ أَكُنْ﴾ زائدة
﴿تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدْ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ
صَلَافٍ مِنْ حَمَافٍ مَسْنُونٍ﴾.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن يزيد بن زريع: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾... أن أبا سعيد الخدري رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيفصل بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا تهدأوا وهوا أدن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا». البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٨) القصص يوم القيامة.

(٦) ذكر عددهم ليس عليه دليل صحيح، وليس منه كبير فائدة.

[٥٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ بَعْضٌ﴾ خائفون.
 [٥٣] ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا﴾ رسل ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ﴾ ذي علم كثير، هو إسحاق، كما ذكر في سورة هود.
 [٥٤] ﴿قَالَ أَتَشْتَرُونِي﴾ بالولد ﴿وَعَلَىٰ أَنْ مَسَىٰ الْعَصِیَ﴾ حال؛ أي: مع مسه بإيها ﴿فَبِأَىٰ شَيْءٍ﴾ بغير شيء ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ استفهام تعجب.
 [٥٥] ﴿قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾ الآيسين.

[٥٦] ﴿قَالَ وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿تَقْطَعُ﴾ بكسر النون وفتحها (١) ﴿وَمِنْ رَّحْمَةِ رَبِّي﴾ إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿الْكَافِرُونَ﴾.
 [٥٧] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿إِنِّي الْمُرْسَلُونَ﴾.
 [٥٨] ﴿قَالُوا إِنَّا أَزْهَقْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ تَجْهَرُونَ﴾ كافرين؛ أي: قوم لوط لإهلاكهم.
 [٥٩] ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لإيمانهم.
 [٦٠] ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدْ رَأَىٰ أَنَّهُا كَيْفَ الْفَاسِقِينَ﴾ الباقين في العذاب لكفرها.

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ أي: لوصا ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾.
 [٦٢] ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ ﴿لَا أَعْرِفُكُمْ﴾.
 [٦٣] ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا﴾ أي: قومك ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون، وهو العذاب.
 [٦٤] ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَمَصْدُقُونَ﴾ في قولنا.
 [٦٥] ﴿فَأَنشَرِ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَذْبَنَهُمْ﴾ امش خلفهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ فلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهو الشام.

[٦٦] ﴿وَقَضَيْنَا أَوْحِينَا﴾ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ ﴿وَهُوَ دَايِرٌ هُوْلَاءَ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ حال؛ أي: يتم استئصالهم في الصباح.
 [٦٧] ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ مدينة سدوم، وهم قوم لوط لما أخبروا أن في بيت لوط نودًا حسنا وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ حال، طمعا في فعل

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا أَنْتُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَتَشْتَرُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَىٰ الْعَصِیَ فَبِأَىٰ شَيْءٍ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ لَّا تَقْطَعُ مِنَ رَّحْمَةِ رَبِّي إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا إِنَّا أَزْهَقْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ تَجْهَرُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا إِنَّا لَمَنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٧﴾

الفاحشة بهم.

[٦٨] ﴿قَالَ لُوطُ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ مَنِينِي فَلَا تَقْضُحُونِ.

[٦٩] ﴿وَأَقْفُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن إضافتهم.

طين طبع بالنار.

[٧٥] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَهِيَ الذِّكْرُ﴾ [٧٥] دلالات على وحدانية الله ﴿لِشُرَّائِهِمْ﴾ [٧٥] للناظرين المعترين.

[٧٦] ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: قري قوم لوط ﴿لَيْسَ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا هُوَ﴾ طريق قريش إلى الشام لم تدرس، أفلا يعتبرون بهم؟ [٧٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَهِيَ الذِّكْرُ﴾ [٧٧] لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَهِيَ الذِّكْرُ.

[٧٨] ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ مَنْ كَفَرَتْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ نَاصِبَةٌ﴾ [٧٨] هي غيبة شجر بقرب مدين، وهم قوم شعيب ﴿لَطَالُمِنْهُمْ﴾ [٧٨] بتكذيبهم شعيباً.

[٧٩] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْنَا بِهِنَّ﴾ [٧٩] بأن أهلكناهم بشدة الحر ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْنَا بِهِنَّ﴾ [٧٩] أي: قري قوم لوط والأية (٢) ﴿لِيُذَكِّرَ﴾ [٧٩] طريق ﴿مُذَكِّرٍ﴾ [٧٩] واضح، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة؟! [٨٠] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ [٨٠] واد بين المدينة والشام، وهم ثمود ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ [٨٠] بتكذيبهم صالحاً، لأنه تكذيب لباني الرسل لاشتراكمهم في الجحيم بالتوحيد.

[٨١] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ﴾ [٨١] في الناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [٨١] لا يتفكرون فيها.

[٨٢] ﴿وَكَانُوا يَنْجُتُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي أُتِيَ بِهِنَّ﴾ [٨٢] أي: قري قوم لوط والأية (٢) ﴿لِيُذَكِّرَ﴾ [٨٢] طريق ﴿مُذَكِّرٍ﴾ [٨٢] وقت الصباح.

[٨٤] ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ﴾ [٨٤] دفع ﴿عَنْهُمْ﴾ [٨٤] العذاب ﴿فَمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [٨٤] من بناء الحصون وجمع الأموال.

[٨٥] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ [٨٥] لا محالة فيجازي كل أحد بعمله ﴿فَأَصْفَحْ﴾ [٨٥] يا محمد عن قومك ﴿الْصَّفْحَ الْجَدِيدَ﴾ [٨٥] أعرض عنهم إعرافاً لا جرح فيه، وهذا منسوخ بأية السيف.

[٨٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ [٨٦] لكل شيء ﴿الْعَلِيمُ﴾ [٨٦] بكل شيء.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ﴾ [٨٧] قال ﷺ: «هي الفاتحة» رواه الشيخان (٣)؛ لأنها تنشئ في كل ركعة ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [٨٧] أي: القرآن العظيم.

[٨٨] ﴿لَا تَدْنِ عَيْنُكَ﴾ [٨٨] إِنْ مَا مَعْنَا بِهِنَّ أَرْوَاجًا ﴿أَصْنَافًا﴾ [٨٨] مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [٨٨] إِنْ لَمْ يَوْمُوا ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ [٨٨] أَلَنْ جَانِبَكَ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٨٨] أي: المؤمنين.

[٨٩] ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ [٨٩] من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿الْمُنْذِرُ﴾ [٨٩] البين الإنذار.

[٩٠] ﴿كَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ [٩٠] العذاب ﴿عَلَى الْمُفْسِدِينَ﴾ [٩٠] اليهود والنصارى.

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتُ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧٥﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٧﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَئِنَّا لَإِلَيْسَ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا هُوَ ﴿٨٠﴾ فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمُ وَإِنَّمَا لِيَا مَرْيَمُ ﴿٨١﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٢﴾ وَآتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨٣﴾ وَكَانُوا يَنْجُتُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي أُتِيَ بِهِنَّ ﴿٨٤﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٥﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴿٨٧﴾ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَدِيدَ ﴿٨٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمُنَافِقِينَ ﴿٩٠﴾ وَكُلٌّ فِيهَا لَأَوَّاهُونَ ﴿٩١﴾ لَا تَدْنِ عَيْنُكَ إِلَيْهِمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُنْذِرُ ﴿٩٣﴾ كَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَى الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٤﴾

[٧١] ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتُ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة

فتزوجوهن.

[٧٢] قال - تعالى -: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ أي: وحياتك (١) ﴿إِنَّهُمْ

لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يرددون.

[٧٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبريل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ وقت شروق

الشمس.

[٧٤] ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلًا﴾ أي: قراهم ﴿سَافِلًا﴾ بأن رفعها جبريل إلى

السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَى الْمُفْسِدِينَ﴾: قال: فأنزلوا بعض وكفروا بعض: اليهود والنصارى. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجر (١٥) باب (٤)

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِثِينَ﴾. ويؤخذ من هذا أن ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ من القسمة؛ أي فرفروا وقسموا ما أنزل عليهم فأنزلوا بعضه وكفروا بعضه.

وقال البخاري: ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾: الذين حلفوا. قال الحافظ في الفتح (٢٣٤/٨): «هكذا جعل المفسدين من القسم بمعنى الحلف، والمعروف أنه من القسمة، وبه جزم الطبري وغيره، وسياق الكلام يدل عليه...»

وقال ابن كثير: ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ أي للتحالفين؛ أي تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأداهم... تفسير ابن كثير (٥٣٨/٢).

(١) ولله شيعته أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس ذلك للبشر، فلا يجوز لهم الحلف إلا بخالفهم ﷺ. (٢) أي: وأصحاب الأيكة.

(٣) سبق ترجمته في أول سورة الفاتحة.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ عِصِيَّةً ﴿٩١﴾ فَوَرَّيَاكَ لِنِسَاءِنَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضَ
عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ بِضَيْقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنِّي أَمُرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرَكُونَ
﴿٩١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٩٢﴾ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرَكُونَ ﴿٩٣﴾ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٩٤﴾ وَالْأَنعَمَ
﴿٩٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٩٦﴾

[٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مَنِيٍّ إِلَى أَنْ صِيرَهُ قُوًى شَدِيدًا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ ﴿مُبِينٌ﴾ بَيِّنَةٌ ﴿٩٤﴾ فِي نَفْيِ الْبَعْثِ قَائِلًا: ﴿مَنْ يُبْخِي الْعِلْمَ وَهِيَ رَيْبَةٌ﴾ (٥).

[٥] ﴿وَالْأَنعَمَ﴾ الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَنَصَبَهُ بِفَعْلٍ مُقَدَّرٍ يَفْسِرُهُ: ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ مِنْ جَمَلَةِ النَّاسِ (٦) ﴿فِيهَا وَفَاءٌ﴾ مَا تَسْتَدْفِقُونَ بِهِ مِنَ الْأَكْسِيَةِ وَالْأَرْدَبَةِ مِنْ أَشْعَارِهَا وَأَصْوَابِهَا ﴿وَمَنْتَفِعٌ﴾ مِنَ النَّسْلِ وَالْأُذُرِ وَالرَّكُوبِ ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قَدَمُ الظَّرْفِ لِلْفَاصِلَةِ (٧).

[٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زِينَةٌ ﴿حِينَ تُرْجَعُونَ﴾ تَرُدُّونَهَا إِلَى مَرَايحِهَا بِالْعِشِيِّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تَخْرُجُونَهَا إِلَى الْمَرْعى بِالْغَدَاةِ.

[٩١] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ﴾ أَي: كَتَبَهُمُ الْمَزَلَةَ عَلَيْهِمْ ﴿عِصِيَّةً﴾ أَجْرَاءَ، حَيْثُ آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ (١)، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِمُ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا طَرُقَ مَكَّةَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْقُرْآنِ: سَحَرُ، وَبَعْضُهُمْ: كِهَانَةٌ، وَبَعْضُهُمْ شَعْرُ.

[٩٢] ﴿فَوَرَّيَاكَ لِنِسَاءِنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سَوَالُ تَوْخِيحٍ.

[٩٣] ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٤] ﴿فَأَصْدَعَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ بِهِ؛ أَي: أَجْهَرُ بِهِ وَأَمْضَاهُ ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ هَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ.

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بِكَ يَا هَلَاكُنَا كُلًّا مِنْهُمْ بَاقَةً، وَهُمْ الْوَلِيدُ ابْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ، وَعَدِي بْنُ قَيْسٍ، وَالْأَسُودُ بْنُ الْمَطْلَبِ، وَالْأَسُودُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ (٢).

[٩٦] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ صَفَةً، وَقِيلَ: مُبْتَدَأٌ، وَلْتَضْمَنَهُ مَعْنَى الشَّرْطِ دَخَلَتْ الْفَاءُ فِي خَبَرِهِ وَهِيَ: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ.

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ لِلتَّحْقِيقِ ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ بِضَيْقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ مِنَ الْاِسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ.

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ﴾ مُلْتَبِسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أَي: قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ الْمُسْلِمِينَ.

[٩٩] ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الْمَوْتَ.

سُورَةُ النَّحْلِ

[مَكَّةَ إِلَّا: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إِلَى آخِرِهَا.

مائة وثمان وعشرون آية، نزلت بعد الكهف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] لَمَّا اسْتَبَطَّ الْمُشْرِكُونَ الْعَذَابَ نَزَلَ: ﴿إِنِّي أَمُرُ اللَّهَ﴾ أَي: السَّاعَةَ، وَأَتَى بِصِبْغَةِ الْمَاضِي لِتَحْقِيقِ وَقْعِهِ؛ أَي: قَرَبَ ﴿فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ﴾ تَطْلُبُوهُ قَبْلَ حِينِهِ فَإِنَّهُ لَا مُحَالَةَ ﴿سَتَجِدُنَهُ﴾ تَنْزِيلَهَا لَهُ ﴿وَتَعْلَى عَمَّا يُشْرَكُونَ﴾ بِهِ غَيْرُهُ.

[٢] ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ أَي: جِبْرِيلَ ﴿بِالرُّوحِ﴾ بِالْوَحْيِ ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بِإِرَادَتِهِ (٣) ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ ﴿أَنْ﴾ مَفْسُورَةٌ ﴿أَنْذِرُوا﴾ خَوْفُوا الْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ وَأَعِمْوهُمْ ﴿أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ خَافُونَ.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أَي: مُحَقَّقًا ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرَكُونَ﴾ بِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ.

(١) هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (١٧٣/٥ - ١٧٤ رَقْم ٤٩٨٦)، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي دَلَالِ الْبُيُوتِ (٣١٦/٢ - ٣١٧)، وَالضَّيَاءُ الْقُدْسِيُّ فِي الْأَحَادِيثِ الْخَاتِرَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْجَمْعِ (٧/ ٤٧): «فَهِىَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَكِيمِ النِّسَابُورِيُّ، وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبِفِيهِ رَجَالُهُ ثَقَاتٌ رِجَالُ الصَّحِيحِ». وَحَسَنَةُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَثُورِ (١٠١/٥)، وَصَحَّحَهُ الضَّيَاءُ الْقُدْسِيُّ.

(٣) وَالْأَمْرُ غَيْرُ الْإِرَادَةِ، وَالصُّوَابُ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْأَمْرِ كَلَامُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ، وَالْأَشْتَرُ بِتَحَاشُونَ مِنْ إِثْبَاتِ حَقِيقَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ شَيْخَانَةً.

(٤) أَي: يَبَيِّنُ الْخُصُومَةَ.

(٥) يَس: ٧٨.

(٦) يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْحِطَابَ فِي ﴿لَكُمْ﴾ لِقَرِيشٍ، وَالصُّوَابُ حَمَلُهَا عَلَى الْعُمُومِ.

(٧) أَي: مُرَاعَاةَ رِعْوَسِ الْآيِ.

وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا شِقَاقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُثْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالْخَيْلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴿١٢﴾ وَالنَّجْمُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٤﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَ مَوْجَرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾

[٧] ﴿وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ﴾ وأصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا شِقَاقَ الْأَنْفُسِ﴾ بجهدا ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ

لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بكم؛ حيث خلقها لكم.

[٨] ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ مفعول له، والتعليل بهما بتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين^(١) ﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة.

[٩] ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي: بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا﴾ أي: السبيل ﴿جَائِرٌ﴾ حائد عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَىٰكُمْ﴾ إلى قصد السبيل ﴿أَجْمَعِينَ﴾ فتهتدون إليه باختيار منكم.

[١٠] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ تشرّبونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ نبت بسببه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترعون دوابكم.

[١١] ﴿يُثْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالْخَيْلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ في ذلك المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في صنعه فيؤمنون.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ﴾ بالنصب عطفاً على ما قبله، والرفع: مبتدأ ﴿وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُ﴾ بالوجهين^(٢) ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ بالنصب حال، والرفع خبر ﴿بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾ بإرادته^(٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[١٣] ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[١٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ ذلك لركوبه والغوص فيه ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هو السمك ﴿وَتَرَى الْفُلَ مَوْجَرَ﴾ تلبسونها هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿الْفُلَ﴾ السفن ﴿مَوْجَرَ فِيهِ﴾ تمر الماء أي: تشقه بجزئها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ عطف على ﴿لِتَأْكُلُوا﴾؛ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

(١) وهو حديث أسماء: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرشا ونحن بالمدينة فأكلناه. البخاري (٥٥١١)، ومسلم (١٩٤٢).

(٢) أي بالنصب والرفع، وقرأ ابن عامر بالرفع في الأربعة كلمات، ووافقه حفص في ﴿وَالنَّجْمُ مُسَخَّرَاتٌ﴾، وقرأ السبعة عدا حفص وابن عامر بالنصب في الأربعة.

(٣) الأمر غير الإرادة. وراجع التعليق على الآية رقم (٢).

تخالفون المؤمنين ﴿فبهم﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي: يقول ﴿الَّذِينَ﴾ أوتوا الأثر ﴿من الأنبياء والمؤمنين﴾: ﴿إِنَّ الْآخِرَى الْيَوْمَ وَالْأَوَّلَى عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقولونه شمانية بهم.

[٢٨] ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ﴾ بالتاء والياء (١) ﴿الْمَلَائِكَةُ طَالِعَاتُ أَنْفُسِهِمْ﴾ بالكسر ﴿فَالْقَوْلُ السَّعِيدُ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ شرك، فتقول الملائكة: ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٢٩] ويقال لهم: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلْيَسْ مَثْوًى﴾ ماوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

[٣٠] ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ حياة طيبة ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها، قال - تعالى - فيها: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي.

[٣١] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ إقامة، مبتدأ، خبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا غَيْرَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ لهم فيها ما يشاءون ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٣٢] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ويقال لهم في الآخرة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٣٣] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء (٢) ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّيكَ﴾ العذاب أو القيامة المشتملة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿تَعْمَلُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكسر.

[٣٤] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ ما كانوا يو. يستهزون ﴿أي: العذاب.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْآخِرَى الْيَوْمَ وَالْأَوَّلَى عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمَاتٍ أَنْفُسُهُمْ فَاقْرَأُوا عَلَيْهِمْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلْيَسْ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَوْنَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبَاتٍ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّيكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ بذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبيخاً (١): ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ برعكم ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ﴾

(١) وهذا تأويل يظهر الآية بغير دليل، وقَعَ لذلك مذهبه في نفي صفة القول والكلام عن الله ﷻ، وهو ما بينه السلف الصالح على الوجه اللائق به - شيخنا.

(٢) بالياء قراءة حمزة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَى: كذبوا رسلكم فيما جاءوا به ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ لا البلاغ البين، وليس عليهم الهداية. ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا كَمَا بَعَثْنَا فِي هَؤُلَاءِ أَنْبِيَاءَ أَى: بَنَ ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَخُذُوهُ ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ الطَّلَعُ ﴿الْأَوْتَانُ﴾ أَنْ تَعْبُدُوهُ ﴿نَهَيْتُهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ فَمَنْ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ فِي عِلْمِ اللَّهِ فَلَمْ يُؤْمِنْ ﴿فَسَبُّوا﴾ يَا كَفَارُ مَكَّةَ ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلكم من الهلاك. ﴿٣٧﴾ إِنْ تَحَرَّضْ يَا مُحَمَّدٌ ﴿عَلَى هُدَاهُمْ﴾ وَقَدْ أَضَلَّهُمُ اللَّهُ، لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْهَادِينَ﴾ بِالْبَنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَلِلْفَاعِلِ (٢) مَنْ يُضِلُّ ﴿مَنْ يَرِيدُ ضَلَالَهُ﴾ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَنْصِيحٍ مانعين من عذاب الله. ﴿٣٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَى: غَايَةَ اجْتِهَادِهِمْ فِيهَا لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿سَكَنَ﴾ يَعْنِيهِمْ ﴿وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ مَصْدَرَانِ مُؤَكَّدَانِ مَنْصُوبَانِ بِفَعْلِهِمَا الْمَقْدَرُ؛ أَى: وَعَدَ ذَلِكَ وَحَقَّهُ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ أَى: أَهْلُ مَكَّةَ (٣) لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ. ﴿٣٩﴾ يُسَبِّحِينَ متعلق بـ«يعتصم» المقدر ﴿لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ تَعْدِيهِمْ وَإِثَابَهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ فِي انْكَارِ الْبَعْثِ. ﴿٤٠﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَى: أَرَدْنَا إِيجَادَهُ، وَقَوْلُنَا مُبْتَدَأُ خَبْرِهِ: ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أَى: فَهُوَ يَكُونُ، وَفِي قِرَاءَةِ بِالنَّصْبِ (٤) عَطْفًا عَلَى «نَقُولُ»، وَالآيَةُ لِتَقْرِيرِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْبَعْثِ. ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى اللَّهِ لِقَائِهِ دِينَهُ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ بِالْأَذَى مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَهُمْ: النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ﴿لَنَبْوَنَّهُمْ﴾ نَزَلْنَاهُمْ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ دَارًا ﴿حَسَنَةً﴾ هِيَ الْمَدِينَةُ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الْأَخْرَى﴾ أَى: الْجَنَّةَ ﴿أَكْبَرَ﴾ أَعْظَمَ ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أَى: الْكَفَارَ، أَوْ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْهَجْرَةِ مَا

للمهاجرين من الكرامة لوافقهم.

[٤٢] هُمْ «الَّذِينَ صَبَرُوا» عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْهَجْرَةِ لِإِظْهَارِ الدِّينِ ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فَيَرْزُقُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ.

(١) البحائر والسوائب هي: جميع «بحيرة» و«سائية»، وتقدم تفسير معناه في سورة المائدة آية (١٠٣).

(٢) البناء للمفعول قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، على معنى من أضله الله لم يهده هاد، وأما على قراءة البناء للفاعل؛ فالمعنى: لا يرشد من أضله، أي إن الله لا يهدي من سبق في علمه سبحانه أنه من أهل الضلالة.

(٣) لصواب في هذا ونحوه مما يرد في كلام بعض المفسرين من تخصيص للفظ الناس أو الإنسان: القول بالعموم وإطلاق ما أطلقه الله.

(٤) بلعكاشي وابن عامر.

[٤٥] ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ المَكْرَاتِ ﴿الْأَسْبَاتِ﴾ بالنسيءِ ﴿فِي دَارِ النَّدْوَةِ﴾ من تقيده أو قتله أو إخراجهم، كما ذكر في الأنفال ﴿أَنْ يُخَيَّفَ اللَّهُ بِهِمُ الْاُذُنَ﴾ كفارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من جهة لا تخطر بالبال، وقد أهلكوا ببدل ولم يكونوا يقدرون ذلك.

[٤٦] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتي العذاب.

[٤٧] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ تَقْصُ شَيْئًا فشيئًا، حتى يهلك الجميع (١)، حال من الفاعل أو المفعول ﴿فَإِنْ رَزَقَكُمْ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

[٤٨] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ له ظل كشجرة وجبل ﴿يَفْتَقِدُوا﴾ تَمِيلُ ﴿ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ جمع شمال؛ أي عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿سَجْدًا لِلَّهِ﴾ حال؛ أي: خاضعين لله بما يراد منهم ﴿وَهُمْ﴾ أي: الظلال ﴿ذَخِرُونَ﴾ صاغرون، نُزِّلُوا منزلة العقلاء.

[٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها؛ أي: تخضع له بما يراد منها، وغلب في الإنيان بما لا يعقل لكثرة ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ خصصهم بالذكر تفضيلاً ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن عبادته.

[٥٠] ﴿يَخَافُونَ﴾ أي: الملائكة، حال من ضمير «يستكبرون» ﴿رَبِّهِمْ مِنْ قُوَّتِهِ﴾ حال من «هم»؛ أي: عاليًا عليهم بالقهر (٢) ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ به.

[٥١] ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أتى به لإثبات الإلهية والوحدانية ﴿فَإِنِّي فَازِهِبُونَ﴾ خافون دون غيري، وفيه التفات عن الغيبة.

[٥٢] ﴿وَلَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ الطاعة ﴿وَاصْبِرُوا﴾ دائمًا، حال من «الدين»، والعامل فيه معنى الظرف ﴿أَفَعَبَّرَ اللَّهُ بُنُفُوقَ﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره، والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

[٥٣] ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ يَمَعَةٍ فَعَنِ اللَّهِ﴾ لا يأتي بها غيره، و«ما» شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ﴾ أصابكم ﴿الضَّرُّ﴾ الفقر ﴿فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره.

[٥٤] ﴿ثُمَّ إِذَا كُفِيَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَتَعْمُونَ ﴿١﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْيِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّوْا ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٧﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٨﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازِهِبُونَ ﴿٩﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ إِذَا كُفِيَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾

[٤٣] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَتَسْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالثورة والإنجيل ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ.

[٤٤] ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون.

(١) والقول الآخر: أي: في حال خوفهم.

(٢) فُضِّلَ الْعَلُوُّ عَلَى عُلُوِّ الْقَهْرِ فَقَطَّ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ إِثْبَاتُ جَمِيعِ حِصَالِ الْعُلُوِّ لَهُ . شَيْخَانَهُ : عُلُوُّ الشَّأْنِ، وَعُلُوُّ الْقَهْرِ، وَعُلُوُّ الذَّاتِ.

[٥٥] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَالَيْنَهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَمْنَعُوا﴾ باجماعكم على عبادة الأصنام، أمر تهديد ﴿فَتَقَوَّيْتُمْ﴾ فَمَنْ تَعَلَّوْا ﴿عَاقِبَةُ ذَلِكَ﴾.

[٥٦] ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي: المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها تضر ولا تنفع وهي الأصنام ﴿نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأعام بقولهم: هذا لله وهذا لشركائنا ﴿تَاللَّهِ لَنَشْتَعْلَنَ﴾ سؤال توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ﴾ على الله من أنه أمركم بذلك.

[٥٧] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها له عما زعموا ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي: البنون، والجملة في محل رفع أو نصب به يجعل، المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها وهو منزه عن الولد، ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونهم، فيخصون بالأسنى^(١) كقولهم: ﴿فَأَشْتَقْنَاهُ إِلَىٰ ذِكْرِ آلِ بَنَاتٍ﴾ وَلَهُمْ الْبَنَاتُ^(٢).

[٥٨] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيرا تغير مفعول ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غما، فكيف تنسب البنات إليه تعالى؟! [٥٩] ﴿يَتَوَرَّيْنِ﴾ يخفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: قومه ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفا من التعبير مترددا فيما يفعل به ﴿أَيُّسِكُمْ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ هوان وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ بأن يده ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بش ﴿مَا يَجْعَلُونَ﴾ حكمهم هذا، حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هن عندهم بهذا الخلل.

[٦٠] ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: الكفار ﴿مِثْلَ السَّوءِ﴾ أي: الصفة الشؤى بمعنى القبيحة، وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الصفة العليا، وهو أنه لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

[٦١] ﴿وَلَوْ تَوَاجَدَ اللَّهُ النَّاسَ بظُلُومِهِ﴾ بالمعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَنِّيَّ﴾ أي: الأرض ﴿مِنْ دَابَّتٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَكِنْ يُوْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِيرُونَ ﴿عَنهُ﴾ سَاعَةً وَلَا يَسْقُطُونَ ﴿عَلَيْهِ﴾.

[٦٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة، وإهانة الرسل ﴿وَنَصَفَ﴾ تقول ﴿أَلَيْسَتْهُمْ﴾ مع ذلك ﴿الْكُذِبَ﴾ وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْخُسْفَىٰ﴾ عند الله؛ أي: الجنة؛ لقوله: ﴿وَلَكِنْ رُجِعَتْ إِلَىٰ رَقَبَةٍ﴾ إِنَّ لِي عِنْدَهُمُ الْخُسْفَىٰ^(٣) قال - تعالى -: ﴿لَا جَرَمَ﴾ حَقًّا ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿مُتْرَوْنَ﴾ فيها أو مقدمون إليها، وفي قراءة بكسر الراء^(٤)؛ أي: متجاوزون الحد.

[٦٣] ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فَرَزَقْنَا لَهُمُ الشَّيَاطِينَ﴾

لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَيَمْنَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَنَسْتَعْلَنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَقْتَرُونَ﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يَتَوَرَّيْنِ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُّسِكُمْ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ النُّعْرِ وَلَئِنَّ الْمَثَلَ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وَلَوْ يَوَازِ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلُومِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْقُدُونَ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَنَصَفَ أَلَيْسَتْهُمْ الْكُذِبُ أَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَّا لَهُمُ الشَّيَاطِينَ أَعْمَاهُمْ فَهُمْ يَوَازِيهِمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِلَّذِينَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

أَعْمَاهُمْ: السيئة فأروها حسنة، فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ متولي أمورهم ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة، وقيل: المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية؛ أي: لا ولي لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم؟!.

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِلَّذِينَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَهُدًى﴾ عطف على ﴿لِلَّذِينَ﴾ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿بِهِ﴾.

(١) أي: الأرفع والأشرف.

(٢) الصفات: ١٤٩.

(٣) فصلت: ٥٠.

(٤) لنافع.

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ تَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ وَمِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٧﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ إِلَى أَزْدَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لِأَعْمَارٍ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧٢﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدةً وَرِزْقَكُمْ مِنْ أَلْيَسِ الْأَيْسَرِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٣﴾

[٦٥] ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يسها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر.

[٦٦] ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾ اعتبار ﴿تَتَّقُونَ﴾ بيان للعبرة ﴿بَيْنَ قَرْنٍ﴾ ثقل ﴿بُطُونِهِمْ﴾ أي: الأنعام ﴿وَمِنْ﴾ للابتداء متعلقة بـ ﴿تَتَّقُونَ﴾ ﴿بَيْنَ قَرْنٍ﴾ ثقل الكرش ﴿وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه شيء من الفرت والدمن طعم أو ريح

أولون، وهو بينهما ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ سهل المرور في حلقهم لا يغص به. [٦٧] ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ ثمر ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ خمرًا يسكر، سميت بالمصدر، وهذا قبل تحريرها ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزيزب والحل والدبس^(١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على قدرته - تعالى - ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٦٨] ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وحي إلهام ﴿أَنْ﴾ مفسرة أو مصدرية ﴿اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ بيوتًا ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي: الناس.

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه في طلب المرعى ﴿ذُلَالًا﴾ جمع ذلول، حال من السبل؛ أي: مسخرة لك فلا تغشرك عليك وإن توغرت ولا تضلي على العودة منها وإن بعدت، وقيل: من الضمير في «اسلكي»؛ أي: مقادة لما يراد منك ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ من الأوجاع؛ قيل: لبعضها كما دل عليه تنكير «شفاء»، أو لكلها بضميمته إلى غيره. أقول: وبدونها بنيت^(٢)، وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه [رواه الشيخان]^(٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه تعالى.

[٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ إِلَى أَزْدَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: أخسسه من الهرم والخرف ﴿لَكِنْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْءٌ﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يضر بهذه الحالة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يريد^(٤).

[٧١] ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غني وفقير، ومالك ومملوك ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ أي: الموالي ﴿بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين ممالكهم ﴿فَهُمْ﴾؛ أي: الممالك والموالي ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ شركاء، المعنى: ليس لهم شركاء من ممالكهم في أموالهم، فكيف يجعلون بعض ممالك الله شركاء له؟ ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يكفرون؛ حيث يجعلون له شركاء.

[٧٢] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلق حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدةً﴾ أولاد الأولاد ﴿وَرِزْقَكُمْ مِنْ أَلْيَسِ الْأَيْسَرِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم.

(١) هو عسل الرطب، ويطلق على عسل العنب.

(٢) أي: يبيح الشفاء الجارمة أن الله يخلق الشفاء عند استعجاله لإخياره - تعالى - بذلك.

(٣) البخاري (٥٢٧٧)، ومسلم (٤١٠٧) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً.

(٤) الأولى الإطلاق، فهو سبحانه قدير على كل شيء يريد^(١) أو لا يريد.

[٧٣] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْئًا﴾ بدل من ﴿رِزْقًا﴾ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يقدرون على شيء وهو الأصنام.
 [٧٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا يَدَيْهِ ٱلْأَمْثَالُ﴾ لا تجعلوا لله أشباها تشركونهم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنشُرْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٧٥] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه، ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ صفة تميزه من الحرة فإنه عبد الله ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لعدم ملكه ﴿وَمِن نَّكَرَةٍ مَّوصُوفَةٍ﴾ أي: حوا ﴿رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي: يتصرف فيه كيف يشاء، والأول مثل الأصنام، والثاني مثله تعالى (١) ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾ أي: العبيد العجزة والحر المتصرف؟ لا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

[٧٦] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ ولد أخرس ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لأنه لا يفهم ولا يفهم ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثقل ﴿عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾ ولي أمره ﴿أَيْنَمَا يُوْجِهُهُ﴾ يصرفه ﴿لَا يَأْتِ﴾ منه ﴿يَخْبَرُ﴾ بنسخ (٢)، وهذا مثل الكافر ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أي: الأبيكم المذكور ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي: ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ طَرِيقٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ وهو الثاني المؤمن؟ لا، وقيل: هذا مثل الله، والأبيكم للأصنام (٣)، والذي قبله مثل الكافر والمؤمن.
 [٧٧] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿وَمَا أَسْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ لأنه بلفظ: كن فيكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧٨] ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ الجملة حال ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ والافئدة ﴿وَالْقُلُوبَ﴾ لعلكم تشكروا ﴿هُ﴾ على ذلك فتؤمنون.

[٧٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ مِّن دَلَالَتِ ٱلطَّيْرَانِ﴾ ﴿فَإِذَا جَازَا السَّمَاءَ﴾ أي: الهواء بين السماء والأرض ﴿مَا يَمْسِكُهُنَّ﴾ عند قبض

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا يَدَيْهِ ٱلْأَمْثَالُ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنشُرْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمِن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوْجِهُهُ لَيَأْتِ بِخَبَرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَٱلْأَبْصَرَ وَٱلْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِى جَوِّ السَّمَاءِ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

أجسحتهم أو بسطها أن يقمن ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هي خلقها بحيث يمكنها الطيران، وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه، وإمسكها.

(١) أخرج الطيري في جامع البيان (١٠١/١٤) والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في رجل من قريش وعبدته، في هشام بن عمر، وهو الذي ينفق ماله سرًّا وجهراً، وفي عبده أبي الجوزاء الذي كان ينهاه، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٥١/٥). وحسن إنشاده في الاستيعاب (٤١٥/٢).

(٢) بنسخ، بضم نون؛ أي: لا يأت بشيء نافع.

(٣) وأنشج البخاري في التاريخ الكبير (٣٠٦/١ - ٣٠٧)، والعسيري في جامع إنبان (١٠١/١٤)، والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هو عثمان بن عفان، قال: والأبيكم الذي أنشج بوجهه لا يأت بخبر؛ ذلك مولى عثمان بن عفان. كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه، وينهاه عن الصدقة والمعروف؛ فنزلت فيهما. وحسن إنشاده في الاستيعاب (٤١٦/٢).

للحمل (١) «يَوْمَ ظَعْنِكُمْ» سفركم «وَيَوْمَ إِفَامَتِكُمْ» ومن أصوافها أي: الغنم «وَأَوْبَارِهَا» أي: الإبل «وَأَشْعَارِهَا» أي: المعر «أَنْتُمْ» متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية «وَمَتَاعًا» تمتعون به «إِلَى حِينٍ» يلي فيه.

[٨١] «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ مِنْ الْبُيُوتِ وَالشَّجَرِ وَالْغَمَامِ ظِلًّا» جمع: ظل، تقيكم حر الشمس «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا» جمع كِن، وهو ما يستكن فيه كالغار والشرب (٢) «وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ» قمصا «تَقِيكُمْ الْحَرَّ» أي: البرد «وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ» حربكم؛ أي: الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن (٣) «كَذَلِكَ» كما خلق هذه الأشياء «يُنِيرُ نَعْمَتَهُ» في الدنيا «وَعَلَيْكُمْ» بخلق ما تحتاجون إليه «لَسَّكُمْ» يا أهل مكة «تُسَلِّمُونَ» توحّدونه.

[٨٢] «فَإِنْ تَوَلَّوْا» أعرضوا عن الإسلام «وَلَسَّكُمْ عَلَيْكُمْ» يا محمد «الْبَلْعُ الْمُبِينُ» الإبلاغ البين، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٨٣] «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ» أي: يقرون بأنها من عنده «ثُمَّ يُكْفِرُونَ بِهَا» يشرّكهم «وَأَكْفَرُوهُمْ الْكُفْرُونَ».

[٨٤] «وَلَا تُدْعَى» أي: لا يُدْعَى «لِلَّذِينَ كَفَرُوا» في الاعتذار «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» لا يطلب منهم العتبي؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٨٥] «وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا» كفروا «الْعَذَابَ» النار «فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ» العذاب «وَلَا هُمْ يُخَفَّفُونَ» يهلون عنه إذا رأوه.

[٨٦] «وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا» أشركوا «شُرَكَاءَهُمْ» من الشياطين وغيرها «قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا» نعبدهم «مِنْ دُونِكَ» قَالُوا «إِلَيْهِمْ الْقَوْلُ» أي: قالوا لهم: «إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ» في قولكم: إنكم عبدتمونا، كما في آية أخرى: «مَا كَانُوا بِإِيْمَانٍ» سيكفرون بعبادتهم.

[٨٧] «وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ الشَّامِتُ» أي: استسلموا لحكمه «وَسَلَّ» غاب «عَنْهُمْ» تَمَّا كَانُوا يَقْرَءُونَ» من أن ألهمتهم تشفع لهم.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ۝ (٨١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلًّا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُنِيرُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ۝ (٨٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ الْمُبِينُ ۝ (٨٣) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْفَرُوهُمْ الْكُفْرُونَ ۝ (٨٤) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثَمَّ لَا يُوْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝ (٨٥) وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۝ (٨٦) وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالُوا إِلَيْهِمْ الْقَوْلُ ۝ (٨٧) فَالْقَوْلُ إِلَيْهِمْ أَلْقَوْلُ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ (٨٨) وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ الشَّامِتُ ۝ (٨٩)

[٨٠] «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا» موضعا تسكنون فيه «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا» كالخيام والقباب «تَسْتَخِفُّونَهَا»

(١) أي: يخفف عليكم حملها.

(٢) اشرب: البيت في الأرض.

(٣) هي أيضا نوع من الدروع.

(٤) انقصص: ٦٣.

[٨٨] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الذي استحقوه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقارب أنيابها كالنخل الطوال^(١) ﴿يَمَّا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ بصددهم الناس عن الإيمان.

[٨٩] ﴿وَرَكَّبْنَا بِلَابَهُمْ﴾ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴿وَهُوَ مِنْهُمْ﴾ وَجَّهًا بِكَ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: قومك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ بَيَانًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ بِالْجَنَّةِ ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ الْمُوحِدِينَ.

[٩٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ التَّوْحِيدِ أَوْ الْإِنْصَافِ ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ أداء الفرائض أَوْ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، كما في الحديث^(٢) ﴿وَلِيَأْتِي﴾ إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الْقَرَابَةَ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ اهْتِمَامًا بِهِ ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ الزَّانَا وَالْمُفْسِدِ شَرًّا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي ﴿وَالْبَغْيِ﴾ الظُّلْمِ لِلنَّاسِ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ اهْتِمَامًا، كما بدأ بِالْفَحْشَاءِ كَذَلِكَ ﴿يَعْظُمُ﴾ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٣) تَعْتَظُونَ، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي «المستدرک» عن ابن مسعود: وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر^(٤).

[٩١] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ مِنَ الْبَيْعِ وَالْإِيمَانِ وَغَيْرِهَا ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا تَوْثِيقُهَا ﴿وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْدًا﴾ بِالْوَفَاءِ حَيْثُ حَلَفْتُمْ بِهِ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ تَهْدِيدٌ لَهُمْ.

[٩٢] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ﴾ أَفْسَدَتْ ﴿عَزْلَهَا﴾ مَا غَزَلَتْهُ ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إِحْكَامٍ لَهُ وَبَرٍّ ﴿أَنْتُمْ كُنْتُمْ﴾ حَالٌ، جَمْعُ نَكَتٍ وَهُوَ مَا يَنْكُثُ؛ أَيْ: يَحُلُّ إِحْكَامَهُ، وَهِيَ امْرَأَةٌ حَقَاءُ مِنْ مَكَّةَ كَانَتْ تَغْزِلُ طَوَّلَ يَوْمِهَا ثُمَّ تَنْقُضُهَا^(٥) ﴿تَنْبِذُونَ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرٍ «تَكُونُوا»؛ أَيْ: لَا تَكُونُوا مِثْلَهَا فِي اتِّخَاذِكُمْ ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ هُوَ مَا يَدْخُلُ فِي الشَّيْءِ وَلَيْسَ مِنْهُ؛ أَيْ: فَسَادًا أَوْ حُدُوعًا ﴿يَنْتَكُمُ﴾ بِأَنْ تَنْقُضُوهَا ﴿وَأَنْ﴾ أَيْ: لِأَنَّ ﴿تَكُونُ أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ ﴿هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أَكْثَرُ مِنْ أُمَّةٍ وَكَانُوا يَحْلِفُونَ الْخُلَفَاءَ فَإِذَا وَجَدَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَعَزُّ، نَقَضُوا حَلْفَ أُولَئِكَ وَحَالَفُوهُمْ ﴿إِنَّمَا يَبْهُوتُكُمْ﴾ يَخْتَبِرُكُمْ ﴿اللَّهُ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ لِيَنْظُرَ الْمُطِيعُ مِنْكُمْ وَالْعَاصِي، أَوْ يَكُونَ بِكُمْ﴾ أَيْ: بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ لِيَنْظُرَ الْمُطِيعُ مِنْكُمْ وَالْعَاصِي، أَوْ يَكُونَ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجَّهًا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيسَىٰ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْدًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَقْعَلُونَ﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْلُودُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْهُوتُكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَبْضُلُ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَشَأَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

أمة أرى لينظر آفون أم لا ﴿وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي.

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أَهْلَ دِينٍ وَاحِدٍ ﴿وَلَكِنْ يَبْضُلُ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَشَأَنَّ﴾ يَوْمَ الْقِيَمَةِ سَوَالُ تَبْكِيتٍ ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لَتَجَاوَزُوا عَلَيْهِ.

(١) أخرجه نحوه عبد الرزاق والفرغاني وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهاد بن السري وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه، والبيهقي في البعث والنشور كما في الدر المنثور (٢٣٩/٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٧٨)، ح (٣).

(٢) البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) المستدرک (٣٥٦/٢)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وحسن الألباني إسناده، عن ابن مسعود ؓ قال: «ما في القرآن آية أجمع للحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية» وذكرها. [صحيح الأدب المفرد (٣٧٦)].

(٥) ذكر خبرها أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٣٧٥/٦)، ٣٣٧٦، رقم (٧٧١٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٦٢/٥).

وقال صاحب الاستيعاب: هذا سند ضعيف جداً. الاستيعاب (٤٢١/٢).

﴿وَيَذُوقُوا أَلْسُوءَ﴾ أي: العذاب ﴿يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: بصدكم عن الوفاء بالعهد، أو بصدكم غيركم عنه؛ لأنه يستن بكم ﴿وَلَكُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

[٩٥] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا يَعْهَدَ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ نَكْرًا﴾ مما في الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا.

[٩٦] ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَفْذُ﴾ يفتي ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ دائم ﴿وَلْيَخْزَيَنَّ﴾ بالياء والنون^(١) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ من الوفاء بالعهود ﴿أَجْرُهُمْ يَأْخُذُهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أحسن بمعنى حسن.

[٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ قيل: هي حياة الجنة^(٢)، وقيل: في الدنيا بالقناعة^(٣) أو الرزق الحلال^(٤) ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٨] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

[٩٩] ﴿إِنَّهُمْ لَكَا سُلْطٰنٌ﴾ تسلط ﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رِيْهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُهُمُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُمُ﴾ بطاعته ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ أي: الله ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

[١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ بنسخها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَاللَّهُ أَهْلَمُ يَمَّا يُزَلُّ قَالُوا﴾ أي: الكفار للنبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ كذاب تقول من عندك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ.

[١٠٢] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿نزل﴾ ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدًى وَيُثَبِّتَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوءَ يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٥﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا يَعْهَدَ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَفْذُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٩﴾ إِنَّهُ وَلَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رِيْهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٣﴾

[٩٤] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ كره تأكيداً ﴿فَتَرِلَ قَدَمٌ﴾ أي: أقدامكم من محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها

(١) باباء قراءة حمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

(٢) هذا قول الحسن البصري كما في الدر المنثور (١٦٥/٥).

(٣) هذا قول محمد بن كعب القرظي كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).

(٤) هذا قول ابن عباس كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).

[١٠٣] ﴿وَلَقَدْ﴾ للتفصيل (١) ﴿نَعَلَّمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ لقمران ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قين (٢) نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه، قال تعالى: ﴿لِسَانٌ لَّعَنَ﴾ الذي يُلْجَذُونَ ﴿يَمِيلُونَ﴾ إِلَيْهِ. أنه يعلمه ﴿أَعْجَبِي وَهَذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَكَّوْتُ ثُبَيْتٌ﴾ ذو بيان وفصاحة، فكيف يعلمه أعجمي؟ (٣)

[١٠٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١٠٥] ﴿إِنَّمَا يَنْتَرَى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن، بقولهم: هذا من قول البشر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ والتأكيد بالتكرار وإن «وغيرهما رد لقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفَرِّقٌ﴾.

[١٠٦] ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ على التلفظ بالكفر فتلفظ به ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ و«من» مبتدأ، أو شرطية، والخبر أو الجواب: لهم وعيد شديد، دل على هذا: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ له؛ أي: فتحه ووسعه بمعنى طاب به نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٧] ﴿ذَلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ اختاروها ﴿عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عما يراد بهم.

[١٠٩] ﴿لَا جِرمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى المدينة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ عذبوا وتلفظوا بالكفر، وفي قراءة للبناء للفاعل (٤)؛ أي: كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ مَدْجَهَا﴾ أي: الفتنة ﴿لَعَنُوا﴾ لهم ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم، وخبر «إن» الأولى دل عليه خبر الثانية.

وَلَقَدْ نَعَلَّمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلَجِّدُونَ إِلَيْهِ أَجْجَمٌ وَهَذَا لِسَانُ عَدِيٍّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَنْتَرَى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَاجِرَةٌ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

(١) القاعدة أن «قد» تكون للتفصيل إذا جاء بعدها فعل ماضٍ، وتكون للتفصيل إذا جاء بعدها فعل مضارع. ذكره ابن هشام في «مغني البليغ». وأخذ الجلالان بقول بعض البغويين: إنها للتفصيل لا لتفصيل في هذه المواضع.

وعلى القاعدة أنها لتفصيل؛ يكون المراد تفصيل متعلق بالفعل والمعنى هنا: قرأهم إنما يعلمه... هو أقل معلوماته سبحانه.

(٢) أي: حداد، كان رومياً، وفي نسخة: قر؛ أي: عبد.

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٩/١٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٦٧/٥)، وضعف إسناده في لباب المنقول ص (١٣٤)، وأخرج الطبري بسند صحيح في جامع البيان (١٤/١٢٠) عن عبيد بن مسلم الحضرمي؛ قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر؛ يُسمى أحدهما: يسار، والآخر: جبر، وكانا يقرآن كتاباً لهما، فرمى مر رسول الله ﷺ فقام عليهما، فقالا للمشركون: إنما يتعلم محمد منهما؛ فأنزل الله ﷻ هذه الآية. وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٠)، وصححه الخافض أيضاً في الإصباح (٤٤٧/٢).

(٤) لابن عامر، ويحتمل على هذه القراءة أن يكون الفعل لازماً؛ فيكون معنى ﴿فَتُفْتَنُوا﴾ أي: افتتنوا، وإليه أشار لمفسر بقوله: «أي كفروا»، ويحتمل أن يكون متعدياً، وأشار إليه بقوله: «أو فتنوا» الناس....

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ أَغْدَابٌ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكَانُوا إِذَا دَارَوْا لِقَاءَ اللَّهِ حُلَاكًا طَبِيبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبُ السِّتْكُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَلَلٌ وَلَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزَمًا مَا فِصَصْنَا عَلَيْكَ قَبْلَ فِي آيَةٍ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزَمًا كُلَّ ذِي ظُلْفَرٍ﴾ ﴿١١٨﴾ إِلَى آخِرِهَا ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١١٩﴾

[١١١] اذكر ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ تهاج ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ لا يهمها غيرها وهو يوم القيامة ﴿وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

[١١٢] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿قَرْيَةً﴾ هي مكة (١)، والمراد أهلها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من الغارات لا تهاج ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ فكفرت بأنعم الله ﴿بتكذيب النبي ﷺ﴾ ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ فحطوا سبع سنين (٢) ﴿وَالْخَوْفِ﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

[١١٣] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الجوع والخوف ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

[١١٤] ﴿تَكُونُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿بِمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حُلَاكًا طَبِيبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ فعن اضطر غير مبلغ ولا عادي فإن الله غفور رحيم.

[١١٦] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبُ السِّتْكُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَلَلٌ﴾ لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿لِيَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

[١١٧] لهم ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١١٨] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَزَمًا مَا فِصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلَ﴾ في آية: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزَمًا كُلَّ ذِي ظُلْفَرٍ﴾ (٣) إلى آخرها ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

(١) وهذا هو المشهور بين المفسرين، وعليه فالآية مدنية، وعلى القول بأنها مكية يكون إخباراً بالغيب تزيلاً له منزلة الواقع لتحقيق حصوله.

(٢) كما سيأتي بيانه في سورة «الدخان».

(٣) الأنعام: ١٤٦.

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: الجهالة أو التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٢٠] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إماماً قُدوةً جامعاً لحصال الخير ﴿فَاتَّبَعْنَا﴾ مطيعاً ﴿لِلَّهِ خَبِيفًا﴾ مثلاً إلى الدين القيم ﴿وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٢١] ﴿شَاقِرًا﴾ لَا نَعْمِيَّةَ أَجَنَّهُ ﴿اصْطَفَاهُ﴾ وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

[١٢٢] ﴿وَمَا آتَيْنَاكَ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هيثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَوَيْدًا فِي الْآخِرَةِ﴾ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿الَّذِينَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنْ آتِيَكَ مَلَكٌ﴾ دين ﴿إِبْرَاهِيمَ خَبِيفًا﴾ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿كَرَّرَ رَدًّا عَلَى زَعْمِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّهُمْ عَلَى دِينِهِ﴾.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على نبيهم، وهم اليهود أمروا أن يفرغوا للعبادة يوم الجمعة، فقالوا: لا نزيد، واختاروا السبت فشدد عليهم فيه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره؛ بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمة.

[١٢٥] ﴿أَدْعُ﴾ الناس يا محمد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ مواعظه أو القول الرقيق ﴿وَيَحْدِثْ لَهُمْ يَأْتِي﴾ أي: المجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ صَدَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿فِي جَاذِبِهِمْ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٢٦] ونزل لما قُتِلَ حمزة ومُثِّلَ به فقال ﷺ: وقد رآه: «لأمثلن بسبعين منهم مكانك»: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَئِيْمٌ يُمْشِي مَا يُمْسِقُهُ﴾ وَلَكِنْ صَدَّرَ عَنْ الْإِنْتِقَامِ ﴿لَهُمْ﴾ أي: الصبر ﴿خَيْرٌ لِّصَّابِرِينَ﴾ فكف ﷺ وكفر عن يمينه رواه البزار^(١).

[١٢٧] ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار وإن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم ﴿وَلَا تَأْكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَبِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاقِرًا لَا نَعْمِيَّةَ أَجَنَّهُ وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ آتِيَكَ مَلَكٌ إِبْرَاهِيمَ خَبِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَبْرُكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ

يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا تهتم بمكرهم فأننا ناصرهم عليهم.

[١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر^(٢).

(١) ما جاء في قول الآية (١٢٦): في المسند عن أبي بن كعب أنه أصيب يوم أحد من الأنصار أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة وحمزة، فقتلوا بقتلهم، فقالت الأنصار: لن أصيبنا منهم يوماً من الدهر لربهم عليهم، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل من القوم لا يعرف: لا قرش بعد اليوم، فأقول لله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَئِيْمٌ يُمْشِي مَا يُمْسِقُهُ﴾ الآية، فقال نبي الله ﷺ: «لَقُومُوا عَنْ الْقَوْمِ». المسند (١٣٥/٥)، وقد أخرج الترمذي نحوه، كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٧) سورة النحل. (حسن صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٠١).

(٢) أخرجه ابن سعد والبرار وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة كما في الدر المنثور (٢٥٥/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٩/٦): «رواه البزار والطبراني، وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف». وضيفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٨/٢) رقم (٥٥٠).

(٣) هذا من لوازم معيته - سبحانه - الخاصة بعبادة المؤمنين، ومعيته - سبحانه - مع خلقه نوعان؛ عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقتها الصحة اللاحقة، وقد أخبر - سبحانه - أنه مع خلقه، مع كونه مستوراً على عرشه، وقد بين الأمرين في آية الحديد، وكلاهما حق.

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ لَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلٍ مَّع نُّوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُوفَةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَا كَمَا تَنْفَرُونَ ﴿٦﴾ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْئِرُوا أَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

[مكية إلا : ﴿وَرَن كَادُوا يَقْتُلُونَكَ الْآيَاتِ الثَّمَانِ﴾ مائة وعشر، أو : إحدى عشرة آية، نزلت بعد القصص]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سُبْحَنَ﴾ أي: تنزيه ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف، والإسراء سير الليل، وفائدة ذكره الإشارة بتكبره إلى تقاليل مدته ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ بيت المقدس لبعده منه ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالثمار والأنهار ﴿لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا﴾ عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: العالم ^(١) بأقوال النبي ﷺ وأفعاله ^(٢) فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء، وعروجه إلى السماء، ورؤية عجائب الملكوت، ومناجاته له - تعالى - فإنه ﷺ قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من حمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت القطرة. قال:

ثم عرج بي إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل؛ قيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بالخير، ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا بابي الحالة يحيى ويعيسى فرحبا بي ودعوا لي بالخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا يادريس، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذهب إلى سدرة المنتهى فإذا أوراها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله - تعالى - يستطيع أن يصفها من حسنها، قال: فأوحى الله إلي ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب خفف عن أمتي. فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى قال: ما فعلت؟ فقلت: قد حط عني خمسا. قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال: يا محمد، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ففلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك. فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت [رواه الشيخان، واللفظ لمسلم] ^(٣). وروى الحاكم في «المستدرک» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي ﷻ» ^(٤).

[٢] قال - تعالى -: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي

(١) العلم من لوازم السمع والبصر، ولكنهما غيره، وفي الآية إثبات هاتين الصفتين له. سبحانه. ومذهب السلف الإيمان بهما على الوجه اللاتق به من غير تمثيل، ولا تكيف، ولا تأويل ولا تعطيل؛ كما قال - سبحانه -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. (٢) هذا التخصيص لا يظهر وجهه، فالصواب الإطلاق، فهو - سبحانه - السميع بكل مسموع، والبصير بكل مبصر. (٣) البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢٢) عن أنس بن مالك. (٤) رواه أحمد عن ابن عباس مرفوعا كما في جامع السعدي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٦٤).

إِسْرَءِيلَ ﴿لَهُ أَكُنْ لَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ يفوضون إليه أمرهم،
وفي قراءة: ﴿لَتُخْذُوا﴾^(١) بالفوقانية التفاتًا، فواؤه زائدة، والقول مضمر.
[٣] يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِذْ كُنْتُمْ عَبْدًا
شُكْرًا﴾ كثير الشكر لنا حامدًا في جميع أحواله.
[٤] ﴿وَضَعَيْنَا أَوْحِينَ﴾ إلى بَنِي إِسْرَءِيلَ في الْكِتَابِ التوراة
﴿لَتَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرَتَيْنِ وَلَتَعْلَنَ عُلُوكُمْ كِبِيرًا﴾
تبعون بغيا عظيما.
[٥] ﴿إِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِنَا﴾ أولى مرتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا
أُولَى بَأْسٍ شَدِيدِينَ﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاءُواكُمْ تَرَدُّدًا
لِطَلْبِكُمْ﴾ خِذْلًا أَلْيَارًا وسط دياركم ليقتلوكم ويتبشروكم ﴿وَكُنْتُمْ وَعَدًا
مُفْعَلًا﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت^(٢) وجنوده
فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس.
[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة
بقتل جالوت ﴿وَأَنذَرْنَاكُمْ بِأَمْرٍ أَلِيمٍ وَبَيَّنَّا وَجْهَ لَكُمْ أَكْثَرَ نُفِيرًا﴾ عشيرة.
[٧] وقالنا: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنَّا لَأُنْفِكَنَّ﴾ لأن ثوابه^(٣)
لها ﴿وَأِنْ أَسَاءْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَنَكُنَّ﴾ إساءتكم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْمَرَّةِ
الْآخِرَةِ﴾ بعناهم ﴿لَيُسْخَرْنَ وَجُوهُهُمْ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزنا
يظهر في جرحهم ﴿وَلَيُخْذَلُوا النَّسِيدُ﴾ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَأَنَّ
دَحْلُوهُ﴾ وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وليستروا يهلكوا ﴿مِمَّا عَلَوْا﴾ غلبوا عليه
﴿نُفِيرًا﴾ هلاكًا، وقد أفسدوا ثانيا بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل
منهم ألوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس^(٤).
[٨] وقلنا في الكتاب: ﴿عَسَىٰ ذِكْرُكَ أَنْ يَرْحَمَكَ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم
﴿وَأِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الفساد ﴿عَدْنَا﴾ إلى العقوبة، وقد عادوا بتكذيب
محمد ﷺ فسط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم
﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ محبسا وسجنًا.
[٩] ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّذِي﴾ أي: للطريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾
أعدل وأصوب ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَبِيرًا﴾.
[١٠] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أعدنا ﴿أَعَدْنَا﴾ لهم
عَذَابًا أَلِيمًا مؤلما هو النار.
[١١] ﴿وَيَذَعُ الْإِنْسَانُ أَلْسِنَةً﴾ على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَاءُ﴾ أي:
كدهائه له ﴿وَالْحَيَّرَ﴾ كَانَ الْإِنْسَانُ الْجَنَسِ ﴿عَمَلًا﴾ بالدعاء على نفسه وعدم
النظر في عاقبته.
[١٢] ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ عَابَتَيْنِ﴾ الدلتين على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ
الْأَيْلِ﴾ طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مَبْصُرَةً﴾ أي: مبصرة فيها بالضوء ﴿لَتَبْتَغُوا﴾ فيه ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ﴾
بالكسب ﴿وَلَتَعْلَمُوا﴾ بهما ﴿عَدَدَ النَّسِينَ وَالْجَسَابِ﴾ للأوقات ﴿وَكُلَّ
شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿فَضْلَتَهُ تَفْصِيلًا﴾ بيناه تبيينًا.
[١٣] ﴿كُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَتْهُ طَائِفَةٌ﴾ عمله يحمله ﴿فِي عُرْوَةٍ﴾ خص

بالذكر؛ لأن الزوم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه
ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد^(٥).

[١٤] ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾ مكتوبا فيه عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾
صفنا له كتابا. ويقال له: ﴿أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ﴾ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
محاسبًا.

[١٥] ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ
فإنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن إثمه عليها ﴿وَلَا يُزِدُ﴾ نفس ﴿وَارْزُقْ﴾ أئمة؛ أي: لا
تحمل ﴿وَزِدْ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدا ﴿حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾
يبين له ما يجب عليه.

[١٦] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْنًا مَّرَئِيًّا﴾ مُتَّصِيهَا بمعنى رؤسائها،
بالصاعقة على لسان رسلنا ﴿فَنَقُصِّوْا فِيهَا﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا
الْقَوْلُ﴾ بالعباد ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ أهلكتها بإهلاك أهلها وتخريبها.

[١٧] ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ الْأَمْ﴾ ومن بعد نُوحٍ
وَكُنِّي بِرَبِّكَ يَذُوبُ عِبَاوَهُ حَبِيرًا بصيرا ﴿عَالِمًا بِوَاطْنِهَا وظواهرها، و«به» يتعلق
﴿يَذُوبُ﴾.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو. (٢) اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المصلطين عليهم؛ من هم، وعن ابن عباس أنه جالوت وجنوده. (٣) أي ثواب الإحسان.

(٤) وفي هذا نظر؛ حيث إن بختنصر كان بينه وبين يحيى التلافة عدة قرون. وقيل أيضا: إن الذي حارب بيت المقدس الخراب الثاني هو: «طيطوس» الروماني. ولا دليل صحيح على شيء من ذلك،
فالأولى التوقف، والله أعلم.

(٥) ذكره ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه [الدر المنثور (٢٥٠/٥)].

مطروذاً عن الرحمة.

[١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا عَمِلَ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلُ﴾ **﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾** حال **﴿فَأُولَئِكَ كَانَتْ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا﴾** عند الله أي: مقبولاً مثاباً عليه.

[٢٠] **﴿كُلًّا﴾** من الفريقين **﴿ثُمَّ﴾** نعطي **﴿هَتَّؤَلَاءَ وَهَتَّؤَلَاءَ﴾** بدل **﴿يَنْ﴾** متعلق بـ **﴿عَطَاءَ رَبِّكَ﴾** في الدنيا **﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾** فيها **﴿مَحْظُورًا﴾** ممنوعاً عن أحد.

[٢١] **﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾** في الرزق والجاه **﴿وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾** أعظم **﴿وَدَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا﴾** من الدنيا، فينبغي الاعتناء بها دونها.

[٢٢] **﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَتَّحِدًا﴾** لا ناصر لك.

[٢٣] **﴿وَقَضَى﴾** أمر **﴿رَبُّكَ أَهْنُ﴾** أي: بأن **﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾** وأن تحسنوا **﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾** بأن تروهما **﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾** فاعل **﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾** وفي قراءة **﴿يَبْلُغَانِ﴾** ^(١) ذأ أحدهما بدل من ألفه **﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا إِفْ﴾** بفتح الفاء، وكسرهما منوناً وغير منون ^(٢) مصدر بمعنى ثأ وقبحاً **﴿وَلَا تَنْهَرَهُمَا﴾** ترجمهما **﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾** جميلاً لينا.

[٢٤] **﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾** ألن لهما جانبيك الدليل **﴿وَمِنَ الرَّحْمَةِ﴾** أي: لرقنتك عليهما **﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّحْتُ حِينَ رَبَّانِي صَغِيرًا﴾**

[٢٥] **﴿رَبُّكَ أَغْلَرُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾** من إضمار البر والعفوق **﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾** طاعين لله **﴿فَأَنْتُمْ كَانُوا لِلْأَوَّلِينَ﴾** الرجعين إلى طاعته **﴿عَفُورًا﴾** لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمنون عقوقاً.

[٢٦] **﴿وَأَبِ﴾** أعط **﴿ذَا الْقُرْنَى﴾** القرابة **﴿حَقَّهُ﴾** من البر والصلة **﴿وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ تَبْدِيرًا﴾** بالإنفاق في غير طاعة الله.

[٢٧] **﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾** أي: على طريقتهم **﴿وَكَانَ الشَّيَاطِينُ لِرَبِّهِمْ كَفُورًا﴾** شديد الكفر لنعمه، فكذلك أخوه المبذر.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَتْ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا ﴿٢٠﴾ كَلَّا تُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢١﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا ﴿٢٢﴾ لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَتَّحِدًا ﴿٢٣﴾ * وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أِفْ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٤﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٥﴾ رَبُّكَ أَغْلَرُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّلِينَ غَفُورًا ﴿٢٦﴾ وَءَابِ ذَا الْقُرْنَى حَقَّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ تَبْدِيرًا ﴿٢٧﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٨﴾

[١٨] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله **﴿الْعَاجِلَةَ﴾** أي: الدنيا **﴿جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾** التعميل له، بدل من **﴿له﴾** بإعادة الجار **﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾** في الآخرة **﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾** يذهبها **﴿مَذْمُومًا﴾** ملوماً **﴿مَدْحُورًا﴾**

(١) مع كسر النون مشددة حمزة والكسائي.

(٢) بالفتح وبدون تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر كذلك قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

وَمَا نَعْرِضُ عَنْهُمْ أَيْعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ تَرَفُّهُمْ وَبِئْسَ الَّذِي كَانَتْ خَطَاكُمْ كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُم وَرثُوا بِالْقِسْطِ أَسْمَقِمْ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

[٢٨] ﴿وَمَا نَعْرِضُ عَنْهُمْ﴾ أي: المذكورين من ذي القربى وما بعدهم فلم تعطهم ﴿أَيْعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: لطلب رزق تنتظره بآتيك فتعطهم منه ﴿فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ليأخذ سبيلًا بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق.

[٢٩] ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجع للأول (١) ﴿مَحْسُورًا﴾ منقطعًا لا شيء عندك راجع للثاني (٢).

[٣٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالمًا (٣) ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم.

[٣١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ بالوَد ﴿خَشْيَةً﴾ مخافة ﴿إِمَّا يَكُنْ تَرَفُّهُمْ وَبِئْسَ الَّذِي كَانَتْ خَطَاكُمْ كَبِيرًا﴾ عظيمًا. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ﴾ أبلغ من لا تأتوه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ فبيحا ﴿وساء سبيلًا﴾ طريقًا هو.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ﴾ لوارثه ﴿سُلْطَانًا﴾ تسلطًا على القاتل ﴿فَلَا يَسْرِفُ﴾ يتجاوز الحد ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بأن يقتل غير قاتله، أو بغير ما قتل به ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾.

[٣٣] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ إذا عاهدتم الله أو الناس ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ عنه.

[٣٤] ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿إِذَا كِلْتُم وَرثُوا بِالْقِسْطِ أَسْمَقِمْ﴾ الميزان السوي ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً.

[٣٥] ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ صاحبه ماذا فعل به.

[٣٦] ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تنقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾

المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ، فكيف تختال؟! [٣٨] ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ (٤) عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا.

(١) أي: الإسكاف.

(٢) أي: الإسراف في الإنفاق.

(٣) وفي الآية إثبات صفة البصر له سبحانه؛ على الوجه اللائق به من غير تمثيل، ولا تكليف، ولا تأويل، ولا تعطيل، ومن لوازم ذلك أن يكون عالمًا ببواطن عبادته وظواهرهم.

(٤) وفي قراءة سبعة لنافع وابن كثير وأبي عمرو «سيفه» بالياء؛ أي عملاً سيئاً، وقرأ بالقون «سبه» بالهاء؛ أي السيئ مما تقدم.

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ تَتَلَفَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْمُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ
بِالْبَيْنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثَاءً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
فُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَتَّبِعُوا إِلَهِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾

سُبْحَنَهُ وَوَعَلَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ
السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَيْسِبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ

الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
حُجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
حُجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٦﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ

وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ثَقُلًا فَلَا يَسْمَعُونَهُ وَإِذَا ذَكَرْتَ
رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ حَدَّثُوا وَلَوْ أَنَّ أَدْبَرُهُمْ نُفُورًا عَنْهُ ﴿٤٧﴾ وَتَحْنُ أَعْلَى

يَمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ مُخَوِّ
إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٨﴾ أَنْظِرْ

كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا

إِنَّمَا هِيَ زُنَاجِرٌ رَوِجَتْ وَأَصْلُنَا جَدِيدًا ﴿٥٠﴾ وَأَوَّلُ

بَشَرٍ مِثْلُ آبَاءِنَا وَمِمَّا تَدَّخِرُ الْعَذَابُ ﴿٥١﴾ وَتِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الَّتِي نُنَزِّلُ بِهَا

الْحُكْمَ وَمَا يَكُونُ إِلَّا نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٥٦﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٦١﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٦٢﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٦٨﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٦٩﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٧١﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٧٤﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٧٨﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى
فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٧٩﴾ وَإِنَّمَا يُجِيبُكَ رَبُّكَ بِمَا تَهَدَّى

﴿٣٩﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿٣٩﴾ مِنَ الْحِكْمَةِ الْمَوْعِظَةُ
وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ تَتَلَفَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْمُورًا ﴿٣٩﴾

﴿٤٠﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ بِالْبَيْنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثَاءً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

(١) والقول الآخر في تفسير الآية أن المعنى: لطلبوا التوصل والتقرب إليه، إفراذا له - سبحانه - بالعبودية والتوجه، وهذا القول هو الصحيح المنقول عن السلف، كما بينه شارح الطحاوية، واختاره ابن كثير وغيره.

(٢) يشير إلى ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٩٥/٢، ١٩٦) عن أسماء بنت أبي بكر قال: لما نزلت ﴿تَبَيَّنَ بَدَأُ أَبِي لَهَبٍ﴾ (سورة المسد) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر (حجر) وهي تقول: مديماً أينا، ودينه قلبنا، وأمره عصينا. والبي في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر، قال: «يا رسول الله، قد أقبلت، وأنا أخاف أن تراك. قال النبي ﷺ: إنها لن تراني. وقرأ قرأتاً فاعتصم به كما قال. وقرأ: ﴿وَلَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حُجَابًا مَسْتُورًا﴾، فوفقت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ... الحديث. وأخرجه أيضاً أبو يعلى في مسنده (٣٣/١ رقم ٢٥) عن ابن عباس بنحوه، وفي إسناده عند أبي يعلى عطاء بن السائب، وقد اختلط، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤/٧)، ونسبه إلى أبي يعلى والزار وضعفه بعباءة. هذا أحد الأقوال، والقول الآخر في تفسير الآية أن المراد بالحجاب المستور: أي: من الجهل وعمى القلب، فهم لإعراضهم ونفاقهم عن دعوتهم ﷺ كُفِّرَ بينه وبينهم حجاب يمنعهم من السماع ويحول بينهم وبين الهدى، وهذا القول هو الأقرب، وعليه جمهور المفسرين.

[٥٠] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حِيدًا﴾.

[٥١] ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْتُمُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إلى الحياة ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئاً؛ لأن القادر على البدء قادر على الإعادة، بل هي أهون ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تعجباً ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء: ﴿مَتَى هُوَ﴾ أي: البعث ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

[٥٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿فَسَيَسْتَجِيبُونَ﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿يَحْمَدُونَ﴾ بأمره، وقيل: وله الحمد ﴿وَنُظِّتُونَ﴾ ما ﴿لَيْسَتْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لهول ما ترون.

[٥٣] ﴿وَقُلْ لِّسَادِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقولوا^(١) للكفار ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ ﴿بِفَسْءٍ﴾ يَبْتِهَمُ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا بَيِّنَ الْعَدَاوَةِ.

[٥٤] والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ إِنَّ بَشَرًا يَرْحَمُكُمْ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ﴾ تعذيبكم ﴿يُعَذِّبُكُمْ﴾ بالموت على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيخضعهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلقة، ومحمد بالإسراء ﴿وَأَيُّنَا دَاوُدُ زَبُورًا﴾.

[٥٦] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ﴾ أنهم آلهة ﴿مَنْ دُونِهِ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ كَنَفَ النَّفَرِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا له إلى غيركم.

[٥٧] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ لهم آلهة ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلًا﴾ القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ﴾ بدل من واو «يتبعون»؛ أي: يتبعها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كغيرهم، فكيف تدعونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾^(٢).

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حِيدًا﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْتُمُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُقْضَىٰ إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَسَيَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتُظَاهَرُ إِنَّ لَئِيسَتُمْ إِلَّا قَلِيلًا وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمُ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمُكُمْ أَوْ يَشَأْ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا وَإِنْ مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا

[٥٨] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ قَرِيبَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٧): أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن، فأسلم نفر من الجن، واستمسك الإنس بعبادتهم. فنزلت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَيْكَ رِبِّهِمْ أَلْوَسِيلًا﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٤) (٣٠٣)، وهو في البخاري (٤٧١٤، ٤٧١٥) دون التصريح بسبب النزول.

(١) هذا أحد الأقوال في تفسير هذه الآية، ولعله يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٥)، عن الكلبي قال: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل، فشكروا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية. والحديث ضعيف كما في الاستيعاب (٤٤٠/٢). والقول الثاني: هو أن الآية تحث المؤمنين على أن يتخاطبوا فيما بينهم بالتي هي أحسن. وهذا هو الأطهر والأنسب، والله أعلم.

فيؤمنوا^(٩).

[٦٠] ﴿وَذَكَرْ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علما وقدره، فهم في قبضته، فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ عينا ليلة الإسراء^(١) ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها وارتمد بعضهم لما أخبرهم بها ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم، جعلناها فتنه لهم، إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبت ﴿وَنُفِثُوهُمْ﴾ بها ﴿فَمَا يَرِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طُعِفُنَا كِبِيرًا﴾.

[٦١] ﴿وَذَكَرْ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَتَّبَعْتُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا﴾ نصب بنوع الحافض؛ أي: من طين.

[٦٢] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ أي: أخبرني ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ﴾ فضلت ﴿عَلَيْكَ﴾ بالأمر بالسجود له و ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ﴾^(٢) ﴿كَلِمَةً﴾ لام قسم ﴿الْفَرِّينَ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ أَلَتَحْسَبُ﴾ لاستأصلن ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم ممن عصته.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿أَذْهَبَ﴾ مُنْظَرًا إلى وقت النفخة الأولى ﴿فَمَنْ يَتَّبِعْ مِنْهُمْ فَلَنْ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ أنت وهم ﴿جَزَاءُ مَوْفُورًا﴾ واهزأ كاملاً.

[٦٤] ﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾ استخف ﴿مَنْ أَسْطَظَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى المعصية ﴿وَأَلْبَيْتَ﴾ صبغ ﴿عَلَيْهِمْ بِحَبْلِكَ وَرَجَلِكَ﴾ وهم الركاب والمشاة في المعاصي ﴿وَوَشَّارُكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ من الرزق ﴿وَعِدَهُمْ﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً.

[٦٥] ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط وقوة ﴿وَكُنْتَ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ حافظاً لهم منك.

[٦٦] ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِي﴾ يُجْري ﴿لَكُمْ الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَلُوا﴾ تطليبا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ - تعالى - بالنجارة ﴿إِنَّكُمْ كَانَتْ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في تسخيرها لكم.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا تَبَيَّنَا نُمُودَ الْتَافَةٍ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنُفِثُوهُمْ فَمَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُعِفُنَا كِبِيرًا ﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَتَّبَعْتُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوْحِقَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٣﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَتَّبِعُ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٤﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ أَسْطَظَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَلْبَيْتَ عَلَيْهِمْ بِحَبْلِكَ وَرَجَلِكَ وَوَشَّارُكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٥﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٦﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٧﴾

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحتها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ لما أرسلناهم فأهلكناهم، ولو أرسلناهم إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَمَا تَبَيَّنَا نُمُودَ الْتَافَةٍ﴾؛ آية ﴿مُبْصِرَةً﴾ بَيِّنَةٌ واضحة ﴿فَظَلَمُوا﴾ كفروا بها فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخَوِيفًا﴾ للعباد

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا دعبا، وأن ينحي الجبال عنهم فيزددوا [إضعاف من الزرع]، فقبل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤنيهم الذي سألو، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكك من قبلهم. قال: «لا، بل أستاذي بهم، فأقول الله ﷻ هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَمَا تَبَيَّنَا نُمُودَ الْتَافَةٍ مُبْصِرَةً»». أحمد - المسند (٢٥٨/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٣٣٣).

(١) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين أريها ليلة أسري به. ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: شجرة الزقوم البخاري (٣٨٨٨).

(٢) الأعراف: ١٢.

[٦٧] ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُه فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۖ أَفَأَمْنُهُ أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ رُكْبًا ۚ﴾^(١) **تفسير** الشدة ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾ غاب عنكم ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون من الآلهة فلا تدعونه ﴿إِلَّا إِلَهُهُ﴾ تعالى ٥ فإنكم تدعونه وحده؛ لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ جعولا للنعم.

[٦٨] ﴿أَفَأَمْنُهُ أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أي: الأرض كفارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ رُكْبًا﴾ حافظا منه.

[٦٩] ﴿ثُمَّ أَنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي: البحر ﴿ثَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى﴾ فيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ أي: ريحا شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فتعسر فلحكم ﴿فَيُعْرِضُكُمْ مِمَّا كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ رُكْبًا﴾ يوم تَبِيعَ ناصرا وناجيا يطالبنا بما فعلنا بكم.

[٧٠] ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ فضلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي أَرْحِ﴾ على الدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَوَرَّضْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفْضِيلًا﴾ فـ«من» بمعنى «ما» أو عسى بابها، وتشمل الملائكة، والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيل أفرادها؛ إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء^(٢).

[٧١] اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِ﴾ بينهم، فيقال: يا أمة فلان، أو بكتاب أعمالهم فيقال: يا صاحب الشر، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ أَوْفَى﴾ منهم ﴿كَتَبْنَاهُ بِسْمِهِ﴾ وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا ﴿فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ﴾ يفرحون ﴿كُتِبَتْ لَهُمْ وَلَا يَظْلُمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَقِيلَ﴾ قدر قشرة النواة^(٣).

[٧٢] ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ عن الحق ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن طريق النجاة وقراءة القرآن ﴿وَأَصْلُ سَبِيلًا﴾ أبعد طريقا عنه.

[٧٣] ونزل في تنقيف وقد سأله ﷺ أَنْ يَحْزِمَ وادبهم وألحوا عليه: ﴿وَأَنْ﴾ مخفية ﴿كَادُوا﴾ قاربوا ﴿لَيَقْتُلَنَّكَ﴾ ليستنزلك ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْهَرِيَ عَلَيْنَا غَرَبٌ وَإِذَا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لَا تَقْدِرُكَ خَلِيلًا﴾.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُه فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۖ أَفَأَمْنُهُ أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ رُكْبًا ۚ وَكَيْلًا ۚ أَمْ أَمْنُهُ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ نَبِيعًا ۖ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۖ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِ فَمَنْ أَوْفَى كُتِبَتْهُ وَبِسْمِهِ فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كُتِبَتْ لَهُمْ وَلَا يَظْلُمُونَ فَقِيلَ ۖ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَصْلُ سَبِيلًا ۚ وَإِنْ كَادُوا لَيَقْتُلَنَّكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْهَرِيَ عَلَيْنَا غَرَبٌ وَإِذَا لَا تَقْدِرُكَ خَلِيلًا ۚ وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۚ إِذَا لَا دَفْعَكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۚ

[٧٤] ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ﴾ عن الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كُنْتَ قَارِبَ تَرْكُنْ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا﴾ ركونا ﴿قَلِيلًا﴾ لشدة احتيالههم والحاكم، وهو صريح في أنه ﷺ لم يركن ولا قارب.

[٧٥] ﴿وَإِذَا﴾ لو ركنك ﴿لَادْفَعْنَاكَ ضِعْفَ﴾ عذاب ﴿الْحَيَاةِ وَضِعْفَ﴾ عذاب ﴿الْمَمَاتِ﴾ أي: مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مانعا منه.

(١) والذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن السلف واختاره: القول بتفضيل الأنبياء وصالح المؤمنين على الملائكة. واختار طائفة التوقف؛ وأن الأولى عدم الخوض في هذه المسألة؛ لأنه لا يترتب على ذلك عمل. وهو قول حسن.

(٢) هذا سهو من السيوطي رحمه الله؛ فما ذكره هو معنى «القطمير»، أما «الفتن» فهو: الخيط الذي في بطن النواة.

(٣) أي يحزموه كما حزم مكة. ذكره الواحدي في أسباب النزول عن عطاء عن ابن عباس (ص ١٢١) وقيل غير ذلك، وكلها ضعيفة كما في الاستيعاب (٤٤٨/٢ - ٤٥١)، والصحيح أن الآية عامة في تأييد الله ﷻ لرسوله ﷺ وتنبيهه وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد المعارج، والله أعلم.

[٧٨] ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمِيسِ﴾ أي: من وقت زوالها ﴿إِلَى عَسَقِ الْآيْلِ﴾ إقبال ظلمته؛ أي: الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَإِنْ قَرَأَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا﴾ تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار^(١).

[٧٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِ فَتَاهُ﴾ فصل ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ فريضة زائدة لك دون أمرك أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء.

[٨٠] ونزل لما أمر بالهجرة^(٢): ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي الْمَدِينَةَ﴾ مُدْخَلٌ صِدْقٌ إخراجاً مرضياً لا أرى فيه ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من مكة ﴿مُخْرَجٌ﴾ صِدْقٌ إخراجاً لا ألقت بقلبي إليها ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ قوة تنصرني بها على أعدائك.

[٨١] ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَالْإِسْلَامُ﴾ رَزَقَ الْبَاطِلُ بطل الكفر ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مضمحلًا زائلاً، وقد دخلها وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت، رواه الشيخان^(٣).

[٨٢] ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْبَيَانِ﴾ للبيان ﴿الْقُرْءَانُ مَا هُوَ شَفَاءٌ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لغيرهم به.

[٨٣] ﴿وَإِذَا نَفَسْنَا عَلَى الْإِنْسَنِ﴾ الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَنَا بِحَيْنِهِ﴾ ثنى عطفه متبخترًا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿كَانَ يُوَسَّسُ﴾ قنوطاً من رحمة الله.

[٨٤] ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَةٍ﴾ طريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ طريقاً فنيه.

[٨٥] ﴿وَيَسْتَوِيكَ﴾ أي: اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي يحيا به البدن ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: علمه لا تعلمونه ﴿وَمَا أَوْشَرُ بَيْنَ الْغَايَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى^(٤).

[٨٦] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن بأن نحوه من الصدور والمصاحف ﴿فَنُحْمَ لَا يَجِدُكَ بِهِ﴾ عَلَيْنَا وَكِيلًا.

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُواكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٨﴾ سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٩﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمِيسِ إِلَى عَسَقِ الْآيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا ﴿٨٠﴾ وَمِنْ آيَاتِ فَتَاهُ ﴿٨١﴾ بِهِ نَافِلَةٌ لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٨٢﴾ وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مُدْخَلٌ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجٌ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٣﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨٤﴾ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْءَانِ إِنْ مَاهُوَ شِفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا نَفَسْنَا عَلَى الْإِنْسَنِ أَعْرَضَ وَنَنَا بِحَيْنِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوَسَّسُ ﴿٨٦﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٧﴾ وَيَسْتَوِيكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أَوْشَرُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٨﴾ وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٩﴾

[٧٦] ونزل لما قال له اليهود: إن كنت نبياً فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء^(١): ﴿وَإِنْ﴾ مخفية ﴿كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُواكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا﴾ لو أخرجوك ﴿لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ﴾ فيها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يهلكون.

[٧٧] ﴿سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أي: كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ تبديلاً.

(١) ما جاء في نزول الآية (٨٥): أخرجه البخاري عن عبد الله قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه! فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقامت مقامى، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْتَوِيكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أَوْشَرُ بَيْنَ الْغَايَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الإسراء (١٧) باب (١٣).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسال عنه هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأئزله الله: ﴿وَيَسْتَوِيكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة بني إسرائيل. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

وهذا الحديث يدل على أن هذه الآية مكية، فيتمشى ذلك مع كون السورة كلها مكية، وحديث ابن مسعود السابق قال ابن كثير: (يقضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنية... وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدنية مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سأله بالآية المتقدم إنزالها عليه، وهي هذه الآية).

(١) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل وابن عساکر عن عبد الرحمن بن عثم (الدر المنثور (٣٥٣/٤))، وضعفه السيوطي في لياح القنوط (ص ١٣٩) وقال: (هذا مرسل ضعيف الإسناد). وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَفْرِزُواكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال: هم أهل مكة إخراج النبي ﷺ من مكة، وقد فعلوا بعد ذلك؛ فأملكهم الله يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلا قليلاً... ذكره الطبري في جامع البيان (٩٠/١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٣٢٠/٥)، وهو مرسل كما في الاستيعاب (٤٥٢/٢).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً به، وأحمد في المسند (٤٧٤/٢). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٦٤)، وأحمد (١٨٤٧) عن ابن عباس، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦١٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٩١/٣): «إسناده صحيح».

(٤) البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عبد الله بن مسعود.

[٨٧] ﴿إِلَّا﴾ لكن أبقناه ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَـبِيرًا﴾ عظيمًا؛ حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل.

[٨٨] ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْدُسُ وَالْحِجُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ^(١) ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ معيًا.

[٨٩] نزل ردًّا لقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾ ^(٢) ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لحدوف؛ أي: مثلاً من جنس كل مثل؛ ليتعظوا ﴿فَأَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا للحق.

[٩٠] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على «أبي»: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ عينا ينبع منها الماء.

[٩١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّمَّنْ فِي بَسْتَانٍ﴾ بستان ﴿مِّنْ خَيْلٍ وَعَنَبٍ فَتَقْجِرَ الْآفَاقُ﴾ خِلَالَهَا وسطها ﴿تَفْجِرًا﴾.

[٩٢] ﴿أَوْ تُنْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كِشْفًا﴾ قطعًا ﴿أَوْ نَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ مِثَالًا﴾ مقابلة وعيانًا ففراهم.

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرِّهِ﴾ ذهب ﴿أَوْ رَفْقٌ﴾ تصعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بسلم ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرَفْقِكَ﴾ لو رقيت فيها ﴿حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ فيه تصديقك ﴿تَقْرَأُهُ﴾ قل لهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب ﴿هَلْ﴾ ما ﴿كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكًا.

[٩٤] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا﴾ أي قولهم منكربين: ﴿أُبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكًا.

[٩٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ﴾ بدل البشر ﴿مَلَائِكَةً﴾ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ إذ لا يُوسَّلُ إلى قوم رسول إلا من جنسهم؛ ليتمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

[٩٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿إِنَّهُ

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَـبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِجُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ ﴿٨٨﴾ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٠﴾ وَقَالُوا﴾ عطف على «أبي»: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩١﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ خَيْلٍ وَعَنَبٍ فَتَقْجِرَ الْآفَاقُ خِلَالَهَا تَفْجِرًا ﴿٩٢﴾ أَوْ تُنْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كِشْفًا ﴿٩٣﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرِّهِ﴾ ذهب ﴿أَوْ رَفْقٌ﴾ تصعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بسلم ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرَفْقِكَ﴾ لو رقيت فيها ﴿حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ فيه تصديقك ﴿تَقْرَأُهُ﴾ قل لهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب ﴿هَلْ﴾ ما ﴿كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكًا. ﴿٩٤﴾ وََمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا﴾ أي قولهم منكربين: ﴿أُبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكًا. ﴿٩٥﴾ قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ﴾ بدل البشر ﴿مَلَائِكَةً﴾ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٦﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٧﴾

كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٧﴾ عالمًا ^(٣) ببواطنهم وظواهرهم.

(١) ذكر العلماء أن أوجه الإعجاز في القرآن عديدة؛ ومنها: الإخبار بالغيبات، والعذوبة في الألفاظ، والبراعة في الأسلوب، والإيجاز في العبارة مع إفادة المعاني الكثيرة، وكونه لا يتخلق مع كثرة التلاوة ولا يملُّ بياضه، وكونه يجمع علومًا ومعارف لم يجمعها كاتب غيره، وغير ذلك.

(٢) الأنفال: ٣١.

(٣) والعلم غير البصر، وإن كان من لوازمه، فثبت هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به سبحانه.

يهدونهم ﴿٩٨﴾ من دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٩٩﴾ مَا شِئْنَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًّا ﴿١٠٠﴾ وَكَمْ رِصًّا مَّاؤُهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ سَكَنَ لَهَا ﴿١٠١﴾ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿١٠٢﴾ تِلْكَهَا وَاشْتَعَالًا.

[٩٨] ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ منكرين للبعث: ﴿إِذَا كُنَّا عِظْلًا وَرَفْنَا أَوْ نَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

[٩٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظيمهما ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمَا﴾؛ أي: الأناسي في الصغر ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَمْثَلًا﴾ للموت والبعث ﴿لَا رَبَّ فِيهِ قَائِي الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا له.

[١٠٠] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ من الرزق والمطر ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ﴾ لبحلتم ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ خوف نفاذها بالإنفاق ففقدوا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ بخيلًا.

[١٠١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ نَشِيعَ آيَاتِنَا بَيْنَتِ﴾ وهي اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، ونقص الثمرات (١) ﴿فَنَسَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك، أو فقلنا له: أسأل، وفي قراءة بلفظ الماضي (٢) ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ مخدوعًا مغلوبًا على عقلك.

[١٠٢] ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رُبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرَ﴾ عبرًا، ولكنك تعاند، وفي قراءة بضم التاء (٣) ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يُنَزِّلُكَ مَسْحُورًا﴾ هالكًا أو مصروفًا عن الخير.

[١٠٣] ﴿فَارَادَ﴾ فرعون ﴿أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ﴾ يخرج موسى وقومه ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾.

[١٠٤] ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنبِئْ إِسْرَءِيلَ أَنكُمُ الْأَرْضُ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الساعة ﴿يَكُنْ لَكُمْ لَافِيًا﴾ جميعًا أنتم وهم.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ ﴿٩٨﴾ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًّا وَكَمْ رِصًّا مَّاؤُهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظْلًا وَرَفْنَا أَوْ نَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٠٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ قَائِي الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٠١﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ نَشِيعَ آيَاتِنَا بَيْنَتِ فَنَسَلْ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠٣﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا أَرْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مَسْحُورًا ﴿١٠٤﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٥﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنبِئْ إِسْرَءِيلَ أَنكُمُ الْأَرْضُ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَافِيًا ﴿١٠٦﴾

[٩٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ﴾

(١) وهذه هي الآيات التي أوتيتها موسى (عليه السلام) لفرعون وقومه، وهي غير الآيات التي أوتيتها لحمل قومه بني إسرائيل على الاستقامة، كما تقدم في تفسير سورة يونس آية (٧٥).

(٢) أي «فأسأل»، والمناسب أن يقول: «وقري»، جريا على طريقته؛ لأنها قراءة شاذة.

(٣) أي: من «غلبت»، وهي للكسائي.

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥٥﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٥٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ سُجَّدًا ﴿١٥٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٥٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٥٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا اللَّهَ وَإِدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّ مَآ تَدْعُوا فَا لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَاتَّبِعُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٦٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدَّلِيلِ وَكَبِّرَ تَكْبِيرًا ﴿١٦١﴾

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِّبَذْرِ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّا كُنْ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

آخر السورة (٣). والله - تعالى - أعلم (٥).

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

[مكية إلا ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية .]

مائة وعشر آيات أو خمس عشرة آية، نزلت بعد سورة الغاشية (٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى، وهل المراد

(٥) ما جاء في رول الآية (١١٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يرفع صوته بالقرآن، وكان المشركون إذا سمعوا صوته سبوا القرآن ومن جاء به، فكان النبي ﷺ يخفض صوته بالقرآن ما كان يسمعه أصحابه، فأقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا يَوْمَ الَّذِي تَخَافُونَ﴾. النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٨٠)، وأخرجه أيضًا بنحوه البخاري في كتاب التفسير (٦٥) باب (١٤)، ومسلم في كتاب الصلاة (٤) باب (٣١).

(٦) قَالَ مُؤَلَّفُهُ: هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي أُلْفَهُ الشيخ الإمام العالم الحق جلال الدين المحلي الشافعي رحمه الله، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه في نقاش أراها إن شاء الله تعالى يجدي، وألغت في مدة قدر ميعاد الكليم (١)، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو - في الحقيقة - مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المشابهة الاعتماد والمعلول، فرحم الله امرأً نظَرَ بعين الانصاف إليه، ووقف فيه على خطأ، فأطعني عليه. وَقَدْ قُلْتُ:

(١) أخرج نحوه ابن مردويه وابن جرير عن ابن عباس [الدر المنثور (٣٧٣/٤)]، وضعف صاحب الاستيعاب إسناده (٤٦٤/٢). (٢) الترمذي (٣٤٢٩) من حديث أبي هريرة مرفوعاً وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٩٦). وأسماء الله ﷻ ليست محصورة بهذه الأسماء، بل لا حصر لها، أو لا سبيل لبشر إلى ذلك، كما قال ﷻ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ اسْمُكَ هُوَ لَكَ؛ سَقِيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَرْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَتَشَاءُ أَنْ يَكُونَ لَكَ عِلْمُ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...». أخرجه أحمد في المسند (٣٧٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب (١٠٢). (٣) أحمد (١٥٠٨١) عن معاذ بن أنس مرفوعاً، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩) والسلسلة الضعيفة (٥٣/٤) رقم (١٥٤٧). (٤) من أول سورة الكهف يبدأ القسم الذي فسر الجلال المحلي رحمه الله.

(٥) وهو أربعون يوماً؛ حيث فرغ من جمعه وتسويده، أما تحريره ونقله من المسودة فالإسبوع، وهي مدة أربعة أشهر إلا أربعة أيام كما سيأتي.

[١٥٥] ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ المشتغل عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما أنزل لم يعثره تبديل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ من آمن بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من كفر بالدار. [١٥٦] ﴿وَقُرْءَانًا﴾ منصوب بفعل يفهمه ﴿قُرْءَانُهُ﴾ نزلناه مفرقاً في عشرين سنة أو ثلاث ﴿لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكٍ﴾ مهل وتؤدة ليفهموه ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ شيئاً بعد شيء على حسب المصالح. [١٥٧] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِ﴾ قبل نزوله، وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِنَّا يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ يَتْلُونَ الْآيَاتِ سُبْحًا﴾. [١٥٨] ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ تنزيهاً لها عن خلف الوعد ﴿إِنَّ﴾ مخفية ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾. [١٥٩] ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ يَبْكُونَ﴾ عطف بزيادة صفة ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ تواضعاً لله. [١٦٠] وكان ﷺ يقول: «يا الله يا رحمن» فقالوا: بينها أن نعيد إليهم وهو يدعو إليها آخر معه، فنزل: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ أي: سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا: يا الله يا رحمن (١)، ﴿أَيُّهَا﴾ شرطية ﴿فَا لَهُ زَالِدَةً﴾ أي: أي هذين ﴿تَدْعُوا﴾ فهو حسن، دل على هذا: ﴿قُلْ﴾ أي: لسماعهما ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وهذا منها، فإنها كما في الحديث: «الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المحيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، اتواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور» [رواه الترمذي (٢)]، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ﴾ بقرأتك بها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿وَلَا تَخَافُوا﴾ تسر ﴿بِهَا﴾ ليتسمع أصحابك ﴿وَأَصْبِرْ﴾ قصد ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والمخافة ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً وسطاً (٣). [١١١] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ في الألوهية ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ﴾ ينصره ﴿مِنْ أَجْلِ﴾ الذَّلِيلِ ﴿أَيُّ﴾ لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وَكَبِّرَ تَكْبِيرًا﴾ عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد الشريك والذل وكل ما لا يليق به، وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع الحمد لكل ما ذاته وتفرده في صفاته، وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن معاذ الجهني عن رسول الله ﷺ أن كان يقول: «آية العز: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ إلى

أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٌ ﴿الْكَذِّبُ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِيهِ عِلْمًا﴾ اخْتِلَافًا أَوْ تَنَاقُضًا، وَالْحَمْلَةُ حَالٌ مِنَ «الْكِتَابِ».

[٢] ﴿يَسْمَعُ﴾ مُسْتَقِيمًا، حَالٌ ثَانِيَةٌ مُؤَكَّدَةٌ ﴿يُسْنِدُ﴾ يَخُوفُ بِالْكِتَابِ الْكَافِرِينَ ﴿بِأَسَاسٍ﴾ عَذَابًا ﴿شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ ﴿وَيُنِيرُ الشُّرُوبِينَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الظُّلُمَاتِ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ حَسَنَاتٌ﴾. [٣] ﴿تَنَكِّتُ فِيهِ أَبْكَاءً﴾ هُوَ الْجَنَّةُ [٤] ﴿وَيُسْنِدُ﴾ مِنْ جَمَلَةِ الْكَافِرِينَ ﴿وَالَّذِينَ قَالُوا أَتُحَدِّثُ اللَّهُ وَلَئِكَ﴾. [٥] ﴿مَا لَهُمْ بِهِ﴾ بِهَذَا الْقَوْلِ ﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَائِهِمْ﴾ مِنْ قَبْلِهِمُ الْقَائِلِينَ لَهُ ﴿كَزَّبَتْ﴾ عَظُمَتْ ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ «كَلِمَةً» تَقْيِيزٌ مَغْشَرٌ لِلضَّمِيرِ الْمُبْهَمِ، وَالْخُصُوصُ بِالذِّمِّ مُحَذَّرٌ؛ أَيْ: مَقَالَتُهُمُ الْمَذْكُورَةُ ﴿إِنْ﴾ مَا «يَقُولُونَ» فِي ذَلِكَ ﴿وَالَّذِينَ قَالُوا أَتُحَدِّثُ﴾.

[٦] ﴿فَلَمَّا كَذَّبَتْ﴾ مَهْلِكٌ ﴿نَفْسُكَ عَلَى مَا تُبَدِّلُهَا﴾ بَعْدَهُمْ؛ أَيْ: بَعْدَ تَوَلِّيهِمْ عَنْكَ ﴿إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿أَسْفَاكَ﴾ غِيظًا وَحُزْنًا مِنْكَ؛ لِحَرْصِكَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ، وَنَصَبِهِ عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ. [٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿زِينَةً لِّمَن يَسْلُوهُمْ﴾ لِنُخْبِرَ النَّاسَ النَّاطِقِينَ إِلَى ذَلِكَ ﴿أَتَيْتُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ فِيهِ؛ أَيْ: أَزْهَدَ لَهُ. [٨] ﴿وَأِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فَنَاءً ﴿جَزْأً﴾ يَابِسًا لَا يَبْقَى. [٩] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أَيْ: ظَنَنْتُمْ ﴿أَنَّا أَصْحَابُ الْكَهْفِ﴾ الْغَارِ فِي الْجَبَلِ ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ الْوَلُوحِ الْمَكْتُوبِ فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ وَأَنْسَابُهُمْ، وَقَدْ سَتَلَ اللَّهُ عَنْ قَصَصِهِمْ ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ فِي قَصَصِهِمْ ﴿مِنْ﴾ جَمَلَةٍ ﴿ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ خَيْرٌ كَانَ، وَمَا قَبْلَهُ حَالٌ؛ أَيْ: كَانُوا عَجَبًا دُونَ بَاقِي الْآيَاتِ، أَوْ أَعْجَبُهَا، لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

[١٠] اذْكُرْ ﴿إِذْ أَوَى آلُ فَيْسَةَ إِلَى الْكَهْفِ﴾ جَمْعُ فَيْ، وَهُوَ الشَّابُّ الْكَامِ، خَائِفِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمُ الْكُفَّارِ ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن دُنْكَ﴾ مِنْ قَبْلِكَ ﴿رَحِمَةً وَهَيْئًا﴾ أَصْلَحْ ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَبَّنَا﴾ هِدَايَةً.

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ أَيْ: أَغْمَأْضَيْنَاهُمْ ﴿فِي الْكَهْفِ﴾ سِنِينَ عَدَدًا مَعْدُودَةً. [١٢] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أَيْقَظْنَاهُمْ ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عِلْمَ مَشَاهِدَةِ

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿١﴾ فَلَمَّا كَذَّبَتْ بِحَجَرٍ نَفْسُكَ عَلَى مَا تُبَدِّلُهَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ هَذَا الْحَدِيثَ أَسَفًا ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٣﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٤﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّا أَصْحَابُ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِن آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٥﴾ إِذْ أَوَى آلُ فَيْسَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن دُنْكَ رَحِمَةً وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿٦﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِمْ ﴿٨﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿٩﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَفَقْدَلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٠﴾ هَلْؤَلَاءِ قَوْمٌ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَّا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ آمَنَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١١﴾

الإعلام بذلك للإيمان به أو الشك به أو هما؟ احتمالات، أفيدتها الثالث ﴿الَّذِينَ

عَدَدْتُ اللَّهُ زَيْدًا إِذْ هَدَانِي
فَمَنْ لِي بِمَقَالَتِكَ قَوْلُهُ عَنَّهُ
لَمَّا أَنْبَأْتُكَ نَحْوَ عَجَبِي وَضَعْفِي
وَمَنْ لِي بِالْقُدُورِ وَلَوْ بِخَرْبٍ

هذا، ولم يكن قط في تخليدي أن أتمرض لذلك؛ لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك، وعسى الله أن ينفع به نفعا جفيا، فيفتح به قلوبا غفما، وأعين غفما، وأذنانا صفا، وكأني بن اعتاد المطولات، وقد أضررت من هذه التكملة وأصلها حسنا، وعدل إلى صريح العناد، ولم يوجه إلى دقائقها فهما ﴿وَمَنْ كَلَّمَ فِي هَذِهِ أَمْرٌ فَهُوَ فِي الْخَيْرَةِ آمِنٌ﴾. رزقا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقا وإطلاعا على دقائق كلماته وغفقا، وجعلنا به ﴿مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكَيْفِ وَالْجُودِ وَالْشَّهَادَةِ وَالصَّلَاتِ وَحَسَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَفِيقًا﴾.

وفرغ من تأليف يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة، وكان ابتداء في يوم الأربعاء استهل رمضان من السنة المذكورة، وفرغ من تبينه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة، والله أعلم. قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطونسي: أخبرني صديقي العلامة كمال الدين المحلي أخو شيخنا الشيخ جلال الدين المحلي - رحمه الله تعالى - أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم يديه صديقا للشيخ العلامة الخفوق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور: أيتها أحسن وضعي أو وضعك؟ فقال: وضعي. فقال: انظر، وعرض عليه مواضع فيها، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلفظ، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئا يجيبه والشيخ يتسم وبضحك. قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة: الذي أعقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي - رحمه الله تعالى - في قلعته أحسن من وضعي أنا بطريقتي كثيرة؛ كيف وغالب ما وضعه هنا متيسر من وضعه ومستفاد منه لا مريه عدي في ذلك، وأما الذي رأيته في المنام المكتوب أعلاه، فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالف وضعها فيها؛ لكنه، وهي سيرة جدا، ما أظنها تبلغ عشرة مواضع: منها: أن الشيخ قال في «سورة ص»: والروح جسم لطيف يحيى به الإنسان بنفذه فيه. وكنت تبعته أولا؛ فذكرت هذا الحد في «سورة الحجر» ثم ضربت عليه؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَيَتَكَلَّمُ عَلَى أَرْجُلِهِ مِمَّنْ أَسْرَرْتَنِي﴾ الآية، فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله - تعالى - لا تعلمه؛ فالإمسك عن تعريفها أولى؛ ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في «جمع الجوامع»: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ؛ فنسك عنها. ومنها: أن الشيخ قال في «سورة الحج»: الصابون فرقة من اليهود. فذكرت ذلك في «سورة البقرة»، وزدت: أو النصارى؛ بيانا لقول ثانيا؛ فإنه المعروف؛ خصوصا عند أصحابنا لفقهاء، وفي «فناهاج»؛ وإن خالف السامرة اليهود والصابون النصارى في أصل دينهم، وفي «شروحه»؛ أن الشافعي رحمه الله نقل على أن الصابون فرقة من النصارى، ولا أستحضر الآن موضعا ثالثا؛ فكان الشيخ - رحمه الله تعالى - يشير إلى مثل هذا، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(١٦) قال في حاشية الصاوي: «والمنى: تعزير بين حسن العمل وسيئه بتلك الرينة؛ فمن زهدها كان من أهل الحسن، ومن رغب فيها كان بضد ذلك» (٤/٣). وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «أي أخلفه وأصوبه». تفسير الكرم الرحمن، ص (٥٠٤).

وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ
 يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا
 ﴿١٦﴾ وَرَأَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَعْنَ كَهْفَهُمْ ذَاتِ
 الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبَهُمْ ذَاتِ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
 مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
 يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحَسَّبُهُمْ أَنْ يَقَاطَا
 وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَهُمْ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ
 بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
 فِرَارًا وَلَمُلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
 لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالُوا لَبِثْنَا
 يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
 أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
 طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
 بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
 أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

ذلك: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾ [يُورِثُكُمْ] بسكون
 الراء وكسر هاء^(١)؛ فبضمتكم «هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ» يقال: إنها المسماة الآن
 (طَرَسُوس) بفتح الراء^(٢) «فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا» أي: أي أطعمة المدينة
 أحل «فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا»
 [٢٠] «إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ» يقتلوكم بالرجم «أَوْ
 يُعَذِّبُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا» أي: إن عدمتم في ملتهم «أَبَدًا».

﴿أَيُّ الْحَزِينِ﴾ الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَى﴾ أفعال بمعنى أضبط
 ﴿لِمَا لَبِثُوا﴾ للبهيم، متعلق بما بعده ﴿أَمَدًا﴾ غاية. [١٣] ﴿فَتَنْ نَقُصُّ﴾
 نقرأ ﴿عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِيهِ عَامَتُوا بِرَبِّهِمْ وَذَنَّبُوا
 هُدًى﴾. [١٤] ﴿وَوَبَّطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قلوبناهم على قول الحق ﴿وَإِذْ
 قَامُوا﴾ بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّمَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا
 شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شطط؛ أي: إفراط في الكفر إن دعونا إلهاً غير الله،
 قرضاً [١٥] ﴿هَذُلَاءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمَنَا﴾ عطف بيان ﴿أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
 إِلَهَةً لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم ﴿يُسَلِّطِينَ بَيْنَ﴾
 بحجة ظاهرة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾
 بنسبة الشريك إليه - تعالى -.

[١٦] قال بعض الفتيه لبعض: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
 فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾
 بكسر الميم وفتح الفاء، وبالعكس^(١)؛ ما تترفقون به من غداء وعشاء.
 [١٧] ﴿وَرَأَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَعْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٢)
 تميل ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتِ الْيَمِينِ﴾ ناحيته ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبَهُمْ ذَاتُ
 الشِّمَالِ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبته ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾
 متمس من الكهف بناهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿وَمِنْ آيَاتِ
 اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ
 وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

[١٨] ﴿وَتَحَسَّبُهُمْ﴾ لو رأيتمهم ﴿أَيْقَاطَا﴾ أي: متبهمين؛ لأن أعينهم
 مفتوحة، جمع (يقظ) بكسر القاف ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام، جمع راقد
 ﴿وَنُقِلَهُمْ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلْبُهُمْ
 سَبِيطٌ ذِرَاعِيهِ﴾ يديه ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ بفناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب
 هو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا
 [وَلَمُلَمْتَ]﴾ بالتشديد والتخفيف^(٣) ﴿مِنْهُمْ رُعبًا﴾ بسكون العين
 وضمتها^(٤)، منعم الله بالربع من دخول أحد عليهم.

[١٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ أبقظناهم
 ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا
 قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس
 وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول، ثم ﴿قَالُوا﴾ متوقفين في

(١) يفتح الميم وكسر الفاء قراءة نافع وابن عامر.

(٢) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف.

(٣) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير.

(٤) بالضم قراءة الكسائي وابن عامر.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة وأبي عمرو.

(٦) وفي مجمل ما استعجم ليكرى «طَرَسُوس» بضم أوله، وإسكان ثانيه: معروفة، من الثغور الجزيرية. قال أبو حاتم: هكذا يقول الأصمعي. وغيره يقول: «طَرَسُوس»... (٨٩٠/٣).

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ أي: يقول بعضهم: هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كُلَّهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي بعضهم: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ﴾ والقولان لنصارى نجران ﴿رَجَاءً بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظنًا في الغيبة عنهم، وهو راجع إلى القولين معًا، ونصبه على المفعول له، أي: نظرهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُلُّهُمْ﴾ الجملة من المبتدأ وخبره صفة «سبعة» بزيادة الواو، وقيل: تأكيد أو دلالة على لصوق الصفة بالموصوف، ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: أنا من القليل. وذكرهم سبعة^(١) ﴿فَلَا تَعْمَارٍ﴾ تجادل ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ﴾ بما أنزل عليك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ تطلب الفتيا ﴿وَنُفُتُهُمْ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿أَسَدًا﴾.

[٢٣] وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال: «أخبركم به غدا» ولم يقل: إن شاء الله فنزل ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ أي: لأجل شيء ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان [٢٤] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا ملتبشا بمشيئة الله - تعالى - بأن تقول: إن شاء الله ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: مشيئته معلقا بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول، قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس^(٢) ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبَىٰ مِنْ هَذَا﴾ من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي ﴿رُسُلًا﴾ هداية، وقد فعل الله ذلك.

[٢٥] ﴿وَلْيَتُوبَا فِي كَهْفِهِمَا ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ بالتوبين^(٣) ﴿سِتْرَيْنَ﴾ عطف بيان لـ «ثلاثمائة»، وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكهف شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين، وقد ذكرت في قوله: ﴿وَارْجِعَا دُورًا﴾ أي: تسع سنين، فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية.

[٢٦] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتُوبَا﴾ من اختلفوا فيه، وهو ما تقدم ذكره ﴿لَمْ يَغِيبْ السَّحَابَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علمه ﴿أَبْصُرَ بِهِ﴾ أي: بالله هي صيغة تعجب ﴿وَأَسْمِعُ﴾ به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمع، وهما على جهة المجاز^(٤)، والمراد أنه - تعالى - لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَكُمْ لَأَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ دُونِهِ﴾ من ولني ناصر ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ لأنه غني عن الشريك.

[٢٧] ﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ.

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَأَيْنَاهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَسَتُمْ تَحِذُّونَ عَلَيْهِمْ مُّسْجِدًا ﴿١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْنَاهُمْ كُلُّهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ رَجَاءً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُلُّهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَعْمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبَىٰ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٤﴾ وَلْيَتُوبَا فِي كَهْفِهِمَا ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَارْجِعَا دُورًا ﴿٥﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتُوبَا لَعَلَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصُرَ بِهِ وَأَسْمِعَ مَا لَمْ يَمْشِ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ وَلِيٌّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٦﴾ وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٧﴾

[٢١] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَغْتَرْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي: قومهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق أن القادر على إتمامهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غداء، قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا﴾ إذ: معمول لـ «أغترنا» ﴿يَتَنَزَّلُونَ﴾ أي: المؤمنون والكفار ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾ أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فَقَالُوا﴾ أي الكفار: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: حولهم ﴿بُيُوتًا﴾ يستريحهم ﴿رَأَيْنَاهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ﴿أَمْرُ الْفِتْيَةِ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿لَسْتُمْ تَحِذُّونَ عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿مُسْجِدًا﴾ يصلى فيه، وفعل ذلك على باب الكهف.

(١) الظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، وقيل: هم أهل الشرك منهم وليسوا المسمون. وعلى أي حال فقد جله شرعا بتحريم ذلك، قال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يحنز ما فعلوا. رواه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١)، وقال ﷺ: «... أَلَا وَانْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فإني أنذركم عن ذلك». رواه مسلم (٥٣٢).

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عنه [الدر المنثور (٣٩٤/٤)].

(٣) أخرجه نحوه ابن المنذر عن مجاهد [الدر المنثور (٣٩٤/٤)] وذكره محمد بن إسحاق عن ابن عباس كما في تفسير ابن كثير (٧٧، ٧٠/٣)، وضعف إسناده في الاستيعاب (٤٧١/٢).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (١٦٢/٥)، وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق عمرو بن دينار عن عطاء أنه قال: من حلف على يمين فله الثيا حلب ناقة. قال: وكان طاووس يقول: ما دام في مجلسه [الدر المنثور (٣٩٤/٤)].

(٥) وقرأ حمزة والكسائي بغير تنوين.

(٦) بل هما على جهة الحقيقة، نبتهما لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل.

[٢٨] ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ احْسَبْهَا مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُورِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ عِبَادَتَهُمْ وَجْهَهُ﴾ تعالى، لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء «وَلَا تَقْدُ» تنصرف «عَيْنَاكَ عَنْهُمْ» عبر بهما عن صاحبهما «يُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَطْمَعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» أي: القرآن، هو عينة ابن حصن وأصحابه «وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ» في الشرك «وَكُنَّا أَمْرُهُ قُرْطًا» إسرافاً^(١).

[٢٩] ﴿وَقُلْ لَهُ وَأَصْحَابِهِ هَذَا الْقُرْآنُ يَدْعُونَ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ تهديد لهم «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ» أي: الكافرين «نَارًا أَحَاطَ بِهُمْ سُرَادِقُهَا» ما أحاط بها «وَلَنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاوُوا بِمَا كَانُوا يَكْمُلُونَ» كحكر الزيت «يَسْتَوِي الْوُجُوهُ» من حوّه إذا قرب إليها «يَسْأَلُ الشَّرَابُ» هو «وَسَاءَتْ» أي: النار «مُرْتَفَقًا» تمييز منقول عن الفاعل، أي: فتح مرتفقا، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة: «وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا» ولا فأي ارتفاق في النار.

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الجملة خبر «إِنَّ الَّذِينَ»، وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنى: أجروهم؛ أي: نبيهم بما تضمنته.

[٣١] ﴿أُولَئِكَ هُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ إقامه «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ» قيل: «ومن» زائدة، وقيل: للتبعض، وهي جمع أسورة كأحمره، جمع سوار «وَمِنْ ذَهَبٍ وَيَسْبُحُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُندُسٍ» ما رقى من الديباج^(١) «وَيَسْتَبْرَقُونَ» ما غلظ منه، وفي آية الرحمن «يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ»^(٢) «مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ» جمع أريكة، وهي السرير في الحجرة، وهي بيت يزين بالثياب والستور للعرس «وَيَوْمَ الثَّوَابِ» الجزاء الجنة «وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا».

[٣٢] ﴿وَأَصْرِبْ» اجعل «لَهُمْ» للكفار مع المؤمنين «مَثَلًا لَظَالِمِينَ» بدل، وهو وما بعده تفسير للمثل «جَعَلْنَا لِأَكْثَرِهِمُ الْكَافِرَ» جَنَّاتٍ بِسْتَانٍ «مِنْ أَعْنَبٍ وَخَفَقَتُهَا يَنْخُلُ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا» يقاتل به.

[٣٣] ﴿كُلْنَا الْجَنَّتَيْنِ» مفرد يدل على التنبيه، مبتدأ «ءَأَنْتَ» خبره «أَكَلَهُمَا» ثمرها «وَلَمْ تَطْلِقْ» تنقص «وَيَنْتَهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا» أي: شققنا «جَنَّتَهُمَا هَرَا» يجري بينهما.

[٣٤] ﴿وَكُنَّا لَهُمْ» مع الجنتين «نَمْرًا» بفتح الناء والميم، وبضمهما، وبضم الأول وسكون الثاني^(٣)، وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر، وخشبة

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا ۝ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاوُوا بِمَا كَانُوا يَكْمُلُونَ ۝ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُندُسٍ وَيَسْتَبْرَقُونَ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۝ وَاصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا لَظَالِمِينَ جَعَلْنَا لِأَكْثَرِهِمُ الْكَافِرَ ۝ يَنْخُلُ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ۝ كُلْنَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكَلَهُمَا وَلَمْ نَطْلِقْ لَهُمَا شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ۝ وَكَانَ لَهُمَا شَعْرٌ فَقَالَ لِصْلِحِيهِ هُوَ وَمَا بَرَأَهُ أَنَا أَنَا كُنْتُ مِنْكَ مَلَاوًا وَأَعْرَضْنَا ۝

وخشبت، وبدنة وبدن «فَقَالَ لِصَاحِبِهِ» المؤمن «وَهُوَ يُجَاوِرُهُ» يفاخره: «أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا» عشيرة.

(١) ما جاء في نزول الآية (٢٨): أخرج ابن ماجه عن حباب في قوله: «وَلَا تَطْلُقْ أَلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» إلى قوله: «كُنَّا لَهُمُ الْكَافِرَ» قال: جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعد في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حفرهم، فأتوه، فخلوا به، وقالوا: نريد أن نجعل لنا منك مجلس تعرف لنا به العرب فضلاً، فإن وفود العرب تأتيك فستحي أن نرانا العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فأقمهم إن شئت. قال: نعم. قالوا فاكب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بصحيفة ودعا علياً ليكتب، ونحن قوم في ناحية منزل جبريل عليه السلام، فقال: «وَلَا تَطْلُقْ أَلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابٍ مِمَّنْ وَمَا مِنْ جِسْمٍ عَلَيْهِ مِنْ خَمْرٍ تَقْدَرُهُمْ فَتَكُونَ مِنْ كَذَّالِيكَ».

وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركتنا، فأقول الله: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ» لا تجالس الأشراف. «يُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَطْمَعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» يعني عيينة والأقرع «وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا» قال: هلاكاً. قال: أمر عيينة والأقرع ثم ضرب لهم مثل الرجلين، ومثل الحياة الدنيا. قال حباب: فكنا نعد مع النبي ﷺ فإذا بلما الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركتناه حتى يقوم. ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٧) مجالسة الفقراء (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٢٩).

(١) أي الحرير.

(٢) الرحمن: ٥٤.

(٣) بضمهما قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو، وبضم الناء وسكون الميم قراءة أبي عمرو، وبفتح الناء والميم قراءة عاصم.

﴿مِنْ تَرَابٍ﴾ لَأَن آدَمَ خَلَقَ مِنْهُ ﴿ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ مِنِّي ﴿ثُمَّ سَوَّكَ﴾ عَدَلَكَ وَصِيرَكَ ﴿رُجُلًا﴾.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۖ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ ۚ
أَبَدًا ﴿٢٧﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَالِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ
خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٢٨﴾ قَالَ لَهُ، صَاحِبُهُ، وَهُوَ يُحَارِرُهُ، وَأَكْفَرْتَ
بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفِقُهُ ۖ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٢٩﴾
لَكِنَّكَ أَهْوَاءُكَ رَبِّي وَلَا أَشْرَكَ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٠﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ
مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣١﴾ نَعْسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ
عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٣٢﴾ أَوْ يُصْبِحُ
مَاءً هَاغُورًا فَلَنْ يَسْتَطِيعَ لَهُ، طَلَبًا ﴿٣٣﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرْشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٤﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ،
فِتْنَةٌ يَبْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٣٥﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ
لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٣٦﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا كَمَا ۖ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ ۚ نَبَاتٌ الْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٣٧﴾

[٣٥] ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بصاحبه بطوف به فيها ويريه أثمارها، ولم يقل: جنته؛ إرادة للروضة، وقيل: اكتفاء بالواحد ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بالكسر ﴿فَقَالَ مَا أَطْنُ أَنْ يَبْدُ﴾ تنعدم «هذه أبدا».

[٣٦] ﴿وَمَا أَطْنُ أَنْتَاعَهُ فَاسْمَعُ وَلَكِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ في الآخرة على زمحك ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ مرجعا.

[٣٧] ﴿فَقَالَ لَمْ صَاحِبِيْهُ وَهُوَ يُجَاوِزُهُ﴾ يجاوبه: أَكْثَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ

[٣٨] ﴿لَيْكِنَّا﴾ أصله (لكن أنا)، نقلت حركة الهمزة إلى النون أو حذفها الهمزة ثم أضعمت النون في مثلها ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن تفسيره الجملة بعده، والمعنى: أنا أقول: ﴿اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ رَبِّي أَحَدًا﴾.

[٣٩] ﴿وَلَوْلَا إِلهٌ إِلَّا يَدُ اللَّهِ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وفي الحديث: «من أعطي خيراً من أهل أو مال فيقول عند ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ لم ير فيه مكروهاً»^(١) ﴿إِنْ سَرَنْتُ أَنْأَ ضَمِيرُ فَصْلٍ بَيْنَ الْمُفْعُولَيْنِ أَقَالَ مِنْكَ مَا لَوْ وَلَوْلَا﴾.

[٤٠] ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤَيِّنَ حَيْرًا مِّنْ حَيْرِكَ﴾ جواب الشرط ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حَبِيبَاتًا﴾ جمع حسيانة؛ أي: صواعق ﴿وَمِنَ السَّمَاءِ فُلُجٌ مِّمَّ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أرضا لمساء لا يثبت عليها قدم [٤١] ﴿أَوْ يُبْعِثَ مَادًّا غَوْرًا﴾ بمعنى: غائرا، عطف على ﴿يُرْسِلَ﴾ دون ﴿تُفْصِحُ﴾؛ لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَا﴾ حيلة تدركه بها.

[٤٢] ﴿وَأُحْضِرَ إِسْرَافًا﴾ بأوجه الضبط السابقة^(١) مع جنته بالهلاك فهلكت ﴿فَأَمْسَجَ يَدَيْهِ كَعَيْنٍ﴾ ندما وتحسرا ﴿عَلَىٰ مَا أَفْقَىٰ﴾ فيها في عمارة جنته ﴿وَهِيَ حَاطِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عَرْوِهَا﴾ دعائمها للكرم بأن سقطت، ثم سقط الكرم ﴿وَيَقُولُ يَا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ عَنِّي إِسْرَافِي﴾

[٤٣] ﴿وَلَمْ تَكُنْ﴾ بالباء والياء ^(٣) ﴿لَمْ يَفْتَنُ﴾ جماعة ﴿يَصْرُوفُهُ مِنْ ذُونِ﴾
 اللَّهُ ﴿عَنْدَ هَلاَكِهَا﴾ وَمَا كَانَ مُنْصَرَفًا ﴿عَنْدَ هَلاَكِهَا﴾ بِنَفْسِهِ.

[٤٤] ﴿هَآلِكَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الْأَوَّلِ﴾ بفتح الواو: النصرة، وبكسرهما^(٤): الملك ﴿لِلَّهِ﴾ [الْحَقُّ] بالرفع صفة «الولاية»، وبالجر صفة «الجلالة»^(٥) ﴿هُوَ حَيٌّ ذَوَاكِرَ﴾ من ثواب غيره لو كان يثيب ﴿وَسَيَرُ﴾ [عَفْنًا] بضم القاف وسكونها^(٦) عاقبة للمؤمنين، ونصبهما على التمييز.

[٤٥] ﴿وَاضْرِبْ﴾ صَبَّرَ ﴿لَهُمْ﴾ لقومك ﴿مِثْلَ الْخَيْفَةِ﴾ الْخَيْفَةُ الدُّنْيَا ﴿مَفْعُولٌ أَوَّلٌ كَمَاؤُ﴾ مَفْعُولٌ ثَانِي ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ﴾ فَأَنْزَلْنَا بِرِيءٍ ﴿تَكَافَأَ﴾ بِسَبَبِ فَرْزُولِ الْمَاءِ ﴿بِأَثِّ الْأَرْضِ﴾ أَوْ امْتَرَجَ الْمَاءُ بِالنَّبَاتِ فَرَوِي وَحَشَرٌ ﴿فَأَصْبَحَ﴾ حَصَارِ النَّبَاتِ ﴿هَشِيمًا﴾ يَابَسًا مَتَفَرِّقَةً أَجْرَاؤُهُ ﴿وَلَذُوقٌ﴾ تَنْشَرُهُ وَتَفَرِّقُهُ ﴿الرَّيْحُ﴾ فَتَذْهَبُ بِهِ، الْمَعْنَى: شَبِهَ الدُّنْيَا نَبَاتٍ حَسَنٍ قَبِيصٍ فَتَكْشَرُ فَتَفَرِّقُهُ الرِّيحُ، وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿الرَّيْحُ﴾^(٧) ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ مُثْقَلٌ﴾ قَادِرًا.

(١) لم أجدّه بهذا اللفظ. وأخرج نحوه أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس مرفوعاً بلفظ: «ما أنعم الله على عبد نعمة» من أهل أو مالي أو ولد، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، إلا دفع الله عنه كل آفة، حتى ثابته ميتة». وانظر: «الدرر المشورة» (٤/٤٠٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٦).

(٢) أي: السابق بيانها في قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ وللقرءاء أنفسهم.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٤) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٥) بالرفع قراءة الكسائي وُبي عمرو.

(٦) بالسكون قرأ عاصم وحمزة، وقرأ الباقر بالصم.

(٧) الحمزة والكسائي.

[٤٦] ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتجمل بهما فيها ﴿وَالْبَاقِيَتُ أَخْسَرُ مِنْهُمَا﴾ هي: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، زاد بعضهم: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(١) «خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا» أي: ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله - تعالى ..

[٤٧] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتَقَاتُوا﴾ يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباءً منبثًا، وفي قراءة بالنون وكسر الباء ونصب «الجال» ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ تَقَاتُوا﴾ تركت ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

[٤٨] ﴿وَعَرَّضُوا عَنْ رَبِّكَ صَفًا﴾ حال؛ أي: مصطفين كل أمة صف، ويقال لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: فرادى حفاة عراة غرلاً، ويقال لمنكري البعث: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ خَفَافَةٌ مِنَ الْثِقَالِ﴾ أي: أنه ﴿أَنْ تَجْعَلَ لِكُلِّ مَوْعِدَةٍ لِلْبَعثِ﴾.

[٤٩] ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين، وفي شماله من الكافرين ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مُتَشَفِّعِينَ﴾ خائفين ﴿وَمِمَّا فِيهِمْ وَيَقُولُونَ﴾ عند معابعتهم ما فيه من السيفات: ﴿يَا لِلَّهِ لَتُنَتِّقَنَّ﴾ وتلتفتن هلكتنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ من ذنوبنا ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ عددا وأنتها، تعجبوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ ميثاقا في كتابهم ﴿وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن.

[٥٠] ﴿وَإِذْ﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿فَلَنَّا لِلْمَلَكَةِ أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا انحناء لا وضع جبهة^(٢) تحية له ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قيل: هو نوع من الملائكة، فالاستثناء متصل، وقيل: هو منقطع^(٣)، وإبليس هو أبو الجن، فله ذرية ذكرت معه بعد، والملائكة لا ذرية لهم ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عن طاعته ترك السجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ الخطاب لآدم وذريته، والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ تطيعونهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عُذْرٌ﴾ أي: أعداء حال ﴿يَتَّبِعُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة الله.

[٥١] ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ أي: إبليس وذريته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: لم أحضر بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنْتُمْ مَتَّخِذِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشياطين ﴿عُضْدًا﴾ أعوانا في الحق، فكيف تطيعونهم؟! ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون^(٤): ﴿نَادُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾

[٥٢] ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون^(٥): ﴿نَادُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾

(١) أخرجه أحمد في المسند (٧١/١) موقوفاً على عثمان بن عفان رضي الله عنه ما سئل: فما الباقيات يا عثمان؟ قال: «هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله». قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٥١٣): إسناده صحيح.

وأخرجه أحمد في المسند (٧٥/٣) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً به، والحاكم في مستدركه (٥١٢/١) وصححه وأقره الذهبي. وصححه ابن حبان (الإحسان ١٠٢/٢)، وقال المناوي: «قال الهيثمي: إسناده أحمد حسن، فيض القدير (٤٩٩/١). وضعه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٨).

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بالوقف بالنون، وكسر الباء ونصب «الجال».

(٣) قال القرطبي: اختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفاقهم على أنه لم يكن السجود عبادة، فقال الجمهور: كان هذا أمراً للملائكة بوضع الجباه على الأرض؛ كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع.

(٤) وهذا القول هو الصحيح الذي تشهد له النصوص؛ فإبليس ليس من الملائكة، ولا نوعاً منها كما ذكر البعض؛ لأنه خلق من نار، والملائكة خلقت من نور كما في حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وخلقت الملائكة من نور، وخلق الخان من مارح من نار، وخلق آدم مما وصف لكم». رواه مسلم (٢٩٩٦). وهل هو أصل الجن أم واحد منهم؟ قولان لأهل العلم؛ ذهب الجلالان إلى أنه أصل الجن، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى (٢٣٥/٤، ٣٤٦).

(٥) بالنون قراءة حمزة.

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ أَخْسَرُ مِنْهُمَا وَتَرَى عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا مِمَّا كَانُوا وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ فِي مَقَابِهِمْ وَيَقُولُونَ بَوَيْلَ لَنَا مَا هَذَا الصَّكِّبِ لَا يَعَادُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مَتَّخِذِ الْمُرْسَلِينَ عُضْدًا وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَوْمَ تَأْتِي السَّحَابُ عَدِيدٌ كَالْإِبْرَةِ الْيَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَوْبِقًا وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا

يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ لَمْ يجيبوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿مَوْبِقًا﴾ وادئاً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً، وهو من (وَبَقَ) بالفتح: هلك.

[٥٣] ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ أي: واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلاً.

فاعل؛ أي: سنتنا فيهم، وهي الإهلاك المقدر عليهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾^(١) مقابلة وعياناً، وهو القتل يوم بدر، وفي قراءة بضمين جمع (قيل)؛ أي: أنواعاً.

[٥٦] ﴿وَمَا يُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ مخوفين للكافرين ﴿وَيُحْدِثُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ بقولهم: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بُشْرًا رَسُولًا﴾^(٢) ونحوه ﴿لِيُدْخِلُوا بِهِ﴾ ليطولوا بجدهم ﴿لَعَنَ﴾ القرآن ﴿وَأَخَذُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أُذِرُوا﴾ به من النار ﴿هَؤُلَاءِ﴾ سخريه.

[٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أعطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي: من أن يفهموا القرآن؛ أي: فلا يفهمونه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلًا فلا يسمعون ﴿وَلَنْ نَذَرُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا﴾ أي: بالجعل المذكور ﴿أَبَدًا﴾.

[٥٨] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُكُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ في الآخرة ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا﴾ ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[٥٩] ﴿وَلِلَّهِ الْقُرَى﴾ أي: أهلها؛ كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿وَجَعَلْنَا [لَهُمْ] هَيْكَلًا﴾^(٣) لإهلاكهم، وفي قراءة بفتح الميم؛ أي: لهلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾.

[٦٠] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران ﴿لِقَتْلِهِ﴾ يوشع بن نون، كان يتبعه ويخدمه يأخذ عنه العلم: ﴿لَا أَنبَحُ﴾ لا أزال أسير ﴿حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق؛ أي: المكان الجامع لذلك ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ دهرًا طويلاً في بلوغه إن بعد.

[٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ بين البحرين ﴿بَيْنَهُمَا حُوتًا﴾ نسي يوشع حمله عند الرحيل، ونسي موسى تذكره^(٤) ﴿فَأَخَذُوا الْحُوتَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ أي: جعله يجعل الله ﴿سَرًّا﴾ أي: مثل السر، وهو الشق الطويل لا نفاذ له، وذلك أن الله - تعالى - أمسك عن الحوت جري الماء، فاجاب عنه فيقي كالكرة لم يلبثم وجمد ما تحته منه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شِقْوَةً جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَا وَلَيْنَ أَوْيَاتِيَهُمُ الْعَذَابُ فُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُحْدِثُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْخِلُوا بِهِ الْحَقَّ وَتُخَذُوا عَيْنِي وَمَا أُذِرُوا هَؤُلَاءِ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا نَحْنُ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٨﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٠﴾

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بَيَّنَّا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لخدوف؛ أي: مثلاً من جنس كل مثل ليعطوا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾؛ أي: الكافر ﴿أَكْثَرَ شِقْوَةً جَدَلًا﴾ خصوصية في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم كان، المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه.

[٥٥] ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ مفعول ثانٍ ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَا وَلَيْنَ﴾

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ الباقون ﴿قُبُلًا﴾ بضمين.

(٢) الإسراء: ٩٤.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ شعبة بفتح الميم واللام الثانية، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام الثانية.

(٤) أكثر المفسرين على أنهما حملتا الحوت معهما، وهو الصحيح لموافقة حديث البخاري الآتي، كما أن ظاهر سياق الآيات يشهد له، وقيل: إنما نسب النسيان إليهما، مع أنه من الفتى وحده؛ للصحة، كقوله - تعالى -: ﴿يَحْمِلُهُمَا الْعُتُقُورُ﴾، وفي رواية حديث البخاري: «فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت»، وفيها أن الفتى هو الذي نسي تذكر موسى، خلاف ما ذكره المفسر. البخاري (٤٧٢٦).

ما قبله؛ لعدم العذر هنا. [٧٦] ولهذا ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصِغْتِي﴾ لا تتركني أتبعك ﴿فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي﴾ بالتشديد والتخفيف^(١) من قبلي ﴿عَذَابًا﴾ في مفارقتك لي.

[٧٧] ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية^(٢) ﴿اسْتَظْعَمُوا أَهْلُهَا﴾ طلبا منهم الطعام بضيافة ﴿قَائِلِينَ أَنْ يُضْفِيَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ ارتفاعه مائة ذراع^(٣) ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ﴾ أي: يقرب أن يسقط ليلانه ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الحضر بيده ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَنَزَّلْتَ﴾^(٤)، وفي قراءة: ﴿لَتَنَزَّلْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ مجفلاً، حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام. [٧٨] ﴿قَالَ﴾ له الحضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ﴾ أي: وقت فراق ﴿يُنِي وَبَيْنَكَ﴾ فيه إضافة (بين) إلى غير متعدد، سوَّغها تكريره بالعطف بالواو ﴿سَأَيْتُكَ﴾ قبل فراقي لك ﴿يَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

[٧٩] ﴿أَتَا السَّفِينَةَ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾ عشرة ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ بها مؤاجرة لها؛ طلباً للكسب ﴿فَارْتَدَّتْ أَنْ أَيْبَسَ وَكَانَ رَدَّاهُمْ﴾ إذا رجعوا، أو أمامهم الآن ﴿تِلْكَ﴾ كافر ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَصَبًا﴾ نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ. [٨٠] ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آتُواهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ فإنه كما في حديث مسلم^(٥) طبع كافراً، ولو عاش لأرهمهما ذلك لمحبتهم له، يتبعانه في ذلك. [٨١] ﴿فَارْتَدَّا أَنْ يَتَذَلَّعَا﴾ بالتشديد والتخفيف^(٦) ﴿رُحْمًا سَبْرًا مِنْهُ زَكَاةٌ﴾ أي: صلاحاً وثقًى ﴿وَأَقْرَبَ﴾ منه ﴿رُحْمًا﴾ بسكون الحاء وضمها^(٧)؛ رحمة؛ وهي: البر بوالديه، فأبدلها - تعالى - جارية تزوجت نبيّاً فولدت نبيّاً، فهدى الله - تعالى - به أمة^(٨). [٨٢] ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ مَالٌ مَدْفُونٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفُضَّةٍ﴾ أي: ذهباً وفضة ﴿وَأَبَاهُمَا صَالِحَانِ﴾ فحفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي: إنباس رشدتهما ﴿وَيَسْتَخِرَا كَرَاهِمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾

مفعول له عامله، أراد ﴿وَمَا قَعَلْتُمْ﴾ أي: ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ أي: اختياري بل بأمر إلهام^(٩) من الله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ يقال: استطاع واستطاع بمعنى أطاق، ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين، وتوَّعت العبارة في ﴿فَارْتَدَّتْ﴾، ﴿فَارْتَدَّا﴾، ﴿فَارَادَ رَبُّكَ﴾^(١٠). [٨٣] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي: اليهود ﴿عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ اسمه الإسكندر^(١١)، ولم يكن نبيّاً ﴿قُلْ سَأَلْتُوهُ﴾ ساقص ﴿عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾ من حاله ﴿ذِكْرًا﴾ خبراً.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِغْتِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذَابًا فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَظْعَمُوا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضْفِيَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ فَأَقَامَهُ وَ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَنَزَّلْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأَيْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَارْتَدَّتْ أَنْ أَيْبَسَهَا وَكَانَ رَدَّاهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آتُواهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَارْتَدَّا أَنْ يَبْدُلَهُمَا رُحْمًا حَيْرَانًا مِنْهُ زَكَاةٌ وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخِرَا كَرَاهِمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا قَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَلْتُوهُ عَلَيْهِمْ ذِكْرًا

عَلَّمَكَ لَمْ يَلِغَ الْجَنَّتْ^(١) يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهاً ﴿فَقَتَّلَهُ﴾ الحضر بأن ذبحه بالسكين مضطجعا، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوال^(٢)، وأتى هنا بالفاء العاطفة؛ لأن القتل عقب اللقاء، وجواب «إذا»: ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَاكِيًا﴾^(٣)؛ أي: طاهرة لم تبلغ حد التكليف، وفي قراءة ﴿زَكِيَّةً﴾ بتشديد الياء بلا ألف ﴿يَعْبَرُ نَفْسِينَ﴾ أي: لم تقتل نفساً ﴿فَقَدْ جَنَّتْ شَيْئًا ذِكْرًا﴾ بسكون الكاف وضمها^(٤)؛ أي: منكراً. [٧٥] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ زاد «لك» على

(١) أي لم يبلغ حد التكليف.

(٢) وهي قرعة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿زَكِيَّةً﴾ بتشديد الياء وبلا ألف.

(٣) بالضم قراءة نافع وشعبة وابن ذكوان.

(٤) في صحيح مسلم وصف أهل القرية بكونهم «لغافاً» أي بخلاء. وفي: إن هذه القرية هي «أنطاكية» كما ذكر المصنف، وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو: المضيق الجامع بين البحرين؛ «المنوسط» و«الأسودة»، وقال الشهابي: هي: «زَوْفَةُ» في المغرب. وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو المضيق المعروف بمضيق جبل طارق، الجامع بين البحر «المنوسط» والمحيط الأطلسي. أما ما ذكره المصنف من كون «مجمع البحرين» ملتقى بحر الروم وفارس مما يلي المشرق فقد تعقبه الشيخ صفي الرحمن المباركفوري بقوله: «بحر الروم لا يلتقي ببحر فارس في أي مكان، بل بينهما حاجز شاسع من الأرض لا يبغيان، والظاهر أنه ملتقى خديج السويس بخليج العقبة قرب شرم الشيخ. والله أعلم» ١. ص (٣١١). وانظر كلام القاضي كعاب في قرة العين ص (٣٨٩، ٣٩١).

(٥) مسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب مرفوعاً، ولفظ البخاري: «فكان كافراً» (٣١٤٩).

(٦) هذا الذي ذكره المفسر. رحمه الله. يحتاج إلى دليل عليه، ولا دليل. وقال القرطبي: «قال علمنا: وهذا بعيد».

(٧) اختار المصنف أن الحضر كان ولياً ولم يكن نبيّاً، وعلى القول الآخر يكون هذا وحياً لا إلهاماً. والله أعلم.

(٨) وذلك على سبيل التأنيب مع الله، ينسب ما طاهره لإفساد محض إلى نفسه، وما نفع محض إلى الله تعالى.

(٩) ليس هناك دليل صحيح على ما ذهب إليه المصنف، ثم الظاهر أنه يعي الإسكندر المقدوني، وقد كان من المشركين وليس من المسلمين، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله الصالحين.

(٢) والأولى الإعراف عن ذكر كل هذه الأقوال؛ لعدم ثبوتها، ولعدم الفائدة منها.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وشعبة، وأسكن شعبة الدال وأشبهها بالضم.

(٤) في صحيح مسلم وصف أهل القرية بكونهم «لغافاً» أي بخلاء. وفي: إن هذه القرية هي «أنطاكية» كما ذكر المصنف، وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو: المضيق الجامع بين البحرين؛ «المنوسط» و«الأسودة»، وقال الشهابي: هي: «زَوْفَةُ» في المغرب. وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو المضيق المعروف بمضيق جبل طارق، الجامع بين البحر «المنوسط» والمحيط الأطلسي. أما ما ذكره المصنف من كون «مجمع البحرين» ملتقى بحر الروم وفارس مما يلي المشرق فقد تعقبه الشيخ صفي الرحمن المباركفوري بقوله: «بحر الروم لا يلتقي ببحر فارس في أي مكان، بل بينهما حاجز شاسع من الأرض لا يبغيان، والظاهر أنه ملتقى خديج السويس بخليج العقبة قرب شرم الشيخ. والله أعلم» ١. ص (٣١١). وانظر كلام القاضي كعاب في قرة العين ص (٣٨٩، ٣٩١).

(٥) مسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب مرفوعاً، ولفظ البخاري: «فكان كافراً» (٣١٤٩).

(٦) هذا الذي ذكره المفسر. رحمه الله. يحتاج إلى دليل عليه، ولا دليل. وقال القرطبي: «قال علمنا: وهذا بعيد».

(٧) اختار المصنف أن الحضر كان ولياً ولم يكن نبيّاً، وعلى القول الآخر يكون هذا وحياً لا إلهاماً. والله أعلم.

(٨) وذلك على سبيل التأنيب مع الله، ينسب ما طاهره لإفساد محض إلى نفسه، وما نفع محض إلى الله تعالى.

(٩) ليس هناك دليل صحيح على ما ذهب إليه المصنف، ثم الظاهر أنه يعي الإسكندر المقدوني، وقد كان من المشركين وليس من المسلمين، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله الصالحين.

[٨٤] ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ سُبُلًا يَتسَبَّلُ فِيهَا﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وَمَا يَنْتَهَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبًا﴾ طريقًا يوصله إلى مراده.

[٨٥] ﴿فَاتَّبَعُوا سَبِيلًا﴾ سلك طريقًا نحو الغرب.

[٨٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الْأَشْمُسِ﴾ موضع غروبها ﴿وَبَدَّهَا نُجُومٌ فِي عَرَبٍ حَمًى﴾ ذات حمأة وهي الطين الأسود، وعروبها في العين في رأي العين، وإلا فهي أعظم من الدنيا^(١) ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ أي: العين ﴿قَوْمًا﴾ كافرين ﴿فَلَمَّا يَدَّا الْفَرِيقَيْنِ﴾ بالهام ﴿إِنَّا أَنْ نَعُدَّ بِ الْقَوْمِ بِالْقَتْلِ﴾ وإِنَّا أَنْ نُنَجِّدَ فِيهِمْ خُسْنًا بالأسر.

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بالشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ نقلته ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا﴾ بسكون الكاف وضمها^(٢) شديدًا في النار.

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ﴾^(٣) الْحُسْنَىٰ ﴿أَي: الجنة، والإضافة للبيان، وفي قراءة: بنصب ﴿جَزَاءً﴾ وتوניה، قال الفراء: ونصبه على التفسير؛ أي: لجهة النسبة^(٤) ﴿وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرًا يَسْرًا﴾ أي: تأمره بما يسهل عليه.

[٨٩] ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا﴾ نحو المشرق.

[٩٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ موضع طلوعها ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم الزُّنُجُ ﴿ثُمَّ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا﴾ أي: الشمس ﴿سَبِيلًا﴾ من لباس ولا سقف؛ لأن أرضهم لا تحمل بناء^(٥)، ولهم سروب^(٦) يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها.

[٩١] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كما قلنا ﴿وَقَدْ أَحْطَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: عند ذي القرنين من الآلات والجد وغيرهما ﴿خَيْرًا﴾ علمًا.

[٩٢] ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا﴾.

[٩٣] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّيْنِ﴾ بفتح السين وضمها^(٧)، هنا وبعدهما^(٨)؛ جبالا بمنقطع بلاد الترك^(٩)، سد الإسكندر ما بينهما كما سيأتي.

﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: أمامهما ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي: لا يفهمونه إلا بعد بضع، وفي قراءة بضم الباء وكسر القاف^(١٠).

[٩٤] ﴿قَالُوا يَدَّبَّا الْقَرْيَتَيْنِ﴾ يَنْ يَجُوجُ وَمَاجُوجُ ﴿بِالْهَمَزِ وَتَرَكَهُ﴾^(١١) هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالنهْبِ والبغي عند خروجهم إلينا ﴿فَبَدَّلَ لَكَ خَيْرًا﴾ جَعَلًا من المال، وفي قراءة: ﴿خَرَجًا﴾^(١٢) ﴿عَلَّ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزًا فلا يصلون إلينا.

[٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ وفي قراءة: بنونين من غير إدغام^(١٣) ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ من المال وغيره ﴿خَيْرٌ﴾ من خرجكم الذي جعلونه لي، فلا حاجة بي إليه، وأجعل لكم السد تبرعًا ﴿فَاعِيشُوا بِقَوْمٍ﴾ لما أطلبه منكم ﴿أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾

رَدْمًا حاجزًا حصينًا.

[٩٦] ﴿أَتُونِي زُرَّيرَ الْحَدِيدِ﴾ قطعه، على قدر الحجارة التي يبنى بها، فبنى بها، وجعل بينها الحطب والفحم ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَتْ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثاني^(١٤)؛ أي: جانبي الجبلين بالبناء، ووضع المنافع والنار حول ذلك ﴿قَالَ نُفْحُوا﴾ نفخوها ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ﴾ أي: الحديد ﴿نَارًا﴾ أي: كالنار ﴿أَتُونِي أَوْعِيَّ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ هو النحاس المذاب، تنازع فيه الفعلان، وحذف من الأول^(١٥)؛ لإعمال الثاني، فأفرغ النحاس المذاب على الحديد الشحقي فدخل بين زبره فصارا شيئًا واحدًا.

[٩٧] ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ أي: يأجوج ومأجوج ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا ظهره؛ لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقَابٌ﴾ لصلابته وسكبه.

(١) لعله يقصد أعظم من الأرض، أو أرض الدنيا.

(٢) وهي فراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ الباقون بنصب «جزاء» والتثنية.

(٣) أي نسمة الخير الملقمة إلى المبدأ المؤخر، وتقديره: «فله أحسن ثبوت بها جزاء».

(٤) قال القاضي كنعان: «... لا وجه له؛ لأنه لا يوجد مكان في الأرض لا يحمل بناء...» قرة العينين ص (٣٩٣) هامش (١).

(٥) قال القاضي كنعان: «قوله: «لهم سروب» يناقض نفي الستر في الآية... فيكون المعنى الصحيح: قوم لا ينحدون شيئًا يستترهم من الشمس» السابق ص (٣٩٣) هامش (١).

(٦) بالضم قراءة السبعة عند ابن كثير وأبي عمرو وحفص. (٨) أي: في هذه الآية، وفي قوله الآتي: ﴿عَلَّ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]، فقرأ في بالضم نافع وابن عامر وشعبة.

(٩) هذا الذي قطع به المصنف من أن السد في بلاد ترك لا دليل عليه.

(١٠) لحمزة والكسائي.

(١١) بالضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وبضم فسكون قراءة شعبة.

(١٢) أي هو وصميره، والأصل: أتوني قطرًا أفرغ عليه قطرًا.

(١٣) بترك الهمزة قراءة السبعة عند عاصم. (١٤) حمزة والكسائي.

(١٥) لابن كثير.

[١٠١] ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بدل من «الكافرين» ﴿فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: القرآن، فهم عمي لا يهتدون به ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلوهم عليهم بغضا له فلا يؤمنون به.

[١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أي: ملائكتي وعيسى وعزير ﴿مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ أربابا مفعول ثانٍ لـ «يتخذوا»، والمفعول الثاني لـ «حسب» محذوف، المعنى: أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه؟ كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا﴾ أي: هي معدة لهم كالنزل المعد للضيف.

[١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تمييز طابق المميز^(٢)، ويتهم بقوله: [١٠٤] ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بطل عملهم ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملا يجازون عليه.

[١٠٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أي: وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿وَلِحُطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ أي: لا تجعل لهم قدرا.

[١٠٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر الذي ذكرت عن حبوط أعمالهم وغيره، مبتدأ، خبره: ﴿حَرَّزْنَاهُمْ بِهِمْ يَمَّا كَفَرُوا وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ وَزَنًا﴾ أي: مهزوزا بها.

[١٠٧] ﴿بِئْسَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّتُ الْفُرُوسِ﴾ هو وسط الجنة وأعلامها، والإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا﴾ منزلا.

[١٠٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنَّا جُولًا﴾ تحولا إلى غيرها.

[١٠٩] ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا الْبَاطِلُ﴾ أي: ماؤه ﴿وَمَدَادًا﴾ هو ما يكتب به ﴿لِكُنْتُمْ رَبِّي﴾ الدالة على حكمه وعجابه^(٣) بأن تكتب به ﴿لَنُقَدِّمَ الْبَحْرَ فِي كِتَابَتِهِ﴾ قُلْ أَنْ نَقْدَقَ بالناء والياء^(٤): تفرغ ﴿لِكُنْتُمْ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي: البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هي، ونصبه على التمييز^(٥).

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحِيدٌ﴾ المكشوفة بـ «ما» باقية على مصدريتها، والمعنى: يوحى إليّ وحدانية الإله ﴿فَنَرَىٰ كَانِ يَحْرَأَ﴾ يأمل ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها بأن يراني ﴿أَمَّا﴾.

قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٠٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ مَجْمَعًا ﴿١٠٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١١١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١١٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيرُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحُطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا الْبَنِيَّ وَرُسُلِي هُزُلًا ﴿١١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١١٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَدًا لَكُنْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحِيدٌ فَمَنْ كَانَ يَنْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١٢٠﴾

[٩٨] ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَذَا﴾ أي: السد؛ أي: الإقدار عليه ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّي﴾ نعمة^(١)؛ لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم القريب من البعث ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ مذكورا مبسوطا ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقًّا﴾ كاشا.

[٩٩] قال - تعالى -: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: القرن للبعث ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ مَجْمَعًا﴾ أي: الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمًّا﴾.

[١٠٠] ﴿وَعَرَضْنَا﴾ قربنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (١٠٩). أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح. فسأوه عن الروح، فأقر الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية. قالوا: أوتينا علمك كثيرا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي حيرا كثيرا، فأولت: ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا الْبَاطِلُ مَدَادًا لِكُنْتُمْ رَبِّي لَنُقَدِّمَ الْبَحْرَ﴾ إلى آخر الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة الإسراء. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وتفسيرها بها من قصر لعام على بعض أفرادها، فضلا عن كونه من أبواب التأويل ونفي صفة الرحمة عن الله ﷻ كما هي طريقة المصنف - غفر الله لنا وله. (٢) أي في الجمع، فـ «أعمالا» تمييز جاء محققا مطابقا للتمييز وهو «الأحسرين».

(٣) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، وكلمات لله ﷻ تشمل كلامه - سبحانه - وحكمه وآياته الدالة عليه، وهذا لأن المصنف - غفر الله لنا وله - يقول بالكلام النفسي، ولا يثبت الكلام لله ﷻ على الوجه اللائق به كما هي طريقة السلف.

(٤) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مكية، أو: إلا سجدها فمدنية، أو إلا: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَٰدِيهِمْ خَلْفًا﴾ الآيتين فمدنيتان، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية، نزلت بعد فاطر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿كَهَيِّصَ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] هذا ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ﴾ مفعول ﴿رَحْمَتِ﴾ ﴿رَكَرَكَ﴾ بيان له.

[٣] ﴿إِذْ﴾ متعلق بـ ﴿رَحْمَتِ﴾ ﴿نَادَىٰ رَبُّهُ يَدَّاءُ﴾ مشتملاً على دعاء ﴿حَافِيَا﴾ سراً جوف الليل، لأنه أسرع للإجابة.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنٌ﴾ ضعف ﴿الْعَظْمُ﴾ جويغفه ﴿مِنِّي﴾ وأشغلت الرأس ﴿مَنِي﴾ ﴿شَيْبَا﴾ تمييز محول عن الفاعل ^(١)؛ أي: انتشر الشيب في شعره؛ كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوك ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ أي: بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَيْبًا﴾ أي: خائباً فيما مضى، فلا تخيبني فيما يأتي.

[٥] ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أي: الذين يلوني في النسب؛ كني الغم ﴿مِنْ وَرَأَى﴾ أي: بعد موتي على الدين أن يضيغوه، كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿وَكَاَنَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ ابناً.

[٦] ﴿يَرْتَضَىٰ﴾ ^(٢) بالجرم: جواب الأمر، وبالرفع: صفة ﴿وَلِيًّا﴾ ﴿وَيَرْثُ﴾ بالوجهين ^(٣) ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ جدِّي، العلم والنسب ﴿وَأَجْمَلَهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مرضياً عندك.

[٧] قال - تعالى - في إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته: ﴿يَزَكِّرُنَا إِنَّا كُنَّا بِكَ بِغُلَامٍ﴾ يرث كما سألت ﴿أَسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ لم يجعل له من قبل شيئاً، أي: مسمى يحيى.

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ و﴿كَانَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ وقد بلغت من العكبر [عنتاً] ^(٤) ﴿مِنْ عَتَا﴾ ييس: أي: نهاية السن مائة وعشرين سنة، وبلغت امرأته ثمانين سنة، وأصل «عنتي»: «عُثُو»، وكسرت التاء تخفيفاً، وقلب الواو الأولى ياءً لمناسبة الكسرة، والثانية ياءً لتدغم فيها الياء.

[٩] ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق غلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰذَا﴾ أي: بأن أود عليك قوة الجماع، وأفيت رجماً امرأتك للغلو ﴿وَقَدْ

سورة مريم

كَهَيِّصَ ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ رَكَرَكَ﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ يَدَّاءَ حَافِيَا ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَىٰ وَكَانَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْتَضَىٰ وَيَرْثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿يَزَكِّرُنَا إِنَّا كُنَّا بِكَ بِغُلَامٍ أَسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰذَا﴾ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً﴾ قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾

خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا قبل خلقك، ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال؛ ليجاب بما يدل عليها.

[١٠] ولما تأقت نفسه إلى سرعة المبشر به ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ عَلَيْهِ﴾ ءَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ أي: تتمتع من كلامهم؛ بخلاف ذكر الله ﴿فَلَنَكَلِّمَ لَيْلًا﴾ أي: بأيامها؛ كما في آل عمران ثلاثة أيام ﴿سَوِيًّا﴾ حال من فاعل ﴿تُكَلِّمُ﴾ أي: بلا علة.

[١١] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه؛ يصلوا فيه بأمره على العادة ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ أشار ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أوائل النهار وأواخره على العادة، فعلم يخبرهم من كلامهم خفلاً يحيى.

(١) تقديره: اشتعل شيب رأسي.

(٢) للكسائي وأبي عمرو وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) أي بالجرم والرفع، والجرم للكسائي، وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالرفع.

(٤) بضم العين، وهي قراءة سبعة أبي عمرو وشعبة ونافع وابن كثير، وقرأ الباقون ﴿عِنِّي﴾ بكسر العين.

[١٥] ﴿وَسَلَّمَ﴾ منا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: في هذه الأيام المخوفة التي يَرَى ما لَمْ يَرَهُ قَبْلَهَا؛ فهو آمِن فيها.

[١٦] ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ الْقُرْآنَ﴾ مَرْيَمَ ﴿أَي: خَيْرَهَا﴾ (إِذْ) حِينَ أَنْبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿أَي: اعترلت في مكان نحو الشرق من الدار.

[١٧] ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أرسلت سترا تستتر به؛ لِثُفْلِي رَأَتْهَا أَوْ ثِيَابِهَا أَوْ تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضِهَا ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ تام الخلق.

[١٨] ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا﴾ فتنهني عني بتعويدي.

[١٩] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ (لِلْهَبِ) ﴿لَكَ عَلَمًا نَكَيًا﴾ بالنبوة.

[٢٠] ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ﴿وَلَمْ أَكُ نَكِيًّا﴾ زانية.

[٢١] ﴿قَالَ الْأَمْرُ﴾ كَذَلِكَ ﴿مِنْ خَلْقِ غُلَامٍ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ آبٍ﴾ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ ﴿أَي: بَأَن يَنْفَخُ بِأَمْرِي جبريل فيك فتحملي به، ولكن ما ذَكَرُ في معنى العلة؛ غَطَّفَ عليه: ﴿وَلَيَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَن آمَنَ بِهِ ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمْرًا قَصِيًّا﴾ به في علمي؛ فنفع جبريل في جيب درعها؛ فأحسست بالحمل في بطنها مُصَوِّرًا.

[٢٢] ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ﴾ تَحْتُ ﴿بِهِ﴾ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿بَعِيدًا مِنْ أَهْلِهَا﴾.

[٢٣] ﴿فَأَلَّاءَ هَا﴾ جاء بها ﴿الْمَخَاضُ﴾ وَجَعُ الْوِلَادَةِ ﴿إِلَى جَذَعِ النَّخْلَةِ﴾ لتعتمد عليه؛ فولدت، والحمل والتصوير والولادة في ساعة^(٤) ﴿قَالَتْ يَا أَيُّ النَّبِيِّ﴾ (يَتَّبِعِي) مَثَ قَبْلَ هَذَا ﴿الْأَمْرُ﴾ ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا﴾ شيئًا متروكًا لا يعرف ولا يذكر.

[٢٤] ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: جبريل، وكان أَشْفَلَ مِنْهَا^(٥) ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سَرِيًّا ﴿نَهَزَ مَاءٌ كَانَ قَدْ انْقَطَعَ﴾.

[٢٥] ﴿وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ بِجِذَعِ النَّخْلَةِ﴾ كانت يابسة، و(الباء): زائدة ﴿[تَشَاقُطُ]﴾^(٦) أَصْلُهُ بَنَاءَيْنِ؛ قَلْبُ الثَّانِيَةِ سِيئًا، وَأَدْغَمْتُ فِي السَّيْنِ، وَفِي قِرَاءَةِ تَرْكِهَا^(٧) ﴿عَلَيْكَ رَطْبًا﴾ تمييز ﴿جَنِيًّا﴾ صفته.

يَدْحَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صِدْقًا ﴿١٦﴾ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٧﴾ وَبَشَرًا بُولَدِيهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٨﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٩﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿٢٠﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿٢١﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٢٣﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ لِمَ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٤﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلَنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا قَصِيًّا ﴿٢٥﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَذَعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا ﴿٢٧﴾ فَادْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سَرِيًّا ﴿٢٨﴾ وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ بِجِذَعِ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٩﴾

[١٢] وبعد ولادته بستين قال الله - تعالى - له: ﴿يَدْحَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ أي: التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجهد ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ النبوة^(١) ﴿صِدْقًا﴾ ابن ثلاث سنين^(٢).

[١٣] ﴿وَحَنَانًا﴾ رحمة للناس ﴿مِّنْ لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَاةً﴾ صدقة عليهم ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ روي أنه لم يَعْمَلْ خطيئة ولم يَهْمُ بها.

[١٤] ﴿وَبَشَرًا بُولَدِيهِ﴾ أي: محسنًا إليهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ متكبِّرًا ﴿عَصِيًّا﴾ عاصيًا لربه.

(١) وقيل: الحكمة والفقہ في الدين. ذكره ابن كثير في تفسيره ولم يذكر غيره (١١١/٣). وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: الفهم. [إندر المنشور (٤٨٤/٥)].

(٢) هذا قول قتادة، كما في إندر المنشور (٤٨٤/٥).

(٣) وهي قراءة قالون بخلف عه، وورش، وأبي عمرو، وقرأ الباقر «لأهَب» وهو الوجه الثاني لقالون.

(٤) هذا قول ابن عباس. ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (١١٤/٣) واستغربه، وقال: «فالمشهور الظاهر، والله على كل شيء قدير، أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن...» اهـ.

(٥) وهذا قول ابن عباس، وقيل: المنادي عيسى، وكان ذلك معجزة وآية وتسكينًا لقلبها. قال القرطبي: والأول أظهر - يعني: أنه جبريل عليه السلام.

(٦) قرأ السبعة عدا حفص بفتح الناء والقاف، ومع تشديد السين إلا حمزة.

(٧) أي ترك الناء المقلوبة سينًا.

[٢٦٦] ﴿فَكُلْ﴾ من الرطب ﴿وَأَشْرَبِي﴾ من السريّ ﴿وَوَدَىٰ عَيْنَا﴾ بالولد؛ غمير محول من الفاعل؛ أي: لتقر عينك به؛ أي: تسكن؛ فلا تطمح إلى غيره ﴿فَلَمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿وَدَرَّتْ﴾ حذفت منه لام الفعل وعينه، وأقيمت حركتها على الراء، وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَمِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فيسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: إسماكا عن الكلام في شأنه، وغيره من الأناسي؛ بدليل: ﴿فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ أي: بعد ذلك.

[٢٧٧] ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيْلُهُ﴾ حال؛ فأراه ﴿فَالَوْ لَا يَمْرِي لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ عظيمًا؛ حيث أتيت بولد من غير أب.

[٢٨٨] ﴿وَتَأَخَّذْتُ هَرُونَ﴾^(١) هو رجل صالح؛ أي: يا شبيهته في العفة ﴿وَمَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ أي: زانية ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا﴾ أي: زانية؛ فمن أين لك هذا الولد؟!

[٢٩٩] ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾ أن كلموه ﴿فَقَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ أي: وجد ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

[٣٠٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ﴾ أي: الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

[٣١١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي: ثقافًا للناس، إخبار بما كتب له ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ أمرني بهما ﴿وَمَا مُمْتُ حَيًّا﴾.

[٣٢٢] ﴿وَوَبَّرًا يُولَدُنِي﴾ منصوب بـ «جعلني» مقدراً^(٢) ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متعاطفًا ﴿سَقِيًّا﴾ عاصيًا لربه.

[٣٣٣] ﴿وَالسَّلَامُ﴾ من الله ﴿عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى.

[٣٤٤] قال - تعالى -: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ [قُولِ الْحَقِّ] بِالرَّفْعِ: خبر مبتدأ مقدراً؛ أي: قول ابن مريم، وبالنصب: بتقدير «قلت»^(٣)؛ والمعنى: القول الحق ﴿الَّذِي فِيهِ يَبْتَرُونَ﴾ من المرية؛ أي: يشكون؛ وهم: النصارى، قالوا: إن عيسى ابن الله، كذبوا: [٣٥٥] ﴿مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿إِذَا فَصَّقَ أَمْرًا﴾ أي: أراد أن يحدثه ﴿فَلَمَّا يَقُولُ لَمْ يَكُنْ فَيَكُونُ﴾ بالرفع: بتقدير «هو»، وبالنصب: بتقدير «أن»^(٤)؛ ومن ذلك خلق عيسى من غير أب.

[٣٦٦] ﴿وَأَن[] اللَّهُ رَبِّي وَرَبَّكَ﴾ فاعْبُدْهُ ﴿بِفَتْحٍ﴾ ﴿أَنْ﴾ بتقدير «اذكر»، وبكسرهما^(٥) بتقدير «قل»؛ بدليل: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾^(٦) ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ مُؤَدٍّ إِلَى الْجَنَّةِ.

فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيْلُهُ فَاوْلَوْا بِمَرْيَمَ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا فَرِيًّا يَتَأَخَّذْتُ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا مُمْتُ حَيًّا وَوَبَّرًا يُولَدُنِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَبْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا فَضَّلْنَا مَرًّا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّخَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

[٣٧٧] ﴿فَاتَّخَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: النصارى في عيسى، أهو ابن الله، أو إله معه، أو ثالث ثلاثة؟! ﴿فَوَيْلٌ﴾ فشدّة عذاب ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بما ذكروا وغيره ﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: حضور يوم القيامة وأهواله.

[٣٨٨] ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ﴾ بهم، صيغتا تعجب؛ بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونا﴾ في الآخرة ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: يتبين؛ به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره؛ أي: اعجب منهم يا مخاطب في سماعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صمًا عميًا.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه، قال: لما قدمت نجران سألتني، فقالوا: إنكم تقرأون: ﴿يَتَأَخَّذْتُ هَرُونَ﴾، وموسى قس عيسى بكذا وكذا؟! فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم». مسلم - كتاب الآداب (٣٨) باب (١) النهي عن التكفي بأبي القاسم ويان ما يستحب من الأسماء.

(١) أي: التقدير: جعلني ربًّا.

(٢) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم وابن عامر.

(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.

(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) المائدة: ١١٧.

[٤١] ﴿وَأَذْكُرْ﴾ لهم ﴿فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: خبره ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالغة في الصدق ﴿يَتَّبِعُ﴾ ويبدل من خبره: [٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ أزر: ﴿يَتَّابُ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿لَمْ يَعْزُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ﴾ لا يكفبك ﴿شَيْئًا﴾ من نفع أو ضرر.

[٤٣] ﴿يَتَّابُ﴾ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْإِلَهِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْلَكَ صِرَاطًا ﴿طَرِيقًا﴾ ﴿سَوِيًّا﴾ مستقيماً.

[٤٤] ﴿يَتَّابُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ كثير العصيان.

[٤٥] ﴿يَتَّابُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ إن لم تتب ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ ناصراً وقرباً في النار.

[٤٦] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَّبِعُونَ﴾ فعبها ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ عَنِ التَّعَرُّضِ لَهَا﴾ لا تَحْمُكَ ﴿بِالْحِجَارَةِ﴾ أو بالكلام الفحش؛ فاحذرني ﴿وَأَهْجُرِي مَنِيًّا﴾ دهنًا طويلاً.

[٤٧] ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ مني؛ أي: لا أصيبك بمكروه ﴿وَسَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ إِنَّكَ كَانَتْ فِي حَقِّكَ ﴿مِنْ خَفِيٍّ﴾ أي: بارأ؛ فيجيب دعائي، وقد أوفى بوعده المذكور في الشعراء: ﴿وَأَغْفِرْ لِي﴾ ^(١) وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو الله؛ كما ذكره في براءة ^(٢).

[٤٨] ﴿وَأَعِزِّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا﴾ أعبد ﴿رَبِّي عَسَى أَنْ﴾ ن ﴿لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي﴾ بعبادته ﴿شَقِيًّا﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام.

[٤٩] ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُمُ﴾ ابنين يأمن بهما ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلاَّ﴾ منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيِّنَا﴾.

[٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمُ﴾ للثلاثة ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ رفيعاً؛ هو: الثناء الحسن في جميع أهل الأديان.

[٥١] ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ إِنَّهُ كَانَ ﴿مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام وفصحها ^(٣)؛ من أخلص في عبادته، وخلصه الله من الدنس ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾.

وَأَذْكُرْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّابُ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَّابُ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا يَأْتِيكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَّابُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّابُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَّبِعُونَ يَتَّبِعُونَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ عَنِ التَّعَرُّضِ لَهَا لَآتِيَنَّكَ مِنَ الْحِجَارِ مَا يَأْتِيكَ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ وَسَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَقِّكَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ عَنِ التَّعَرُّضِ لَهَا لَآتِيَنَّكَ مِنَ الْحِجَارِ مَا يَأْتِيكَ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعِزِّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَنْ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلاَّ جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٤٩﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾

[٣٩] ﴿وَأَذْكُرْ﴾ تخوف يا محمد كفار مكة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة؛ يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٢) به.

[٤٠] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد ﴿رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم؛ بإهلاكهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فيه لسجاء.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبِشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مَنَادٌ: يَا أَهْلَ لُجَّةٍ، فَيُشْرَبُونَ. أَيْ يَدْخُلُونَ أَعْنَاقَهُمْ - وَيَنْظُرُونَ. يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ. ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ». ثم قرأ: ﴿وَأَذْكُرْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة مريم (١٩) باب (١) ﴿وَأَذْكُرْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، وأخرجه مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.

(١) الشعراء: ٨٦.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنََّّهُمْ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٤].

(٣) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بفتح اللام بقية السبعة.

[٥٢] وَنَذَيْنَهُ. يقول: ﴿يَمْشَوْحَ إِنْتَ أَنَا اللَّهُ﴾^(١) ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿الْأَيْمَنِ﴾ أي: الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿وَقَرْنَتُهُ نَجْمٌ﴾ مناجاة؛ بأن أسعده الله - تعالى - كلامه.

[٥٣] وَوَهَبْنَا لَكَ مِنْ رَحْمَتِنَا نَعْمَتًا ﴿أَخَاهُ هَرُونَ﴾ بدل أو عطفت بيان ﴿نَيْبًا﴾ حال؛ هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه، وكان أشرف منه.

[٥٤] وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلُ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴿لَمْ يَعْذُ شَيْئًا إِلَّا وَفَى بِهِ، وَانْتَظَرَ مِنْ وَعْدِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ حَوْلًا حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ فِي مَكَانِهِ﴾ وَكَانَ رَسُولًا، إِلَى جَرَاهُمْ ﴿نَيْبًا﴾.

[٥٥] وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ أَي: قومه ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ أصله «مرضو»؛ قلبت الواو الواو ياعين، والضممة كسرة.

[٥٦] وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسُ ﴿هُوَ جَدُّ أَبِي نُوحٍ﴾ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا.

[٥٧] وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿هُوَ حَيٌّ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ أَوْ السَّادِسَةِ أَوْ السَّابِعَةِ، أَوْ فِي الْجَنَّةِ أَدْخَلَهَا بَعْدَ أَنْ أَذِيقَ الْمَوْتَ، وَأُحْيِيَ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا﴾.

[٥٨] أُولَئِكَ مِنْبَدَأُ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ صفة له ﴿وَمِنَ الَّذِينَ﴾ بيان له، وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط صفة «الذين»، فقوله: ﴿مِنَ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ أي: إدريس ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة؛ أي: إبراهيم ابن ابنه سام ﴿وَمِنَ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَمِنَ ذُرِّيَّةِ إِمْرَأِيلَ﴾ هو يعقوب؛ أي: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ أي: من جملتهم، وخبر ﴿أُولَئِكَ﴾: ﴿إِنَّا نُنْزِلُ عَلَيْهِمُ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الرُّسُلِ خَرُوعًا مُّسْجِدًا وَبُكْرًا﴾ جمع «مساجد» «وباك»؛ أي: فكونوا مثلهم، وأصل «بُكْرًا»؛ بكوئي؛ قلبت الواو ياء والضممة كسرة.

[٥٩] خَلَفَ مِنْ بَنِيهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ ﴿كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى﴾^(٢) وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ ﴿فَسُوفَ يَقْفَرُونَ عَنَّا﴾ هو وإد في جهنم؛ أي: يقعون فيه.

[٦٠] لَكِنْ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُلَاقُونَ فِيهَا مَأْصِفًا ﴿يَقْفَرُونَ﴾ مِن تَوَابِهِمْ.

[٦١] جَعَلْنَا صَدْرَ قَوْمٍ بَدَلًا مِّنَ الْجَنَّةِ ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْعَذَابِ﴾ حال؛ أي: غائبين عنها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدَهُمْ﴾ أي: موعوده ﴿مُؤْتَاةً﴾ بمعنى: آتية، وأصله «مأنوي»، أو موعوده هنا الجنة بآتيه أهله.

[٦٢] لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴿مِنَ الْكَلَامِ﴾ إِلَّا ﴿لَكِنْ يَسْمَعُونَ سَلَامًا﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ، أَوْ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ﴿وَقَدْ رَفَعْنَاهُمْ فِيهَا﴾

وَنَذَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرْنَتُهُ نَجْمًا ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَرُونَ نَبِيًّا﴾ وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلُ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسُ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرُّسُلِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَكَبَّرُوا ﴿وَصَلُّوا وَاسْجُدُوا وَابْتَغُوا الْوَسِيلَةَ﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَنِيهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسُوفَ يَقْفَرُونَ عَنَّا ﴿إِنَّا نُنْزِلُ الْكِتَابَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَفْهَمًا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وَلَا يُطْعَمُونَ فِيهَا سَلَامًا ﴿جَعَلْنَا بَدَلَ الْآلِئَةِ وَالَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْعَذَابِ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدَهُمْ مُؤْتَاةً ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ بَاطِنٌ﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿وَمَا نُنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُدًى وَمَأْتِينَ آيَاتَيْنَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾

بُكْرَةً وَعَشِيًّا؛ أي: على قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبدًا.

[٦٣] تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ ﴿نُعْطِي وَنُثْرِلُ﴾ ﴿مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ ببطاحته.

[٦٤] وَنَزَّلَ لَنَا نَحْرَ الْوَحْيِ آيَاتًا، وقال النبي ﷺ لجبريل: «مَا يَنْفَعُ أَنْ نَزَّوْنَا أَكْثَرَ بِمَا نَزَّوْنَا»: ﴿وَمَا نُنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾^(٣) أي: أماننا من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ من أمور الدنيا ﴿وَمَا يَبْكُ ذَلِكَ﴾ أي: ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة؛ أي: له علم ذلك جميعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ بمعنى ناسيًا؛ أي: تاركًا لك بتأخير الوحي عنك^(٤).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦٤): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يملك أن نَزَّوْنَا أَكْثَرَ بِمَا نَزَّوْنَا؟ فنزلت: ﴿وَمَا نُنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا...﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة مريم (١٩) باب (٢).

(١) القصص: ٣٠.

(٢) وهذا تأويل لصفة الرحمة ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبتته له نفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكليف ولا تمثيل. (٣) لا يوجد دليل قطعي على صحة هذا التفسير، والأقرب أن المراد بهذه الرفعة ما أعطاه الله إياه من شرف النبوة والثناء الحسن، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة، وأخرج مسلم عن أس بن مالك في حديث المراح بطوله، وفيه: «ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل ﷺ. قيل: من هذا؟ قال: محمد. قال: وقد بعث إليه؟ قال: بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير. قال الله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. مسلم (١٦٢).

(٤) وقيل: المراد بإضاعتهما فعلها بعد خروج أوقاتها. وقيل: المراد لم يأثروا بها على الوجه المشروع. والظاهر أن كل ذلك يدخل في إضاعة الصلاة، ولا تعارض بين هذه الأقوال، كما لا وجه ظاهر لحصر المراد بالآية في اليهود والنصارى، بل هي عامة؛ فتشمل كل من لم يقم بحقوق الصلاة، وهذا نص في أن إضاعة الصلاة من الكبائر.

(٥) أخرجه نحوه البخاري (٢٢١٨) عن ابن عباس.

الذال وضم الكاف ﴿أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ فيستدل بالابتداء على الإعادة.

[٦٨] ﴿قَوْرَيْكَ لَنَحْضُرَنَّهُمْ﴾ أي: المنكرين للبعث ﴿وَالشَّيْطَانِ﴾ أي: تجمع كلاً منهم وشيطانه في سلسلة ﴿لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿يَجِيئُكَ﴾ على الركب، جمع «جاث»، وأصله «جَثْوُو» أو «جَثْوِي» من «جثا يجثو» أو «يجثي» لغتان.

[٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ذُرِّيَّةً وَفَرَقَهُمْ جَنَّاتٍ عَرَبًا﴾ أي: «يُجَنَّبِي» لغتان.

[٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ أحق بجهنم، الأشد (١) وغيره منهم ﴿صَلِيلًا﴾ دخولاً واحترافاً؛ فبدأ بهم، وأصله «صِلَوِي» من «صلي» بكسر اللام وفتحها.

[٧١] ﴿وَلِإِنْ﴾ أي: ما ﴿يَنْكَرُ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي: داخل جهنم ﴿كَأَنَّهُ عَلَىٰ رَيْكٍ حَسًا مَقْصِيًّا﴾ حَتَمَةً وَقَضَىٰ بِهِ، لا يتركه.

[٧٢] ﴿ثُمَّ نُنْجِي﴾ مشدداً ومخففاً (٢) ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشُّرَكَ والكُفْرَ منها ﴿وَنُذِرُ الْفَاطِلِينَ﴾ بالشرك والكفر ﴿فِيهَا يَجِيئُكَ﴾ (٣) على الرُّكْبِ.

[٧٣] ﴿وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين والكافرين ﴿إِنِّي أَنَا﴾ من القرآن ﴿يُنْفِثُونَ﴾ واضحات، حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن وأنتم ﴿خَيْرٌ مَقَامًا﴾ منزلاً ومسكناً؛ بالفتح: من قام، وبالضم: من أقام (٤) ﴿وَأَحْسَنُ نَزِيلًا﴾ بمعنى: النادي؛ وهو: مجتمع القوم يتحدثون فيه؛ يعنون: نحن؛ فنكون خيراً منكم.

[٧٤] قال - تعالى -: ﴿وَوَكِّرْ﴾ أي: كثيراً ﴿أَعْلَمَكُمَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿هُمْ أَتَسْنِنُ أُنْتُمَا﴾ ملاً ومتاعاً ﴿وَرِيَّاتَا﴾ منظراً من الرؤية؛ فكما أهلكتهم لكفرهم نهلك هؤلاء.

[٧٥] ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ شرط، جوابه: ﴿فَلْيَمْدَدْ﴾ بمعنى: الخير؛ أي: يمد ﴿لَهُ الْوَحْنُ مَنًّا﴾ في الدنيا يستدرجه ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ إِنَّمَا الْعَذَابُ كَالْقَتْلِ والأسر ﴿وَإِنَّمَا السَّاعَةُ﴾ المشتعلة على جهنم فيدخلونها ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ أعواناً، أهُم أم المؤمنين، وجدهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم (٥) الملائكة؟.

[٧٦] ﴿وَنَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ بالإيمان ﴿هُدًى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هي الطاعة (٦) تبقى لصاحبها ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ أي: ما يرد إليه ويرجع، بخلاف أعمال الكفار، والحيرية هنا في مقابلة قولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٨﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِئْتُ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٩﴾ أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٧٠﴾ قَوْرَيْكَ لَنَحْضُرَنَّهُمْ وَالشَّيْطَانِ ثُمَّ لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ يُهْمَ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٧٢﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَإِنْ مَنَعَكَ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧٤﴾ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنُذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٥﴾ وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنَا بِتِيْنٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَدًّا ﴿٧٧﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِذَا الْعَذَابُ وَإِنَّمَا السَّاعَةُ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٨﴾ وَنَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلِيَّةُ أَصْلَحْتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٩﴾

[٦٥] هو ﴿رَبِّ﴾ مالك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: اصبر عليها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مسمى بذلك؟ لا.

[٦٦] ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ المنكر للبعث؛ أَيُّ نُبِّ خَلْفٍ، أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية: ﴿إِذَا﴾ بتحقيق الهجرة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى (١) ﴿وَمَا مِئْتُ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا﴾ من القبر؛ كما يقول محمد؟! فلاستفهام بمعنى: النفي؛ أي: لا أحيأ بعد الموت، و«ما» زائدة للتأكيد، وكنا «اللام».

[٦٧] ورد عليه بقوله - تعالى -: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ (٢) الْإِنْسَانُ أَصْلَهُ «يتذكر»؛ أبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذال، وفي قراءة: تركها، وسكون

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها». قالت: بئى يا رسول الله. فافترها. فقالت حفصة: ﴿وَلَنْ يَنْكَرُ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. فقال النبي ﷺ: «قد قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنُذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾». مسلم - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٣٧) من فضائل أصحاب الشجرة.

(١) وقرأ ابن ذكوان من طريق الصوري وغيره بآخر «وإياه»، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿يَذْكُرُ﴾.

(٣) أي: (الأشد على الرحمن عتياً).

(٤) محققاً قراءة الكسائي، ولازمه إسكان اللون.

(٥) بالضم قراءة ابن كثير.

(٦) متعلق بـ«لجنة» لتفسيته معنى المعاونين، كما وقع لهم في بدر من انخدال إبليس وجنده عنهم، وقتال الملائكة مع المؤمنين.

(٧) رجاء في الحديث أنها: «الكبير، والتلهيل، والتسييح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله» كما تقدم في تفسير سورة الكهف آية (٤٦).

[٧٧] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ العاصي بن وائل ﴿وَقَالَ﴾ لخباب ابن الأرت القتال به: ثَبُتَ بعد الموت، والمطالب له جمال: ﴿لَأُوتِيَنَّكَ﴾ مالا وولداً فاقضيك^(١).

[٧٨] قال - تعالى -: ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾ أي: أعلمه، وأنه يؤتى ما قاله، واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل؛ فحذفت ﴿أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ بأن يؤتى ما قاله؟!

[٧٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا يؤتى ذلك ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكذب ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ نزيده بذلك عذاباً فوق عذاب كفره.

[٨٠] ﴿وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿كَذًّا﴾ لا مال له ولا ولد^(٢).

[٨١] ﴿وَأَخَذُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿مِنَ دُوبِ اللَّهِ﴾ الأوثان ﴿مَا لِلَّهِ﴾ يعبدونها ﴿يَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ شعفاء عند الله؛ بأن لا يعذبوا.

[٨٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا مانع من عذابهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: ينفرن؛ كما في آية أخرى: ﴿مَا كَانُوا إِذَا يَبْدُونَ﴾^(٣) ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا﴾ أعواناً وأعداء.

[٨٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ سُلْطَانَهُمْ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ تُؤْذِمُهُمْ﴾ تهيجهم إلى المعاصي ﴿أَفَأُرِيدُ﴾.

[٨٤] ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب العذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿عَذَابًا﴾ إلى وقت عذابهم.

[٨٥] اذكر ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَفًّا﴾ جمع وافد؛ بمعنى: راکب.

[٨٦] ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وَدَاكُ﴾ جمع وارد؛ بمعنى: ماش عطشان.

[٨٧] ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الناس ﴿الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي: شهادة أن لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٤).

[٨٨] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله: ﴿أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾.

[٨٩] قال - تعالى - لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ أي: منكراً عظيماً.

[٩٠] ﴿نَكَّازًا﴾ بالباء والياء^(٥) ﴿السَّكَزَاتُ﴾ يَنْقُطُونَ^(٦) بالنون^(٧)، وفي قراءة بالياء وتشديد الطاء^(٨)؛ بالانشقاق، ﴿مِنْهُ﴾ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخُزُّ الْجِبَالُ هَذَا﴾ أي: تنطق عليهم؛ من أجل: [٩١] ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾.

[٩٢] قال - تعالى -: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يليق به

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٧ - ٨٠): أخرج البخاري عن خباب قال: كنت رجلاً قبيحاً، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أنقاضاً، فقال لي: لا أقاضيك حتى تكفر بمحمد. قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث. قال: واني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد. فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّلَدًا﴾ [٧٧] أَلَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا [٧٨] كَذَلِكَ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا [٧٩] وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا كَذًّا [٨٠] تَفْسِيرُ (٦٥) سورة مريم (١٩) باب (٦).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩١)، وانظر ما جاء في نزول الآيات.

(٢) القصص: ٦٣.

(٣) هذا قول ابن عباس، نقله عنه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء وأصناف. [الدر المنثور (٥٤١/٥)].

(٤) بالياء قراءة نافع والكسائي.

(٥) لأي عمر وابن عامر وحزمة وشعبة.

(٦) مع قراءة «نكاده» ثُفَرُ؛ «ينفطرون» بالنون والياء. ومع قراءة «يكاده» بالياء: تقرأ: «ينفطرون» بالياء فقط.

سورة طه

[مكية مائة وخمس وثلاثون آية، أو: أربعون، أو: اثنتان،

نزلت بعد مريم]
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] طه ﴿الله أعلم بما بهداه بذلك﴾.

[٢] ﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ يا محمد ﴿لِتَشْفَى﴾ لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل؛ أي: خفف عن نفسك.

[٣] ﴿إِلَّا﴾ لكن أنزلناه ﴿نَذِيرَةً﴾ به ﴿لِمَن يَخْشَى﴾ يخاف الله.

[٤] ﴿تَنزِيلًا﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له ﴿وَمِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ جمع «عليها» كـ «كبرى» و «كثير».

[٥] هو ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو في اللغة: سرير الملك ﴿أُسْتَوَى﴾ استواء يليق به^(١).

[٦] ﴿لَمْ يَأْمُرْ بِالْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ وَمَا يَنْبَغِيهِمَا﴾ من المخلوقات ﴿وَمَا تَحْتِ الْكُرْسِيِّ﴾ هو التراب الندي؛ والمراد: الأرضون السبع؛ لأنها تحته.

[٧] ﴿وَلَمَّا تَجَهَّرَ بِأَقْوَالِهِ﴾ في ذكر أو دعاء، فالله غني عن الجهر به ﴿فَلَمَّا يَعْلَمُ الْبَيْتَ وَأَخْفَى﴾ منه؛ أي: ما حدثت به النفس وما خطر، ولم تحدث به؛ فلا تجهد نفسك بالجهر.

[٨] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث^(٢)؛ والحسنى مؤنث الأحسن.

[٩] ﴿وَهَلْ قَدْ﴾ قد^(٣) ﴿أَتَيْتَكَ حَدِيثَ مُوسَى﴾.

[١٠] ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ لامرأته: ﴿أَنْتُمْ كَوْنُوا﴾ هنا؛ وذلك في مسيره من مدين طالبا مصر ﴿إِنِّي أَكُنْتُ بِمِصْرَ﴾ نارا لعلني أليكن مني بقبس؛ بشعلة في رأس قبيلة أو عود ﴿أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هَذَى﴾ أي: هادئا يدلني على الطريق، وكان أخطأها لظلمة الليل، وقال: «لعل»؛ لعدم الجزم بوفاء الوعد.

[١١] ﴿فَلَمَّا أُنْذِرَهَا﴾ وهي شجرة عوسج^(٤) ﴿نُودَى يَمْوَسَّى﴾.

[١٢] ﴿إِنِّي﴾ بكسر الهمزة؛ بتأويل ﴿نُودَى﴾ «بقيل»، ويفتحها؛ بتقدير الباء^(٥) ﴿أَنَا﴾ تأكيد لياء التكلم ﴿رَبُّكَ فَاحْطَعْ عَلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ المطهر أو المبارك ﴿طَوًى﴾ بدل، أو عطفت بيان؛ بالتثوين وتركة^(٦)، مصروف باعتبار المكان، وغير مصروف للتأنيث؛ باعتبار البقعة مع العلمية.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ يَرْسُلْنَاكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ ان لتشفى ﴿إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ تنزيلا ميم من خلق الأرض والسموات العلى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوَى﴾ له وما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ﴿وَإِن تَجَهَّرَ بِأَقْوَالِهِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْبَيْتَ وَأَخْفَى﴾ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ إذ رآه انارا فقال لأهله امكثوا إِنِّي ءَاسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هَذَى ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودَى يَمْوَسَّى﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْطَعْ عَلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴿٩٦﴾

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله - تعالى -.

[٩٧] ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ﴾ أي: القرآن ﴿يَرْسُلْنَاكَ﴾ العربي ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ الفائزين بالإيمان ﴿وَتُنذِرَ﴾ تخوف ﴿قَوْمًا لَّدُنَّا﴾ جمع ألد؛ أي: جويل بالباطل، وهم: كفار مكة.

[٩٨] ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية؛ بتكذيبهم الرسل ﴿هَلْ يُحِشُّ﴾ تجد ﴿مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ صوتا خفيا؟ لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانا فلأجبه». قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له النحلة في أهل الأرض؛ فذلك قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾... الحديث. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٠) سورة مريم، وضمحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٢٨).

(٢) سبق التعليق على هذا التفسير، وأنه إذا كان المراد بالتفويض تفويض الكيفية فهو حق، وأما إن كان يريد أن معنى الاستواء مجهول فهو فرار من إثبات صفة لعلو والصعود والارتفاع والاستقرار على العرش التي هي من معاني الاستواء عند السلف.

(٣) سبق التعليق على هذا الحصر، وذكرنا أن الأسماء الحسنى لا يحصى عددها إلا الله ﷻ في تفسير الآية (١١٠) من سورة الإسراء.

(٤) وهو قول بعض أهل اللغة، واختاره بعض المفسرين، واختار غيرهم أنها على بابها من الاستفهام، وقد يراد به التقرير.

(٥) وهذا أحد الأقوال فيها، وقيل غير ذلك، ولا دليل على الجميع، وذكر ابن كثير أن الضمير يعود إلى النار.

(٦) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) بترك التثوين قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

[١٣] ﴿وَأَنَا أَخَذْتُكَ﴾ من قومك ﴿فَأَسْتَعِمْ لِيَا يُوْحَىٰ﴾ إليك مني.
 [١٤] ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ فيها.

[١٥] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ عن الناس، ويظهر لهم قريبها بعلاماتها ﴿لِيُخْزِيَنَّ﴾ فيها ﴿كُلَّ نَفْسٍ يَمَنَّ سَعَىٰ﴾ به من خير أو شر.
 [١٦] ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ يصرفك ﴿عَنَّا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في إنكارها ﴿فَتَرَدَّى﴾ أي: فهلك إن صدقت عنها.

[١٧] ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ كائنه ﴿بِمِيمِنِكَ يَمُوسَىٰ﴾؟ الاستفهام للتقرير؛ ليرتب عليه المعجزة فيها [١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾ أعتد ﴿عَلَيْهَا﴾ عند الوثوب والمشي ﴿وَأَمْشِي﴾ أخطب ورق الشجر ﴿بِهَا﴾ ليسقط ﴿عَنِّي غَنَمِي﴾ فناكله ﴿وَلِي فِيهَا مَنَازِلُ﴾ جمع مأربة؛ مثلث الراء؛ أي: حوائج ﴿أُخْرَىٰ﴾ كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام؛ زاد في الجواب بيان حاجاته بها.
 [١٩] ﴿قَالَ أَنَهَا يَمُوسَىٰ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَلْقَنَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ﴾ ثعبان عظيم ﴿تَسْعَىٰ﴾ تمشي على بطنها سريعاً؛ كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان؛ المعبر به فيها في آية أخرى^(١).
 [٢١] ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ منها ﴿سُعِيدُكَ سِيرَتهَا﴾ منصوب بنزع الخافض؛ أي: إلى حالتها ﴿الْأُولَىٰ﴾ فأدخل يده في فيها؛ فعادت عصا؛ فتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتها، وأرى ذلك السيد موسى؛ لئلا يجزع إذا انقلب حية لدى فرعون.

[٢٢] ﴿وَأَضْمَمْ يَدَكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أي: جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها ﴿تَخْرُجُ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأمانة ﴿يَبْضَاءُ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ أي: برص، تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر ﴿آيَةً أُخْرَىٰ﴾ وهي بياض، حالان من ضمير ﴿تَخْرُجُ﴾.

[٢٣] ﴿لِيُذَكِّرَ﴾ بها إذا فعلت ذلك؛ لإظهارها ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ الآية ﴿الْكُبْرَىٰ﴾ أي: العظمى على رسالتك، وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه؛ كما تقدم وأخرجها.

[٢٤] ﴿أَذْهَبَ﴾ رسولاً ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ومن معه ﴿إِذْهُمْ طَغَىٰ﴾ جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلهية.

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وَشَعْرَةً لِتَحْمِلَ الرِّسَالَةَ.

[٢٦] ﴿وَيَتَذَكَّرْ﴾ سهل ﴿لِي أَمْرِي﴾ لأبلغها.

[٢٧] ﴿وَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ خَذَلَتْ من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير^(٢).

[٢٨] ﴿يَفْقَهُوا﴾ يفهموا ﴿قَوْلِي﴾ عند تبليغ الرسالة.

(١) وهو قوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا رَوَّاهَا بِهَرَّةٍ فَلَاحَهَا جَهَنَّمَ﴾ [الزلزال: ١٠].

(٢) هذا قول كثير من المفسرين في بيان العقدة وسببها، وليس فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، وإنما هو من كلام سعيد بن جبير، نقلها عنه عبد ابن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في ندر المنثور (٥٦٦/٥، ٥٦٧)، قال: غمجة بجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين هم بقتله، بعد أن أخذ بلحيته وهو لا يعقل، قائلة: إنه لا يعقل، فقدموا له طبقاً فيه جمر وتمر، فأخذ الجمرة بوضعها في فيه فاحترق لسانه. وقيل: كان ذلك التعقد في لسانه خيلفة. وعلى كلا القولين فهي عقدة كانت في لسانه حلها الله تعالى كما أخبر، وهذا بكفي.

(٣) يصغيت المضارع المجزوم؛ أي: ﴿أَلْقَيْتُ﴾ بهززة مفتوحة، و﴿أَشْرَكْتُ﴾ بهززة مضمومة، وهي قرابة ابن عامر.

(٤) العلم غير البصر، وإن كان من لوازمه؛ فثبت صفة البصر لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه.

وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَعِمْ لِمَا وَحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُخْزِيَنَّهُ كُلَّ نَفْسٍ يَمَنَّاسَعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَّى ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِمِيمِنِكَ يَمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ وَاعْلَيْهَا وَأَهْسُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَنَهَا يُمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيَاضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِيُذَكِّرَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَفِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ تَسْبَحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرُ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾

[٢٩] ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَفِيرًا﴾ معينا عليها ﴿مِنْ أَهْلِي﴾.

[٣٠] ﴿هَارُونَ﴾ مفعول ثاني ﴿أَخِي﴾ عطف بيان.

[٣١] ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ظهري.

[٣٢] ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ أي: الرسالة، والفعلان بصيغتي الأمر، والمضارع المجزوم^(٣)، وهو جواب الطلب.

[٣٣] ﴿كَيْ تَسْبَحَكَ﴾ تسيبها ﴿كَثِيرًا﴾.

[٣٤] ﴿وَتَذَكَّرُكَ﴾ ذكركم ﴿كَثِيرًا﴾.

[٣٥] ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ عالماً^(٤)؛ فأنعمت بالرسالة.

[٣٦] ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ﴾ مثلاً عليك.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ أَنْ أَقْبِرِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ
فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ وَعَدُوٌّ ۖ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلَضَمُّعًا عَلَىٰ عَيْنِي ۖ إِذْ مَشَىٰ أَخُتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
وَلَا تَحْزَنَ ۖ وَوَقَلْتَ نَفْسًا فَجِئْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا
فَلَيْسَتْ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ۖ فَجِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ ۖ
وَأَصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي ۖ أَذْهَبَ أَنتَ وَأُخْرِكَ بِعَايَتِي وَلَا
تَبَيَّنَ فِي ذِكْرِي ۖ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا
لَّيْسَ لَكَهُ رَيْدُكَ ۖ وَتَذَكَّرْ أَوْ يَحْشَىٰ ۖ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ
عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ۖ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
ۖ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَلَا نُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ
أَهْدَىٰ ۖ إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَبَ
وَتَوَلَّىٰ ۖ قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ۖ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
كُلَّ شَيْءٍ حَلْفَهُ ۖ ثُمَّ هْدَىٰ ۖ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۖ

[٣٨] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمِّكَ﴾ منامًا أو إلهامًا لما ولدتك
وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ في أمرك، ويبدل
منه: [٣٩] ﴿أَنْ أَقْبِرِيهِ﴾ ألقيه ﴿فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ﴾ بالتابوت ﴿فِي الْيَمِّ﴾
بحر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ أي: شاطئه، والأمر بمعنى الخير ﴿يَأْخُذْهُ
عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ وهو فرعون ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ بعد أن أخذك ﴿عَلَيْكَ مَحَبَّةً
مِّنِّي﴾ لنحب في الناس؛ فأحبك فرعون وكل من رآك ﴿وَلَضَمُّعًا عَلَىٰ عَيْنِي﴾
نُرِّي على رعايتي وحفظي لك ^(١).

[٤٠] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿وَنَسِيتُ أَفْئَتَكَ﴾ مريم؛ لتعرف من خبرك، وقد

أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهم ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن
يَكْفُلُهُ﴾ فأجبت؛ فجاءت بأمة فقيل ثديها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَوَقَلْتَ نَفْسًا﴾ هو القبطي بمصر ^(٢)؛
فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿فَجِئْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ اختبرناك
بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه ﴿فَلَيْسَتْ سِينِينَ﴾ عشرا ﴿فِي أَهْلِ
مَدْيَنَ﴾ بعد مجيئك إليها من مصر عند شعيب ^(٣) النبي وتزوجك بانيته ﴿ثُمَّ
جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ في عمري بالرسالة؛ وهو: أربعون سنة من عمرك
﴿يَمُوسَىٰ﴾.

[٤١] ﴿وَأَصْطَنَعْنَاكَ﴾ اخترتك ﴿لِنَفْسِي﴾ بالرسالة.

[٤٢] ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأُخْرُكَ﴾ إلى الناس ﴿وَبِإِنِّي﴾ التسع ^(٤) ﴿وَلَا تَبَيَّنَ﴾
تفترًا ﴿فِي ذِكْرِي﴾ بتسييح وغيره.

[٤٣] ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ بَدْعَاهُ الرُّبُوبِيَّة.

[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسَ لَكَهُ رَيْدُكَ﴾ في رجوعه عن ذلك ﴿أَلَمْ نَذْكُرْكَ﴾ يتعظ
﴿أَمْ يَحْشَىٰ﴾ الله؛ فيرجع، والترجي بالنسبة إليهما لعلمه - تعالى - بأنه لا
يرجع.

[٤٥] ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾ أي: يَعْجَلَ بالعقوبة ﴿أَوْ أَنْ
يَطْغَىٰ﴾ علينا؛ أي: يتكبر.

[٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ يعزوني ^(٥) ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقول
﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يفعل.

[٤٧] ﴿فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ إلى الشَّام
﴿وَلَا نُعَذِّبُهُمْ﴾ أي: خُلْ عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة؛
كالخفر والبناء وحمل الثقل ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ﴾ بحجة ﴿وَمِن رَّبِّكَ﴾ على
صدقنا بالرسالة ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ أَهْدَىٰ﴾ أي: السلامة له من العذاب.

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَبَ﴾ ما جئنا به
﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض عنه؛ فَأَنبَاهُ وقال جميع ما ذكر.

[٤٩] ﴿قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾ اقتصر عليه؛ لأنه الأصل، ولإدلاله عليه
بالتربية [٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ مِّنَ الْخَلْقِ خَلْقَهُ﴾ الذي هو
عليه متميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هْدَىٰ﴾ الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه
وغير ذلك.

[٥١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿الْأُولَىٰ﴾
كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان.

(١) وفيها إثبات صفة العين لله - سبحانه - على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح.

(٢) قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: قتل قبطًا كافرا. تفسير البيهقي (٧٧٣/٥). وأخرج مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «ما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ». مسلم (٢٩٠٥).

(٣) المشهور عند كثير من العلماء أن صاحب مدين المذكور في سورة القصص هو شعيب الطيّل، وقيل غير ذلك، وإنما هو رجل مؤمن من أهل «مدين»؛ لأن شعيبا الطيّل كان قبل موسى يزعم، والصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر، ولا خبر نجب به الحجة في ذلك. (انظر كلام ابن كثير والسعدي في تفسير سورة القصص، آية رقم ٢٥، ٢٨).

(٤) هذا قول ابن عباس، وسوى بيان هذه الآيات في تفسير الآية (٧٥) من سورة يونس. وقيل: المقصود هنا: آيات انشوراة.

(٥) هذا من لوازم معيته - سبحانه - الخاصة بعباده المؤمنين، ومعنيته - سبحانه - مع خلقه نوعان - كما تقدم في آخر النحل - مع عامة؛ ومعناها: إحاطته بكل الخلق علما وقدره، ومعنية خاصة لأوليائه بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق، وقد اشتمل القرآن عليها.

[٥٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عَلِمَهَا﴾ أي: علم حالهم محفوظ ﴿عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ، يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَا يَضِلُّ﴾ يغيب ﴿رَبِّي﴾ عن شيء ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ ربي شيئاً.

[٥٣] هو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جملة الخلق ﴿الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشا ﴿وَسَلَكَ﴾ سهل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً، قال - تعالى - تسميها لما وصفه به موسى، وخطاباً لأهل مكة: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِذَوِ الْأَرْوَاحِ أَصْنَافًا﴾ من ثَبَاتٍ شَقَّى ﴿صَفَةً﴾ ﴿أَرْوَاحًا﴾ أي: مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، و﴿شَقَّى﴾ جمع «شقيت»؛ ك«مريض» و«مرضى»؛ من شتَّ الأمر: تفرق.

[٥٤] ﴿كُلُوا﴾ منها ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ فيها، جمع نَعَم؛ وهي: الإبل والبقر والغنم، يقال: رَعَتِ الأنعام ورعيتها. والأمر للإباحة، وتذكير الثَّغْمَةِ، والجملة حال من ضمير «أخرجنا»؛ أي: مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إِنَّ فِي ذَلِكََ﴾ المذكور هنا ﴿لَآيَاتٍ﴾ لعباد ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول، جمع «أهنية»؛ ك«عُرْفَةٍ» و«عُرْفٍ»؛ سُمِّيَ به العقل؛ لأنه يهني صاحبه عن ارتكاب القبائح.

[٥٥] ﴿وَمِنْهَا﴾ أي: من الأرض ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ بخلق أيكم آدم منها ﴿وَمِنْهَا نُبْذِرُكُمْ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

[٥٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ أي: أبصرنا فرعون ﴿بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿وَأَنَّى﴾ أن يوحد الله - تعالى - .

[٥٧] ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر، ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَمْؤِسُونَ﴾.

[٥٨] ﴿فَسَأَلْنَاهُ﴾ بِسِحْرِ مَلِكِهِ يعارضه ﴿فَجَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لذلك ﴿لَّا تُخْلَفُ﴾ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا منصوب بنزع الخافض في ﴿[سِوَى]﴾ بكسر أوله وضمة (١)؛ أي: وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الصرفين.

[٥٩] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُخَشِّرَ النَّاسُ﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضُحًى﴾ وقته للنظر فيما يقع.

[٦٠] ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أي: ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَقْبَى﴾ بهم الموعد.

[٦١] ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ وهم اثنان وسبعون (٢) مع كل واحد حبل وعصا: ﴿وَتِلْكَ﴾ أي: أئزركم الله الويل ﴿لَا تَقْرَءُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يُبَارِكُ أَحَدُكُمْ ﴿فَيَسْجُدْكُمْ﴾ بضم الياء وكسر الحاء ويفتخهما (٣)؛ أي: يهلككم ﴿يَعْدَابٌ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَن أَفْتَرَى﴾ كذب

قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَاسْلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن ثَبَاتٍ شَقَّى ﴿٥٣﴾ كَلُوا وَأَرْعُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا نُبْذِرُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا بِذَوِ الْأَرْوَاحِ أَصْنَافًا مِّن ثَبَاتٍ شَقَّى ﴿٥٦﴾ صَفَةً ﴿أَرْوَاحًا﴾ أَي: مُخْتَلِفَةً الْأَلْوَانِ وَالطَّعُومَ وَغَيْرَهُمَا، وَ﴿شَقَّى﴾ جَمْعُ «شَقِيتُ»؛ ك«مَرِيضٍ» وَ«مَرَضَى»؛ مَن شَتَّ الْأَمْرُ: تَفَرَّقَ.

﴿٥٤﴾ «كُلُوا» مِنْهَا «وَارْعُوا أَنْعَامَكُمْ» فِيهَا، جَمْعُ نَعَمٍ؛ وَهِيَ: الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ، يُقَالُ: رَعَتِ الْأَنْعَامَ وَرَعَيْتَهَا. وَالْأَمْرُ لِلإِبَاحَةِ، وَتَذْكِيرُ الثَّغْمَةِ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِّنْ ضَمِيرِ «أَخْرَجْنَا»؛ أَي: مُبِيحِينَ لَكُمْ الْأَكْلَ وَرَعِيَ الْأَنْعَامِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكََ﴾ الْمَذْكُورِ هُنَا ﴿لَآيَاتٍ﴾ لِلْعِبَادِ ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ، جَمْعُ «أَهْنِيَّةٍ»؛ ك«عُرْفَةٍ» وَ«عُرْفٍ»؛ سُمِّيَ بِهِ الْعَقْلُ؛ لِأَنَّهُ يَهْنِي صَاحِبَهُ عَنِ ارْتِكَابِ الْقَبَائِحِ.

﴿٥٥﴾ «وَمِنْهَا» أَي: مِنَ الْأَرْضِ «خَلَقْنَاهُ» بِخَلْقِ أَيِّكُمْ آدَمَ مِنْهَا «وَمِنْهَا نُبْذِرُكُمْ» مُقَبَّرِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ «وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ» عِنْدَ الْبَعْثِ «تَارَةً» مَرَّةً «أُخْرَى» كَمَا أَخْرَجْنَاكُمْ عِنْدَ ابْتِدَاءِ خَلْقِكُمْ.

﴿٥٦﴾ «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا» أَي: أَبْصَرْنَا فِرْعَوْنَ «بِآيَاتِنَا كُلِّهَا» التَّاسِعَ «فَكَذَّبَ» بِهَا وَزَعَمَ أَنَّهَا سِحْرٌ «وَأَنَّى» أَن يُوحَدَ اللَّهُ - تَعَالَى - .

﴿٥٧﴾ «قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا» مِصْرَ، وَيَكُونُ لَكَ الْمُلْكُ فِيهَا «بِسِحْرِكَ يَمْؤِسُونَ».

﴿٥٨﴾ «فَسَأَلْنَاهُ» بِسِحْرِ مَلِكِهِ يَعَارِضُهُ «فَجَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا» لِذَلِكَ «لَّا تُخْلَفُ» نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا مُنْصُوبٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ فِي «[سِوَى]» بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَضَمِّهِ (١)؛ أَي: وَسَطًا تُسَوِّي إِلَيْهِ مَسَافَةَ الْجَائِي مِنَ الصَّرْفَيْنِ.

على الله.

[٦٢] ﴿فَسَنَزِعُهُمْ﴾ في موسى وأخيه ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: الكلام بينهم فيها [٦٣] ﴿قَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إِنَّ هَذَيْنِ﴾ لأبي عمرو، ولغيره: «هذان» (٤)، وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالالف في أحواله الثلاث، «لَسَنَجْرَيْنِ بُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ النَّجْوَى» مؤنث «أمثل»؛ بمعنى: أشرف؛ أي: بأشرافكم، بميلهم إليهما لغلبتهما.

[٦٤] ﴿فَاجْمَعُوا﴾ (٥) كَيْدَهُمْ من السحرة؛ بهمة وصل وفتح الميم من جمع؛ أي: لَمْ، وبهمة قصع وكسر الميم من أجمع: أحكم ﴿ثُمَّ آتُوا صَفًّا﴾ حال؛ أي: مصطفين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْيَوْمَ مَن أَسْتَعْلَى﴾ غلب.

(١) بالكسر قراءة نافع والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) سبق أن لأولي في مثل هذه المواطن التي لم يصح فيها دليل الاقتصار على موضع العبارة والفائدة، فلما كان في العلم بعددهم فائدة لَيْبَهُ اللَّهُ الكريم.

(٣) يفتحهما قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) فيها ثلاث قراءات سجيعة. غير قراءة أبي عمرو وهي سجيعة أيضًا ، الأولى: «إِنَّ هَذَانِ» بتخفيف «إِنَّ» وتشديد نون «هذان»، وهي قراءة ابن كثير، مع المد المشيع. والثانية: تخفيف «إِنَّ» ونون «هذان» وهي قراءة حفص، والثالثة: تشديد نون «إِنَّ» وتخفيف نون «هذان» وهي قراءة الباقين.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ الباقون بهمة قطع وكسر الميم «أجمعوا».

حيات ﴿تَتَّقِي﴾ على بطونها.

[٦٧] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أحس ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ أي: خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزته أن يبتس أمره على الناس؛ فلا يؤمنوا به.

[٦٨] ﴿فَلَمَّا﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَلِيُّ﴾ عليهم بالغلبة.

[٦٩] ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾ وهي عصاه ﴿فَلَقَقَ﴾ تعلق ﴿مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ أي: جنسه ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ بسحره؛ فآلفى موسى عصاه؛ فلتقت كل ما صنعوه.

[٧٠] ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِجْنًا﴾ خروا ساجدين لله - تعالى - ﴿فَالرَّا ءَامَنًا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾.

[٧١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿[أَتَشْتَكِي]﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً^(١) ﴿كَلَمْ يَقُلْ أَنِ ءَادَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدٌ﴾ معلمكم ﴿وَالَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُفْلِحُونَ أَيَّدِيكُمْ وَارْتُلُّكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ حال؛ بمعنى: مختلفة؛ أي: الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿وَلَا صِلَيْتُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: عليها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾ يعني نفسه وزب موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ أدام على مخالفته.

[٧٢] ﴿فَالرَّا لَن نُّؤَذِّرُكَ﴾ نخنارك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَسَنِ﴾ الدالة على صدق موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ خلقنا، فَنَسَمْ، أو: عطف على ﴿مَا﴾ ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: اصنع ما قلته ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ النصب^(٢) على الاتساع^(٣)؛ أي: فيها، ونُجْزِي عليه في الآخرة.

[٧٣] ﴿إِنَّمَا نَأْمُرُ بِرَبِّنَا لِيُفَرِّقَ بَيْنَنَا وَخَلْقِنَا﴾ من الإشرار وغيره ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ إنه ومن يأتي ربه، فمُجْزَا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى^(٤) ومن يأتيه مؤمناً قد عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى^(٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى^(٦)

[٧٤] قال - تعالى -: ﴿إِنَّكُمْ مِنْ بَائِتٍ رَبِّهِ مُخْرِمًا﴾ كافراً؛ كفرعون ﴿فَإِنْ لَّمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة تنفعه.

[٧٥] ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ الفرائض والنوافل ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ جمع «علية» مؤنث «أعلى».

[٧٦] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي: إقامة، بيان له^(٤) ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ تظهر من الذنوب.

فَالرَّا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٧﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِئَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٨﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَلِيُّ ﴿٧٠﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٧١﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِجْنًا فَالرَّا مُنَابِرَ هَرُونَ وَمُوسَى ﴿٧٢﴾ قَالَ ءَامَنَّا لَهُ وَقَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُفْلِحُونَ أَيَّدِيكُمْ وَارْتُلُّكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلَيْتُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ قَالُوا لَنْ نُوْذِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٤﴾ إِنَّمَا مُنَابِرُ بَيْنَا لِيُفَرِّقَ بَيْنَنَا وَخَلْقِنَا مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٥﴾ إِنَّهُ وَمَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٦﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٧﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٨﴾

[٦٥] ﴿قَالُوا يَمُوسَى﴾ اختر ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك أولاً ﴿وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ عصاه.

[٦٦] ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ فآلفوا ﴿فَإِذَا جِئَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ﴾ أصله: «غصوه»؛ قلبت الواو إناءين، وكسرت العين والصاد ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا﴾

(١) راجع التعليق على الآية (١٢٣) من سورة الأعراف.

(٢) أي نصب «هذه» المبدل منها: «الحياة الدنيا».

(٣) أي في اللغة؛ أي: نُصِبْتُ بَرَحَ الْخَافِضِ بِتَقْدِيرٍ: «إِنَّمَا تَقْضِي فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، وهذا خلافاً لما ذكر وأطرد؛ حيث يكثر ويطرده حذف الجار مع «أن» و «أن»، ويأتي الحذف في غيرهما قليلاً على سبيل الاتساع والتشخيص، كما ذكر ابن هشام في «معني اللبيب».

(٤) أي لقوله: «الدَّرَجَاتُ الْعُلَى».

[٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾ وبهمزة وصل وكسر النون^(١) من «سرى» لغتان؛ أي: سر بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فَاصْرَبْتَ لَهُمْ﴾ اجعل لهم بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقًا﴾ في الْيَمِّ يَمِينًا أي: يابسا؛ فامتثل ما أُمِر به، وأيس الله الأرض؛ فمروا فيها ﴿لَا تَخَفْ دُرُوكَ﴾ أي: أن يدركك فرعون ﴿وَلَا تَخَفْ غَرَقًا﴾.

[٧٨] ﴿فَأَنبَتْهُمْ فِرْعَوْنُ بِحُودِهِ﴾ وهو معهم ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنْ آلَيمٍ﴾ أي: البحر ﴿وَمَا غَشِيَهُمْ﴾ فأغرقهم.

[٧٩] ﴿وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ بل أوقعهم في الهلاك خلاف قوله: ﴿وَمَا أَهْدَيْكَ إِلَّا سَبِيلَ الْتِبَادِ﴾^(٢).

[٨٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنبَتَكَ مِنْ عُدْوَنٍ﴾ فرعون بإغراقه ﴿وَوَعَدَنَكَ﴾ جَنَابَ الطُّورِ الْآتِينَ﴾ فتوتى موسى التوراة للعمل بها ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالطُّورَ﴾ هما «الشُّجْعَيْنِ» و«الشماني» بتخفيف الميم والقصر، والمنادى من وَجَدَ من اليهود رَمَنَ النبي ﷺ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي: الْمُتَّقِمَ به عليكم ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَجْلَ عَلَيْنَكَ عَذَابِي﴾ بكسر الحاء؛ أي: يجب، وبضمها^(٣)؛ أي: ينزل ﴿وَمَنْ يَجْلَلْ عَلَيْهِ عَذَابِي﴾ بكسر الهمزة وضمها^(٤) ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ سقط في النار.

[٨٢] ﴿وَأَنَّى لَعْفًا لِمَنْ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَمَنْ﴾ وحَّد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يَصْدُقْ بالفرض والنفل ﴿ثُمَّ أَهْتَدَىٰ﴾ باستمراره على ما دُكِرَ إلى موته.

[٨٣] ﴿وَمَا أَصْحَابُكَ عَنْ قَوْمِكَ﴾ لحيء ميعاد أخذ التوراة^(٥) ﴿يَعْمُونَ﴾.

[٨٤] ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ﴾ أي: بالقرب مني بأنون ﴿عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ عني؛ أي: زيادة في رضاك، وَقِيلَ الجواب، أتى بالاعتذار^(٦) بحسب ظنه، وتخلف المظنون لما: [٨٥] ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿فَإِنَّا قَدْ قَتَلْنَا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ أي: بعد فراغك لهم ﴿وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ فعبدوا العجل. [٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ﴾ من جهنهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن.

﴿قَالَ يَقُولُ آلَهُم يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ أي: صدقًا أنه يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يُجِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ عَذَابُ مَنْ رَبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العجل ﴿فَأَنلَقْتُمْ مَوْعِدِي﴾ وتركتم الحجيء بعدي.

(١) بهمزة وصل وكسر النون قراءة نافع وابن كثير.

(٢) غافر: ٢٩.

(٣) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.

(٤) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.

(٥) أي شيء جعلك متعجلاً عن قومك وسابقاً لهم؟

(٦) عن سبقه لقومه.

(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وبالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨) بالفتح قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٩) وقيل: إن الحجيء كان لبي [إسرائيل]، وراجع ما تقدم في تفسير آية الأعراف رقم (١٤٨).

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَمِينًا لَا تَخَفْ دُرُوكَنَا وَلَا تُخَفِّسْ ﴿٧٧﴾ فَأَنبَتَهُمُ فِرْعَوْنُ بِحُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ يَلْ قَدْ أَنبَتَكَ مِنْ عُدْوَنٍ وَأَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالطُّورَ ﴿٨٠﴾ كَلَّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ عَذَابِي وَمَنْ يَجْلَلْ عَلَيْهِ عَذَابِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَعَفَّا لِمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ وَمَا أَصْحَابُكَ عَنْ قَوْمِكَ يَكْفُرُونَ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ قَتَلْنَا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُ ابْنُ بَعْدِكَ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يُجِلَّ عَلَيْكُمْ عَذَابُ مَنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ تَتَذَكَّرُكَ إِلَيْنَا أَلَتِي السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

[٨٧] ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا﴾ مثلث الميم^(٧)؛ أي: بقدرتنا أو أمرنا ﴿وَلَكِنَّا حُمَلْنَا﴾ بفتح الحاء مخففاً، وبضمها وكسر الميم مشدداً^(٨) ﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالاً ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي: خلقي قوم فرعون، استعارها منهم بنو إسرائيل بعلية حموس^(٩)؛ فبقيت عندهم ﴿فَقَدْ تَذَكَّرُكَ﴾ طرحناها في النار بأمر السامري ﴿فَكَذَّبَكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلَتِي السَّامِرِيُّ﴾ ما معه من حلبيهم، ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي:

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل أن يرجع موسى: ﴿يَتَّقُوا رَبَّ إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَالْعَبُودُ﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ فيها.

[٩٢] ﴿قَالَ﴾ موسى بعد رجوعه: ﴿يَهْرُونَ مَا مَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾
بعيادته [٩٣] ﴿أَلَيْسَ﴾ لا زائدة ﴿لَا تَتَّبِعُنَّ﴾ أَفْعَصَيْتُ أَمْرِي بِإِقَامَتِ
بين من يعبد غير الله - تعالى ١٩.

[٩٤] ﴿قَالَ﴾ هَارُونُ: ﴿يَبْنَؤُمْ﴾ بِكَسْرِ الِيمِ وَفَتْحِهَا ^(٢) أَرَادَ أُمِّي، وَذَكَرَهَا أَعْطَفَ لِقَلْبِهِ ﴿لَا تَأْخُذْ يِلَاحِيَّتِي﴾ وَكَانَ أَخَذَهَا بِشِمَالِهِ ﴿وَلَا يَرْأِي﴾ وَكَانَ أَخَذَ شَعْرَهُ يَمِينَهُ غَضَبًا ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ لَوْ اتَّبَعْتُكَ، وَلَا بَدَأَنُ يَتَّبِعُنِي جَمْعٌ مِّنْ لَّمْ يَبْدُوا الْعَجَلَ ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَتَغْضِبَ عَلَيَّ ﴿وَلَمْ تَرْفَعْ﴾ تَنْظُرُ ﴿قَوْلِي﴾ فِيمَا رَأَيْتَهُ فِي ذَلِكَ. [٩٥] ﴿قَالَ﴾ فَمَا خَطْبُكَ شَأْنُكَ الدَّاعِي إِلَى مَا صَنَعْتَ يَسْمَعُ؟

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء والتاء؟^(٤) أي: علمت ما لم يعلموه ﴿فَبَصَّرْتُ بِفِصَّةٍ مِّنْ﴾ تراب ﴿أَثَرٍ﴾ حافر فرس ﴿الرَّسُولِ﴾ جبريل ﴿فَنَبِّئُهَا﴾ ألقيتها في صورة العجل المصاغ^(٥) ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ﴾ زَيَّنَتْ ﴿لِي نَفْسِي﴾ والتي فيها أن أخذ فيصاة من راب ما ذكر، وألقيا على ما لا روح له يصير له روح، ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم الها؛ فحدثني نفسي أن يكون ذلك العجل اللهم^(٥).

[٩٧] **قَالَ** له موسى: **فَآذِهِبْ** من ينشأ **فَإِنَّكَ لَكَ فِي الْحَيَوةِ**؛
مدة حياتك **أَنْ تَقُولَ** لمن رآته: **لَا يَسَاسُ** أي: لا تقربي؛
سكان يهيم في البرية، وإذا مس أحدًا أو مسه أحدٌ **خُصُّوا جميعًا** ^(١) **وَأَنَّ لَكَ**

تَوَعَّدَا لِعَذَابِكَ ﴿٧٠﴾ هُنَّ [تُخْلِطُهُ] بِكسر اللام، أي: لن تغيب عنه، بفتحهما (٧٠)، أي: بل تبعث إليه ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ﴾ أصله ﴿ظَلَمْتَ﴾ بلامين، أولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً؛ أي: دمت ﴿عَلَيْهِ﴾ كَمَاكَهْ. أي: مقيماً تبعده ﴿لَتُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّهُ فِي أَثَرِ﴾ ﴿سَفَا﴾ نُذْرَتِهِ فِي هَوَاءِ الْبَحْرِ، وفعل موسى بعد ذبحه (٨) مَا ذَكَرَهُ. [٩٨] ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾
يُضَيَّرُ مَحْوًى عَنِ الْفَاعِلِ؛ أي: وسع علمه كل شيء.

تمويله من خارج تمويله فخره كما ان من القوة أعمادهم حلاله من الظاهر قائل:

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ
وَاللهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا
وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ
مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي
وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِهينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ
إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾
أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَقَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْتَغُونَ لِيَ آتَاخُذَ بِلِجَتِي
وَلَا يَرَأُونَ لِي فِي خَشْيَتِ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَلَمْ تَرْفُقْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يٰسَمِيرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ
بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَشْرِ
الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفُهُ وَنَنْظُرُ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا لَّنْ نَّحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا
إِلَهُكُمْ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا﴾ صَاغَهُ من الحلي ﴿جَسَدًا﴾ لحما ودما ﴿لَهُمْ حُورٌ﴾ أي: صوت يُسمع، أي: انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثَّره لحاءُ فيما يوضع فيه، ووضعه بعد صَوْغِهِ في فيه ﴿فَقَالُوا﴾ أي: السامري وأتباعه: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِنَّهُ مُوسَى بْنُ قَيْسٍ﴾ موسى ربه هنا، وذهب يطلبه. [٨٩] قال - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِذَا أَثْقَلُوا﴾ من الثقلية، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَا يَرْجِعُ﴾ العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: لا يرد لهم جوابًا ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جلبيه؛ أي: فكيف يُتَخَذُ إِلَهًا!

(١) هذا قول الحسن البصري وقادة، واختاره الجلال المحلي هنا. وقال مجاهد: بل كانت الرياح إذا دخلت من دُفْره، خرجت من فمه فيخور كما يحور البقرة؟ أي لم يصر حَيًّا. ويشهد له ظاهر قوله: «جسده» الذي يدل على أنه لا حياة فيه. وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٢) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة. وقرأ الباقر بالفتح.

(٣) بالتاء قراءة حمزة والكسائي وقرأ الباقون هلياء.

(٥) ما ذكره المفسر هنا يذكره عامة المفسرين، واختلفوا متى رأى السامري جبريل عليه السلام، وكيف اخصص برؤيته ومعرفة من بين الناس

علم ولا يدل عليه انتهيل الكرم؛ ولذا فشره بعضهم بوجه آخر، وهو أن يكون المراد بـ«الرسول»: موسى عليه السلام، وبـ«أثره»: سنته رسمه الذي أمر به، فكان السامري قال: عرفت أن الذي أُنتم عليه ليس بحق، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول؛ أي: شيئاً من سنتك ودينك، فقلقته؛ أي: طرحته، فصار ما صار. وإنما أورد بلفظ الإخبار عن غائب، كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له: ما يقول الأمير في كذا؟ وماذا يأمر الأمير؟ وأما دعاؤه موسى عليه السلام رسولاً مع جحده وكفره، فعلى مثل مذهب من حكى الله - تعالى - عنهم قولهم: **يَا أَيُّهَا الَّذِي تُرِكَ عَلَيْهِ الْكَذِبُ إِنَّكَ لَمَجْهُونٌ**، وإن لم يؤموا بالإنزال، فالله أعلم.

(٦) هذا أيضًا لما لا دليل صحيح يعتمد عليه، وفقره البعض: بأن المراد المنع من أن يخالط أحدًا أو يخالطه أحد، عقوبة له، وفقره آخرون: بأنه كناية عن انقطاع نسله، فلا يكون له ولد يؤنس؛ لأن المس يكنى به عن النكاح. فالله أعلم.

(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالفتح.

[٩٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نَفْسٌ عَلَيْكَ مِنْ أُنْبَاءٍ﴾ أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من لأمم ﴿وَقَدْ عَلِمْتَنِي﴾ أعطيتناك ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ قرأنا. [١٠٠] ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَلَنَّمْ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ حملاً ثقيلاً من الإثم.

[١٠١] ﴿خَلْدَيْنِ فِيهِ﴾ أي: في عذاب الوزر ﴿وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ جِزَاءُ﴾ تمييز مفسر للضمير في «ساء»، والخصوص بالذم محذوف تقديره: «وزرهم»، واللام للبيان، ويبدل من ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: [١٠٢] ﴿يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الْأَصْوَارِ﴾ القرن النفخة الثانية ﴿وَنُحْشَرُ الْكَاثِرِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ رُفَقًا﴾ عيونهم مع سواد وجوههم [١٠٣] ﴿يَسْخَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتساورون ﴿إِنْ مَا لَيْسَتْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ من الليالي بأيامها. [١٠٤] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك؛ أي: ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ آمَنَّا بِهِمْ﴾ أغدلتهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه: ﴿إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يستقلون لبثهم في الدنيا جدًا لما يعانونه في الآخرة من أهوالها.

[١٠٥] ﴿وَسَتُؤْتِيكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿يَسْفِهَارِي نَسْفًا﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل، ثم يطيرها بالرياح.

[١٠٦] ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ منبسطة ﴿صَفْصَفًا﴾ مستوية.

[١٠٧] ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضًا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ ارتفاعًا. [١٠٨] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ نسفت الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي: الناس بعد القيام من القبور ﴿الدَّاعِيَ﴾ إلى الخشعر بصوته؛ وهو: إسرافيل، يقول: هلموا إلى عرض الرحمن ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ أي: لا اتباعهم؛ أي: لا يقدرون أن لا يتبعوا ﴿وَحَشَعَتِ﴾ سكنت ﴿الْأَصْوَارُ لِلرَّحْمَنِ﴾ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿صَوْتِ وَطءِ الْأَقْدَامِ فِي ثَقْلِهَا إِلَى الْخَشَرِ﴾ كصوت أخفاف الإبل في مشيتها^(١).

[١٠٩] ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ أَحَدًا﴾ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴿أَنْ يَشْفَعَ لَهُ﴾ وَيَرْضَى لَمْ قَوْلًا ﴿بَانَ يَقُولُ﴾ لا إله إلا الله.

[١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ عِلْمًا لا يعلمون ذلك.

[١١١] ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ خُضَعًا﴾ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴿أَيُّ اللَّهِ﴾ وَقَدْ خَابَ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: شirkًا.

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٠١﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٢﴾ خَلْدَيْنِ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الْأَصْوَارِ وَنُحْشَرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ رُفَقًا ﴿١٠٤﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْسَ إِلَّا عَشْرٌ ﴿١٠٥﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْ لَهُمْ طَرِيقَةٌ إِنْ لَيْسَ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٦﴾ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٧﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٨﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٩﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ أَعْوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَارُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١١٠﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١١١﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ﴿١١٢﴾ عِلْمًا ﴿١١٣﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ الشُّرَكَ ﴿١١٦﴾ أَوْ يُحْدِثُ الْقُرْآنَ ﴿١١٧﴾ لَهُمْ ذِكْرًا مِنْ تَقْدِيمِهِمْ مِنَ الْأَمِّ؛ فيعتبرون.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا بزيادة في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بنقص من حسناته.

[١١٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ معطوف على ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ﴾ أي: مثل إنزال ما ذكر ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ الشُّرَكَ﴾ أَوْ يُحْدِثُ الْقُرْآنَ ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ بهلاك من تقدمهم من الأمم؛ فيعتبرون.

(١) وقيل: هو همس الشفاء، وعلى كلا القولين: «فالهمس» هو الصوت الحففي.

﴿١١٦﴾ اذْكُرْ ﴿١﴾ اِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْۤا اِلَّاۤ اِبْلِيسَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اَبُو الْاِنۡسِ كَانَ يَصْحَبُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَبَعَدَ اللّٰهُ مَعَهُمْ ﴿٣﴾ اَنۡىٰٓ عَلٰى السَّجۡدِ لِاٰدَمَ ﴿٤﴾ قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِّنۡكَ ﴿٥﴾

﴿١١٧﴾ ﴿٦﴾ فَقُلْنَا يٰۤاٰدَمُ اِنَّ هٰذَا عَدُوُّكَ وَلَزَوِجُكَ ﴿٧﴾ حَوٰةَ الْمَلَكِ يَخْرُجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقٰى ﴿٨﴾ تَعْبٰى بِالْحَرِّ وَالزَّرْعِ وَالْحَصَدِ وَالطَّحْنِ وَالْخَبْزِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَاقْصِرْ عَلَى شِقَايَهٗ لَآنَ الرَّجُلِ يَسْعٰى عَلَى زَوْجَتِهٖ

﴿١١٨﴾ ﴿٩﴾ اِنَّ لَكَ اَنْتَ لَا تَجُوعُ فِيْهَا وَلَا تَعْرٰى

﴿١١٩﴾ ﴿١٠﴾ وَاَنْتَ بِفَتْحِ التَّهْمَةِ وَكَسْرِهَا ﴿١١﴾ عَطِفَ عَلَى اسْمِ ﴿١٢﴾ اِيَّاهَا وَجَمَلَتَهَا ﴿١٣﴾ لَا تَطْمَؤُنَّ فِيْهَا تَعْطِشُ ﴿١٤﴾ وَلَا تَضْحَكُ ﴿١٥﴾ لَا يَحْصُلُ لَكَ حُرٌّ شَمْسُ الضَّحٰى لَانْقِصَافِ الشَّمْسِ فِي الْجَنَّةِ

﴿١٢٠﴾ ﴿١٦﴾ فَوَسَّوْا اِلَيْهِ الشَّيْطٰنُ قَالَ يٰۤاٰدَمُ هٰذَا اُذۡلُكَ عَلَى سَجَرَةٍ تَخْلُجُ اَيُّ الَّذِي يَخْلُدُ مِنْ اَكْلٍ مِنْهَا ﴿١٧﴾ وَمَلٰٓئِكَةُ لَا يَنْبٰى لَكَ يَفْنٰى وَهُوَ لَا زَمَ الْخُلُدِ

﴿١٢١﴾ ﴿١٨﴾ فَاَكَلَا ﴿١٩﴾ اَيُّ اٰدَمَ وَحَوٰةَ ﴿٢٠﴾ مِنْهَا فَدَتَ لَهَا سَوَءَهُمَا ﴿٢١﴾ اَيُّ: ظَهَرَ لِكُلِّ مِنْهُمَا قُبْلُهُ وَقُبُلُ الْآخَرِ وَذُبُوْهُ، وَسَمِيَ كُلُّ مِنْهُمَا سَوَءًا لَّأَنَ انْكَشَافَهُ بِسَوَءِ صَاحِبَتِهٖ ﴿٢٢﴾ وَطَوْفًا بِتَحْصِيَانِ أَخَذَا يَلْزَقَانِ ﴿٢٣﴾ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِي الْجَنَّةِ لِيَسْتَتِرَا بِهِ ﴿٢٤﴾ وَعَصٰى اٰدَمَ رِيْءُ فَعَوٰى ﴿٢٥﴾ بِالْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ

﴿١٢٢﴾ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ قُوْبَهُ ﴿٢٧﴾ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾ قَبْلَ تَوْبَتِهٖ ﴿٢٩﴾ وَهَدٰى ﴿٣٠﴾ اَيُّ: هَدَاهُ إِلَى الْمُنَاقَاةِ عَلَى التَّوْبَةِ

﴿١٢٣﴾ ﴿٣١﴾ قَالَ أَهْطَا ﴿٣٢﴾ اَيُّ: اٰدَمَ وَحَوٰةَ بِمَا اشْتَمَلَتَا عَلَيْهِ مِنْ ذَرِيَّتِكُمَا ﴿٣٣﴾ مِنْهَا ﴿٣٤﴾ مِنَ الْجَنَّةِ جَمِيعًا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴿٣٥﴾ بَعْضُ الذَّرِيَّةِ بِبَعْضِ عَدُوٍّ مِنْ ظَلَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿٣٦﴾ فَيَايَا فِيهِ إِدْغَامُ نُونِ ﴿٣٧﴾ اِنَّ الشَّرْطِيَّةَ فِي «م» الْمَزِيْدَةِ ﴿٣٨﴾ يٰۤاَيُّكُمْ مَتٰى هَدٰى فَمَنْ أَتَّبَعَ هٰذَاى الْقَرٰنَ ﴿٣٩﴾ فَلَا يَضِلُّ ﴿٤٠﴾ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقٰى ﴿٤١﴾ فِي الْآخِرَةِ

﴿١٢٤﴾ ﴿٤٢﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِيْ عَنِ الْقَرٰنِ فَلَمْ يَزَلْ يَكُ مَعِشَةً ضَنْكًا ﴿٤٣﴾ بِالتَّوْنِ؛ مُصَدِّرٌ بِمَعْنَى: ضَيِّقٌ، وَفُسِّرَتْ فِي حَدِيثٍ (٤) بِعَذَابِ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهٖ ﴿٤٤﴾ وَتَحْشُرُهُ ﴿٤٥﴾ اَيُّ: الْمَعْرُضُ عَنِ الْقَرٰنِ ﴿٤٦﴾ يَوْمَ اَلْقِيٰمَةِ أَعْمٰى ﴿٤٧﴾ أَعْمٰى الْبَصَرِ

﴿١٢٥﴾ ﴿٤٨﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ اَعْمٰى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا ﴿٤٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَعِنْدَ الْبَعْثِ

فَتَعَلٰى اَللّٰهُ اَلْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ اَنْ يُقَضٰى اِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِيْ عِلْمًا ﴿١﴾ وَلَقَدْ عٰهَدْنَا اِلٰى اٰدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسٰى وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿٢﴾ وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْۤا اِلَّاۤ اِبْلِيسَ اِنۡىٰٓ عَلٰى السَّجۡدِ لِاٰدَمَ ﴿٣﴾ فَقُلْنَا يٰۤاٰدَمُ اِنَّ هٰذَا عَدُوُّكَ وَلَزَوِجُكَ فَلَا يَخْرُجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقٰى ﴿٤﴾ اِنَّ لَكَ اَلَّا تَجُوعَ فِيْهَا وَلَا تَعْرٰى ﴿٥﴾ وَاَنْتَ لَا تَطْمَؤُنَّ فِيْهَا وَلَا تَضْحَكُ ﴿٦﴾ فَوَسَّوْا اِلَيْهِ الشَّيْطٰنُ قَالَ يٰۤاٰدَمُ هٰذَا اُذۡلُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكُ لَآيِلٰى ﴿٧﴾ فَاَكَلَا مِنْهَا فَدَتَ لَهَا سَوَءَهُمَا وَطَوْفًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصٰى اٰدَمَ رَبَّهُ وَفَعَوٰى ﴿٨﴾ ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ وَقَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدٰى ﴿٩﴾ قَالَ أَهْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَاِمَا يٰۤاَيُّكُمْ مَتٰى هَدٰى فَمَنْ أَتَّبَعَ هٰذَاى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقٰى ﴿١٠﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِيْ اِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اَعْمٰى ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ اَعْمٰى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا ﴿١٢﴾

﴿١١٤﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿١١٧﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿١١٩﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿١٢٢﴾ ﴿١٢٣﴾ ﴿١٢٤﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿١٢٦﴾ ﴿١٢٧﴾ ﴿١٢٨﴾ ﴿١٢٩﴾ ﴿١٣٠﴾ ﴿١٣١﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿١٣٣﴾ ﴿١٣٤﴾ ﴿١٣٥﴾ ﴿١٣٦﴾ ﴿١٣٧﴾ ﴿١٣٨﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿١٤١﴾ ﴿١٤٢﴾ ﴿١٤٣﴾ ﴿١٤٤﴾ ﴿١٤٥﴾ ﴿١٤٦﴾ ﴿١٤٧﴾ ﴿١٤٨﴾ ﴿١٤٩﴾ ﴿١٥٠﴾ ﴿١٥١﴾ ﴿١٥٢﴾ ﴿١٥٣﴾ ﴿١٥٤﴾ ﴿١٥٥﴾ ﴿١٥٦﴾ ﴿١٥٧﴾ ﴿١٥٨﴾ ﴿١٥٩﴾ ﴿١٦٠﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿١٦٢﴾ ﴿١٦٣﴾ ﴿١٦٤﴾ ﴿١٦٥﴾ ﴿١٦٦﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾ ﴿١٧٤﴾ ﴿١٧٥﴾ ﴿١٧٦﴾ ﴿١٧٧﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿١٧٩﴾ ﴿١٨٠﴾ ﴿١٨١﴾ ﴿١٨٢﴾ ﴿١٨٣﴾ ﴿١٨٤﴾ ﴿١٨٥﴾ ﴿١٨٦﴾ ﴿١٨٧﴾ ﴿١٨٨﴾ ﴿١٨٩﴾ ﴿١٩٠﴾ ﴿١٩١﴾ ﴿١٩٢﴾ ﴿١٩٣﴾ ﴿١٩٤﴾ ﴿١٩٥﴾ ﴿١٩٦﴾ ﴿١٩٧﴾ ﴿١٩٨﴾ ﴿١٩٩﴾ ﴿٢٠٠﴾

﴿١١٥﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿١١٧﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿١١٩﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿١٢٢﴾ ﴿١٢٣﴾ ﴿١٢٤﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿١٢٦﴾ ﴿١٢٧﴾ ﴿١٢٨﴾ ﴿١٢٩﴾ ﴿١٣٠﴾ ﴿١٣١﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿١٣٣﴾ ﴿١٣٤﴾ ﴿١٣٥﴾ ﴿١٣٦﴾ ﴿١٣٧﴾ ﴿١٣٨﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿١٤١﴾ ﴿١٤٢﴾ ﴿١٤٣﴾ ﴿١٤٤﴾ ﴿١٤٥﴾ ﴿١٤٦﴾ ﴿١٤٧﴾ ﴿١٤٨﴾ ﴿١٤٩﴾ ﴿١٥٠﴾ ﴿١٥١﴾ ﴿١٥٢﴾ ﴿١٥٣﴾ ﴿١٥٤﴾ ﴿١٥٥﴾ ﴿١٥٦﴾ ﴿١٥٧﴾ ﴿١٥٨﴾ ﴿١٥٩﴾ ﴿١٦٠﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿١٦٢﴾ ﴿١٦٣﴾ ﴿١٦٤﴾ ﴿١٦٥﴾ ﴿١٦٦﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾ ﴿١٧٤﴾ ﴿١٧٥﴾ ﴿١٧٦﴾ ﴿١٧٧﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿١٧٩﴾ ﴿١٨٠﴾ ﴿١٨١﴾ ﴿١٨٢﴾ ﴿١٨٣﴾ ﴿١٨٤﴾ ﴿١٨٥﴾ ﴿١٨٦﴾ ﴿١٨٧﴾ ﴿١٨٨﴾ ﴿١٨٩﴾ ﴿١٩٠﴾ ﴿١٩١﴾ ﴿١٩٢﴾ ﴿١٩٣﴾ ﴿١٩٤﴾ ﴿١٩٥﴾ ﴿١٩٦﴾ ﴿١٩٧﴾ ﴿١٩٨﴾ ﴿١٩٩﴾ ﴿٢٠٠﴾

(١) سورة ص: ٧٦.

(٢) قراءتان سبعيتان، وبالكسر قرأ نافع وشعبة، وبالفتح قرأ الباقون.

(٣) أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسند في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وأخرجه ابن أبي شيبة والبخاري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا، وكذلك أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت، والحاكم الترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعًا [الدر المنثور (٤/٥٥٦)]. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٢، ج ٣).

[١٢٦] «قَالَ: الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْتَكَ إِنَّا نَقَسِينَا» تركتها ولم تؤمن بها «وَكَذَلِكَ» مثل نسيانك آياتنا «الْيَوْمَ نُنْصِرُ» نُثْرِكُ فِي النَّارِ.

[١٢٧] «وَكَذَلِكَ» ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن «يَجْزِي مَنْ شَرَفَ» أشرك «وَلَمْ يُؤْمِنْ بِكَائِدِ رَبِّهِ» وَلَعْدَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ من عذاب الدنيا وعذاب القبر «وَأَبْقَى» أَدُومَ.

[١٢٨] «أَقْلَمَ يَدَيْ» بَيَّنَّ «لَهُمْ» لِكْفَارِ مَكَّةَ «كَمْ» خبرية مفعول «أَهْلَكْنَا» أي: كثيرا إهلاكنا «قَبْلَهُمْ» مِنَ الْقُرُونِ «أي: الأُمُ الْمَاضِيَةِ؛ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ» يَمْشُونَ «حَالٍ مِنْ ضَمِيرِ» لَهُمْ «فِي مَسْكِنِهِمْ» فِي سَفَرِهِمْ إِلَى الشَّامِ وَغَيْرِهَا؛ فَيَعْتَبِرُوا، وَمَا ذُكِرَ^(١) مِنْ أَهْلَاكِ «إِهْلَاكِ» مِنْ فَعْلِهِ الْخَالِي عَنْ حَرْفِ مُصَدَّرِي؛ لِرَعَايَةِ الْمَعْنَى لَا مَانِعَ مِنْهُ^(٢) «وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ» لِعِبْرًا «لِأُولِي الْأَلْبَابِ» لِلذَّوِي الْعُقُولِ.

[١٢٩] «وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ» بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ «لَكَانَ الْإِهْلَاكُ لِرَأْمًا» لِرَأْمَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا «وَأَجَلٌ مُسَمًّى» مُضْرُوبٌ لَهُمْ، مُعْطُوفٌ عَلَى الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِّ فِي «كَانَ»، وَقَامَ الْفَصْلُ بِخَبَرِهَا مَكَانَ التَّأْكِيدِ.

[١٣٠] «فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ» مَنْسُوخٌ بِآيَةِ الْقِتَالِ «وَسَبِّحْ» صَلِّ «بِحَمْدِ رَبِّكَ» حَالًا؛ أَي: مُتَلَبِّسًا بِهِ «فَقَلَّ طُلُوعُ الشَّمْسِ» صَلَاةُ الصُّبْحِ «وَقَلَّ غُرُوبُهَا» صَلَاةُ الْعَصْرِ «وَمِنْ آتَائِي اللَّيْلِ» سَاعَاتِهِ «فَسَبِّحْ» صَلِّ الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ «وَأَطْرَافَ النَّهَارِ» عَطَفَ عَلَى مَحْضٍ «وَمِنْ آتَائِي» الْمَنْصُوبِ؛ أَي: صَلِّ الظُّهْرَ؛ لِأَنَّ وَقْتُهَا يَدْخُلُ بَزْوَالِ الشَّمْسِ؛ فَهُوَ طَرَفُ النِّصْفِ الْأَوَّلِ، وَطَرَفُ النِّصْفِ الثَّانِي «لَعَلَّكَ تَرْضَى» بِمَا تُعْطَى مِنَ الثَّوَابِ.

[١٣١] «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا» أَصْنَافًا «مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» زِينَتِهَا وَبَهْجَتِهَا «لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ» بِأَن يَطْفُوا «وَرِزْقَ رَبِّكَ» فِي الْجَنَّةِ «خَيْرٌ» مِمَّا أُوتُوهُ فِي الدُّنْيَا «وَأَبْقَى» أَدُومَ.

[١٣٢] «وَأَمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ» اصْبِرْ «عَلَيْهَا»^(٤) لَا تَشْتَكَ «نَكْفِكَ» نَزَقًا «نَفْسِكَ وَلَا لِفَرِكَ» نَقْنُ زَرْقًا «وَالْعَنِيقَةَ» الْجَنَّةَ «لِلنَّفْقَى» لِأَهْلِهَا.

[١٣٣] «وَقَالُوا» الْمُشْرِكُونَ: «لَوْلَا» هَلَّا «يَأْتِينَا» مُحَمَّدٌ «بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ»؛ مِمَّا يَقْتَرِحُونَهُ «أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ» بِلِئَالِ الْوَالِيَاءِ^(٥) «بَيِّنَةٌ» بَيَانٌ «فَمَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى» الْمُشْتَمِلَةِ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ؛ مِنْ أَنْبَاءِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَإِهْلَاكِهِمْ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ.

[١٣٤] «وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ» قَبْلَ مُحَمَّدٍ الرُّسُولِ

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَكَ إِنَّا نَقَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْصِرُ
وَكَذَلِكَ يَجْزِي مَنْ شَرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِكَائِدِ رَبِّهِ وَلَعْدَابُ الْآخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَبْقَى أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ
وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِرَأْمًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى
فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آتَائِي اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ
تَرْضَى وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأَمُرْ أَهْلَكَ
بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنَقَةُ
لِلنَّفْقَى وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ
بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ
مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ
آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى قُلْ كُلُّ مُرْصِدٍ فَرَصُوعًا
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى

«لَقَالُوا» يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «رَبَّنَا لَوْلَا» هَلَّا «أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ
آيَاتِكَ» الْمُرْسَلُ بِهَا «وَمِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ» فِي الْقِيَامَةِ «وَنَخْزَى» فِي
جَهَنَّمَ.

[١٣٥] «قُلْ» لَهُمْ: «كُلُّ» مَنَا وَمِنْكُمْ «مُتَرَبِّصٌ» مُنْتَظَرٌ مَا يُولِ
إِلَيْهِ الْأَمْرُ «فَرَصُوعًا فَسَتَعْلَمُونَ» فِي الْقِيَامَةِ «مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ» الطَّرِيقِ
«السَّوِيِّ» الْمُسْتَقِيمِ «وَمَنِ اهْتَدَى» مِنَ الضَّلَالَةِ أَنْحَنَ أَمْ أَنْتَمُ؟

(١) فِي تَفْسِيرِ: «كَمْ أَهْلَكْنَا».

(٢) أَي: أَخَذَ الْمَصْدَرِ.

(٣) أَي: لَا مَانِعَ مِنْهُ لَفَةً.

(٤) أَي: عَلَى الصَّلَاةِ؛ بِإِقَامَتِهَا بِحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا وَخُشُوعِهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ شَأْنٌ عَلَى الْفَرَسِ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي جَهَادَهَا عَلَى ذَلِكَ وَالصَّبْرَ مَعَهَا. فَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: «عَلَيْهَا» يَرْجِعُ إِلَى الصَّلَاةِ، وَلَيْسَ إِلَى «أَهْلِكَ».

(٥) بِالْيَاءِ قِرَاءَةُ حِمَزةٍ وَالْكَسَاءِ وَابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامَرٍ وَشُعْبَةُ.

سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
 مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
 يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ
 ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ
 تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ
 أَفْتَرَبَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
 ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ أَهْلَكْنَاهُمْ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
 ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَاهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

سورة الأنبياء

[مكية، وهي: مائة وإحدى عشرة، أو: واثنان عشرة آية،

نزلت بعد سورة [إبراهيم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَقْرَبَ﴾ قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة منكري البعث
 ﴿حِسَابُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿تُبْصِرُونَ﴾ عن التأهب له
 بالإيمان.
 [٢] ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ شيئاً فشيئاً؛ أي: لفظ
 قرآن^(١) ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزئون.
 [٣] ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ غافلة ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ الكلام
 الذي يتكلمون به ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ من واهو ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ ههنا ههنا؛ أي:
 محمد ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فما يأتي به سحر ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾

تبعونه ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون أنه سحر.

[٤] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائنات في السماء والأرض وهو
 السميع ﴿مَا أَسْرُوهُ﴾ أعلمهم به.

[٥] ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوا﴾ فيما
 أتى به من القرآن: هو ﴿أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾ أخلط رآها في النوم ﴿بَلْ﴾
 أفتربه اختلقه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به سحر ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا﴾
 أرسل الأولون ﴿كَالناقة والعصا واليد﴾.

[٦] قال تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾
 بتكذيبها ما أتتها من الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟ لا.

[٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي﴾ وفي قراءة: بالياء وفتح
 الحاء^(٢) ﴿وَالْيَوْمَ﴾ لا ملائكة ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالنبوة والإنجيل
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك؛ فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب
 من تصديق المؤمنين بمحمد^(٣).

[٨] ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: الرسل ﴿جَسَدًا﴾ بمعنى: أجساداً ﴿لَا﴾
 يأكلون الطعام بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ في الدنيا.

[٩] ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ المصدقين
 لهم ﴿وَاهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المكذبين لهم.

[١٠] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ لأنه
 بلغنكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون به.

(١) وهذا على مذهب الأشاعرة الباطل أن القرآن معنى قائم بذات الرب، أما الألفاظ فمخلوقة، وأن كلام الله قديم، وأنه وصف قائم بالذات، وهذا خلاف مذهب السلف في كلام الله ﷻ وأنه تعالى لم يزل متكلاً بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حمزة والكسائي كذلك لكن مع الإمالة، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٣) صلى الله عليه وسلم.

[١١] ﴿وَكَمْ فَصَصْنَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ أَيُّ أَهْلِهِيَ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرًا ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.
 [١٢] ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاسِ شَعْرِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ بِالْإِهْلَاكِ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكَبُونَ﴾ يهربون مسرعين.
 [١٣] فقالت لهم الملائكة استهزاء: ﴿لَا تَرْكَبُوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أَتَرْتُمْ نَعْمَتُمْ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَنَكُمْ فَتَسْلُونَ﴾ شيقًا من دنياكم على العادة.
 [١٤] ﴿قَالُوا يَا لِلنَّبِيِّ وَوَلَدُنَا هَلَاكُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بالكفر.
 [١٥] ﴿فَمَا زِلْتَ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ دَعَوْنَهُمْ﴾ يدعون بها ويرددونها ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ كالزروع المحصود بالمنجل؛ بأن قتلوا بالسيف ﴿حَصِيدِينَ﴾ ميتين؛ كخمود النار إذا طففت.
 [١٦] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَمَعِينَ﴾ عابثين، بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا.
 [١٧] ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا مَا لَبِثَ بِهِ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ وَلَدٍ لَأَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا؛ من المحور العين والملائكة ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذلك، لكننا لم نفعله، فلم نُردّه.
 [١٨] ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ نَرْمِي بِالْحَقِّ الْإِيمَانَ﴾ عَلَى الْبَاطِلِ الْكُفْرَ ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ يذهبهُ ﴿فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ﴾ ذاهب، و﴿دَمَغُهُ﴾ في الأصل: أصاب دماغه بالضرب، وهو مُقتلٌ ﴿وَلَكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿الْوَيْلُ﴾ العذاب الشديد ﴿مِمَّا نَصِفُونَ﴾ الله به من الزوجة أو الولد.
 [١٩] ﴿وَلَهُ﴾ - تعالى - ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلْكًا ﴿وَمَنْ عِنْدُهُ﴾ أي: الملائكة، مبتدأ خبره: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ولا يستخسرون لا يعيرون.
 [٢٠] ﴿سَيَحْنُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ عنه؛ فهو كالتفليس مئلا لا يشغلنا عنه شاغل.

[٢١] ﴿أَوَّلَ﴾ بمعنى بل؛ للانتقال، والهجرة للإنكار ﴿أَتَّخِذُوا إِلَهَةً كَانَتْهُ مِنْ الْأَرْضِ﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿هُمْ﴾ أي: الآلهة ﴿يُنشِرُونَ﴾ أي: يحيون الموتى؟! لا، ولا يكون إلها إلا من يحيى الموتى.
 [٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ أي: السماوات والأرض ﴿إِلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: غيره ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي: خرجتا عن نظامهما المشاهد؛ لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه ﴿فَسَبَّحْنَاهُ﴾ تنزيهه ﴿اللَّهُ رَبُّ خَالِقِ الْعَرْشِ الْكَرْسِيِّ﴾ ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ الكفار الله به من الشريك له وغيره.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْلِكَ أَنْتَ ظَالِمَةٌ وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاسِ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكَبُوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أَتَرْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَنَكُمْ فَتَسْلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا لِلنَّبِيِّ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زِلْتَ تِلْكَ دَعَوْنَهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَمَعِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَأَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ سَيَحْنُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَوَّلَ ﴿٢١﴾ كَانَتْهُ مِنْ الْأَرْضِ ﴿٢٢﴾ كَحَجَرٍ وَذَهَبٍ وَفُضَّةٍ ﴿٢٣﴾ هُمْ ﴿٢٤﴾ الْآلِهَةُ ﴿٢٥﴾ يُنْشِرُونَ ﴿٢٦﴾ يَحْيُونَ الْمَوْتَى ﴿٢٧﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ﴿٢٨﴾ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٢٩﴾ إِلَّا اللَّهُ ﴿٣٠﴾ أَيُّ غَيْرِهِ ﴿٣١﴾ لَفَسَدَتَا ﴿٣٢﴾ أَيُّ خَرَجَتْ عَنْ نِظَامِهِمَا الْمَشَاهِدِ لَوُجُودِ التَّمَانُعِ بَيْنَهُمْ عَلَى وَفْقِ الْعَادَةِ عِنْدَ تَعَدُّدِ الْحَاكِمِ مِنَ التَّمَانُعِ فِي الشَّيْءِ وَعَدَمِ الْإِتْفَاقِ عَلَيْهِ ﴿٣٣﴾ فَسَبَّحْنَاهُ تَنْزِيهَهُ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ رَبُّ خَالِقِ الْعَرْشِ الْكَرْسِيِّ ﴿٣٥﴾ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٣٦﴾ الْكُفَّارُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الشَّرِيكِ لَهُ وَغَيْرِهِ.

[٢٣] ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ عن أفعالهم.

[٢٤] ﴿أَوَّلَ أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ - تعالى -: أي: سواه ﴿إِلَٰهَةً﴾؟ فيه استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ذلك ولا سبيل إليه ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ﴾ أمي؛ وهو: القرآن ﴿وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ من الأمم؛ وهو: التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، ليس في واحد منها أن مع الله إلها ما قالوا - تعالى عن ذلك - ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ توحيد الله ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن النظر الموصل إليه.

(١) يشير بذلك إلى ما يذكره المتكلمون من دلائل التمانع، وهو استدلال في غير محله، كما بين ذلك شارح الطحاوية، وذلك أنهم يستدلون بالآية على توحيد الربوبية وتفرد الخالق، بينما الآية في إثبات وحدانيته - سبحانه - في ألوهيته.

(٢) جرى الجلالان - السيوطي والخطي - على القول: بأن «العرش والكرسي» شيء واحد، والصحيح أن العرش غير الكرسي وأكبر منه. كما هو ظاهر الأحاديث، ورجع التعليقات على آية الكرسي رقم (٢٥٥) من سورة البقرة.

يَأْمُرُهُ بِعَمَلِهِمْ أَي: بعده.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما علموا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ - تعالى - أن يشفع له ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ - تعالى - ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٢٩] ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره؛ وهو: إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَلِكَ نَجْزِي جَهَنَّمَ كَذَلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ المشركين.

[٣٠] ﴿أَوَلَمْ يَأْوِا وَتَرَكْنَاهُ﴾ ^(١) ﴿يَرَى﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا أَنَّهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ كَانَتْ رِفْقًا سَدًّا﴾ بمعنى: مسدودة ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ جعلنا السماء سبعا والأرض سبعا، أو فتق السماء أن كانت لا تحطر فأمطرت، وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ النَّازِلَ مِنَ السَّمَاءِ وَالنَّاعِجَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ كل شيء حي من نبات وغيره؛ أي: فالماء سبب لحياته ^(٢) ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾ بتوحيدي؟

[٣١] ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِهِمْ﴾ وجعلنا فيها الرواسي ﴿فِي جِبَالٍ﴾ مسالك ﴿سُبُلًا﴾ بدلا، صرقا نافذة واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار.

[٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا﴾ للأرض؛ كالسقف للبيت ﴿مُحْفَظًا﴾ عن الوقوع ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون فيها؛ فيعلمون أن خالقها لا شريك له.

[٣٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ تنويه عوض عن المضاف إليه من: (الشمس والقمر) وتابعه؛ وهو: (النجوم) ﴿فِي فَلَكٍ﴾ مستدير؛ كالطاحونة في السماء ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسبّحون بسرعة؛ كالسباح في الماء، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل.

[٣٤] ﴿وَنَزَّلَ﴾ لما قال الكفار: إن محمدا سيموت :: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ فيها؟ لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري.

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في الدنيا ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ نختبركم ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ ككفر وغنى، وسقم وصحة ﴿وَفِتْنَةٍ﴾ مفعول له؛ أي: لننظر أنصبرون وتشكرون أم لا؟ ﴿وَالَّذِينَ تَرَجَعُونَ﴾ فنجازيكم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ ﴿لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ كَانَتْ تَارَةً ثِقَاتٍ فَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَالَّذِينَ تَرَجَعُونَ﴾

[٢٥] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ﴾ وفي قراءة: بالنون وكسر الحاء ^(١) ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ أي: ومحدوني.

[٢٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ من الملائكة ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ عنده، والعبودية تنافي الولادة.

[٢٧] ﴿لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿وَهُمْ

(١) قرأ حفص وحزمة والكسائي بالنون وكسر الحاء، وقرأ بقية السبعة بالياء وفتح الحاء.

(٢) بتركها قراءة ابن كثير.

(٣) قال صاحب قرة العين ص (٤٢٣): «... هذا التفسير ... غير مطابق لنص الآية؛ إذ لو كان المعنى كما ذكره الخليلي؛ لكان لفظ الآية: «وجعلنا من الماء، أو بالماء، كل شيء حيا»، وليس كذلك؛ فقد جاء لفظ «حي» بالجر صفة لـ «شيء»، وقوله تعالى: «وجعلنا» بمعنى: «خلقنا»؛ أي خلقنا كل شيء حي من الماء... يؤيد قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ» [النور: ٤٥]... انتهى كلامه بنصرف يسير.

وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ مَا يَنْجِدُوهُمْ إِلَّا
[هُزُوا] (١) أَي: مَهْزُوعًا بِهِ، يَقُولُونَ: «أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ؟
أَي: بَيْنَهُمَا يَذْكُرُ الرَّحْمَنُ لَهُمْ هُمْ» تَأْكِيدٌ «كُفَرُوا» بِهِ؛ إِذْ
قَالُوا: مَا نَعْرِفُهُ.
[٣٧] وَنَزَلَ فِي اسْتِعْجَالِهِمُ الْعَذَابُ: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ» أَي: أَنَّهُ
لِكثْرَةِ عَجَلِهِ فِي أَحْوَالِهِ كَأَنَّهُ خَلَقَ مِنْهُ «سَأُورِيكُمْ آيَاتِي» مَوَاعِيدِي بِالْعَذَابِ
«فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ» فِيهِ؛ فَأَرْاهُمُ الْقَتْلَ بِيَدِهِ.
[٣٨] وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ بِالْقِيَامَةِ «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فِيهِ.
[٣٩] قَالَ - تَعَالَى -: «لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ
يَدْفَعُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ»
يَمْنَعُونَ مِنْهَا فِي الْقِيَامَةِ، وَجَوَابُ «لَوْ»: مَا قَالُوا ذَلِكَ.
[٤٠] «بَلْ تَأْتِيهِمْ» الْقِيَامَةُ «بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ» تَحِيرُهُمْ «فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ» يَمْهَلُونَ لِنُوبَةٍ أَوْ مَعْدَرَةٍ.
[٤١] «وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ» فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ
«فَإِذَا نَزَلَ بِآيَاتِنَا سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِيَ يَسْتَهْزِئُونَ» وَهُوَ
الْعَذَابُ، فَكَيْدًا يَحْقِيقُ بَيْنَ اسْتَهْزَاءِ بَلْ.
[٤٢] «فَلَنْ لَهُمْ» «مَنْ يَكُونُكُمْ» يَحْفَظُكُمْ «بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ
الرَّحْمَنِ» مِنْ عَذَابِهِ إِنْ نَزَلَ بِكُمْ؛ أَي: لَا أَحَدٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَالْمُخَاطَبُونَ لَا
يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ؛ لِإِنْكَارِهِمْ لَهُ (٢) «بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ» أَي:
الْقُرْآنِ «مُتْرِشُونَ» لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ.
[٤٣] «أَمْ» فِيهَا مَعْنَى الْهَمزة لِإِنْكَارِ؛ أَي: أَمْ هُمْ «إِلَهُةٌ تَمْنَعُهُمْ»
مِمَّا يَسُوءُهُمْ «وَمِنْ دُونِنَا» أَي: أَلَهُمْ مِنْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ غَيْرِنَا؟ لَا
يَسْتَطِيعُونَ أَي: الْأَلُوهةُ «تَنْصُرُ أَنْفُسَهُمْ» فَلَا يَنْصُرُونَهُمْ «وَلَا هُمْ» أَي:
الْكَافِرُ «وَيَتَأَنَّ» مِنْ عَذَابِنَا «يُضْحَكُونَ» يَجَارُونَ، يُقَالُ: ضَحِكَ اللَّهُ؛ أَي:
حَفَظَكَ وَأَجَارَكَ.
[٤٤] «بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ» بِمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ «حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ
الْعُمُرُ» فَاغْتَرَوْا بِذَلِكَ «أَفَلَا يَزِيدُ أَتَانِي الْأَرْضُ» نَقْصِدُ أَرْضَهُمْ

«نَقُصُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا» بِالْفَتْحِ عَلَى النَّبِيِّ «أَفَهُمُ الْفَالِقُونَ؟» لَا، بَلِ
الْبَيِّ (٣) وَأَصْحَابِهِ.

[٤٤] «بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ» بِمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ «حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ
الْعُمُرُ» فَاغْتَرَوْا بِذَلِكَ «أَفَلَا يَزِيدُ أَتَانِي الْأَرْضُ» نَقْصِدُ أَرْضَهُمْ

(١) بضم الزاي وبالهيم، وهي قراءة السبعة عند حمزة وحفص، وقراءة حمزة (هزوا) بالهمز مع سكن الزاي، وقراءة حفص (هزوا) بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا.

(٢) ويحتمل أن يكون المعنى: أي من يحرسكم ويحفظكم (بالليل) حال نومكم (وأنهار) وقت انتشاركم وغفلتكم (من الرحمن) أي بدل الرحمن؛ أي هل يحفظكم أحد غيره؟ لا حافظ إلا هو.

تفسير الكرمي الرحمن ص (٥٦٥) بتصريف يسير.

(٣) صلى الله عليه وسلم.

الْبَاءِ^(١) ﴿مَا يُنذِرُونَ﴾ هم؛ لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار؛ كالصم
 [٤٦] ﴿وَلَكِنْ مَسَّنَّهْمُ فَتْحَةٌ﴾ وقعة خفيفة ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ يَقُولُ بَنَّا﴾
 للتعبيه ﴿وَوَلَّانَا﴾ هلا كنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بالإشراك وتكذيب محمد.
 [٤٧] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾^(٢) ذوات العدل ﴿لِيُوزِنَ الْقِيَمَةَ﴾ أي:
 فيه ﴿فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿وَلَنْ كَاتِبُ﴾
 العمل ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ﴿حَسْبُكَ مِنْ خَزَائِنِ آيَاتِنَا بِهَآ﴾ بموزونها ﴿وَكُنِيَ بِنَا﴾
 حَسْبِيَّتِ ﴿مَحْصِينَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.
 [٤٨] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي: التوراة الفارقة بين
 الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿وَضِيَاءَ﴾ بها ﴿وَذُكْرًا﴾ عظة بها
 ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.
 [٤٩] ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ عن الناس؛ أي: في الخلاء عنهم
 ﴿وَهُمْ يَنْتَظِرُ السَّاعَةَ﴾ أي: أهوالها ﴿مُتَشَفِّقُونَ﴾ خائفون.
 [٥٠] ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُكْرَهُوا؟﴾
 الاستفهام فيه للتوبيخ.
 [٥١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هداه قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا﴾
 بِوَيْهِ عَلِيمِينَ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي﴾
 ﴿أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾^(٣) قَالَ
 ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٤) ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾
 ﴿بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾^(٥) قَالَ بَلْ رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 ﴿وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٦)
 ﴿وَنَالَهُ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِبِينَ﴾^(٧)
 ثَبِينَ ثَبِينَ.
 [٥٥] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ في قولك هذا ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ فيه؟.
 [٥٦] ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبُّكَ﴾ مالك ﴿الْتَرْتَبَ وَالْآرِضَ﴾
 الَّذِي فَطَرَهُمْ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالِ سَبَقٍ ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ﴾ الذي قلته
 ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ به.
 [٥٧] ﴿وَنَالَهُ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِبِينَ﴾.

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَكِنْ مَسَّنَّهْمُ فَتْحَةٌ ﴿٤٧﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيُوزِنَ الْقِيَمَةَ فَلَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُتَشَفِّقُونَ ﴿٥٠﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُكْرَهُوا ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٤﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٥﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٦﴾ قَالَ بَلْ رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٧﴾ وَنَالَهُ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِبِينَ ﴿٥٨﴾

[٤٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ من الله لا من قبل نفسي
 ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لي ملوكين يكذبوني ويخونوني ويعصوني، وأشتتهم وأضرهم، فكيف أنا منهم؟ قال: «يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم؛ فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل». قال: فتحنى الرجل فحنى يمينه ويهتف. أي: يصيح. فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله؟» ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيُوزِنَ الْقِيَمَةَ فَلَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الآية. فقال الرجل: يا رسول الله، ما أجد لي ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم؛ أشهدكم أنهم أحرار كلهم. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٢) سورة الأنبياء. وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٣١).

(١) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وأما تسهيل الثانية فهو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

فَجَعَلَهُمْ جُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ وَلَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا أَأَنْتَ بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ وَكِدُهُمْ هَٰذَا فَاسْتَوُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا أَأَحْرَقُوهُ وَأَنْصُرُوا آلِهَتَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عبد لهم ﴿جُذًا﴾ بضم الجيم وكسرها^(١)، فَنَّا بِقَاسٍ ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ عَلَّقُ الْفَاسِ فِي عَقْفِهِ ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيرون ما فعل بغيره.

[٥٩] ﴿قَالُوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل: ﴿مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا﴾ إِنَّمَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ فيه.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يعبهم ﴿يُقَالُ لَهُ، إِبْرَاهِيمُ﴾.

[٦١] ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ، عَلَيَّ أَعْيُنُ النَّاسِ﴾ أي: ظاهروا ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه أنه الفاعل.

[٦٢] ﴿قَالُوا﴾ له بعد إتيانه: ﴿أَنْتَ﴾ بتحقيق الهزتين، وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركة^(٢) ﴿فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ ساكتًا عن فعله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْتَوُوهُمْ﴾ عن فاعله ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾^(٣) فيه تقديم جواب الشرط، وفيما قبله^(٤) تعريض لهم بأن الصمم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلها.

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ﴾ بالتفكير ﴿فَقَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بعبادتهم من لا ينطق [٦٥] ﴿ثُمَّ نَكَسُوا﴾ من الله ﴿عَلَى أَعْقَابِهِمْ﴾ أي: ردوا إلى كفرهم، وقالوا: والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟!

[٦٦] ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: بدله ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ شيئًا إذا لم تعبدوه.

[٦٧] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بكسر الفاء وفتحها^(٥)؛ بمعنى مصدر، أي: نتنا وقبحا ﴿لَكُمْ﴾ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ، أي: غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقها الله تعالى؟.

[٦٨] ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ أي: إبراهيم ﴿وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ﴾ نصرتها؛ فجمعوا له الخطب الكثير وأضرموا النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار.

[٦٩] قال - تعالى -: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها، وبقوله: ﴿وَسَلَّمْنَا﴾ سلم من الموت يرددها.

[٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ في مرادهم.

[٧١] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ ابن أخيه «هاران» من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار؛ وهي: الشام^(٦)، نَزَلَ إبراهيم بفلسطين، ولسوط بالمؤتفة^(٧)، وبينهما يوم.

[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي: لإبراهيم - وكان سأل ولدًا كما ذكر في الصفات - ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: زيادة عن المسئول، أو هو ولد الولد ﴿وَكُلًّا﴾ أي: هو وولده ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ أنبياء.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ قط إلا ثلاث كذبات؛ تنتين في ذات الله؛ قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وواحدة في شأن سارة؛ فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك؛ فإن سألتني فأخبره أنك أختي؛ فإنك أختي في الإسلام... الحديث. مسلم - كتاب الفضائل (٤٣) باب (٤١) من فضائل إبراهيم الخليل.

(١) بالكسر قراءة الكسائي.

(٢) حاصل ما ذكر المفسر خمس قراءات وكلها سبعة.

(٣) أي في قوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر بدون تنوين قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو، فالقراءات ثلاث، وكلها سبعة.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي مالك، وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب، وأخرجه ابن المنذر عن مجاهد، وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن قتادة [الدر المنثور

(٥٨٢، ٥٨١/٤).

(٦) هي قرى قوم لوط؛ سميت بذلك لأن الله تعالى جعل عاليها سافلها.

[٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بأن أنجيناه من قومه ﴿إِنَّمَا مِنْ الصَّالِحِينَ﴾.

[٧٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿نُوحًا﴾ وما بعده بدل منه ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا على قومه بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي﴾ إلخ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ولوط ﴿فَأَسَجَّنَا لَهُمْ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ الذين في سفينة ﴿مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق، وتكذيب قومه له.

[٧٧] ﴿وَصَرْفَتَهُ﴾ معناه ﴿مِنْ الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته، أن لا يصلوا إليه بسوء ﴿إِنَّمَا كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٧٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أي: قصتهما، ويبدل منهما: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ هو زرع أو كرم ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ﴾ أي: رَعْنُهُ ليلًا بلا راع؛ بأن افلست ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاتنين، قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم.

وقال سليمان: ينتفع بذوها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان؛ لإصلاح صاحبها فيردّها إليه.

[٧٩] ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي: الحكمة ﴿سُلَيْمَانَ﴾ وحكمهما باجتهاد، ورجع داود إلى سليمان، وقيل: بوحى، والثاني ناسخ للأول ﴿وَكَلَّلَاهُ﴾ منها ﴿ءَاتَيْنَاهُ هُ﴾ حكمًا ﴿نُبُوَّةً﴾ ﴿وَعِلْمًا﴾ بأمور الدين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ﴾ كذلك سُخِّرَا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد قفزة^(٤) لينشط له ﴿وَكُنَّا فاعِلِينَ﴾ تشخير تسبيحهما معه، وإن كان عجبًا عندهم؛ أي: مجاوبته^(٥) للسيد داود.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ وهي الدرع؛ لأنها تلبس، وهو أول من صنعها، وكان قبلها صفائح ﴿لَكُمْ﴾ في جملة الناس ﴿لِنُخَصِّنْكُمْ﴾ بالنون^(٦): لله، وبالتحتانية^(٧): لداود، وبالوقائية: للبوس^(٨) ﴿مِنْ بَاسِكُمْ﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿شَاكِرُونَ﴾ نعمتي بتصديق الرسول؟ أي: اشكروني بذلك.

[٨١] ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِبَلْعَمَنَ الرِّيحِ عَاصِفَةً﴾ وفي آية أخرى: ﴿رِيحًا﴾^(٩) أي: شديدة الهبوب وخفيفته حسب إرادته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ من ذلك: علّمه تعالى بأن ما يعطيه سليمان يَدْعُوهُ إلى الخضوع لربه؛ ففعله - تعالى - على مقتضى علميه.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَاسْقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَصَرْفَتَهُ مِنَ الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّلَاهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخَصِّنْكُمْ مِنْ بَاسِكُمْ ﴿٨٠﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِنَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨٢﴾

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء^(١)، يُقَدَّرُ بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى ديننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ أي: أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم، وحذف هاء [إقامة] تخفيفًا ﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾.

[٧٤] ﴿وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ فصلًا بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ أي: أهلها الأعمال ﴿الْخَبِيثَ﴾ من اللواط، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور وغير ذلك^(٢) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ﴾ مصدر «سَاءَهُ»، نقيض «سَرَّهُ» ﴿فَاسْقِينَ﴾.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتسهيل بين يين، وذهب بعض أهل الأداء إلى إبدال الهمزة الثانية باء خالصة، وهكذا في جميع المواضع التي وردت فيها الكلمة وهي حمسة.

(٢) أخرج ابن عساکر عن الحسن عليه السلام مرسلاً: «عشر خصال عملتها قوم لوط بها أهلکوا وتزیدها أمي بخلة؛ إتيان الرجال بعضهم بعضاً، وريهم بالجلال، والخذف ولعهم بالحمائم وضرب الدفوف وشرب الخمر وقص اللحية وطول الشارب والصفر والتصفيق ولباس الحرير، وتزیدها أمي بخلة؛ إتيان النساء بعضهم بعضاً.» وقال الألباني في ضعيف الجامع (٣٧١): موضوع.

(٣) نوح: ٢٦.

(٤) أي فتوراً.

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: (مجاوبة).

(٦) وهي قراءة شعبة.

(٧) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي، وقرأ حفص وابن عامر بالتاء.

(٨) وذلك ردًا على المعنى، لأن اللبوس: الدرع، والدرع مؤنثة، وقيل: ردًا على الصيغة.

(٩) سورة ص: ٣٦.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغُوصُوتْ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَوْتَوْبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَكَفَّضْنَا مَا يَدْعُو مِن ضَرِّهِ وَأَنْبِئْتُهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَاسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّوْبِ إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا فَظًّا أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَجَجَّيْتُهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَرَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

﴿٩٠﴾ ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ﴾ نداءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ يَحْيَىٰ ﴿وَلَدًا﴾ ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ رَوْجَهُ﴾ فَأَتَتْ بِالْبَوْلِ بَعْدَ غَفْلَتِهَا ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: مَنْ ذُكِرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﴿كَانُوا يُسْأَرُونَ﴾ يبادرون ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ فِي رَحْمَتِنَا ﴿وَرَهَبًا﴾ مِنْ عَذَابِنَا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ متواضعين فِي عِبَادَتِهِمْ.

﴿٨٢﴾ ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغُوصُوتْ لَهُ﴾ يَدْخُلُونَ فِي الْبَحْرِ فَيَخْرُجُونَ مِنْهُ الْجَوَاهِرَ لِسُلَيْمَانَ ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: سِوَى الْغَوْصِ؛ مِنَ الْبِنَاءِ وَغَيْرِهِ ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ مِنْ أَنْ يُفْسِدُوا مَا عَمَلُوا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا فَرَّغُوا مِنْ عَمَلٍ قَبْلَ اللَّيْلِ أَفْسَدُوهُ إِنْ لَمْ يَسْتَعْمِلُوا بَغِيرَهُ ﴿٨٣﴾

﴿٨٣﴾ ﴿وَأَوْتَوْبَ﴾ اذْكُرْ ﴿أَوْتَوْبَ﴾ وَيَدُلُّ مِنْهُ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ لَمَّا ابْتَلَىٰ بِفَقْدِ جَمِيعِ مَالِهِ وَوَلَدِهِ، وَتَزْيِيقِ جَسَدِهِ، وَهَجْرِ جَمِيعِ النَّاسِ لَهُ إِلَّا زَوْجَتَهُ سَتِينَ ثَلَاثًا أَوْ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَضِيقِ عَيْشِهِ ﴿٨٤﴾ ﴿أَنْبِئْتُهُ﴾ بَفَتْحِ الْهَمزة؛ بِتَقْدِيرِ الْبَاءِ ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ أي: الشَّدَّةُ ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿٨٤﴾ ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ﴾ نَدَاةُ ﴿وَكَفَّضْنَا مَا يَدْعُو مِن ضَرِّهِ﴾ وَأَنْبِئْتُهُ أَهْلَهُ؛ أَوْلَادَهُ الذَّكَورَ وَالْإِنثَاءَ؛ بِأَنْ أَخْبَرُوا لَهُ ﴿٨٥﴾ وَكُلٌّ مِنَ الصَّفَيْنِ ثَلَاثًا أَوْ سَبْعًا ﴿٨٥﴾ ﴿وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً﴾ مِنْ زَوْجَتِهِ وَزَيْدٍ فِي شِبَاهِهَا ﴿٨٦﴾ وَكَانَ لَهُ أُنْدَرُ لِلْقَمَحِ وَأُنْدَرُ لِلشَّعِيرِ؛ بَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ أَفْرَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أُنْدَرِ الْقَمَحِ اللَّذَقْبِ، وَأَفْرَغَتْ الْأُخْرَى عَلَى أُنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرْقِ حَتَّى قَاضَ ﴿٨٧﴾ ﴿رَحْمَةً﴾ مَفْعُولٌ بِهِ ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ صِفَةُ ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ لِيَصْبِرُوا؛ فَيُثَابِرُوا.

﴿٨٥﴾ ﴿وَأَذْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ مِنَ النَّبُوَّةِ ﴿٨٦﴾ ﴿وَنُفَصِّلُ الْفَصَائِلَ﴾ لَهَا، وَشَمَّى ذَا الْكِفْلِ؛ لِأَنَّهُ تَكْفَّلَ بِصِيَامِ جَمِيعِ نَهَارِهِ وَقِيَامِ جَمِيعِ لَيْلِهِ، وَأَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ النَّاسِ وَلَا يَفْضُبَ؛ قُوًى بِذَلِكَ، وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا ﴿٨٧﴾

﴿٨٧﴾ ﴿وَذَا النُّوْبِ﴾ صَاحِبُ الْحَوْتِ؛ وَهُوَ: يُونُسُ بْنُ مَتَّى، وَيَدُلُّ مِنْهُ: ﴿إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا﴾ لِقَوْمِهِ؛ أي: غَضِبَانِ عَلَيْهِمْ مِمَّا قَاسَى مِنْهُمْ، وَلَمْ يُوْذَنْ لَهُ فِي ذَلِكَ ﴿فَقُلَّ أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: نَقْضِي عَلَيْهِ بِمَا قَضَيْنَاهُ مِنْ حَبْسِهِ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، أَوْ نَضِيقُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةُ بَطْنِ الْحَوْتِ ﴿أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فِي ذَهَابِي مِنْ بَيْنِ قَوْمِي بَلَا

إِذَنْ ﴿٨٨﴾ ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَجَجَّيْتُهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ ﴿وَكَذَكَرْنَا﴾ كَمَا نَحْنِيهَا ﴿نُفَصِّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مِنْ كَرِهِهِمْ إِذَا اسْتَعَاظُوا بِنَا دَاعِينَ ﴿٨٩﴾

﴿٨٩﴾ ﴿وَذَكَرْنَا﴾ اذْكُرْ ﴿وَذَكَرْنَا﴾ وَيَدُلُّ مِنْهُ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بَلَا وَلَدَ يَرْتْنِي ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ الْبَاقِي

بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِكَ.

(١) وذلك باعتبار أن الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعود على الشياطين، وهو قول الجمهور، باعتبارهم أقرب مذكور، وقيل: المعنى حافظين لهم من أن يهربوا أو يمتنعوا أو يخرجوا عن أمره. واختار بعض

المفسرين عود الضمير على داود وسليمان - عليهما السلام -؛ والمعنى: كنا لهم مؤيدين ومعينين، قال ابن كثير: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ أي: بحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحت قهره. اهـ. وأما ما ذكره المفسر هنا من إفسادهم للعمل، فلا دليل عليه.

(٢) صحح الألباني حديث أنس مرفوعاً عن قصة أيوب عليه السلام: وفيه أن البلاء لبث به ثمان عشرة سنة، وأنه رفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، وكذلك زوجته. وعراه لأبي يعلى وأبي نعيم. «الصحيفة: ١٧».

(٣) أخرج نحوه ابن جرير عن ابن جريج وعن الحسن وقادة. تفسير الطبري (٧٢/١٧)، (٧٣، ٧٤).

(٤) ذكر البغوي في تفسيره عن وهب: كان له سبع ناث وثلاثة بنين، وذكر عن ابن يسار: كان له سبع بنين وسبع بنات. [تفسير البغوي (٣٤٧/٥)].

(٥) أخرج نحوه ابن مردويه وابن جرير عن الضحاک عن ابن عباس مرفوعاً كما في الدر المنثور (٦٦٠/٥).

(٦) أخرجه أبو أيوب الدنيا وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وابن مردويه عن أنس مرفوعاً [الدر المنثور (٥٩٢/٤)]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٣/١)، رقم (١٧).

وهو الأندلس؛ البشير، وهو الموضع الذي يلد فيه الطعام. وهالوقه الفضة. (٧) النبوة من آثار رحمة الله ﷻ وليست هي الرحمة، وصنع المفسر هذا جرأاً على طريقته في تأويل صفة الرحمة وغيرها من الصفات التي أنبأها ربنا ﷻ لنفسه ونشأها له على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكليل ولا تكيف.

(٨) قال ابن كثير: فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه سبي، وهذا هو المشهور. وأما سبب تسميته التي ذكرها المفسر فلا دليل عليها. وقد رجح بعض المحققين أنه حزبل عليه السلام، فأنله أعلم.

(٩) كما عند الترمذي (٣٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لم يدع بها -

فَأَعْبُدُونِ ﴿٩٠﴾ وَخُذُونَ

[٩٠] ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ أي: بعضُ المخاطبين ﴿أَمَرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه؛ وهم: طوائف اليهود والنصارى، قال - تعالى - : ﴿كُلُّ إِلَهٍ لَّهُمْ رَجُوعٌ﴾ أي: فنجازيه بعمله.

[٩١] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾ أي: لا جحود ﴿لِيسْعَى﴾ وإِنَّا لَمُ كَاتِبِينَ ﴿بِأَن نَّامُرَ الْحَقْلَةَ بِكُتَيْبَةٍ﴾ فنجازيه عليه. [٩٢] ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرِينِهِ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أريد أهلها ﴿أَتُنْهَى لَهُ﴾ زائدة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أي: مُشْتَبِعٌ رَجوعهم إلى الدنيا.

[٩٣] ﴿حَقٌّ﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد^(١) ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز وتركه^(٢)؛ اسمان أعجميان لقبيلتين، ويُقَدَّرُ قبله مضاف؛ أي: سُدَّتهما، وذلك قرب القيامة ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿يَسِيلُونَ﴾^(٣) يسرعون.

[٩٤] ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي: القصة^(٤) ﴿شَخْصَةً أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في ذلك اليوم لشدته، يقولون: ﴿يَا﴾ للتنبية ﴿وَوَلَّانَا﴾ هلاكنا ﴿قَدْ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^(٥) اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفسنا بتكديتنا للرب.

[٩٥] ﴿إِنكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ وقودها ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ داخلون فيها.

[٩٦] ﴿لَوْ كُنَّا هَكَذَا﴾ الأوثان ﴿وَاللَّهِ﴾ كما زعمتم ﴿مَا رَدَدْنَاهَا﴾ دخلوها ﴿وَكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٩٧] ﴿لَهُمْ﴾ للعابدين ﴿فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ شيئاً؛ لشدة غليانها.

[٩٨] ﴿وَنَزَلَ﴾ لما قال ابن الزُّبَيْرِ: عُيِّدَ عَزِيرُ الْمَسِيحِ وَالْمَلَائِكَةُ؛ فهم في النار^(٦) على مقضى ما تقدم :: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ يَتَا﴾ المنزل ﴿الْحَسَنُ﴾ ومنهم من ذكر ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

وَأَلَّتْ أَحْصَنَتْ قَرْجَهَا فَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَنْتَهَاءَ آيَةٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أَمْتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهٍ لَّهُ رَجُوعٌ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَّمْ عَلَى قَرِينِهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْتُونَ قُلُوبَهُمْ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كُنَّا هَكَذَا ءَالِهَةً مَا وَرَدْنَاهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مَتَا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

[٩١] ﴿وَأَلَّتْ أَحْصَنَتْ قَرْجَهَا﴾ حفظته من أن ينال ﴿فَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: جبريل؛ حيث نفخ في جيب يدرعها؛ فحملت بعيسى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَأَنْتَهَاءَ آيَةٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة؛ حيث ولدته من غير فخل.

[٩٢] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أَمْتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون؛ أي: يجب أن تكون عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال لازمة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ

(١) فائدة: أخرج البخاري عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فرغماً يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه». وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها... الحديث. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٧) قصة يأجوج ومأجوج، وأخرجه مسلم - كتاب الفتن (٥٢) باب (١) اقتراب ظهور الفتن.

= رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٨٢).

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) بتركة قراءة السبعة عدا عاصم.

(٣) وهي تسميته عند بعض النحويين، ويسمى عند جمهور البصريين: ضمير الشأن، وهو: ضمير يكون في صدر جملة بعده، تفسر دلالة وتوضح المراد منه، ومعناها معناه. وسموه بذلك؛ لأنه يرمز للشأن؛ أي: الحال التي يبرأ الكلام عنها.

(٤) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١٥٣/١٦، ١٦٠/٣)، وأحمد في المسند (٣١٧/٣)، والطبراني في الكبير (١١٨/١١٩)، وحسنه الحافظ ابن حجر في «مواقفة الخبر الحبر» (١٧٣/٢، ١٧٤)، وأخرج الحاكم نحوه في المستدرک (٣٨٤/٢، ٣٨٥) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وصححه بمجموع طرقه في الاستيعاب (٤٩٤/٢).

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوتها ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من النعم ﴿خَالِدُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ﴾ وهو أن يؤمر بالبعد إلى النار ﴿وَنُلْقِيَهُمْ﴾ تستقبلهم ﴿الْأَلْبَنِيَّاتُ﴾ عند خروجهم من القبور، يقولون لهم: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعِدُونَ﴾ في الدنيا.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ «اذكر» مقدراً قبله ﴿تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِ﴾ اسم مذكر^(١) ﴿لِلْكِتَابِ﴾ صحيفة ابن آدم عند موته، واللام زائدة، أو: «السجل»: الصحيفة، والكتاب بمعنى: المكتوب، واللام بمعنى: على^(٢)، وفي قراءة^(٣): ﴿لِلْكَتُبِ﴾ جمعاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ من عَدَمٍ ﴿تُعِيدُهُ﴾ بعد إعدامه، فالكاف متعلقة بـ «نعيدة»، وضميره عائذ إلى ﴿أَوَّلَ﴾ و«ما» مصدرية ﴿وَعِدَّا عَلَيْنَا﴾ منصوب بـ «وعدنا» مقدراً قبله، وهو مؤكّد لمضمون ما قبله ﴿إِنَّا كُنَّا فَعَالِينَ﴾ ما وعدناه.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ بمعنى: الكتاب؛ أي: كتب الله المنزل ﴿وَبِالنَّبِيِّ الْأَكْبَرِ﴾ بمعنى: أم الكتاب الذي عند الله ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة^(٤) ﴿يَرْثُهَا عِبَادِيَ الْمُتَّقُونَ﴾ عامٌّ في كل صالح.

[١٠٦] ﴿إِن فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ القرآن ﴿لِلْعَالَمِ﴾ كفاية في دخول الجنة ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ عاملين به.

[١٠٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي: للرحمة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن بك.

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: ما يوحى إلي في أمر الإله إلا وحدانيته ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون لما يوحى إلي من وحدانية الإله؟ والاستفهام بمعنى الأمر.

[١٠٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ أَذُنُكُمْ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ حالٌ من الفاعل والمفعول؛ أي: مستويين في علمه لا أستبد به دونكم؛ لتأهبوا ﴿وَأَنْ﴾ ما أذريت أقرب أم بعيداً ما تُوعِدُونَ ﴿من العذاب، أو القيامة المشتعلة عليه؛ ولما يعلمه الله﴾.

[١١٠] ﴿إِنَّهُ﴾ - تعالى - ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ والفعل منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُكْتُمُونَ﴾ أنتم وغيركم من السر.

[١١١] ﴿وَأَنْ﴾ ما أذريت أعلمكم به، ولم يعلم وقتُهُ ﴿وَفُتْنَةً﴾ اختباراً ﴿لَكُمْ﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿وَتَتَّبِعْ﴾ تتبع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ أي: انقضاء آجالكم، وهذا مقابل للأول المترجي بـ «لعل»، وليس الثاني محلاً للترجي^(٥).

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعِدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَعَالِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٦﴾ إِن فِي هَذَا الْقُرْآنِ لَعَلْعَالَمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٩﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ أَذُنُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعِدُونَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١١﴾ وَلَنْ أَدْرِي أَعْلَمُ لَكُمْ أَمْ لَا أَعْلَمُكُمْ بِهِ، وَلَمْ يَعْلَمْ وَقْتُهُ ﴿١١٢﴾ وَفُتْنَةً لَّكُمْ وَمَتَّعْ إِلَى حِينٍ ﴿١١٣﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٤﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

[١١٢] ﴿[قُلْ]﴾ وفي قراءة^(٦): ﴿قُلْ﴾: ﴿رَبِّ أَحْكَمْ﴾ بني وبين مكذبي ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعذاب لهم، أو النصر عليهم؛ فعذبوا بيدك، وأخذ، وحسن، والأحزاب، والخذق، ونصّر عليهم ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ من كذبكم على الله في قولكم: «اتخذ ولداً»، وعَلَيَّ في قولكم: «ساحر» وعلى القرآن في قولكم: «شعر».

(١) والصحيح أن السجل هي الصحيفة، كما ذكره ابن كثير عن ابن عباس ونقله عن غير واحد، واختاره ابن جرير؛ لأنه المعروف في اللغة.

(٢) المعنى: أي كطي السجل على الكتاب.

(٣) قرأ «الكتب» حفص وحمزة والكسائي، وبقية السبعة (الكتاب).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين في تفسير «الأرض» في هذه الآية، وفي آية الزمر ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤] وهو قول ابن عباس ومجاهد وأبي العالية وسعيد بن جبير والشعبي وقادة وغيرهم. وتعقب ذلك القاضي كتمان في قرة العين واختار أن تكون «الأرض» في هذين الموضعين هي هذه الأرض المهدودة. بقوله: «... تفسير «الأرض» بالجنة بعيد، ولا دليل عليه، ولم يأت ذكر «الأرض» بمعنى «الجنة» لا في القرآن ولا في السنة، قرة العين ص (٦١٦، ٦١٧) بنصرف يسير.

(٥) أي: المترجى بـ «لعل»؛ هو: كون تأخير العذاب فتنة. أما قوله: «ومتاع إلى حين» فليس كذلك؛ لأنه واقع بانفع.

(٦) قرأ السبعة عدا حفص: ﴿قُلْ﴾.

﴿عَمَّا أَصْعَفَ﴾ أي: تشناه. ﴿وَنَضَعُ كُلَّ ذَاتِ حَيٍّ﴾ أي: حَيٍّ ﴿حَيْثُ﴾
﴿حَمَلَهَا﴾ وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ ۖ﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُمْ بِسَّكَرَىٰ﴾
من الشراب ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فهم يخافونه.

[٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قُضِيَ عَلَى الشَّيْطَانِ ﴿أَنَّهُ مِّنْ تَوَلَّاهُ﴾ أَي: اتَّبَعَهُ ﴿فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ يَدْعُوهُ ﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أَي: النَّارِ.

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِنْ﴾
الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُمُ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿وَمِنْ ثَرَابٍ مُدْرٍ﴾ خلقنا ذريته ﴿مِنْ﴾

نُفْثَةٌ مَتْنِيٌّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم الجامد ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ وهي
لحمة قدر ما يمضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ مصورة تامة الخلق ﴿وَعَبْرٍ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي: غير

تَامَهُ الْخَلْقَ ﴿لَسِينَ لَكُمْ﴾ كَمَالُ قَدَرِنَا؛ لَتَسْتَدْلُوا بِهَا فِي ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ عَلَى
إِعَادَتِهِ ﴿وَيُنْفِرُ﴾ مُسْتَأْنَفٌ ^(٣) ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾

وَمِنْ حُرُوجِهِ ﴿مَنْ نَحْنُ بِكُمْ﴾ ﴿مَنْ يَقُولُ أَمْهَلُمْ﴾ ﴿عَفَا﴾ ﴿بَعْضُ﴾ أَصْلًا
 ﴿ثُمَّ﴾ ﴿نَعْمَ كُمْ﴾ ﴿تَلَبَّغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ ﴿أَيُّ﴾ الكمال والقوة؛ وهو: ما بين
 الثلاثة: إلى الأربعين سنة ﴿وَمِنْكُمْ﴾ ﴿ثُمَّ﴾ ﴿مَمْتٌ﴾ قَبْلَ بُلْغِ الْأَشَدِّ

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ إِلَّا أَزْوَاجَ الْعُمْرِ﴾ أخسه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عَيْنِهِ شَيْئًا﴾ قال عكرمة: «من قرأ القرآن لم يصبر بهذه الحالة» ﴿وَتَرَى

الْأَرْضِ هَامِدَةً ﴿١٠﴾ يَا بَابِئِذَا أُنزِلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ﴿١١﴾ وَجَرَّتْ ﴿١٢﴾ وَارْتَفَعَتْ وَزَادَتْ ﴿١٣﴾ وَأَنْبَتَتْ مِنْ زَائِدَةٍ ﴿١٤﴾ كُلِّ زَوْجٍ صَنَفٍ

سُورَةُ الْحَجِّ

[مكية إلا ﴿وَمَنْ أُنَاسٍ مِّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ﴾ الآيتين، أو ﴿هَٰذِهِ خَصْمَانُ﴾
الست آيات فمذنبات، وهي: أربع، أو: خمس، أو: ست، أو:
سبع، أو: ثمان وسبعون آية، نزلت بعد النور]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١٧] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة وغيرهم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي: عاقبه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي: الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة ^(١) ﴿شَئٌ عَظِيمٌ﴾ في إزعاج الناس الذي هو نوؤ من العقاب.

[٢] ﴿يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تَهْهُلُ﴾ ﴿بِسَبِّهَا﴾ ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفع

(١) هذا قول علمه والشعبي وجماعة من المفسرين. واختار ابن جرير أن الآية تشير إلى هوى وفزع وزلزال كائن يوم القيامة. واحتجوا بحديث عمران بن حصيص عند أحمد والترمذي وأبي داود وغيرهم، أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿وَيُنَادِيهِمْ أَفَلَمْ يَأْتِكُمْ أَلَاءُ اللَّهِ تَتَذَكَّرُونَ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، فقال: «التذكرون أي يوم هنالك عقاباً، والله ورسوله أعلم». قال: «ذلك يوم القيامة»، يقول الله لأدم: «ابعد بعث النار...» الحديث. أخرجه الترمذي في تفسير القرآن (٤٨)، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٦١٨). وأخرج أحمد مختصراً في المسند (٤٣٧)، كما استدل أصحاب هذا القول بأحاديث نزل النبي ﷺ فيها هذه الآيات، منها ما عا في الصحيحين وغيرهما. انظر: البخاري كتاب التفسير (٦٥)، سورة أحمد مختصراً (٢٢)، ومسلم كتاب الإيمان (٩١) (٩٦).

(٢) هذا قول مجاهد، وأبي مالك، ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٢/٦) ولباب النفول ص (١٤٨)، ونسبهما لابن أبي حاتم. وهما مرسلان. وذكره البغوي في تفسيره (٣٦٥/٥).

(٣) يعني أن الواو في قوله: ﴿وَيَقْرَأُ﴾ استثنائية وليست عطفاً على ﴿لَنُبَيِّنَ﴾.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿يَأْنُ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهُ هُوَ الْمُخَلِّقُ﴾ الثابت الدائم ﴿وَأَنْتَ يَحْيِي الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

[٨] ﴿وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ﴾^(١) : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ معه ﴿وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ له نور معه.

[٩] ﴿ثَانِي عَظْفِهِ﴾ حال أي: لا وبي عنفه تكبرا عن الإيمان؛ والعطف: الجانب عن يمين أو شمال ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الياء^(٢) وضمها ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿لَمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبِي﴾ عذاب؛ فقتل يوم بدر^(٣) ﴿وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ مُلَوَّنٍ﴾ أي: الإحراق بالنار.

[١٠] ويقال له: ﴿ذَلِكَ﴾ بما قَدِمَتْ بِذَلِكَ أي: قدمته، عَجَزَ عنه بهما دون غيرهما؛ لأن أكثر الأفعال تراول بهما ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

[١١] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ أي: شَكَّ في عبادته، شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ صَحَّةٌ وسلامة في نفسه وماله ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ محنة وسقم في نفسه وماله ﴿أَنقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: رجع إلى الكفر ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا﴾ بفوات ما أمله منها ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالكفر ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٤).

[١٢] ﴿يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ إن لم يعبد ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ إن عبده ﴿ذَلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ الضَّلَالُ﴾^(٥) العبد عن الحق.

[١٣] ﴿يَدْعُوا لِمَنْ﴾ اللام زائدة ﴿حَرَرُهُ﴾ عبادته ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ إن نفع بتخليه ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ هو؛ أي: الناصر ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾^(٦) صاحب هو.

[١٤] وَعَقَّبَ ذِكْرَ الشَّاكِّ بِالْخُسْرَانِ بِذِكْرِ الْمُؤْمِنِ بِالْتَّوَابِ فِي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٧) إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يُرِيدُ من إكرام من يطيعه، وإهانة من يعصيه.

ذَلِكَ يَأْنُ اللَّهُ هُوَ الْخَلْقُ وَأَنْتَ يَحْيِي الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ ثَانِي عَظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدِمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٦﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿٧﴾ يَدْعُوا لِمَنْ صَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ وَمَا يَعِظُ ﴿١٥﴾

[١٥] ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ أي: محمداً نبيه ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بسبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: سقف بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي: ليختنق به؛ بأن يقطع نفسه من الأرض؛ كما في «الصحاح»^(١) ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ في عدم نصرة النبي ﴿مَا يَعِظُ﴾ منها؛ المعنى: فليختنق غيظاً منها؛ فلا بد منها.

(٥) ما حاء في نزول الآية (١١): أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة؛ فإن ولدت امرأته غلاماً وتوحيث خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء. البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢) باب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾

(١) روي ذلك عن ابن عباس، كما ذكره التيسلوي والألوسي وغيرهما، وقيل: نزل في النضر بن الحارث أيضاً وهو قول ابن عباس أيضاً. والتكرير للمبالغة في الذم، قاله القرطبي. وقيل: هي عامة لكل من يتصدى لإضلال الناس وإغوائهم. وقيل: الآية الأولى الواردة في الأتباع المقلدين. وهذه الآية الواردة في المتبوعين المقلدين.

(٢) بالفتح لاين كثير وأني عمرو، والباقون بالضم.

(٣) أي أبو جهل؛ لاختيار المصنف أنها نزلت فيه.

(٤) كتاب «مختار الصحاح» في اللغة للجوهري.

[٢٤] ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ وهو: لا إله إلا الله^(١) ﴿وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي: طريق الله الحمودة ودينه.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ طَاعَتَهُ﴾ طاعته ﴿وَعَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ مَسْجِدًا وَمَقَدًّا لِلنَّاسِ سَوَاءٌ الْعَرَبُ وَالنَّحْبِيُّ فِيهِ وَالْيَدِ وَالْأَرْدَنِ الطَّائِفُ وَمَنْ يُدْرِ فِيهِ بِالْحَسْبِ الْبَاءُ زَائِدَةٌ يُطْلَقُ أَي: بسببه؛ بأن ارتكب منهياً، ولو شتم الخادم ﴿تَذَقُّهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم؛ أي: بعضه، ومن هذا يؤخذ خبر ﴿إِنَّهُ﴾ أي: نذيقهم من عذاب أليم.

[٢٦] ﴿ذَكَرْ﴾ اذكر ﴿إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ﴾ لبنيه، وكان قد رُفِعَ زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أَنْ لَا تَشْرُفَ فِي سَبِيلِهَا وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ المقيمين به ﴿وَأَرْكَعَ السُّجُودَ﴾ جمع رَكَع وساجد؛ المصلين.

[٢٧] ﴿وَأَذِّنْ﴾ ناد ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ فنادى على جبل^(٢) أبي قبيس: يأبها الناس إن ربكم بئى بيتاً وأوجب عليكم الحج إليه؛ فأجيبوا ربكم. والتفت بوجهه بيتاً وشمالاً وشرقاً وغرباً؛ فأجابه كل من كتبت له أن يشغ من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: ليك اللهم ليك، وجواب الأمر: ﴿يَأْتُونَ رِجَالًا﴾ مشاة، جمع راجل؛ كقائم وقائم ﴿وَرِجَالًا﴾ ركبنا ﴿عَلَى كُنْ صَابِرٍ﴾ أي: بغير مهزول، وهو يطلق على الذكر والأُنثى ﴿يَأْتِينَ﴾ أي: الضوامر حملاً على المعنى ﴿وَمِنْ كُلِّ فِجْ عَيْنٍ﴾ طريق بعيد.

[٢٨] ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ أي: يحضروا ﴿مَنْفَعٍ لَهُمْ﴾ في الدنيا بالتجارة، أو في الآخرة^(٣)، أو فيهما، أقوال ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي آثَارِهِ مُتَوَكِّفِينَ﴾ أي: عشر ذي الحجة، أو يوم عرفة، أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق، أقوال ﴿عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْآلَةِ﴾ الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا^(٤) ﴿فَتَكُونُوا مِنْهَا﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وَاللَّحْمَ أَلْبَنَ الْفَقِيرِ﴾ أي: الشديد الفقر.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي: يزولوا أوساخهم وشعثهم؛ كطول الظفر ﴿وَلْيُوفُوا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥) ﴿بِذَوْرِهِمْ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ طواف الإفاضة ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: القدم؛ لأنه أول بيت وضع للناس.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر، أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾ أي: تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَّهِ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْكَلْبُ﴾ أكله

وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءٌ الْعَرَبُ فِيهِ وَالْيَدِ وَالْأَرْدَنِ الطَّائِفُ وَمَنْ يُدْرِ فِيهِ بِالْحَسْبِ الْبَاءُ زَائِدَةٌ يُطْلَقُ أَي: بسببه؛ بأن ارتكب منهياً، ولو شتم الخادم ﴿تَذَقُّهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم؛ أي: بعضه، ومن هذا يؤخذ خبر ﴿إِنَّهُ﴾ أي: نذيقهم من عذاب أليم.
 ﴿ذَكَرْ﴾ اذكر ﴿إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ﴾ لبنيه، وكان قد رُفِعَ زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أَنْ لَا تَشْرُفَ فِي سَبِيلِهَا وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ المقيمين به ﴿وَأَرْكَعَ السُّجُودَ﴾ جمع رَكَع وساجد؛ المصلين.
 ﴿وَأَذِّنْ﴾ ناد ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ فنادى على جبل^(٢) أبي قبيس: يأبها الناس إن ربكم بئى بيتاً وأوجب عليكم الحج إليه؛ فأجيبوا ربكم. والتفت بوجهه بيتاً وشمالاً وشرقاً وغرباً؛ فأجابه كل من كتبت له أن يشغ من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: ليك اللهم ليك، وجواب الأمر: ﴿يَأْتُونَ رِجَالًا﴾ مشاة، جمع راجل؛ كقائم وقائم ﴿وَرِجَالًا﴾ ركبنا ﴿عَلَى كُنْ صَابِرٍ﴾ أي: بغير مهزول، وهو يطلق على الذكر والأُنثى ﴿يَأْتِينَ﴾ أي: الضوامر حملاً على المعنى ﴿وَمِنْ كُلِّ فِجْ عَيْنٍ﴾ طريق بعيد.
 ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ أي: يحضروا ﴿مَنْفَعٍ لَهُمْ﴾ في الدنيا بالتجارة، أو في الآخرة^(٣)، أو فيهما، أقوال ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي آثَارِهِ مُتَوَكِّفِينَ﴾ أي: عشر ذي الحجة، أو يوم عرفة، أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق، أقوال ﴿عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْآلَةِ﴾ الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا^(٤) ﴿فَتَكُونُوا مِنْهَا﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وَاللَّحْمَ أَلْبَنَ الْفَقِيرِ﴾ أي: الشديد الفقر.
 ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي: يزولوا أوساخهم وشعثهم؛ كطول الظفر ﴿وَلْيُوفُوا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥) ﴿بِذَوْرِهِمْ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ طواف الإفاضة ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: القدم؛ لأنه أول بيت وضع للناس.
 ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر، أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾ أي: تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَّهِ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْكَلْبُ﴾ أكله

بعد الدُّبْحِ ﴿إِلَّا مَا يَتَلَّ عَلَى كُنْ﴾ تحريمه في ﴿حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ الْبَيْتِ﴾^(٦) الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحریم لما عَرَضَ من الموت ونحوه ﴿فَأَجْتَبِئُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ من للبيان؛ أي: الذي هو الأوثان ﴿وَأَجْتَبِئُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي: الشرك بالله في تليبتكم، أو شهادة الزور.

(ه) فائدة: أخرج أحمد عن ابن مسعود قال في قوله: ﴿وَمَنْ يُدْرِ فِيهِ بِالْحَسْبِ يُطْلَقُ﴾ قال: لو أن رجلاً هم فيه لجاد وهو يعذب أثنين لأذاقه الله عذاباً أليماً. المسند (٢٨٨/١)، (٤٥١) وقال أحمد شاكراً: إسناد صحيح (٤٠٧١). ودعّد أئمة: مدينة معروفة باليمن؛ أضيفت إلى «أئمة» وهو رجل من جنس عَدَن بها؛ أي أقام. (النهاية لابن الأثير ١٩٢/٣).

(١) هذا على أحد الأقوال، أن المراد: هُدُوا في الدنيا إلى كلمة التوحيد، وقيل: قراءة القرآن، والقول الآخر أن المراد: هُدُوا في الآخرة إلى الطيب من القول؛ وهو: الحمد والتسبيح والسلام، ويشهد له قوله - تعالى -: ﴿وَدَعَيْنَاهُمْ نَبِيًّا سَمَكَةً اللَّهُمَّ وَنَحْنُ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿وَمَنْ يُدْرِ فِيهِ بِالْحَسْبِ﴾ [يونس: ١٠] وغيرها من الآيات. وعلى القول الأول: فيحتمل أن في الكلام تقدماً وتأخيراً، فيكون المعنى: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهُدُوا إلى الطيب من القول وهُدُوا إلى صراط الحميد جات... والله أعلم.

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم عن ابن عباس [الدر المنثور (٦٣٧/٤)]، وقال ابن كثير: هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، وغير واحد من السلف.

(٣) لعله يريد بذلك ما قيل: إن المراد بالمنافع: المناسك؛ كمرفات والمشرع الحرام، وما يترتب على ذلك من الأجر والمغفرة.

(٤) فالمراد بذكر اسم الله حبيط التسمية عند الذبح والنحر - وهو قول الأكثرين -، وكان الكفار يذبحون على أسماء أصنامهم، فيمن الله أن الواجب الذبح على اسم الله. وقيل: إن ﴿عَلَى﴾ تعليلية؛ والمعنى: لأجل ما رزقهم من تلك الأنعام؛ فلو شاء لحطرها عليهم ولخبلها أوابد متوحشة.

(٥) بالتشديد قراءة شعبة.

(٦) المائة: ٣.

أي: فإن تعظيمها - وهي البدن التي تُهذى للحرم بأن تُستحسن وتُستمن - **﴿وَمِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** منهم، شُيِّتَتْ شَعَائِرُهُ؛ لإشعارها بما تعرف به أنها هدي؛ كطعن حديدة بسنامها.

[٣٣] **﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ﴾** كَوُكُوبُهَا، والحمل عليها ما لا يضرها **﴿إِنَّ أَجَلَ يُسَمَّى﴾** وقت نحرها **﴿ثُمَّ يَحِلُّهَا﴾** أي: مكان حل نحرها **﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾** أي: عنده؛ والمراد: الحرم جميعه.

[٣٤] **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾** أي: جماعة مومنة سلفت قبلكم **﴿جَعَلْنَا مَسْكَاةً﴾** بفتح السين: مصدر، وبكسرهما^(١): اسم مكان؛ أي: ذبيحا قربانا، أو مكانه **﴿يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾** عند ذبحها **﴿فَالْهَكَرُ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾** اتقادوا **﴿وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** المطيعين المتواضعين.

[٣٥] **﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾** خافت **﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾** من البلياء **﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ﴾** في أوقاتها **﴿وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يَنْفِقُونَ﴾** يتصدقون.

[٣٦] **﴿وَالْبُدْنَ﴾** جمع بدنة؛ وهي: الإبل **﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾** أعلام دينه **﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾** نفع في الدنيا - كما تقدم - وأجر في العقبى **﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾** عند نحرها **﴿صَوَافٌ﴾** قائمة على ثلاث، معقولة^(٢) اليد اليسرى **﴿فَإِذَا وَجِيتُ جُنُوبَهَا﴾** سقطت إلى الأرض بعد النحر؛ وهو: وقت الأكل منها **﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾** إن شئتم **﴿وَأَطِيعُوا أَلْفَافِعَ﴾** الذين يقنع بما يُعطى، ولا يسأل، ولا يتعرض **﴿وَالْمُعْتَرِ﴾** السائل أو المتعرض **﴿كَذَلِكَ﴾** أي: مثل ذلك التسخير **﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾** بأن تُنحر وتركب وإلا فلم تُطلق **﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾** إناامي عليكم.

[٣٧] **﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها﴾** أي: يرفعان إليه **﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَتْلُ مِنْكُمْ﴾** أي: يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان **﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾** أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه **﴿وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** أي: الموحدين.

[٣٨] **﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** غوائل المشركين **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾** في أمانته **﴿كَفُورٍ﴾** لنعمته؛ وهم: المشركون؛ المعنى: أنه يعاقبهم^(٣).

حَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ السَّمَاءَ فَخِطْفُهُ أَظْطَرَّ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٤﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ يَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٥﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكَاةً لِتَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿٣٧﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِيتُ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْفَافِعَ وَالْمُعْتَرِ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَتْلُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٤٠﴾

[٣١] **﴿حَفَاءَ لِلَّهِ﴾** مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه **﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾** تأكيد لما قبله، وهما حالان من الواو **﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾** سقط **﴿سَمَاءً فَخِطْفُهُ أَظْطَرَّ﴾** أي: تأخذه بسرعة **﴿أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ﴾** أي: تسقطه **﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾** بعيد، فهو لا يرجى خلاصه.

[٣٢] **﴿ذَلِكَ﴾** يقدر قبله: الأمر، مبتدأ **﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا﴾**

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) أي مربوطة.

(٣) وهذا تأويل لانتفاء الصفة بلازمها، والحب والبغض صفتان لله **﴿يُحِبُّ﴾**، ومذهب السلف إثباتهما لله **﴿يُحِبُّ﴾** على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف.

[٣٩] ﴿أَوْنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ﴾ أي: المؤمنين أن يقاتلوا، وهذه أول آية نزلت في الجهاد ﴿يَأْتَهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظَلِمُوا﴾ لظلم الكافرين إياهم ﴿وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّى نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ﴾.

[٤٠] هم ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج، وما أخرجوا ﴿إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُوا﴾ أي: بقولهم: ﴿رَبَّنَا اللَّهُ وَحْدَهُ، وهذا القول حق، فالإخراج به إخراج بغير حق ﴿وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ بدل، بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَهْوَمَتْ﴾ بالتشديد: للكثير، وبالتخفيف (١) ﴿صَوْمِعُ﴾ للرهبان ﴿وَبِيعُ﴾ كائن للنصارى ﴿وَصَلَوْتُ﴾ كائن لليهود بالعبرانية ﴿وَمَسْجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يَذْكُرُ فِيهِ﴾ أي: المواضع المذكورة (٢) ﴿أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرٌ﴾ وتقطع العبادات بخرابها ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: ينصر دينه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿غَيْرُزِيٍّ﴾ منيع في سلطانه وقدرته (٣).

[٤١] ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ينصرهم على عدوهم ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنَؤُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ جواب الشرط، وهو وجوبه صله الموصول، ويقدر قبله: «هم» مبتدأ ﴿وَلِيَّوْا عَاقِبَةَ الْأُمُورِ﴾ أي: مرجعها إليه في الآخرة.

[٤٢] ﴿وَلَنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ إلى آخره فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث ﴿قَوْمٌ﴾ باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَمُودٌ﴾ قوم صالح.

[٤٣] ﴿قَوْمٌ يَرْبِهِمْ وَقَوْمٌ لُوطٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَكَذَّبَ مُوسَى﴾ كَذَّبَهُ الْفَيْطُ لَا قومه بنو إسرائيل؛ أي: كذب هؤلاء رسلهم؛ فلما أسوة بهم ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أمهلهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؟ أي: إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم، والاستنفهام للتقرير؛ أي: هو واقع موقعه.

[٤٥] ﴿فَكَانَ﴾ أي: كم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ [أَهْلَكْنَاهَا] (٤) وفي قراءة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ ﴿وَهِيَ ظَلَمَةٌ﴾ أي: أهلها؛ بكفرهم ﴿فَنَهَى خَاوِيَةً﴾ ساقطة ﴿عَنِ عُرُوشِهَا﴾ سقوفها ﴿وَوُكِّلَ مِنْهَا مَعْطَفَةٌ﴾ متروكة بموت أهلها ﴿وَقَصَّرَ مَتَشِيدٌ﴾ رفيع، حال بموت أهلها.

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَعْلَمُوا أَنَّمَا قُلُوبُ

أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ يَأْتَهُمْ ظُلُمًا وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّى نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ
الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْوَمَتْ صَوْمِعُ وَبِيعُ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُ يَذْكُرُ فِيهِ أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرٌ وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنَؤُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُرُ مُعْتَلِةٌ وَقَصَّرَ مَتَشِيدٌ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَعْلَمُوا أَنَّمَا قُلُوبُ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوَّاذُنَ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ

يَقُولُونَ بِهَا ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿أَوْ عَادَانُ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار؛ فعبثوا ﴿فَأَنَّهُمَا﴾ أي: القصة ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ تأكيد.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبينهم! إنا لله وإنا إليه راجعون. ليهلكوا؛ فنزلت: ﴿أَوْنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ يَأْتَهُمْ ظُلُمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَّى نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ﴾. فخرجت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: فهي أول آية نزلت في القتال.

النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (١) وجوب الجهاد، والترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٣). (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٣٥).
وأخرج الترمذي عن سعيد بن جبير قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال رجل: أخرجوا نبينهم! فنزلت: ﴿أَوْنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ يَأْتَهُمْ ظُلُمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَّى نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ الترمذي - الموضع السابق.

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

(٢) هذا القول بأن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعود على المواضع المذكورة كلها، وبناء عليه يجب أن يحمل المعنى على ما قبل تعريف الأمم السابقة دينهم... وصوب هذا التأويل ابن عطية. واختار ابن جرير أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعود إلى «المساجد» فقط؛ لأنها أقرب المذكورات، كما في لغة العرب. وعلى كلا القولين فلا تنتم الآية «الكنائس» و«الكنس» التي يتخذها اليهود والنصارى بعد بعة محمد ﷺ؛ لأنها لا يذكر فيها اسم الله تعالى بالتوحيد والتزبه، كما يجب أن يذكر. قرأ العيني ص ٤٣٩ بتصرف.

(٣) هي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾.

يُنْذِرُ الْإِنذَارَ، وَأَنَا بَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ.

[٥٠] ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجنة.

[٥١] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن؛ بإبطالها [مُعْجِزِينَ] ﴿مِّنْ أَمْرِ النَّبِيِّ﴾ أي: ينسبونهم إلى العجز ويضطرونهم عن الإيمان، أو مقدرين عجزنا عنهم، وفي قراءة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مسابقين لنا؛ أي: يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار.

[٥٢] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ هو نبيٍّ أُمِرَ بالتبليغ ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أي: لم يؤمر بالتبليغ ﴿إِلَّا إِنَّا مَتَّعْنَاهُ﴾ قرأ ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ قرأته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿وَنَزَّهَ أَتَالَتَهُ الْآخَرَىٰ﴾ بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به: ﴿تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْغَلَا، وَإِنْ شَفَاعَتُهُنَّ لَتَرْجَىٰ﴾؛ ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك؛ فحزن؛ فشأنه بهذه الآية ليطمئن ﴿فَيَسْخُ اللَّهُ﴾ يطل ﴿مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَوِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يشتمها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿حَكِيمٌ﴾ في تمكينه منه بفعل ما يشاء.

[٥٣] ﴿لِيَجْعَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شقاق ونفاق ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: المشركين؛ عن قبول الحق ﴿وَالَّذِينَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لِيُفِي شِقَاقَ بَعِيدٍ﴾ خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين؛ حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك.

[٥٤] ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَحِيدَ﴾ التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فَيُؤْمِنُوا بِهِ. فَتُخَيِّتَ تَطْمِئِن ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ طَرِيق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

[٥٥] ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيقٍ﴾ شك ﴿مِنْهُ﴾ أي: القرآن؛ بما ألقاه الشيطان على لسان النبي، ثم أبطل ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: ساعة موتهم أو القيامة فجأة ﴿أَوْ يَنْبِئُهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ هو يوم بدر لا خير فيه للكفار؛ كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل بعده.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَكَأَن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ إِنَّمَّا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٩﴾ فَاذْكُرُونِ اللَّهَ وَأَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٦١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَوِّمُ اللَّهُ إِلَهَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٦٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَحِيدَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخَيِّتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيقَةٍ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَنْبِئُهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٦٥﴾

[٤٧] ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بإنزال العذاب؛ فأنزله يوم بدر ﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ بالباء والياء^(١)؛ في الدنيا.

[٤٨] ﴿وَكَأَن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها ﴿وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ المرجع.

[٤٩] ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنَّمَّا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

(١) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٢) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة [معاجزين].

(٣) هذا القول هو المشهور الشائع، والصحيح المختار هو أن الرسول م أوحى إليه شرع جديد، والتي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله. وانظر: الرسل والرسالات للأشقر، ص (١٤، ١٥)، والنبوات لابن تيمية ص (٢٥٥).

(٤) وهذا كلام باطل، وقد تفق جمهور العلماء على أن قصة الغرانيق هذه باطلة مثلاً ولا أصل لها مثلاً. قال ابن إسحاق: هي من وضع الزنادقة. وقال البيهقي: غير ثابتة نقلاً ورواها مطعونون، وردها ابن كثير، وأبو بكر بن العربي، والقاضي عياض، وغيرهم.

ومن أفصل ما قيل في تفسيرها ما ذكره الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان»: هو أن ما يلقيه الشيطان في قراءة النبي ﷺ الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها؛ كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر، أو أساطير الأولين، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده... فمعنى نسخ ما يلقي الشيطان: إزالته وإبطاله وعدم تأثيره في المؤمنين الذين أوتوا العلم. ومعنى «يحكم آياته»: يتقنها بالإحكام؛ فيظهر أنها وحى منزل منه بحق، ولا يؤثر في ذلك محاولة الشيطان صد الناس عنها بإلقائه المذكور.

(٥) تقدم بطلان هذا التأويل، انظر الهامش السابق.

[٥٦] ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ بَئِزًا﴾ أي: يوم القيامة ﴿بَئِزًا﴾ وحده، وما تضمنه من الاستقرار^(١)، ناصب للظرف ﴿بَئِزًا﴾ بينهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين بما يَتَّبِعُ بعده ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ فضلا من الله.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ شديداً بسبب كفرهم.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبِزْتُهُمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو رزق الجنة ﴿وَأَبَٰتُ اللَّهِ لَهُمْ خَيْرٌ مِنَ الرِّزْقِ﴾ أفضل المعطين.

[٥٩] ﴿لَبِزْتُهُمْ مَثَلًا﴾ بضم الميم وفتحها^(٢)؛ أي: إدخالاً أو موضعاً ﴿يَرْضَوْنَ﴾ وهو الجنة ﴿وَلِٰنَ اللَّهِ لَعَلِيَّ﴾ بئانهم ﴿حَلِيَّةٌ﴾ عن عقابهم.

[٦٠] الأمر ﴿ذَلِكَ﴾ قصصناه عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ جازى من المؤمن ﴿يَعْتَبِرْ مَا عُوِّبَ بِهِ﴾ ظلماً من المشركين؛ أي: قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام ﴿ثُمَّ يُعْطَىٰ عَلَيْهِ﴾ منهم؛ أي: ظلم بإخراجه من منزله ﴿لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ﴾ إِنْ اللَّهُ لَعَفُوٌّ عن المؤمنين ﴿عَفُوٌّ﴾ لهم، عن قتالهم في الشهر الحرام.

[٦١] ﴿ذَلِكَ﴾ النصر ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: يدخل كلاً منهما في الآخر؛ بأن يزيد به، وذلك من أثر قدرته - تعالى - التي بها النصر ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ دعاء المؤمنين ﴿بِعَصِيٍّ﴾ بهم؛ حيث جعل فيهم الإيمان؛ فأجاب دعاءهم.

[٦٢] ﴿ذَلِكَ﴾ النصر أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَنْشُرُكَ﴾ بآياه والتاء^(٣)، يعبدون ﴿وَمِنْ دُونِهِ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ أي: العالي على كل شيء بقدرته^(٤) ﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي يصغر كل شيء سواه.

[٦٣] ﴿إِنَّمَا نَزَّلْنَا﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَنُصْبِغُ بِهِ الْأَرْضَ فَنُخْشِرُهَا﴾ بالنبات، وهذا من أثر قدرته^(٥) ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَيْرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخير

الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ بَئِزًا يَحْكُمُ بَيْنَهُمُ الْوَالِدِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبِزْتُهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَبِزْتُهُمْ مَثَلًا لِّبِزْتِهِمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦٢﴾ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَنُصْبِغُ بِهِ الْأَرْضَ فَنُخْشِرُهَا وَإِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٤﴾ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفُورُ الْحَمِيدُ ﴿٦٥﴾

المطر.

[٦٤] ﴿كُلُّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ على جهة الملك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفُورُ﴾ عن عباده ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأوليائه.

(١) أي معنى الاستقرار المقدس.

(٢) بالفتح قراءة نافع.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا قصر لمعنى «العلي» على أحد مدلولاته وإغفال الباقي؛ قاله - سبحانه - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

(٥) ورحمته أيضاً.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَخْيَاكُمْ ثُمَّ مَجِّعُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رِبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَغْلَىٰ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ
عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذْ أَتَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلِ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ
ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشِّرِ الْمُصِيرِينَ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من البهائم
﴿وَالْفَلَكَ﴾ السفن ﴿تَجْرَى فِي الْبَحْرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه

﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ﴾ من ﴿أَنْ﴾ أو لئلا ﴿تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾
فنهلكوا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ في السخير والإمساك.
[٦٦] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ﴾ بالإشياء ﴿ثُمَّ يُجِيعُكُمْ﴾ عند انتهاء
أجلكم ﴿ثُمَّ يُخَيِّكُمْ﴾ عند البعث ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ أي: المشرك
﴿لَكَفُورٌ﴾ لنعم الله؛ بتركه توحيد.

[٦٧] ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ بفتح السين وكسرها^(١)؛ شريعة
﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ﴾ يراد به: لا تنازعهم ﴿فِي
الْأَمْرِ﴾ أي: أمر الذبيحة؛ إذ قالوا: «ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم»^(٢)
﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ دين ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾.
[٦٨] ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ﴾ في أمر الدين ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَغْلَىٰ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
فيجازيكم عليه، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٦٩] ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾
فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر.
[٧٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: ما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ
ذَلِكَ﴾ أي: علم ما ذكر ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل؟.

[٧١] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: المشركون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ﴾ هو
الأصنام ﴿سُلْطَانٌ﴾ حجة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة^(٣) ﴿وَمَا
لِلظَّالِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يمنع عنهم عذاب الله.

[٧٢] ﴿وَإِذْ أَتَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات،
حال ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ أي: الإنكار لها؛ أي:
آثره من الكراهة والعبوس ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا﴾ أي: يقعون فيهم بالبطش ﴿قُلِ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ﴾
أي: الكفرة من القرآن المخلو عليكم؛ هو: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن
مصيرهم إليها ﴿وَبَشِّرِ الْمُصِيرِينَ﴾ هي.

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) راجع ما تقدم في سبب نزول الآيات (١١٩ - ١٢١) من سورة الأنعام.

(٣) أي: عبدوها تقليداً لآبائهم، من غير دليل ولا حجة.

[٧٣] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ﴾ وهو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ اسم جنس، واحدة ذبابة، يقع على الذكر والمؤنث ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ خلقه ﴿وَلَنْ يَسْلُتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ مما عليهم؛ من الطيب والزعفران الملتصخين^(١) به ﴿لَا يَسْتَفِيدُونَ﴾ لا يستدوه ﴿وَمِنْهُ﴾ لعجزهم، فكيف يعبدون شركاء الله - تعالى ١٩- هذا أمر مستغرب، عجز عنه بضرب مثل ﴿سُعِفَ الظُّلُمُتِ﴾ العابد ﴿وَالْمَطْلُوبِ﴾ المعبود. [٧٤] ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ عَظْمَهُ﴾ عظموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾ عظمته؛ إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا يتصف منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ غالب. [٧٥] ﴿اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ رسلًا، نزل لما قال المشركون: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَقَاتِلِهِمْ ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يتخذة رسولاً؛ كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم - صلى الله عليهم وسلم -.

[٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما قدموا وما خلفوا، وما عملوا وما هم عاملون بعد ﴿وَالِ اللَّهِ رُجُوعُ الْأُمُورِ﴾.

[٧٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي: صلوا ﴿وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وحدوه ﴿وَاتَّقُوا الْخَيْرَ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة.

[٧٨] ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ باستفراغ الطاقة فيه، ونصب ﴿حَقَّ﴾ على المصدر ﴿هُوَ اجْتَنَبَكُمْ﴾ اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق؛ بأن سهله عند الضرورات؛ كالفقر والتيسم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر ﴿وَمَلَّةَ أَيْبِكُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض «الكاف»^(٣) ﴿إِزْهَجَ﴾ عطف بيان ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل هذا الكتاب ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿لَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وَتَكُونُوا﴾ أنتم ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أن رسلكم بلغوهم ﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ داوموا عليها ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ ثقوا به ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾ الناصر لكم.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٤﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٥﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةَ أَيْبِكُمْ يَتْرَهِيَهُ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

(١) في نسخة الصاوي وبعض النسخ المطبوعة: «الملتصخين»؛ لأنه نعت سببي للطيب والزعفران. اهـ. والمثبت من نسخة القاضي كنعان؛ قال: هو هكذا في المخطوطة الثانية، وهو الصواب.

(٢) سورة ص: ٨.

(٣) أي: كيلة أَيْبِكُمْ.

- [٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كِلَابٌ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ﴾.
 [٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ مؤدوّن.
 [٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عن الحرام.
 [٦] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: من زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: السراي ﴿فَلَا يَمْنَعُهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ في إتيانهم.
 [٧] ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ من الزوجات والسراي؛ كاستمناة باليد في إتيانهم ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم.
 [٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْثَلِهِمْ جَمْعًا﴾ جمعًا ومفردًا^(١) ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿رِعُونَ﴾ حافظون.
 [٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَتِهِمْ جَمْعًا﴾ جمعًا ومفردًا^(٢) ﴿يُحَافِظُونَ﴾ يقيمونها في أوقاتها.
 [١٠] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ﴾^(٣) لا غيرهم.
 [١١] ﴿الَّذِينَ يَرْتُكُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد، ويناسبه ذكر المبدأ بقوله.
 [١٢] ﴿وَاللَّهُ﴾ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ سُلْكَ﴾ هي من سللت الشيء من الشيء؛ أي: استخرجه منه، وهو خلاصته ﴿مِنْ طِينٍ﴾ متعلق بـ ﴿سُلْكَ﴾.
 [١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الإنسان نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾ مَيْتًا ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ هو الرحم.
 [١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دما جامدا ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحمه قذرًا ما يبيض ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ وفي قراءة: ﴿عِظْمًا﴾ في الموضعين^(٤)، و«خَلَقْنَا» في المواضع الثلاث؛ بمعنى: صيرنا ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: المقدرين، ومميز ﴿أَحْسَنُ﴾ محذوف للعلم به؛ أي: خلقا.
 [١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.
 [١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بِوَمِ الْقَيْمَةِ تَبْعُونَ﴾ للحساب والجزاء.
 [١٧] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي: سموات، جمع طريقة^(٥)؛ لأنها طرق الملازمة ﴿وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ﴾ التي تحتها ﴿غَفْلِينَ﴾ أن تسقط عليهم؛ فهلهم، بل نمسكها؛ كناية ﴿وَنُفِيسُكَ السَّكَاةَ﴾ أن تقع على الأرض^(٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْثَلِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتُكُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْكَ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بِوَمِ الْقَيْمَةِ تَبْعُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ غَفْلِينَ ﴿١٧﴾

سورة المؤمنون

[مكية، مائة وثماني، أو: تسع عشرة آية، نزلت بعد الأنبياء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾.
 [٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ متواضعون^(١).

(٥) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار؛ فإذا مات فدخل الثَّار، ورث أهل الجنة منزله؛ فذلك قوله:

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ﴾». ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٣٩) صفة الجنة. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٥٠٣).

(١) الخشوع في الصلاة غير التواضع؛ ومعناه: الخضوع والحروف والسكون؛ أي: باطناً وطاهراً.

(٢) بالإنفراد قراءة ابن كثير.

(٣) بالإنفراد قراءة حمزة والكسائي.

(٤) أي: «عظماً»، و«العظم»، وهي قراءة ابن عامر وشعبة.

(٥) أي لأن بعضها فوق بعض، وقيل: لأنها طرق الملازمة. فهذان تفسيران لسبب التسمية، وصنيع المؤلف يومهم أنه تفسير واحد.

(٦) الحج: ٦٥.

[١٨] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ مَّا يَدْرِجُونَ﴾ من كفايتهم ﴿فَأَنشَأْنَا فِيهَا لُجْجًا وَغَارًا غَمِيمًا﴾ فِيمَتُونَ مَعَهُ دَوَابُّهُمْ غَاشَّةً.
[١٩] ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبًا﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ صيفا وشتاءً.

[٢٠] ﴿وَمِنْهَا أَنْشَأْنَا شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ جبل؛ بكسر السين وفتحها^(١)، ومع الصرف للعلمية، والثاني للبقعة ﴿تَثْبُتُ﴾ من الرباعي والثلاثي^(٢) ﴿بِالدَّهْنِ﴾ الباء زائدة على الأول ومعديّة على الثاني؛ وهي: شجرة الزيتون ﴿وَصَبَّحَ لِلْأَعْيُنِ﴾ عطف على «الدَّهْنِ»؛ أي: إذا ما يصبغ اللقمة بغمسها فيه؛ وهو: الزيت.

[٢١] ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ﴾ لِعِبَرَةٍ ﴿عِظَةُ تَعْبُرُونَ بِهَا﴾ [تُشْفِيكُمْ] بفتح النون وضمها^(٣) ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٢٢] ﴿وَعَلَيْهَا الْإِبِلُ وَعَلَى الْفُلْكِ السِّفَنُ﴾ تَحْمَلُونَ.
[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِّقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَاحِدَهُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ وهو اسم «مَا» وما قبله الخبر، و«مِنْ» زائدة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تخافون عقوبته بعبادتكم غيره؟

[٢٤] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ: لَأُبَاتِعُهُمْ: مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ يشرف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن يكون مثبوعًا وأنتم أتباعه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا يَبْعَدَ غَيْرُهُ﴾ لَأَزَلَّ مَلَكُوكَ بذلك، لا بشرًا ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿فِي آيَاتِنَا الْآلَوَيْنِ﴾ الأمم الماضية.

[٢٥] ﴿إِنَّ هُوَ مَا نُوْحٌ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ﴾ حالة جنون ﴿فَتَرَىٰ صُورًا﴾ ينظرونه ﴿حَتَّىٰ جِئَ إِلَىٰ زَمَنٍ مُّوتِهِ﴾.

[٢٦] ﴿قَالَ نُوْحٌ: رَبِّ انصُرْنِي﴾ عليهم ﴿وَمَا كُنْتُمْ بِبَسْبِ تَكْذِبِهِمْ إِيَّايَ﴾ بأن تهلكهم.

[٢٧] قال - تعالى - محييا دعاءه: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ يَمْرَأَىٰ مِنَّا وحفظنا^(٤) ﴿وَوَحَيْنَا﴾ أَمْرًا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ الْفُتُورُ﴾ للخباز بالماء^(٥)، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَأَسْلَفَ فِيهَا﴾ أي: أذبل في السفينة ﴿مِنْ كُلِّ﴾ رَوْحَيْنِ ذكر وأنثى؛ أي: من كل أنواعهما ﴿أَنْثَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، وهو مفعول، و«مِنْ» متعلقة بـ«أَسْلَفَ»، وفي القصة: أن الله - تعالى - حشر نوح السباع والطيور وغيرها؛ فجعل يضرب بيديه في كل نوع؛ فتقع يده اليمنى على الذكور

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ مَّا يَدْرِجُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبًا لَّكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَثْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَبَّحَ لِلْأَعْيُنِ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتَسْقِيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا الْفُلْكَ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِّقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَرَىٰ صُورًا بِهِ عَجَبٌ حَتَّىٰ جِئَ إِلَىٰ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ دُوبُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٦﴾

واليسرى على الأُنثى؛ فيحملها في السفينة، وفي قراءة: ﴿كُلِّ﴾ بالتونين، فـ«زَوْجَيْنِ» مفعول، و«أَنْثَيْنِ» تأكيد له ﴿وَأَهْلَكَ﴾ زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك؛ وهو: زوجته وولده كنعان^(٦)، بخلاف سام وحام ويافث؛ فحملهم وزوجاتهم ثلاثة، وفي سورة هود: ﴿وَمَنْ مَّامَرٌ وَمَا مَّامَرٌ مَّعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٧) قيل: «كانوا ستة رجال ونسأؤهم»؛ وقيل: «جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون؛ نصفهم رجال ونصفهم نساء» ﴿وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا، بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾.

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: من أثبت وثبت، يشير بذلك إلى القراءتين، وبضم الثاء وكسر الباء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن عامر وشعبة.

(٤) وفيها إثبات صفة العين لله سبحانه على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح، وأما الجمع فللتعظيم لا للكثرة؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَمَّ الْقُورُونَ﴾، ﴿وَتَمَّ الْمَهْدُونَ﴾، ﴿وَبَا تَوْبِعُونَ﴾.

(٥) راجع التعليق في سورة هود آية ٤٠.

(٦) هي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالتونين.

(٧) راجع التعليق في سورة هود آية ٤٠.

(٨) هود: ٤٠.

[٣٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لَايَةً﴾ دلالات على قدرة الله - تعالى - ﴿وَإِنَّ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه.

[٣١] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قَرْنًا﴾ قوما ﴿ءَاخِرِينَ﴾ هم عاد^(١).

[٣٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هودا^(٢) ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه فتؤمنون.

[٣٣] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ﴾ بالمصير إليها ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ﴾ نعمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَاللَّهُ﴾ الله ﴿لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلِي﴾ فيه قسم وشرط، والجواب لأولهما - وهو مغني عن جواب الثاني :- ﴿إِنِّي إِذًا﴾ أي: إذا أطعتموه ﴿لَأَكُونَنَّ﴾ أي: مغبونون.

[٣٥] ﴿أَيُّدُكُمْ أَكْثَرُ إِذَا مِنْكُمْ وَكُنْتُمْ تُرَاكِبًا وَعَظْمًا كُفْرًا﴾ هو خبر ﴿أَنْتُمْ﴾ الأولى، و﴿أَنْتُمْ﴾ الثانية تأكيد لها لما طال الفصل.

[٣٦] ﴿هِيَآتْ هِيَآتْ﴾ اسم فعل بمعنى مصدر، أي: بمذ بمذ ﴿لَمَّا تُوْعِدُونَ﴾ من الإخراج من القبور، واللام زائدة للبيان.

[٣٧] ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بحياة أبنائنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما الرسول ﴿إِلَّا رِجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بالبعث بعد الموت.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كُذِّبْتُ﴾.

[٤٠] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان، و﴿مَا﴾ زائدة ﴿لَيُصِخِرَنَّ﴾ ليصيرن ﴿نَدِيمِينَ﴾ على كفرهم وتكذيبهم.

[٤١] ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ صيحة العذاب والهلاك كائنة ﴿بِالْحَقِّ﴾ فماتوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً﴾ وهو نبت ييسر؛ أي: صيرناهم مثله في اليبس.

[٤٢] ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المكذبين.

[٤٣] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرُونًا﴾ أقواما ﴿ءَاخِرِينَ﴾.

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرُونًا ؕ آخِرِينَ ﴿٤١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ؕ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ ؕ أَتَرْفُتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٤٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلِي إِذًا لَأَخْسِرُنَّ ؕ أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا ؕ إِنَّكُمْ مَخْرُجُونَ ﴿٤٤﴾ هِيَآتْ هِيَآتْ لَمَّا تُوْعِدُونَ ﴿٤٥﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كُذِّبْتُ ﴿٤٨﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصِخِرَنَّ نَدِيمُونَ ﴿٤٩﴾ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً فَبَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرُونًا ؕ آخِرِينَ ﴿٥١﴾

[٢٨] ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ اعتدلت ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ﴾ فقل الحمد لله الذي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الكافرين وإهلاكهم.

[٢٩] ﴿وَقُلْ﴾ عند نزولك في الفلك: ﴿رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا﴾ بضم الميم وفتح الزاي: مصدر، أو: اسم مكان، وفتح الميم وكسر الزاي^(١): مكان النزول ﴿مُبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ما ذكر.

(١) يفتح الميم وكسر الزاي لشعبة، وقرأ الياقوت بضم الميم وفتح الزاي.

(٢) وقيل: هم ثمود قوم صالح؛ لأنهم هم الذين أهلكوا بالصيحة. واعتمد البيضاوي في تفسيره. واختاره السعدي في تفسير الكريم الرحمن ص (٥٩٧) وقال: الظاهر أنهم «ثمود» قوم صالح عليه السلام؛ لأن القصة هذه تشبه قصتهم. اهـ.

(٣) وعلى القول الآخر: يكون الرسول صالحاً.

[٤٣] ﴿مَا تَسْبِيحُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بَأْنْ تَمُوتَ قَبْلَهُ ﴿وَمَا يَسْتَحْزُونَ﴾ عَنْهُ، ذَكَرَ الضَّمِيرُ بَعْدَ تَأْنِيهِ رَعَايَةَ الْمَعْنَى.

[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ [تَوْرًا] ^(١) بِالنَّبِيِّينَ وَعَدَمَهُ ^(٢)، مُتَابِعِينَ بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ زَمَانٍ طَوِيلٍ ^(٣)، ﴿كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةٌ﴾ بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْوَاوِ ^(٤)، ﴿رُسُلُنَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ فِي الْهَلَاكِ، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ، وَهِيَ: الْيَدُ وَالْعَصَا وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْآيَاتِ ^(٥).

[٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ فَاسْتَكْبَرُوا، عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا، وَبِاللَّهِ وَكَابَرُوا قَوْمًا عَالِينَ، قَاهِرِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالظُّلْمِ.

[٤٧] ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ﴾ مُطْبِعُونَ خَاضِعُونَ.

[٤٨] ﴿كَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾.

[٤٩] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التَّوْرَةَ، لَعَلَّهُمْ، قَوْمَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَهْتَدُونَ، بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَوْتِيَهَا بَعْدَ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

[٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ مِنْهُمْ عِيسَى وَآلَهُ أَيْةٌ﴾ لَمْ يَقُلْ آيَتَيْنِ، لِأَنَّ الْآيَةَ فِيهِمَا وَاحِدَةٌ، وَلَدَنَّهُ مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ ﴿وَمَا أَوْتَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَيْفٍ﴾ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ، وَهُوَ: بَيْتُ الْمَقْدِسِ، أَوْ دِمَشْقُ، أَوْ فِلَسْطِينَ، أَقْوَالٌ، ذَاتُ قَرَارٍ، أَيْ: مُسْتَوِيَةٌ يَسْتَقِرُّ عَلَيْهَا سَائِكُوهَا، وَمَعِينٌ، وَمَاءُ جَارٍ ظَاهِرٌ تَرَاهُ الْعَيُونُ.

[٥١] ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الْحَلَالَاتِ، ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ مِنْ فِرْضٍ وَنَفْلِ، ﴿إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، فَأُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

[٥٢] ﴿وَلَا تَعْمَلُوا﴾ إِنَّ هَذِهِ، أَيْ: مِلَّةَ الْإِسْلَامِ، ﴿أُتِّمَّتْكُمْ﴾ دِينَكُمْ أَيْهَا الْمُخَاطَبُونَ، أَيْ: يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا عَلَيْهَا، ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، حَالٌ لَازِمَةٌ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِتَخْفِيفِ النُّونِ ^(٦)، وَفِي أُخْرَى: بِكُسْرِهَا مُشَدَّدَةً، أَيْ: اسْتِثْنَاءًا، وَأَنَا رِبِّكُمْ فَالْقَوْمُ، فَاحْذَرُونَ.

[٥٣] ﴿فَقَطَّعُوا﴾ أَيْ: الْأَنْبِيَاءُ، أَتَرَاهُمْ، دِينَهُمْ، بَيْنَهُمْ زُبُرًا، حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ «فَقَطَّعُوا»، أَيْ: أَحْزَابًا مُتَخَالِفِينَ، كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ، ﴿كُلٌّ حَزْبٌ يَمَّا لَدَيْهِمْ﴾ أَيْ: عِنْدَهُمْ مِنَ الدِّينِ ﴿فَرِحُوا﴾ مَسْرُورُونَ.

[٥٤] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أَتَرَكَ كُفَّارَ مَكَّةَ، ﴿فِي غَرْبِهِمْ﴾ ضِلَالَتِهِمْ، ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إِلَىٰ حِينٍ مَوْتِهِمْ.

[٥٥] ﴿أَيُّحْسِبُونَ أَنَّمَا نُثَدِّهِمْ بِهِ﴾ نَعْطِبُهُمْ، ﴿مِنْ مَالٍ رَيْنٍ﴾ فِي الدُّنْيَا.

مَا تَسْبِيحُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَحْزُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّ مَجَاءٍ أُمَّةٍ رُسُلُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٨﴾ ابْنُ مَرْيَمَ وَآلَهُ أَيْةٌ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَيْفٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٤٩﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّو مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥١﴾ فَاقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حَزْبٌ يَمَّا لَدَيْهِمْ فَرِحُوا ﴿٥٢﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَرْبِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٣﴾ أَيُّحْسِبُونَ أَنَّمَا نُثَدِّهِمْ بِهِ مِنْ مَالٍ رَيْنٍ ﴿٥٤﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُسْفِقُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾

[٥٦] ﴿نُسَارِعُ﴾ نَعْجَلُ ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ لَا ﴿يَلَّ وَلَا يَشْعُرُونَ﴾ أَنْ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ خَوْفُهُمْ مِنْهُ ﴿مُسْفِقُونَ﴾ خَائِفُونَ مِنْ عَذَابِهِ.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ الْقُرْآنَ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يَصْدُقُونَ.

[٥٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ مَعَهُ غَيْرُهُ.

(١) بالنَّبِيِّينَ قِرَاءَةُ بَنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو، وَأَصْلُ «تَوْرًا»: «تَوْرَى» مِنْ «الْوَرَّةِ»، وَهُوَ: الْفِرْدُ.

(٢) وَفِي: مُتَابِعِينَ بِلَا مَهْلَةٍ.

(٣) تَحْقِيقُ الْهَمَزَيْنِ هُوَ قِرَاءَةُ حَمْزَةٍ وَالْكَسَايَةِ وَعَصَمَ وَابْنُ عَامِرٍ، وَتَسْهِيلُ الثَّانِيَةِ هُوَ فِرَاغَةُ نَافِعٍ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو.

(٤) تَقْدِيمُ بَيَانِهَا فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْأَعْرَافِ ١٣٣، وَيُونُسَ ٧٥.

(٥) لَابْنُ عَامِرٍ.

(٦) بِكُسْرِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ لِعَاصِمٍ وَحَمْزَةِ وَالْكَسَايَةِ، وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ.

[٦٣] ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿فِي غَرَرٍ﴾ جهالة ﴿وَبَيْنَ هَذَا﴾ القرآن ﴿وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾ فيعدون عليها.

[٦٤] ﴿حَتَّى﴾ ابتدائية ﴿إِذَا أَخَذْنَا مِرْفَقَهُمْ﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ أي: السيف يوم بدر^(١) ﴿إِذَا هُمْ يَجْعَلُونَ﴾ يضعجون.

[٦٥] يقال لهم: ﴿لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مِتًا لَا تَنْصُرُونَ﴾ لا تمنعون.

[٦٦] ﴿فَدَكَانَتْ آيَاتِي﴾ من القرآن ﴿نُتِلَّ عَلَيْكُمْ فَنُكِّنَتْ عَلَى أَغْفِيكُمْ﴾ نُنَكِّصُونَ ﴿ترجعون القهقري﴾.

[٦٧] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِ﴾ أي: بالبيت أو الحرم؛ بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿سَمِيرًا﴾ حال؛ أي: جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من الثلاثي؛ تتركون القرآن، ومن الرباعي^(٢)؛ أي: تقولون غير الحق في النبي والقرآن.

[٦٨] قال - تعالى -: ﴿أَفَلَمْ يَذَرُوا﴾ أصله يتدبروا؛ فأدغمت التاء في الدال ﴿الْقَوْلِ﴾ أي: القرآن الدال على صدق النبي ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ؟﴾

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ؟﴾

[٧٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ؟﴾ الاستفهام للترديد؛ من صدق النبي، ومجيبه الرسل للأمم الماضية، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْذَرَهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾.

[٧١] ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ أي: القرآن ﴿أَهْوَاهُمْ﴾ بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله - تعالى الله عن ذلك - ﴿وَلَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ خرجت عن نظامها المشاهد؛ لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم ﴿بَلْ أَلَبَّيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٢] ﴿أَمْ قَاتَلْتَهُمْ خَرْجًا﴾ أجرا على ما جنتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَجَ رَيْكٌ﴾ أجره وثوابه ورزقه ﴿خَيْرٌ﴾ وفي قراءة: ﴿خَرْجًا﴾ في الموضعين^(٣)، وفي قراءة أخرى: ﴿خَرْجًا﴾ فيهما^(٤) ﴿وَهُوَ خَيْرٌ الرَّزْقَيْنِ﴾ أفضل من أعطى وأجر.

[٧٣] ﴿وَلَيْكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقٍ﴾ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ أي: الطريق ﴿لَنُكَبِّرُنَّ﴾ عادلون.

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مَا آتَا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٣﴾
أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٥﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَرَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٦٦﴾ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَلُونَ ﴿٦٧﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مِتًا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٨﴾ فَكَانَتْ آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَغْفِيكُمْ تَنْكُصُونَ ﴿٦٩﴾
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِيرًا تَهْجُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُمْ مُنْكَرُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثَرَهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٤﴾ أَمْ لَسَّاهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَيْكٌ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقَيْنِ ﴿٧٥﴾ وَلَيْكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبِّرُنَّ

[٦٠] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يعطون ﴿مَا آتَاهُمْ﴾ أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة^(١) ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ خائفة أن لا تقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ يقدر قبلة: لام الجر^(٢) ﴿إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

[٦١] ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ﴾ في علم الله.

[٦٢] ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها؛ فمن لم يستطع أن يصلي قائمًا فليصل جالسًا، ومن لم يستطع أن يصوم فلياكل ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ بما عملته؛ وهو: اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال ﴿وَهُمْ﴾ أي: النفوس العاملة ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئًا منها؛ فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات، ولا يزداد في السيئات.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٩/٦)، والترمذي في سننه (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مَا آتَا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الحمر ويسرقون؟ قال: «لا، يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم الذين يخافون أن لا يتقبل منهم»، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٣٨٤).

(٢) أي: «لأنهم»؛ فيكون تمليلًا لقوله: ﴿رَبِّهِمْ﴾.

(٣) هذا قول ابن عباس وجماة. وقيل: اراد بالعباد: عذاب الآخرة.

(٤) يشير إلى الفرائطين، فيضمن التاء وكسر الحيم قراءة نافع. جعله من الهجر، وهو الهديان وما لا خير فيه من الكلام.

(٥) أي: «خَرْجًا فَخَرَجَ» وهي قراءة ابن عامر.

(٦) أي: «خَرْجًا فَخَرَجَ» وهي حمزة والكسائي.

[٧٥] ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَأَيُّ جُوعٍ أَصَابَهُمْ بِمَكَّةَ سَبْعَ سَنِينَ﴾ «لَلْجُوعِ» تَمَادَا «فِي طَعْنَيْنِهِمْ» ضَلَالَهُمْ «يَعْمَهُونَ» يترددون.

[٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْأَذْيَابِ﴾ «الْجُوعِ» (١) ﴿فَمَا اسْتَكْبَرُوا﴾ تَوَضَعُوا «لِيُرِيَهُمْ وَمَا يَنْصَرِعُونَ» يرغبون إلى الله بالدعاء.

[٧٧] ﴿حَتَّى﴾ «ابتدائية» ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَاكَ﴾ «صاحب» «عَذَابٍ شَدِيدٍ» هو يوم بدر بالقتل (٢) ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أيسون من كل خير.

[٧٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ خَلْقَ الْكُفْرِ السَّمْعِ﴾ بمعنى: الأسماع «وَالْأَبْصَرِ وَالْأَفْئِدَةِ» القلوب «فَلَيْلًا مَا» تأكيد للقلة «تَشْكُرُونَ».

[٧٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تبعثون.

[٨٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ بنفخ الروح في المصغة «وَيُؤْتِي وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» بالسواد والبياض والزيادة والنقصان «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» ضَعْفٌ - تعالى: «فتعتبرون»؟

[٨١] ﴿بَلْ قَالُوا وَمِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾.

[٨٢] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأولون: ﴿أَوَدَّ وَتَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا إِنْهَا لَمَبْعُوثُونَ﴾؟ لا، وفي الهمزتين في الموضوعين التحقيق، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (٣).

[٨٣] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعَدْنَا هَذَا﴾ أي: البعث بعد الموت «وَمِنْ قَبْلُ» إن «ما» هَذَا «إِلَّا أَسْطِيرٌ» أكاذيب «الْأَوَّلِينَ» كالأصاحيب والأعاجيب، جمع أسطورة؛ بالضم.

[٨٤] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ «لَمِنْ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا» من الخلق «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» خالقها ومالكها.

[٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ لَهُمْ﴾ «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» بإدغام التاء الثانية في الذال (٤) «تتعطون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الإحياء بعد الموت؟

[٨٦] ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الكرسي (٥).

[٨٧] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِئُ﴾ تحذرون عبادة غيره؟

[٨٨] ﴿قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ﴾ ملك «كُلِّ شَيْءٍ» والتاء: للمبالغة «وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُكْرِئُ عَلَيْهِ» يحيي ولا يخشي عليه «إِنْ كُنْتُمْ

﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُوعِ أَصَابَهُمْ بِمَكَّةَ سَبْعَ سَنِينَ﴾ «لَلْجُوعِ» تَمَادَا «فِي طَعْنَيْنِهِمْ» ضَلَالَهُمْ «يَعْمَهُونَ» يترددون. ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْأَذْيَابِ﴾ «الْجُوعِ» (١) ﴿فَمَا اسْتَكْبَرُوا﴾ تَوَضَعُوا «لِيُرِيَهُمْ وَمَا يَنْصَرِعُونَ» يرغبون إلى الله بالدعاء. ﴿حَتَّى﴾ «ابتدائية» ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَاكَ﴾ «صاحب» «عَذَابٍ شَدِيدٍ» هو يوم بدر بالقتل (٢) ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أيسون من كل خير. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ خَلْقَ الْكُفْرِ السَّمْعِ وَالْأَبْصَرِ وَالْأَفْئِدَةِ» القلوب «فَلَيْلًا مَا» تأكيد للقلة «تَشْكُرُونَ». ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تبعثون. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ بنفخ الروح في المصغة «وَيُؤْتِي وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» بالسواد والبياض والزيادة والنقصان «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» ضَعْفٌ - تعالى: «فتعتبرون»؟ ﴿بَلْ قَالُوا وَمِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾. ﴿قَالُوا﴾ أي: الأولون: ﴿أَوَدَّ وَتَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا إِنْهَا لَمَبْعُوثُونَ﴾؟ لا، وفي الهمزتين في الموضوعين التحقيق، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (٣). ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعَدْنَا هَذَا﴾ أي: البعث بعد الموت «وَمِنْ قَبْلُ» إن «ما» هَذَا «إِلَّا أَسْطِيرٌ» أكاذيب «الْأَوَّلِينَ» كالأصاحيب والأعاجيب، جمع أسطورة؛ بالضم. ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ «لَمِنْ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا» من الخلق «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» خالقها ومالكها. ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ لَهُمْ﴾ «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» بإدغام التاء الثانية في الذال (٤) «تتعطون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الإحياء بعد الموت؟ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الكرسي (٥). ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِئُ﴾ تحذرون عبادة غيره؟ ﴿قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ﴾ ملك «كُلِّ شَيْءٍ» والتاء: للمبالغة «وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُكْرِئُ عَلَيْهِ» يحيي ولا يخشي عليه «إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ؟

[٨٩] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ (٦) «وفي قراءة: ﴿لِلَّهِ﴾ بلام الجر في الموضوعين (٧)؛ نظرًا إلى أن المعنى: من له ما ذكر؟ «قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ» تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده؛ أي: كيف تخيل لكم أنه باطل؟.

(١) أخرج السبائي في تفسيره (٩٨/٢، ٩٩ رقم ٣٧٢)، والطبراني في الكبير (١١/١٢٠٣٨)، وابن حبان في صحيحه (رقم ١٧٥٣-موارد)، والحاكم في مستدركه (٣٩٤/٢) وصححه إسناده ووافقه الذهبي - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم؛ فقد أكلنا الجاهل - يعني: الوبير بالدم - فأمر الله ﷻ: «وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْأَذْيَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِيُرِيَهُمْ وَمَا يَنْصَرِعُونَ». وحسنه الحافظ في الفتح (٥١/٦)، وصححه في الاستيعاب (٥٣٨/٢، ٥٣٩).

(٢) هذا قول ابن عباس، وقال عكرمة: هو باب من أبواب جهنم.

(٣) أي: وترك الإدخال؛ وقرأ عامر بالإحار في الأول والاستفهام في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة «تَذَكَّرُونَ».

(٥) سبق بيان أن العرش غير الكرسي، وأنه أعظم منه.

(٦) هذه قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: (لله) بلام الجر.

(٧) أي: الأخيرين، وأما جواب السؤال الأول فهو بلام الجر بانفاق السبعة، ولم يقرأ بدونها أحد.

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالشَّهَادَةُ فَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي بِمَا نَعُدُّونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيدَ مَا نَعُدُّهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ أَذْغَىٰ بِالْتِّي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

[٩٠] ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في نفيه، وهو: [٩١] ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ انفراد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ به مما ذكر. [٩٢] ﴿عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالشَّهَادَةُ﴾ ما غاب وما شوه؛ بالجر: صفة،

والرفع: خبر «هو» مقدرا^(١) ﴿فَعَلَىٰ﴾ تعظم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ له معه. [٩٣] ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي بِمَا نَعُدُّونَ﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ﴾ له من العذاب، هو صادق بالقتل بيد. [٩٤] ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فأهلك يا هلاكهم. [٩٥] ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيدَ مَا نَعُدُّهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾. [٩٦] ﴿أَذْغَىٰ بِالْتِّي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ أي: الخصلة من الصفح والإعراض عنهم ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ يكدبون ويقولون، فنجازيهم عليه. [٩٧] ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ نزعاتهم بما يوسوسون به. [٩٨] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ في أموري؛ لأنهم إنما يحضرون بسوء.

[٩٩] ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النار، ومقعده من الجنة لو آمن ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ الجمع للتعظيم. [١٠٠] ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله، يكون ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ضيعت من عمري، أي: في مقابلته، قال - تعالى -: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا رجوع ﴿إِنَّا﴾ أي: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ ولا فائدة له فيها ﴿وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ﴾ أمامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجر يصددهم عن الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ولا رجوع بعده.

[١٠١] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى أو الثانية ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يتفاحرون بها ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ عنها، خلاف حالهم في الدنيا - لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة، وفي بعضها يفيقون -، وفي آية: ﴿فَأَقِلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٢). [١٠٢] ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالחסنات ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٠٣] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسليكات ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فهم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾. [١٠٤] ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ شَمَرَتْ شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم.

(١) بالرفع قراءة حمزة والكسائي ومافع وشعبة.

(٢) الصافات: ٥٠.

[١٠٥] ويقال لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي﴾ من القرآن ﴿تُثَلَّى عَلَيْكُمْ﴾ تُخَوَّلُونَ بِهَا ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾؟

[١٠٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وفي قراءة: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾^(١) بفتح أوله وألف، وهما مصدران بمعنى ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الهداية.

[١٠٧] ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى المخالفة ﴿فَلَنَا عَذَابٌ﴾.

[١٠٨] ﴿قَالَ﴾ لهم بلسان مالك^(٢) - بعد قُذِرَ الدُّنْيَا مَوْثِقٌ^(٣) - : ﴿أَخْسَرُوا فِيهَا﴾ ابعُدوا في النار أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ في رفع العذاب عنكم؛ لينقطع رجاؤهم.

[١٠٩] ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ هم: المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَمَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ [سُخْرِيًّا] بضم السين وكسرها^(٤)؛ مصدر بمعنى: الهزاء؛ منهم: بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰ أَسْأَلُكُمْ ذِكْرِي﴾ فتركموه؛ لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سبب الإنساء؛ فُنُسِبَ إليهم ﴿وَكُنْتُمْ بِمَنِّهِمْ تَصْحَكُونَ﴾.

[١١١] ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَّوْا﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم بإيهم [إِنَّهُمْ]^(٥) بكسر الهمزة ﴿هُمْ﴾ الْفَاقِرُونَ ﴿مَطْلُوبِهِمْ﴾ استئناف، ويفتحها: مفعول ثانٍ لـ ﴿جَزَيْتُهُمْ﴾.

[١١٢] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم بلسان مالك، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾^(٦) ﴿كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عَدَدُ سِينِينَ﴾ تميز؟

[١١٣] ﴿قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه؛ لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فَسَتَلَى الْعَايِينَ﴾ أي: الملائكة المحصنين أعمال الخلق.

[١١٤] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - بلسان مالك^(٧)، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾^(٨) ﴿إِنْ﴾ أي: ما ﴿لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَتَاكُمْ كُنْتُمْ تَقْلَمُونَ﴾ مقدار لبثكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى لبثكم في النار.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول^(٩) لا، بل لِنَتَّعِدْكُمْ بالأمر والنهي وترجعوا إلينا وبخاري على ذلك ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١٠).

[١١٦] ﴿فَعَلَى اللَّهِ﴾ عن العبث وغيره مما لا يليق به ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ الكرسي^(١١)؛ هو: السرير الحسن.

(١) حمزة والكسائي.

(٢) قال ابن كثير: هذا جواب من الله - تعالى - للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار. ونقل عن ابن عباس: هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه. فَنَحْنُ الْقَوْلُ عَلَى أَنَّهُ بِلِسَانِ مَالِكٍ تَأْوِيلٌ خِلَافَ الظَّاهِرِ لَا دَبِيلَ عَلَيْهِ.

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٤٠٤٧) عن عبد الله بن عمرو، والحاكم وصححه، وأخرجه ابن أبي شيبة عنه في مصنفه أيضاً رقم (٣٤١٢٢)، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ممن اشتهر بالقل عن أهل الكتاب.

(٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٥) بالكسر قراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٦) لحمزة والكسائي وابن كثير.

(٧) وهذا التفسير خلاف ظاهر القرآن، ولا حاسم عليه إلا نفي القول عن الله تعالى.

(٨) لحمزة والكسائي.

(٩) بالبناء للفاعل لقراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول.

(١٠) الذاريات: ٥٦.

(١١) سبق بيان أن العرش غير الكرسي.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

[١١٧] ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة لا

مفهوم لها ﴿فَلَنَمَّا جَسَادُهُ﴾ جزاؤه ﴿عِنْدَ رَبِّهِ إِسْمٌ لَا يُفْهِمُ الْكَافِرُونَ﴾ لا يسعدون.

[١١٨] ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ المؤمنين، في الرحمة زيادة عن المغفرة ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ أَفْضَلُ رَاحِمٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ وَقُرْصَتُهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ لَهُمَا عَذَابٌ مَّا طَابَ بِهِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَالزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ فَرَأَيْنَاهُنَّ بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ فَاجْلِدُوهُنَّ مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدُهَا أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ شَهِدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾

سُورَةُ النُّورِ

[مدينة، وهي: اثنتان، أو: أربع وستون آية، نزلت بعد الحشر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] هذه ﴿سُورَةُ النُّورِ وَقُرْصَتُهَا﴾ مخففة ومشددة^(١)؛ بكثرة المفروض فيها ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الدلالات ﴿لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال؛ تعظون.

[٢] ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أي: غير المحصنين؛ لرجعهما بالشئ، «وَأَل» فيما ذكر موصولة، وهو مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره؛ وهو: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ضربة، يقال: ضربت جلدته، ويزاد على ذلك بالشئ تعريب عام^(٢)، والرفيق على الصف مما ذكر^(٣) ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: حكمه بأن تركوا شيئاً من حددهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يوم البعث، في هذا تحريض على ما قبل الشرط، وهو جوابه أو دال على جوابه ﴿وَلَيْسَ لَهُمَا عَذَابٌ مَّا طَابَ بِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: «ثلاثة»، وقيل: «أربعة»، عدد شهود الزنا.

[٣] ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي: المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الزواني ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأخيار، نزل ذلك لما هم فراق المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم^(٤)؛ فقيل: التحريم خاص بهم، وقيل: عام ونسخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ﴾^(٥).

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفيفات بالزنا ﴿فَرَأَيْنَاهُنَّ بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ﴾ على زناهن برويتهن ﴿فَاجْلِدُوهُنَّ﴾ أي: كل واحد منهن ﴿مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً فِي شَيْءٍ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ لإثباتهم كبيرة. [٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لهم قذفهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم بإلهاهم التوبة، فيها ينتهي فشققتهم وتقبل شهادتهم، وقيل: «لا تقبل»؛ رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة^(٦).

[٦] ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ﴾ بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شَهَادَةٌ﴾ عليه ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿فَشَهِدُوا أَحَدُهَا﴾ مبتدأ ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾ نصب على المصدر^(٧) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ فيما رمى به زوجته من الزنا. [٧] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ في ذلك، وخبر المبتدأ: تدفع عنه حد القذف^(٨).

[٨] ﴿وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ أي: يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ حد الزنا الذي ثبت بشهادته ﴿أَنْ شَهِدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ فيما رماها به من الزنا. [٩] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في ذلك^(٩). [١٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالسفر في ذلك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٣): أخرجه أبو داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن مؤلفه بن أبي مرثد الغنوي كان يحسن الأسارى بمكة، وكان يبعث بها فقال لها عناق، وكانت صديقتها، قال: فجئت إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، أتكنح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ وقال: «لا تكسها». أبو داود. كتاب النكاح (٢٦) باب (١٢) تزويج الزانية. (حسن صحيح صحيح سنن أبي داود (١٨٠٦).

(هـ) ما جاء في نزول الآيات (٦ - ٩): أخرجه البخاري عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهرك»، قال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً انطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة أو حد في ظهرك». فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فليزنا الله ما يرى ظهري من الحد. فنزل

(١) بتشديد الراء قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٢) روى البخاري (٢٦٦١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٧٠) عن زيد بن خالد عن رسول الله ﷺ أنه أمر فيمن زنى ولم يحصن بجلد مائة وتعريب عام. (٣) قوله تعالى: ﴿فَعَلَّيْنِ يَضْحَكُ عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْكَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥].

وأخرج مالك عن يحيى بن سعيد أن سليمان بن يسار أخبره أن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة المخزومي قال: أمرني عمر بن الخطاب في فية من قریش فجلدنا ولاد من ولاد الإمارة حسين بن علي في الزنا. (الموطأ: ١٣٠٣). وفي مسند أحمد عن علي قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى أمه له سوداء زنت لأجلها. قال: فوجدتها في دمها فأثبت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال لي: «إذا تعالت من نفسك فاجلدها خمسين». (المسند: ١٠٨٦)، وصححه مجموع طرفة الأرنؤاوط في تخريجه على المسند (٣٥٥/٢). وضعف الشيخ أحمد شاكر إسناده في تخريجه على المسند (١٤٢٧).

(٤) أخرج نحوه عن أبي حاتم عن مقاتل. [الدر المنثور (٣٨/٥)].

(هـ) النور: ٣٢. والصحيح أنها عامة، وأنها محكمة، وتفسيرها كما رجحه بعض المفسرين: أن غالب الرناة منهم لا يرغب إلا في الزواج بزانية مثله، وغالب الزواني لا ترغب الواحدة منهن إلا في الزواج بران مثلاً، والمقصود زجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا، وعن ابن عباس قال: انتكاح في هذه الآية يعني الوطء لا الزواج، وأن الآية في تحريم الزنى. واختاره الطبري.

(٦) وهو مذهب أبي حنيفة، والقول الأول - وهو أن الاستثناء إذا تعقت جملاً معطوفة عاد إلى جميعها - مذهب الجمهور؛ وهو الراجح.

(٧) أي: المفعول المطلق، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالرهم؛ خير المبتدأ. (٨) أي: محذوف تقديره ما ذكر.

تَوَلَّى بِقِيُولِهِ التَّوْبَةَ فِي ذَلِكَ وَغِيْرِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيمَا حَكَمَ بِهِ فِي ذَلِكَ وَغِيْرِهِ لَيِّسٌ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ وَعَاجِلٌ بِالْعُقُوبَةِ مَا يَسْتَحِقُّهَا.

[١١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أَسْوَأُ الْكُذْبِ عَلَى عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بِقُدْرَتِهَا ﴿عَصْبَةُ مُحَمَّدٍ﴾ جَمَاعَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ (١): «حَسَنَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ، وَمُسَطِّحٌ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ» (٢) ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ غَيْرَ الْعَصْبَةِ ﴿شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ بِأَجْرِكُمُ اللَّهُ بِهِ، وَيُظْهِرُ بَرَاءَةَ عَائِشَةَ وَمَنْ جَاءَ مَعَهَا مِنْهُ؛ وَهُوَ: صَفْوَانٌ، فَإِنَّمَا قَالَتْ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ بَعْدَمَا أَنْزَلَ الْحِجَابَ، فَفَرَّغَ مِنْهَا وَرَجَعَ، وَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأَذِنَ بِالرَّحِيلِ لَيْلَةً فَمَشَيْتُ وَقَضَيْتُ شَأْنِي وَأَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحِيلِ إِذَا عَقْدِي انْقَطَعَ - هُوَ بِكسرِ الْمِهْمَلَةِ: الْفَلَادَةُ - فَرَجَعْتُ أَنْتَمَسَهُ، وَحَمَلُوا هُوْدُجِي - هُوَ مَا يَرْكَبُ فِيهِ - عَلَى بَعِيرِي بِحِسْبُونِي فِيهِ، وَكَانَتِ النِّسَاءُ خُفَافًا يَمْنَى بِأَكْلَنِ الْغُلْفَةِ - هُوَ بَضْمُ الْمِهْمَلَةِ وَسُكُونُ اللَّامِ - مِنَ الطَّعَامِ - أَيِ: الْقَلِيلِ -، وَوَجَدْتُ عَقْدِي وَجَدْتُ بَعْدَمَا سَارُوا؛ فَجَلَسْتُ فِي الْمَنْزَلِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَغَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانٌ قَدْ عَزَسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَدْلَجَ - هُمَا بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَالْدَالِ؛ أَيِ: نَزَلَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لِلْإِسْتِرَاحَةِ - فَسَارَ مِنْهُ فَأَصْبَحَ فِي مَنْزِلِهِ فَرَأَى سُودًا إِنْسَانٍ نَائِمًا - أَيِ: شَخْصَةً -؛ فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ؛ فَاسْتَقِظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي - أَيِ قَوْلِهِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؛ فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي؛ أَيِ غَطَيْتُهُ بِالْمَلَاعَةِ، وَاللَّهُ مَا كَلَّمْتَنِي بِكَلِمَةٍ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، وَوَطِئَ عَلَى يَدَيَا فَرَكَبَتَهَا، فَانْطَلَقَ بِقُدُورِي الرَّاحِلَةِ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مَوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظُّهْرَةِ - أَيِ مِنْ أَوْغَرٍ؛ وَاقْعِينَ (٣) فِي مَكَانٍ وَغَرَّ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ - فَهَلَكَ مِنْ هَلَكٍ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كَثِيرَةً مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ ابْنُ سُلُوكٍ أَهْلُ قَوْلِهِ [رواه الشيخان] (٤). قَالَ - تَعَالَى -: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾ أَيِ: عَلَيْهِ ﴿مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ فِي ذَلِكَ ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ أَيِ: تَحْمِلُ مُغْطَمَتَهُ قَبْدًا بِالْخَوْضِ فِيهِ وَأَشَاعَهُ؛ وَهُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ ﴿لَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هُوَ النَّارُ فِي الْآخِرَةِ. [١٢] ﴿وَلَوْلَا هَلَاءُ﴾ إِذْ: حِينَ ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ﴾ أَيِ: ظَنَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ كَذِبٌ يَبِيْنٌ، فِيهِ تَفَاتٌ عَنِ الْخَطَابِ؛ أَيِ: ظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ، وَقَلْتُمْ: [١٣] ﴿وَلَوْلَا هَلَاءُ﴾ إِذْ: حِينَ ﴿جَاءُوا﴾ أَيِ: الْعَصْبَةُ عَلَيْهِ يَارَبْعَةَ شَهَادَةٍ شَاهَدُوهُ ﴿فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالْبَشْهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيِ: فِي حُكْمِهِ ﴿هُمْ الْكَذِبُونَ﴾ فِيهِ. [١٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ؛ أَيِ خُضْتُمْ ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فِي الْآخِرَةِ. [١٥] ﴿إِذْ تَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أَيِ: بِرُيُوسِ بَعْضِكُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَحَذَفَ مِنَ الْفِعْلِ إِحْدَى النَّاعِيْنَ، وَ﴿إِذْ﴾ مَنصُوبٌ بِ﴿مَسَّكُمْ﴾ أَوْ بِ﴿أَفَضْتُمْ﴾ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا لَا إِثْمَ فِيهِ﴾ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ فِي الْإِثْمِ. [١٦] ﴿وَلَوْلَا هَلَاءُ﴾ إِذْ:

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ وَلَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ يَارَبْعَةَ شَهَادَةٍ فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالْبَشْهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَكْذِبَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيَسِّرَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾

حِينَ ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ﴾ مَا يَنْبَغِي ﴿لَنَا أَنْ نَكْذِبَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾ هُوَ لِلتَّعَجُّبِ هُنَا ﴿هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ كَذِبٌ ﴿عَظِيمٌ﴾.

[١٧] ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾ بِهَاكُمْ ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تَعْتَظُونَ بِذَلِكَ.

[١٨] ﴿وَيَسِّرَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيهِ.

[١٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ بِاللِّسَانِ ﴿فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِنِسْبَتِهَا إِلَيْهِمْ؛ وَهُمْ: الْعَصْبَةُ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فِي الدُّنْيَا بِحَدِّ الْقَذْفِ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ لِحَقِّ اللَّهِ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انْتِفَاعَهَا عَنْهُمْ ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْإِفْكِ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَجُودَهَا فِيهِمْ.

[٢٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ ﴿وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بِكُمْ؛ لَعَاجَلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

= جبرين، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُزَيِّنُونَ بَيْنَهُمْ﴾ فَعَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فَاصْرَفَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ هَلَالُ فَشْهَدِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَذَبَ مِنْهُمَا نَكَابًا» ثُمَّ قَامَتْ فَشْهَدَتْ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَفَهَا وَقَالُوا: إِنَّمَا مَوْجِبَةٌ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَكَادَتْ وَنَكَسَتْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَضْهَقُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ فَمَضَتْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْصِرُوا هَا» فَإِنْ جَاءَتْ بِهَ أَكْمَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغَ الْإِثْمَيْنِ، فَحَذَّلَ السَّافِينَ فَهَرَّ لَشْرِيكَ بْنِ مَحْمَدٍ، فَجَعَلَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلِهَا شَأْنٌ». الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ التَّفْسِيرِ (٦٥) سُورَةُ النُّورِ (٢٤) بَابُ (٣).

(١) أَبِي: عَائِشَةُ.

(٢) أَخْرَجَ نَحْوَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٦١)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٠).

(٣) وَفِي نَسَخَةٍ: وَاقْعِينَ.

(٤) لَمْ يَرَوْهُ الشَّيْخَانُ بِهَذَا اللَّفْظِ، لَكِنِ الْقِصَّةُ مُوجُودَةٌ فِي الْبُخَارِيِّ (٢٦٦١)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٠).

من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾ يطهر ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من الذنب؛ بقبول توبته منه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بما قلتم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بما قصدم. [٢٢] ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ يحلف ﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾ أصحاب الغني ﴿مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ أن لا ﴿يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر؛ خيف أن لا ينفق على مسطح. وهو ابن خالته، مسكين مهاجر بدرى. لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه، وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ عنهم في ذلك ﴿أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين، قال أبو بكر: «بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي»، ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه^(١).

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُزَكُّونَ﴾ بالزنا ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفاف ﴿الْفَوَاحِشَ﴾ عن الفواحش؛ بأن لا يقع في قلبهن فعلها ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لِيُؤْتُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٢٤] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه الاستقرار، الذي تعلق به: (لهم) ﴿تَشْهَدُ﴾ بالفوقانية والتحانية^(٢) ﴿عَلَيْهِمُ الْيَتَامَى وَالْيَتَامَى وَالْيَتَامَى﴾ بما كانوا يمسكون من قول وفعل؛ وهو: يوم القيامة. [٢٥] ﴿يَوْمَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ ذِيَهُمُ الْحَقَّ﴾ يجازيهم جزاءه الواجب عليهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكرون فيه؛ ومنهم: عبدالله بن أبي، والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ لم يذكر في قذفهن توبة، ومن ذكر في قذفهن أول السورة التوبة غيرهن.

[٢٦] ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ من النساء، ومن الكلمات ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ من الناس ﴿وَالْخَبِيثِينَ﴾ من الناس ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ مما ذكر ﴿وَالْخَبِيثِينَ﴾ مما ذكر؛ أي: ﴿اللطيفين﴾ من الناس ﴿وَاللطيفين﴾ منهم ﴿اللطيفين﴾ مثل: الطيبون والطييات من النساء؛ واللاق بالخبيث مثله وبالطيب مثله ﴿أُولَئِكَ﴾ الطيبون والطييات من النساء؛ ومنهم: عائشة، وصفوان، مبررة ومما يقولون: أي: الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم ﴿لَهُمْ﴾ للطيبين والطييات ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة، وقد افتخرت عائشة بأشياء منها: أنها خلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقا كريما^(٣).

[٢٧] ﴿كَتَابَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ أي: تستأذنوا ﴿وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ فيقول الواحد: «السلام عليكم، أَدْخُلْ؟» كما ورد^(٤) في حديث^(٥) ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الدخول بغير استئذان

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنِ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهجرين في سبيل الله وليعفووا وليصنفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفورٌ رحيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يوم تشهد عليهم السيئات وتيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴿يَوْمَ يُؤْذِيهِمُ اللَّهُ ذِيَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴿أُولَئِكَ مَبَرَّاتٌ وَمِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ كتابها الذين آمنوا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طريقه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: القبيح ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعا باتباعها ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ﴾ أي: العصبية بما قلتم من الإفك ﴿مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: ما صلح وطهر

وأخرج أيضا عن سهل بن سعد أن عويمرا أتى عاصم بن عدي - وكان سيد بني عجلان - فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا؟ أيقته فتقتلونه؟ أم كيف يصنع؟ سألني رسول الله ﷺ عن ذلك. فأني عاصم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، فكره رسول الله ﷺ المسائل، فسأله عويمر فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك. فجاء عويمر فقال يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلا أيقته فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك». فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعة بما سمي الله في كتابه، ففلاعتا. البخاري - التفسير (الساكن) باب (١).

قال الحافظ ابن حجر: «وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع: فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت في شأنهما معا في وقت واحد، وقد جرح النووي إلى هذا... ولا مانع أن تعدد القصص ويحد النزول... ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر - ولم يكن علم بما وقع لهلال - أعلمه النبي ﷺ بالحكم... وجرح القرطبي إلى تجوير نزول الآية مرتين. [الفتح (٨/ ٣٠٤، ٣٠٥)].»

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٢٢): أخرج البخاري عن عائشة قالت: ... فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرباه منه وقهره: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال؛ فأقول الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال أبو بكر: بلى. والله - إنني أحب أن يغفر الله لي؛ فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا. البحري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النور (٢٥) باب (٦).

(و) ما جاء في نزول الآيات (٢٣ - ٢٦): أخرج أحمد عن عائشة قالت: رمت بما رمت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك رضح من ذلك، فبينما رسول الله ﷺ عندي؛ إذ أوحى إليه، وكان إذا أوحى إليه يأخذه شبه السبات، فبينما هو جالس عندي إذ أنزل عليه الوحي، فرفع رأسه وهو مسح عينيه، فقال: أبشري يا عائشة. قلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرا: ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَلْبَسْتُمُكَ﴾ حتى بلغ ﴿مَبَرَّاتٌ وَمِمَّا يَقُولُونَ﴾. أحمد - المسند (١٠٣/٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨).

(١) بالتحانية لحزمة والكسائي. (٢) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان، وهو قول الأكر. ومنهم من فسل؛ فإن وقع صرعه على أحد في البيت فسلم السلام ولا تقدم الاستئذان ثم يسلم. (٣) أخرج أبو داود عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أأج؟ فقال النبي ﷺ لحادمه: «خرج إلى هذا فعلمه الاستئذان قل له: قل: السلام عليكم أَدْخُلْ»، فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أَدْخُلْ؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل. أبو داود (٤٥٠٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨١٩).

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١) يادغام التاء الثانية في الذال^(٢)؛ خيرته؛ ففعلون به.

[٢٨] ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ بأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ بعد الاستئذان ﴿أَتَرْجِعُوا فَارْجِعُوا هُنَا﴾ أي: الرجوع ﴿أَزْكَى﴾ أي: خير ﴿لَكُمْ﴾ من القعود على الباب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنَ الدُّخُولِ يَازِنٌ غَيْرُ إِذْنٍ﴾ عليه ﴿فِيحَازِكُمْ﴾ عليه.

[٢٩] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ﴾ أي: منفعة ﴿لَكُمْ﴾ باستئذان وغيره؛ كبيت الوطء، والحنان المستبلة^(٣) ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون في دخول غير بيوتكم؛ من قصد صلاح أو غيره، وسبأني أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم.

[٣٠] ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُوْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ عما لا يحل لهم نظره و﴿يُنَازِلْنَ﴾ زائدة ﴿وَيَحْظُرْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحل لهم فعله بها ﴿وَذَلِكَ أَزْكَى﴾ أي: خير ﴿لَهُنَّ﴾ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ بِالْأَبْصَارِ وَالْفُرُوجِ؛ فيحازيهم عليه.

[٣١] ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ عما لا يحل لهن نظره ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحل لهن فعله بها ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾ يظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوجه والكفان^(٤)، فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين، والثاني: يخزمن؛ لأنه مظنة الفتنة، ورجح حسناً للباب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع^(٥) ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية؛ وهي: ما عدا الوجه والكفين^(٦) ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ جمع بعل، أي: زوج ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ إِخْوَانِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ بِنَاتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ فيجوز لهم نظره، إلا ما بين السرة والركبة؛ فيحرم نظره لغير الأزواج، وخرج به ﴿بِإِسَائِهِنَّ﴾ الكافرات؛ فلا يجوز لمسلمات الكشف لهن^(٧)، وشمل ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ العبد^(٨) ﴿أَوْ النَّبِيِّاتِ﴾ في فضول الطعام وغيره بالجر: صفة، والنصب: استثناء^(٩) ﴿أُولَى الْأَرْزَاقِ﴾ أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿وَمِنَ الرِّجَالِ﴾ بأن لم ينتشر ذكر كل ﴿أَوْ الْوَالِدِ الْأَبِ وَالْأُمِّ﴾ بمعنى: الأطفال ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَنْظُرُوا إِلَيْهَا﴾ يظلموا ﴿عَنْ عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾ للجماع؛ فيجوز أن يبدن لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ
وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ يَمَا
تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُوْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿وَقُلْ
لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ إِخْوَانِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ بِنَاتِهِنَّ
أَوْ بَنَاتِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أُولَى الْأَرْزَاقِ
وَمِنَ الرِّجَالِ وَالَّذِينَ لَمْ يَنْظُرُوا إِلَيْهَا لِيُعْلَمَ مَا يَفْعَلُونَ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ من خلخال يتقفع ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ تنجون من ذلك لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث.

(٥) ما جاء في نزل الآية (٣١): أخرج البخاري عن عائشة قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطين فاعتصمن بهن. البخاري - التفسير (٦٥) سورة النور (٢٤) باب (١٢).

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وفرأ بقية السبعة: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.
(٢) الوطء: أماكن ربط الدواب. والحنان المستبلة: أي الموقوفة لإيواء ابن السبيل للقطع. ومظها الآل: الفنادق والمراق العامة.
(٣) قال ابن كثير في تفسير الآية: أي ولا يظهرون شيئاً من أسرتهم للأجانب، إلا ما لا يمكن إخفاؤه. قال ابن مسعود: كالدواء والنياب... بعد. وقال فيما جاء عن ابن عباس في الآية: وجهها وكفيها والخاتم: قال: وهذا يحمل أن يكون تفسيراً للزينة التي نهى عن إبدائها.
(٤) راجع التعليق السابق.
(٥) وهذا أحد القولين أن المراد بـ ﴿بِإِسَائِهِنَّ﴾: المؤمنات، أخذاً من الإضافة، وهو مذهب كثيرين، والقول الثاني: أن المراد النساء كلهن، فإنهن سراء في جل نظر بعضهن إلى بعض، وهو مذهب الخبالة، وهو الأقرب. والله أعلم.
(٦) لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين، وهذا مذهب الشافعي. وعند مالك التفريق بين الوغد وغيره.
(٧) بالنصب قراءة شعبة وابن عامر.

أَذِنَهَا فَأَنْتَ حَقٌّ يَقُولُ: «قِيلَتْ» ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾ أمر للسادة ﴿مَنْ مَالِ اللَّهِ﴾ الَّذِينَ مَأْنَتَكُمْ ﴿مَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ فِي آدَاءِ مَا التَزَمُوهُ لَكُمْ﴾ وفي معنى الإتياء حط شيء مما التزموه ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِيَّتَكُمْ﴾ إماءكم ﴿عَلَى أَيْدِيكُمْ﴾ انزنا ﴿إِنْ أَرَدْنَا نَحْنُ﴾ تعفنا عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه؛ فلا مفهوم للشرط (١) ﴿لِيُنْزِلُوا﴾ بالإكراه ﴿عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ مَنْ أَنَّى كَانَ يُكْرَهُ جَوَارِيهِ عَلَى الْكَسْبِ بِالْإِزْنِ ﴿وَمَنْ يُكْرَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفُورٌ﴾ لَهُنَّ ﴿رَجِيمٌ﴾ بِهِنَّ (٢).

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مَائِتَ مِثْقَلَتٍ﴾ بفتح الباء وكسرهما (٣) في هذه السورة، يثن فيها ما ذكر، أو بينة (٤) ﴿وَمِثْقَلٌ﴾ خبراً عجيباً؛ وهو: خبر عائشة ﴿مِنَ الَّذِينَ خَلَقُوا مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: من جنس أمثالهم؛ أي: أخيارهم العجيبة؛ كخبر يوسف ومريم ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (٥).

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٦) إلخ ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾ (٧) إلخ ﴿يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ أَنْ تُعُودُوا﴾ (٨) إلخ، وتخصيصها بالمتقين؛ لأنهم المتنفعون بها.

[٣٥] ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: منورها بالشمس والقمر ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ أي: صفته في قلب المؤمن ﴿كَيْشْكُورٍ فِيهَا يَصْبُحُ الْيُصْبُحُ فِي شَجَائِهِ﴾ هي القنديل، والمصباح: السراج؛ أي: الفتيلة الموقودة، والمشكاة: الطاقة غير النافذة؛ أي: الأنبوبة في القنديل ﴿الزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنور فيها ﴿كَوَكَبٍ﴾ [دُرِّيَّة] ﴿أَي: مضيء، بكسر الدال وضمها﴾ (٩) من الدرء؛ بمعنى: الدفع؛ لدفعها الظلام، وضمها وتشديد الباء (١٠) منسوب إلى الدرء: اللؤلؤ ﴿تَوْقَدُ﴾ المصباح، بالماضي (١١) وفي قراءة (١٢) بمضارع أوقد منياً للمفعول بالتحانية، وفي أخرى (١٣) ﴿تَوْقَدُ﴾ بالفوقانية؛ أي: الزجاجية ﴿مِنْ زَيْتٍ﴾ زيت ﴿شَجَرٍ مُبْرَكٍ زَيْتُونُهُ لَا شَرْفِيَّةَ وَلَا عَرَبِيَّةَ وَلَا نَرْ مَسْسَهُ نَارٌ تَوْرَ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٤) فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾

[٣٦] ﴿فِي يَوْمٍ﴾ متعلق بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾ الآتي ﴿أَوْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ﴾ تعظم ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ بتوحده ﴿يُسَبِّحُ﴾ بفتح الموحدة وكسرهما (١٦) أي: يصلي ﴿لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ﴾ مصدر؛ بمعنى: الغدوات؛ أي: الكُفر ﴿وَالْآصَالِ﴾ العشايا من بعد الزوال.

وَأَنذَرْتَهُمْ وَأَنذَرْتَهُمْ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْذِرُهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَلَيْسَ عَفِيفٌ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ ذِكْرًا حَاشَىٰ يُعْذِرُهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَانُواهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا أَوْ هُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَّبَتْكُمْ عَلَى الْيَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَا نَحْنُ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مَبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَقُوا مِنْ قَبْلِكَ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٨﴾ إِنَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْكَوْرٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْيُصْبَاحُ فِي رُجَاجَةٍ الزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرٍ مُبْرَكٍ زَيْتُونُهُ لَا شَرْفِيَّةَ وَلَا عَرَبِيَّةَ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيُّءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تَوْرَ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٤٠﴾

[٣٢] ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ أَلِئَمْنَ بَيْنَكُمْ﴾ جمع «ألم»؛ وهي: من ليس لها زوج يكرها كانت أو ثيباً، ومن ليس له زوج، وهذا في الأحرار والحرائر ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ وعباد من جموع «عبد» ﴿إِنْ يَكُونُوا﴾ أي: الأحرار ﴿فُقَرَاءَ يُعْذِرُهُمُ اللَّهُ﴾ بالتزوج ﴿مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ خلقه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بهم.

[٣٣] ﴿وَلَيْسَ عَفِيفٌ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ ذِكْرًا﴾ ما يذكحون به، من مهر ونفقة، عن الزنا ﴿حَاشَىٰ يُعْذِرُهُمُ اللَّهُ﴾ يوسع عليهم ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ فينكحون ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: المكتابة ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿فَكَانُواهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة، وصيغتها - مثلاً -: كاتبتك على أنفين في شهرين، كل شهر ألف، فإذا

(٥) م حاء في نزول الآية (٣٣): أخرج مسلم عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبي سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرهما على الزنا، فشكنا ذلك إلى النبي ﷺ فأمر الله: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِيَّتَكُمْ عَلَى أَيْدِيكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿عَفُورٌ رَجِيمٌ﴾. مسلم. كتاب التفسير (٥٤) باب (٣).

(١) أي: ليس إرادتهن التحضن شرطاً للتهيء؛ فإكراههن حرام على كل حال. (٢) بالفتح قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وشعبة، وبالكسر قراءة ابن عامر وحفص وحزرة والنكسائي. (٣) أي: هي بينة، يعني الآيات، وذلك توضيح من المفسر لمعنى القراءة الثانية. (٤) النور: ٢. (٥) النور: ١٢. (٦) النور: ١٦. (٧) النور: ١٧. (٨) أي: مع الهرمة، والكسر قراءة النكسائي وأبي عمرو، والضم قراءة حمزة وشعبة. (٩) لباقي السعة. (١٠) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (١١) نافع وابن عامر وحفص. (١٢) لحمزة والنكسائي وشعبة. (١٣) أي: بالزيت. (١٤) بالفتح قراءة شعبة وابن عامر.

[٣٧] ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ بكسر الباء، وعلى فتحها نائب الفاعل: له، و﴿رِجَالٌ﴾ فاعل فاعلي مقدر جواب سؤال مقدر؛ كأنه قيل: من يسبحه؟ ﴿لَا تُلْهِمُهُمْ بُحْرَةً﴾ شراء ﴿وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ﴾ حذف هاء «إقامة» تخفيف ﴿وَالَّذِينَ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾ تضطرب ﴿فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ من الخوف؛ القلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي اليقين والشك؛ هو يوم القيامة.

[٣٨] ﴿لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: ثوابه و﴿أَحْسَنَ﴾ بمعنى: حسن و﴿يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَاللَّهُ يَزِدُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يقال: فلان ينفق بغير حساب؛ أي: يوسع؛ كأنه لا يحسب ما ينفقه.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَصْلَهُمْ كَبِيرٌ يَقْبَعُهُ﴾ جمع قاع؛ أي: في فلاة، وهو شعاع يرمى فيها نصف النهار، في شدة الحر، يُشْبِهُ الماء الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾ يظنه ﴿الظَّمْآنُ﴾ أي: العطشان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، مما حسبه؛ كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفقه، حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله؛ أي: لم ينفعه ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ أي: عند عمله ﴿نُوقَهُ حِسَابَهُ﴾ أي: جازاه عليه في الدنيا و﴿اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازة.

[٤٠] ﴿أُولَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمُ السَّيِّئَةُ﴾ كَطْلُمَتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي عَمِيق ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ﴾ أي: الموج ﴿مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ﴾ أي: الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ أي: غيم، هذه ﴿ظَلُمَتِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول، وظلمة الثاني، وظلمة السحاب ﴿إِذَا أَخْرَجَ﴾ الناظر ﴿يَدَهُمْ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَمْ يَكُنْ يَرَاهُمْ﴾ أي: لم يقر من رؤيتها ﴿وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُمْ نُورًا فَمَا لَهُمْ مِنْ نُورٍ﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد.

[٤١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومن التسييح صلاة و﴿الطَّيْرِ﴾ جمع طائر، بين السماء والأرض و﴿صَلَّتْ﴾ حال؛ باسقاط أجنحتهم ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ اللَّهُ ﴿صَلَاتَهُمْ وَسُبْحَانَ اللَّهِ عِلْمُهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيه تغليب العاقل.

[٤٢] ﴿وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَاللَّهُ أَلَمُ الْمُصِيرِ﴾ المرجع.

[٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِطُ سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُزَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾ يضم

رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ بُحْرَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِيَّاتِهِ الزُّكُوةَ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَزِدُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَصْلَهُمْ كَبِيرٌ يَقْبَعُهُ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ نُوقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَطْلُمَتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ سَحَابٌ ظَلُمَتِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُمْ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَلَّتْ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسَبَّحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِطُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ مَاءٍ فَيُصْبِغُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ نِكَادُ سَنَا بَرَقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾

بعضه إلى بعض؛ فيجعل القُطْعَ المتفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ مخارجه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رَائِدَةٍ﴾ رائدة ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السماء، بدل إعادة الجار ﴿مِنْ بَرَقٍ﴾ أي: بعضه ﴿فَيُصْبِغُ بِهِ﴾ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ نِكَادُ ﴿يَقْرَبُ بَرَقَهُ﴾ لمعانه ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ الناظرة له؛ أي: يخطفها.

البصائر على قدرة الله - تعالى.

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ أُنثَى: مِنْ مَّاءٍ نَظْفَى﴾ (١) ﴿فِيهِمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات والهوام ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطيور ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم والأنعام ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

[٤٦] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَتُبَيِّنْ لَهُ الْآيَاتِ﴾ أي: بينات، هي القرآن ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

[٤٧] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المنافقون: ﴿وَأَمَّا﴾ صدقنا ﴿بِاللَّهِ﴾ بتوحيده ﴿وَبِالرَّسُولِ﴾ محمد ﴿وَأَطَعْنَا﴾ هما فيما حكما به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى يَكُونُ مِنْهُمْ قَرْيْنٌ مِمَّنْ يَبْدُو ذَلِكَ﴾ عنه ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ﴾ المعرضون ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ المعهودين الموافقين قلوبهم لأستسهم.

[٤٨] ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن المحيي إليه [٤٩] ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ لُغُوبٌ أَوْ قَرْبٌ﴾ أي: قلوبهم مريض لم يرتابوا أم يخافون

[٥٠] ﴿أَوْ قُلُوبُهُمْ مُرْضٌ﴾ كفر ﴿أَوْ أَرْبَابٌ أَوْ أُمَمٌ﴾ أي: شكوا في نبوته ﴿أَمْ يَحْقِرُونَ أَنْ يَحْكُمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ في الحكم؛ أي: فيظلموا فيه؟ لا ﴿بَلْ أَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بالإعراض عنه.

[٥١] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فالقول اللاتق بهم ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بالإجابة ﴿وَأَوْلَيْكَ﴾ حينئذ ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الناجون.

[٥٢] ﴿وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ﴾ يخافه ﴿[وَبِتَّقِيهِ]﴾ بسكون الهاء وكسرهما (٢)؛ بأن يطيعه ﴿فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالجنة.

[٥٣] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غايتها ﴿لَنْ أَمْرُنَهُمْ﴾ بالجهاد ﴿لِيُخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ﴾ لهم: ﴿لَا نَقْسِمُكُمْ طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ﴾ للنبي خير من قسمةكم الذي لا تصدقون فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل.

يُقَرِّبُ اللَّهُ الْبَلَّ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣﴾ وَيَقُولُونَ ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٥﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحُكْمُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعَبِينَ ﴿٦﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْكُمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٧﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخَشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٩﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أَمْرُنَهُمْ لِيُخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾

[٤٤] ﴿يُقَرِّبُ اللَّهُ الْبَلَّ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التقليل ﴿لَعِبْرَةً﴾ دلالة ﴿لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لأصحاب

(١) هذا قول الجمهور، كما قال الشوكاني في فتح القدير. وعلى هذا القول في الآية تنزيل الغالب منزلة الكل؛ لأن في الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة.

وقال جماعة: إن المراد الماء المعروف؛ لأن آدم خلق من الماء والطين.

(٢) بالسكون قراءة شعبة وأبي عمرو وهشام في أحد وجهيه، وخلاص من أحد الوجهين، وبالكسر مع اختلاس الحركة قراءة قالون وهشام في أحد أوجهيه، وإن ذكوان في أحد وجهيه، والبايون بالكسر مع الإشباع، وكذا هشام في وجهه الثالث، وخلاص في الوجه الثاني.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[٦٠] ﴿وَالْقَوْلُ مِنْ النِّسَاءِ﴾ قعدن عن الحيض والولد لكرهن ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ من الحلل والبرداء والقناع فوق الحمار ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾ مظهرات ﴿بِزِينَةٍ﴾ خفية؛ كقلادة وسوار وخلخال ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بأن لا يضعنها ﴿خَيْرَ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لقولكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بما في قلوبكم.

[٦١] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مؤاكلة مقابلهم ﴿وَلَا﴾ حرج ﴿وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ بيوت أولادكم ^(١) ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَلَائِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَلَائِكَةُ رَبِّهِمْ﴾ خزنتموه لغيركم ^(٢) ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وهو من صدقكم في مودته؛ المعنى: يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا إذا علم رضاهم به ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ ^(٣) متفرقين، جمع «شتت»، نزل فيمن تخرج أن يأكل وحده، وإذا لم يجد من يؤاكلة بترك الأكل ^(٤) ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ لكم لا أهل بها ^(٥) ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»؛ فإن الملائكة ترد عليكم، وإن كان بها أهل فسلموا عليهم ﴿تَحِيَّةٌ﴾ مصدر «حيّا» ﴿وَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ثياب عليها ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهموا ذلك.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِفُّوا كَمَا اسْتَعَفَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوْلُ عِدَمُ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَلَائِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ أَوْ مَلَائِكَةُ رَبِّكُمْ مَقْصِدُهَا أَنْ تَصَدِّقُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[٥٩] ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ﴾ أيها الأحرار ﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِفُّوا﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا اسْتَعَفَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: الأحرار الكبار

(٥٩) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْإِطْلَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ يَحْكُمُ عَنْ رَأْيِ يَمِينِكُمْ﴾ فكان الرجل يخرج أن يأكل عند أحد من الناس بعدما نزلت هذه الآية؛ فنسخ ذلك الآية التي في التور؛ قال: ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا﴾ إلى قوله: ﴿أَشْتَاتًا﴾. أبو داود - كتاب الأطعمة (٢١) باب (٦) نسخ الضيف يأكل من مال غيره، وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٣١٩٢).

- (١) وهو قول غير واحد من المفسرين، قالوا: نسب - سبحانه - بيوت الأولاد إلى الآباء؛ لأن الولد كسب والده، وماله كماله، والدليل أنه تعالى - عدد الأقارب ولم يذكر الأولاد، وإذا كان سبب الرخصة هو القرابة، كان الذي هو أقرب منهم أولى. وقال بعضهم: أي بيوت أزواجكم وعيالككم، أضافه إليهم؛ لأن بيت المرأة كبيت الزوج. وقال بعضهم: هي على ظاهرها، كأنه يقول: مساكنتكم التي فيها أهاليكم وأولادكم؛ فقد يكون للأهل والولد شيء من ملكهم، فليس عليه حرج أن يأكل معهم من ذلك القوت. وهو قول حسن ظاهر.
- (٢) أي: حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه؛ فلا بأس أن تأكلوا من ثمرته، ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخرها. قاله ابن عباس. وقالت عائشة: كان المسلمون يرغبون في النفر مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى أمثاتهم، ويقولون لهم: قد أحللتناكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه، فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا أن نأكل؛ إنهم أدنوا لنا من غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمراء؛ فنزل الله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَلَائِكَةُ رَبِّهِمْ﴾. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٤٦/٨) رقم (١٤٨٧٥)، والبراز في مسنده (٦١/٣)، رقم (٢٢٤١)، وقال الهيثمي في المجمع (٨٤/٧): «رواه البراز ورجاله رجال الصحيح». ووضحه في الاستيعاب (٥٩٢/٢)، (٥٩٣).
- (٣) روي نحو هذا عن عكرمة وابن جريج. ذكره الطبري والسيوطي في المنر المنظر. وضعفه في الاستيعاب (٥٩٧/٢).
- (٤) أظهر أن البيوت هنا عامة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط، فشمول بيت الإنسان وبيت غيره، وقال بعض العلماء: وسواء كان في بيت ساكن أم لا. وزاد بعضهم: المسجد، فجعل له الحكم نفسه، واعتمدوا في ذلك على ما ورد عن ابن عمر وابن عباس في السلام باللفظ الذي ذكره المفسر إذا كان البيت أو المسجد فارغاً... وعلى الأظهر فيكون معنى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: فليسلم بعضهم على بعض؛ لأن المسلمين كأنهم شخص واحد.

[٦٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ كخطبة الجمعة ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ لغزوض غُذِرَ لَهُمْ ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم ﴿فَإِذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ بالاستعفاء ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).
 [٦٣] ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ بأن تقولوا: «يا محمد»، بل قولوا: «يا نبي الله، يا رسول الله» في لين وتواضع وخفض صوت ﴿فَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْأَفَّاكُمْ﴾ أي: يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء، و﴿فَقَدْ﴾ للتفريق (١) ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي: الله ورسوله ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.
 [٦٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَقَدْ يَعْلَمُ مَا أُنْتُمْ﴾ أيها المكلفون ﴿عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق.
 ﴿وَيَعْلَمُ﴾ يوم يرجعون ﴿إِلَيْهِ﴾ فيه الثفات عن الخطاب؛ أي: متى يكون ﴿فَيُنْصِتُهُمْ﴾ فيه ﴿يَمَّا عُمِلُوا﴾ من الخير والشر ﴿وَاللَّهُ يَكْتُلُ شَيْءًا﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عَلَيْهِمْ﴾.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْأَفَّاكُمْ أَلَيْسَ الْأَمْرُ بِاللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أُنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْصِتُهُمْ لِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
 الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ رِجْدٌ وَلَدًّا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

[مكية إلا ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿رَحِيمًا﴾ فمدني، وهي: سبع وسبعون آية، نزلت بعد يس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَارَكَ تَعَالَى﴾ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴿الْقُرْآنَ﴾؛ لأنه وَفَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ مُحَمَّدٍ ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ﴾ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ دُونَ الْمَلَائِكَةِ ﴿نَذِيرًا﴾ مخوفًا من عذاب الله.

[٢] ﴿الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ رِجْدٌ وَلَدًّا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَوْنًا﴾ من شأنه أن يخلق ﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ سَوَاءً تَشْوِيَةً.

(١) هالدة: أخر أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية، نسخها التي في النور: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٧١) في الإذن في القبول بعد النهي. وحسنه الألباني. في صحيح سنن أبي داود (٢٧٧١).

(١) راجع التعليق على آية (١٠٣) من سورة النحل؛ في دخول «قد» على الفعل المضارع.
 (٢) قال ابن كثير: ﴿فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم؛ من كفر أو نفاق أو بدعة.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا
إِفْكٌ أَفْتَرْتَهُ وَاعْتَدْتَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا
وَزُورًا ﴿٢﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣﴾ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾
وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي
الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ وَذَيَّلًا ﴿٦﴾
أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٧﴾ أَنْظِرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٨﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿٩﴾ بَلْ
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

[٣] ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره
﴿آلِهَةً﴾ هي الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ﴾

لأنفسهم ضراً؛ أي: دفعه ﴿وَلَا نفعاً﴾ أي: جره ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا
حَيَاةً﴾ أي: إمامة لأحد وإحياء لأحد ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ أي: بعثاً للأموات.

[٤] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا﴾ أي: ما القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب
﴿أَفْتَرْتَهُ﴾ محمد ﴿وَاعْتَدْتَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ وهم من أهل الكتاب، قال
- تعالى -: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا؛ أي: بهما.

[٥] ﴿وَقَالُوا﴾ أيضاً: هو ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم؛ جمع أسطورة،
بالضم ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ انتسخها من ذلك ^(١) القوم بغيره ^(٢) ﴿فَهِيَ تُمْلَى﴾
تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ غداة وعشيًا.

[٦] قال - تعالى - ردّاً عليهم: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ الْغَيْبِ﴾ في
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

[٧] ﴿وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾
لَوْلَا؟ هَلَا؟ ﴿أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ وَذَيَّلًا﴾ يصدق.

[٨] ﴿أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ من السماء ينفقه، ولا يحتاج إلى المشي في
الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾
أي: من ثمارها فيكتفي بها، وفي قراءة: ﴿يَأْكُلُ﴾ بالنون ^(٣)؛ أي: نحن،
فيكون له مزية علينا بها ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ أي: الكافرون للمؤمنين
﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقله.

[٩] قال - تعالى -: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور، والمحتاج
إلى ما ينفقه، وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقاً إليه.

[١٠] ﴿تَبَارَكَ﴾ تكاثر خير ﴿الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾
الذي قالوه من الكثر والبستان ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: في
الدنيا؛ لأنه شاء أن يعطيها إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا﴾
أيضاً، وفي قراءة: بالرفع ^(٤) استئنافاً.

[١١] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ﴾
سَعِيرًا ناراً مسعرة؛ أي: مشتدة.

(١) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا، والمناسب أن يقول: «من أولئك القوم».

(٢) أي أمر غيره بنسخها له؛ فإنه يَنْسَخُ أمي لا يقرأ ولا يكتب.

(٣) لحمة والكسائي.

(٤) لشعبة وابن عامر وابن كثير.

إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا أَلْهَاتِهِمْ نَدْوًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾
وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾
قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
لَهُمْ جَرَءٌ وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَسْأَلُكُمْ عِبَادِي
هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صَالُوا السَّبِيلِ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ
يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾
فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظْلِمِ فَنُكْرُ نُدْفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

[٢٠] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ
وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فأنت مثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مثل ما قيل لك
﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ تِلْكَ؛ أَجْلِي الغني بالفقر، والصحيح
بالمرضى والشريف بالضعيف، يقول الثاني في كل: ما لي لا أكون كالأول في
كل؟ ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما تسمعون من ابتليتكم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر؛
أي: اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبر ومن يجزع.

[١٢] ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا أَلْهَاتِهِمْ نَدْوًا﴾ كالغضبان إذا
غَلَى صَدْرُهُ مِنَ الغضب ﴿وَزَفِيرًا﴾ صوتًا شديدًا، أو سماع التعيظ رؤيته
وعلمه^(١).

[١٣] ﴿وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بالتشديد والتخفيف^(٢)؛ بأن يضيق
عليهم، و﴿مِنْهَا﴾ حال من ﴿مَكَانًا﴾ لأنه في الأصل صفة له ﴿مُقْرَّبِينَ﴾
مصطفين قد قرنت - أي: مجيئًا - أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديد
للتكثير ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ هلاكًا.

[١٤] فيقال لهم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾
كعذابكم.

[١٥] ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ
الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ﴾ هَا ﴿الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه - تعالى -
﴿جَرَءٌ﴾ ثوابًا ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعًا.

[١٦] ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ وُعدُهُمْ مَا
ذكر ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ يسأله من وُعد به: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا
عَلَى رَسُولِكَ﴾^(٣) أو تسأله لهم الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَذْهَبْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي
وَعَدْتَهُمْ﴾^(٤).

[١٧] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون والتحتانية^(٥) ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ﴾ أي: غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن ﴿فَيَقُولُ﴾ - تعالى -
بالتحتانية والنون^(٦) - للمعبودين إثباتًا للحجة على العابدين: ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾
بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة
والأخرى وتركة^(٧) ﴿أَسْأَلُكُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ أوقعتهم في الضلال
بأمرهم بإياهم بعبادتهم ﴿أَمْ هُمْ صَالُوا السَّبِيلِ﴾ طريق الحق بأنفسهم؟.

[١٨] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك ﴿وَمَا كَانَ يَنْبَغِي﴾
يستقيم ﴿لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ﴾ أي: غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول أول،
و﴿مِنْ﴾ زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني^(٨) فكيف تأمر بعبادتنا؟ ﴿وَلَكِنْ
مَتَّعْتَهُمْ وَوَسَّاءَهُمْ﴾ من قبلهم؛ بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّى نَسُوا
الذِّكْرَ﴾ تَرَكُوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى.

[١٩] قال - تعالى -: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ﴾ أي: كذب المعبودون العابدين
﴿وَمَا تَقُولُونَ﴾ بالفوقانية^(٩)، أنهم آلهة ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتحتانية
والفوقانية^(١٠)؛ أي: لا هم ولا أنتم ﴿صَرْفًا﴾ دفعًا للعذاب عنكم ﴿وَلَا
نَصْرًا﴾ منعا لكم منه ﴿وَمَنْ يظْلِمِ﴾ يشرك ﴿وَنُكْرُ نُدْفُهُ عَذَابًا
كَبِيرًا﴾ شديدًا في الآخرة.

(١) أشار بذلك إلى جواب آخر وهو أن السماع ليس على حقيقته؛ بل المراد منه: الرؤية والعلم. وعلى القول الأول يكون المراد سماع ما يدل على التعيظ وهو الغليان.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٣) آل عمران: ١٩٤.

(٤) غافر: ٨.

(٥) بالنون قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير. وقوله: والتحتانية؛ يعني: الباء، وهي القراءة الأخرى.

(٦) بالنون قراءة ابن عامر.

(٧) قرأ قاتلون وأبو عمرو بالتسهيل والإدخال، وورش وابن كثير بالتسهيل من غير إدخال، ولورش الإبدال حرف مد مع الإشباع، وهشام بالتسهيل والتحقيق وكل منهما مع الإدخال وبقيّة السبعة بالتحقيق بلا إدخال.

(٨) أي: قوله: ﴿مِنْ دُونِكَ﴾ المفعول الثاني.

(٩) أي: بتأنيق العشرة.

(١٠) بالنون قراءة السبعة عدا حفص.

لخير؛ كصدقة وصلة رحم، وقرى ضيف، وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ هو ما يرى في الكوى التي عليها الشمس؛ كالغبار المفرق؛ أي: مثله في عدم النفع به؛ إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه، ويجازون عليه في الدنيا.

[٢٤] ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا^(١) ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ منهم؛ أي: موضع قائلة فيها؛ وهي: الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار؛ كما ورد في حديث^(٢).

[٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى الْأَسْوَءُ﴾ أي: كل سماء ﴿وَالْغَيْمُ﴾ أي: معه؛ وهو: غيم أبيض ﴿وَرَيْنَ الْمَلَكِ﴾ من كل سماء ﴿تَزِيلًا﴾ هو يوم القيامة، ونصبه به [اذكر] مقدراً، وفي قراءة: بتشديد شين ﴿تَشْقَى﴾^(٣) بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أخرى: ﴿تَنْزِيلًا﴾^(٤) بنونين الثانية ساكنة وضم اللام، ونصب ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾.

[٢٦] ﴿الَّذِينَ يَوْمِزُوا﴾ أي: لا يشركه فيه أحد ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ بخلاف المؤمنين.

[٢٧] ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ﴾ المشرك: عقبة بن أبي معيط، كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لإيماني بن خلف^(٥) ﴿عَلَى يَدَيْهِ﴾ ندماً وتحسراً في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يَا﴾ للتبعية ﴿لَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى.

[٢٨] ﴿يَقُولُ﴾ ألفه عوض عن ياء الإضافة؛ أي: ويلتي؛ ومعناه: هلكني ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا﴾ أي: أُنْجَا^(٦) ﴿خَلِيلًا﴾.

[٢٩] ﴿لَقَدْ أَصْلَانِي مِنَ الذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ بأن رَدَّيْنِي عن الإيمان به، قال - تعالى -: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ﴾ الكافر ﴿خَدُولًا﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمد: ﴿يَدْرِبُ إِنَّ قَوْمِي﴾ قريشاً ﴿أَتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ متروكاً.

[٣١] قال - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قلبك ﴿عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴾ ناصراً لك على أعدائك.

[٣٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كالنورة والإنجيل والربور، قال - تعالى -: نزلناه ﴿كَذَلِكَ﴾ متفرقاً ﴿لِنُنْزِلَهُ﴾ بقوله ﴿فَوَادَّكَ﴾ نقوي قلبك ﴿وَنُزِّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أتينا به شيئاً بعد شيء بتمهل وتؤددة؛ لتيسير فهمه وحفظه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ﴾ * ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْهُمْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيُقُولُونَ جَبْرًا مَحْجُورًا﴾ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَالْمَلَائِكَةُ تَزِيلًا﴾ ﴿الَّذِينَ يَوْمِزُوا﴾ الْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنَاتُ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ لَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿يَقُولُ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ ﴿لَقَدْ أَصْلَانِي مِنَ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾ ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَدْرِبُ إِنَّ قَوْمِي أَتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فنخبر بأن محمداً رسوله، قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿فِي﴾ شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْهُمْ﴾ طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بطلهم رؤية الله - تعالى - في الدنيا، و﴿عَتَوْا﴾ بالواو على أصله، بخلاف ﴿عَتَبًا﴾ بالإبدال في مريم^(١).

[٢٢] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ في جملة الخلاق؛ هو: يوم القيامة، ونصبه به [اذكر] مقدراً ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين، بخلاف المؤمنين فلهم البشـرى بالجنة ﴿وَيُقُولُونَ جَبْرًا مَحْجُورًا﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة؛ أي: عوداً مَعَادًا؛ يستعبدون من الملائكة^(٢).

[٢٣] قال - تعالى -: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ عمدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ من

(١) يشير إلى قوله - تعالى -: ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ أَشَدَّ عَلَىٰ أَرْعَافِنَا عِتِيًّا﴾.

(٢) هذا قول ابن جرير كما حكاه عنه ابن جرير. قال ابن كثير: وهذا القول - وإن كان له مأخذ ووجه - ولكنه بالنسبة إلى السياق في الآية بعيد، لا سيما قد نص الجمهور على خلافه، واختار ابن كثير وابن جرير أن الضمير في قوله: ﴿ويقولون﴾ عائد على الملائكة، أي تقول الملائكة للكافرين: حرام محرم عليكم الفلاح اليوم. تفسير ابن كثير (٣/٣٠٤).

(٣) الظاهر أن المراد المناظرة بينهما في الآخرة، وهو الأبلغ في المعنى والأقرب في الفرق بين حال الفريقين؛ فلأولئك مستقرون في الجنة، والكافرون مستقرون في النار. فإيا له من وعد ويا له من وعيد. وأما قوله: ﴿عَتَوْهُمْ﴾، فهو من باب استعمال أفعال التفضيل فيما ليس في الطرف المقابل شيء منه.

(٤) راجع التعليق على الآية رقم (٢٠٢) من سورة البقرة، والآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٥) نافع وابن كثير وابن عامر.

(٦) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم عن عمرو بن ميمون. وقد روى آخرون القصة معكوسة وأن أي بن خلف رجع إرضاء لعقبة، روى آخرون أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط وأممية بن خلف. [الدبر المشهور (١٢٥/٥ - ١٢٧)]. وضعها كلها في الاستيعاب (٩/٣ - ١٥).

(٨) يعني أي بن خلف، كما روي في سبب نزول الآية، وسق بيان صفع هذا القول وغيره.

[٣٣] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جُنَاحٌ﴾ الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾ يائناً.

[٣٤] هم ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾^(٥) أي: يساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سَرُّ مَكَانًا﴾ هو جهنم ﴿وَأَصْلُ سَيْبِلًا﴾ أخطأ طريقاً من غيرهم؛ وهو: كفرهم.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا﴾ مُعينًا.

[٣٦] ﴿فَقُلْنَا أَهْبَا إِلَى الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: القبط فرعون وقومه، فذهب إليهم بالرسالة؛ فكذبوهم ﴿فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أهلكتناهم إهلاكًا.

[٣٧] ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ﴾ قَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ بتكذيبهم نوحاً لطول لبثه فيهم؛ فكانه رُسلٌ، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقى الرُّسل لاشترآهم في المجيء بالتوحيد ﴿أَعْرَقْنَاهُمْ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ بَعْدِهِمْ﴾ عِبْرَةً ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ عَذَابًا أَلِيمًا مؤلماً سوى ما يحل بهم في الدنيا.

[٣٨] ﴿وَذَكَرْ عَادًا﴾ قَوْمُ هُودٍ ﴿وَمُؤَدَّةَ﴾ قَوْمُ صَالِحٍ ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ اسم بحر^(١)، ونيهم قيل: شعب، وقيل: غيره، كانوا قعوداً حولها؛ فانهارت بهم وبمنزلهم ﴿وَقَوْمًا﴾ أقواماً ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ كثيرًا؛ أي: بين عاد وأصحاب الرِّس.

[٣٩] ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ﴾ في إقامة الحجة عليهم؛ فلا نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا﴾ أهلكتنا إهلاكًا بتكذيبهم أنبياءهم.

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا﴾ أي: مَرَّ كُفَّارٍ مَكَّةَ ﴿عَلَىٰ أَقْرَبَةٍ﴾ أَلْقَىٰ مُطَرَّ مَطَرٍ أَسْوَدٌ مصدر ساء؛ أي: بالبحجارة؛ وهي: غططى قَرَى قَوْمِ لُوطٍ؛ فأهلك الله أهلها لفسادهم الفاحشة ﴿أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِرَبِّهِمْ﴾ في سفرهم إلى الشام؛ فيحتبرون؟ والاستفهام للتقرير ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿نُزُورًا﴾ بَعَثًا فلا يؤمنون.

[٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ ما ﴿يَسْخَرُونَكَ﴾ إِلَّا ﴿هَرُؤًا﴾^(٢) مَهْزُوءًا به، يقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ في دعواه، محقرين له عن الرسالة.

[٤٢] ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿كَادَ

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جُنَاحٌ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا
الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ
سَرُّ مَكَانًا وَأَصْلُ سَيْبِلًا وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا فَقُلْنَا أَهْبَا
إِلَى الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا
وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَعْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
عِبْرَةً وَأَعْتَدْنَا لِلْظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا وَعَادًا وَمُؤَدَّةَ
وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَفُرُونًا بَيِّنَ ذَلِكَ كَثِيرًا وَكُلًّا
ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا وَلَقَدْ أَنزَلْنَا
أَقْرَبِيَّةَ آتَىٰ أُمُطِرَتْ مَطَرُ السَّوْدِ أَفَلَا يَكُونُوا يَرَوْنَهَا
بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَسْخَرُونَكَ
إِلَّا هَرُؤًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِنْ كَادَ
لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَصْلُ سَيْبِلًا أَرَأَيْتَ
مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا

لَيُضِلَّنَا يصرفنا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا لصرفنا عنها، قال - تعالى -: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْعَذَابَ﴾ عياناً في الآخرة ﴿مَنْ أَصْلُ سَيْبِلًا﴾ أخطأ طريقاً، أهم أم المؤمنون؟
[٤٣] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: مهويه، قدم المفعول الثاني؛ لأنه أهم، وجملة ﴿مَنْ اتَّخَذَ﴾ مفعول أول «لأرأيت»، والثاني: ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

(٥) فائدة: أخرجه البخاري عن قتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أشبه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟»، قال قتادة: بلى وعرة ربا. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (١) ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾. وأخرجه مسلم - كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١١).

(١) جمهور أهل اللغة على أن «الرِّس» لغة هو: البئر. أما «أصحاب الرِّس» فقيل: هم أصحاب الأخدود الذين جاء ذكرهم في سورة البروج. واختار ذلك بن جرير. وقيل: هم أهل أنطاكية؛ أصحاب القرية المذكورة في سورة «يس». وقيل غير ذلك، والله أعلم.

(٢) بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وحزمة، وقرأ حمزة: ﴿هَرُؤًا﴾، وقرأ حفص: ﴿هَرُؤًا﴾.

[٤٦] ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ أي: الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَبِيرًا﴾ خفيًا بطلوع الشمس.

[٤٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساترا كاللباس ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للبدان؛ بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ شُؤْرًا﴾ منشورًا فيه لابتغاء الرزق وغيره.

[٤٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وفي قراءة: ﴿الرَّيْحَ﴾ ^(١) ﴿تُنْشِرُ﴾ ^(٢) يَنْشُرُ يَنْشُرُهُ رَحْمَتِيهِ متفرقة قدام المطر، وفي قراءة: بسكون الشين تخفيفًا ^(٣)، وفي أخرى: بسكونها ونون مفتوحة مصدر ^(٤)، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون ^(٥)؛ أي: مبشرات، ومفرد الأولى: نشور؛ كرسول، والأخيرة: بشير ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ مطهرًا.

[٤٩] ﴿لِنُنْجِيَ بِهِ نَفْسًا مَيِّتًا﴾ بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث، ذكره باعتبار المكان ﴿وَنُشْفِقُهُ﴾ أي: الماء ﴿مَاءً خَلَقْنَا أَنْفُسًا﴾ إبلًا وبقرا وغنما ﴿وَأَنَابَى كَثِيرًا﴾ جمع إنسان، وأصله: أناسين؛ فأبدلت النون ياء، وأدغمت فيها الياء، أو جمع إنسي.

[٥٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ أي: الماء ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا﴾ أصله: يذكروا؛ أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة: ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ ^(١) بسكون الذال وضم الكاف؛ أي: نعمة الله به ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا للنعمة؛ حيث قالوا: مطرنا ينوء كنا.

[٥١] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَغَنَّا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ يخوف أهلها، ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيرًا؛ ليعظم أجرك.

[٥٢] ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾ في هواهم ﴿وَيَحْذَرُهُمْ يَدٌ﴾ أي: القرآن ﴿وَجَهَادًا كَثِيرًا﴾.

[٥٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما متجاورين ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزًا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وَجَجْرًا مَّجْجُورًا﴾ سترًا ممنوعًا به اختلاطهما.

[٥٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ من المني إنسانًا ﴿فَجَعَلَكُمْ نَسَبًا﴾ ذا نسب ﴿وَصِهْرًا﴾ ذا صهر؛ بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبًا للتناسل ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ قادرًا على ما يشاء ^(١).

[٥٥] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بتركها؛ وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ للشیطان بطاعته.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٢﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٣﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ شُؤْرًا ﴿٤﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥﴾ لِنُنْجِيَ بِهِ نَفْسًا مَيِّتًا وَنُشْفِقَهُ وَمَا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَا سَيِّئٌ كَثِيرًا ﴿٦﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا قَابِئُ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٧﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَغَنَّا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٨﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَحَذَرُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَثِيرًا ﴿٩﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجَجْرًا مَّجْجُورًا ﴿١٠﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿١١﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿١٢﴾

[٤٤] ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تقول لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقًا منها؛ لأنها تنقاد لمن يتبعها، وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم.

[٤٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ ربك ﴿لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ مقيمًا لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ﴾ أي: الظل ﴿دَلِيلًا﴾ فلول الشمس ما عرف الظل.

(١) لابن كثير.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: ﴿تُنْشِرُ﴾، وهي: لابن عامر.

(٤) أي: ﴿تُنْشِرُ﴾، وهي حمزة والكسائي.

(٥) أي: ﴿تُنْشِرُ﴾، وهي قراءة عاصم.

(٦) حمزة والكسائي.

(٧) الأولى أن يقول: قادر على كل شيء، كما هو ظاهر آيات القرآن في إثبات القدرة، كما أنه الأكمل في حقه - سبحانه -، ولله الأسماء الحسنى والصفات العلى.

[٥٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالنار.

[٥٧] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغ ما أرسلت به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَهًا رَبَّهُ﴾ سبيلاً، طريقاً يأنفق ماله في مرضاته تعالى: فلا أمتعته من ذلك.

[٥٨] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ الذي لا يموت ﴿وَسَمِعَ﴾ متلبساً ﴿بِعَمْدِهِ﴾ أي: قل: «سبحان الله والحمد لله» ﴿وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ عالماً، تعلق ﴿بِهِ﴾ يذُنُوبُ.

[٥٩] هو ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء خللقهن في لحظة، والعدل عنه لتعليم خلقه الثبوت ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سربل الملك ﴿الْعَرْشُ﴾ بدل من ضمير ﴿أَسْتَوَى﴾ أي: استواء يليق به (١) ﴿فَسَخَّلَ﴾ أيها الإنسان ﴿بِهِ﴾ بالرحمن ﴿خَيْرًا﴾ يخبرك بصفاته.

[٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لكفار مكة: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بالفوقانية والحقانية (٢)، والأمر محمد ولا نعرفه: لا ﴿وَرَادَهُمْ﴾ هذا القول لهم ﴿فَقُولُوا﴾ عن الإيمان.

[٦١] قال - تعالى -: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل والنور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوث؛ وهي منازل الكواكب السبعة اسبارة: المريخ وله الحمى والعقرب، والزهرة ولها النور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوث، وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضاً ﴿سُبُحًا﴾ هو الشمس ﴿وَقَمَرًا مُبِينًا﴾، وفي قراءة: ﴿سُجُجًا﴾ (٣) بالجمع؛ أي: نيرات، وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة.

[٦٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف كل منها الآخر ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾ بالشديد والتخفيف (٤) - كما تقدم -: ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿أَوَّارَادَ شُكُورًا﴾ أي: شكراً لنعمة ربه عليه فيها.

[٦٣] ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ مبتدأ، وما بعده صفات له إلى: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ (٥) غير المعرض فيه (٦) ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: قولاً يسلمون فيه من الإثم.

[٦٤] ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ رِزْقَهُمْ سُجْدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَمًا﴾

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَمِعَ بِعَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَخَّلَ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُبِينًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوَّارَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ رِزْقَهُمْ سُجْدًا وَاقِيَمًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

بمعنى: قاتمين يصلون بالليل.

[٦٥] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لازماً.

[٦٦] ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هي: أي: موضع استقرار وإقامة.

[٦٧] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ عن عيالهم ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ بفتح أوله وضمه (٧)؛ أي: يضيّقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ وسطاً.

(١) سبق التعليق على هذا التفويض، وأنه إذا كان يراد به تفويض الكيفية فهو حق، وأما إن كان يراد به تفويض معنى الاستواء الذي هو الاستقرار والعلو فهو خلاف فهم السلف وقَدْ يهيم.

(٢) بآياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) لحمزة والكسائي.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة.

(٥) وهو - أعني قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ - خبر المبتدأ، على اختيار المفسر، وبحتمل أن يكون الخبر قوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾، ويكون قوله: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ جملة مستأنفة مبتدأ وخبر.

(٦) أي باستثناء الحمل الاعتراضية؛ وهو قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَقْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الآية (الفرقان: ٦٨)، إلى قوله: ﴿مَتَابًا﴾.

(٧) بضم أوله مع كسر الناء قراءة نافع وابن عامر، وأما القراءة بفتح الباء فمع كسر الناء لابن كثير وأبي عمرو، ومع ضمها لباقى السبعة.

[٧٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ منهم ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْعُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المذكورة ﴿حَسَنَاتٍ﴾ في الآخرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك^(١).

[٧١] ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ من ذنوبه غير من ذكر ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: يرجع إليه رجوعًا؛ فيجازيه خيرا.

[٧٢] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: الكذب والباطل ﴿وَرَدُّوا رُءُوسَهُمْ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرَّأً كَرَامًا﴾ معرضين عنه.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بَيِّنَاتٍ رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوهُ﴾ يستقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ بالجمع والإفراد^(٢) ﴿فَشَرَّ أَعْيُنٍ﴾ لنا؛ بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَأَجْمَعْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ في الحير.

[٧٥] ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿يَمًا صَبْرًا﴾ على طاعة الله ﴿وَيُلْقَوْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء^(٣) ﴿فِيهَا﴾ في الغرة ﴿حَبِيبَةً وَسَلَامًا﴾ من الملائكة.

[٧٦] ﴿وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبِيبَةً حَسَنَةً مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ موضع إقامة لهم، و﴿أُولَٰئِكَ﴾ وما بعده خير: «عباد الرحمن» المبتدأ.

[٧٧] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَّا﴾ نافية ﴿يَعْبُدُونَ﴾ يكثر ﴿بِكُرْبَىٰ تَلَوَّا دَعَاؤَكُمْ﴾ إياه في الشدائد فيكشفها ﴿فَقَدْ﴾ أي: فكيف يعبا بكم وقد ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِرَأْمًا﴾^(٤) ملازمًا لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا؛ فقتل منهم يوم بدر سبعون، وجواب ﴿تَلَوَّا﴾ دل عليه ما قبلها.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْغَوَامِرِ وَكِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَعًا ۖ أَعْيُنٌ وَاجِعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبِيبَةً وَسَلَامًا ۖ خَلِيدِينَ فِيهَا حَسَنَتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا يَعْبُودُ آبَاؤُكُمْ رَبِّي وَلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ

سورة الشجر

[٦٨] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: واحدًا من الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: عقوبة.

[٦٩] ﴿يُضَاعَفْ﴾ وفي قراءة: ﴿يُضَعَّفْ﴾ بالتشديد^(١) ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ بجزم الفعلين: بدلًا، ويرفعهما^(٢): استئنافًا ﴿مُهَانًا﴾ حال.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٦٨ - ٧٠): أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن ناشا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه حسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَبَايَؤُا الَّذِينَ آمَنُوا عَنْ أَمْرِهُمْ لَا يَسْمَعُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الزمر (٣٩) باب (١).

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله، أي إثم أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله بذا وهو خلقك». قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حلية جارك». فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾. البخاري - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦).

(٥٥) فائدة: أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: خمس قد مضين: الدخان، والقر، والروم، والبطشة، والارام؛ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾... وقال البخاري: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾: هلكت. البخاري - كتاب تفسير القرآن (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (٥) ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

(١) لاس كثير وابن عامر.

(٢) بالرفع فيهما لشدة وابن عامر، مع تشديد العين وحذف الألف لابن عامر - كما سبق بيانه.

(٣) بالإفراد في قوله: ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

[مكية إلا: ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾ إلى آخرها فمديني، وهي مائتان وسبع وعشرون آية. نزلت بعد الواقعة(*)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَمَ﴾ الله أعلم بمراحه بذلك.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿يَكْتُبُ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى: من ﴿الْبَلْبَلِ﴾ المظهر الحق من الباطل.

[٣] ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَجْعُ﴾ نَفْسَكَ ﴿قَاتِلًا عَنَّا مِنْ أَجْلِ﴾ الْآلَا يَكُونُوا؟ أي: أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ و﴿لعل﴾ هنا للإشفاق؛ أي: أشفق عليها بتخفيف هذا الغم.

[٤] ﴿إِنْ تَشَاءُ نَزِلَ عَلَيْنَا مِنْ أَلْمَاءٍ﴾ فُطِلَتْ بمعنى المضارع؛ أي: تطل؛ أي: تدوم ﴿أَعْنَتُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ﴾ فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها؛ جمعت الصفة منه جمع العقلاء.

[٥] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ﴾ قرآن ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ مُخْتَلِفٌ﴾ صفة كاشفة (١) ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.

[٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْتَوُا﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا بِوَيْهِ يَسْتَرْذِبُونَ﴾.

[٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا﴾ أي: كثير؛ ومن كل رَوْجٍ كريم ﴿نوع حسن﴾.

[٨] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾ دلالة على كمال قدرته - تعالى - ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في علم الله، و﴿كَانَ﴾ قال سيبويه: زائدة.

[٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ ذو العزة ينتقم من الكافرين ﴿الرَّحِيمُ﴾ يرحم المؤمنين.

[١٠] ﴿ذِكْرٌ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَتَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ رسولاً.

[١١] ﴿قَوْمٌ فَرَعَوْنَ﴾ معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله، وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿الْأَلَا﴾ الهمة للاستفهام الإنكاري ﴿يَقُولُونَ﴾ الله بطاعته فيوجدونه؟

[١٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

[١٣] ﴿وَنَضِيقُ صَدْرِي﴾ من تكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ بأداء الرسالة للعقدة التي فيه ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ أَخِي﴾ هَسْرُونَ معي.

[١٤] ﴿وَقَتْمٌ عَلَى ذَنْبٍ﴾ بقتل القبطي منهم ﴿فَأَمَّا أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به.

[١٥] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - :: ﴿كَلَّا﴾ لا يقتلونك ﴿فَادْهَبَا﴾ أي: أنت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿تِلْكَ﴾ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿لَعَلَّكَ بَنِعْ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ إِنْ تَشَاءُ نَزِلَ عَلَيْنَا مِنْ أَلْمَاءٍ ﴿فَطَلَّتْ﴾ أَعْنَتُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ﴾ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْتَوُا مَا كَانُوا يَكُونُونَ﴾ يَسْتَرْذِبُونَ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا مِنْ كُلِّ رَوْجٍ﴾ كَرِيمٍ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَتَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿قَوْمَ فَرَعُونَ﴾ الْآيَتُونَ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ وَنَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَسْرُونَ ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِأَخِيئِنَّا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ فَأَتَيَا فَرَعُونَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

وأخوك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿يَا أَيُّهَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ما تقولون وما يقال لكم، أجريا مجرى الجماعة.

[١٦] ﴿فَأَتَيَا فَرَعُونَ فَقُولَا إِنَّا﴾ كَلَامًا ﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك.

[١٧] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فَأَتَيَا فَقَالَا لَهُ مَا ذَكَرَ.

[١٨] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُزِّكْ فِينَا﴾ في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ صغيرًا قريبًا من الولادة بعد قطامه ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون، ويركب من مراكبه، وكان يسمى ابنه.

[١٩] ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ هي قتله القبطي ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين لنعمتي عليك بالترية وعدم الاستعداد.

(٥) فائدة: أخرج أحد عن معديكر قال: تينا عبد الله، فسألناه أن يقرأ علينا: ﴿طَسَمَ﴾ المائتين. فقال: ما هي معي، ولكن عليكم من أخذها من رسول الله ﷺ: حباب بن الأرت. قال: فأتينا حباب بن الأرت فقرأها علينا. المسند (٤١٩/١)، وقال أحد شاكر: إسناده صحيح (٣٩٨٠).

وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث في أول سورة القصص؛ ولكن قوله في الحديث: «﴿طَسَمَ﴾ المائتين» بين أن المراد الشعراء لا القصص؛ لأن سورة القصص آياتها ثمان وثمانون آية فحسب. راجع تفسير ابن كثير (٣/٣٦٦).

(١٤) وهذا جريا على مذهب الحنفية أن القرآن معنى قائم بذات الرب، وأن كلام الله ﷻ قديم، وسبق الرد عليه وبيان مذهب السلف في كلام الله - تعالى -، وأنه - سبحانه - لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة.

[٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ موسى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي قلت إنك رسوله؛ أي: أي شيء هو؟

[٢٤] ﴿وَلَا يَكُن سَبِيلَ الْخَلْقِ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهِ - تَعَالَى - وَإِنَّمَا يَعْرِفُونَهُ بِصِفَاتِهِ، أَجَابَهُ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بَعْضُهَا: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: خالق ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بأنه - تَعَالَى - خالقه؛ فَأَمَنُوا بِهِ وَخَدَعَهُ.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أشراف قومه: ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهذا - وإن كان داخلاً فيما قبله - يغيظ فرعون؛ ولذلك: [٢٧] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ؛ أنه كذلك فَأَمَنُوا بِهِ وَخَدَعَهُ.

[٢٩] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْمَلَتِكَ مِنَ السَّجُونِ﴾ كان سجنه شديداً يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وخدعه لا يبصر ولا يسمع فيه أحداً.

[٣٠] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَوَلَوْ﴾ أي: أنفعل ذلك ولو ﴿جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ بُرْهَانٍ يَبِينُ عَلَى رِسَالَتِي؟

[٣١] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه.

[٣٢] ﴿فَأَتَى﴾ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَنْبُتُ مُبِينٌ ﴿حِيَّةٌ عَظِيمَةٌ﴾.

[٣٣] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة^(١).

[٣٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ﴾ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿فَاتَّقِ فِي عِلْمِ السَّحَرِ﴾.

[٣٥] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟﴾

[٣٦] ﴿قَالُوا أَتَجِدُ أَزْوَاجَهُمْ وَأَخَاهُ﴾ أَخْرَجَهُمَا ﴿وَأَيُّكُمْ فِي الدِّينِ أَحْسَنُ﴾ جامعين.

[٣٧] ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ﴾ يفضل موسى في علم السحر.

[٣٨] ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِيُفَقِّنَ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة.

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾.

قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿قَالَ لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْمَلَتِكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿فَأَتَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَنْبُتُ مُبِينٌ﴾ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ لِلنَّظِيرِينَ﴾ ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ﴿قَالُوا أَتَجِدُ أَزْوَاجَهُمْ وَأَخَاهُ﴾ ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِيُفَقِّنَ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾

[٢٠] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿فَعَلْنَاهَا إِذَا﴾ أي: حينئذ ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ عما أتاني الله بعدها من العلم والرسالة.

[٢١] ﴿فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علماً ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢٢] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ أصله: تمن بها علي ﴿أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بيان لـ«تلك»؛ أي: اتخذتهم عبيداً ولم تستعبدني؛ لا نعمة لك بذلك؛ لظلمك باستعبادهم، وَقَدَّرَ بَعْضُهُمْ أَوَّلَ الْكَلَامِ هَمزة استفهام للإنكار^(١).

(١) أي: «أوتيتك».

(٢) أي: السحرة.

[٤٠] ﴿لَمَّا نَبَّحَ النَّحْرَ إِن كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾ الاستفهام للبحث على الاجتماع، والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم؛ فلا يتبعوا موسى.

[٤١] ﴿لَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنِّي﴾ بتحقيق الهزئين ونسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(١) ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.

[٤٢] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا أَنَا فِي حِينِيذٍ﴾ لَيْسَ الْمُقَرَّبِينَ.

[٤٣] ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ - بَعْدَ مَا قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّمَا أَنَا ثُلُفَى وَلَئِن أَنَا كُنْتُ نَحْنُ الْمُثْلَوِينَ﴾^(٢): ﴿الْقَوْمَ مَا أَنْتُمْ مُثْلَقُونَ﴾ فالأمر فيه للإذن بتقديم الفائهم توسلا إلى إظهار الحق.

[٤٤] ﴿قَالُوا جَاهِلْتُمْ وَعَصَيْتُمْ وَقَالُوا بَعْرَةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾.

[٤٥] ﴿فَأَلْفَى مُوسَى عَصَاهُ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل؛ تبتلع ﴿مَا يَأْكُودُونَ﴾ يلقبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيتهم أنها حيات تسعى.

[٤٦] ﴿فَأَلْفَى السَّحَرَةُ سَلْجِدِينَ﴾.

[٤٧] ﴿قَالُوا أَمَّا رَبُّ الْمَلَأِينَ﴾.

[٤٨] ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ لعلهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يأتي بالسحر.

[٤٩] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: أَلَمْ تَشْهَدُوا؟ بتحقيق الهزئين وإبدال الثانية ألفاً^(٣) ﴿أَلَمْ لِمُوسَى قَبْلَ أَن آذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّمَا لِكَبِيرِكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فعلمكم شيئا منه وَعَلَيْكُمْ بَأَخْرَ فَلَسَوْفَ تَسْأَلُونَ ما ينالكم مني ﴿لَأَقْلَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ جَلَيْتُ﴾ أي: يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿وَأَصْلَبُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٥٠] ﴿قَالُوا لَا صَبْرَ لَنَا بِهَذَا﴾ لا صَبْرَ عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا بَعْدَ مَوْتِنَا بِأَيِّ وَجْهِ كَانُ مُتَقِلُّونَ﴾ راجعون في الآخرة.

[٥١] ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ نرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا﴾ أي: بأن ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماننا.

[٥٢] ﴿وَأَرْجَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزيدوا إلا غشوا ﴿أَن أَسْرِ بِعَادَى﴾ بني إسرائيل، وفي قراءة^(٤): بكسر النون ووصل همزة ﴿أَسْرِ﴾ من سرى لغة في أسرى؛ أي: سر بهم ليلا إلى البحر ﴿إِنَّكُمْ مُنْجَبُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده فيلجئون وراءكم البحر؛ فأنجيكم وأغرقهم.

[٥٣] ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسيرهم ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ قبل: ﴿كَانَ لَهُ أَلْفٌ مَدِينَةً وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ قَرْيَةٍ﴾ حَبَشِيَّينَ جامعين الجيش قائلا:

[٥٤] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾ قبل: ﴿كَانُوا سِتْمَاةَ أَلْفٍ وَسَبْعِينَ أَلْفًا﴾ ومقدمة جيشه سبعمائة ألف، فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه.

(١) راجع التعليق على الآية (١١٣) من سورة الأعراف.

(٢) الأعراف: ١١٥.

(٣) راجع التعليق على الآية (١٢٣) من سورة الأعراف.

(٤) للنافع وابن كثير.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام.

لَمَّا نَبَّحَ النَّحْرَ إِن كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنِّي لَكَبِيرُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعَالِمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ جَلَيْتُ وَلَأَصْلَبُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤١﴾ قَالُوا لَأَصْبِرْنَا إِنَّا لَبِئْسَ الْمُتَقَبِّلُونَ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَن أَسْرِ بِعَادَى إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٤٥﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٤٨﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٩﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٠﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥١﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٥٢﴾

[٥٥] ﴿وَلَهُمْ لَنَا لَعَاظِمُونَ﴾ فاعلون ما يغيظنا [٥٦] ﴿وَلَنَا جَمِيعٌ﴾ متيقظون.

[٥٧] قال - تعالى -: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ أي: فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى وقومه ﴿مِمَّنْ جَلَيْتُ﴾ بساتين كانت على جانبي النيل ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار جارية في الدور من النيل.

[٥٨] ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال ظاهرة من الذهب والفضة، وسميت كنوزاً؛ لأنه لم يُغَطَّ حَقُّ اللّهِ - تعالى - منها ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن للأمرء والوزراء يحفه أتباعهم.

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: إخراجنا كما وصفنا ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بعد إغراق فرعون وقومه.

[٦٠] ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ لحقوهم ﴿مُشْرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس.

ولا لبده.

[٦٤] ﴿وَأَلْفَنَّا﴾ قربنا ﴿نَمَّ﴾ هناك ﴿الْآخِرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى سلخوا مسالكهم.

[٦٥] ﴿وَأَمِينًا مَوْسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَتَمِينَ﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَعْرِفْنَا الْآخِرِينَ﴾ فرعون وقومه؛ بإطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه.

[٦٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إغراق فرعون وقومه ﴿لَّآيَةً﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ بالله، لم يؤمن منهم غير «آسية» امرأة فرعون، و«حزقيل» مؤمن آل فرعون، و«مريم بنت ناموصى» التي دلت على عظام يوسف ^(١) ^(٢).

[٦٨] ﴿وَلَرَبَّكَ لَهُمُ الْعَزِيزُ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿الْجَحِيمِ﴾ بالمؤمنين؛ فأعجزهم من الغرق.

[٦٩] ﴿وَأَنزَلْنَا عَذَابَهُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأًا﴾ خبر ﴿إِذْ هُمْ﴾ ويبدل منه: [٧٠] ﴿إِذْ قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿لَّيْبِيَّ وَقَوَّيْهِ، مَا تَعْبُدُونَ﴾.

[٧١] ﴿قَالُوا تَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنَظَّلُهَا عَنكِيكِينَ﴾ نقم نهازا على عبادتها، زادوه في الجواب افتخارًا به.

[٧٢] ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ﴾ حين ﴿تَدْعُونَ؟﴾

[٧٣] ﴿أَوْ يَنفَعُونَكَ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ كم إن لم تعبدوهم؟

[٧٤] ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مثل فعلنا.

[٧٥] ﴿قَالَ أَمْرٌ بَشَرٌ مَا كَثَرَ تَعْبُدُونَ﴾.

[٧٦] ﴿وَأَنشُرْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْنَمُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَاتَّخَذُوا عَدُوًّا لَّيَّ﴾ لا أعبدكم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ الْمَلَكِينَ﴾ فإني أعبد.

[٧٨] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى الدين.

[٧٩] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾.

[٨٠] ﴿وَلِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

[٨١] ﴿وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُجْبِينِ﴾.

[٨٢] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ أرجو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ الجزاء.

[٨٣] ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ علمًا ﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّلَاحِينَ﴾ النبين.

فَلَمَّا تَرَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٦٤﴾
قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٥﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ
أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ
﴿٦٦﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ ﴿٦٧﴾ وَأَجْنَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ وَأَجْمَعِينَ
﴿٦٨﴾ ثُمَّ أَعْرِفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧١﴾
وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنْكِيكِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا
آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَمْرٌ بَشَرٌ مَا كَثَرَ تَعْبُدُونَ
﴿٧٦﴾ وَأَنشُرْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْنَمُونَ ﴿٧٧﴾ فَاتَّخَذُوا عَدُوًّا لَّيَّ
﴿٧٨﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٩﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ
﴿٨٠﴾ وَلِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي
يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

[٦١] ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجُمُعَانَ﴾ رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ﴾ يدركننا جشع فرعون، ولا طاقة لنا به.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بنصره ^(١) ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريق النجاة.

[٦٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضربه ﴿فَانْفَلَقَ﴾ فانشق اثني عشر فرقا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ الجبل الضخم بينهما مسالك سكوها لم يتل منها سرج الراكب

(١) هذا من لوازم معيته . شجاعته . الخاصة بعبادته المؤمنين، ومعيته . شجاعته . مع خلقه نوعان: عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين وحقيقتهما الصالحة اللافقة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستوثا على عرشه، وكلاهما حق.

(٢) يشير إلى ما أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه وصححه، وغيرهما عن أبي موسى الأشعري مرفوعا، وفيه أن موسى ^(عليه السلام) في قصة خروجه من مصر وسأله عن قبر يوسف لينقشه معه فدلته عجوز بشرط أن تكون معه في الحنة... وأخرجه أيضا أبو يعلى، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/١٠): «رجل أبي يعلى رجلا الصحيح».

[٨٤] ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ ثَنَاءً حَسَنًا﴾ فِي الْآخِرِينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

[٨٥] ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ مَنْ يَعْطَاهَا.

[٨٦] ﴿وَأَغْفِرْ لَائِي إِنِّي كَانُ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ بَأَن تَتُوبَ عَلَيْهِ؛ فَغَفَرَ لَهُ، وَهَذَا قَبْلَ أَنْ يَتَيْنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ كَمَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ.

[٨٧] ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ ^(١) نَفْضُحْنِي ﴿يَوْمَ يُعْطَوْنَ﴾ النَّاسَ.

[٨٨] قَالَ - تَعَالَى - فِيهِ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ أَحَدًا.

[٨٩] ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مِنَ الشَّرِكِ وَالْفَنَاقِ؛ وَهُوَ: قَلْبُ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ.

[٩٠] ﴿وَأَزَلِّتِ الْجَنَّةَ﴾ قَرِيبَ ﴿لِلْمُنْفِقِينَ﴾ فَيُرُونَهَا.

[٩١] ﴿وَبَرَزَتِ الْجَنَّةُ﴾ أَظْهَرَتْ ﴿لِلْعَاوِينَ﴾ الْكَافِرِينَ.

[٩٢] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ إِنِّي مَا كُنْتُ تَعْدُونَ؟﴾

[٩٣] ﴿وَمِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيُّ: غَيْرِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمُ﴾ بِدْفَعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ بِدْفَعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ؟ لَا.

[٩٤] ﴿كَذَّبِكُمُ﴾ أَلْقَاوْا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ.

[٩٥] ﴿وَيَحْشُرُونَ﴾ أَلَيْسَ أَتْبَاعُهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

[٩٦] ﴿قَالُوا﴾ أَيُّ: الْعَاوُونَ ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مَعَ مَعْبُودِهِمْ:

[٩٧] ﴿تَاللَّهِ إِنِّي﴾ مَخْضَعَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا مُحَلُوفٌ؛ أَيُّ: إِنَّهُ ﴿كُنَّا لِنُفِي صَلَاتِي مُبِينٍ﴾ يَشِينُ.

[٩٨] ﴿إِذْ﴾ حَيْثُ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فِي الْعِبَادَةِ.

[٩٩] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا﴾ عَنِ الْهَدْيِ ﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ أَيُّ: الشَّيَاطِينَ، أَوْ: أَوْلَدْنَا الَّذِينَ اتَّقَدَيْنَا بِهِمْ.

[١٠٠] ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ كَمَا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ.

[١٠١] ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ بِهِمْ أَمْرَانَا.

[١٠٢] ﴿قُلُوا أَنَّا كَرِهْنَا﴾ رَجَعْنَا إِلَى الدُّنْيَا ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «لَوْ» هُنَا لِلتَّمْنِي، وَ«نَكُونُ» جَوَابُهُ.

[١٠٣] ﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ ﴿لَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٤] ﴿وَالَيْكَ رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٠٥] ﴿كَذَّبْتَ قَوْمَ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ بِتَكْذِيبِهِمْ لَهُ؛ لِاشْتِرَاكِهِمْ فِي الْحُجِيِّ بِالتَّوْحِيدِ؛ أَوْ لِأَنَّهُ لَطُولُ لَبْثِهِ فِيهِمْ كَأَنَّهُ رَسُلٌ، وَتَأْنِيثُ ﴿قَوْمَ﴾ بِاعْتِبَارِ مَعْنَاهُ، وَتَذَكِيرُهُ بِاعْتِبَارِ لَفْظِهِ.

[١٠٦] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ؟﴾

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لَائِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْطَوْنَ ﴿٨٧﴾ وَأَزَلِّتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿٨٨﴾ وَبَرَزَتِ الْجَنَّةُ لِلْعَاوِينَ ﴿٨٩﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنِّي مَا كُنْتُ تَعْدُونَ ﴿٩٠﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمُ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩١﴾ فَكَبَّكُمُ فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ ﴿٩٢﴾ وَحُشِرُوا لِبَلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٣﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٤﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لِنُفِي صَلَاتِي مُبِينٍ ﴿٩٥﴾ إِذْ نُسَوِّكُمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٧﴾ قَالَتْ مَنْ شَافِعِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿٩٩﴾ أَن لَنَا كَرِهْنَا فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٢﴾ كَذَّبْتَ قَوْمَ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ ﴿١٠٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِن آخِرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٠٨﴾ قَالُوا أَلَا نَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ وَنُحْمَدُهُ وَنُحْمَدُهُ وَنُحْمَدُهُ ﴿١٠٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ عَلَى تَبْلِيغِهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِّي مَا أَجْرِي ﴿١١٠﴾ أَيُّ: ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٠٧] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عَلَى تَبْلِيغِ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ.

[١٠٨] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ عَلَى تَبْلِيغِهِ ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنِّي مَا أَجْرِي﴾ أَيُّ: ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾ كَرَرَهُ تَأْكِيدًا.

[١١١] ﴿قَالُوا أَلَا نَحْمَدُ اللَّهَ وَنُحْمَدُهُ وَنُحْمَدُهُ وَنُحْمَدُهُ﴾ لِقَوْلِكَ ﴿وَأَتَّبِعْكَ﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ ^(١): ﴿وَأَتَّبِعْكَ﴾ جَمْعُ «تَابِعَ» مُبْتَدَأُ ﴿الْأَزْدَلُونَ﴾ السُّفَلَاءُ؛ كَالْحَاكَةِ وَالْأَسَاكِفَةِ.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «تلقى إبراهيم أباه أزر يوم القيامة، وعلى وجه أزر قرعة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يارب، إنك وعدتني أن لا تخزي يوم يعنون؛ فأخزي أخزي من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقاس: يا إبراهيم، ما تحت رجلك، فينظر فإذا هو بذيخ ملتصق فيؤخذ بقواميسه فيلقى في النار. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٨)، وأخرجه مختصراً في كتاب التفسير (٦٥) سورة الشعراء (٢٦) باب (١) ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْطَوْنَ﴾.

قال الحافظ: «وصف نفسه بالأبعد عن طريق القرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه، وقيل: «الأبعد» صفة أبيه؛ أي إنه شديد البعد من رحمة الله... وقيل: «الأبعد» بمعنى البعيد، والمراد الهالك...» قال الحافظ: ويؤيد الأول رواية: «إن أخبرت أبي فقد أخبرت الأبعد». الفتح (٣٥٨/٨، ٣٥٩)، بتصرف يسير.

والله أعلم: ذكر الضعاف، وقيل: لا يقال له: «ذبيخ» إلا إذا كان كثير الشعر.

وقوله: «ملتصق»: أي في رجبته؛ فيتمتع في ننته. وذكر الحافظ أن الحكمة من نسخ آزر تنفير نفس إبراهيم منه؛ لئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاظة على إبراهيم. الفتح (٣٥٩/٨) بتصرف.

(١) وهي عشرة ليعقوب، لا سبعة.

قَالَ وَمَا عَلِيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ بِنُوحٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِن قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَبِجَنِّي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَنْتَوْنَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ
﴿١٣٣﴾ وَحَتَّى وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظمت أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

[١١٢] ﴿قَالَ وَمَا عَلِيَّ﴾ أي علم لي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١١٣] ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ فيجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾

تعلمون ذلك ما عيذتموهم.

[١١٤] ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٥] ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ تبيين الإنذار.

[١١٦] ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ بِنُوحٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ

الْمَرْجُومِينَ﴾ بالحجارة أو بالشمع.

[١١٧] ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ إِن قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾.

[١١٨] ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا﴾ أي: احكم ﴿وَبِجَنِّي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٩] قال - تعالى -: ﴿فَأَنْجَيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء من الناس والحيوان والطير.

[١٢٠] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد إنجائهم ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه.

[١٢١] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٢] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

[١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ؟﴾

[١٢٥] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

[١٢٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[١٢٧] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٢٨] ﴿أَتَنْتَوْنَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾ بناءً علماً للمارة ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بمن يمر بكم وتسخرون منهم، والجملة حال من ضمير «تبنون».

[١٢٩] ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ كأنكم تَحْلُدُونَ فيها لا تموتون.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ بضرب أو قتل ﴿بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ من غير رافة.

[١٣١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمرتكم به.

[١٣٢] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾ أنعم عليكم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٣٣] ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَحَتَّى وَعُيُونٍ﴾ بساتين ﴿وَبُيُوتٍ﴾ أنهار.

[١٣٥] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة إن عصيتموني.

[١٣٦] ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ مشقو عذابنا ﴿أَوَعظمت أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أصلاً؛ أي: لا نرعو لوعظك.

[١٣٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الذي نَحْنُفَتْنَا بِهِ ﴿إِلَّا﴾ [خَلْقُ] ^(١) الْأَوَّلِينَ ﴿أَي: اختلافهم وكذبهم، وفي قراءة: بضم الحاء واللام، أي: ما هذا الذي نحن عليه من إنكار البعث إلا خلق الأولين؛ أي: طبيعتهم وعاداتهم.﴾

[١٣٨] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ بالعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ في الدنيا بالريح ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[١٤٠] ﴿وَإِنْ رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

[١٤١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾

[١٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ؟﴾

[١٤٣] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾

[١٤٤] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾

[١٤٥] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّي الْعَالَمِينَ﴾

[١٤٦] ﴿أَنْتُمْ كُونَ فِي مَا هُمْتُمْ﴾ من الخيرات ﴿ءَامِنِينَ﴾

[١٤٧] ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾

[١٤٨] ﴿وَرُزُّوعٌ وَنَحْلٌ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ لطيف لين.

[١٤٩] ﴿وَتَنْجُوتُونَ مِنْ الْجِبَالِ يَبُوتًا﴾ [قرهين] ^(٢) ﴿بَطْرِينَ﴾ وفي قراءة: ﴿قَرِهِينَ﴾ حاذقين.

[١٥٠] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمرتكم به.

[١٥١] ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الشَّرِّينَ﴾

[١٥٢] ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بطاعة الله.

[١٥٣] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم.

[١٥٤] ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَيِّ آيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك.

[١٥٥] ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾

[١٥٦] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عظيم العذاب.

إِنَّ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٨﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَنْتُمْ كُونَ فِي مَا هُمْتُمْ أَمِينِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَرُزُّوعٌ وَنَحْلٌ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْجُوتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا قَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥١﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَيِّ آيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٢﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ تَلْدَمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

[١٥٧] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عَقَرَهَا بَعَثْتُمْ بِرِضَاهُمْ ﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ على عَقَرَهَا.

[١٥٨] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الموعود به فهلكوا ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[١٥٩] ﴿وَإِنْ رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

(١) قراءة الكسائي وأبي عمرو وابن كثير، وقرأ بقية السبعة: ﴿خَلْقُ﴾ بضم الحاء واللام.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿قَرِهِينَ﴾.

الْعَالَمِينَ ﴿١٦٠﴾

﴿١٦٠﴾ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ؟ النَّاسُ؟

﴿١٦١﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟ أَي: أقبالهم؟ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿١٦٢﴾ قَالُوا لَيْنَ لَوْ تَنْتَهَى بِكُلُّكُم عَنْ عَمَلِكُمْ لَتَكُونُنَّ مِنْ الْمَكْرُحِينَ ﴿١٦٣﴾ مَنْ بَلَدْنَا. ﴿١٦٤﴾ قَالَ لُوطُ: ﴿إِنِّي لَمَعْلُومٌ مِنَ الْغَالِينَ﴾ المبعضين.

﴿١٦٥﴾ رَبِّ يَخْنِي وَأَهْلِي وَمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٦﴾ أَي: من عذابه.

﴿١٦٧﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٨﴾

﴿١٦٩﴾ إِلَّا عَجُوزًا ﴿١٧٠﴾ أَمْرُهُ فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ الْبَاقِينَ أَهْلَكْنَاهَا.

﴿١٧٢﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٣﴾ أَهْلَكْنَاهُمْ.

﴿١٧٤﴾ وَأَنْظَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴿١٧٥﴾ حَجَارَةً مِنْ جَمَلَةِ الْإِهْلَاكِ (١) ﴿فَنَسَاءَ مَطَرِ الْمُنْذِرِينَ﴾ مطهرهم.

﴿١٧٦﴾ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٧﴾ وَلَئِنْ رَأَيْتَ لَهْرَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٧٨﴾

﴿١٧٩﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ ﴿١٨٠﴾ فِي قِرَاءَةِ (٢): بِحَذْفِ الهمزة والقاء

حركتها على اللام وفتح الهاء، هي: غيضة شجر قُوبٌ مَدِينٌ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ حركتها على اللام وفتح الهاء، هي: غيضة شجر قُوبٌ مَدِينٌ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿١٨١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ - لَمْ يَظَلْ: أَخُوهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ -: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ؟﴾

﴿١٨٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨٣﴾

﴿١٨٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٨٥﴾

﴿١٨٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ مَا ﴿١٨٧﴾ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٨﴾

﴿١٨٩﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ ﴿١٩٠﴾ أَتَمَوْهُ ﴿١٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٩٢﴾ الْبَاقِينَ.

﴿١٩٣﴾ وَارْزُقُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٩٤﴾ الْمِيزَانَ السَّوِيَّ.

﴿١٩٥﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴿١٩٦﴾ لَا تَنْقُصُوهُمْ مِنْ حَقِّهِمْ شَيْئًا ﴿١٩٧﴾ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٩٨﴾ بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ، مِنْ «عَثَى» بِكَسْرِ الْمَثَلَةِ:

أَفْسَدَ، وَ﴿مُفْسِدِينَ﴾ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ لَعْنَى عَامِلِهَا.

كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾

﴿١٦٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٤﴾

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾

أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴿١٦٧﴾

فَمِنْ أَنْزَلْنَاهُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٨﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ بِكُلُّكُم لَتَكُونُنَّ مِنْ الْمَكْرُحِينَ ﴿١٦٩﴾

قَالَ إِنِّي لَمَعْلُومٌ مِنَ الْغَالِينَ ﴿١٧٠﴾ رَبِّ يَخْنِي وَأَهْلِي وَمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٧١﴾

فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٢﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧٣﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٤﴾ وَأَمَطَرْنَا عَلَيْهِمْ

مَطَرًا فَنَسَاءَ مَطَرِ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٥﴾ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٦﴾ وَإِنْ رَأَيْتَ لَهْرَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٧٧﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ

لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٨﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ إِنِّي لَكُمْ

رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٨١﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا

تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٣﴾ وَارْزُقُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٤﴾ وَلَا تَبْخَسُوا

النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٥﴾

﴿١٦٠﴾ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦١﴾

﴿١٦٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ؟ ﴿١٦٣﴾

﴿١٦٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٥﴾

﴿١٦٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٧﴾

﴿١٦٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ مَا ﴿١٦٩﴾ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ

(١) أي: لم يهلكهم بامطار الحجارة فقط، بل جعل عالي قراها سافلها.

(٢) لتافع وابن كثير وابن عامر. وقوله: وفتح الهاء، يعني به فتح تاء التانيث، في حالة الوصل؛ أي: «لَيْكَةِ».

[١٨٤] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ﴾ الحليقة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

[١٨٥] ﴿فَالَوْ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾.

[١٨٦] ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿تُفْثَنُكَ لَيْنَ الْكَذِبِينَ﴾.

[١٨٧] ﴿فَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾ [كشفاً] ﴿بِسُكُونِ السَّيْنِ وَفُحْهَا﴾^(١)؛ قطعاً ﴿مِنْ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك.

[١٨٨] ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[١٨٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمَةِ﴾ هي سحابة أظلمتهم بعد حرق شديد أصابهم؛ فامطرت عليهم ناراً؛ فاحترقوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾.

[١٩٠] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٩١] ﴿وَلَنْ يَرْجِيَنَّكَ لَهُمْ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٩٢] ﴿وَأَنذِرْ﴾ أي: القرآن ﴿لِنَزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٩٣] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ جبريل.

[١٩٤] ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾.

[١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ بَيِّن، وفي قراءة^(٢): بِتَشْدِيدٍ ﴿نَزَلَ﴾ وَنُصِبَ الرُّوحُ والفاعل: الله.

[١٩٦] ﴿وَأَنذِرْ﴾ ذكر القرآن المنزل على محمد ﴿لِنَزِيلِ رَبِّكَ كِتَابَ الْأَوَّلِينَ﴾ كالنور والإنجيل.

[١٩٧] ﴿أَوْ لَرَّ يَكُنْ لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿آيَةٌ﴾ على ذلك ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ كعبدالله بن سلام، وأصحابه من الذين آمنوا، فإنهم يخبرون بذلك ﴿وَيَكُنْ﴾ بالتحانية وَنُصِبَ ﴿آيَةٌ﴾ وبالفوقانية وَرُفِعَ ﴿آيَةٌ﴾^(٣).

[١٩٨] ﴿وَلَوْ فَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم.

[١٩٩] ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ كفار مكة ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أَتَقَفَ من اتباعه.

[٢٠٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ كفار مكة بقراءة النبي.

[٢٠١] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

[٢٠٢] ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ فَالَوْ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ تُفْثَنُكَ لَيْنَ الْكَذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ لِنَزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمَةِ ﴿١٨٩﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٩٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩١﴾ وَلَنْ يَرْجِيَنَّكَ لَهُمْ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩٢﴾ وَأَنذِرْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٥﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٦﴾ وَأَنذِرْ كِتَابَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٧﴾ أَوْ لَرَّ يَكُنْ لَهُمْ لَكْفَارِ مَكَّةَ آيَةٌ ﴿١٩٨﴾ عَلَى ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٩﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمَةِ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾

[٢٠٣] ﴿فَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ لنؤمن؟ فقال لهم: «لا»، فقالوا: متى

هذا العذاب؟

[٢٠٤] قال - تعالى -: ﴿أَفِعْدَابَيْنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

[٢٠٥] ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾.

[٢٠٦] ﴿فَتُجَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب.

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) لحمزة والكسائي وشعبة وابن عامر.

(٣) باتاء مع رفع «آية» لابن عامر.

الذي دعوك إليه.

[٢١٤] ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وهم: بنو هاشم وبنو المطلب، وقد أنذرهم جهاراً. [رواه البخاري ومسلم].^(١)

[٢١٥] ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أَلْنِ جَانِبَكَ ﴿لِمَنِ الْأَعْصَمِيَّةُ﴾ الموحدتين.

[٢١٦] ﴿فَإِنَّ عَصَاكَ﴾ عصيرتك ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من عبادة غير الله.

[٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ بالواو والفاء^(٢) ﴿عَلَى الْغَرِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الله؛ أي: فوض إليه جميع أمورك.

[٢١٨] ﴿الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصلاة.

[٢١٩] ﴿وَتَقْلُبُ﴾ في أركان الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ﴿فِي السَّجْدِ﴾ المصلين.

[٢٢٠] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيمُ﴾.

[٢٢١] ﴿هَذَا أَنبَأُكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَلَىٰ مَن نَّزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ - حذف إحدى التاءين من الأصل؟

[٢٢٢] ﴿نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ كَذَابٍ﴾ كذاب ﴿أَتَبِيرُ﴾ فاجر، مثل «مُتَبِيلَمَةً» وغيره من الكهنة.

[٢٢٣] ﴿يُلْقُونَ﴾ الشياطين ﴿السَّمْعَ﴾ ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ يضمنون إلى المسموع كذباً كثيراً، وكان هذا قبل أن حجت الشياطين عن السماء.

[٢٢٤] ﴿وَالشَّعْرَاءُ بَنِعْمَهُمُ الْفَاؤُونَ﴾ في شعرهم، فيقولون به ويروونه عنهم؛ فهم مذمومون.

[٢٢٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ مِّنْ أودية الكلام وفنونه﴾ يهيمون ﴿بمضون﴾ فيجازون الحد مدحاً وهجاءً.

[٢٢٦] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ فعلنا ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يكذبون.

[٢٢٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الشعراء ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾^(٣) لم يشغلهم الشعر عن الذكر ﴿وَأَنصَرُوا﴾ بهجواهم الكفار ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ بهجوا الكفار لهم في جملة المؤمنين؛ فليسوا مذمومين، قال الله - تعالى -: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾^(٤) وقال - تعالى -: ﴿فَمَن آفَضَكُنَّ عَلَيْكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ بِهِ فَإِذَا قَضَيْتَ عَلَيْهِ مَا آفَضَكُنَّ عَلَيْكُمْ﴾^(٥) ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ﴾ مرجع ﴿يَقْلِبُونَ﴾ يرجعون بعد الموت.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُمْتَنُونَ ﴿٢١٥﴾ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا لَهَا مُذْرُوْنَ ﴿٢١٦﴾ ذَكَرْنِي وَمَا كُنَّا نَاظِلِمِينَ ﴿٢١٧﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٢١٨﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُوْونَ ﴿٢٢٠﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُوْنَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢٢١﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٢٢﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ فَإِن عَصَاكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٢٥﴾ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢٢٦﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ ﴿٢٢٧﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٨﴾ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢٩﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٣٠﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٣١﴾ وَالشَّعْرَاءُ يَبْنِعُهُمُ الْفَاؤُونَ ﴿٢٣٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٣٣﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَذِكْرٍ ءَاثِرٍ وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٣٥﴾

سورة الشعراء

[٢٠٧] ﴿مَا﴾ استفهامية بمعنى أي: شيء ﴿أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَنُونَ﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه؟ أي: لم يغن.

[٢٠٨] ﴿وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا هَآ مُذْرُوْنَ﴾ رسل تنذر أهلها.

[٢٠٩] ﴿ذَكَرْنِي﴾ عظة لهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم.

[٢١٠] ﴿وَنَزَّلَ رَدًّا لِّقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿الشَّيْطَانُ﴾.

[٢١١] ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ يصلح ﴿لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك.

[٢١٢] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمْعَرُوْونَ﴾ بالشُّبُه.

[٢١٣] ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُوْنَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ إن فعلت ذلك

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿وَالشَّعْرَاءُ بَنِعْمَهُمُ الْفَاؤُونَ﴾ فسبح من ذلك واستثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾. أبو داود. كتاب الأدب (٣٥) باب (٩٥) ما جاء في الشعر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٤١٩٥).

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ سعد النبي ﷺ على الصفا فجعل يادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» - لبطون من قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر، ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتم لو أحررتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: «ثألك سائر اليوم، ألهذا جمعتم؟ فنزلت: ﴿ثَبَّتْ يَدَايَ لِي لَهْوَ﴾. البخاري (٤٧٧٠) ومسلم (٢٠٤) عن ابن عباس.

(٢) بالفاء قراءة نافع وابن عامر.

(٣) النساء: ١٤٨.

(٤) البقرة: ١٩٤.

سُورَةُ النَّارِ

[مكية وهي: ثلاث، أو: أربع، أو: خمس وتسعون آية،
نزلت بعد سورة الشعراء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَّ﴾ الله أعلم بمراحه بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْفُرْقَانِ﴾ آيات منه ﴿وَكِتَابٌ حَكِيمٌ﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة.

[٢] هو ﴿هُدًى﴾ هاد من الضلالة ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين به بالجنة.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وهم بالآخرة هم يؤمنون يعلمونها بالاستدلال، وأعيد: ﴿وَهُمْ﴾ لما فصل بينه وبين الخبر.

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَمَهِّوْنَ﴾ يتحiron فيها لقبها عندنا.

[٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أشده في الدنيا القتل والأسر ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[٦] ﴿وَإِنَّكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ﴿لَلْقَى الْقُرْآنَ﴾ يلقي عليك بشدة ﴿مِنْ لَدُنِّهِ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ عَمِيمٍ﴾ في ذلك.

[٧] اذْكُرْ: إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ: زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر: ﴿إِنِّي أَنَا نَسْتُ﴾ أبصرت من بعيد ﴿كَأَنَّكَ سَائِرٌ مِنْهَا يَخْرُجُ﴾ عن حال الطريق، وكان قد ضلها ﴿أَوْ أَتَيْتُكَ﴾ [بشهاب] قيس، بالإضافة للبيان، وتركها^(١) أي: شلعة نار في رأس قبيلة أو عود ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها؛ تستدفئون من البرد.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿بُورِكَ﴾ أي: بارك الله ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ أي: موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: الملائكة أو العكس، وبارك) يعدي بنفسه وبالخرف، ويقدر بعد: في مكان^(٢) ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من جملة ما نودي^(٣) ومعناه: تنزيه الله من السوء.

[٩] ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: الشأن ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[١٠] ﴿وَأَلْقَى عَصَاهُ﴾ فآلقاها ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّمَا جَانٌّ﴾ حية خفيفة ﴿وَلَنْ مُدْبِرًا وَلَنْ يُعْقَبَ﴾ يرجع؛ قال - تعالى -: ﴿يُؤْمِنُونَ لَا تَخَفْ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابٌ مُبِينٌ هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسُونَ وَإِنَّكَ لَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ
لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي أَنَا نَسْتُ نَارًا سَائِرًا
مِنْهَا يَخْرُجُ أَوْ أَتَيْتُكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَمَجَاءَهَا
نُودَى أَنْ بُورِكَ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ يَوْمُوسَى إِنَّهُ وَأَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقَى عَصَاهُ
فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّمَا جَانٌّ وَلَنْ مُدْبِرًا وَلَنْ يُعْقَبَ يَوْمُوسَى لَا تَخَفْ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِّي الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ
سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَبِّكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ
غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ
فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ

منها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِّي﴾ عندي ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ من حية وغيرها.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا﴾ أنه ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾ أي: تاب ﴿فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أقبل التوبة وأغفر له.

[١٢] ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَبِّكَ﴾ طوق قميصك ﴿تَخْرُجُ﴾ خلاف لونها من الأدمة^(٤) ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ برص، لها شعاع يَغْشَى^(٥) البصر، آية ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾^(٦) مرسلًا بها ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ.

[١٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ مضئية واضحة ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يَبِينُ ظَاهِرٌ.

(١) بالإضافة قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون: «بشهاب».

(٢) على تفسيره الأول أن من في النار هو موسى، ويكون: التقدير: أن بورك في مكان النار.

(٣) قال ابن كثير: أي الذي يفعل ما يشاء ولا يشبه شيئًا في مخلوقاته، ولا يحيط به شيء من صنعاته، وهو العلي العظيم المبين لجميع المخلوقات، ولا تكتنفه الأرض والسموات؛ بل هو الأحد احد المزه عن مماثلة المحدثات.

(٤) أي الشمرة، وفي هذا رد على أهل الكتاب وما جاء في كتبهم أنها خرجت برصاء مثل الثلج.

(٥) أي: إن شعاعها يجعل البصر «أعشى»، وفي بعض النسخ: «يغشي» بالغين المعجمة، وهو تصحيف.

(٦) تقدم بيانها في تفسير آية رقم (٧٥) من سورة يونس.

بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿عَلَّ كَثِيرٌ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
 [١٦] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ النبوة والعلم دون باقي أولاده ﴿وَقَالَ يَبْنَئُهَا
 إِنَّا نَحْنُ مُنْقِطُونَ﴾ أي: فهم أصواته ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تواتره
 الأنبياء والملوك ﴿إِنَّ هَذَاكَ الْمَوْتَى﴾ هو الفضل المئين ﴿الْبَيْتُ الظَّاهِرُ﴾.
 [١٧] ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾ في
 مسير له ﴿فَهُمْ يُورِثُونَ﴾ يجمعون ثم يساقون.

[١٨] ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَلَّىٰ وَوَلَّىٰ النَّملُ﴾ هو بالطائف أو بالشام، غله صغار أو
 كبار ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ملكة النمل وقد رأت جند سليمان: ﴿يَبْنَئُهَا النَّملُ
 أَذْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يكسرنكم ﴿سُلَيْمَنُ جُنُودُهُ وَهُوَ لَا
 يَشْعُرُونَ﴾ نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم.

[١٩] ﴿فَتَبَسَّ﴾ سليمان ابتداء ﴿صَاحِبًا﴾ انتهاء ﴿مِن قَوْلِهَا﴾ وقد
 سمعه من ثلاثة أميال، حملته إليه الريح؛ فبسم جنده حين أشرف على
 واديهم حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركبانا ومشاة في هذا السير^(١)
 ﴿وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَّ
 وَعَلَىٰ ذَٰلِكَ رَأَىٰ أَنَّهُ يُفْعَلُ صَاحِبًا رَّضَهُ وَأَذْخُلِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
 الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء.

[٢٠] ﴿وَتَقَدَّرَ الطَّيْرُ﴾ ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدل
 عليه بقره فيها؛ فستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة، فلم يره
 ﴿فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ أي: أعرض لي ما منعي من رؤيته ﴿أَمْ
 كُنَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ فلم أره لغيبته؟ فلما تحققها.

[٢١] قال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّ عَذَابًا﴾ تعذيبا ﴿سَكِيدًا﴾ بنتف ريشه وذنبه
 ورميه في الشمس؛ فلا يمتنع من الهوام^(٢) ﴿أَوْ لَأَذْجِبَنَّ﴾ يقطع حلقومه
 ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي﴾ بنون مشددة مكسورة، أو مفتوحة يليها نون مكسورة^(٣)
 ﴿يُسَاطِنُ ثَيْنٍ﴾ بيهان بين ظاهر على غدره.

[٢٢] ﴿فَمَكَثَ﴾ بضم الكاف وفتحها^(٤) ﴿غَيْرَ يَبِيدٍ﴾ يسيرا من
 الزمن، وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه؛ فعفا عنه
 وسأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحْطَتْ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ﴾ أي: اطلعت على
 ما لم تطلع عليه ﴿وَحِثَّتْكَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ بالصرف وتركه^(٥): قبيلة باليمن،
 سميت باسم جد لهم باعتبارها ضُرِفَ ﴿بَنِيَّ﴾ خبر ﴿يَقِيَنِي﴾.

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
 وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١٧﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَبْنَئُهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنْطِقَ
 الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾
 وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ
 يُورِثُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا تَوَلَّىٰ عَلَىٰ وَادِ النَّملِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَبْنَئُهَا
 النَّملُ أَذْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾ فَتَبَسَّ صَاحِبًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي
 أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
 صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْخُلِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
 ﴿٢١﴾ وَتَقَدَّرَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ
 مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٢﴾ لَأُعَذِّبَنَّهٗ وَعَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْجِبَنَّهٗ
 أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
 أَحْطَتْ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ وَحِثَّتْكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِيَنِي ﴿٢٤﴾

[١٤] ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ لم يقروا ﴿وَوُكِّلَ﴾ قد ﴿اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي:
 تيقنوا أنها من عند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى،
 راجع إلى الجحد ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾
 التي علمتها من إهلاكهم.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿عِلْمًا﴾ بالقضاء بين الناس
 ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَ﴾ شكرا لله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾

(١) مثل هذه التفاصيل لا دليل عليها ولا فائدة في ذكرها، وغالب ما تكون من الأسرار البليات. وقوله: «حملته إليه الريح» يعارض نص الآية؛ فقلوه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَلَّىٰ وَوَلَّىٰ النَّملُ﴾ يعني: وصولهم إليه.

(٢) لا دليل على أن العذاب الذي توعد به سليمان الهدهد هو هذا الذي ذكره المصنف الجلال المحلي، والآية أطلقت لعذاب ووصفته بالشدة.

(٣) وهذه الأخيرة قراءة ابن كثير.

(٤) بالضم قراءة السبعة عدا عاصم.

(٥) قرأ أبو عمرو والبزي بفتح الهمة من غير تنوين، وقرأ قبل بإسكانها.

[٢٣] ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَلَبَّيْتُكُمْ﴾ أي: هي ملكة لهم اسمها «تلقيس» وأوتيت من كُتُبِ شَعْبٍ يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة ﴿وَمَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ طوله ثمانون ذراعًا وعرضه أربعون ذراعًا وارتفاعه ثلاثون ذراعًا، مضروب من الذهب والفضة، مَكْنَلٌ بِالذُّرِّ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، وقوامه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق^(١).

[٢٤] ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ صُدَّ عَنْ النَّبِيلِ﴾ طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

[٢٥] ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ أي: أن يسجدوا له، فريدت «لا» وأدغم فيها نون «أن» كما في قوله - تعالى -: ﴿لَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾^(٢) والجملة في محل مفعول ﴿يَهْتَدُونَ﴾ بإسقاط «إلى» ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ﴾ مصدر بمعنى: المخبوء من المطر والنبات ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾^(٣) في قلوبهم ﴿وَمَا يُغْلِبُونَ﴾^(٤) بالستهم.

[٢٦] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ استئناف، جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس وبينهما يوم عظيم.

[٢٧] ﴿قَالَ﴾ سليمان للبهدهد: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: أم كذبت فيه، ثم دَلَّهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضؤوا ووصلوا، ثم كتب سليمان كتابًا صورته: «من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تلعوا علي وأتوني مسلمين»، ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه^(٥) ثم قال للبهدهد:

[٢٨] ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَكَذَا فَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِمْ﴾ أي: بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّى انصرفت عنهم﴾ وقفت قريبًا منهم ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ يردون الجواب؛ فأخذها وأتاها وحولها جندها وألقاها في حجرها، فلما رآته ارتعدت وخضعت خوفًا، ثم وقفت على ما فيه.

[٢٩] ﴿ثُمَّ﴾ لأشرف قومها: ﴿بَيَّأْتُ الْمُلُوكَ إِلَى﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبيها وإوا مَكْسُورَةً^(٦) ﴿الَّتِي إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ﴾ مخنوم.

[٣٠] ﴿إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُمْ﴾ أي: مضمونه: ﴿وَسِرَّ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٣١] ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالَ بَيَّأْتُ الْمُلُوكَ أَقْنُونِي﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبيها وإوا^(٧) أي: أشيروا علي ﴿فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ قاضيته ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ تحضرون.

[٣٣] ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾ أي: أصحاب شدة في الحرب ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ تَأْمُرِينَ تَطْلَعُ.

إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَلَبَّيْتُكُمْ وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ صُدَّ عَنْ النَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى انصرفت عنهم فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَقْنُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْدَاءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

[٣٤] ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ بالخراب ﴿وَجَعَلُوا أَعْدَاءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مرسلو الكتاب^(٨).

[٣٥] ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ من قبول الهدية أو ردّها؛ إن كان ملكًا قبلها، أو نبيًا لم يقبلها؛ فأرسلت خدما ذكورا وإناثًا ألفًا بالسوية وخمسمائة لبنة من الذهب، وتاجًا مَكْنَلًا بالجواهر ومسكًا وغنيرًا وغير ذلك مع رسول بكتاب؛ فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر؛ فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تيسط من موضعه إلى تسعة فراسخ مبدآنًا، وأن يبنوا حوله حائطًا مشرقًا من الذهب والفضة، وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن من عيين الميدان وشماله^(٩).

(١) لا دليل على مثل هذه التفاصيل ولا فائدة في ذكرها، وسبق التعليق على مثل هذه الإسرائيلية، وأن الأولى في تفسير كلام الله ﷻ أن لا يعتمد إلا ما هو قطعي وأن يترك المفسر تفصيل ما أجمله الله ﷻ.

(٢) الحديد: ٢٩.

(٣) قرأ حفص والكسائي: «تخفون» بالتاء، والياقوت بالياء: «يخفون».

(٤) قرأ حفص والكسائي: «تعلمون» بالتاء، والياقوت بالياء: «يعلمون».

(٥) هذه التفاصيل والدقائق لا دليل عليها ولا فائدة في ذكرها.

(٦) التسهيل لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٨) اختار المصنف أن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هو من تمام كلام المرأة. وقد ذهب غيره إلى أنه من كلام الله تعالى تصديقًا لقولها، وأن الوقف على ﴿وَجَعَلُوا أَعْدَاءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً﴾ وقف تام.

(٩) لا دليل صحيح على ذلك أيضًا، والأولى ترك حشو التفسير بذكره.

[٣٩] ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ هُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ﴾: «أَنَا إِيَّاكَ بِهِ قِيلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ» الذي تجلس فيه للقضاء؛ وهو: من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَأَنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي: على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها، قال سليمان: أريد أسرع من ذلك.

[٤٠] ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ الْمَرْبُوعُ﴾: «أَصِفْ بِنِ بَرَحِيَا»، كان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجيب ﴿أَنَا إِيَّاكَ بِهِ قِيلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت به إلى شيء، فقال له: «انظر إلى السماء» فنظر إليها، ثم رَدَّ بَطْرَفَهُ فوجد موضوعاً بين يديه، ففي نظره إلى السماء دعا «أَصِفْ» بالاسم الأعظم أن يأتي الله به؛ فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان^(١) ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا سَاكِنًا﴾: «عِنْدَهُ قَالَ هَذَا» أي: الإيمان لي به ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ ليعتبرني ﴿وَأَشْكُرُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين الموهلة الأخرى وتركه^(٢) ﴿أَمْ أَكْفَرُ﴾ النعمة ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَكْفُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: لأجلها؛ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنِّي رَجِي عَذَابُ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ بالأنضال على من يكفرها.

[٤١] ﴿قَالَ نَكُرُوا هَٰؤُلَاءِ عَرِشَهُ﴾ أي: غيروه إلى حال تنكره إذا رآته ﴿تَنْظُرُ أَتَهْدُونَ﴾ إلى معرفته ﴿أَمْ كُنْتُمْ مِّنَ الْإِنِّ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفة ما يغير عليهم، قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل: إن فيه شيئاً. فغيروه بزيادة أو نقص وغير ذلك.

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ لَهَا: أَهَٰذَا عَرْشُكَ﴾ أي: أمثل هذا عرشك؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ عرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها؛ إذ لم يقل: أهذا عرشك. ولو قيل: هذا. قالت: نعم. قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلمًا: ﴿وَأَوْبَيْنَا إِلَيْهَا مِّن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْتَبِينَ﴾.

[٤٣] ﴿وَصَدَّهَا﴾ عن عبادة الله ﴿فَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّمَا كُنْتَ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

[٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضاً: ﴿أَدْخُلِي الْمَسْرَحَ﴾ هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك، اصططنه سليمان لما قيل له: «إن ساقياها وقديماها قديمي الحمار»^(٣) ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبَّتْ لِحْيَتُهُ﴾ من الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ لتخوضه، وكان سليمان على سريريه في صدر الصرح فرأى ساقياها وقديماها حسنا ﴿قَالَ لَهَا: إِنَّهُ صَرَحَ مُمَرَّدٌ﴾ ملس ﴿مِّن فَوَارِسٍ﴾ من زجاج، ودعاها إلى الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كائنه ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وأراد تزوجها ففكره شغز ساقياها؛ فعملت له الشياطين الثورة فأزالته بها؛ فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقوم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان^(٤) - روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة - فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِ أَمَّا اتْنِ إِيَّاكَ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٩﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَل لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ الْيَمِينُ يَأْتِيَنِي بِعَرِشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسَلِّمِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا إِيَّاكَ بِهِ قِيلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٤٢﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفَرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَذِيبٌ كَرِيمٌ ﴿٤٣﴾ قَالَ نَكُرُوا وَآلَهَا عَرِشَهَا نَتَرْكُهَا أَتَهْتَدُونَ أَمْ كُنْتُمْ مِّنَ الْإِنِّ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ لَهَا كَافَرْتُمْ كَافَرْتُمْ هَٰؤُلَاءِ أَعْرَضُوا عَنْكُم فَذَرُونَهُمْ سَاءَ مَا كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ وَكُنَّا مُسَلِّمِينَ ﴿٤٥﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٦﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن فَوَارِسٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ الرسول بالهدية معه أتباعه ﴿سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِ أَمَّا اتْنِ إِيَّاكَ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُمْ﴾ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُمْ﴾ من الدنيا ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا.

[٣٧] ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما أتيت من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَل لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا﴾ من بلد سبأ، سميت باسم أبي قبيتهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ إن لم يأتوني مسلمين؛ فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وغلقت الأبواب وجعلت عليها حراً، وتجهزت للمسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به، فارتحلت في اثني عشر ألف قتل، مع كل قتل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها^(١).

[٣٨] ﴿قَالَ يَأْتِيَهَا الْمَلَأُ الْيَمِينُ يَأْتِيَنِي بِعَرِشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسَلِّمِينَ﴾ متفادين طائعين^(٢)، فليأخذها قبل ذلك لا بعده^(٣).

(١) سبق التعليق على هذه الأخبار ونحوها من الإسرائيليات. (٢) أي: من التحقيق وتسهيل الثانية بقلبها واواً مكسورة، وهي ثلاث قراءات سبعة.

(٣) جمهور المفسرين أن هذه المقالة من سليمان محيية هديتها وردها إياها. (٤) قاله قتادة وعطاء وزهير بن محمد وغير واحد، والمعنى أنهم متى أسلموا حرمت أموالهم.

(٥) سبق التعليق على نحو هذه الأخبار، وأنه لا دليل عليها، ولا فائدة في ذكرها.

(٦) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٧) أحسن ما قيل في بناء الصرح هو أنه أراد أن يربها ملكاً أعظم من ملكها ليكون حاملاً لها على أن تسلم. وما قيل غير ذلك فإسرائيليات لا تثبت ولا تليق بمقام النبوة.

(٨) مثل هذه السياقات والدقائق التي ذكرها المفسر الأقرب فيها أنها مثناة عن أصل الكتاب مما يوجد في صحفهم، كروايات كعب ووهب، فيما نقلنا إلى هذه الأمانة من أخبار بني إسرائيل من الأرواب ونغرب والعجائب، مما كان وما لم يكن، ومما خوف ويؤذي ونسيخ، وقد أغنانا الله - سبحانه - عن ذلك بما هو أصح منه وأوضح وأبلغ.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ ﴿١﴾ مِنَ الْقَبِيلَةِ ﴿٢﴾ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ: بَأَن ﴿٣﴾ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴿٤﴾ وَخُذُوا ﴿٥﴾ قِذَاكَ هُمْ قَرِيبَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦﴾ فِي الدِّينِ، فَرِيقٌ مُؤْمِنُونَ مِنْ حِينَ إِرْسَالِهِ إِلَيْهِمْ، وَفَرِيقٌ كَافِرُونَ.

[٤٦] ﴿قَالَ ﴿١﴾ لِلْمُكَذِّبِينَ: ﴿٢﴾ يَتَقَوَّيْ لِمَ سَتَعْمَلُونَ بِالنِّسْيَةِ قَبْلَ الْخِسْيَةِ ﴿٣﴾ أَي: بِالْعَذَابِ قَبْلَ الرَّحْمَةِ؛ حَيْثُ قُلْتُمْ: «إِنْ كَانَ مَا أَتَيْنَا بِهِ حَقًّا فَأَتَانَا بِالْعَذَابِ» ﴿٤﴾ لَوْلَا ﴿٥﴾ هَلَّا ﴿٦﴾ سَتَعْفِرُونَ اللَّهَ ﴿٧﴾ مِنَ الشَّرِكِ ﴿٨﴾ لَعَلَّكُمْ تَرْجِعُونَ ﴿٩﴾ فَلَا تَعْدُونَ؟

[٤٧] ﴿قَالُوا أَلَمْ يَنْزِلْ أَصْلُهُ تَطِيرُنَا؛ أَدْغَمْتَ النَّاءَ فِي الطَّاءِ وَاجْتَلَبْتَ هَمْزَةَ الْوَصْلِ؛ أَي: تَشَاءُ مِنَّا ﴿١﴾ بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ﴿٢﴾ الْمُؤْمِنِينَ؛ حَيْثُ فَجَّطُوا الْمَطَرَ ﴿٣﴾ وَجَاعُوا ﴿٤﴾ قَالَ طَيْرُكُمْ ﴿٥﴾ شُؤْمُكُمْ ﴿٦﴾ عِنْدَ اللَّهِ ﴿٧﴾ أَتَاكُمْ بِهِ ﴿٨﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٩﴾ تَخْتَبِرُونَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

[٤٨] ﴿وَكُنْتَ فِي الْمَدِينَةِ ﴿١﴾ مَدِينَةُ ثَمُودَ ﴿٢﴾ شِعْءٌ رَهْطٌ ﴿٣﴾ أَي: رِجَالٌ ﴿٤﴾ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿٥﴾ بِالْعَاصِي؛ مِنْهَا: قَرْضُهُمُ الدَّنَانِيرَ وَالْدِرَاهِمَ ﴿٦﴾ وَلَا يُصَلِّحُونَ ﴿٧﴾ بِالطَّاعَةِ.

[٤٩] ﴿قَالُوا ﴿١﴾ أَي: قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿٢﴾ تَقَاسَمُوا ﴿٣﴾ أَي: احْلِفُوا ﴿٤﴾ بِاللَّهِ لِنَبِيِّنَا ﴿٥﴾ بِالنُّونِ وَالنَّاءِ وَضِمَّ النَّاءُ الثَّانِيَةَ ﴿٦﴾ وَأَهْلَهُ ﴿٧﴾ أَي: مِنْ أَمْنٍ بِهِ؛ أَي: نَقْتُلُهُمْ لَيْلًا ﴿٨﴾ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ ﴿٩﴾ بِالنُّونِ وَالنَّاءِ وَضِمَّ اللَّامُ الثَّانِيَةَ ﴿١٠﴾ لَوْلِيٍّ ﴿١١﴾ لَوْلِي دَمِهِ ﴿١٢﴾ مَا شَهِدْنَا ﴿١٣﴾ حَضَرْنَا ﴿١٤﴾ إِنْ هَذَا أَهْلُهُ ﴿١٥﴾ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا ﴿١٦﴾ أَي: إِهْلَاكُهُمْ أَوْ هِلَاكُهُمْ؛ فَلَا نَدْرِي مِنْ قَتْلِهِمْ ﴿١٧﴾ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٨﴾.

[٥٠] ﴿وَمَكَرُوا ﴿١﴾ فِي ذَلِكَ ﴿٢﴾ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴿٣﴾ أَي: جَازَيْنَاهُمْ بِتَعْجِيلِ عِقَابِهِمْ ﴿٤﴾ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥﴾.

[٥١] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ ﴿١﴾ أَهْلَكَانَاهُمْ ﴿٢﴾ وَوَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣﴾ بِصَبِيحَةِ جَبْرِيلَ، أَوْ بِرَمِي الْمَلَائِكَةِ بِحِجَارَةٍ يَرُونَهَا وَلَا يَرُونَهُمْ.

[٥٢] ﴿فَقِيلَ لَكَ يُوْنُثُومُ خَاوِيَةً ﴿١﴾ أَي: خَالِيَةً، وَنَصَبَهُ عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى الْإِشَارَةِ ﴿٢﴾ بِمَا ظَلَمُوا ﴿٣﴾ بِظَلَمِهِمْ؛ أَي: كَفَرِهِمْ ﴿٤﴾ وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٥﴾ لَعِبْرَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ قَدَرْتَنَا؛ فَيَتَعَزَّوْنَ.

[٥٣] ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿١﴾ بِصَالِحٍ، وَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ﴿٢﴾ وَكَأَنُورًا يَنْتُورٌ ﴿٣﴾ الشَّرِكِ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالنِّسْيَةِ قَبْلَ الْخِسْيَةِ لَوْلَا تَسْتَعْفِرُونَ اللَّهَ لَعَدَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيعْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَسْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيٍّ هُـ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكِ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَمَكَرُوا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبَلَّغْنَا لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَأَنُورًا يَنْتُورٌ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ طَافَ الْأَرْضُ لَقَوْمِهِ أَتَانُوتُ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُجَاهِلُونَ ﴿٥٥﴾

[٥٤] ﴿وَلَوْ طَافَ ﴿١﴾ مَنْصُوبٌ بِ«اذْكُرْ» مَقْدَرًا قَبْلَهُ، وَيُبْدِلُ مِنْهُ: ﴿٢﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِيهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ ﴿٣﴾ أَي: اللَّوْاطَ ﴿٤﴾ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ أَي: يَبْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنَّمَا كُنَا فِي الْمَعْصِيَةِ؟

[٥٥] ﴿أَيْنَكُمُ ﴿١﴾ بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَيْنِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِينِ ﴿٢﴾ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُجَاهِلُونَ ﴿٣﴾ عَاقِبَةُ فَعَلِكُمْ.

(١) أَي: احْتَسِبْ عَنْهُمْ الْمَطَرُ.

(٢) بِالنَّاءِ وَضِمَّ النَّاءُ الثَّانِيَةَ قِرَاءَةُ حِمَزَةٍ وَالْكَسَائِي.

(٣) بِالنَّاءِ وَضِمَّ اللَّامُ الثَّانِيَةَ قِرَاءَةُ حِمَزَةٍ وَالْكَسَائِي.

(٤) بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ اللَّامِ قِرَاءَةُ السَّيِّئَةِ عِدَا عَاصِمٍ، وَفَرَأَ شُعْبَةً بِفَتْحِهَا وَخَفَضَ بِكسر اللَّامِ.

(٥) وَهَذَا تَأْوِيلُ لِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي أَتَيْنَاهَا رَبَّنَا لَنَنْجِيَنَّهُ لِنَفْسِهِ، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الصِّفَاتِ إِثْبَاتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ. شَيْخَانَهُ، هِيَ فِيمَا سَبَقَتْ لَهُ مَدْحٌ وَكَمَالٌ، وَلَكِنْ لَا تَطْلُقُ عَلَيْهِ تَعَالَى مُحَرَّرَةً بِدُونِ ذِكْرِ تَعَلُّقِهَا، وَكَذَا لَا يَشْتَقُّ لَهُ اسْمٌ أَوْ صِفَةٌ مِنْهَا؛ فَلَا يَقَالُ: مَاكُرٌ وَلَا مُخَادَعٌ.

(٦) سَهْلُ الثَّانِيَةِ مَعَ إِدْخَالِ الْأَلْفِ قَالُونَ وَأَبُو عَمْرٍو، وَمَنْ غَيْرُ إِدْخَالِ وَرَشٍ وَابْنٌ كَثِيرٌ وَحَقَّقَهَا هِشَامٌ مَعَ الْإِدْخَالِ وَعَدَمُهُ، وَبَقِيَّةُ السَّيِّئَةِ كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِدْخَالٍ.

الْعَذَابِ ﴿٥٨﴾ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.

[٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل فأهلكهم

﴿فَسَاءَ﴾ يس ﴿مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ بالعذاب مطرهم.

[٥٩] ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿الْحَسْبُ إِلَهُهُ﴾ على هلاك الكفار من الأمم الخالية

﴿وَسَلَّمَ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾ هم ﴿عَالَمَهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال

الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(١) ﴿خَيْرٌ﴾

من يعبدُه ﴿أَمَّا﴾ [تُشْرِكُونَ] ﴿بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ﴾^(٢) أي: أهل مكة به؛ أي: الآلهة

خير لعبديها.

[٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَنْبَتْنَا فِيهِ الثَّمَاتِ مِنَ الْغَيْبِ إِلَى التَّكْلِمْ﴾ به ﴿هَذَا﴾ جمع حقيقة؛

وهو: البستان المحوط ﴿ذَلِكَ بِهَجْرَةٍ﴾ حُشِنَ ﴿مَا كُنَّا لَكُمْ أَنْ تُخْبِتُوا

شَجَرَهُ﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿أَوَّلَهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية

وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضع السبعة^(٣) ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ أعانه

على ذلك؛ أي: ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون بالله غيره.

[٦١] ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ فيما

بينها ﴿أَنْهَارًا﴾ وجعل لها رؤسًا ﴿جبالاً أثبت بها الأرض﴾ و﴿جَعَلَ بَيْنَ

الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَوَّلَهُ﴾ مع

اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيده.

[٦٢] ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿إِذَا دَعَا

وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ الإضافة

بمعنى: في؛ أي: يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَوَّلَهُ﴾ مع اللَّهِ قَلِيلًا مَا

[تَذَكَّرُونَ] ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالفوقانية والتحتانية^(٤)، وفيه إدغام التاء في الذال،

و﴿مَا﴾ زائدة لتقليل القليل.

[٦٣] ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ

وَالْبَحْرِ﴾ بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ﴾ بُشْرًا

بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر ﴿أَوَّلَهُ﴾ مع اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

به غيره.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا أَلْ لُوطِ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ وَقَدَرْنَاهَا مِنَ الْعَذَابِ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِكُلِّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِكُلِّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿

[٥٦] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا أَلْ لُوطِ﴾ أهله ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ من أذبار الرجال.

[٥٧] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ وَقَدَرْنَاهَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿وَمِنْ

(١) هذا سبق قلم من الشارح؛ لأن هذه الوجوه لم يقرأ بها أحد من القراء، وغاية ما أجازوه: وجهان فقط؛ تسهيل الثانية مقصورة، وإبدالها ألفاً ممدودة مثلاً لازماً.

(٢) بالناء قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو.

(٣) أي وتركه، وقوله: «في مواضع السبعة» أي: موضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم للمكسورة، وهي لفظ (أله) خمس مرات (وأثنا) و(أثنا). وانظر التعليق على الآية رقم (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) بالتحتانية مع تشديد الذال قراءة أبي عمرو وهشام، وقراءة الباقيين بالناء لكن مع التشديد لافع وابن كثير وابن ذكوان وشعبة، ومن غير تشديد لخص وحزمة والكسائي.

[٦٤] ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُبْعِدُهُ﴾ بعد الموت، وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَنْ يَرْفَعُ رَجُلًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ أي: لا يفعل شيئاً مما ذكر إلا الله، ولا إله معه ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هَاسِرًا يُهَنِّئُكُمْ﴾ حجتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن معي إلهاً فعل شيئاً مما ذكر، وسألوهُ عن وقت قيام الساعة؛ فنزل: [٦٥] ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿اللَّهُ﴾ يعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: كثر مكة كثيرهم ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

[٦٦] ﴿قُلْ﴾ بمعنى: هل ﴿أَذْرَكَ﴾^(١) وزن أكرم، وفي قراءة أخرى: ﴿أَذْرَكَ﴾ بتشديد الدال، وأصله تدارك؛ أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، واحتجبت همزة الوصل؛ أي: بلغ ولحق، أو تنابع وتلاحق ﴿عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: بها حتى سألوا عن وقت مجيئها، ليس الأمر كذلك ﴿قُلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ فِيهَا عَمَوْنَ﴾ من عمي القلب، وهو أبلغ مما قبله، والأصل «عميون»؛ استقلت الضمة على الباء فقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

[٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أيضاً في إنكار البعث: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَنبَاءَ لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبور.

[٦٨] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنَّا﴾ ما ﴿هَٰذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ﴾ جمع أسطورة بالضم؛ أي: ما سطر من الكذب.

[٦٩] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بإنكارهم^(٢)؛ وهي: هلاكهم بالعذاب.

[٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ تسليية للنبي ﷺ أي: لا تهتم بمكرهم عليك؛ فإننا ناصرك عليهم.

[٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟

[٧٢] ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفٌ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فحصل لهم القتل بيدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت.

[٧٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بأنسنتهم.

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ تُرْعِدُهُ وَمَنْ يَرْفَعُ رَجُلًا مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاسِرًا يُهَنِّئُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ
لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ هُمْ فِي
شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ فِيهَا عَمَوْنَ قُلْ اللَّهُ يَبْعَثُ الْفَرَسَ كَقَوْلِهِمْ
كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَنبَاءَ لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا
نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنَّا هَٰذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَىٰ
أَن يَكُونَ رَدِفٌ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَافِلَةٍ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ
يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

[٧٥] ﴿وَمَا مِنْ غَافِلَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الهاء للمباغاة؛ أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يبين؛ هو: اللوح المحفوظ، ومكنون^(٣) علمه - تعالى -، ومنه تعذيب الكفار.

[٧٦] ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يُفَصِّلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الموجودين في زمان نبينا ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: بيان ما ذكر على وجهه الراجع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا.

(١) وهي فراعة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون: ﴿أَذْرَكَ﴾.

(٢) في نسخة: «إنكارهم».

(٣) وهذا تفسير ثانٍ، قالوا هنا بمعنى (أول).

بتوحيد الله.

[٨٢] ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تكلم الموجودين حين خروجها بالبرية، تقول لهم من جملة كلامها عنا: ﴿[إِنَّ] النَّاسَ كُفَرَاءٌ﴾ (١) وعلى قراءة: فتح همزة ﴿[إِنَّ]﴾ (٢) تقدر الباء بعد ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ ﴿كَانُوا يَتْلَوْنَ﴾ لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر (٣)، كما أوحى الله إلى نوح: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا﴾ من قومك إلا من قد آمن (٤).

[٨٣] ﴿ذِكْرٌ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ تَخْشَىٰ مِنْ كُلِّ امْتِعَةٍ فَتَهْجُرُهُمْ جَمَاعَةٌ﴾ جماعة ﴿وَمَنْ يَكْذِبْ يَكَلِّبْنَا﴾ وهم رؤساؤهم المتبعون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يجمعون برد آخرهم إلى أولهم، ثم يساقون.

[٨٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم: ﴿أَكَذَّبْتُمْ﴾ أنبيائي ﴿يَتْلَوْنَ وَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ من جهة تكذيبكم ﴿يَا عِلْمَاءُ أَتَمَّ﴾ فيه إدغام «ما» الاستفهامية (١) ﴿ذَلِكَ﴾ موصول، أي: ما الذي ﴿كُتِّمْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مما أمرتم به؟

[٨٥] ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ حق العذاب ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَخْفَوْنَ﴾ إذ لا حجة لهم.

[٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿أَلِيلَ لَيْسَكُنَّ فِيهِ﴾ كغيرهم ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بمعنى: يصير فيه ليصرفوا فيه ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَايِسَتْ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوصا بالذكر لا تنفاهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[٨٧] ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى من إسرافيل ﴿فَفَزِعَ﴾ من في السموات ومن في الأرض، خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى: ﴿فَصَوَّبَ﴾ والشعير فيه بالماضي؛ لتحقيق وقوعه. ﴿إِلَّا مَن شَاءَ﴾

الله: أي: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء؛ إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون. ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه: أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَنفُسٌ﴾ بصيغة الفعل، واسم الفاعل (١) ﴿ذَخِيرِينَ﴾ صاغرين، والشعير في الإتيان بالماضي لتحقيق وقوعه.

[٨٨] ﴿وَنَرَىٰ الْجِبَالَ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تَحْسِبُهَا﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها لمعلمها ﴿وَجِئَ نَمْرٌ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ المطر (٢) إذا ضربته الريح؛ أي: تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبهوثة، ثم تصير كالعجن، ثم تصير هباء منثورا (٣) ﴿صَنَعَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله؛ أي: صنع الله ذلك صنعا ﴿الَّذِينَ أَنْفَخُوا﴾ أحكم ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُمْ خَيْرٌ مِّمَّا يَفْعَلُونَ﴾ بالباء والتاء (٤) أي:

وَأَنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا أُولُوا مَذْبِيعِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَتَىٰ بِهْدَىٰ الْعُمَىٰ عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمَعُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ تَخْشَىٰ مِنْ كُلِّ امْتِعَةٍ فَتَهْجُرُهُمْ جَمَاعَةٌ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ أَكْذَبْتُمْ يَتْلَوْنَ وَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَمْ يَخْطُوبُوا بِهَا عِلْمًا أَمَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَخْفَوْنَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَّ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنفُسٍ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَنَرَىٰ الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

[٧٧] ﴿وَأَنَّهُ لَهْدَىٰ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العذاب.

[٧٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِ﴾ أي: عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به، فلا يمكن أحدا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه.

[٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ نفي به ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ الدين البين، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعُمى، فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الباء (١) ﴿وَلَوْ أُولُوا مَذْبِيعِينَ﴾.

[٨١] ﴿وَمَا أَتَىٰ بِهْدَىٰ الْعُمَىٰ عَنْ صَلَاتِهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفعال وقبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُمْ مُسْمَعُونَ﴾ مخلصون

(١) التسهيل لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) وغيرهم.

(٤) كما عند مسلم في الإيمان (١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ثلاث إذا خرجن لا يقع نفس إيمانها، لم تكن أمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها حيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» رواه مسلم (١٥٨).

(٥) هود: ٣٦.

(٧) يقرأ بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو: أي: «عائوه»، وهي قراءة السبعة عدا حفص وحزمة.

(٩) هذا الذي ذهب إليه المفسر من أن المراد بتسيير الجبال ما يقع يوم القيامة هو قول أكثر المفسرين، ورجح البعض أن المراد بذلك في الدنيا، ويكون إشارة إلى دوران الأرض، بحسبها أهلها ساكنة وهي متحركة، لأن قوله: ﴿وَنَرَىٰ الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ لا يناسب مقام التهليل والتهويل، وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ أَنْفَخُوا كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا يناسب مقام الإبادة والإهلاك. ولأن سير الجبال للقاء يوم القيامة يحصى عند إهلاك جميع الخلق وهذا لا يراه أحد من البشر، كما أنه إذا رآه أحد شعر به، فيحس بحركتها، وهذا يناقض قوله: ﴿تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ وعليه فنكون هذه الآية وما قبلها من قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ﴾ اعتراضا في سياق الآيات الدالة على أحوال الحشر وأحوال يوم القيامة. فالله أعلم بمراده.

(١٠) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

(٣) بالكسر لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) كما عند مسلم في الإيمان (١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ثلاث إذا خرجن لا يقع نفس إيمانها، لم تكن أمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها حيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» رواه مسلم (١٥٨).

(٥) هود: ٣٦.

(٧) يقرأ بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو: أي: «عائوه»، وهي قراءة السبعة عدا حفص وحزمة.

(٩) هذا الذي ذهب إليه المفسر من أن المراد بتسيير الجبال ما يقع يوم القيامة هو قول أكثر المفسرين، ورجح البعض أن المراد بذلك في الدنيا، ويكون إشارة إلى دوران الأرض، بحسبها أهلها ساكنة وهي متحركة، لأن قوله: ﴿وَنَرَىٰ الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ لا يناسب مقام التهليل والتهويل، وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ أَنْفَخُوا كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا يناسب مقام الإبادة والإهلاك. ولأن سير الجبال للقاء يوم القيامة يحصى عند إهلاك جميع الخلق وهذا لا يراه أحد من البشر، كما أنه إذا رآه أحد شعر به، فيحس بحركتها، وهذا يناقض قوله: ﴿تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ وعليه فنكون هذه الآية وما قبلها من قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ﴾ اعتراضا في سياق الآيات الدالة على أحوال الحشر وأحوال يوم القيامة. فالله أعلم بمراده.

(١٠) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.

[٨٩] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ أَجْرٌ لَا يُولَى إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: (لا إله إلا الله) يوم القيامة ﴿فَلَمْ يَخِرْ﴾ ثواب ﴿يَنْهَا﴾ أي: بسببها، وليس للتفضيل؛ إذ لا فعل خير منها^(١)، وفي آية أخرى: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٢) ﴿وَهُمْ﴾ الجاعون بها ﴿بَيْنَ﴾ [فَرْجَ يَوْمَيْنِ] بالإضافة وكسر الميم وفتحها، و﴿فَرْجَ﴾ منوناً وفتح الميم^(٣) ﴿مَا يَمُوتُونَ﴾.

[٩٠] ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي: الشرك ﴿فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ بأن وُثِّقَتْ، وذكر الوجه؛ لأنها موضع الشرف من الحواس، فغيرها من باب أولى، ويقال لهم تَبَكَّيْتُ: هَلَّ ﴿مَا﴾ تُجَزَّوْنَ إِلَّا ﴿جَزَاءً﴾ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ من الشرك والمعاصي.

[٩١] قل لهم: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَقْبَلَ رِجْلَ هَٰذَا الْبَلَدِ﴾ أي: مكة ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ جعلها حراماً أمناً لا يسفك فيها دم إنسان، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد صيدها، ولا يختلئ خلاها^(٤)، وذلك من النعم على قريش - أهلها - في رفع الله عن بلدهم العذاب، والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿وَلَمْ﴾ - تعالى - ﴿كُنْ شَيْءٌ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكة ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ لله توحيد.

[٩٢] ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ له ﴿فَلَنَمَّا يَتَذَكَّرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: لأجلها، فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿تَقَلَّ﴾ له: ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ المخوفين، فليس عليّ إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٩٣] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ عَمَّا يَشْرُكُونَ﴾ فآراهم الله يوم بدر القتل والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِمُتَعَدِّلٍ عَلَيْهِ﴾ [يَعْمَلُونَ] بالياء والتاء^(٥)، وإنما يجهلهم لوقفهم.

سُورَةُ الْقَصَصِ

[مكية إلا: ﴿إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ الآية، نزلت بالجحفة، وإلى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى: ﴿لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾، وهي: سبع، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد النمل]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿طَسَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.
[٢] ﴿يَلُوكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿مَا يَنْتُ الْكِتَابَ﴾ الإضافة بمعنى: من ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ المظهر الحق من الباطل.
[٣] ﴿تَتْلُو﴾ نقص ﴿عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ﴾ خبر ﴿مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُوَ مَنْ فَرَعَ يَوْمَئِذٍ أَمْوُنَ^(١) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجَزَّوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(٢) إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَقْبَلَ رِجْلَ هَٰذَا الْبَلَدِ^(٣) الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ^(٤) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ^(٥) فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلَنَمَّا يَتَذَكَّرُ لِنَفْسِهِ^(٦) وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ^(٧) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ عَمَّا يَشْرُكُونَ^(٨) فَتَعَرَّفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِمُتَعَدِّلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ^(٩)

سُورَةُ الْقَصَصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ^(١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ^(٢) نَسُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيِّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ^(٣) إِبْرَ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَدَّيْنِ^(٤) أَبْنَاءَهُمْ وَبَسْتَحَىٰ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ^(٥) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ^(٦)

الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأجلهم؛ لأنهم المنفعون به.

[٤] ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تَعَظَّمَ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقاً في خدمته ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ هم: بنو إسرائيل ﴿يَدَّيْنِ أَبْنَاءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَبَسْتَحَىٰ نِسَاءَهُمْ﴾ يستنقبهن أحياء؛ لقول بعض الكهنة له: «إِنْ مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك» ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره.

[٥] ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء^(١)، يُقْتَدَى بهم في الخير ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ثلث فرعون.

(١) هذا قول كثير من المفسرين، وقيل بل هي للتفضيل، والمراد ثواب الله ورضوانه خير من عمل العبد وقوله وذكره. ذلك أن بعض المفسرين رجع أن المراد بالحسنة هنا يعم جميع الحسنات قولية أو فعلية أو قلبية، وهو هنا أقل التفضيل، فقد بين - سبحانه - في سورة الأنعام أن له عشر أمثاله.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) بالإضافة مع كسر الميم قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. ومع فتحها قراءة نافع، وقرأ الباقون منوناً وفتح الميم [فَرْجَ يَوْمَيْنِ].

(٤) أي لا يقطع حشيشها الرطب.

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٦) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

وألقته في بحر النيل ليلاً.

[٨] ﴿فَالْقَلْبَ لَهَا﴾ بالتأبوت صبيحة الليل ﴿ءَالُ﴾ أعوان ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوضعه بين يديه، وفتح وأخرج موسى منه وهو يصير من إبهامه لبناً^(١) ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عقبه الأمر ﴿عَذَابًا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة^(٢): بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كـ«أحزنه» ﴿إِنَّكَ فِرْعَوْنٌ وَهَنَّ﴾ وزيره ﴿وَيُؤَدُّهُمَا كَانُوا خَطِيئِينَ﴾ من الخطيئة؛ أي: عاصين؛ فعوقبوا على يديه.

[٩] ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد هم مع أعوانه بقتله هو: ﴿فَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بعاقبة أمرهم معه.

[١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لما علمت بالنقطة ﴿فَرِيغًا﴾ مما سواه ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ أي: بأنه ابنها ﴿وَلَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَّ قَلْبَهَا﴾ بالصبر، أي: شككاه ﴿لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب ﴿وَلَوْلَا﴾ دل عليه ما قبلها.

[١١] ﴿وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ﴾ مريم: ﴿قُصِيصِي﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصَّرْتَهُ بِهِ﴾ أبصرته ﴿عَن جُثِيٍّ﴾ من مكان بعيد اختلاسا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته وأنها ترقبه.

[١٢] ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل رده إلى أمه؛ أي: منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه؛ فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته: ﴿هَلْ أَتَاكَ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنوهم عليه ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ﴾ وفسرت ضمير: ﴿لَهُ﴾ بالملك، جواباً لهم^(٣)، فأجبت فجاءت بأمه؛ فقبل ثديها، وأجابته عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن؛ فأذن لها في إرضاعه في بيتها؛ فرجعت به؛ كما قال - تعالى -: [١٣] ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ﴾ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا بِلِقَائِهِ ﴿وَلَا تَحْزَنُ﴾ حينئذ ﴿وَلَتَسْلَمَنَّ﴾ وَعَدَ اللَّهُ بِرَدِّهِ إِلَيْهَا ﴿حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بهذا الوعد، ولا بأن هذه أخته وهذه أمه، فمكث عندها إلى أن قطعت، وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار، وأخذتها لأنها مال حربي، فأنت به فرعون فترى عنده كما قال - تعالى - حكاية عنه في سورة الشعراء: ﴿أَلَمْ تَرَ يَتْلُوكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾^(٤).

وَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَّنْ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧﴾ فَالْقَلْبَ لَهَا ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَّتْ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَطِيلِينَ ﴿١٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيغًا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ وَلَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَّ قَلْبَهَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ قُصِيصِي بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴿٢٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَتَسْلَمَنَّ أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾

[٦] ﴿وَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام ﴿وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَّنْ وَجُنُودَهُمَا﴾ وفي قراءة^(١): ﴿وَنَرِي﴾ بفتح النحائية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿يَنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه.

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ وحي إلهام، أو: منام ﴿إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ البحر؛ أي: النيل ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لغرافه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر، لا يبكي، وخافت عليه؛ فوضعت في تابوت مطلي بالقار من داخل مهد له فيه، وأغلقت،

(١) حمزة والكسائي.

(٢) هذه التفصيلات لا فائدة من ذكرها، ولا دليل عليها؛ فالأولى أن يسان التفسير عنها.

(٣) حمزة والكسائي.

(٤) لا يمنع أن يكون قولها: ﴿وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ﴾ أي لطف؛ فلا يقصرون في خدمته وتربيته. وصنيع المصنف بشر إلى ما جاء عن ابن عباس: أنها لما قالت ذلك أخذوها وشكروا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك نصيحهم له وشققهم عليه؟ فقالت: إنما أردت: وهم للملك ناصحون؛ فخلصت بذلك من الشر.

(٥) الشعراء: ١٨.

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو: ثلاثون سنة، أو: ثلاث ﴿وَأَسْتَوَى﴾ أي: بلغ أربعين سنة^(١) ﴿وَأَتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعَلَّمَاهُ﴾ فقها في الدين قبل أن يبعث نبيًا^(٢) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿يَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

[١٥] ﴿وَرَدَّعَلَى﴾ موسى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ مدينة فرعون؛ وهي: «منف» بعد أن غاب عنها مدة ﴿وَعَلَى بَيْنِ غَمْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ وقت القبلولة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ﴾ أي: إسرائيلي ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي: قبطي يُسَخِّرُ الإِسْرَائِيلِي لِيَحْمِلَ حَطْبًا إِلَى مَطْبَخِ فِرْعَوْنَ ﴿فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فقال له موسى: خَلِّ سَبِيلَهُ. فقبل: إنه قال لموسى: «لقد هممت أن أحمله»^(٣) عليك ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾ أي: ضربه بجمع كفه، وكان شديدة القوة والبطش ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ قتله، ولم يكن قصد قتله^(٤)، ودفنه في الرمل ﴿قَالَ هَذَا الَّذِي قَتَلْتَنِي﴾ من عمل الشيطان، المهيج غضبي ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ لِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ له ﴿مُتَيْبٌ﴾ يبين الإضلال.

[١٦] ﴿قَالَ﴾ نادما: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَاعْفُ رِيَّ فَعَفَّرَ لَهُ﴾ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. أي: المتصف بهما أرلا وأبدا.

[١٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ﴾ بحق إنعامك^(٥) ﴿عَلَى﴾ بالمغفرة، اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا﴾ عونًا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين بعد هذه، إن عصمتني.

[١٨] ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتل ﴿فَإِنَّا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِعُهُ﴾ يستغيث به على قبطي آخر ﴿قَالَ لَمْ يَأْتِكُ لَكَ لَعُونٌ مُبِينٌ﴾ يبين الغواية لما فعلته الأمس واليوم.

[١٩] ﴿وَلَمَّا أَنْ زَادَتْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ موسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظانًا أنه يبطش به لما قال له: ﴿يَتَمَوَّسَعُ أَثَرِيْدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ ما ﴿ثَرِيْدُ﴾ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا ثَرِيْدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿فَسَمِعَ الْقِطْطِي ذَلِكَ؛ فَعَدِمَ أَنْ الْفَاتِلَ مُوسَى؛ فَانْطَلَقَ إِلَى فِرْعَوْنَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ؛ فَأَمَرَ فِرْعَوْنَ الدَّاهِيْنَ بِقَتْلِ مُوسَى؛ فَأَخْلَدُوهُ فِي الطَّرِيقِ إِلَيْهِ.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ هو: مؤمن آل فرعون ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ آخرها ﴿يَسْعَى﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قَالَ يَتَمَوَّسَعُ إِدْرِي﴾

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَى، أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعَلَّمَاهُ وَكَذَلِكَ يُجْرِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَمْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَى فَلَئِنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ۝ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِعُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوْنٌ مُبِينٌ ۝ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَتَمَوَّسَعُ أَثَرِيْدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ۝ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَتَمَوَّسَعُ إِدْرِي ۝ فَأَخْرَجُوا بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرَجَ إِيَّيْكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۝ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝

الَسَدُّ ۝ من قوم فرعون ﴿يَأْتِمُرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ فأخرجك من المدينة ﴿إِيَّيْكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج.

[٢١] ﴿وَجَاءَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ خَوْفٌ طَالِبٌ، أو غَوَتْ اللُّوْإِيَاهُ ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قوم فرعون.

(١) الأطهر أن يبع الأشد مع الاستواء إشارة إلى عمر واحد، لا عميرين كما ذهب إليه المفسر، وأما تحديده بعمر معين فالغالب أن يكون ذلك في نحو الأربعين، حيث كمال القوة واعتدال المراج، وهما بلوغ الأشد والاستواء.

(٢) وقيل: المراد بالعلم أو بالحكم والعلم النبوة، وهو الأطهر، وهو الذي يتناسب مع قوله: ﴿رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَى﴾ فقد فسرها. أي النعمة. هنا بالمغفرة، ولا علم لموسى الخطيئة بذلك إلا بالوحي. وأما ائقتل فوقع منه على سبيل الخطأ، وأما استغفاره فوجهه والله أعلم أن سبب خطيئته الخطيئة هو شدة الغضب والتعجل في الانتقام، ولا يليق هذا بكانته كني، وقيل: وجه استغفاره أنه لم يكن لئبي أن يقتل حتى يؤمر.

(٣) أي الخطب.

(٤) أخرج مسلم في صحيحه (٢٩٠٥) من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وإن الفتنة تجي من هاهنا. وأومأ بيده نحو المشرق. من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، وإما قول موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله ﷻ له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

(٥) قاله عنه للقس، واختار غيره أن المراد بسبب ما أنعمت به علي؛ فإياه حينئذ سببية.

وفي قراءة^(٦): ﴿يُضَيِّرُ﴾ من الرباعي؛ أي: يصرفون مواشيهم عن الماء ﴿وَأُولَئِكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي.

[٢٤] ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربيهما، رَفَعَ حجراً عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ لِسُفْرَةٍ^(٧) من شدة حر الشمس، وهو جامع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَوَيْلٌ﴾ محتاج؛ فرجعنا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانت ترجعان فيه، فسألهما عن ذلك فأخبرتا به عن سقى لهما، فقال لإحداهما: «ادعيه لي»، قال - تعالى -: [٢٥] ﴿لَجَاءَهُمَا إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ أي: واضعة كُمٍ دُزِيعَهَا على وجهها حياءً منه ﴿فَالْتِ إِتَى يَدْعُوكَ لِجَرِيكَ﴾ أي: سَمِعَتْ لَنَا ﴿فَأَجَابَهَا مَكْرًا فِي نَفْسِهِ أَخَذَ الْأُجْرَةَ﴾ كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريداه، فمشى بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقها؛ فقال لها: امشي خلفي واديني على الطريق. ففعلت إلى أن جاء أباهما؛ وهو: شعيب - عليه السلام^(٨) - وعنده عشاء، فقال: اجلس فتعش. قال:

أخاف أن يكون عوضاً مما سقيت لهما، وأنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضاً. قال: لا، عادي وعادة آبائي تُقْرَى الضيف وتُطْوَمُ الطعام. فأكل وأخبره بحاله^(٩)، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَوَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصُ﴾ مصدر بمعنى: المقصوص؛ من قُتِلَ القبطي، وقصدهم قُتِلَ، وخوفه من فرعون ﴿فَقَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين.

[٢٦] ﴿فَالْتِ إِحْدَاهُمَا﴾ وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى: ﴿يَتَأْتِيَّ اسْتَنْجِرُهُ﴾ اتخذها أجيروا يرعى غنما بدلنا ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَنْجَرْتَ الْقَوَى الْأَخْيَرِينَ﴾ أي: استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنه، فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر، ومن قوله لها: «امشي خلفي»^(١٠) وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعها؛ فرغب في إنكاحه.

[٢٧] ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ وهي الكبرى أو الصغرى ﴿عَلَّيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ تكون أجيروا لي في رعي غنمي ﴿تَمْشِي حِجَابٌ﴾ أي: سنين ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: رعي عشر سنين ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ التمام ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بأشراط العشر ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلتَّبَرِّ﴾^(١١) ﴿بِرَّكَ الْفَصْلَيْنِ﴾ الوافين بالعهد.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قتله ﴿يَبْنِي وَيَنْبُدُ أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ﴾ الثمان أو العشر، و«ما» زائدة؛ أي: رعيه ﴿فَقَضَيْتُ﴾ به؛ أي: فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكَيْلٌ﴾ حفيظ أو شهيد؛ فتم العقد بذلك، وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصي الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة، فأخذها موسى يعلم شعيب^(١٢).

وَلَمَّا تَوَجَّهَ بِلِقَاءِ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا شَيْءَ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأُتُوْنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجَرِيكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَوَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَأْتِيَّ اسْتَنْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مِّنْ اسْتَنْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

[٢٢] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ قصد بوجهه ﴿بِلِقَاءِ مَدْيَنَ﴾ جهتها؛ وهي قرية شعيب، مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بـ«مدين بن إبراهيم»، ولم يكن يعرف طريقها ﴿فَقَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: قصد الطريق؛ أي: الطريق الوسط إليها؛ فأرسل الله ملكاً بيده عِزَّةٌ فانطلق به إليها^(١٣).

[٢٣] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ بئر فيها أي: وصل إليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿وَمِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ سواهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسى لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا شَيْءَ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ﴾ جمع راع؛ أي: يرجعون من سقيهم خوف الزحام فنسقي،

(١) وهذه لتفصيل لا دليل عليها ولا حاجة إليها، والغالب أنها من الإسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب، ونخبر إرسال الملك إلى موسى ﷺ ليدله على الطريق، رواه ابن جرير عن السدي الصغير وهو كذاب. (٢) والقراءة المذكورة أولاً لأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُضَيِّرُ﴾. (٣) وهي شجرة مرتفعة ليستظل بها.

(٤) في الجزء بأنه شعيب - عليه السلام. نظروا وقد اختلف أهل التفسير في ذلك على أقوال، والأرجح وما إلى به كثير كونه غيره؛ لأن شعيباً النبي كان قبل موسى بمدة طويلة تزيد على أربعمئة سنة. ثم يبعد أن يترك قوم المؤمنين به بذته يعملن ويسقين ولا يقوما عنهن بذلك، والله أعلم.

(٥) هذه التفاصيل ونحوها مما ذكره المفسر من كيفية سقي موسى - عليه السلام - لهما لا دليل عليها، وإنما يتساهل رحمه الله في الاعتماد على الإسرائيليات، وقد سبق التعليق على ذلك. (٦) روي هذا عن ابن عباس كما في مجمع الزوائد (٢٠٤/٨) وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط والبرز، وفي إسناد الطبراني عديد بن أبي عمران الجوني؛ ضعه ابن معين وغيره، ووثقه ابن حبان، وبقية رجال الطبراني ثقات». وأخرج نحوه الحاكم في مستدركه (٤٤١/٢) عن عمر بن الخطاب وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٧) قال المصنف ذلك بناء على اختياره أن الرجل الصالح هو شعيب النبي ﷺ؛ فيكون صلاحه محققاً. وسبق بيان الراجح في ذلك وأنه غيره.

(٨) لا دليل على هذه التفاصيل، فالأولى الانقصار على ما أخبرنا الله - سبحانه - به. وسبق بيان أن أبا المراءين ليس شعيب النبي على الراجح.

[٢٩] ﴿فَلَمَّا فَصَّي مُوسَىٰ أَلْحِلْ لِي زَوْجَتِي﴾ أي: رعيه؛ وهو: ثمان أو عشر سنين، وهو المظنون ﴿وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾ زوجته ياذن أبيها نحو مصر ﴿وَأَنشَرَهُ﴾ أبصر من بعد ﴿وَمِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿كَارًا قَالَ لِأَهْلِيهِ امْكُثُوا﴾ هنا ﴿إِنِّي كَأَنُتُّ نَارًا لَّعَلِّي مَأْتِيكُمْ﴾ ومنها ﴿يَخْرُجُ﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ بثلاث الجيم^(١)؛ قطعة وشعلة ﴿مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلي بالنار؛ بكسر اللام وفتحها.

[٣٠] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِهَا جَانِبَ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ لموسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ موسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ بدل من: ﴿شَاطِئِهَا﴾ بإعادة الجار لبيانها فيه؛ وهي: شجرة غائب أو علق أو غوسج^(٢) ﴿وَأَنَّ﴾ مفسرة، لا مخففة ﴿يَمُوسَىٰ﴾ إمّا ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٣١] ﴿وَأَنَّ أَتَىٰ عَصَاكَ﴾ فالحقاها ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَزَّتْ﴾ تحركت ﴿كَأَنَّمَا جَاءَتْ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَمْ يَذْكُرْ﴾ هاربا منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي: يرجع؛ فنودي: ﴿يَمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾.

[٣٢] ﴿أَسْلَكَ﴾ أدخل ﴿يَدَكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ هو طوق القميص، وأخرجها ﴿فَخَرَجَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة^(٣) ﴿يَبِضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي: برص، فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس ثغثي^(٤) البصر ﴿وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الْوَقْبِ﴾ بفتح الخرفين، وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه^(٥)؛ أي: الخوف الحاصل من إضاعة اليد؛ بأن تدخلها في جيبك؛ فتعود إلى حالتها الأولى، وتغير عنها بالجنح؛ لأنها للإنسان كالجنح للطائر ﴿فَذَانِكَ﴾ بالشديد والضعيف^(٦)؛ أي: العصا واليد، وهما مؤنثان، وإنما ذكر المثنى به إليهما «المثدأ» لذكور خبره ﴿بِهَئَانَةٍ﴾ مرسلان ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ إِنْ فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَذِيْقِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو: القبطي السابق ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به.

[٣٤] ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي لِسَانًا﴾ أَتَيْنُ ﴿فَارْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ معينا، وفي قراءة^(٧): بفتح الدال بلا همزة ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بالجرم:

﴿فَلَمَّا فَصَّي مُوسَىٰ أَلْحِلْ لِي زَوْجَتِي وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾ النَّسْرُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِيهِ امْكُثُوا إِنِّي أَنَا نَارٌ لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا يَخْرُجُ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِهَا الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنَّ أَتَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَزَّتْ وَكَاثَمَهَا جَانٌّ وَلَمْ يُدْزِرْ وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرَجَ يَبِضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي لِسَانًا فَارْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُنْزِلَتْ مِنَّا وَمِنْ أَتْبَعَكُمَا الْعَالَمُونَ ﴿٣٥﴾

جواب الدعاء، وفي قراءة^(٨): بالرفع، وجملة صفة: ﴿رِدْءًا﴾ ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ نقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ غلبة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء، اذهبوا ﴿بِأَيِّتِنَا أُنْزِلَتْ مِنَّا وَمِنْ أَتْبَعَكُمَا الْعَالَمُونَ﴾ لهم.

(١) أي: بفتحها وضمتها وكسرها، فقرأ بالضم حمزة، وقرأ عاصم بالفتح، وقرأ الباقون بالكسر.

(٢) وهذا لا دليل عليه، ولا فائدة في تعيينه.

(٣) الشمرة.

(٤) أي: يجعل بصر ناظرها ضعيفا لشدة ضوئها. وفي بعض النسخ: «ثغثي» بالمعجمة وهو تصحيف.

(٥) قرأ بفتح الراء والهاء نفع وابن كثير وأبو عمرو، وقرأ حفص بفتح الراء وإسكان الهاء، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الهاء.

(٦) بتشديد اللون مع المد المشيع قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) أي: «رداء» لنافع.

(٨) والقراءة المذكورة أولا بسكون القاف للسبعة عدا عاصم وحمزة.

﴿ءَابَايَا الْأَوَّلِينَ﴾.

[٣٧] ﴿وَقَالَ﴾ بواو وبدونها^(١) ﴿مُوسَى رَبِّيَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ الضمير للرب ﴿وَمَنْ﴾ عطف على «من» قبلها ﴿تَكُونُ﴾ بالقوافية والتحتانية^(٢) ﴿لَمْ عَقِبَهُ الدَّارُ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة؛ أي: هو أنا في الشقين؛ فأنا محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوا آيَاتِهَا أَلَمْ آتِكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَكُنْ عَلَى الظِّلِينِ﴾ فاطبع لي الآجر ﴿فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ قصرًا عاليًا ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ مِنْ إِلَهِ مُوسَى﴾ أنظر إليه وأقف عليه ﴿وَأِنِّي لَأُظْلِمُكُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ في ادعائه إليها آخر وأنه رسوله.

[٣٩] ﴿وَأَسْتَكَرَ مَوْجُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمُ الْإِنْسَانُ لَا يُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول^(٣).

[٤٠] ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَسَدَّتْهُمْ﴾ طرحاهم ﴿فِي الْبَرِّ﴾ البحر المالح؛ فغرقوا ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

[٤١] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء^(٤)؛ رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَنْصُرُونَ﴾ يدفع العذاب عنهم.

[٤٢] ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزيًا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المبعدين.

[٤٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم نوح وعاد وحمود وغيرهم ﴿بَصَايِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال من «الكتاب» جمع بصيرة؛ وهي: نور القلب؛ أي: أنوارًا للقلوب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَايَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٧﴾

وَقَالَ مُوسَى رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٨﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوا آيَاتِهَا أَلَمْ آتِكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَكُنْ عَلَى الظِّلِينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأُظْلِمُكُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٩﴾

وَأَسْتَكَرَ مَوْجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمُ الْإِنْسَانُ لَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فِي الْبَرِّ وَظَنُوا أَنَّهُمُ الْإِنْسَانُ لَا يُرْجَعُونَ ﴿٤١﴾

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٤٢﴾

وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٣﴾

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَايِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَاضْحَات، حَالٌ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَاضْحَات، حَالٌ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

(١) بدونها قراءة ابن كثير.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالبناء للفاعل نفع وحمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول.

(٤) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

[٤٤] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْجَبَلِ أَوْ الْوَادِي أَوْ الْمَكَانِ الْغَرِيِّ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿إِذْ قَضَيْنَا أَوْحِينَا إِلَيْكَ مُوسَى الْآثَرَ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك فعله تخبر به.

[٤٥] ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ أما من بعد موسى ﴿فَنَطَوَّلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرَ﴾ طالت أعمارهم؛ فسوا اليهود، واندurst العلوم، وانقطع الوحي؛ فجئنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ خبر ثان، فتعرف قصتهم تخبر بها.

﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك وإليك^(١) بأخبار المتقدمين.

[٤٦] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ الْجَبَلِ إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا مُوسَى أَنْ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَلَكِنْ﴾ أرسلناك ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون. [٤٧] ﴿وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُصِيبَةً﴾ عقوبة ﴿يَمَّا فَدَمْتُمُ الْأَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا هَٰذَا﴾ هَلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ المرسل بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف وما بعده مبتدأ والمعنى: لولا الإصابة المسببة عنها قولهم، أو لولا قولهم المسبب عنها، لعاجلناهم بالعقوبة، ولما أرسلناك إليهم رسولاً.

[٤٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ محمد ﴿مِّنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا هَٰذَا﴾ هَلَّا ﴿أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ﴾ من الآيات، كاليد البيضاء والعصا وغيرهما، أو الكتاب جملة واحدة، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ حيث ﴿قَالُوا﴾ فيه وفي محمد: ﴿سَاجِرَانِ﴾^(٢)، وفي قراءة: ﴿سِخْرَانِ﴾ أي: القرآن والفررة ﴿نَظْهَرَا﴾ تعاونا ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكَ لَكَاةٌ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْكَاتِبِينَ﴾ كفرون.

[٤٩] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿فَاتَّبَعُوا يَكْتُمُونَ﴾ من عند الله هو أهدى منهما ﴿من الكاتِبِينَ﴾ اتبعه إن كنتم صديقين في قولكم.

[٥٠] ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعاءك بالإيمان بكتاب ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٤٤ وَلَا كُنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَوَّلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٤٥ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٤٦ وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُصِيبَةً يَمَّا فَدَمْتُمُ الْأَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٤٧ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ أَوْ لَمَّا يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِخْرَانِ تَظْهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكَ لَكَاةٌ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٤٨ قُلْ قَاتِلُوا بِكُتُبٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٤٩ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعْدَ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥٠

يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ في كفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعْدَ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أضل منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

(١) أي: أرسلناك رسولاً، وأرسلنا إليك بأخبارهم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقراءة السبعة: ﴿سِخْرَانِ﴾.

أيضاً، نزلت في جماعة أسلموا من اليهود؛ كعبد الله بن سلام وغيره^(١)، ومن النصارى قدموا من الحبشة^(٢)، ومن الشام.

[٥٣] ﴿وَإِذَا بَلَغَ لَيْسَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ﴾ قَالَوْاْ أَمَّا بِهٖ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٥٤﴾ وَأُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِإِيمَانِهِم بِالْكَتَابِ^(٣) ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْعَمَلِ بِهِمَا ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يَدْفَعُونَ ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ مِنْهُمْ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يَتصدقون.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ وَقَالُواْ لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ﴿سَلَامٌ مَّارَكَةً﴾ أَي: سَلِّمْتُمْ مِنَّا مِنَ الشَّتْمِ وَغَيْرِهِ ﴿لَا يَنْبَغِي الْجَهْلِيلِينَ﴾ لَا نَصَحْبِهِمْ.

[٥٦] ﴿وَنَزَلَ فِي حَرْصِهِ﴾ عَلَى إِيمَانِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هِدَايَتِهِ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾

[٥٧] ﴿وَقَالُواْ﴾ قَوْمُهُ: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ نُنْتَرِعُ مِنْهَا بِسُرْعَةٍ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ بِأَمْنِهِمْ فِيهِ مِنَ الْإِغَارَةِ وَالْقَتْلِ الْوَاقِعِينَ مِنْ بَعْضِ الْعَرَبِ عَلَى بَعْضٍ ﴿[نَجْبِي]﴾ بِالْفُوقَانِيَةِ وَالنَّحْتَانِيَةِ^(٤) ﴿إِلَيْهِ نَمُرُّ كُلُّ مَيِّتٍ﴾ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ﴿وَرِزْقًا﴾ لَهُمْ ﴿مِنْ لَّدُنَّا﴾ عِنْدَنَا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أَنْ مَا نَقُولُهُ حَقٌّ.

[٥٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَوَاسِئَهَا﴾ عِشْيَهَا، وَأَرِيدَ بِالْقَرْيَةِ: أَهْلِهَا ﴿فَبَالَتْ سُنَّكُهُمْ لَمْ تَشْكُرْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لِلْمَارَةِ يَوْمًا أَوْ بَعْضِهِ ﴿وَكُنَّا عَنِ الْآثِرِينَ﴾ مِنْهُمْ.

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ بَطَلَ مِنْهَا ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَهَا﴾ أَي: أَعْظَمَهَا ﴿رُسُلًا يَتْلُواْ عَلَيْهَا مَا نَبَّأْنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٥) الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُواْ أَمَّا بِنَبِيِّنَا إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾^(٦) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَهْلِيلِينَ﴾^(٧) إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَّدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسْجِدُهُمْ لَمْ تُمْسِكْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْآثِرِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَهَا رَسُولًا تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ؕ آتَيْنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

[٥١] ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ بَيْنَنَا ﴿لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

يَتَعَذَّلُونَ فَيُؤْمِنُونَ.

[٥٢] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعنه: «قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة» قال: لولا أن تعبرني قريش، يقولون: إنما حملة على ذلك الجرح، لأفرت بها عنك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٩). وأخرج البخاري نحوه عن المسيب بن خزن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة القصص (٢٨) باب (١).

(١) أخرج ذلك الطبري في جامعه (٥٦/٢٠، ٥٧) عن قتادة، وهو مرسل ضعيف. وأخرج الطبري أيضًا في جامعه (٥٦/٢٠)، والطبراني في الكبير (٥٣/٥) رقم (٤٥٦٤، ٤٥٦٥)، وغيرهما عن رفاعه القرظي رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في عشرة... أنا أحدهم... قال الهيثمي في الجمع (٨٨/٧): «رواه الطبراني بإسنادين؛ أحدهما متصل، ووجهه نقات... وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور (٤٢٢/٦) لابن أبي شيبة وابن المنذر وغيرهما وقال: «يسند جيدة. وصححه في الاستيعاب (٢٨/٣)».

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٩٢/٩) عن سعيد بن جبير، وهو ضعيف مرسل، كما في الاستيعاب (٣٥/٣).

(٣) أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين: رجل من أهل الكتاب؛ آمن بنبيه، وأدرك النبي فأمن به، واتبعه، وصدقه؛ فله أجران... الحديث. البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) واللفظ له.

(٤) بالناء فراعة نافع.

[٦٠] ﴿وَمَا أُولَئِكَ مِن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا﴾ تمتعون وتزينا به أيام حياتكم، ثم يفنى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَفْضَلُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالباء والياء (١)؛ أن الباقي خير من الفاني؟

[٦١] ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَنفِيهِ﴾ وهو مُصِيبُهُ؛ وهو: الجنة ﴿كَأَن مَّنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ النار؟ الأول: المؤمن، والثاني: الكافر؛ أي: لا تساوي بينهما.

[٦٢] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدَّبُرُونَهُمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَتَيْنَ شُرَكَاءَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ لهم شركائي؟

[٦٣] ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بدخول النار؛ وهم رؤساء الضلالة: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ هم، مبتدأ، وصفه (٢)، ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ خبره، فغوا ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ لم نكرهم على الغي ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَجَسًا مُّتَبَدِّلِينَ﴾ نافية، وقدم المفعول للفاصلة.

[٦٤] ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي: الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوْا﴾ هم ﴿الْعَذَابَ﴾ أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

[٦٥] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدَّبُرُونَهُمْ﴾ أي: الأخبار المنجية في الجواب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إليكم.

[٦٦] ﴿فَقَعِيعَتٌ عَلَيْهِمُ الْآلَاءُ﴾ الأخبار المنجية في الجواب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ لم يجدوا خيرا لهم فيه نجاة ﴿فَهُمْ لَا يَسْتَغْنَوْنَ﴾ عنه، فيسكتون.

[٦٧] ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَأَمَنَ﴾ صدق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ الناجين بوعده الله.

[٦٨] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾ للمشركين ﴿الْخِيَرَةُ﴾ الاختيار في شيء ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكهم.

[٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تسر قلوبهم من الكفر وغيره ﴿وَمَا يُخْلِئُونَ﴾ بالسنتهم من ذلك.

[٧٠] ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْآخِرَةُ فِي الْأُولَى﴾ الدنيا

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَنفِيهِ كَأَن مَّنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يَتَادِبُهُمْ يَقُولُ أَتَيْنَ شُرَكَاءَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَجَسًا مُّتَبَدِّلِينَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يَتَادِبُهُمْ يَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَقَعِيعَتٌ عَلَيْهِمُ الْآلَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَسْتَغْنَوْنَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَقَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُخْلِئُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْآخِرَةُ فِي الْأُولَى ﴿٧٠﴾

﴿وَالْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَلِلَّهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالنشور.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) أي: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾: جملة ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾: خبره.

سماع تفهم فترجعون عن الإشراك؟

[٧٢] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَصِيرَةٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾
تستريحون ﴿وَبَصِيرَةٌ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه؟

[٧٣] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ - تعالى - ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار للكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النعمة فيها.

[٧٤] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ذكر ثانياً لئلا يظن عليه:

[٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ عسى ما قلتم من الإشراك ﴿فَقُلُوا أِنْ الْحَقُّ فِي الْإِلَهِيَّةِ لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿وَصَلِّ﴾ غاب ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك.

[٧٦] ﴿إِنْ قَرُونٌ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ ابن عمه، وابن خالته (١) وأمن به ﴿فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمُ﴾ بالكثير والعلو وكثرة المال ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ مَنَعَهُمْ لَسَوْفَ تنقل ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُولَى﴾ أصحاب ﴿الْقُوَّةِ﴾ أي: تنقلهم، فالباء للتعدية، وعدتهم قيل: سبعون. وقيل: أربعون. وقيل: عشرة. وقيل: غير ذلك.

اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فَرَحَ بَطَرٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ بذلك.

[٧٧] ﴿وَأَنبَغُ﴾ اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من المال ﴿الَّذَارَ الْآخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَنسَ﴾ ترك ﴿تَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: أن تعمل فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِنَ﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَّا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بعمير المعاصي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم (٢).

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَصِيرَةٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَصِيرَةٌ أَفَلَا تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٤﴾ وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾ إِنْ قَرُونٌ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمُ وَعَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ وَلَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَأَبْنَعُ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٨﴾

[٧٨] ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: أخبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً ﴿إِنْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ بزعمةكم ﴿يَأْتِيَكُمُ بَصِيرَةٌ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ذلك

(١) حكى ابن جرير الإجماع على أنه كان من بني إسرائيل، واختلف في جهة قرابته من موسى عليه السلام فقال ابن عباس وجماعة: كان ابن عمه، وقال ابن جرير: وأكبر أهل العلم على أنه كان ابن عمه، والله أعلم. وروى عن ابن عباس أيضاً أنه ابن خالته، والمشهور عنه الأول.

(٢) وهذا تأويل لصفة الحجة وانتقالها ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل.

[٧٨] ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُمْ أَيْ: الْمَالُ ﴿عَلَىٰ عِدَّتِي﴾ أَيْ: فِي مَقَابِلَتِهِ، وَكَانَ أَعْلَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالتَّوْرَةِ بَعْدَ مُوسَى وَهَارُونَ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُمَمَ﴾ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴿لِلْمَالِ، أَيْ: هُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ، وَيَهْلِكُهُمُ اللَّهُ﴾ وَلَا يُسْتَلْ عَنْ دُؤْبِهِمُ الْمُتَجَرِّمُونَ ﴿لِعَلِّمِهِ - تَعَالَى - بِهِاءٍ، فَيَدْخُلُونَ النَّارَ بِلا حِسَابٍ.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ﴾ قَارُونَ ﴿عَلَىٰ قَوْمِيهِ فِي زِينَتِهِ﴾، بِأَتْبَاعِهِ الْكَثِيرِينَ رُكْبَانًا مُتَخَلِّينَ بِمَلَابِسِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ عَلَى خِيُولٍ وَبَعَالٍ مَتَحْلِيَةٍ ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا﴾ لِلنَّبِيِّ ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿إِنَّمَا لَدُوْهُ حِطٌّ﴾ نَصِيبٌ ﴿عَظِيمٌ﴾ وَافٍ فِيهَا.

[٨٠] ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا أَلْفَيْهِ ﴿مَا وَعَدَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ: ﴿وَيَلْعَنُكُمْ﴾ كَلِمَةُ زَجَرٍ ﴿فَوَابَّ اللَّهُ﴾ فِي الْآخِرَةِ بِالْجَنَّةِ ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مَا أُوتِيَ قَارُونَ فِي الدُّنْيَا ﴿وَلَا يُلْقِيهَا﴾ أَيْ: الْجَنَّةُ الْمُنَابَّ بِهَا ﴿إِلَّا الَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ.

[٨١] ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ﴾ بِقَارُونَ ﴿وَيَدَارِيهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيْ: غَيْرِهِ بِأَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُ الْهَلَاكَ ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصِفِينَ مِنْهُ.

[٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ أَيْ: مِنْ قَرِيبٍ ﴿يَقُولُونَ وَيَكُنَّا اللَّهُ يَبْسُطُ يَوْسَعَ﴾ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴿يَضِيقُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَ«وَي» اسْمُ فِعْلٍ، بِمَعْنَى: أَعْجَبَ؛ أَيْ: أَنَا، وَ«الْكَافُ» بِمَعْنَى الْإِلَامِ﴾ ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ ﴿وَيَكُنَّا لَهُ لَا يُلْقِيهِ الْكَافِرُونَ﴾ لِنِعْمَةِ اللَّهِ، كَقَارُونَ.

[٨٣] ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أَيْ: الْجَنَّةُ ﴿يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْبَغْيِ ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ بِعَمَلِ الْمَعَاصِي ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ الْحَمْدَةُ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عِقَابُ اللَّهِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ.

[٨٤] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُمْ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ ثَوَابٌ بِسَبَبِهَا؛ وَهُوَ: عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا﴾ جِزَاءُ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: مِثْلُهُ.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَّلُ مَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْتَلْ عَنْ دُؤْبِهِمُ الْمُتَجَرِّمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصِفِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكُنَّا اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكُنَّا لَهُ لَا يُلْقِيهِ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

(١) وهذا أحد مذاهب خمسة في معنى كلمة «ويكأن» والوقف فيها.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

أَلْقَى إِلَيْكَ ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ مُعِينًا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ عَلَى دِينِهِمُ الَّذِي دَعَوْكَ إِلَيْهِ.

[٨٧] ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾ أَصْلُهُ: يَصُدُّكَ؛ حذفت نون الرفع للجازم، والواو الفاعل؛ لانتقالها مع النون الساكنة ﴿عَنْ مَا كُنْتَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أَي: لَا تَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ ﴿وَأَذِّنْ﴾ النَّاسَ ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ بِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بِإِعَانَتِهِمْ، وَلَمْ يُؤْزَرْ الْجَازِمُ فِي الْفِعْلِ لِبَنَاتِهِ.

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تَغْيِثُ ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ الْقَضَاءُ النَّافِذُ ﴿وَالْيَوْمَ تَرْتَعُونَ﴾ بِالْشُّعُورِ مِنْ قُبُورِكُمْ.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

[مكية وهي: تسع وستون آية، نزلت بعد الروم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِينَ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادٍ بِذَلِكَ. [٢] ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا﴾ أَي: يَقُولُهُمْ: ﴿ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ يَخْتَبِرُونَ بِمَا يَبِينُ بِهِ حَقِيقَةُ إِيمَانِهِمْ؟ نَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ آمَنُوا فَأَذَاهُمُ الْمُشْرِكُونَ^(١).

[٣] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فِي إِيمَانِهِمْ عِلْمَ مُشَاهَدَةٍ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾ فِيهِ.

[٤] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الشَّرْكَ وَالْمَعَاصِي ﴿أَنْ يَسْمِقُونَا﴾ يَفُوتُونَا فَلَا نَنْتَقِمُ مِنْهُمْ؟ ﴿سَاءَ﴾ بِئْسَ ﴿مَا﴾ الَّذِي يَتَكَبَّرُونَ فِي حُكْمِهِمْ هَذَا.

[٥] ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ يَخَافُ ﴿لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بِهِ ﴿لَا تَأْتِي﴾ فَلَيْسَتْ لَهُ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِأَقْوَالِ الْعِبَادِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِأَفْعَالِهِمْ.

[٦] ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ جِهَادَ حَرْبٍ أَوْ نَفْسٍ ﴿فَانْصَبْ﴾ لِنَفْسِهِ ﴿فَإِنْ مَنَعَهُ﴾ جِهَادُهُ لَا لِلَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ، وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بِعَدَا إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَذِّنْ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٨﴾

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴿٢﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾

[٨٥] ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أَنْزَلَهُ ﴿لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ إِلَى مَكَّةَ^(١)، وَكَانَ قَدْ اسْتَفَاقَهُ^(٢) ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ نَزَلَ جَوَابًا لِقَوْلِ كُفَّارِ مَكَّةَ لَهُ: إِنَّكَ فِي ضَلَالٍ. أَي: فَهُوَ الْجَانِي بِالْهُدَى، وَهُمْ فِي ضَلَالٍ، وَ﴿أَعْلَمُ﴾ بِمَعْنَى: عَالِمٌ.

[٨٦] ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ الْقُرْآنُ ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ

(١) وهو قول كثير من المفسرين، واختار ابن كثير وغيره أن المراد بالمراد يوم القيامة. قال: فسأله عما استرعا من أعباء النبوة. كما قال - تعالى -: ﴿فَلْيَسَّرْ لَكُمُ اللَّهُ أَرْبَابَ الْإِبْرَاهِيمَ وَلْيَسَّرْ لَكُمُ السَّبِيلَ﴾ [الأعراف: ٦]، وقال: ﴿يَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ أُولَئِكَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةً﴾ [المائدة: ١٠٩]. وهذا أقرب، والله أعلم.

(٢) يشير إلى ما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٤٥/٦) عن الضحاك، وعزاه لابن أبي حاتم. وضعفه جدًا في الاستيعاب (٤٠/٣).

(٣) وهذا تأويل لصفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، وهي من الصفات الحقيقية التي نشأتها له - سبحانه - على الوجه اللائق به، ولا شك أن الوجه يستلزم الذات. ولكن لا يجوز إرادة اللزوم ونفي اللزوم؛ بل يجب إثباتها معًا.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٣/٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي، وهو مرسل ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٤٢٠/٣).

[٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعني: حسن، ونصبه بنزع الحافظ: الباء ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو الصالحات.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: إيصاء ذا حسن؛ بأن يبرَّهُمَا، ﴿وَأِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ يشاركه ﴿عَلَّمٌ﴾ موافقة للواقع، فلا مفهوم له ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الإشراك^(١) ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم به.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء؛ بأن نحشرهم معهم.

[١٠] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: أذاهم له ﴿كَذَّابٌ لِلَّهِ﴾ في الخوف منه؛ فيطيعهم فيناق ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿جَاءَ نَصْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ مِنْ رَبِّكَ﴾ فغنموا ﴿يَقُولُونَ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع للقاء السالكين: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان؛ فأشركونا في الغنيمة، قال - تعالى -: ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أي: بعالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ بقلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى.

[١١] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم.

[١٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ ديننا ﴿وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ في اتباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخير^(١)، قال - تعالى -: ﴿وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك.

[١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ أَوْزَارَهُمْ﴾ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴿بِقَوْلِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يكذبون على الله، سؤال توبيخ، واللام في الفعلين^(٢) لام قسم، ولحذف فاعلها: الواو ونون الرفع.

[١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلْيَت

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابٌ لِلَّهِ وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى توحيد الله؛ فكذبوا ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أي: الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم؛ فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ مشركون.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرجه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: نزلت في أربع آيات... فذكر قصة - وقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر؟ والله لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر. فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا [أي نضجوا] فها، فنزلت هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٠).

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٤٨) لكن لفظ الآية عنده أقرب إلى آية لقمان (١٥٠٤)، وهو الأقرب في قصة أم سعد؛ حيث إن نزول سورة لقمان كان قبل نزول سورة العنكبوت بكثير، ولو كانت آية العنكبوت قد نزلت ساعة وقعة سعد مع أمه لقرأ عليها آية لقمان، ولم يكن له كبير مزية في نزول آية العنكبوت فيه؛ إلا أن يقال: إن كلتا الآيتين نزلت في قصته مع أمه، وهو بعيد، والله أعلم.

(١) أي: منكم الاتباع، وعلينا حمل خطاياكم.

(٢) أي: في ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾، و﴿لَيَسْأَلُنَّ﴾.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنْ التَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ بَعْضٌ يَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰ كُمُ التَّارُ وَمَالُكُم مِّن تَصَرُّيْنَ ﴿٢٥﴾ فَقَامَ لَهٗ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَآتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُم لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَتَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه.

﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِتَحْقِيقِ قَوْلِي فِي إِزَالِ الْعَذَابِ ﴿٣٠﴾ عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ العاصين إتيان الرجال؛ فاستجاب الله دعاه.

[٢٤] قال - تعالى - في قصة إبراهيم الخليل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنْ التَّارِ﴾ التي قَذَفُوهُ فيها؛ بأن جعلها عليه بَرْدًا وسلامًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: إجماعه منه ﴿لَآيَاتٍ﴾ هي عدم تأثيرها فيه مع عظمتها، وإحمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته؛ لأنهم المنفعون بها.

[٢٥] وقال إبراهيم: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تعبدونها، و«ما» مصدرية ﴿مَوَدَّةَ﴾ بَيْنِكُمْ ﴿خبر﴾ «إن»، وعلى قراءة النصب (١): مفعول له، و«ما» كافة؛ المعنى: توادتم على عبادتها ﴿وَالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَا أُولَئِكَ﴾ مصيركم جميعًا ﴿أَلَّا تَرَ﴾ وَمَا لَكُمْ مِّن تَصَرُّيْنَ مانعين منها.

[٢٦] ﴿فَقَامَ لَهٗ لُوطٌ﴾ صدق إبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو: ابن أخيه هاران وقال إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني ربي، وهَجَرَ قَوْمَهُ وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنع.

[٢٧] ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته ﴿وَالْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب؛ أي: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَوَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وهو الشاء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَوَاتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[٢٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ [أَتَيْتُكُمْ] ﴿بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِينِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ﴾ (٢) ﴿لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ أي: أديار الرجال ﴿مَّا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن.

[٢٩] ﴿أَتَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن ير بكم؛ فترك الناشء المرء بكم (٣) ﴿وَتَأْتُونَ فِي كَادِيَكُمُ﴾ أي: مُتَحَدِّثِكُمُ ﴿الْمُنْكَرَ﴾ فعل الفاحشة بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ

(١) والقراءة المذكورة أولاً بالرفع والإضافة للكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ حفص وحمره: ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ بالفتح والإضافة. وقرأ الباقون: ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو. وأجمع القراء على الاستفهام في الموضع الثاني، وهو ﴿أَتَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

(٣) أي: وتركه، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) الأظهر أن قطعهم السبيل أعم من ذلك، فيشمل مع ما ذكر إخافة المارة وراهابهم بأخذ أموالهم وسفك دماهم ونحو ذلك.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا
 أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
 قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا لَنْ نَجِدَهُ فِيهَا لَنْ نَجِدَهُ
 وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا نَكْرَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
 أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
 وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا
 أَمْرًا نَكْرَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَاسُكُونَ
 وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٤﴾
 وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُ عِبْدُ اللَّهِ
 وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ أَخْشَوْهُ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٥﴾
 فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
 جُثَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَعَادَ آوَتْهُمُ آوَتْهُمُ آوَتْهُمُ آوَتْهُمُ
 مِنْ مَّسَكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
 فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿٣١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى لِيُاسَاقَ وَيُعْقَبَ بَعْدَهُ

﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: قرية لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ كافرين.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾ أي: الرسل: ﴿لَنْ نَجِدَهُ فِيهَا لَنْ نَجِدَهُ﴾ بالتخفيف والتشديد (١) ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا نَكْرَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ الباقين في العذاب.

﴿٣٣﴾ ﴿وَلَمَّا أَنَّ كَانَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرا؛ لأنهم حسان الوجه في صورة أضياف؛ فخاف عليهم قومه؛ فأعلموه أنهم رسل ربهم ﴿وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ﴾ بالتشديد والتخفيف (٢) ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا نَكْرَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ ونصب «أهلك» عطف على محل الكاف.

﴿٣٤﴾ ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد (٣) ﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا﴾ عذابا ﴿مِنْ السَّمَاءِ يَمَاسُ﴾ بالفعل الذي ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ به؛ أي: بسبب فسقهم.

﴿٣٥﴾ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ ظاهرة؛ هي: آثار خرابها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

﴿٣٦﴾ ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ أَرْسَلْنَا﴾ إلى مدين أخاهم شعيبا فقال يتقوّم أعبدوا الله وأرجوا اليوم الآخر أخشوه؛ هو: يوم القيامة ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها، من «عنتي» بكسر المثلثة؛ أفسد.

﴿٣٧﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُثَمِينَ﴾ جثمين باركين على الركب ميتين.

﴿٣٨﴾ ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بالصراف وتركه (٤)؛ بمعنى: الحي والقبيلة (٥) ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمُ الْإِسْلَامُ﴾ إهلاكهم ﴿وَمِنْ مَّسَكِنِهِمْ﴾ بالحجر واليمن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ذوي بصائر.

(١) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

(٢) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير.

(٣) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٤) بالصراف قراءة السبعة عند حمزة وحفص.

(٥) أي: على كل من القراءتين بالترتيب؛ أي ينصرف للمودة إذا كان بمعنى: الحي، ويمنع من الصراف إذا كان اسما للقبيلة؛ أي للعلمية والتأنيث.

[٣٩] ﴿وَأَهلَكْنَا قُرُونًا وَفَرَعُونَ وَهَمَزٌ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ من قبل ﴿مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الظاهرات ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِينَ﴾ فالتين عذابتنا.

[٤٠] ﴿فَكَلَّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحا عاصفة فيها حصاب؛ قوم لوط ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ﴾ كعمود ﴿وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ كفارون ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا﴾ قوم نوح، وفرعون وقومه ﴿وَمَا كَانَتِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

[٤١] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: أصناما يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿وَأَنَّ أَوْهَنَ﴾ أضعف ﴿الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ لا يدفع عنها حزا ولا يزداد؛ كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما عبدوها. [٤٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ بمعنى: الذي ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون، بالياء والفاء^(١) ﴿مِن دُونِهِ﴾ غيره ﴿مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٤٣] ﴿وَنَلَّكَ الْأَمَثَلُ﴾ في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نجعلها ﴿لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ أي: يفهمها ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ المتدبرون.

[٤٤] ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: محققا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ دالة على قدرته - تعالى - ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ حصوا بالذكر؛ لأنهم المنفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[٤٥] ﴿أَنزِلْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿شَرَعًا﴾ أي: من شأنها ذلك ما دام المرء فيها ﴿وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من غيره من الطاعات ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فيجازيكم به.

وَقُرُونًا وَفَرَعُونَ وَهَمَزٌ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا لَا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ فَأَمَّا لَلِأُولَىٰ لَآئِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَنزِلْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

(١) بالياء قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو.

يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوا﴾ لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أجبروكم بشيء مما في كتبهم: ﴿أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ﴾ (١) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿وَاللَّهُمَّ وَجِدْ وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ﴾ مطيعون. [٤٧] ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن؛ كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿فَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَبُ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يذهب بالقرآن ﴿وَمَنْ هَؤُلَاءِ﴾ أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ وما يجحد يائنين بعد ظهورها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ أي: اليهود (٢)، وظهر لهم أن القرآن حق والجاني به محق، وجحدوا ذلك.

[٤٨] ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْمَعُ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُبُ يَسْمِعُكَ﴾ إذا: أي: لو كنت قارئاً كاتباً ﴿لَآزَنَاتٌ﴾ شك ﴿الْمُتَبِيلُونَ﴾ اليهود فيك، وقالوا: الذي في التوراة أنه أُمي لا يقرأ ولا يكتب.

[٤٩] ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: القرآن الذي جئت به ﴿بِآيَاتٍ يَبَيِّنُ فِي صُورِ اللَّيْلِ أَوْثَرُ الْعِلْمِ﴾ أي: المؤمنون يحفظونه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْفَالِطُونَ﴾ أي: اليهود، وجحدوها بعد ظهورها لهم.

[٥٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي: محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (٣) وفي قراءة: ﴿بِآيَاتٍ﴾ كنافه صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا آيَاتِي عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية.

[٥١] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ فيما طلبوا ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يُسَبِّحُ عَلَيْهِمْ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الكتاب ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظيمة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا﴾ بصديقي ﴿يَسْمَعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ منكم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في صفقتهم؛ حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

﴿وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِآلَتِي﴾ أي: المجادلة التي هي أحسن ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ وقولوا ﴿أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُمَّ وَجِدْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيتهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد يائنين ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لآزتاب المتطولون ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٍ يَبَيِّنُ فِي صُورِ اللَّيْلِ أَوْثَرُ الْعِلْمِ﴾ وما يجحد يائنين ﴿إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ وقالوا ﴿لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

[٤٦] ﴿وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِآلَتِي﴾ أي: المجادلة التي هي أحسن ﴿كالدعاء إلى الله بآياته، والتسبيح على حججه﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بأن حاربوا وأنابوا ﴿فَقُتِلُوا بِالْجَزِيَّةِ﴾ فجادلهم بالسيف حتى

(٥١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصلفوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا» وما أنزل إليكم الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (١١) قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا... قال الحافظ: «وصنع البخاري هذا يقتضي أن تجعل هذه الآية تحت قوله تعالى: ﴿قُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾... وهي الآية (١٣٦) من سورة البقرة... والذي يظهر لي أن النبي ﷺ يشير في هذا الحديث لقوله تعالى: ﴿قُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُمَّ وَجِدْ وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ﴾ من سورة العنكبوت، وذلك أن صدر الآية: ﴿وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِآلَتِي﴾ هي أحسن... وهذا يتناسب مع معنى الحديث المقصود منه... الفتح (٢٠/٨) تصريف يسير.

(١) المناسب أن يقول: إلا الكافرون؛ كاللهد وغيرهم. فالآية تشتمل هؤلاء جميعاً، ولا فائدة في حصرها في اليهود.

[٥٣] ﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّهِ ﴿١﴾ لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عَاجِلًا ﴿٢﴾ وَإِلَّا يُنَبِّئُهمْ نَفْسُهُمْ لَآ يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانه.

[٥٤] ﴿يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ في الدنيا ﴿وَأَنكْ جَهَنَّمُ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

[٥٥] ﴿يَوْمَ يَنْفُثُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴿١﴾ وَنَقُولُ﴾ (١) فيه؛ بالنون: أي: نأمر بالقرول، وبالباء (٢): ﴿يَقُولُ﴾ أي: الموكل بالعذاب: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه فلا تغوتونا.

[٥٦] ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي رَاضٍ بِسِعَةٍ فَإِنِّي فَاعِدُونَ﴾ في أي أرض تيسرت فيها العبادة؛ بأن تهاجروا إليها من أرض لم تيسر فيها، نزل في ضعفاء مسلمي مكة كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بالباء والياء (٣)؛ بعد البعث.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ نزلهم، وفي قراءة (١): بالثالثة بعد النون؛ من الثواء: الإقامة، وتعديته إلى ﴿عُرْفًا﴾ بحذف «في» ﴿مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ هذا الأجر.

[٥٩] هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

[٦٠] ﴿وَكَايُنَ﴾ كم ﴿مِنَ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لضعفها ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّكُمْ﴾ أيها المهاجرون، وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بضمائرهم.

[٦١] ﴿وَلَّيْنِ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَسَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك.

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾ يوسعهُ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿لَهُ﴾ بعد التثنية؛ أي: لمن يشاء ابتلاءه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُ شَيْءٌ عَلَيْهِ﴾ ومنه محل البسط والتضييق.

[٦٣] ﴿وَلَّيْنِ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ

وَيَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي رَاضٍ وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِدُونَ ﴿٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٧﴾ وَكَأَيُنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّكُمْ رَبُّهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَسَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٩﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُ شَيْءٌ عَلَيْهِ ﴿١٠﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿١٢﴾ فكيف يشركون به! ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عني ثبوت الحجة عليكم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ تناقضهم في ذلك.

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهي قراءة نافع وحزمة والكسائي وعاصم، وفي الآية إثبات صفة القول والكلام، وأنه يتعلق بمشيئة - شجاعة - واختياره.

(٣) قرأ شعبة بالياء وفيه السبعة بالياء.

(٤) أي: وبالياء بدل الهمزة فتكون ﴿لننبئهم﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي.

[٦٧] ﴿وَأَكْمَرُ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم مكة ﴿حَرَمًا ءَامِنًا وَيَخْطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قتلًا وسيئًا دونهم ﴿أَفَأَبْطِلُ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم.
 [٦٨] ﴿وَمِنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَفَلَمْ يَنْ أَفْتَرِ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ النبي أو الكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى مَأْوًى﴾ للكافرين؟ أي: فيها ذلك، وهو منهم.
 [٦٩] ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ في حقنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: طريق السير إلينا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين بالنصر والعون^(١).

سُورَةُ الْبُرُوجِ

[مكة، وهي: ستون، أو: تسع وخسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْعَلَمِ﴾ الله أعلم براده في ذلك.
 [٢] ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ وهم أهل الكتاب، غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان؛ وفرح كفار مكة بذلك، وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم.
 [٣] ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ أي: أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادي بالغزو الفرس ﴿وَهُمْ﴾ أي: الروم ﴿يَبْرُؤُ نَعْدٍ عَلَيْهِمْ﴾ أضيف المصدر إلى المفعول؛ أي: غلبة فارس لإياهم ﴿سَيَقْدُونَ﴾ فارس.

[٤] ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾^(٢) هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغلبت الروم فارس ﴿وَلِيَّ الْأَمْرِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي: من قبل غلب الروم ومن بعده؛ المعنى: أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانيًا بأمر الله؛ أي: إرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم تغلب الروم ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.
 [٥] ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ﴾ لإياهم على فارس، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه؛ أي: يوم بدر بنزل جبريل بذلك مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه^(٣) ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الغالب.
 ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٩﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْتَعُوا فَنَسَوْا بَعَامُوتَ أُولَئِكَ إِنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَخْطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَأَبْطِلُ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٢﴾

سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَلَمِ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٦٧﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٦٨﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٦٩﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٠﴾

[٦٤] ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ وأما القِرْبُ فمن أمور الآخرة؛ لظهور ثمرتها فيها ﴿وَالَّذِينَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ﴾ بمعنى: الحياة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما أتروا الدنيا عليها.
 [٦٥] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ﴾ دَعَاُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿٦٩﴾ أي: الدعاء؛ أي: لا يدعون معه غيره؛ لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ به.
 [٦٦] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَسْتَمْتَعُوا﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام، وفي قراءة^(١): يسكون اللام؛ أمر تهديد ﴿فَنَسَوْا بَعَامُوتَ﴾ عاقبة ذلك.

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت: ﴿الْعَلَمِ غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ في أدنى الأرض وهم يرون بعد غلبتهم سَيَقْدُونَ ﴿٦٨﴾ في بضع سنين... خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه في نواحي مكة: ﴿الْعَلَمِ غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ في أدنى الأرض وهم يرون بعد غلبتهم سَيَقْدُونَ ﴿٦٨﴾ قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بينا وبينكم؛ زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين؛ أفلا نراهناك على ذلك؟ قال: بلى. وذلك قبل تحريم الرهان. فارتفع أبو بكر والمشركون وتواضعوا للرهان، وقالوا لأبي بكر: كم نجعل؟ البض: ثلاث سنين إلى تسع سنين؛ فسمي بينا وبينك وسطاً تنتهي إليه. قال: فمضوا بينهم ست سنين. قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر. فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فغاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ وأسلم عند ذلك ناس كثير. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣١) ومن سورة الروم، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٢).

(٢) ما جاء في برول الآيات (١-٥). أخرج الترمذي عن أبي سعيد الحديري قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين؛ فنزلت: ﴿الْعَلَمِ غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ينصر الله. قال: فرح المسلمون بظهور الروم على الفرس. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣١) سورة الروم، (صحيح بما بعده) صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٠).

(١) لحزة والكسائي وابن كثير وقالوا.

(٢) وهذا من لوازم معيته. شيخانته. الخاصة بعباده المؤمنين، وحققتها الصلبة اللاتقة كما سبق؛ ولا تنافي بينها وبين كونه مستويًا على عرشه باثنا من خلقه.

وَعَذَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ تَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَيْدَ مَنِ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكُفْرٌ وَت ﴿٨﴾ أُولَئِكَ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْآرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُاْ وَكَانُوا إِشْرَكَآءِ بِهِمْ كَفَرِينَ ﴿١٣﴾ قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٤﴾

والكافرون.

[١٥] ﴿قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ جنة يُحْبَرُونَ ﴿يسرون﴾.

[٦] ﴿وَعَذَّ اللَّهُ﴾ مصدر، بدل من اللفظ بفعله، والأصل: وَعَذَّبَهُمُ اللَّهُ النَّصْرَ ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ﴾ به ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ^(١) ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعده. تعالى - بنصرهم.

[٧] ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: معاشها من التجارة والزراعة والبناء والغرس وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ إعادة ﴿هُمْ﴾ تأكيد.

[٨] ﴿أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لذلك نفى عند انتهائه، ويعد البعث ﴿وَإِنَّ كَيْدَ مَنِ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكُفْرٌ وَت﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

[٩] ﴿أُولَئِكَ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ وهي: إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَنَارُوا الْآرْضَ﴾ حرثوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: كفار مكة ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الظاهرات ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ إهلاكهم بغير جرم ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتكذيبهم رسلهم.

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا﴾ تأنيث الأسوأ: الأقيح، خبر ﴿كَانَ﴾ على رفع ﴿عَاقِبَةُ﴾ ^(٢) واسم ﴿كَانَ﴾ على نصب ﴿عَاقِبَةُ﴾ والمراد بها جهنم وإساءتهم ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[١١] ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي: ينشئ خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: خلقهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ بالياء والتاء ^(٣).

[١٢] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يسكت المشركون؛ لانقطاع حجتهم.

[١٣] ﴿وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ﴾ أي: لا يكون ﴿لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ ممن أشركوهم بالله؛ وهم: الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَاؤُاْ وَكَانُوا إِشْرَكَآءِ بِهِمْ﴾ يكونون ﴿بِشُرَكَائِهِمْ كَفَرِينَ﴾ أي: متبرئين منهم.

[١٤] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ﴾ تأكيد ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ المؤمنون

(١) الأولى تفسيرها بالعموم، ويدخل الكفار فيها دخولاً أولياً.

(٢) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالياء قراءة أبي عمرو وشعبة.

تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح.

[١٨] ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراض، ومعناه: يحمده أهلها ﴿وَعِشْيَا﴾ عطف على ﴿حِينَ﴾، وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تَطْهَرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر.

[١٩] ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ النُّطْفَةِ وَالْبَيْضَةِ﴾ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بِالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسها ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخْرِجُونَ﴾ من القبور؛ بالبناء للفاعل والمفعول^(١).

[٢٠] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ - تعالى - الدالة على قدرته ﴿أَن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ من دم ولحم ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ في الأرض.

[٢١] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلقت حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطفة الرجال والنساء ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ وتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ جميعاً ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ إن في ذلك المذكور ﴿لَايَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في صنع الله ..

[٢٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السَّيِّدَ﴾ أي: لغانكم من عربية وعجمية وغيرها ﴿وَالْوَيْكَرَ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها^(٢)؛ أي: ذوي العقول وأولي العلم.

[٢٣] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بإرادته راحة لكم ﴿وَأَنْبَاؤُكُمْ﴾ بالنهار ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار.

[٢٤] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِلُكُمْ﴾ أي: إراءتكم ﴿الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا؛ أي: يسها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَا وَحِينَ تَطْهَرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴿٢١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السَّيِّدَ وَالْوَيْكَرَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبَآؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِلُكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٦﴾

[١٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[١٧] ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ﴾ أي: سبحوا الله؛ بمعنى: صلوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي: تدخلون في المساء؛ وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾

(١) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه.

(٢) بالفتح قراءة السبعة إلا حفصاً.

تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ عاقبة تمتعكم، فيه التفات عن الغيبة.

[٣٥] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ حجة وكتاباً ﴿فَهُوَ يَنْكُرُ﴾ تكلم دلالة ﴿يَسَاءَ كَانُوا بِهِ يَسْتَكِبُونَ﴾ أي: بأمرهم بالإشراك! لا.

[٣٦] ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ كفار مكة وغيرها ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿فَرَحُوا﴾ فرح بطل ﴿وَأِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ شدة ﴿يَسَاءَ قَدِمْتَ إِلَيْهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ يأسون من الرحمة، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة.

[٣٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بها.

[٣٨] ﴿فَقَاتِلْ آلَ الْفُلْجِ﴾ القرابة ﴿حَقًّا﴾ من البر والصلة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والذين كفروا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المسافر من الصدقة، وأمة النبي تنفع له في ذلك ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يريدون وجه الله ﴿أَي: ثوابه بما يعملون﴾ (١) ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٣٩] ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ مِنْ رَبِّكَ﴾ بأن يعطي شيئاً هبة أو هدية ليطلب أكثر منه؛ فسمي (٢) باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿لِيَرْبِيَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ المظنين؛ أي: يريد ﴿فَلَا يَرْبُوا﴾ يركو ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا ثواب فيه للمعطين ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ مِنْ رَبِّكَ﴾ صدقة ﴿لِيُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ فأولئك هم المضعفون ﴿ثوابهم بما أرادوه، فيه التفات عن الخطاب.

[٤٠] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَرْجِعْكُمْ ثُمَّ يُنَجِّيْكُمْ هَذِهِ مِنْ شُرَاكِكُمْ﴾ من أشرككم بالله ﴿مَنْ يَقْعَلْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ؟﴾ لا ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

[٤١] ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ أي: الفقار؛ بقحط المطر وقلة النبات ﴿وَالْبَحْرِ﴾ أي: البلاد التي عليها الأنهار بقلة مائها ﴿يَسَاءَ كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ بالباء والنون (٤) ﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: عقوبته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون.

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَتَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَسْمَعُ كَلِمَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَكِبُونَ ﴿٣٨﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يِمَّا قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ فَكَاتِلِ آلَ الْفُلْجِ حَقَّهُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنَّ السَّبِيلَ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤١﴾ وَمَاءَ آتَيْنَاهُ مِنْ رَبِّكَ لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءَ آتَيْنَاهُمْ مِنْ رَحْمَتِكَ لِيَرْبُوا وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٤٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعْمِسُكُمْ ثُمَّ يُنَجِّيْكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ يَسَاءَ كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٤﴾

[٣٣] ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾ أي: كفار مكة ﴿ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ دون غيره ﴿ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾ بالمطر (١) ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْكُرُونَ﴾.

[٣٤] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ أريد به التهديد ﴿فَتَمَتَّعُوا فَتَسَوْفَ

(١) الصواب أن الرحمة عامة وتشمل هنا الخلاص من كل شدة تنزل بهم، وهو المناسب لتفسيره الضرب بالشدة. وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى.

(٢) وفيه إثبات لصفة الوجه التي أتيها الله ﷻ لنفسه، ونشبهها له على الوجه اللاتى به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تحميل ولا تكيف. وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي النظر إليه يوم اتيامة وهو الغاية القصوى.

(٣) أي: هذا العطاء، سماه الله ﷻ رزاً لذلك. وهذا تفسير ابن عباس ومجاهد وقادة وغيرهم لهذه الآية.

(٤) بالنون قراءة قبل بخلاف عنه.

[٤٢] ﴿قُلْ لِكُفَّارِ مَكَةٍ﴾ ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومساكنهم ومنازلهم خاوية.

[٤٣] ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ﴾ دين الإسلام ﴿مِن قَبْلُ أَن يَأْتِيَنَا يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد؛ ينفرون بعد الحساب إلى الجنة والنار.

[٤٤] ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال كفره؛ وهو: النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ يَهْدُون﴾ يوطئون منازلهم في الجنة.

[٤٥] ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ ﴿يَصْدَعُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ يشبههم ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يعاقبهم^(١).

[٤٦] ﴿وَمَنْ آتَيْنَاهُ﴾ - تعالى - ﴿أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرِينَ﴾ بمعنى: لتبشركم بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ بها ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ المطر والخصب ﴿وَلِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ﴾ السفن بها ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِيَسْتَعْمُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم يا أهل مكة؛ فتوحدوه.

[٤٧] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَهُم بِالْأَيْمَانِ الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم؛ فكذبوهم ﴿فَأَنقَضْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَهُمْ﴾ أهلكننا الذين كذبوهم ﴿وَكُنَّا حَقًّا عَلَيْهِمْ نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على الكافرين وإهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

[٤٨] ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تزعجه ﴿فَيَسْطُطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَعْلَمُ كَيْفًا﴾ بفتح السين وسكونها^(٢)؛ قطعاً متفرقة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي: وسطه ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ بالوَدْقِ ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ ﴿يَفْرَحُونَ بِالْمَطَرِ﴾ [٤٩] ﴿وَإِن﴾ وقد ﴿كَانُوا مِن قَبْلُ أَن يُزَكَّلَ عَلَيْهِمْ مِن قَبْلِهِ﴾ تأكيد ﴿لِّمُتْلِسِينَ﴾ آسيبن من إنزاله.

[٥٠] ﴿فَانظُرْ إِلَى [أَثَرِ]﴾^(٣) وفي قراءة: ﴿وَأَثَرِ﴾ ﴿رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أي:

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِن قَبْلُ أَن يَأْتِيَنَا يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴿٢﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ يَهْدُون ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ آتَيْنَاهُ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرِينَ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنَ رَحْمَتِهِ وَلِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ بِأَمْرِهِ وَلِيَسْتَعْمُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَهُم بِالْأَيْمَانِ نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَسْطُطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ وِسْقًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ ﴿٧﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ أَن يُزَكَّلَ عَلَيْهِمْ مِن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٨﴾ فَانظُرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾

نعمته^(٤) بالمطر ﴿كَفَيْتَ يَحْيَى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسها بأن تنبت ﴿وَإِن ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) وهذا تأويل لصفة الحية بلازمها، وسبق بيان مذهب السلف في هذه الصفة وغيرها وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به.

(٢) يسكون السين قراءة ابن عامر، بخلاف عن هشام.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقراءة بقية السبعة: ﴿وَأَثَرِ﴾.

(٤) نعمته - شيعته - بالمطر أثر من آثار رحمته. وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ.

[٥٣] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنَّا مَا نَسْمَعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون بتوحيد الله.

[٥٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر؛ وهو: ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ أي: قوة الشاب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحها ^(١) ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُفْسِدُ﴾ يحلف ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَيْسُوا﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق: «البعث»، كما صرفوا عن الحق: «الصدق في مدة البعث».

[٥٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ من الملائكة وغيرهم: ﴿لَقَدْ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿إِنْ يَوْمَ الْبَعْثِ فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقوعه.

[٥٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ﴾ ^(٢) ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبي؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيهاً لهم ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿يَجْتَهُمُ﴾ يا محمد ﴿يَاكُذُّ﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع للنفاء الساكنين ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ أي: محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أصحاب أباطيل.

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوحيد؛ كما طبع على قلوب هؤلاء.

[٦٠] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصره عليهم ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَكَ﴾ بالبعث؛ أي: لا يحملئك على الخفة والطيش بترك الصبر؛ أي: لا تتركه.

وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا رَحْمَةً لِّظُلُمٍ مِّنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥٤﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنَّا نَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٥٦﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٧﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُفْسِدُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَيْسُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَّيْقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٦١﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَكَ

[٥١] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا رَحْمَةً﴾ مصرة على نبات ﴿فَرَأَاهُ﴾ مُصَفَّرًا لَطَّلُوا صاروا، جواب القسم ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد اصفرائه ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يجحدون النعمة بالمطر.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الباء ^(١) ﴿وَلَوْ أَنَّ مَدِيرِينَ﴾.

(١) التسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وشعبة، وحفص في أحد الوحيين، والوجه الآخر لحفص بخف عه، وحمزة، وشعبة: ﴿ضعف﴾ بالفتح.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

سُورَةُ الْقَمَانِ

سُورَةُ الْقَمَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَمَانِ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ أَنْتَنَّا عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا
كَانَ لَوِ يَسْمَعُهَا كَأَن فِي أذُنِهِ وَفَرَّاقِبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَالِدِينَ فِيهَا فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا وَالْقِي فِي الْأَرْضِ رَوًى أَن يَقِيدَ
بِكُوفَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ؕ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

جبالاً مرتفعة لـ ﴿١﴾ لا ﴿٢﴾ تتحرك ﴿٣﴾ يكفُّم وَتَفِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
وَأَنْزَلْنَا فِيهِ الْغِيَاةَ ﴿٤﴾ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٥﴾ صنف حسن.

[١١] ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ أي: مخلوقه ﴿فَأَرُونِي﴾ أخبروني يا أهل مكة
﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ غيره؛ أي: ألهتكم حتى أشركتموها به. تعالى؟
و«ما» استفهام إنكار مبتدأ، و«ذا» بمعنى الذي يصلِّيهِ خَيْرُهُ، و«أروني» معلق
عن العمل، وما يتقدِّمهُ سُدَّ مَسَدَ المفعولين ﴿بَلِ﴾ للانتقال ﴿الظَّالِمُونَ﴾ في
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿يَشِي بِأَسْرَاحِهِمْ وَأَنْتُمْ مِنْهُمْ﴾.

[مكية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَدُ﴾ الآيتين؛ فمدنيتان،
وهي: أربع وثلاثون آية، نزلت بعد الصفات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْقَمَانِ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات
﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة، والإضافة بمعنى: من.
[٣] هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالرفع ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي قراءة العامة:
بالنصب^(١)، حالاً من الآيات العامل فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة.
[٤] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ بيان للمحسنين ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿هُمْ﴾ الثاني تأكيد.
[٥] ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٦] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي: ما يلهي منه عما يعني
﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الباء وضمها^(٢) ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب: عطفًا على «يضل»، وبالرفع^(٣): عطفًا على ﴿يَشْتَرِي﴾،
﴿هُزُوًا﴾^(٤) مَهْزُوءًا بها ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٥) ذواهانة.

[٧] ﴿وَإِذْ أَنْتَنَّا عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبرًا
﴿كَانَ لَوِ يَسْمَعُهَا كَأَن فِي أذُنِهِ وَفَرَّ﴾ صمًا، وجعلنا التشبه حالان من
ضمير: ﴿وَلَّى﴾، أو: الثانية ياءٌ للأولى ﴿فَبَسَّرَهُ﴾ أغْلَمَهُ ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾
مؤلم، ذكر الإشارة تهكم به؛ وهو: النظر بن الحارث، كان يأتي الحيرة ينجر
فيشتري كتب أخبار الأعاجيب ويحدث بها أهل مكة^(٦)، ويقول: إن محمدًا
يحدثكم أحاديث عاد ونمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم.
فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.

[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.
[٩] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدراً خلودهم فيها إذا دخلوها
﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعدهم الله ذلك، وَخَفَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ
الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيدته ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ الذي لا يضع
شيئاً إلا في محله.

[١٠] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا﴾ أي: العمدة، جمع عماد؛
وهو: الأسطوانات، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿وَالْقِي فِي الْأَرْضِ رَوًى﴾

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبعوا الفئتان، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، ومنهن حرام»، في مثل ذلك أنزلت عليه هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٢) ومن سورة لقمان. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥٥٣).
قال ابن الأثير: «الفئتان: الأمة؛ عُتُوا لَمْ تُفَرَّ... وجمعها: فئتان...» (النهاية ٤ / ١٣٥). وروى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: «الفناء وأشباهه». صحيح
الأدب المفرد (٩٥٥).

(١) الرفع قراءة حمزة. وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) قرأ حفص: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا، وقرأ حمزة وصلًا: ﴿هُزُوءًا﴾؛ بسكون الزاي مهموزًا، ووقفاً: ﴿هُزُوًا﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي مهموزًا.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٢٣٢) عن الكلبي ومقاتل. وهما منهما بالكذب، وأخرج نحوه البيهقي في شعب الإيمان (٣٠٥/٤) عن ابن عباس من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، وثلاثتهم مضمون بالكذب. وانظر: الاستيعاب (٥٩/٣، ٦٠).

﴿أَشْكُرُ لِلَّهِ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّا نَبْذُرْهُ﴾
﴿لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ﴾ عن خلقه
﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه.

[١٤] وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ۖ أَمْرَاهُ أَنْ يَبْرَهُمَا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ فَوَهَتْ وَوَهَّأَ عَلَى وَهْنٍ ۖ أَي: ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة وَوَصَّيْنَاهُ ۖ أَي: فطامه (فِي عَامَيْنِ) ۖ وَقُلْنَا لَهُ: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ لَذِكَ

﴿١٦﴾ وَيَسِّرْ لَهَا أَمْرًا: أي: الخصلة السبقة ﴿إِنَّ لَكَ مَقَالًا حَيْرَ بْنَ زَرْكَلٍ فَكُنْ فِي صَحْرِهِ أَوْ فِي الْمَسْنُونِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأْتِي بِهَا اللَّهُ﴾ فيحاسب عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِمَا كُنْتَ تَعْمَلُ﴾ استخرجها ﴿حَيْرَ﴾ مكانها.

[١٨] ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ وفي قراءة: ﴿نُصَاعِرْ﴾ ﴿حَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمل جهك عنهم تكبرا ﴿وَلَا تَنشَ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: خيلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّالٍ﴾ متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس.

آیات . فذكر قصة ... قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا

كَلَامُ اللَّهِ ﷻ وَأَنْ يَّقْتَصِرَ عَلَى مَوْضِعِ الْعَبْرَةِ وَالْقَائِدَةِ مِنَ الْقِصَّةِ.

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٧﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ وَيَنْبَغِي لَهُ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِنَّا الشَّرُكَ لَطُلُمٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ وَوَضَعْنَا لِلْإِنسَانِ نُورًا وَلَدَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرَ ﴿١٩﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ يَبْنِي إِلَهَانَا نَكَاحًا مُّقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾ يَبْنِي أَيْمَةَ الصَّلَاةِ وَأُمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِيرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَرْمِ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمُشْ فِي الْأَرْضِ مُرَحًّا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ وَأَعْصِمْ مِنْ صَوْلَتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٢٤﴾

[١٢] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ منها: العلم والديانة والإصابة في القول، وحكمته كثيرة مأثورة، كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكفيها إذا كفيت^(١)! وقيل له: أي الناس شر؟ قال: «الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيقاً» **﴿أَنْ﴾** أي: وأقلنا له: أن

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (١٤، ١٥): أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: نزلت في أربع آيات - فذكر قصة - ... قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدا حتى يكثر دينه، ولا تأكل ولا تشرب؛ قالت: زعمت أن الله أوصل بالدينك، وأنا أعلم، وأنا أمرك بهذا، قال: فسكنت لألاك حتى غشي عليها من الجهل، فقام ابن لها يقال له: حمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأقول الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿وَمَنْ سَأَلَ عِلْمًا مِنْ رَبِّهِ فَلَا يَشْأُرْ بِهِ ثَمَرًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ لَهُ شَيْئًا مِمَّا يُرِيدُ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَأَلَ عِلْمًا مِنْ رَبِّهِ فَلَا يَشْأُرْ بِهِ ثَمَرًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ لَهُ شَيْئًا مِمَّا يُرِيدُ» فيها: ﴿وَمَا يَتَّبِعُهُمْ فِي كِبَرِهِمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ عَنِ السَّاعَةِ غَيْرُ مُبْدِرٍ﴾ فإن جاهدك علمك أن الله عز وجل قد فعل لك شيئا مما تريد... وفيها: ﴿وَمَا يَتَّبِعُهُمْ فِي كِبَرِهِمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ عَنِ السَّاعَةِ غَيْرُ مُبْدِرٍ﴾ فإن جاهدك علمك أن الله عز وجل قد فعل لك شيئا مما تريد...
نزلت فيها، وترجم عنها أنها إني لقسان، والله أعلم.

(٦) فضل سعد بن أبي وقاص. وتقدم في تفسيرية العنكبوت (٨) ذكر الاختلاف في قصة سعد والآية التي

(١) هذه الأخبار عن لقمان عليه السلام وابنه مما لم تثبت ببديل صحيح، فالأولى أن لا تعتمد في تفسير كلام الله ﷻ وأن يقتصر على موضع العبرة والفائدة من القصة.

(٢) لحمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو.

[٢٠] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ مِنْ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجْمِ؛ لَتَنْتَفِعُوا بِهَا ۖ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مِنَ الشَّارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْدُّوَابِ ۖ وَأَسْبَغَ ۖ أَوْسَعَ وَأَمَّ ۖ عَلَيْكُمْ نِعْمَ ظَهْرُهُ ۖ وَهِيَ: حَسَنُ الصُّورَةِ وَتُسْوِيَةُ الْأَعْضَاءِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ۖ وَبَاطِنُهُ ۖ هِيَ: الْمَعْرِفَةُ وَغَيْرَهَا ۖ وَمِنَ النَّاسِ ۖ أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ ۖ مَن يَجِدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى ۖ مَن رَسُولٌ ۖ وَلَا كِتَابٌ مُّنِيرٌ ۖ أَنْزَلَهُ اللَّهُ، بَلْ بِالتَّقْلِيدِ.

[٢١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْنَا آيَاتِنَا ۖ قَالَ - تَعَالَى -: ۖ إِنَّكُمْ يَتَّبِعُونَهُ ۖ وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۖ أَيُّ: مُوجِبَاتِهِ لَا.

[٢٢] ﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ۖ أَيُّ: يَقْبَلُ عَلَى طَاعَتِهِ ۖ وَهُوَ مُخَيَّرٌ ۖ مُوَحَّدٌ ۖ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۖ بِالطَّرْفِ الْوُثْقَى الَّذِي لَا يَخَافُ انْقِطَاعَهُ ۖ وَإِلَى اللَّهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ ۖ مُرْجِعُهَا.

[٢٣] ﴿وَمَن كَفَرَ ۖ فَلَا يَحْزُنُكَ ۖ يَا مُحَمَّدٌ ۖ كُفْرُهُ ۖ لَا تَهْتَمُ بِكُفْرِهِ ۖ إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فَنِّيْنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۖ أَيُّ: بِمَا فِيهَا كُفْرُهُ ۖ فَمَحَازٍ عَلَيْهِ.

[٢٤] ﴿لَنُنَبِّئَهُمْ ۖ فِي الدُّنْيَا ۖ قَلِيلًا ۖ أَيَّامَ حَيَاتِهِمْ ۖ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ ۖ فِي الْآخِرَةِ ۖ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ وَهُوَ: عَذَابُ النَّارِ لَا يَجِدُونَ عَنْهُ مَحِيضًا.

[٢٥] ﴿وَلَكِن ۖ لَّامَ قَسَمٍ ۖ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ حَذَفَ مِنْهُ نَوْنُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي الْأَمْثَالِ، وَ«وَاو» الضَّمِيرُ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ ۖ قُلْ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ۖ عَلَى ظُهُورِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمُ بِالْحَمِيدِ ۖ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ وَجُوبُهُ عَلَيْهِمْ.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ مَلَكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا؛ فَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةُ فِيهِمَا غَيْرُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ عَنْ خَلْقِهِ ۖ الْحَمِيدُ ۖ الْحَمْدُ فِي صَنْعِهِ.

[٢٧] ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ۖ وَالْبَحْرُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى اسْمِ «أَنْ» ۖ يَمْدُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ ۖ مَدَادًا ۖ مَا يَفِدْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ ۖ الْمَعْبَرُ بِهَا عَنْ مَعْلُومَاتِهِ بِكُتُبِهَا بَلْكَ الْأَقْلَامُ، بِذَلِكَ الْمَادَدِ، وَلَا بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَن مَعْلُومَاتِهِ ۖ - تَعَالَى - غَيْرُ مَتْنَاهِيَةٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَرِيبٌ ۖ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجِدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا أُولَٰئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۖ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ ۖ وَمَن كَفَرَ ۖ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۖ إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فَنِّيْنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۖ لَنُنَبِّئَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ وَلَكِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۖ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ۖ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ۖ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۖ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۖ

﴿حَكِيمٌ﴾ لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

[٢٨] ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خَلَقًا وَبَعَثًا؛ لِأَنَّهُ بِكَلِمَةِ «كُن» فَيَكُونُ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يَسْمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ ﴿بَصِيرٌ﴾ يَبْصُرُ كُلَّ مُبْصَرٍ، لَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ.

(١) أي: كغير ما في الصدور، فلا تخفى عليه - شَيْخَانَهُ - خَافِيَةٌ.

(٢) بالنصب، وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَالْبَحْرُ﴾ بالضم.

(٣) تفسير كلمات الله بمعلوماته عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف منها، وكلماته - شَيْخَانَهُ - هي: كلامه وقوله الذي لا نفاذ له؛ فهو - شَيْخَانَهُ - لم يزل ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء. وما ذهب إليه المفسر راجع إلى مذهب الأشاعرة وغيرهم أن كلام الله معنى واحد قائم بالنفس قديم لا يوصف بالعدد، وهذا خلاف مذهب السلف وطريقتهم.

أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿٣٠﴾ هُوَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ على خلقه بالقهر^(١)؛ يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ على خلقه بالقهر^(٢) ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم.

[٣١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَبْتُ اللَّهَ لِيُرِيَكُمْ﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿مِنْ آيَاتِهِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴿عَبْرًا لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ لِنِعْمَتِهِ.

[٣٢] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: علا الكفار ﴿مَوْجٌ كَاطِلٌ﴾ كالجبال التي تظلم من تحتها ﴿دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدعاء بأن ينجيهم؛ أي: لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا يَنْجَرُهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ متوسط بين الكفر والإيمان، ومنهم باقى على كفره ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ ومنه الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كُلُّ خَسَّارٍ﴾ غدار ﴿كُفُورٍ﴾ لِيَقُمَ اللَّهُ تَعَالَى.

[٣٣] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفَؤُا رَبَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة^(٣) ﴿أَتْفَؤُا رَبَّهُمْ﴾ وَخَشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي ﴿بِغِيٍّ﴾ يعني ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ فيه شيقا ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ﴾ فيه ﴿شَيْئًا﴾ إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا بِالْبَعث ﴿فَلَا تَعْرَتَكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ﴾ في جلبيهِ وإمهاله ﴿الْغُرُورُ﴾ الشيطان.

[٣٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنَزَّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٤) ﴿الْقَيْثُ﴾ بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أَذْكَوْا أَمْ أَثْنَى، ولا يعلم واحدا من الثلاثة غير الله. تعالى. ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ﴾ عَدَاً من خير أو شر، ويعلمه الله. تعالى. ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله. تعالى. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌ﴾ باطله كظاهره، روى البخاري عن ابن عمر حديث: «مَقَاتِلُ الْعَيْبِ خَمْسَةٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى آخر السورة^(٥)».

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّحُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّحُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَبْتُ اللَّهَ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَاطِلٌ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَسَّارٍ كُفُورٍ ﴿٣٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفَؤُا رَبَّهُمْ وَخَشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدَاً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا مخاطب ﴿أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّحُ﴾ يدخل ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّحُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَجْرِي فِي فَلَكِهِ﴾ إِنَّ

(١) بالناء قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٢) وهذا، من قصر العم على بعض أفرادها، والله ﷻ له العلو المطلق ذاتا وشأنًا وقهرا.

(٣) الخطاب لأهل مكة وغيرهم.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) البخاري (٤٦٢٧) بلفظ «مفاتيح» وخُرجه أيضًا في (٤٧٧٨) بنحو هذا اللفظ.

سُورَةُ التَّحْوَةِ

[مكية، ثلاثون آية (*)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِهِ.

[٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ خبر أول ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبر ثانٍ.

[٣] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ﴾ محمداً لا ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ إشْدَرُ بِهِ ﴿قَوْمًا مَّا﴾ نافية ﴿أَنْتَهُمْ مِنْ تَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك.

[٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة^(١) ﴿ثُمَّ أَسْرَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرى الملك، استواء يليق به^(٢) ﴿مَا لَكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ وَلِيٍّ﴾ اسم ﴿مَا﴾ بزيادة من؛ أي: ناصر ﴿وَلَا تُفِجْ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟.

[٥] ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ﴾ يرجع الأمر والتدبير^(٣) ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا، وفي سورة «سأل»: ﴿حَسِبَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٤) وهو يوم القيامة؛ لشدة أهواله بالنسبة إلى الكفار، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا، كما جاء في الحديث^(٥).

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الخالق المدير ﴿عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالنَّهْدَةُ﴾ أي: ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿الْعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته.

[٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام: فعلاً ماضياً صفة، وبسكونها^(٦) بدل اشتمال ﴿وَيَذَرُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾ آدم ﴿مِنْ طِينٍ﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ سَلَكًا﴾ ذريته ﴿مِنْ سُلَلَةٍ﴾ علقه ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ضعيف؛ هو: النطفة.

[٩] ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِيٍّ﴾ أي: جعله حياً حساساً بعد أن كان جماداً ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ أي: لذريته ﴿السَّمْعَ﴾ بمعنى: الأسماع ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ وَالْأَفْئِدَةَ ﴿الْقُلُوبَ﴾ قَلْبًا مَّا تَشْكُرُونَ.

﴿مَا﴾ زائدة مؤكدة للقلّة.

[١٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: منكرو البعث: ﴿إِنَّا صَلَّيْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ غَيْثًا فِيهَا بَأْنْ صِيْرًا تَرَابًا مَخْطَلًا بِتَرَابِهَا ﴿إِنَّا لَنَرَى خَلْقَ جَدِيدٍ﴾؟ استفهام إنكار، بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين^(٧)، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿كَافِرُونَ﴾.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتُوفَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَكُمْ﴾ أي: يقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أحياء؛ فيجازيكم بأعمالكم.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾» (كتاب الجمعة (١١) باب (١٠)) ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة.

وأخرج الترمذي عن جابر أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٩) ما جاء في فضل سورة الملك، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٧٣)).

(١) الأولى أن يقول هنا كما قال في تفسير الآية (٥٩) من سورة الفرقان: «أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس».

(٢) سبق التعليق مراراً على هذا الضمير، وذكرنا الفارق بين تفويض الكيفية والذي هو حق، وبين تفويض المسمى وأنه خلاف فهم السلف الذين كانوا يعلمون أن الاستواء يفيد الاستقرار والعلو.

(٣) قال ابن جرير في تفسير الآية: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه يدير الأمر من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه في يوم كان مقداره ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمسمائة في النزول وخمسمائة في الصعود؛ لأن ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التنزيل». وفي هذه الآية إثبات لعلو الله - تعالى - على خلقه.

(٤) المعارج: ٤.

(٥) رواه أحمد (١١٢٩٢) وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً (الدر المنثور (٤١٧/٦))، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٠٩٢ ج ٢).

(٦) بسكونها قراءة أكثر كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٧) أي: وتركه، وقرأ ابن عامر بالإحراق في الأول والاستفهام في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَأَرْجَعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿وَنَعَمَلْ صَلِيحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن؛ فما ينفعهم ذلك، ولا يرجعون، وجواب ﴿كُذِّبُوا﴾: لرأيت أمراً فظيماً، قال - تعالى -: [١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى مِّنَ الْجَنَّةِ وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِّنَ الْجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٤] وتقول لهم الجنة (١) إذا دخلوها: ﴿فَذُوقُوا﴾ العذاب ﴿يَمَّا تَسِيرُونَ﴾ لقاء يومكم هذا، أي: بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الدائم ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

[١٥] ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قالوا: «سبحان الله وبحمده» ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة.

[١٦] ﴿تَسْجُدُ لَهُمْ جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجدًا ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطُمَعًا﴾ في رحمته (٢) ﴿وَمِمَّا زَقَنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يتصدقون.

[١٧] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمُ﴾ خفي ﴿لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (٣) ما تقر به أعينهم، وفي قراءة (٤) بسكون الباء؛ مضارع ﴿جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٨] ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ أي: المؤمنون والفاسفون.

[١٩] ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ﴾ هو ما بعد للضيف ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأْوِيَّتُهُمُ النَّارُ﴾ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى مِّنَ الْجَنَّةِ وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٤﴾ فَذُوقُوا يَمَّا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ تَسْجُدُ لَهُمْ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا وَمِمَّا زَقَنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٧﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمُ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٩﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ مَّا أُوذُوا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَّتُهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

[٢٢] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُتَجَبِّرِينَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ مطأطؤها خياء يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما أنكون من البعث

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية: ﴿تَسْجُدُ لَهُمْ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا...﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة. ابراهيمي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٣) ومن سورة السجدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٤).

(٥٥) فائدة: أخرج مسلم عن سهل بن سعد قال: شهدت من رسول الله ﷺ مجلس وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال ﷺ في آخر حديثه: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ثم أقرأ هذه الآية: ﴿تَسْجُدُ لَهُمْ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا وَمِمَّا زَقَنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ فلا تعلم نفس مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ. مسلم - كتاب الجنة وصفة يعيها وأهلها (٥١) حديث رقم (٢٨٢٥).

(١) لا ملجئ لحمل اللفظ على خلاف ظاهره وجعل القول للخرقة، وكلام الله - سبحانه - المنفي عنهم في الآخرة هو كلام الرحمة والإكرام لا الزجر والتوبيخ.

(٢) أي: «أخفئ»، وهي حمزة.

وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ
 أَعْرِضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
 مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
 هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
 لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
 يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
 ﴿٢٥﴾ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
 ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
 بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ
 ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
 قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ
 يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِذْ هُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

[٢١] ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ﴾ عذاب الدنيا؛ بالقتل، والأسر،
 والجذب سنين، والأمراض ﴿وَدُونَ﴾ قبل ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة
 ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ إلى الإيمان.
 [٢٢] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ القرآن ﴿فَرَّغَ عَنْهَا﴾ أي:
 لا أحد أظلم منه ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿مُنْقِمُونَ﴾.
 [٢٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك
 ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ وقد التقى ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: موسى أو الكتاب
 ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.
 [٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء^(١)؛ قادة
 ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿يَأْتِينَا لِمَا صَبَرُوا﴾ على دينهم، وعلى البلاء من
 علوهم، وفي قراءة^(٢): بكسر اللام وتخفيف الميم ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة
 على قدرتنا ووحدايتنا ﴿يُوقِنُونَ﴾.
 [٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
 يَخْتَلِفُونَ ﴿من أمر الدين﴾.
 [٢٦] ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: بتبين لكفار مكة
 إهلاكنا كثيراً ﴿مِنْ الْقُرُونِ﴾ الأمم بكفرهم ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير
 ﴿لَهُمْ﴾ ﴿فِي مَسْكِينِهِمْ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها؛ فيعتبروا ﴿إِنَّ فِي
 ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر وانعاط؟.
 [٢٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ اليابسة التي لا
 نبات فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾
 هذا، فيعلمون أن نقدر على إعادتهم.
 [٢٨] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ بيننا وبينكم ﴿إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟﴾.
 [٢٩] ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ إنزال العذاب بهم ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يجهلون لتوبة أو معذرة.
 [٣٠] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ﴾ إنزال العذاب بهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾
 بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

(١) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

(٢) لحمزة والكسائي.

وَالْمُنْفِقِينَ ﴿١﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴿٣﴾ بما يكون قبل كونه ﴿٤﴾ حَكِيمًا ﴿٥﴾ فيما يخلقه.

[٢] ﴿وَأَنْتَعِمَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿رَبَّكَ اللَّهُ كَاتِبُهَا﴾ ﴿يَمَّا تَعْمَلُونَ خَسِيرًا﴾ وفي قراءة^(١): بالتحانية.

[٣] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أمرك ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظًا لك، وأمنه تبع له في ذلك كله.

[٤] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ﴾ رُداً على من قال من الكفار: ﴿إِنَّ لَهُ قَلْبَيْنِ يَعْقِلُ بِكُلِّ مَنَهُمَا أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِ مُحَمَّدٍ﴾^(٢) ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَىٰ﴾ بهمة وباء وبلاء ياء^(٣) ﴿تَنْظُرُونَ﴾ بلا ألف قبل الهاء وبها^(٤)، والباء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء ﴿مِنْهُنَّ﴾ يقول الواحد مثلاً لزوجته: ﴿أَنْتَ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي﴾ ﴿أَتَهْتِكُنَّ﴾ أي: كالأهيات في تحميمها بذلك، المد في الجاهلية طلاقاً، وإنما تجب به الكفارة بشرطه؛ كما ذكر في سورة المجادلة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ جمع دعى؛ وهو: من يدعى لغير أبيه ابتلاً له ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ حقيقة ﴿ذَلِكَكُمْ قَوْلُكُمْ يَأْتِيهِمْ﴾ أي: اليهود والمنافقين، قالوا لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي نبأه النبي ﷺ، قالوا: تزوج محمد امرأة ابنه. فأكذبهم الله - تعالى - في ذلك^(٥) ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ في ذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ سبيل الحق.

[٥] لكن ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْمَلُوا لِأَبَائِهِمْ فَلِخَوْنِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ بنو عمكم^(٦) ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ في ذلك ﴿وَلَكِنْ﴾ في ﴿مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه: أي: بعد النهي ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَبِّكُمْ﴾ بكم في ذلك^(٧).

[٦] ﴿أَتَىٰ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ في حرمة نكاحهن عليهم ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ ذوو القربابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّا أَوْلَىٰ بِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فجائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ وأريد به ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

(١) ما جاء في بول الآية (٥): أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٢).

وأخرج أيضاً عن عائشة - رضي الله عنها -: ... كان من ثبتي رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه، حتى أنزل الله: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾، فردوا إلى آبائهم، فس لم يعلم له أب كان مولى وأماً في الدين...». البخاري - كتاب النكاح (٦٧) باب (١٥) الأكل في الدين.

(١) لأبي عمرو.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٤/٢١) عن مجاهد، وذكره السيوطي في ابدار المنثور (٥٦١/٦) وزاد نسبه لابن أبي شبة وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٧٨/٣، ٧٩).

(٣) قرأ أبو عمرو والبري بياء ساكنة مع المد المشع، وقرأ ورث بياء مكسورة، وقرأ قالون وقبل بهمة مكسورة من غير ياء بعدها، وقرأ الباقون بهمة مكسورة وياء بعدها.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء، وكذلك ابن عامر لكن مع تشديد الظاء، ومثله نافع وابن كثير وأبي عمرو لكن بدون ألف بعد لظاء، وقرأ عاصم: ﴿نظَاهِرُونَ﴾ بضم التاء وفتح الهاء مع تخفيف الظاء.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٩٤)، والنخوي في تفسيره (٣١٧/٦).

(٦) الأولى له في اللغة استعمالات عديدة، منها ابن العم، والمراد بالآية أي ادعهم بالأخوة الإيمانية والموالاتة على ذلك، فقولوا: هذا أخي، وهذا مولاي، وبأخي وبأولاي، ولا تنظروا أن عدم علمكم بأبائهم عذر في دعوتهم إلى من تنهائم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنْفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَنْتَعِمَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفَيْهِ وَ مَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَىٰ تَنْظُرُونَ مِّنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْمَلُوا لِأَبَائِهِمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَا كُنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ أَلَتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا إِنَّا أَنْتُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

سُورَةُ الْأَخْرَابِ

[مدنية، ثلاث وسبعون آية، نزلت بعد آل عمران]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ذم على تقواه ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ

(١) ما جاء في بول الآية (٥): أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٢).

وأخرج أيضاً عن عائشة - رضي الله عنها -: ... كان من ثبتي رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه، حتى أنزل الله: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾، فردوا إلى آبائهم، فس لم يعلم له أب كان مولى وأماً في الدين...». البخاري - كتاب النكاح (٦٧) باب (١٥) الأكل في الدين.

(١) لأبي عمرو.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٤/٢١) عن مجاهد، وذكره السيوطي في ابدار المنثور (٥٦١/٦) وزاد نسبه لابن أبي شبة وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٧٨/٣، ٧٩).

(٣) قرأ أبو عمرو والبري بياء ساكنة مع المد المشع، وقرأ ورث بياء مكسورة، وقرأ قالون وقبل بهمة مكسورة من غير ياء بعدها، وقرأ الباقون بهمة مكسورة وياء بعدها.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء، وكذلك ابن عامر لكن مع تشديد الظاء، ومثله نافع وابن كثير وأبي عمرو لكن بدون ألف بعد لظاء، وقرأ عاصم: ﴿نظَاهِرُونَ﴾ بضم التاء وفتح الهاء مع تخفيف الظاء.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٩٤)، والنخوي في تفسيره (٣١٧/٦).

(٦) الأولى له في اللغة استعمالات عديدة، منها ابن العم، والمراد بالآية أي ادعهم بالأخوة الإيمانية والموالاتة على ذلك، فقولوا: هذا أخي، وهذا مولاي، وبأخي وبأولاي، ولا تنظروا أن عدم علمكم بأبائهم عذر في دعوتهم إلى من تنهائم.

[٧] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ حين أخرجوا من صلب آدم كالدُّرِّ: جمع ذرة؛ وهي: أصغر النمل ﴿وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَيبًا﴾ شديدًا بالوفاء بما حملوه؛ وهو: اليمين بالله - تعالى -، ثم أخذ الميثاق.

[٨] ﴿لَيْسَ لَكَ اللَّهُ﴾ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴿فِي تَلْفِيفِ الرِّسَالَةِ﴾ تَبَكُّيًا للكافرين بهم ﴿وَأَعَدَّ﴾ - تعالى - ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً، هو عطف على ﴿أَخَذْنَا﴾.

[٩] ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالناء: من حفر الخندق، وبالياء^(١): من تحزيب المشركين ﴿بَصِيرًا﴾.

[١٠] ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ رَاغَبْتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب ﴿وَوَلَّغْتَ الْفُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة؛ وهي: منتهى الحلقوم، من شدة الخوف ﴿وَتَطَّوَّنُوا بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ المختلفة بالنصر والباس.

[١١] ﴿هَٰلِكَ ابْنُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ اختبروا ليتبين المخلص من غيره ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ حركوا ﴿وَزُلْزِلَا شَدِيدًا﴾ من شدة الفزع.

[١٢] ﴿وَإِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿ضَعُفٌ اعْتِقَادٍ﴾ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَوَسَّلَهُمْ ﴿بِالنَّصْرِ﴾ إِلَّا غُرُورًا ﴿بَاطِلًا﴾.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ أي: المنافقون: ﴿يَتَّهَلَّا بِرَبِّ﴾ هي: أرض المدينة، ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم وفتحها^(٢)؛ أي: لا إقامة ولا مكانة ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع - جبل خارج المدينة - للقتال ﴿وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ﴾ في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّا بِيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة يُحْشَى عليها، قال - تعالى -: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتال.

[١٤] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أي: المدينة ﴿عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ نواحيها ﴿ثُمَّ

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَيبًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لَكَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَبْتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَّغْتَ الْفُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَطَّوَّنُوا بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هَٰلِكَ ابْنُ الْمُؤْمِنِينَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَتَّهَلَّا بِرَبِّ يَتْرَبُ لَكُمْ لَمَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بِيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ وَلَوْ دُخِلَتْ

سُئِلُوا: أي: سألهم الداخلون ﴿الْفِتْنَةَ﴾ الشُّرْكَ ﴿لَا تَوْهَا﴾ بالمد والقصر^(٣)؛ أي: أعطوها وفعلوها^(٤) ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا بَيْرًا﴾.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤَلِّتَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَاهِدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ عن الوفاء به.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) بالفتح قراءة السبعة عدا حفص.

(٣) بانقصر قراءة نافع وابن كثير.

(٤) بالترتيب على القراءتين.

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا
لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ
لِإِخْرَاجِهِمْ هَلْهُنَا إِنَّمَا وَلَا يَأْتُونَ النَّبَأَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَالَّذِي يُغْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ
بِالْأَيْسَةِ جَدَادِ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ
اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ
الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوْدُؤُوا لَوْ أَنَّهُمْ
بَادُؤُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ
مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلِمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا﴾

فرتم ﴿لَا تَنْتَعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بقية أجالكم.
[١٧] ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ يجيركم ﴿مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ
سُوءًا﴾ هلاكًا وهزيمة ﴿أَوْ﴾ يصيكم بسوء إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾
خيرًا؟ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا
نَصِيرًا﴾ يدفع الضر عنهم.

[١٨] ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوفِينَ﴾ المضطربين ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ
هَلْهُنَا﴾ تعالوا ﴿إِنَّمَا وَلَا يَأْتُونَ النَّبَأَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياءً وسمعةً.

[١٩] ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة، جمع شحيح، وهو حال من ضمير
﴿يَأْتُونَ﴾ ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي
كَنْظَرُ أَوْ كدوران الذي يُغْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: سكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ
الْخَوْفُ وَجِزَّتِ الْغَالِمُ﴾ سَلَفُوكُمْ ﴿أَدُوكُمْ أَوْ ضَرَبُوكُمْ﴾ بِالْأَيْسَةِ جَدَادِ
أَيْسَةً عَلَى الْخَيْرِ ﴿أَي: كائنون في البداية﴾ يَسْتَلُونُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ﴿حَقِيقَةً
فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ بإرادته.

[٢٠] ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى مكة؛ لحوفهم
منهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ﴾ كَوَّةٌ أُخْرَى ﴿يَوْدُؤُوا﴾ يضمنوا ﴿لَوْ أَنَّهُمْ
بَادُؤُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: كائنون في البداية ﴿يَسْتَلُونُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾
أخباركم مع الكفار ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ هذه الكوَّة ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا
قَلِيلًا﴾ رياءً وخوفًا من التعبير.

[٢١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ [إِسْوَةٌ] ﴿بِكسر الهمزة وضمها﴾
﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتداء به في القتال والفتاة في مواطنه ﴿لِمَنْ﴾ بدل من
﴿لَكُمْ﴾ ﴿كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا
بخلاف من ليس كذلك.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ في الوعد ﴿وَمَا
زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ تصديقًا بوعده الله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَبِهِمْ مَن قَضَىٰ تَحِبُّهُ، وَوَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا ﴿٢٤﴾ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا مِّن قَبْلٍ سَنَجْزِيكَ أَجْرَكَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا: أَي: الْأَحْزَابَ ﴿يَغِطُّهُمْ لَمْ يَأْلُوا حَيْثُ إِيمَانُهُمْ﴾ مِّنَ الظُّفْرِ بِأَظْفَارِهِمْ ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْكُفْرِينَ أَفْقَالًا﴾ بِالرَّيْحِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴿وَكَاذَبَ اللَّهُ قَوْلًا﴾ عَلَىٰ إِيجَادِ مَا يَرِيدُهُ ﴿عَزِيزًا﴾ غَالِبًا عَلَىٰ أَمْرِهِ. ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوهُ مِّن أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أَي: قَرِيبَةً مِّن صَيَاصِيهِمْ ﴿حَصُونَهُمْ﴾ جَمْعُ صَيْصَةٍ وَهُوَ: مَا يَتَحَصَّنُ بِهِ ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ قُلُوبُهُمُ الرُّعْبُ: الْخَوْفُ ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ مِنْهُمْ؛ وَهُمْ: الْمُقَاتِلَةُ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا مِنْهُمْ؛ أَي: الذَّرَارِي. ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَنفُسَهُمْ وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْكُوهَا﴾ بَعْدَ: وَهِيَ: خَيْرٌ أُخِذَتْ بَعْدَ قَرِيبَةٍ ﴿وَكَبَّ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾. ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ﴾ وَهِيَ: تَسْعُ، وَطَلَبُ مَنْهُ مِنْ رِزْقِ الدُّنْيَا مَا لَيْسَ عَنْده: ﴿إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبُّنَا لَمَّا لَكُم مَّا تَكْتُمُونَ﴾ أَي: مَتَاعَ الطَّلَاقِ ﴿وَأَسْرَعَكُم سَرًّا جَلِيلًا﴾ أَطْلَقَكُمْ مِنْ غَيْرِ ضَرَارٍ. ﴿وَلَكِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ الْأَخْرَجُوا﴾ أَي: الْجَنَّةَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْجَنَّةِ الْآخِرَةِ﴾ إِيْرَادَةُ الْآخِرَةِ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أَي: الْجَنَّةَ؛ فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا^(١). ﴿يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مَن يَأْتِيهِ مِّنْكُمْ بِمُحْسَنَةٍ﴾ بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكسرها^(٢): أَي: يَنْتِ، أَوْ هِيَ بَيْتَةٌ ﴿يَضَعُ فِي قُرْبَانِهِ﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ^(٣): ﴿يَضَعُ فِي الشَّدِيدِ﴾ وَفِي أُخْرَى^(٤): ﴿يَضَعُ فِي النَّوْنِ مَعَهُ وَتَضَبُّ الْعَذَابُ﴾ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴿ضَعْفِي عَذَابَ غَيْرِهِنَّ﴾ أَي: مِثْلِيهِ ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

﴿٢٣﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴿فَبِهِمْ مَن قَضَىٰ تَحِبُّهُ﴾ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ﴾ ذَلِكَ ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ فِي الْعَهْدِ، وَهُمْ بِخِلَافِ حَالِ الْمُنَافِقِينَ^(١). ﴿٢٤﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا ﴿لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا مِّن قَبْلٍ سَنَجْزِيكَ أَجْرَكَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿٢٥﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا: أَي: الْأَحْزَابَ ﴿يَغِطُّهُمْ لَمْ يَأْلُوا حَيْثُ إِيمَانُهُمْ﴾ مَرَادُهُمْ مِنَ الظُّفْرِ بِأَظْفَارِهِمْ ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْكُفْرِينَ أَفْقَالًا﴾ بِالرَّيْحِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴿وَكَاذَبَ اللَّهُ قَوْلًا﴾ عَلَىٰ إِيجَادِ مَا يَرِيدُهُ ﴿عَزِيزًا﴾ غَالِبًا عَلَىٰ أَمْرِهِ.

﴿٢٦﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوهُ مِّن أَهْلِ الْكِتَابِ: أَي: قَرِيبَةً مِّن صَيَاصِيهِمْ ﴿حَصُونَهُمْ﴾ جَمْعُ صَيْصَةٍ وَهُوَ: مَا يَتَحَصَّنُ بِهِ ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ قُلُوبُهُمُ الرُّعْبُ: الْخَوْفُ ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ مِنْهُمْ؛ وَهُمْ: الْمُقَاتِلَةُ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا مِنْهُمْ؛ أَي: الذَّرَارِي.

﴿٢٧﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَنفُسَهُمْ وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْكُوهَا﴾ بَعْدَ: وَهِيَ: خَيْرٌ أُخِذَتْ بَعْدَ قَرِيبَةٍ ﴿وَكَبَّ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿٢٨﴾ يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ﴾ وَهِيَ: تَسْعُ، وَطَلَبُ مَنْهُ مِنْ رِزْقِ الدُّنْيَا مَا لَيْسَ عَنْده: ﴿إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبُّنَا لَمَّا لَكُم مَّا تَكْتُمُونَ﴾ أَي: مَتَاعَ الطَّلَاقِ ﴿وَأَسْرَعَكُم سَرًّا جَلِيلًا﴾ أَطْلَقَكُمْ مِنْ غَيْرِ ضَرَارٍ.

﴿٢٩﴾ وَلَكِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ الْأَخْرَجُوا﴾ أَي: الْجَنَّةَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْجَنَّةِ الْآخِرَةِ﴾ إِيْرَادَةُ الْآخِرَةِ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أَي: الْجَنَّةَ؛ فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا^(١).

﴿٣٠﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مَن يَأْتِيهِ مِّنْكُمْ بِمُحْسَنَةٍ﴾ بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكسرها^(٢): أَي: يَنْتِ، أَوْ هِيَ بَيْتَةٌ ﴿يَضَعُ فِي قُرْبَانِهِ﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ^(٣): ﴿يَضَعُ فِي الشَّدِيدِ﴾ وَفِي أُخْرَى^(٤): ﴿يَضَعُ فِي النَّوْنِ مَعَهُ وَتَضَبُّ الْعَذَابُ﴾ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴿ضَعْفِي عَذَابَ غَيْرِهِنَّ﴾ أَي: مِثْلِيهِ ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

(١) ما جاء في نزول الآية (٢٣): أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عني أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قامت المشركين، لكن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد واكتشف المسلمون، قال: اللهم إني اعتذرت إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابي - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني لأجد ريحها من دون أحد.

قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مَثَل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بيناته. قال أنس: كما نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية. البخاري - كتاب الجهاد والسير (٥٦) باب (١٢).

(٢) ما جاء في نزول الآية (٢٨): أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا يباه له يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا. قال: فقال: لأقولن شيئا أضحكك النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمعت إليها فوجأت عفتها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «هن حولي كما ترى يسألني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده، قلن: والله لا تسأل رسول الله ﷺ شيئا أبداً ليس عنده، ثم اعترلن شهرا أو تسعا وعشرين. ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال: فبأشدة فقال: «يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبوك». قالت: وما هو يا رسول الله؟

فقال عليها الآية قالت: أنيك يا رسول الله أمستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: «لا تسألني امرأة منهم إلا أخبرتها؛ إن الله لم يعطني معنقا ولا معنتا، ولكن بعثني معلما وميسرا». مسلم - كتاب الطلاق (١٨) باب (٤) بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بية.

(١) بالفتح قراءة ابن كثير وشعبة.

(٢) لأبي عمرو.

(٣) لابن كثير وابن عامر.

[٣٣] ﴿وَقَدْ﴾ بكسر القاف وفتحها^(٢) ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القراء، وأصله: «أقرن» بكسر الراء وفتحها؛ من قررت، بفتح الراء وكسرهما، نُقلت حركة الراء إلى القاف، وحذفت مع همزة الوصل ﴿وَلَا تَبَرَّحْنَ﴾ بترك إحدى التائين من أصله ﴿تَبَرَّحَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى﴾ أي: ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية: ﴿وَلَا يَبْرِيكَ زِينَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾^(٣) ﴿وَأَقْنِ الصَّلَاةَ وَآتِ كُتُبَكَ وَارْتَقِ أَصْلَافَكَ وَسُؤْلَكَ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الْإِثْمَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي: نساء النبي ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمُ مِنْ ظَهْرِكُمْ﴾^(٤).

﴿٣٤﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا يَنْتَلِي فِي يَوْمِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴿الْقُرْآنَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الشُّبْهَةُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا ﴿بِأَوْلِيَائِهِ﴾ ﴿خَيْرًا﴾ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ.

[٣٥] ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ
وَالْقَنِينَ الْمُطْعَمِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ فِي الْإِيمَانِ وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْحَاشِينَ وَالْحَاشِينَ الْمَوَاضِعِينَ وَالشَّاعِينَ
وَالْمُضْضِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ فَرُجَهُمْ وَالْحَافِظِينَ
عَنِ الْحَرَامِ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
لِلْعَاصِي وَالْأَجْرَ عَظِيمًا﴾ عَلَى الطَّاعَاتِ (٥٥).

وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ خَيْرًا فَلْيَفْعَلْهُ لِنَفْسِهِ إِنَّهُ كَانَ مُخِيبًا ﴿٢٦﴾
 أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْدَتَا لَهَارٍ ذَاكَ يَوْمَهَا ﴿٢٧﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ
 لَأَسْتَأْذِنَ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتُمْ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
 فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٢٨﴾ وَقَرْنَ
 فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ
 الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا
 يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
 تَطْهِيرًا ﴿٢٩﴾ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ
 آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٠﴾
 إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
 وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
 وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ
 فُرُوجَهُمُ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
 وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣١﴾

[٣١] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ﴾ يطلع ﴿مِنْكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَنَعْمَلْ صَلَاحًا نُوَفِّيهِ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴿أَي:﴾ مثلي ثواب غيرهن من النساء، وفي قراءة (١): بالاحتياطة في [تَعْمَلْ] وَنُوَفِّيهِ ﴿وَأَعَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في الجنة زيادة.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٣): أخرج أحمد عن أم سلمة - رضي الله عنها - تذكّر أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة - رضي الله عنها - بيرة في خبزيرة، فدخلت بها عليه فقال لها: ادعي زوجك وابنك. قالت: فعاد علي والخسين والحسين فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخبزيرة، وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خبيري، قالت: وأنا أصلي في الحجر، فأقول الله **تعالى** هذه الآية: **وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ تَطْهِيرًا**.

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فأولى بها إلى السماء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا». قالت: فأدخلت رأسي البيت قتلتي: وأنا معكم يا رسول الله. قال: فانك إلى خير، إنك إلى خير. أحمد - المسند (٢٩٦/٦). وصححه الأرنؤوط بمجموع طرقه في تخريجه على المسند (١١٧/٤٤)، وأخرجه الترمذي عن عمر بن أبي سلمة نحوه مختصرا. (صحيح)، صحيح سنن الترمذي (٢٥٦٢). والخزيرة: الذي يقطع صفرا ويصعب عليه ماء كثير، فإذا تضج ذكر أو ملأه الدقيق، فإن لم يكن فيه لحم ففي عصيد. وقيل غير ذلك. البردة: القدر المعلق أو الجمعا: إمام، والمامة ها: القطيفة . والدُّكان: الحكمة المينة للجلوس عليها. النهاية (١٢٢/١، ١٢٣/١). (١٢٨٢).

(٥٠) ما جاء في رِوَالِ الْآيَةِ (٢٥): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْهُ أَمْرَ عَمَلَةِ الْأَنْصَارِيَّةِ أَنَّهُ تَلِيَّ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرَّجُلِ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يَذْكُرْنَ بَشْيَةً. فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ الْأُنثَىٰ لِلنَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْآيَةِ. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٣٤) وَمِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ. (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٥٦٥).

وَأُخْرِجَ أَيْضًا عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَزْنِي الرِّجَالُ وَلَا يَزْنِي النِّسَاءُ، وَلَمَّا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَكْذِبُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٢]. قَالَ مُجَاهِدٌ: فَأَنزَلَ فِيهَا: ﴿إِنَّ الْأُنثَىٰ لِلنَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾. سَبَقَ تَخْرِيجُهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ آيَةِ (٣٢).

(١) لحمزة والكسائي.

(٢) بالكسر قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

(٣) النور: ٣١.

[٣٦] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ^(١)﴾ لَّهُمُ الْخِيَرَةُ ﴿أَي: الاختيار﴾ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿خلاف أمر الله ورسوله، نزلت في عبد الله ابن جحش وأخته زينب خطبها النبي زيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما؛ لظنهما قبل أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا^(٢) للآية: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ بيئنا؛ فزوجها النبي ﷺ لزيد، ثم وقع بصره عليها بعد حين؛ فوقع في نفسه حبها^(٣)، وفي نفس زيد كراهتها، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها. فقال: «أمسك عليك زوجك» كما قال - تعالى -: [٣٧] ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَاكَ مَنُصُوبًا إِذْ ذَكَرْنَاكَ﴾ «تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ وَانْعَمْتَ عَلَيْهِ» بالاعتاق؛ وهو: زيد بن حارثة، كان من سبي الجاهلية، اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ في أمر طلاقها ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ مظهره؛ من محبتها^(٤)، وأن لو فارقها زيد تزوجتها ﴿وَتُخْفَىٰ النَّاسُ أَنْ يَقُولُوا: تَزَوَّجَ زَوْجَةً ابْنِهِ﴾ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْفَىٰهُ في كل شيء، وتزويجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة ﴿زَوْجَتِهَا﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خبزًا ولحمًا ﴿لِئِنْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَقْضِيًّا﴾ مفعولاً^(٥).

[٣٨] ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ سَنَةَ اللَّهِ أَي: كسنة الله، فنصب نزع الحافض ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ فعله^(٥) ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ مقضيًا. [٣٩] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت له الذين، قبله ﴿يَلْبِغُونَ﴾ رسلت الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبهم.

[٤٠] ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ فليس أبا زيد؛ أي: والده؛ فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيًا، وفي قراءة: بفتح التاء؛ كآلة الختم؛ أي: به ختموا ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ منه؛ بأن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته^(٦).

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفَىٰ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْفَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَ وَلِئِنْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَقْضِيًّا ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رَسَلَتِ اللَّهُ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿وَسَيُحِبُّهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤١﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. ﴿٤٢﴾ وَسَيُحِبُّهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. أول النهار وآخره. ﴿٤٣﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ أَي: يرحمكم ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ يستغفرون لكم ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ ليدم إخراجهم إياكم ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أَي: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أَي: الإيمان ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

[٤١] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾. [٤٢] ﴿وَسَيُحِبُّهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أول النهار وآخره. [٤٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ أي: يرحمكم ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ يستغفرون لكم ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ ليدم إخراجهم إياكم ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي: الإيمان ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٧) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك ؓ أن هذه الآية: ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفَىٰ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْفَىٰهُ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد ابن حارثة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٤) باب (٦).

وأخرجه الترمذي عن أنس قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفَىٰ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْفَىٰهُ﴾ في شأن زينب بنت جحش؛ جاء زيد يشكو، فهم بطلاقها، فاستأمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٤) ومن سورة الأحزاب (صحيح) صحيح من الترمذي (٢٥٦٧).

(١) بالتاء: قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٢) جمهور المفسرين وهو لم يروى عن ابن عباس ومجاهد وقادة أنها نزلت في زينب بنت جحش عندما كرهت نكاح زيد لكونه مولى، وذكر بعض المفسرين - كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير وغيره - أن عبد الله بن جحش أخا زينب كره ذلك كما كرهته زينب، فلما نزلت الآية رضيا وسلمًا. ورواية المصنف هي المنقولة عن قدامة دون ذكر عبد الله بن جحش، أخرجه الطبري في جامعه (٩/٢٢)، والطبراني في الكبير (٣٧/٢٤، ٣٧/٢٤، ٣٧/٢٤) من طرق عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢/٧). رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح. وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (١١٥/٣). (٣) هكذا؛ يورد غير واحد من المفسرين هذا الكلام في تفسير الآية الكريمة، ولا أساس له من الصحة كما بين ذلك المحققون من أهل العلم كابن كثير وابن حجر وغيرهما، وإنما هو من الباطل الذي يريد أعداء الإسلام به أن يسبوا إلى النبي ﷺ، والصواب في ذلك أن الله - تعالى - أعلم نبيه بذلك مخافة أن يقول الناس: كيف يزوج محمد زوجة ابنه؟ وكان يقول لزيد: «أمسك عليك زوجك».

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) قال ابن كثير في تفسير الآية: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله - تعالى - ورحمته، وهو كائن لا محالة.

(٦) وهي قراءة السبعة عما عاصم. وقرأ عاصم بفتح التاء.

(٧) أي بشريعة محمد ﷺ.

[٤٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على من أُرْسِلْتَ إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا من كذبك بالنار [٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: مثله في الاهتداء به.

[٤٧] ﴿وَنَذِيرَ الْمُتَّقِينَ﴾ يَأْنُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴿هُوَ الْجَنَّةُ﴾ [٤٨] ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعَ﴾ أترك ﴿أَذْنَهُمْ﴾ لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فهو كافك ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ موفوا إليه.

[٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة (١) ﴿تَمَاشُوهُنَّ﴾ أي: تجمعهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ تَعُدُّوهَا﴾ تحصونها بالإفراء وغيرها ﴿فَتَمْسُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به؛ أي: إن لم يُسَمَّ لَهُنَّ أَصْدِيقَةٌ، وإلا فلهن نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار.

[٥٠] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَانَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسي؛ كصفية وجويرية ﴿وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ بخلاف من لم يهاجرن ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً﴾ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا يطلب نكاحها بغير صدق ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صدق ﴿فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من الأحكام؛ بأن لا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَفِي﴾ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ من الإماء بشراء وغيره؛ بأن تكون الأمة ممن تحمل المالكها كالكثابية بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تستبرى قبل الوطء ﴿لِكَيْلَا﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فيما يعسر التحرز عنه ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة في ذلك.

يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَقُوتُهُمْ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿وَيَذَرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا﴾ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ تَعُدُّوهَا﴾ فَتَمْسُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَانَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

[٤٤] ﴿يَحْيِيهِمْ﴾ منه - تعالى - ﴿يَوْمَ يَقُوتُهُمْ وَسَلَّمَ﴾ بلسان الملائكة (١) ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة.

(١) إذا قلنا: إن النحية منه - شيخانته - بمعنى أنه يسلم عليهم كما قال - شيخانته -: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾، ففسية هذا إلى الملائكة من التأويل السقيم، وهو مذهب المؤولة القائلين بالكلام النفسي أو الدين ينفون عن الله هذه الصفة، وعلى القول الآخر أن المراد أنهم يحيي بعضهم بعضًا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة، وهو اختيار ابن جرير - فلا معنى لهذا التأويل ولا وجه له.

والتفسير الأول أظهر وهو اختيار ابن كثير.

(٢) حمزة والكسائي، وهي بضم التاء وإشباع المد بعد السين.

[٥١] ﴿تُؤْتِيهِمْ﴾ [تُؤْتِيهِمْ] بالهمزة والياء بدله^(١)، تُوخَّرُ ﴿مَرَّ نَشَاءٍ مِنْهُمْ﴾ أي: أزوجك عن نوبتها^(٢) ﴿وَتُؤْتِيهِمْ﴾ تضم ﴿إِلَيْكَ مَرَّ نَشَاءٍ﴾ منهم فتأثيرها ﴿وَمَنْ أُنْعِمْتَ﴾ طلبت ﴿وَمَنْ عَزَلْتَ﴾ من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في طلبها وضمنها إليك، خير في ذلك بعد أن كان القسم واجباً عليه^(٣) ﴿ذَلِكَ﴾ التخيير ﴿أَذْفَ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ وَلَا يَخْرُجَ وَرَضِيَتْ بِمَا أُعْطِيَهُنَّ﴾ ما دُكر الخير فيه ﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيد للفاعل في ﴿وَرَضِيَتْ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن، وإنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك في كل ما أردت ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقهن ﴿عَلِيمًا﴾ عن عقابهن.

[٥٢] ﴿لَا تَجِرْ﴾ بالتاء والياء^(٤) ﴿لَكَ الْيَسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾ بعد اتسع اللاتي اخترتك ﴿وَلَا أَنْ تَبْدَلَ﴾ برك إحدى التاءين في الأصل ﴿بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ بأن تطلقهن أو بعضهن وتكبح بدل من طَلَّقْتَ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الإماء؛ فحل لك، وقد ملك بغيره بعدهن مارية وولدت له إبراهيم ومات في حياته ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ حفيظاً.

[٥٣] ﴿يَتَأْتِيَنَّكَ أَلْفُ بَيْتٍ لَا تَدْخُلُوا بَيْتَ النَّبِيِّ وَلَا أَنْ تَبُذْنَ﴾ في الدخول بالدعاء ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ فدخلوا ﴿غَيْرَ نَظِيرِينَ﴾ منتظرين ﴿إِنَّهُ﴾ تضمه، مصدر أتى يأتي ﴿وَلَكِنْ يَدَا دُعَيْتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَبِرُوا وَلَا تَكُونُوا مَسْتَغْفِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض ﴿إِنْ ذَلِكُمْ﴾ المكث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ﴾ أن يخرجكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنْ النَّبِيِّ أَنْ يَخْرُجَكُمْ﴾ أي: لا يترك بيانه^(٥) وقرئ^(٦): ﴿يَسْتَحْيِ﴾ بياء واحدة ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي: أزواج النبي ﷺ ﴿مَتَمًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ستر ﴿ذَلِكَمُ أَطْهَرُ لِقُؤَيْكُمْ وَقُلُوبُهُنَّ﴾ من الخواطر المريية ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بشيء ﴿وَلَا أَنْ تَكُونُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أبدأً إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ ذَنْبًا عَظِيمًا^(٧).

﴿تُؤْتِيهِمْ مِنْ نَشَاءٍ مِنْهُمْ وَتُؤْتِيهِمْ مِنْ نَشَاءٍ﴾ وَمَنْ أُنْعِمْتَ وَمَنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذْفَ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْرُجَ وَرَضِيَتْ بِمَا أُعْطِيَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا لَا يَحِلُّ لَكَ الْيَسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا يَتَأْتِيَنَّكَ أَلْفُ بَيْتٍ لَا تَدْخُلُوا بَيْتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَبِرُوا وَلَا تَكُونُوا مَسْتَغْفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَمًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُؤَيْكُمْ وَقُلُوبُهُنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَكُونُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

[٥٤] ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ من نكاحهن بعده ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيجازيكم عليه.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥١): أخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟! فلما نزلت: ﴿تُؤْتِيهِمْ مِنْ نَشَاءٍ مِنْهُمْ﴾ قلت: يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع في هوك. البخاري كتاب النكاح (٦٧) باب (٢٩) هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد. (٦) ما جاء في نزول الآية (٥٣): أخرج البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب ابنة جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو يتأهب للقيام، فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إياهم قاموا، فانطلقت فبحث فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فالتقى الحجاب بيني وبينه، فأقول له: ﴿يَتَأْتِيَنَّكَ أَلْفُ بَيْتٍ لَا تَدْخُلُوا بَيْتَ النَّبِيِّ﴾ الآية. البخاري - التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٥٩). وأخرج أيضاً عن عائشة أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصب - وهو صعيد أبيح - فكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نسائك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة - زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة فدعاها عمر: ألا قد عرفتك يا سودة؟ حرصاً على أن يزل الحجاب، فأنزله الله آية الحجاب. البخاري كتاب الوضوء (٤) باب (١٣) خروج النساء إلى البراء. وأخرج أيضاً عن أنس قال: قال عمر ﷺ قلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، ولم تهرم أمهات المؤمنين بالحجاب؛ فأنزله الله الحجاب. البخاري - التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٨).

(١) بالهمزة المضمومة قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة. (٢) أخرج البخاري عن معاذ بن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية: ﴿تُؤْتِيهِمْ مِنْ نَشَاءٍ﴾ فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن كان ذلك إلني فإني لا أريد يا رسول الله أن أؤثر عليك أحد. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٧). وهذا الحديث يؤيد تخصيص المصنف تخييره ﷺ بين الإرجاء والإيداء بزوجاته ﷺ، أي في القسم بينهما كيف يشاء. وهذا أحد القولين في تفسير الآية. والقول الثاني: أن الآية عامة في الواهبت أنفسهن له ﷺ، في قول من شاء منهن ورد من شاء، وكذا في روجاته اللاتي عنده، في القسم بينهما. واختار هذا القول ابن جرير واستحسنه ابن كثير، وفيه جمع بين الأحاديث. (٣) ولكنه ﷺ كان يقسم بين ساته فيعدل كما في حديث عائشة عند أبي داود (٢١٣٥) قالت: كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم... الحديث، وحسنه الألباني في الإرواء (٨٥/٧). (٤) بالتاء قراءة أبي عمرو. (٥) والصواب إثبات صفة الحياء لله ﷻ على الوجه الذي يليق به، ومن لوازم الإثبات الترك، وتفسير الصفة بلازمها ليس مذهب السلف. (٦) أي: شذوذاً.

اللَّهُ ﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيء.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥) أي: قولوا: اللهم صل على محمد وسلم.

﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهم: الكفار، يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: النار.

﴿٥٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا اكْتَسَبُوا﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ تحملوا كذبًا ﴿وَأَنَّمَا تُحِبُّنَّ﴾ بيتًا.

﴿٥٩﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُلْ لَّا ذَلِيلٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ وبنايتك وبنايتك ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ يُؤْذُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى الْوَجْهِ إِذَا خَرَجُوا لِحَاجَتِهِمْ﴾ إلا عينًا واحدة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا قُلْ لَّا ذَلِيلٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ بغير ما عملوا ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ تحملوا كذبًا ﴿وَأَنَّمَا تُحِبُّنَّ﴾ بيتًا.

﴿٦٠﴾ ﴿لَيْسَ لَكُم مِّنْ دِينٍ﴾ لا قسم ﴿لَّيْسَ لَكُم مِّنْ دِينٍ﴾ عن نفاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ بالزنا (١) ﴿وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم (٢) ﴿قَدْ أَتَاكُمْ الْعَدُوُّ وَسَرَايَاكُمْ قَتَلُوا أَوْ هَزَمُوا﴾ لَنُغْرِبَنَّ بِهِمْ ﴿لَنَسْلُطَنَّهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُوكَ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ ﴿يَهَيَّأْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يخرجون.

﴿٦١﴾ ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿يَنَازِعُونَ﴾ مَا تُقِيمُوا ﴿وَجَدُوا﴾ ﴿أَعْدَاءُ وَفُتِنُوا فَرِيقًا﴾ أي: الحكم فيهم هذا، على جهة الأمر به.

﴿٦٢﴾ ﴿سَنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: سنَّ الله ذلك ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في مناقبيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ﴾ تَبْدِيلًا منه.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٨) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (٥٩) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ (٥٨) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُلْ لَّا ذَلِيلٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ وبنايتك وبنايتك ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ يُؤْذُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى الْوَجْهِ إِذَا خَرَجُوا لِحَاجَتِهِمْ﴾ إلا عينًا واحدة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا قُلْ لَّا ذَلِيلٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ بغير ما عملوا ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ تحملوا كذبًا ﴿وَأَنَّمَا تُحِبُّنَّ﴾ بيتًا.

﴿٥٥﴾ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ أي: المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد أن يزوّجن ويكلموهن من غير حجاب ﴿وَاتَّقِينَ﴾

(١) فائدة: أخرج أحمد عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قالوا: كيف نصلي عليك يا نبي الله؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. المسند (٢٤/٤)، وصححه الألباني (١٨١٣٣). والحديث في الصحيحين والسنن دون ذكر الآية: البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(٢) فائدة: أخرج أبو داود عن أم سلمة قالت: لما نزلت: ﴿يُؤْذِنُكَ عَلَيْكَ بَيْنَ جَلِيلَيْنِ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية. أبو داود - كتاب (اللباس) (٢٦) باب (٣٢) في قوله تعالى: ﴿يُؤْذِنُكَ عَلَيْكَ بَيْنَ جَلِيلَيْنِ﴾ وصححه الألباني في حجاب المرأة المسلمة ص ٣٨.

(١) أي: بحب ذلك، وكذا حب الفواحش.

(٢) أي: الذين يرجفون المؤمنين بقولهم.

[٦٣] ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ النَّسَاءِ قُلْ إِنَّمَا عَاهَدْتُكُمْ وَمَا يَذُرِيكَ عَنْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَذُرِيكَ يَعْلَمُكُمُهَا أَيُّهَا أَنْتَ لَا تَعْلَمُهَا﴾ ﴿لَعَلَّ النَّسَاءَ تَكُونُ﴾ توجد ﴿قَرِيبًا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ نارا شديدة يدخلونها.

[٦٥] ﴿خَالِدِينَ﴾ مقدرا خلودهم ﴿وَبِمَا أَبَدَ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفعها عنهم.

[٦٦] ﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَئِنَّا لَنَكُنَّا أَطْعَمًا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ﴾.

[٦٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الأتباع منهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا﴾ وفي قراءة (١): ﴿سَادَاتِنَا﴾ جمع الجمع ﴿وَكُنَّا أَطْعَمًا الرَّسُولَ﴾ طريق الهدى.

[٦٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّا هُمْ ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي: مثلي عذابنا ﴿وَالْعَنَتُمْ﴾ عذبهم ﴿وَلَعْنَا﴾ كثير (٢) عدده، وفي قراءة: بالوحدة؛ أي: عظيما.

[٦٩] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا﴾ مع نبيكم ﴿كَالَّذِينَ آدَوُا مُوسَى﴾ يقولهم - مثلا -: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه أدر ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل؛ فقرأ الحجر به حتى وقف بين مَلَكٍ من بني إسرائيل؛ فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به، فأراه ولا أدركه به (٣)؛ وهي نفخة في الحصية ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبَاهُ﴾ ذا جاه، ومما أودى به نبينا ﷺ أنه قَسَمَ قَسَمًا، فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله - تعالى - فعضب النبي ﷺ من ذلك، وقال: ﴿وَوَحَّمَ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا﴾ فُضِّتَ (٤) [رواه البخاري].

[٧٠] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صوابا.

[٧١] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ نال غاية مطلوبه.

[٧٢] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيهما فهما ونطقا ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن ﴿وَبَيْنَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بما حمله ﴿جَهُولًا﴾ به.

[٧٣] ﴿يُعَذِّبُ اللَّهُ﴾ «اللام» متعلقة بـ ﴿عَرَضْنَا﴾ المترتب عليه حمل

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ النَّسَاءِ قُلْ إِنَّمَا عَاهَدْتُكُمْ وَمَا يَذُرِيكَ لَعَلَّ النَّسَاءَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَئِنَّا لَنَكُنَّا أَطْعَمًا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكَرَرْنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا هُمْ ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آدَوُا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبَاهُ ﴿٦٩﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

آدم (٥) ﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ المضيعين الأمانة ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المؤدين الأمانة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

(١) لابن عامر.

(٢) للبيعة عدا عاصم. وقرأ عاصم: ﴿كَبِيرًا﴾ بالوحدة.

(٣) كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩).

(٤) البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٥) قال ابن كثير: أي إنما حُثِّلَ ابن آدم الأمانة وهي التكليف، ليُعَذِّبَ الله المنافقين منهم والمنافقات... إلخ.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مُثْقَلٌ ذَرَّةً فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ الْإِيمِ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ الْإِيمِ ﴿٦﴾ وَرَبِّيَ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتَغِي لَكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٨﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

[مكية إلا: ﴿وَرَبِّيَ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ﴾ الآية، فمدينية، وهي: أربع، أو: خمس وخمسون آية، نزلت بعد لقمان]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حميد - تعالى - نفسه بذلك؛ والمراد به: الثناء بضمونه من ثبوت الحمد؛ وهو: الوصف بالجميل لله - تعالى - ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ كالدنيا يحمده أوليائؤه إذا دخلوا الجنة ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿الْخَبِيرُ﴾ في خلقه. [٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كماءٍ وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كنبات وغيره ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من رزق وغيره ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يصعد ﴿وَمَا يَصْعَدُ﴾ من عمل وغيره ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه ﴿الْغَفُورُ﴾ لهم.

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وكذلك في الآية الثانية رقم (٣٨)، وقرأ بقية السبعة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾.

(٤) بالجر قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير، وهي بالجر: صفة لـ ﴿رَجْزٍ﴾، وبالرفع: صفة لـ ﴿عَذَابٍ﴾.

(٥) أي ضمير فصل، وهو لا محل له من الإعراب.

[٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ﴾ بالجر: صفة، والرفع^(١): خبر مبتدأ، و﴿عَلَامٌ﴾^(٢) بالجر: لا يعزبُ يغيب ﴿عَنْهُ مُثْقَلٌ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٌ﴾ أصغر نملة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يبين؛ هو: الوح المحفوظ.

[٤] ﴿لِيَجْزِيَ﴾ فيها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ حسن في الجنة.

[٥] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ إبطال ﴿آيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿[مُعْجِزِينَ]﴾^(٣) وفي قراءة هنا، وفيما يأتي: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ أي: مقدرين عجزنا، أو مسابقين لنا فيفوتونا؛ لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ سَبْعِي الْعَذَابِ﴾ أليم ﴿مَوْلَمُ﴾ بالجر والرفع^(٤)، صفة لـ ﴿رَجْزٍ﴾ أو ﴿عَذَابٍ﴾.

[٦] ﴿وَرَبِّيَ﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ﴾ مؤمنو أهل الكتاب؛ كعبدالله بن سلام وأصحابه ﴿الَّذِينَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿هُوَ﴾ فصل^(٥) ﴿الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: الله أي: ذي العزة المحمود.

[٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قال بعضهم على جهة التعجب لبعض: ﴿هَلْ نَدُكُمُ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﴿يَبْتَغِي لَكُمْ﴾ يخبركم أنكم ﴿إِذَا مُرِّقْتُمْ﴾ قطعتم ﴿كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾ بمعنى: تمزيق ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
 وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَهُمْ خَفِيفٌ أَلَيْسَ
 أَوْ تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا
 يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَنَالَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ
 سَبْعَ سَاعَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّيِّئِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسْتَ تَمَكِّنُ الرِّيحَ عُدُوهَا سَهْرٌ وَرَوَّاحَهَا سَهْرٌ
 وَأَسْلَتَاهُ وَعَيْنَ الْفُطْرِ وَمِنْ الْجِبِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ
 رِيحٌ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا لَدُنْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾
 يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدَبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ
 وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
 الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ
 إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ وَقَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ
 أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

قائما على عصاه حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة، على عاداتها، لا تشعر بموته حتى أكلت الأرضه عضاه فخر ميتاً ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ مصدر أرضت الحشبة بالبناء للمفعول؛ أكلتها الأرضه ﴿تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ﴾ بالهمز وتركه بالثاء (١٤)؛ عصاه؛ لأنها تُنْشَأُ بَطَرْدٍ (١٥) ويُزجر بها ﴿قَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتاً ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ﴾ انكشفت لهم ﴿أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ العمل الشاق لهم؛ لظنهم حياته، بخلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضه من العصا بعد موته، يوماً وليلة مثلاً.

[٨] ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون تخيل به ذلك؟ قال - تعالى -: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ عن الحق في الدنيا.

[٩] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما فوقهم وما تحته ﴿يَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ شأْنُ تخفيف بهم الأرض أو تسقط عليهم انكشافاً بسكون السين وفتحها (١٠)؛ قطعاً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وفي قراءة في الأفعال الثلاثة: بالياء (١١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المرئي ﴿لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء.

[١٠] ﴿لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ نبوة وكتاباً، وقلنا: ﴿يَجِبَالُ أَوْبَى﴾ رجعي ﴿مَعَهُ﴾ بالتسبيح ﴿وَالطَّيْرَ﴾ بالنصب عطفاً على محل الجبال؛ أي: ودعوناها تسبح معه ﴿وَأَلَمَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾ فكان في يده كالعجين. وقلنا: [١١] ﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾ منه ﴿سَبْعَ سَاعَاتٍ﴾ دروعاً كوامل، يجوها لابسها على الأرض ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّيِّئِ﴾ أي: تشج الدروع، قبل لصانها: سواد؛ أي: اجعله بحيث تناسب جلقه ﴿وَأَعْمَلُوا﴾ أي: آل داود معه ﴿صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازكم به.

[١٢] ﴿وَوُكِّلَ﴾ سخرنا ﴿لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وقراءة الرفع (١٣) بتقدير: تسخير ﴿عُدُوهَا﴾ مسيرها من الغدوة؛ بمعنى: الصباح إلى الزوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾ أي: مسيرته ﴿وَأَسْلَتَاهُ﴾ أذنا ﴿لَهُ عَيْنَ الْفُطْرِ﴾ أي: النحاس؛ فأجريت ثلاثة أيام لباليهن كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان ﴿وَمِنْ الْجِبِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ بآذن بأمر ﴿رِيحٌ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿يُدْفَعُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ النار في الآخرة، وقيل: في الدنيا؛ بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تمزقه.

[١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدَبٍ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَثِيلٍ﴾ جمع تمثال؛ وهو: كل شيء مثله بشيء؛ أي: صور من نحاس وزجاج وورخام، ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته ﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع جفنة ﴿كَالْجَوَابِ﴾ أي: جمع جابية؛ وهو: حوض كبير، يجمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلالم، وقلنا: ﴿أَعْمَلُوا﴾ يا ﴿أَلْ دَاوُدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ العامل بطاعتي شكرًا للنعمة.

[١٤] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ على سليمان ﴿الْمَوْتَ﴾ أي: مات ومكث

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) أي: ﴿يُشَاهِدُ﴾، و﴿يُحْصِفُ﴾، و﴿يُسْقِطُ﴾، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة شعبة.

(٤) قراءتان سبعيتان، قرأ نافع وأبو عمرو بالثاء من غير همز، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة إلا ابن ذكوان فإنه أسكن الهمزة.

(٥) في نسخة من المطبوع: ﴿لَأَنهَا تُنْشَأُ بَطَرْدِهِ﴾، وفي نسخة أخرى: ﴿لَأَنهَا تُنْشَأُ بَطَرْدِهِ﴾.

وأديهم المسوك بما ذكره؛ فأغرق جنتيهم وأموالهم ﴿وَدَلَّٰهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿أَكُلِ حِمَاطٍ﴾^(١) مؤن بشع، بإضافة ﴿أَكُلِ﴾ بمعنى: مأكول، وتركها ويعطف عليه ﴿وَأَكْلِي وَشَىٰ وَمِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

[١٧] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وَهَلْ يُجَازِلُ﴾ إلّا [الكفور] بالباء^(٢)، والنون مع كسر الزاي ونصب ﴿الْكُفُورِ﴾ أي: ما يناقش إلا هو.

[١٨] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ، وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْفُرَىٰ أَلْيٰى بَرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر؛ وهي: قرى الشام التي يسبرون إليها للتجارة ﴿فَرَىٰ ظَهْرَهُ﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقولون في واحدة ويبيتون في أخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء؛ أي: قلنا: ﴿سَيَرُوا فِيهَا لِيَالِيًا وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار.

[١٩] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا﴾^(٣) وفي قراءة: ﴿بَعْدَهُ﴾ ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام؛ اجعلها مغاوير ليطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء؛ فبطروا النعمة ﴿وَوَلَّوْا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقِإٍ﴾ فرقانهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّا فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآئِسَتِ﴾ عبرًا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شُكُورٍ﴾ على النعم.

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ﴾ [صَدَقَ] بالتخفيف والتشديد^(٤) ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار؛ منهم سبأ ﴿إِلَيْسَ ظَنُّهُ﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿فَأَتَّبَعُوهُ﴾ فـ ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف: في ظنه، أو ﴿صَدَقَ﴾ بالتشديد: ظنه؛ أي: وجده صادقًا ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: لكن ﴿فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ للبيان؛ أي: هم المؤمنون لم يتبعوه.

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطٰنٍ﴾ تسليط ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍ﴾ فنجازي كلًا منها ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب.

[٢٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم آلهة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره لينفعوكم بزعمكم، قال - تعالى - فيهم: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شر ﴿فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ شركة ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ - تعالى - ﴿بِهِمْ﴾ من الآلهة ﴿مِن ظَهِيرٍ﴾ معين.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَىٰ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفُرَىٰ أَلْيٰى بَرَكْنَا فِيهَا فَرَىٰ ظَهْرَهُ وَقدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ وَسِيرُوا فِيهَا لِيَالِيًا وَآيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقِإٍ إِن فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلَيْسَ ظَنُّهُ، فَأَتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

[١٥] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف وعدمه^(١)؛ قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾^(٢) باليمن ﴿آيَةٌ﴾ دالة على قدرة الله - تعالى - ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين وأديهم وشماله، وقيل لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ليس فيها سباح^(٣)، ولا بعوضة، ولا ذبابة، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيسوت لطيب هوائها^(٤) ﴿وَرَبِّ غَفُورٌ﴾.

[١٦] ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع غرقة؛ وهو: ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته؛ أي: سيل

(١) قرأ أبو عمرو واليزي بفتح الهزرة من غير تنوين، وقرأ قبل بإسكان الهزرة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حفص وحزمة: ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ بالإنفراد وفتح الكاف، وقرأ الكسائي: ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ بالإنفراد وكسر الكاف.

(٣) وفي نسخة مطبوعة «سباح».

(٤) لا حاجة إلى ذكر هذه الأمور التي لا دليل عليها، وإنما يكفي أكثر المفسرين بتفسير البلدة الطيبة بأنها المباركة الكثيرة الثمرات اللطيفة الهواء.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو.

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٧) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام. وقرأ بقية السبعة: ﴿وَابْعَدُ﴾.

(٨) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ بقية السبعة: ﴿صَدَقَ﴾ بالتشديد.

[٢٣] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ﴾ - تعالى - ردًا لقولهم: إن ألهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أَوْكَلَ﴾ بفتح الهمة وضمها^(١) ﴿كُتِبَ﴾ فيها ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول^(٢) ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الفزع بالإذن فيها ﴿قَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض استبشارًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها؟ ﴿قَالُوا﴾: القول ﴿الْحَقُّ﴾ أي: قد أذن فيها^(٣) ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر^(٤) ﴿الْكَبِيرُ﴾^(٥) العظيم.

[٢٤] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالنَّاتِ؟﴾ ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ إن لم يقلوه، لا جواب غيره ﴿وَيَا أَيُّهَا كُمْ﴾ أي: أحد الفريقين ﴿لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بين، في الإيهام لتلف بهم داعٍ إلى الإيمان إذا وفقوا له.

[٢٥] ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمُوا أَذْنَبُوا وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ لَأَنْ تَبْرِيئُوا مِنْكُمْ﴾.

[٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ فيدخل المحقق الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِي﴾ أعلموني ﴿الَّذِينَ أَحَقُّهُمْ بِهِ شُرَكَاءُ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ رذخ لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره خلقه؛ فلا يكون له شريك في ملكه.

[٢٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً﴾ حال من «الناس»، قدم للاهتمام ﴿لِلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ مبشرًا للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا للكافرين بالعذاب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟. [٣٠] ﴿قُلْ لَكُمْ مِعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ﴾ عليه؛ وهو: يوم القيامة.

[٣١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تقدمه؛ كالتوراة والإنجيل، الدالين على البعث لإنكارهم له. قال - تعالى - فيهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَوْكَلَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمُوا وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّهُمْ بِهِ شُرَكَاءُ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ لَكُمْ مِعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾

الظَّالِمُونَ الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ الأنباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الرؤساء: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ صدقتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بالنبي.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله أمراً في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير... الحديث. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة سبأ (٣٤) باب (١) ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ...﴾.

(٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو.

(٣) بالياء للفاعل قراءة بن عامر.

(٤) أي في الشفاعة.

(٥) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، وهو: شجاعتها - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٥﴾
وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ
عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا قُلْتُ لَكُمْ لَهُمْ جَزَاءٌ
الضَّعِيفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَةِ ءَامِنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٩﴾
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤٠﴾

[٣٢] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهَدْيِ

بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ؟﴾ لَا ﴿بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ في أنفسكم.
[٣٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾
أي: مكر فيهما منكم بنا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾
شركاء ﴿وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ﴾ أي: الفرقان ﴿النَّدَامَةُ﴾ على ترك الإيمان به ﴿لَمَّا رَأَوُا
الْعَذَابَ﴾ أي: أخفاها كلٌّ عن رفيقه مخافة التعبير ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي
آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار ﴿هَلْ يُخْزَوْنَ﴾ ما ﴿يُخْزَوْنَ﴾ إِلَّا ﴿جَزَاءً﴾ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ في الدنيا.

[٣٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ رؤساؤها
المتنعمون: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ من آمن ﴿وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذِّبِينَ﴾.

[٣٦] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ امتحانا
﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: كفار
مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٣٧] ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ قُوتى؛ أي:
تقرىبا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا قُلْتُ لَكُمْ لَهُمْ جَزَاءٌ الضَّعِيفُ بِمَا
عَمِلُوا﴾ أي: جزاء العمل: الحسنة - مثلا - بعشر فأكثر ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفَةِ﴾
من الجنة ﴿ءَامِنُونَ﴾ من الموت وغيره، وفي قراءة: ﴿الْعُرْفَةِ﴾^(١) بمعنى
الجمع.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالإبطال ﴿بِالْإِبْطَالِ﴾ ﴿مُعْجِزِينَ﴾^(٢) لنا
مقدرين عجزنا، وأنهم يفوتونا ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[٣٩] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتحانا
﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه ﴿لِمَنْ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ
شَيْءٍ﴾ في الخير ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يقال: كل إنسان
يرزق عائلته؛ أي: من رزق^(٣) الله.

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾.

(٣) في نسخة مطبوعة: «يرزق الله».

[٤٠] ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمَلَائِكَةِ أَهْلَآءِ إِنَّا كُنْهُمْ بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وَإِدْبَالِ الْأَوَّلَى بَاءً وَإِسْقَاطِهَا﴾ (٣) ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ؟﴾

[٤١] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ تَرْبِيهَا لَكَ عَنِ الشَّرِيكِ﴾ وَأَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ ﴿أَي: لَا مَوَالِدَ بَيْنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْ جِهَتِنَا ﴿بَلْ﴾ لِلانْتِقَالِ ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْإِجْنَ﴾ الشَّيَاطِينِ؛ أَيْ: يَطِيعُونَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ لِيَانَا ﴿أَكْثَرُهُمْ يَمُومُونَ﴾ مُصَلِّقُونَ فِيمَا يَقُولُونَ لَهُمْ.

[٤٢] قَالَ - تَعَالَى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ﴾ أَيْ: بَعْضُ الْمُعْبُودِينَ لِبَعْضِ الْعَابِدِينَ ﴿تُعَاذُ﴾ شَفَاعَةُ ﴿وَلَا ضَرَّ﴾ تَعَذُّبًا ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَنَّمُوا﴾ كَفَرُوا: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿يَسْتَدِثُّ﴾ وَاضْحَابُ بِلْسَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ مِنْ الْأَصْنَامِ ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كَذَبٌ ﴿مُفْتَرًى﴾ عَلَى اللَّهِ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ الْقُرْآنَ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ﴾ مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿يَتَّبِعُونَ﴾.

[٤٤] قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا ءَايَتُهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ فَمَنْ أَيْنَ كَذِبُكَ؟!

[٤٥] ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا تَلَّوْا﴾ أَيْ: هَوَّلَاءُ ﴿وَمَعَنَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ مِنْ الْقُوَّةِ وَطُولِ الْعُمُرِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ ﴿وَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ إِلَيْهِمْ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إِنْكَارِي عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةَ وَالْإِهْلَاكَ؛ أَيْ: هُوَ وَاقِعٌ مَوْفَعُهُ.

[٤٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾ هِيَ ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ أَيْ: لِأَجَلِهِ ﴿مَتًى﴾ أَيْ: اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ ﴿وَفَرَدَيْ﴾ وَاحِدًا وَاحِدًا ﴿ثُمَّ نَنْفَكُوا﴾ فَعَلِمُوا ﴿وَمَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ مُحَمَّدٍ ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾ جَنُونَ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾ أَيْ: قَبْلَ ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فِي الْآخِرَةِ إِنْ عَصَيْتُمُوهُ.

[٤٧] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ مَا سَأَلْتُمْكُمْ ﴿عَلَى الْإِنذَارِ وَالتَّبْلِيغِ﴾ وَمِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ ﴿أَي: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا﴾ إِنْ أَجَرِيَّ مَا ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مُطْلِعٌ يَغْلَمُ صِدْقِي.

وَقَوْمٌ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُآءِ إِنَّا كُنْهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْإِجْنَ﴾ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَنَّمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾ وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا يَتَّبِعُونَ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا تَلَّوْا مَعَنَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتًى وَفَرَدَيْ ثُمَّ نَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

[٤٨] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يُلْقِيهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ مَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

(١) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَخْشُرُهُمْ﴾.

(٢) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَقُولُ﴾.

(٣) قوله: ﴿وَإِدْبَالِ الْأَوَّلَى بَاءً﴾، هذا سبق فلم من المفسر - رَحِمَهُ اللَّهُ - إذ لم يقرأ بذلك أحد من القراء، وأما إسقاط الأولى مع تحقيق الثانية فقراءة أبي عمرو، وأما تحقيق الأولى وتسهيل الثانية فقراءة ورش، وعكسه قالون والبرقي، ولورش أيضًا إدبال الثانية باء ساكنة معدودة مع تحقيق الأولى.

[٥٢] ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ بحمد أو القرآن ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ﴾ وبالهزيمة بدلها^(١)؛ أي: تناول الإيمان ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عن محله؛ إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا.

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَيَقْدِرُونَ﴾ يرمون ﴿بِالْعَنِيِّ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة؛ حيث قالوا في النبي: ساحر، شاعر، كاهن، وفي القرآن: سحر، شعر، كهانة.

[٥٤] ﴿وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان؛ أي: قوله ﴿كَمَا قُيِّلَ بِأَشْيَاءِهِمْ﴾ أشباههم في الكفر ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ أي: قبلهم ﴿وَلَهُمْ فِي شَكِّ مَرْيَمَ﴾ موقع في الريبة لهم، فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

سورة فاطر

[مكية، وهي: خمس، أو: ست وأربعون آية، نزلت بعد الفرقان]^(*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ خجد - تعالى - نفسه بذلك كما بيّن في أول سورة سبأ ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُولَئِكَ أَجَبَحُوا مَثْنَى وَثُلَّةَ رُجْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلَا تُمْنِكُمْ لَهَا وَمَا يُمْنِكُمْ﴾ من ذلك ﴿فَلَا تَرْجِعْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في فعله.

[٣] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة^(٢) ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ﴾ من: زائدة، ﴿وَخَلْقٍ﴾ مبتدأ ﴿عِزُّ اللَّهِ﴾ بالرفع والجر^(٣): نعت لـ ﴿خَلْقٍ﴾ لفظاً ومحللاً، وخبر المبتدأ: ﴿يَزُفُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطَرُ﴾ من: الأرض ﴿النَّهَارُ؟﴾ والاستفهام للتقرير؛ أي: لا خالق رازق غيره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفُكُورُ﴾ من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟!

فَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ^(٤) قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ^(٥) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ أَقْبَرَتْ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ^(٦) وَقَالُوا لَمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ^(٧) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِرُونَ بِالْعَنِيِّ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ^(٨) وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ^(٩)

سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجَبَحُوا مَثْنَى وَثُلَّةَ رُجْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١) مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٢) يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِزُّ اللَّهِ يَزُفُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفُكُورُ^(٣)

[٤٩] ﴿فَلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لم يبق له أثر.

[٥٠] ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ أي: إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾.

[٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فِرْعَوْنُ﴾ عند البعث؛ لرأيت أمراً عظيماً ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ لهم مني؛ أي: لا يقوتوننا ﴿وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: القبور.

(١) فائدة: قال البخاري: سورة الملائكة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة (٣٥). وكذلك سماها الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦).

(١) بالهمزة بدل الواو: ﴿التَّنَاقُشُ﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو.

(٢) سبق التعليق على نحو هذا مراراً بأن الأولى التعميم وعدم التخصيص.

(٣) بالجر قراءة حمزة والكسائي.

[٤] ﴿وَإِنْ يَكْذِبُواكَ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ في ذلك؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في الآخرة؛ فيجازي المكذبن وينصر المسلمين.

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَفْرَحَنَّكُمْ بِاللَّهِ﴾ في جليلة وإمهاله ﴿الْعُرُوزُ﴾ الشيطان.

[٦] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله، ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ أتباعه في الكفر ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَحْصَى السَّعِيرِ﴾ النار الشديدة.

[٧] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هذا بيان ما يوافق الشيطان وما يخالفه.

[٨] ﴿وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ وغيره﴾: ﴿أَقَمَ رَبُّنَا لَكُمْ سُوءَ عَمَلِكُمْ بِالْمُؤْمِنَةِ﴾ ﴿قَرَأَهُ حَسَنًا﴾ «من» مبتدأ، خبره: كمن هده الله؟ لا، دل عليه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَنْهُمْ﴾ على المزني لهم ﴿حَسْرَتٍ﴾ يا غيتاميك أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه^(١).

[٩] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿الرَّيْحَ﴾ ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية؛ أي: تزعجه ﴿فَتُسْقِنُهُ﴾ فيه النفثات عن الغيبة ﴿إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٣)؛ لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يسسها؛ أي: أنبتنا به الزرع والكأ^(٤) ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: البعث والإحياء.

[١٠] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة؛ فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ اللَّطِيفُ﴾ يغلظه^(٥)؛ وهو: لا إله إلا الله ونحوها ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يقبله ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ بِالْمَكَرَاتِ﴾ السَّيِّئَاتِ ﴿بِالنَّبِيِّ فِي دَارِ الدُّنْيَا﴾ من تقيده، أو قتله، أو إخراجها. كما ذكر في الأنفال^(٦). - ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾ يهلك.

[١١] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق أئكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ أي: مني يخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا ﴿وَمَا تَحْمِلُ﴾

وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ أَفَمَن رَّبُّنَا لَهُ سُوءٌ عَمَلُهُ قَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنُهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٦﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ اللَّطِيفُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ بِالسَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨﴾

يَنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ حال؛ أي: معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يزداد في عمر طويل العمر ﴿وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ﴾ أي: ذلك المعمر، أو معمر آخر^(١) ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو: اللوح المحفوظ ﴿وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هيئت.

(١) روي هذا عن ابن عباس، كما ذكر السيوطي في باب النقول ص (١٨١) عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس به، وجوير متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس، وهو ضعيف جدًا كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٨/٣).

(٢) لحمة والكسائي وابن كثير.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا من تأويل الكلم وتحريفه عن مواضعه؛ ومراد المفسر غفر لنا وله نفي ما يدل عليه من إثبات علو الذات لله ﷻ جرياً على طريقته في ذلك.

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ يَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ لَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْشُرُونَ أَوْ يَفْشُرُونَ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

(٦) أي إن الضمير عائذ عني الجنس، لا على العين؛ أي لا على عين المعثر بل على غيره؛ لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره. قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه»، أي ونصف آخر. ويكون معنى الآية على هذا القول: أي ما يعطى بعض النطف. عند نفع الروح وكتب الأجل. من العمر الطويل يعلمه الله تعالى، وهذا اختيار ابن جرير وابن كثير.

﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: هو: السكك ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: من الحيوان، وقيل: منهما ﴿جِلِيَّةٌ تَلْبَسُونَهَا﴾: هي: اللؤلؤ والمرجان ﴿وَرَأَى﴾: تبصر ﴿أَنَّكَ﴾: السفن ﴿فِيهِ﴾: في كل منهما ﴿مَوَازِيرَ﴾: تمخر الماء؛ أي: تَنْشَقُّ بِجَرِيحِهَا فِيهِ مَقْبَلَةٌ وَمُدْبِرَةٌ بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ ﴿لِيُنْجُوا﴾: تطلبوا ﴿مِنْ قَضِيَّةٍ﴾: تعالى. بالتجارة ﴿وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾: الله على ذلك.

[١٣] ﴿يُولِجُ﴾ يدخل الله ﴿الَّذِينَ فِي الْهَآرِ﴾ فيريد^(١) ﴿وَيُؤَلِّجُ﴾
 الْهَآرَ يدخله في الَّيْلِ فيريد^(٢) ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ﴾
 مِنْهُمَا ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ كُمْ أَنَّهُ﴾
 ﴿يَكُنْ لَّكُمُ الْآيَاتُ وَالذِّكْرِ تُدْعَوْنَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره؛
 وهم: الأصنام ﴿مَا يَلْمُزُوكَ مِنْ فَطْمِيرٍ﴾ لفافة التواة.

[illegible]

[١٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ بكل حال ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحمود في صنعه بهم.

[۱۶] ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم.
[۱۷] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَعِزٌّ﴾ شديداً.

[١٨] وَلَا يُزِدْ نَفْسٌ وَاِزْدًا ۖ اَتَمَّةٌ اَي: لَا تَحْمِلُ وَاِزْدًا نَفْسٍ اُخْرٰى ۚ وَانْ تَدَّ نَفْسٌ مُثْقَلَةً ۚ بِالْوِزْرِ ۚ اِلَىٰ جِلْهَآ ۚ مِنْهُ اَحَدًا لِيَحْمِلَ عَصَاهُ ۚ لَا يَحْمِلُ مِثْلَهُ ۚ وَلَوْ كَانَ الْمَذْمُوعُ ذَا شَرَفٍ ۚ قَرَابَةٍ ۚ كَالْأَبِ وَالْإِبْنِ ۚ وَعَدَمُ الْحَمْلِ فِي الشَّقِيحِ (٣) حُكْمٌ مِنَ اللَّهِ ۚ إِنَّمَا نُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْتَوُونَ رِجْمَهُ بِالْعَلِيْبِ ۚ اَي: يَخَافُونَهُ وَمَا رَأَوْهُ ۚ لِأَنَّهُمْ يَتَنَفَّعُونَ بِالْإِنْذَارِ ۚ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ أَدَامَوْهَا ۚ وَوَمِنَ رِزْقِي ۚ تَطَهَّرَ مِنَ الشَّرِكِ وَغَيْرِهِ ۚ وَإِنَّمَا سَرَّكَ إِنْسِيءُ ۚ فَضْلَاحُهُ مُخْتَصَبٌ بِهِ ۚ وَإِلَىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ ۚ الْمَرْجِعُ ۚ فَيَجْزِي الْعَمَلُ فِي الْآخِرَةِ.

[١٨] ﴿وَلَا تُزِرْ نَفْسٌ وَاِذَةً﴾ أتمّة أي: لا تحمل ﴿وَزِرَ﴾ نَفْسٌ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ نَفْسٌ مَّقْتُلَةً بِالْوِزْرِ إِلَىٰ جِهَلِهَا مِنْهُ أَحَدًا لِيَحْمِلَ بَعْضُهُ لَا يَحْمِلُ مِثْلَهُ وَلَوْ كَانَ الْمُدْعُو ذَا شُرْقَىٰ قَرَابَةٍ كَأَلَابِ الْإِلَابِ، وعدم الحمس في الشقين (٣) حكم من الله ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْتَوُونَ رَحْمَتَ الْعَلِيِّ﴾ أي: يخافونه وما رأوه؛ لأنهم المتنفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَمِن رَّحْمَتِ رَبِّكَ تَطَهَّرَ مِنَ الشَّرِّ وَغَيْرِهِ﴾ وَكَانُوا رَازِقِينَ لِنَفْسِهِمْ فَضْلًا لَهُ مَخْتَصٌ بِهِ ﴿وَاللَّهُ الْمَصِيدُ﴾ المرجع؛ فيجزي العامل في الآخرة.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَالِحٌ شَرَابُهُ وَهَذَا
مَلْحٌ أَحَابُجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِيرَ تَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ
النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٤﴾ إِنْ
دَعَوْهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَهُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَهُمْ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُبَشِّرُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٥﴾ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾
وَمَا ذَلِكُ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلَةٍ لَّا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
إِنَّمَا تُذِرُ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَمِنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ۖ شَدِيدُ الْعَذْوَةِ ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ ۖ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ شَدِيدُ الْمِلْحَةِ ﴿وَمِنْ كُلِّ مَنَهُمَا

(١) أي: الليل ويطول.

(٢) أي: النهار ويطول.

(٣) أي في الحمل القهري في قوله: ﴿وَلَا تَرْزُ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، أو الاختياري؛ تلبية لدعوة المثقلة غيرها ليحمل بعضه.

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن.

[٢٠] ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ الْكَفَرُ﴾ وَلَا النُّورُ الْإِيمَانُ.

[٢١] ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا النُّورُ﴾ الجنة والنار.

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ وَلَا الْأَقْوَمُ﴾ المؤمنون ولا الكفار، وزيادة «لَا» في الثلاثة تأكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ هدايته؛ فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ أي: الكفار - شبههم بالموتى - فيجيئون.

[٢٣] ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ منذر لهم.

[٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِنَّ﴾ ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ نبي يُنذِرُهَا.

[٢٥] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ جاءتهم رُسُلهم بالبينات والمعجزات ﴿وَالَّذِينَ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَالَّذِينَ﴾ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتكذيبهم ﴿كَذِيفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك؛ أي: هو واقع موقعه.

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه انتفات عن الغيبة ﴿بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ جمع جُدَّة؛ طريق في الجبل وغيره^(١) ﴿بَيْضٌ وَحُمْرٌ وَصَفَرٌ﴾ و﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ بالشدة والضعف ﴿وَعَرِيبٌ﴾ سُودٌ عطف على ﴿جُدَدٌ﴾ أي: صخور شديدة السواد، يقال كثيرا: أسود غريب، وقليلا: غريب أسود.

[٢٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ﴾ كذلك؛ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بخلاف الجهال ككفار مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرءون ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَتَرَجَّوْنَ يَجُورُوا﴾

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ وَلَا الْأَقْوَمُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَارِيبٌ سُودٌ ﴿٢٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَكَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْتَجُونَ تَجَرَّةً لَّن تَبُورَ ﴿٣٠﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣١﴾

لَّن تَكُورَ تهلك.

[٣٠] ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ لَنَّهُم غَفُورٌ لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعتهم.

(١) قال القاضي كعبان في قرة العينين ص (٥٧٥): «يشير إلى اختلاف ألوان الصخور، ومعنى «الجُدَّة» في أصل اللغة: الخلطة في ظهر الحمار تخالف لونه؛ أي إن صخور الجبال لخطوط وطرائق مختلفة الألوان...».

بالوابع والظواهر^(١).

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمتك ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يضم إلى العلم التعليم والإرشاد إلى العمل ﴿يَاذُنُ اللَّهِ﴾ يارادته ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ليراثهم الكتاب ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٢).

[٣٣] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ﴾ أي: إقامة ﴿يَدْخُلُوهَا﴾ الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول^(٣)؛ خبر ﴿جَنَّتٌ﴾ المبتدأ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ خبر ثانٍ ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مَرْصَع بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شُكْرٌ﴾ للطاعة.

[٣٥] ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ لا يمسنا فيها نصيب ﴿ثُمَّ﴾ ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ﴾ إغناء من التعب؛ لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾ يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿[يُجْزَىٰ]﴾^(٤) ﴿كُلُّ كَافٍ﴾ كافر، بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب ﴿كُلِّ﴾.

[٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ ﴿نَعْمَلْ صَلِيعًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيقال لهم: ﴿أُولَئِكَ نَعْمَلُكُمْ مَا﴾ ﴿وَقَدْ يَنْذَكُرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ الرسول فيما أجبتهم ﴿فَذُوقُوا﴾ ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يدفع العذاب عنهم.

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب؛ فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس^(٥).

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَاذُنُ اللَّهِ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ كَافٍ ﴿٣٧﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَلِيعًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أُولَئِكَ نَعْمَلُكُمْ مَا تَذَكَّرُكُمْ مَا تَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٩﴾

[٣٩] ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ عالم

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يَأْذُنُ اللَّهِ قَالَ: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦) سورة فاطر، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٧).

(١) إذا كان مراد المفسر بذلك تفسير قوله: ﴿لَخَبِيرٌ﴾ فنعلم؛ وإن كان مراده تفسير ﴿بَصِيرٌ﴾ بذلك أيضًا فإن هذا من تأويل صفة البصر الثابتة لله ﷻ على الوجه اللائق به، وهو مردود.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة أبي عمرو.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو.

(٤) أي: أما بالنسبة إليه سبحانه؛ فالسر والعلانية سواء.

[٣٩] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضاً ﴿فَمَنْ كَفَرَ﴾ منكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: وتبطل كُفْرُهُ ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ غَضَبًا ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ للآخرة.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله - تعالى - ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شِرْكٌ مع الله ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ﴾ حجة ﴿بَيِّنَةٌ﴾ بأن لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِنْ﴾ ما ﴿يَعِدُّ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً، بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

[٤١] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: يمنعهما من الزوال ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿زَالَا إِنْ﴾ ما ﴿أَسْكَنْهُمَا﴾ بمسكهما ﴿بَيْنَ أَعْيُنٍ مِنْ بَدْوٍ﴾ أي: سواء ﴿إِنْهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ في تأخير عقاب الكفار.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لَنْتُجَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ أَهْدَى الْأُمَمِ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم؛ أي: أي واحدة منها، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً؛ إذ قالت اليهود: ﴿لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾^(١) وقالت النصارى: ﴿لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾^(٢) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ تباعداً عن الهدى.

[٤٣] ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عن الإيمان، مفعول له ﴿وَمَكْرَ الْعَمَلِ﴾ السَّيِّئِ من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر، ووصف المكر بالسئ أصل^(٣)، وإضافته إليه قبل^(٤) استعمال آخر، فُلِّزَ فيه مضاف^(٥)؛ حذراً من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم؛ من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقة.

[٤٤] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ كَفَرَفَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا إِنْ أَمْسَكْنَاهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْتُجَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ أَهْدَى الْأُمَمِ كَيْفَ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ أَهْدَى الْأُمَمِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ بسبقه وبفوته ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: بالأمور كلها ﴿قَدِيرًا﴾ عليها.

(١)، (٢) البقرة: ١١٣.

(٣) أي: جاء على الأصل؛ من استعمال الصفة تابعة للموصوف.

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُ السَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]، جاء على خلاف الأصل؛ حيث أضيفت فيه الصفة إلى الموصوف.

(٥) قدره الجلال المحلي هنا: «العمل»؛ أي: مكر العمل السيئ.

[٢] ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ المحكم بعجيب التظلم وبديع المعاني.

[٣] ﴿إِنَّكَ يَا مُحَمَّدٌ﴾ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ.

[٤] ﴿عَلَىٰ﴾ متعلق بما قبله ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك؛ التوحيد والهدى، والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾.

[٥] ﴿تَنْزِيلُ﴾^(١) التَّزْيِيرُ في ملكه ﴿الرَّحِيمَ﴾ بخلقه، خير مبتداً مقدراً أي: القرآن.

[٦] ﴿لِنُنْذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾ متعلق بـ ﴿تَنْزِيلُ﴾ ﴿مَا أَنذَرْنَا أَبَاؤَهُمْ﴾ أي: لم يندروا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ﴾ أي: القوم ﴿عَظِيلُونَ﴾ عن الإيمان والرشد.

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ وجب ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: الأكثر.

[٨] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي عَصَتِهِمْ أَسَدًا﴾ بأن نُضَمَّ إليها الأيدي؛ لأنَّ الغُلَّ يجمع اليد إلى العنق ﴿فَهُمْ﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن؛ وهي: مُجْتَمِعُ اللَّحْيَيْنِ ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل؛ والمراد: أنهم لا يدعون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين^(٢) ﴿فَاعْشَيْتُهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ تمثيل أيضاً لسد طرق الإيمان عليهم.

[١٠] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(٣) ﴿أَمْ كَمْ تُنذِرُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنْ أَتَعَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَحِشَى الرَّحْمَنِ بِالْعِيبِ﴾ خافه ولم يره ﴿فَيُثِرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَاجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ الْمُغْنَوْنَ﴾ للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ في حياتهم من خير وشر؛ ليجازوا عليه ﴿وَأَنذَرَهُمْ﴾ ما استن به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نُضَبِّهُ بِفِعْلِ يفسره: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضَبَّطْنَاهُ ﴿فِي إِمَارٍ مُبِينٍ﴾ كتاب بين؛ هو: اللوح المحفوظ^(٤).

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ۝

سورة يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَنذَرْنَا أَبَاؤَهُمْ فَهُمْ عَظِيلُونَ﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي عَصَتِهِمْ أَسَدًا الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَحِشَى الرَّحْمَنِ بِالْعِيبِ قَبْشِرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَاجْرٍ كَرِيمٍ ﴿إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ عَنِ الْمَوْتَىٰ وَكَتَبْنَا مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرُكُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾

[٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهَرِهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ نَسَمَةٍ تُدْبُ عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم على أعمالهم؛ بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

سورة يس

[مكية إلا: قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ الآية، أو: مدنية^(١)، ثنتان

وثمانون آية، نزلت بعد سورة الجن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يس﴾ الله أعلم بمراده به.

(١) ما جاء في نزول الآية (١٢): أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ عَنِ الْمَوْتَىٰ وَكَتَبْنَا مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرُكُمْ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن آثاركم تكتب؛ فلم ينتقلوا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٧). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٨).

(١) لم يذكر هذا الخلاف أحد غيره من المفسرين، والسورة مكية لإجماع كما قال القرطبي.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقراء بقية السبعة بالفتح: ﴿تَنْزِيلُ﴾؛ إما مفعولاً مطلقاً، أو لفعل محذوف مقدراً.

(٣) بالضم قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) بالتسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام، وقُضِلَ بين الهمزتين بالألف: أبو عمرو وقالوا وهشام، والأكثر عن ورش على إبدال الهمزة الثانية ألفاً خالصة.

[١٣] ﴿وَأَضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُمْ مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿أَصْحَبَ﴾ مفعول ثانٍ ﴿الْقَرْيَةِ﴾ أنطاكية ﴿إِذْ جَاءَهَا﴾ إلى آخره؛ بدل اشتمال من ﴿أَصْحَبَ الْقَرْيَةِ﴾ ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: رسل عيسى^(١).

[١٤] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخره؛ بدل من ﴿إِذْ الْأُولَى﴾ ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢)؛ قَوَّيْنَا الاثنين ﴿يَسَارِلِي فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾.

[١٥] ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِذْ﴾ ما أنتم إلا تكذبون^(٣).

[١٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعِزُّ جَارُ مَجْرَى الْقَسَمِ﴾ جار مجرى القسم، ويزيد التأكيذ به وباللام، على ما قبله، لزيادة الإنكار في ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ﴾ التبليغ البين الظاهر بالأدلة الواضحة؛ وهي: إبراء الأكمه والأبرص والمرضى وإحياء الميت^(٤).

[١٨] ﴿قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ﴾ تشاءمنا ﴿بَكُمْ﴾ لانقطاع المطر عنها بسبيكم^(٥) ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿لَمْ نَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَسْئَلَنَّكُمْ﴾ سئال عذاب آليم مؤلم.

[١٩] ﴿قَالُوا عَلَيْنَاكُمْ﴾ شؤمكم ﴿نَعْمَكُمْ﴾ بكفركم ﴿إِنْ﴾ همزة استفهام دخلت على ﴿إِن﴾ الشرطية، وفي همزتها: التحقيق والتسهيل، وإدخال ألف بينها - بوجهيها - وبين الأخرى^(٦) ﴿ذُكِّرْتُمْ﴾ وَعُظِّمْتُمْ وَخُوفُكُمْ، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تطيرتم وكفرتم؟ وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحد بشؤركم.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ هو: حبيب النجار، كان قد آمن بالرسول، ومنزله بأقصى البلد ﴿يَسْعَى﴾ يشتد عذوا لما سمع بكذب القوم الرسول ﴿قَالَ يَقُومُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢١] ﴿أَتَّبِعُوا﴾ تأكيد للأول ﴿مَنْ لَا يَسْتَكْبِرْ أَجْرًا﴾ على رسالته ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ فقبل له: أنت على دينهم. فقال: [٢٢] ﴿وَمَا لِي لَا أَتَّبِعُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني؛ أي: لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها، وأنتم كذلك ﴿وَلَا يَدْرِي رُجِعُونَ﴾ بعد الموت فيجازيكم بكفركم^(٧).

[٢٣] ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ في الهمزتين منه ما تقدم في ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾^(٨) وهو استفهام بمعنى النفي ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿ءَالِهَةٌ﴾ أصناما ﴿إِنْ يَرِْدُنِ الرَّحْمَنُ يَضُرِّ لَّا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَعَتُهُمْ﴾ التي زعمتموها ﴿سَيِّئًا وَلَا يُؤْقِدُونَ﴾ صفة ﴿ءَالِهَةٍ﴾.

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَبَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ لَئِنْ لَمْ نَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَسْئَلَنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْتَهُوا تَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَكْبِرُ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَتَّبِعُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ يَضُرِّ لَّا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَعَتُهُمْ سَيِّئًا وَلَا يُنْقِدُونَ ﴿٢٣﴾ إِنْ إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنْ ءَأَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

[٢٤] ﴿إِنْ إِذَا﴾ أي: إن عذبته غير الله ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين.

[٢٥] ﴿إِنْ ءَأَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ﴾ أي: اسمعوا قولي؛ فرجموه فمات.

[٢٦] ﴿قِيلَ﴾ له عند موته: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ وقيل: دخلها حيا ﴿قَالَ﴾ يا، حرف تنبيه ﴿لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

[٢٧] ﴿بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي﴾ بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

(١) اختار ابن كثير أنهم رسل من الله تعالى، وهو ما يؤيده سياق الآيات، وليس ما اختاره المصنف وبعض المفسرين أنهم رسل عيسى.

(٢) بالتخفيف قراءة شعبة، وقرأ الباقر بالتشديد.

(٣) (٤) تفسير الأثلة بهذه الآيات، والشاؤم بسبب انقطاع المطر مما لا دليل صحيح على شؤمه، وكذلك ما سيأتي من تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة بحبيب النجار، وما سبق من تسمية القرية بأنطاكية؛ فالأولى في تفسير القرآن إجمال ما أجمله وتفصيل ما فصله والاقصاء على موضع الفائدة والعبرة، كما عليه أهل التحقيق من المفسرين فلا يعتمدون في إيضاح مبهات القرآن إلا ما قام عليه دليل قاطع.

(٥) راجع التعليق على الآية رقم (١١٣) من سورة الأعراف.

(٦) في نسخة القاضي كنعان المطبوعة: «كبريكم».

(٧) أي: من القراءات، وتقدم بيانها.

والاستفهام للتقرير؛ أي: علموا ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى: كثيراً معمولة لما بعدها، معلقة ما قبلها عن العمل^(٣)؛ والمعنى: إنا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ كثيراً ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿أَتَتْهُمْ﴾ أي: المهلكين ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: المكذبين ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ و﴿أَتَتْهُمْ﴾ إلخ، بدل ميثا قبله، يرعاية المعنى المذكور.

[٣٢] ﴿وَإِنْ نَافِيَةٌ أَوْ مُخَفَّفَةٌ﴾ كلٌّ ﴿أَي﴾: كل اخلافتي، مبتدأ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد؛ بمعنى: إلا، أو بالتخفيف^(٤)، فـ «اللام» فارقة و«ما» مزيدة ﴿جَمِيعٍ﴾ خبر المبتدأ؛ أي: مجموعون ﴿لَدَيْنَا﴾ عدنانا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحْضَرُونَ﴾ للحساب، خبر ثان.

[٣٣] ﴿وَأَيَّاهُ هُمُ﴾ على البعث، خبر مقدم ﴿الْأَرْضُ أَلْيَنَةُ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥) ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بالماء، مبتدأ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كالخطة ﴿فَنِعْمَ يَأْكُلُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾ بساكنين ﴿مِّنْ نَّجِيلٍ﴾ وأغنيب وقجرنا فيها من العيون؛ أي: بعضها.

[٣٥] ﴿يَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ بفتحين وضمين^(٦)؛ أي: ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لم تعمل الثمر^(٧) ﴿أَفَلَا يَسْكُرُونَ﴾ أنعمه تعالى عليهم؟.

[٣٦] ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا نُثِثُ الْأَرْضَ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَمْلِكُونَ﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة.

[٣٧] ﴿وَأَيَّاهُ هُمُ﴾ على القدرة العظيمة: ﴿أَتَيْلُ نَسْلَخُ﴾ فصل ﴿وَمِنَهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام.

[٣٨] ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي﴾ إلى آخره من جملة الآية لهم، أو آية أخرى، والقمر كذلك ﴿لِلسُّقَرِ لَهَا﴾ أي: إليه لا تتجاوزهُ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: جبرها ﴿تَقْدِيرَ الرَّبِّزِ﴾ في ملكه ﴿الْقَلْبِو﴾ بخلقه.

[٣٩] ﴿وَالْقَمَرُ﴾ بالرفع والنصب^(٨)، وهو منصوب بفعل يُقْسَرُهُ ما بغدَه ﴿فَدَرَزَتْهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً، في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، وليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخر منازلهِ في رأي العين ﴿كَأَلَمْ جُورِ الْقَدِيرِ﴾ أي: كعود الشماع إذا عثق فإنه يرقُ وَيَقْفُزُ وَيَضْفَرُ.

[٤٠] ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي﴾ يسهر ويصح ﴿لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿وَلَا أَيْلُ سَابِقَ النَّهَارِ﴾ فلا يأتي قبل انقضاءه ﴿وَكُلٌّ﴾ - توينه عوض عن المضاف إليه - من الشمس والقمر والنجوم ﴿وَيُفِي فَلَكَ﴾ مستدير ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسبِّحون، يُزَلُّوا منزلة العقلاء.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ إن كنت إلا صيحة واحدة فإذا هم خميدون ﴿يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أَوَيْرُواكُمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمُ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ وَءَايَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنِمْنُ يَأْكُلُونَ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثِثُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يُعْلَمُونَ﴾ وَءَايَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿وَالْقَمَرُ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَيْلُ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿

[٢٨] ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ أي: حبيب^(١) ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد موته ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: ملائكة لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ ملائكة لإهلاك أحد.

[٢٩] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ﴾ عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خُمُودُونَ﴾ ساكنون ميتون.

[٣٠] ﴿يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ هؤلاء ونحوهم من كذبوا الرسل فأهلكوا، وهي شدة التألم، وندأوها مجازاً؛ أي: هذا أوانك فاحضري ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ مسوق لبيان سببها^(٢)؛ لاشتغالها على استهزائهم، المؤدي إلى إهلاكهم، المسبب عنه الحسرة.

[٣١] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: أهل مكة القائلون للنبي: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾،

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ لأي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتسأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتسأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الرَّبِّزِ الْعَلِيمِ» البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة يس (٣٦) باب (١) ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

(٢) راجع ما تقدم في التعليق من أنه لا دليل على صحة تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسمى حبيباً.

(٣) لأن «كم» الخبرية يكون لها الصدارة، فلا يعمل ما قبلها - وهو «يروا» - فيها.

(٤) بالتشديد قراءة نافع.

(٥) هذا باعتبار أن (ما) نافية، وهو أحد الأقوال، والقول الثاني - وهو الأظهر - أنها موصولة، في موضع خفض على العطف، وهو اختيار ابن جرير، ولم يذكر غيره. والمعنى: وما عملته أيديهم، وهو ما يتخذ من القمر الكعصير والذهب ونحوهما، أو المراد الذي عملته بالفرس، والسقي، والآبار.

(٦) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٧) أي: سبب الحسرة.

(٨) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو.

(٩) بضمين قراءة حمزة والكسائي.

[٤١] ﴿رَبَّاهُ هُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(١) أي: آباءهم الأصول^(٢) ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ أي: سفينة نوح ﴿الْمُسْحُونَ﴾ المملوء.

[٤٢] ﴿وَحَلَقْنَا هُمْ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ أي: مثل فلك نوح؛ وهو: ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكار يتعليم الله - تعالى - ﴿مَا يَكُونُ﴾ فيه.

[٤٣] ﴿وَلَمَّا نَسُوا نَجْرَهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيحَ﴾ مُعِيثَ ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْجُوْنَ﴾ ينجون.

[٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: لا ينجمهم إلا رحمتنا لهم وتمتعنا بإياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيرهم ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْجَعُونَ﴾ أعرضوا.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا الصَّحَابَةَ﴾^(٣) ﴿لَهُمْ أَنْفِقُوا﴾ غُلَّتَا ﴿وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاء بهم: ﴿أَنُطِيعُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعْتُمْ﴾ في معتقدهم هذا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدهم هذا ﴿وَلَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يَبِينُ، وللصريح بكفرهم^(٤) موقع عظيم.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٤٩] قال - تعالى -: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾ وهي: نفخة إسرئيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ بالتشديد، أصله: يَخِصِّمُونَ؛ نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد؛ أي: وهم في غفلة عنها يَخِصِّمُونَ وَتَبَاطُحَ وَأَكَلَ وَشَرِبَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وفي قراءة: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾^(٥) كـ «يضر بون»؛ أي: يخصم بعضهم بعضاً.

[٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً﴾ أي: أن يوصوا ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ من أسواقهم وأشغالهم، بل يموتون فيها.

[٥١] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ - هو قرن - النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة^(٦) ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أي: المقبورون ﴿وَمِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يخرجون بسرعة.

[٥٢] ﴿قَالُوا﴾ أي: الكفار منهم: ﴿يَا لَئِن لَّبِثْنَا﴾ و﴿لَبِثْنَا﴾ هلاكنا، وهو مصدراً لا يفعل له من لفظه ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿هَذَا﴾ أي: البعث ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَ﴾ به

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَحَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْغُرْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْجُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَطُوعِم مَّن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعْتُمْ إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَجِدَّةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا بَنِيَّائِنَا مَن بَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَّةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا نُظَلِّمُ نَفْسًا وَلَا نُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

﴿الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أَتَوْا حين لا ينفعهم الإفرز، وقيل: يقال لهم ذلك.

[٥٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا عندنا ﴿مُحْضَرُونَ﴾.

[٥٤] ﴿فَالْيَوْمَ لَا نُظَلِّمُ نَفْسًا وَلَا نُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أشار بذلك إلى أن لفظ الذرية كما يطلق على الفروع يطلق على الأصول.

(٣) الأولى في تفسيرها ما ذكره ابن كثير بقوله: أي وإذا أمروا بالاتفاق بما رزقهم الله على الفقراء والمجاورين من المسلمين... إلخ.

(٤) أي في قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، والموقع العظيم الذي يشير إليه المصنف هو: التشيع عليهم.

(٥) لحزمة، والقراءة المفسرة أولاً، لورش وهشام وابن كثير، وقرأ قالون بإخفاء حركة الخاء مع التشديد كذلك. ومثله أبو عمرو، وقيل عن أبي عمرو إنه اختلس حركة الخاء، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾.

(٦) الأولى عدم التعيين؛ فيقال: «أربعون» فقط، كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) أن النبي ﷺ قال: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلٍّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ الْيَوْمَ أُزِيلُ الْبُجُورَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كُنْتُمْ تُوَعَّدُونَ ﴿٦٢﴾ أَصَلُّوا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٣﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنشَأُ مِنْهُمْ يَمَانًا أَوْ كَيْفِيَّةً ﴿٦٤﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٨﴾ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾

بهم؛ أي: يقول لهم: سلام عليكم. ﴿٥٥﴾ يقول: ﴿أَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، عند اختلاطهم بهم.

﴿٦٠﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ: أَمَرْتُ ﴿بَنِي آدَمَ﴾: على لسان رسلي ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ لا تطيعوه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يتبين العداوة.

﴿٦١﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي: وحدوني وأطيعوني ﴿هَذَا صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا: خلقًا، جمع جيل؛ كقدم، وفي قراءة: بضم الباء^(١) ﴿كَثِيرًا أَقَلَّمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ عداوته وإضلاله، أو ما خل بهم من العذاب فتؤمنون؟

﴿٦٣﴾ ويقال لهم في الآخرة: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها. ﴿٦٤﴾ أَصَلُّوا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ.

﴿٦٥﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ: أي: الكفار لقولهم: ﴿وَاللَّهُ رِئَاسًا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٢) ﴿وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَنشَأُ مِنْهُمْ يَمَانًا﴾ وبغيرها ﴿يَمَانًا﴾ كانوا يكسبون، فكل عضو ينطق بما صدر منه.

﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ: لأعميناها طمسًا ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ الطريق، ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾: حينئذ؟ أي: لا يبصرون.

﴿٦٧﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ: قردة وخنازير أو حجارة ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ وفي قراءة: ﴿مَكَانَاتِهِمْ﴾^(٣) جمع مكانة؛ بمعنى: مكان؛ أي: في منازلهم ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: لم يقدرُوا على الذهاب ولا مجيء.

﴿٦٨﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ بِإطالة أجله ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ وفي قراءة: بالتشديد^(٤)؛ من النكيس ﴿فِي الْخَلْقِ﴾ فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفًا وهرمًا ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادرٌ على البعث فيؤمنون؟ وفي قراءة: بالناء^(٥).

﴿٦٩﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ: أي: النبي ﴿الشِّعْرَ﴾ رد لقولهم: إن ما أتى به من القرآن شعرٌ ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ يسهل ﴿لَهُ﴾ الشعر ﴿إِنْ هُوَ﴾ ليس الذي أتى به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ مظهر للأحكام وغيرها.

﴿٧٠﴾ لِيُنْذِرَ: بالباء والتاء^(٦)؛ به ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يعقل ما يخاطب به؛ وهم: المؤمنون ﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهم كالميتين، لا يعقلون ما يخاطبون به.

﴿٥٥﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي [شُغْلٍ] بسكون الغين وضمها^(١)، معًا فيه أهل النار ما يتلذذون به، كافيتضاض الأبيكار، لا شغل يتعبون فيه؛ لأن لجنة لا نصب فيها ﴿فَاكِهُونَ﴾ ناعمون، خبر ثانٍ لدلالة ﴿وَالأول﴾ في شغل.

﴿٥٦﴾ هُمْ مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلٍّ﴾ جمع ظلة أو ظل؛ خبر؛ أي: تصيبهم الشمس ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة؛ وهو: السرير في الحجرة^(٢)، أو الفروش فيها ﴿مُتَّكِئُونَ﴾ خبر ثانٍ متعلق ﴿عَلَى﴾.

﴿٥٧﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ فِيهَا ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾ يتمنون.

﴿٥٨﴾ سَلَامٌ مبتدأ ﴿قَوْلًا﴾ أي: بالقول، خبره: ﴿وَمِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾

(١) بالسكون لتافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بفتحين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرهما، وهي قبة تعلق على السرير وتزين به العروس.

(٣) أي: مع ضم الجيم وهي لحمة والكسائي وابن كثير.

(٤) الأنعام: ٢٣.

(٥) لشعبة.

(٦) وهي قراءة عاصم وحمره، وقرأ الباقون ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ بالتخفيف.

١٧ لنافه، اب- ذكان.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْبٍ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّآ نَعْلَمُ مَا يُبَيِّرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُفُّ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُفُفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَكُنِيَ خَلْقَهُ وَقَالَ مَنْ بَعْدِي أَعْظَمُ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

[٨٢] ﴿يَمَّا أَمْرُهُ﴾ شأنه ^(١) ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي: خلق شيء ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة ^(٢): بالنصب عطفًا على ﴿يَقُولُ﴾.

[٨٣] ﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ﴾ ملك، زيدت الواو والناء للمبالغة؛ أي: القدرة على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تردون في الآخرة.

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا، والاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعتف ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ في جملة الناس ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا﴾ عملناه بلا شريك ولا معين ﴿أَنْعَامًا﴾ هي: الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ ضابطون ^(١).

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ سخرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾؟.

[٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْبٍ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبٌ﴾ من لبنها، جمع مشرب؛ بمعنى: شرب، أو موضعه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ المتعجب عليهم بها فيؤمنون؟ أي: ما فعلوا ذلك.

[٧٤] ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿آلِهَةً﴾ أصنامًا يعبدونها ﴿لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ ينجون من عذاب الله - تعالى - بشفاعته الهتهم، برعهم.

[٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: الهتهم، نزلوا منزلة العقلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي: الهتهم من الأصنام ﴿لَهُمْ جُنْدٌ﴾ برعهم نصرهم ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ في النار معهم.

[٧٦] ﴿فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك: ﴿لَسْتُ مُرْسَلًا﴾ ^(٢) وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبَيِّرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من ذلك وغيره؛ فنجازهم عليه.

[٧٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُفُّ﴾ يعلم؛ وهو: العاصي بن وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُفُفَةٍ﴾ مني، إلى أن صيرناه شديدًا قويًا ﴿وَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة لنا ﴿مُبِينٌ﴾ بيّن، في نفي البعث.

[٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك ﴿وَكُنِيَ خَلْقَهُ﴾ من المنجى، وهو أغرب من مثله ﴿قَالَ مَنْ بَعْدِي أَعْظَمُ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية؟ ولم يقل: رميم - بالناء؛ لأنه اسم لا صفة، وروي أنه أخذ عظمًا رميمًا فقتله، وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي الله هذا بعد ما تبلى وزم؟ فقال ﷺ: نعم، ويؤيد خيلك الثار ^(٣).

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ مجملًا ومفصلًا، قبل خلقه وبعد خلقه.

[٨٠] ﴿وَالَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ المَرْخ والغفار ^(٤)، أو كل شجر إلا الغائب ^(٥) ﴿نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ تقدحون، وهذا دال على القدرة على البعث؛ فإنه جمع فيه بين الماء والنار واخشب؛ فلا الماء يطفئ النار، ولا النار تحرق الخشب.

[٨١] ﴿وَالَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿يَقْدِرُ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: الأناسي في الصغر؟ ﴿سَلَىٰ﴾ أي: هو قادر على ذلك، أجاب نفسه ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

(١) أي قاهرهم مذلون، والأظهر والأولى تفسير الملك في الآية بالملك الشرعي، وإباحة التصرف فيها بسائر الوجوه الشرعية، وليكون قوله تعالى بعدها: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ تأسيسًا لنعمة أخرى لا تنميها لما قبله.

(٢) الزعد: ٤٣.

(٣) لم أجد هذا اللفظ، لكن أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والضبط في المختارة عن ابن عباس [الذر المنثور (٢٠٧/٥)]، وروي ذلك في أبي بن خلف، أيضًا كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٥) عن ابن عباس وغيره.

(٤) نوعان من الشجر سريعا القدر.

(٥) لم يذكر الجلال المحلي سبب هذا الاستثناء لـ «الغائب» من جملة شجر الثار، وقال في حاشية الجمل على الجلالين: «هذا قول الحكماء، يقولون: في كل شجر نار إلا الغائب». وهذا متعقب وهو محل نظر كما ذكر القاضي كتمان في تعليقه على الجلالين.

(٦) قال ابن كثير: أي إنما يأمر بالشيء أمرًا واحدًا لا يحتاج إلى تكرار.

(٧) لابن عامر والكسائي.

بفعل مقدر؛ أي: حفظناها بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ صُكْلٍ﴾** متعلق بالمقدر **﴿شَيْطَانٍ تَارِدٍ﴾** غاب خارج عن الطاعة. [٨] **﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾**^(٣) أي: الشياطين، مستأنف^(٤)، وسماهم هو في المعنى المحفوظ عنه^(٥) **﴿إِلَى آلَاءِ الْآخِلَاءِ﴾** الملائكة في السماء، وغدّي السماع **﴿إِلَى﴾** لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة: بتشديد الميم والسين، أصله: يتسمعون؛ أدغمت التاء في السين **﴿وَيُقَدِّفُونَ﴾** أي: الشياطين بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾** من آفاق السماء.

[٩] **﴿دُحُورًا﴾** مصدر دَحَرَه؛ أي: طَرَدَهُ وَأَفْعَدَهُ، وهو مفعول له **﴿وَلَهُمْ﴾** في الآخرة **﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾** دائم. [١٠] **﴿إِلَّا مَنْ خُفِيَ لُطْفُهُ﴾** مصدر؛ أي: المرة، والاستثناء من ضمير **﴿يَسْمَعُونَ﴾** أي: لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة **﴿فَاتَّبَعَهُ يَنْهَابٌ﴾** كوكب مضيء^(٦) **﴿ثَائِقٌ﴾** ثقيبه، أو يحرقه، أو يحمله^(٧). [١١] **﴿فَأَنسَيْنَاهُمْ﴾** استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً: **﴿أَمْ أَشَدُّ حَلْفًا أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾** من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما وفي الإتيان **﴿بِمَنْ﴾** تغليب العقلاء **﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾** أي: أصلهم آدم **﴿وَمِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾** لازم، يلصق باليد؛ المعنى: أن خلقهم ضعيف، فلا يتكبروا^(٨) لأنكار النبي والقرآن، المؤدي إلى هلاكهم اليسير. [١٢] **﴿بِكُلِّ﴾** للانتقال من غرض إلى آخر؛ وهو: الإخبار بحاله وحالهم **﴿وَعَجِبْتَ﴾** بفتح التاء^(٩) خطاباً للنبي ﷺ؛ أي: من تكذيبهم إياك **﴿وَوَيْ﴾** هم **﴿يَسْخَرُونَ﴾** من تعجبك. [١٣] **﴿وَلَوْ أَنَّا دَعَلْنَا﴾** وعطروا القرآن **﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾** لا يتظنون. [١٤] **﴿وَلَوْ أَنَّا نُنَزِّلُ﴾** كانشقاق القمر **﴿يَسْخَرُونَ﴾** يستهزئون بها. [١٥] **﴿وَقَالُوا﴾** فيها: **﴿إِنْ﴾** ما **﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾** يتين. وقالوا منكبين للبحث: [١٦] **﴿أَوَدَّأَ مِنَّا وَكُنَّا نُرَبِّاُ وَعِظْلًا لِّئَلَّا نَلْبَعُونَ﴾** في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(١٠). [١٧] **﴿وَإِنَّا أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾** بسكون الواو عطفاً **﴿بِأَوَّلٍ﴾** وفتحها^(١١)، والهمزة للاستفهام، والعطف بالواو والمعطوف عليه مح **﴿إِن﴾** واسمها، أو: الضمير في **﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾**، والفواصل: همزة الاستفهام. [١٨] **﴿قُلْ نَعَمْ﴾** تبعون **﴿وَأَنْتُمْ دَجْرُونَ﴾** أي: صاغرون.

[١٩] **﴿فَوَيْلًا لِّمَن كَانَ يَمُورُ﴾** ضمير مبهم يفسره **﴿زَجْرًا﴾** أي: صيحة **﴿وَجِدَّةٌ إِذَا دُفِرَ﴾** أي: الخلائق أحياء **﴿يَنْظُرُونَ﴾** ما يفعل بهم. [٢٠] **﴿وَقَالُوا﴾** أي: الكفار: **﴿يَا﴾** للتنبيه **﴿وَلِئَلَّا﴾** هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة: [٢١] **﴿هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾** يوم الحساب والجزاء. **﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾** بين الخلائق **﴿الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكَذُّبُونَ﴾**. ويقال للملائكة: [٢٢] **﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** أنفسهم بالشرك **﴿وَأَزَوَّجَهُمْ﴾** قراءهم من الشياطين **﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾**. [٢٣] **﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾** أي: غيره من الأوثان **﴿فَأَعْدَوْهُمْ﴾** دلوهم وسوقوهم **﴿إِلَى صِرَاطٍ نَّهَجِمْ﴾** طريق النار. [٢٤] **﴿وَقَفُّوهُمْ﴾** احبسوهم عند الصراط **﴿إِنِّيهِمْ نَسْأَلُونَ﴾** عن جميع أوقالهم وأفعالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۖ فَالْزَجْرُ زَجْرًا ۖ فَالتَّالِيَتِ ذِكْرًا ۖ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۖ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۖ إِنَّا رِيتَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِيَّةَ الْكُوكَبِ ۖ وَحَفَظَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۖ إِلَّا مَنْ خُفِيَ الْخُطْفَةُ فَاتَّبَعَهُ ۖ وَشَهَابٌ ثَائِقٌ ۖ فَاسْتَفْتَاهُمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ۖ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۖ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۖ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ۖ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ ۖ لَّيْلَ دَامِسَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا ۖ لَّئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۖ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۖ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَجْرُونَ ۖ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۖ وَقَالُوا لَوْلَا نُنَزِّلُ هَذَا يَوْمَ الْبَرِّينَ ۖ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكَذُّبُونَ ۖ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزَّوَجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۖ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۖ وَقَفُّوهُمْ إِنِّيهِمْ نَسْأَلُونَ ۖ

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

[مكية، مائة واثنان وثمانون آية، نزلت بعد الأنعام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] **﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾** الملائكة، تُصَفِّفُ نفوسها في العبادة، أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تومر به. [٢] **﴿فَالْزَجْرُ زَجْرًا﴾** الملائكة تزرع السحاب؛ أي: تسوقه. [٣] **﴿فَالَّتَالِيَتِ﴾** أي: قراء القرآن يتلوونه^(١) **﴿ذِكْرًا﴾** مصدر من معنى التاليات. [٤] **﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾** يا أهل مكة **﴿لَوَاحِدٌ﴾**. [٥] **﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَغَارِبِ لِلشَّمْسِ، وَلَهَا كُل يَوْمٍ مَشْرُقٌ وَمَغْرِبٌ﴾** [٦] **﴿إِنَّا رِيتَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾** [بريئة] الكوكب؛ أي: بضوئها أو بها، والإضافة للبيان؛ كقراءة تنوين "زينه" المبيَّنة بالكواكب^(٢). [٧] **﴿وَحَفَظَا﴾** منصوب

- (١) في نسخة مطبوعة: «تلوه».
- (٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقراء حفص وحزمة والكسائي: «يُسْمَعُونَ» بتشديد السين والهم من التسمع، وهو: تَطَلَّبُ السماع.
- (٣) أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم.
- (٤) المقصود بشبه تفصيل منها، كما بين ذلك في تفسير سورة الملك: «بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقوس».
- (٥) في نسخة الصاوي: «فلا يتكبرون».
- (٦) راجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف، وقراء ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، وقراء نافع والكسائي عكسه.
- (٧) قرأه ابن عامر وقالون بواو ساكنة قبلها همزة مفتوحة، وقراء الباقون بواو مفتوحة قبلها همزة مفتوحة.

[٢٥] ويقال لهم توبيخاً: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ لا ينصر بعضهم بعضاً، كحالكم في الدنيا؟ ويقال لهم: [٢٦] ﴿بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُّسْتَقْبِلُونَ﴾ مفادون أدلاء.

[٢٧] ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يتلاومون ويتخاصمون.

[٢٨] ﴿قَالُوا لَا﴾ أي: الأنباغ منهم للمتبعين: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ عن الجهة التي كنا نأمنكم منها: لجليفكم أنكم على الحق؛ فصدقناكم واتبعناكم؛ المعنى: أنكم أضللتونا.

[٢٩] ﴿قَالُوا لَا﴾ أي: المستعجبون لهم: ﴿بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وإنما يصدق الإضلال وإن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الإيمان إلينا.

[٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة تفهركم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ ضالين مثلنا.

[٣١] ﴿ذُنُوبَكُمْ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعاً ﴿قَوْلَ رَبِّنَا﴾ بالعذاب؛ أي: قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١) ﴿إِنَّا﴾ جميعاً ﴿لَنَذِقُونَ﴾ العذاب بذلك القول، ونشأ عنه قولهم: [٣٢] ﴿فَأَقْبَرَتَكُمْ﴾ الملل بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾.

[٣٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَنبَتُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لاشتراكم في العوابة.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما نفعل بهؤلاء ﴿تَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غير هؤلاء؛ أي: تعذبهم، التابع منهم والمتبوع.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: هؤلاء، بقرينة ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا﴾ في همزته ما تقدم (٢) ﴿لَنَارِكُوا إِلَهَيْنَا لِشَايعِ تَجْنُونَ﴾ أي: لأجل محمد.

[٣٧] قال - تعالى -: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الجائين به؛ وهو: أن لا إله إلا الله.

[٣٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَنَذِيقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

[٣٩] ﴿وَمَا نَحْنُ بِإِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي: ذكر جزأهم في قوله: [٤١] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ بكرة وعشيقاً.

[٤٢] ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ بدل، أو: بيان للرزق؛ وهو: ما يؤكل تلذذاً لا لحفظ صحة؛ لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد ﴿وَهُمْ تَكْرُمُونَ﴾ بثواب الله.. سبحانه وتعالى.

[٤٣] ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

[٤٤] ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفاً بعض.

[٤٥] ﴿يُتَافَأُ عَلَيْهِمْ﴾ على كل منهم ﴿يَكْبُشُونَ﴾ هو: الإناء بشرابه ﴿يَمِينٌ مِّنْ خَمْرٍ يَجْرِي عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنهَارِ الْمَاءِ﴾.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُّسْتَقْبِلُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٢٩﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰيِقُونَ ﴿٣٠﴾ فَأَعْوَبْنَا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣١﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَيْنَا لِشَايعِ تَجْنُونَ ﴿٣٥﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّا كُنَّا لَنَذِيقُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِإِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٨﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٣٩﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ وَهُمْ مُّكْرَمُونَ ﴿٤٠﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤١﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٢﴾ يُتَافَأُ عَلَيْهِمْ يَكْبُشُونَ ﴿٤٣﴾ يَمِينٌ مِّنْ خَمْرٍ يَجْرِي عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنهَارِ الْمَاءِ ﴿٤٤﴾

[٤٦] ﴿يَبَصَّاءُ﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٌ﴾ لذيدة ﴿لِلشَّرْبِ﴾

بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب.

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ما يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُذْخَرُونَ﴾ بفتح الزاي وكسرهما (٣) من زُوف الشارب، وأثرف؛ أي: يسكرون بخلاف خمر الدنيا.

[٤٨] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْظَّرْفِ﴾ حابسات الأعين على أزواجهم، لا يُنْظَرُونَ إلى غيرهم لحسنهم عندهن ﴿عَيْنٌ﴾ ضخام الأعين حسانها.

[٤٩] ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في اللون ﴿يَبِينُ﴾ للنعام ﴿مَكْنُونٌ﴾ مستور بريشه لا يصل إليه غبار، ولونه. وهو البياض في صفرة. أحسن ألوان النساء.

[٥٠] ﴿فَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عما مر بهم في الدنيا.

[٥١] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ صاحب يتيكز البعث.

(١) هود: ١١٩.

(٢) أي: من التحقيق وتسهيل الثانية بألف ودونها.

(٣) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٨﴾ معك في النار.

[٥٨] ويقول أهل الجنة: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾. [٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؟ هو استفهام تلذذ وتحذير بنعمة الله - تعالى - من تأييد الحياة وعدم التعذيب^(١).

[٦٠] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ذُكر لأهل الجنة ﴿لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦١] ﴿لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْغَافِلُونَ﴾ قيل: يقال لهم ذلك. وقيل: هم يقولونه.

[٦٢] ﴿أَذَلَّكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نَزْلًا﴾ وهو ما يُعَدُّ للنازل، من ضيف وغيره ﴿وَأَمْ سَجَرَةُ الزُّرْقُمِ﴾ المعدة لأهل النار؟ وهي من أحببت الشجر المرء بقهامة، يُثِقُّهَا اللهُ في الجحيم؛ كما سيأتي.

[٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين من أهل مكة؛ إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبت؟

[٦٤] ﴿إِنَّمَا سَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى ذُرِّكَانِهَا.

[٦٥] ﴿طَلْعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الحيات^(٢) القبيحة المنظر.

[٦٦] ﴿فَالْيَهُودُ﴾ أي: الكفار ﴿لَا يَكُونُ مِنْهَا﴾ مع فبحها؛ لشدة جوعهم ﴿فَمَا لَوْ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾.

[٦٧] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوًّا بِزَنِّ حَبِيرٍ﴾ أي: ماء حار يشربونه، فيختلط بالماكول منها؛ فيصير شوتاً^(٣) له.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم، وأنه خارجها^(٤).

[٦٩] ﴿إِنَّهُمْ الْفَرَّاءُ﴾ وجدوا ﴿ءَايَاتُهُمْ صَالِينَ﴾.

[٧٠] ﴿ثُمَّ عَلَى آتِهِمْ هَمْرٌ غَرٌّ﴾ يُزْعَجُونَ إلى اتباعهم فيسرعون إليه.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ صَلَّ بِلَهُمْ أَكْثَرَ الْأُولِينَ﴾ من الأمم الماضية.

[٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ من الرسل مخوفين.

[٧٣] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَكِّرِينَ﴾ الكافرين؛ أي: عاقبتهم العذاب.

[٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ [الْمُخْلِصِينَ]^(٥) أي: المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب؛ لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أحلصهم لها، على قراءة فتح اللام.

[٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ بقوله: «رب أني مغلوب فأنصِر»^(٦) ﴿فَلْيَعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ له نحن؛ أي: دعانا على قوم، فأهلكناهم بالغرق.

[٧٦] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق.

يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمَصْدِرِينَ ﴿٥٩﴾ إِذْ أَمَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْ نَا لَمَذِبُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ ﴿٦١﴾ فَأَطْلَعُ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٦٢﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٦٣﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمَحْضَرِينَ ﴿٦٤﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٦٥﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ هَذَا الْهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٧﴾ لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦٨﴾ أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ سَجَرَةُ الزُّرْقُمِ ﴿٦٩﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّمَا سَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٧١﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٧٢﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهِمُ الشَّرِّاءَ مِنْ حَبِيرٍ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٧٥﴾ إِنَّهُمْ الْفَرَّاءُ بَاءَهُمْ صَالِينَ ﴿٧٦﴾ فَهُمْ عَلَى آتِهِمْ هَمْرٌ غَرٌّ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ صَلَّ بِلَهُمْ أَكْثَرَ الْأُولِينَ ﴿٧٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٩﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَكِّرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨١﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٨٢﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٨٣﴾

[٥٢] ﴿يَقُولُ﴾ لي تبكيًا: ﴿أَهْ نَك لَمِنَ الْمَصْدِرِينَ﴾ بالبعث.

[٥٣] ﴿لَوْ أَنَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْ نَا﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم^(١) ﴿لَمَذِبُونَ﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضًا.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

[٥٥] ﴿فَأَطْلَعُ﴾ ذلك القائل من بعض كُؤَى الجنة ﴿فَرَّاهُ﴾ أي: رأى قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ في وسط النار.

[٥٦] ﴿قَالَ﴾ له تسميًا: ﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كِدْتَ﴾ قاربت ﴿لَتُرْدِينَ﴾ لتهلكني يا غواثك.

[٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ علي في الدنيا بالإيمان ﴿لَكُنْتُ مِنَ

(١) أي: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) أي: فهو من كلام بعض أهل الجنة لبعض، وقيل: من كلام المؤمنين للملائكة حين ذبح الموت، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من أهل الجنة لأهل النار، على سبيل التبكيت لهم، والتذكير بقولهم هذا في الدنيا؛ حيث كانوا ينكرون البعث والعذاب.

(٣) قيل: لمرد بذلك ضرب من الحيات، رهوسها بشعة، واختار ابن كثير أن الآية على ظاهرها، وأنها رهوس الشياطين حقيقة، وإن سم تكن معروفة عند الغاطين؛ لأنه استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر.

(٤) أي: فيصير الحميم شوتاً؛ أي: خليطاً للزرقم.

(٥) مقصود المصنف أن الكفار يؤخذ بهم من الجحيم إلى الجحيم ثم يرجعون إلى الجحيم، وهما في النار؛ وليس المقصود خروجهم من النار لقوله تعالى فيهم: ﴿وَمَا لَهُمْ بِخَيْرٍ مِنْ أَلْكَارٍ﴾ [البقرة: ١٦٧].

(٦) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بفتح اللام.

(٧) القمر: ١٠.

[٧٧] ﴿وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ فالناس كلهم من نسله - عليه السَّلام - ، وكان له ثلاثة أولاد: «سام» وهو أبو العرب والفرس والروم، و«حام» وهو أبو السودان، و«ياث» وهو أبو الترك والخر^(١) و«يأجوج ومأجوج»، وما هنالك. [٧٨] ﴿وَتَرَكْنَا آفِيئَةً عَلَيْهِمْ ثَنَاءً حَسَنًا﴾ في الْآخِرِينَ من الأنبياء والأُمم، إلى يوم القيامة.

[٧٩] ﴿سَلَامٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.

[٨٠] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿بِحَجَرٍ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٨١] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٨٢] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ كفار قومه.

[٨٣] ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ﴾ أي: ممن تابعه في أصل الدين ﴿لِبَرْهِيصٍ﴾ وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة^(٢)، وكان بينهما هود وصالح.

[٨٤] ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: تابعه وقت مجيئه ﴿يَقْلِبُ سُلَيْمٌ﴾ من الشك وغيره.

[٨٥] ﴿إِذْ قَالَ﴾ في هذه الحالة المستمرة له ﴿لِأَيُّهِمْ وَقَوْمِي﴾ مُؤَيِّحًا: ﴿مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَعْبُدُونَ؟﴾

[٨٦] ﴿أَفَكُنَا﴾ في همزتيه ما تقدم^(٣) ﴿إِلَهُهُ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ؟﴾ و«فَكُنَا» مفعول له، و«إِلَهُهُ» مفعول به لـ ﴿تُرِيدُونَ؟﴾ والإنك: أسوأ الكذب؛ أي: أتعبدون غير الله؟

[٨٧] ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذ عديتم غيره، أنه يترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نجامين، فخرجوا إلى عيد لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم - زَعَمُوا الشُّرُوكَ عَلَيْهِ، فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيد إبراهيم: اخرج معنا. [٨٨] ﴿فَطَرَّ نَظْرُهُ فِي التَّجْوَمِ﴾ إليهما لهم أنه يعتمد عليهما؛ ليعتمدوه.

[٨٩] ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ غليل؛ أي: سأسقم.

[٩٠] ﴿فَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ إلى عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ﴾.

[٩١] ﴿دَرَجٍ﴾ مال في خفية ﴿إِلَى آلِهِمْ﴾ وهي: الأصنام وعندها الطعام ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ فلم ينطقوا. [٩٢] فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ؟﴾ فلم يجب^(٤).

[٩٣] ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ خَرَابًا يَالْمِينَ﴾ بالقوة^(٥)؛ فكسرها؛ فبلغ قومه من رآه. [٩٤] ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرُفُونَ﴾ أي: يسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها؟!.

[٩٥] ﴿قَالَ﴾ لهم مُؤَيِّحًا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ من الحجارة وغيرها أصنامًا!.

[٩٦] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ من نحتكم ومنحوتكم؛ فاعبدوه وخذوه، و«مَا» مصدرية، وقيل: موصولة، وقيل: موصوفة.

[٩٧] ﴿قَالُوا﴾ بينهم: ﴿إِنَّا لَمُبْنِتَانَا﴾ فاملئوه حطبًا وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ النار الشديدة.

وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا آفِيئَةً عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ ﴿٨٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ شَيْعَتِهِ لِبَرْهِيصٍ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ يَقْلِبُ سُلَيْمٍ ﴿٨٤﴾ لَأَيُّهِمْ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكُنَا ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَطَرَّ نَظْرُهُ فِي التَّجْوَمِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ خَرَابًا ﴿٩١﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ خَرَابًا ﴿٩٢﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ خَرَابًا ﴿٩٣﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ خَرَابًا ﴿٩٤﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ خَرَابًا ﴿٩٥﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ خَرَابًا ﴿٩٦﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ خَرَابًا ﴿٩٧﴾

[٩٨] ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار لتهلكه ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ المقهورين؛ فخرج من النار سالمًا. [٩٩] ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ مهاجرٌ إليه من دار الكفر ﴿سَبِّحِينَ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه؛ وهو: الشام، فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال: [١٠٠] ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولذا ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. [١٠١] ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ أي: ذي حلم كثير. [١٠٢] ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى﴾ أي: أن يسعى معه ويعينه، قيل: بلغ سبع سنين. وقيل: ثلاث عشرة سنة.

﴿قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي رَبِّي﴾ أي: رأيت ﴿فِي الْمَنَازِرِ﴾ أَيْ: أَذْبَحُكَ، ورؤيا الأنبياء حق، وأفعالهم بأمر الله - تعالى - ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَوْهُ﴾ من الرأي؟ شاوره لئلا يس بالذبح، وينقاد للأمر به ﴿قَالَ يَبْنَئُ﴾ التاء عوض عن باء الإضافة^(٦) ﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على ذلك.

(٢) وقيل: غير ذلك، ولا دليل صحيح معبر على التحديد، والصواب عدمه، والله أعلم.

(٤) في نسخة من المطبوع: «عُجِبَ» أي: الأصنام.

(٥) تفسير الزمخشري بالقوة خلاف ظاهر اللفظ، ولو قال: «إِنَّمَا ضَرَبَهُمُ الْبَايِنَ لَأَنَّهَا أَشَدُّ وَأَنَّهُ كَانَ أَظْهَرَ. وقيل المراد البايين قسمه الوارد في آية الأنبياء: ﴿وَنَالَهُ لَكِسْبٌ﴾ أَضْمَرُ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّى مُدْبِرِينَ وتكون الباء سببية.

(٦) أي في. «أني».

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَابَرَهِيْمَ ﴿١٠٤﴾
 قَدْ صَدَّقَتْ الرُّعْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّا
 هَذَا لَهَوٌ بَلَلُوا الْمُيِّنَ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَتْهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا
 عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ
 بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ
 وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
 الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَتَصَرَّفْنَاهُ فَمَا كَانُوا هُمْ الْعَالِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا
 الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى ﴿١٢٠﴾ وَهَارُونَ
 وَنَهَارُونَ ﴿١٢١﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّهُمَا
 مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِنَّا إِلَاسٌ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٤﴾
 إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٢٥﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
 الْخَلْقِينَ ﴿١٢٦﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٧﴾

[١٠٣] ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ خَضَعَا وَأَقَادَا لِأَمْرِ اللَّهِ - تَعَالَى - ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾
 صَرَعَهُ عَلَيْهِ، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ جَبِينَانِ بَيْنَهُمَا الْجَبْهَةُ، وَكَانَ ذَلِكَ يَمْنَى، وَأَمَرَ
 السَّكِينُ عَلَى خَلْقِهِ فَلَمْ تَعْمَلْ شَيْئًا مِمَّا نَعَى مِنَ الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ.
 [١٠٤] ﴿وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَابَرَهِيْمَ﴾. [١٠٥] ﴿قَدْ صَدَّقَتْ الرُّعْيَا﴾ بِمَا
 أَتَيْتَ بِهِ مِمَّا أَمْكُنُكَ مِنْ أَمْرِ الذَّبْحِ أَي: بِكَفَيْكَ ذَلِكَ، فَجُمْلَةٌ ﴿وَتَدَيَّنَتْهُ﴾

جواب «لا» بزيادة الواو ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزيناك ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾
 لأنفسهم بامثال الأمر، بإفراج الشدة عنهم. [١٠٦] ﴿إِنَّا هَذَا﴾ الذبح
 المأمور به ﴿لَهَوٌ بَلَلُوا الْمُيِّنَ﴾ أي: الاختيار الظاهر. [١٠٧] ﴿وَفَدَيْنَتْهُ﴾ أي:
 المأمور بذبحه؛ وهو: إسماعيل أو إسحاق، قولان^(١) ﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾
 ﴿عَظِيمٍ﴾ من الجنة، وهو الذي قُوْبُهُ هَابِيلُ^(٢)، جاء به جبريل الطيّب، فذبحه
 السيد إبراهيم مكبّراً. [١٠٨] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء
 حسناً. [١٠٩] ﴿سَلَّمَ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾. [١١٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما
 جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم. [١١١] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.
 [١١٢] ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ استدل بذلك على أن الذبح غيره ﴿بَشَّرْنَا﴾ حال
 مقدرة؛ أي: يوجد مقدراً نبوته ﴿وَبَشَّرْنَا﴾ ﴿وَبَشَّرْنَا﴾. [١١٣] ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا﴾
 بتكثير ذريته ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ ولديه؛ جعلنا أكثر الأنبياء من نسله
 ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا نَحْسٌ﴾ مؤمن ﴿وَقَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ كافر ﴿مُبِينٌ﴾ بين
 الكفر.

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ بالبوّة. [١١٥] ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا﴾
 وَقَوْمَهُمَا بني إسرائيل ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: استبعاد فرعون
 إياهم. [١١٦] ﴿وَتَصَرَّفْنَاهُ﴾ على القبط ﴿فَمَا كَانُوا هُمْ الْعَالِينَ﴾. [١١٧]
 ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام
 وغيرها، وهو: التوراة. [١١٨] ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ﴾ الطريق ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾.
 [١١٩] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسناً.
 [١٢٠] ﴿سَلَّمَ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾. [١٢١] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾
 كما جزيناهما ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. [١٢٢] ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.
 [١٢٣] ﴿وَإِنَّا إِلَاسٌ﴾ بالهمزة أوله وتركه^(٣) ﴿لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ قيل:
 هو ابن أخي^(٤) هارون أخي موسى. وقيل: غيره. أرسل إلى قوم يعيلبك
 ونواحيها. [١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ﴾ منصوب بـ «اذكر» مقدراً ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ﴾
 الله؟ [١٢٥] ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً
 مضافاً إلى «بك»؛ أي: أتعبدونه ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تركون ﴿أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ فلا
 تعبدهونه؟ [١٢٦] ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ برفع الثلاثة
 على إضمار «هو»، ونصبها^(٥) على البدل من «أحسن».

(١) والراجع الأول: أنه إسماعيل، وهو الذي تشهد له النصوص، وكذا سياق الآيات بعدها حيث قال: ﴿وَتَدَيَّنَتْهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، بعد أن ذكر قصة الذبح فدل على أنه غيره.

(٢) ذكر هذا الطبري (٨٦/٢٣) عن ابن عباس، وأخرج عنه أيضاً (٨٧/٢٣) أنه كبش من الجنة وعليه أكثر المفسرين، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١١٣/٧) لأن أي شية وابن النذر وابن أبي حاتم، وقيل: بل هو كبش من الكباش المعروفة. والأولى الاقتصار على وصف القرآن، وأنه ذبح عظيم.

(٣) قرأ ابن ذكوان بترك الهمزة - وموصلاً - فإذا ابتدأ فتح الهمزة.

(٤) هكذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون»؛ أي من ذريته، قال: وهو الصحيح، والآخر سهو؛ لأن إيلاس من ذرية هارون، وتقدم مثل ذلك في تفسير الأنعام: (٨٦).

(٥) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

فإنهم ينزهون الله - تعالى - عما يصفه هؤلاء. [١٦١] ﴿فَالْيَكْرُ وَمَا يَنْبُذُونَ﴾ من الأصنام. [١٦٢] ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على معبودكم، و﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق بقوله: ﴿يَقْتَنِينَ﴾ أي: أحدًا^(٢). [١٦٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَنَّةِ﴾ في علم الله - تعالى. قال جبريل للنبي ﷺ: [١٦٤] ﴿وَمَا يَتَّكَ﴾ معشر الملائكة أحدًا ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ في السماوات يقبض الله فيه لا يتجاوزها.

[١٦٥] ﴿وَمَا لَتَنُحُ الصَّافُونَ﴾ أقدامنا في الصلاة. [١٦٦] ﴿وَمَا لَتَنُحُ الْمُسِيحُونَ﴾ المنزهون الله عما لا يليق به. [١٦٧] ﴿وَأَيْنَ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَانُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَقُولُونَ﴾: [١٦٨] ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا كِتَابًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من كتب الأمم الماضية.

[١٦٩] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ العبادة له. [١٧٠] قال - تعالى -: ﴿فَكُنَّا بِرَبِّهِ﴾ بالكتاب الذي جاءهم؛ وهو: القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

[١٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَانَا﴾ بالنصر ﴿لِإِنَّا الْفَرَسِينَ﴾ وهي: ﴿لَاغَلِيَّتُ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(١). أو هي قوله: [١٧٢] ﴿إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَصْرُورُونَ﴾. [١٧٣] ﴿وَلَوْلَا جُنْدَانَا﴾ أي: المؤمنين ﴿لَهُمُ النَّارُ﴾ الكفار، بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا، ففي الآخرة. [١٧٤] ﴿فَنُؤَلِّهِمْ﴾ أي: أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تؤمر فيه بقتلهم.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عاقبة كفرهم. ﴿فَقَالُوا﴾ استهزاء: متى نزل هذا العذاب؟!.

[١٧٦] قال - تعالى - تهديدًا لهم: ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ؟﴾. [١٧٧] ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم، قال الفراء: «العرب تكلفي بذكر الساحة عن القوم» ﴿فَسَاءَ﴾ بفس صباحا ﴿صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمير.

[١٧٨] ﴿وَنُؤَلِّهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾. [١٧٩] ﴿وَأَبْصِرْ سَفُوفَ يَبْصُرُونَ﴾ كرر تأكيدًا لتهديدهم وتسلية له ﷺ. [١٨٠] ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولدا. [١٨١] ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع. [١٨٢] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ^(١) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ^(٢) أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ^(٣) فَأَنُؤَبِّكُنَّكُمْ إِن كُنتُمْ صٰدِقِينَ^(٤) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسيبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ^(٥) سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ^(٦) الْأَعْبَادَ لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ^(٧) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ^(٨) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِقٰتِنِينَ^(٩) إِلَّا مَن هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ^(١٠) وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ^(١١) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّٰفُونَ^(١٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ^(١٣) وَإِن كَانُوا يَقُولُونَ^(١٤) لَو أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ^(١٥) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ^(١٦) فَكُفِّرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ^(١٧) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَهْمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ^(١٨) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ^(١٩) وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْعٰلِبُونَ^(٢٠) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ^(٢١) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ^(٢٢) أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ^(٢٣) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ^(٢٤) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ^(٢٥) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ^(٢٦) سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ^(٢٧) وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ^(٢٨) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢٩)

سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ

[١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟ [١٥٥] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يادغام التاء في الدال^(١)، أنه - سبحانه - وتعالى - منزه عن الولد؟ [١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ﴾ حجة واضحة أن لله ولدا؟ [١٥٧] ﴿فَأَنُؤَبِّكُنَّكُمْ﴾ التوراة، فأروني ذلك فيه ﴿إِن كُنتُمْ صٰدِقِينَ﴾ في قولكم ذلك. [١٥٨] ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ - تعالى - ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ أي: الملائكة، لا يجتنبونهم^(٢) عن الأبصار ﴿نَسيبًا﴾ بقولهم: إنها بنات الله. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: قاطلي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ للنار، يعذبون فيها. [١٥٩] ﴿سُبْحٰنَ اللَّهِ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن لله ولدا. [١٦٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي:

(١) لتافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الدال.

(٢) أي: استأمرهم.

(٣) أي: بمضلين أحدًا.

(٤) المجادلة: ٢١.

سُورَةُ صَٰ

[مكية، ست، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد القمر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿صَ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي: البيان أو الشرف، وجواب هذا القسم محذوف؛ أي: ما الأمر كما قال كفار مكة، من تعدد الآلهة.

[٢] ﴿بِلِ اللّٰزِ الْكَرُوْا﴾ من أهل مكة ﴿فِي عَزْوٍ﴾ حمية وتكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾ خلاف وعداوة للنبي ﷺ.

[٣] ﴿كَمْ﴾ أي: كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿فَنَادَوْا﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَلَا تَجِيءُ مِنْ مَّوَادِّ الْأَرْضِ﴾ أي: ليس الحين حين فرار، والثنا زائدة، والجملة حال من فاعل «نَادَوْا»؛ أي: استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا منجى، وما اعتبر بهم كفار مكة.

[٤] ﴿وَنَجَّوْا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم، يندهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ الْكَاذِبُونَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر: ﴿هَذَا سَجْرٌ كَذَّابٌ﴾. [٥] ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ حيث قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، أي: كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟! ﴿إِنْ هَذَا لَكُنْىٰ جَبَّأً﴾ أي: عيب. [٦] ﴿وَأَنطَلَقْنَا لَمَّا كَانَتْ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ: ﴿قولوا: لا إله إلا الله﴾ (١) ﴿أَنْ أَمْسُوا﴾ يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿إِنْ هَذَا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لَكُنْىٰ يُرَادُ﴾ منا. [٧] ﴿مَا تَتَّبَعْنَا بِهَذَا فِي الْآلِهَةِ الْآخِرَةِ﴾ أي: ملة عيسى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ إِلَّا أَخْلَقُوا﴾ كذب.

[٨] ﴿أَمْزِلْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركة (٢) ﴿عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿الذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ بَيْنَيْنَا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؛ أي: لم ينزل عليه، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ وحسب؛ أي: القرآن حيث كذبوا الجاني به ﴿بَلْ لَمَّا﴾ لم ﴿يَدْعُوا عَذَابٌ﴾ ولو ذاقوه لصدفوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ. [٩] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْوَهَّابِ﴾ من النبوة وغيرها، فيعطونها من شاءوا؟! [١٠] ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ الشُّرَكَاءُ وَالْأَنْصَارُ وَمَا يَتَّبِعُونَ﴾ إن زعموا ذلك ﴿فَلْيَرْفَعُوا فِي الْأَنْصَابِ﴾ الموصلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي، فيخصوا به من شاءوا؟! وأما في الموضوعين بمعنى همزة الإنكار. [١١] ﴿جُنْدٌ مَا﴾ أي: هم جند حقير ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ في تكذيبهم لك ﴿مَهْزُومٌ﴾ صفة «جند» ﴿وَبَيْنَ الْأَحْزَابِ﴾ صفة «جند» أيضا؛ أي:

كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأوتيك قد قهروا

وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء. [١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبَائِلُمْ قَوْمٌ نُوْجٌ﴾ تأنث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ دُو الْأَوْتَادِ﴾ كان يتدل لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشند إليها يديه ورجليه ويعذبه. [١٣] ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ أي: الغيبة (٣)، وهم قوم شعيب الطَّاغُوتِ ﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾. [١٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كُلُّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَتْ أَرْسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابٌ﴾. [١٥] ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾ ينتظر ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا صَبَاحَهُ وَجَدَهُ﴾ هي نفخة القيامة، تحمل بهم العذاب ﴿مَا لَهَا مِنْ قَوَائٍ﴾ بفتح الفاء وضمة (٤)؛ رجوع ﴿وَقَالُوا لَوْ﴾ لما نزل: ﴿فَأَنَّا مَنَ أَوْفَىٰ كَيْفَ يَتَّبِعُونَ﴾ (٥) الخ: [١٦] ﴿رَبَّنَا نَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا﴾ أي: كتاب أعمالنا ﴿فَبَلَّ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث حسن صحيح، أن قريشا شكروا النبي ﷺ إلى أبي طالب، فقال: «يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟» قال: «إني أريد منهم كلمة واحدة، تدن لهم العرب، وتودي إليهم العجم الحزبة». قال: كلمة واحدة؟! قال: «كلمة واحدة». قال: «يا عم، يقولوا: لا إله إلا الله؟» فقالوا: «إلهنا واحد؟! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق». قال: فنزل فيه القرآن: ﴿صَ﴾ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿إِلَى قَوْلِهِ﴾: ﴿مَا تَتَّبَعْنَا بِهَذَا فِي الْآلِهَةِ الْآخِرَةِ﴾ إِنَّ هَذَا كَلَمًا إِلَّا أَخْلَقُوا﴾. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٣٦). وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣٢/٢)، وصححه إسناده ووافقه الذهبي.

وأخرج الحاكم الفصة مختصرة عن ابن عباس (٤٣٢/٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه صاحب الاستيعاب (١٦٤/٣).

(٢) قرأ بالتسهيل نافع وابن كثير وأبو عمرو. وفصل بينهما بألف أبو عمرو وقنول وهشام بخلاف عنهم. وكذلك في موضع سورة القمر ﴿وَأَنفِثْ﴾، وفي موضع آل عمران ﴿وَأَنفِثْ﴾. (٣) وهي الأشجار الملتفة المجتمعة.

(٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥) الحاقة: ١٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بِلِ اللّٰزِ الْكَرُوْا ﴿٢﴾ فِي عَزْوٍ ﴿٣﴾ وَشِقَاقٍ ﴿٤﴾ كَمْ ﴿٥﴾ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ قَادُوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٦﴾ وَنَجَّوْا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سَجْرٌ كَذَّابٌ ﴿٧﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٨﴾ وَأَنطَلَقْنَا لَمَّا كَانَتْ مِنْهُمْ أَنْ أَمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٩﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْآلِهَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿١٠﴾ أَمْزِلْ ﴿١١﴾ عَلَيْنَا الذِّكْرَ مِنْ بَيْنَيْنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ وَفَوَاعِدَابِ ﴿١٢﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿١٣﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٤﴾ جُنْدٌ مَا تَتَّبَعْنَا بِهَذَا فِي الْآلِهَةِ الْآخِرَةِ ﴿١٥﴾ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ ﴿١٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا كَذَبُ الرُّسُلِ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٧﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَجَدَهُ مَا لَهَا مِنْ قَوَائٍ ﴿١٨﴾ رَبَّنَا نَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا نَجْعَلْ لَنَا قِطْعَانًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء. [١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبَائِلُمْ قَوْمٌ نُوْجٌ﴾ تأنث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ دُو الْأَوْتَادِ﴾ كان يتدل لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشند إليها يديه ورجليه ويعذبه. [١٣] ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ أي: الغيبة (٣)، وهم قوم شعيب الطَّاغُوتِ ﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾. [١٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كُلُّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَتْ أَرْسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابٌ﴾. [١٥] ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾ ينتظر ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا صَبَاحَهُ وَجَدَهُ﴾ هي نفخة القيامة، تحمل بهم العذاب ﴿مَا لَهَا مِنْ قَوَائٍ﴾ بفتح الفاء وضمة (٤)؛ رجوع ﴿وَقَالُوا لَوْ﴾ لما نزل: ﴿فَأَنَّا مَنَ أَوْفَىٰ كَيْفَ يَتَّبِعُونَ﴾ (٥) الخ: [١٦] ﴿رَبَّنَا نَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا﴾ أي: كتاب أعمالنا ﴿فَبَلَّ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث حسن صحيح، أن قريشا شكروا النبي ﷺ إلى أبي طالب، فقال: «يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟» قال: «إني أريد منهم كلمة واحدة، تدن لهم العرب، وتودي إليهم العجم الحزبة». قال: كلمة واحدة؟! قال: «كلمة واحدة». قال: «يا عم، يقولوا: لا إله إلا الله؟» فقالوا: «إلهنا واحد؟! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق». قال: فنزل فيه القرآن: ﴿صَ﴾ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿إِلَى قَوْلِهِ﴾: ﴿مَا تَتَّبَعْنَا بِهَذَا فِي الْآلِهَةِ الْآخِرَةِ﴾ إِنَّ هَذَا كَلَمًا إِلَّا أَخْلَقُوا﴾. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٣٦). وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣٢/٢)، وصححه إسناده ووافقه الذهبي.

وأخرج الحاكم الفصة مختصرة عن ابن عباس (٤٣٢/٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه صاحب الاستيعاب (١٦٤/٣).

(٢) قرأ بالتسهيل نافع وابن كثير وأبو عمرو. وفصل بينهما بألف أبو عمرو وقنول وهشام بخلاف عنهم. وكذلك في موضع سورة القمر ﴿وَأَنفِثْ﴾، وفي موضع آل عمران ﴿وَأَنفِثْ﴾. (٣) وهي الأشجار الملتفة المجتمعة.

(٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥) الحاقة: ١٩.

[٢٠] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قوبناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَمَا يَنْتُهِ أَلْحِكْمَةُ﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿وَفَضَّلَ الْخِطَابَ﴾ البيان الشافي في كل قصد.

[٢١] ﴿وَهَلْ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أَنَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَنُوَ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا الْحِجْرَاتِ﴾ محراب داود؛ أي: مسجده؛ حيث منعوا الدخول عليه من الباب؛ لشغله بالعبادة؛ أي: خبرهم وقصتهم.

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ﴾ نحن ﴿خَصَمَانِ﴾ قيل: فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان، والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر، وهما مكان جاءا في صورة خصمين وقع بهما ما ذكرها على سبيل الفرض؛ لتبنيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها^(١) ﴿بَنَى بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَهُمَا يَلْحَقْ وَلَا تُشْطِطْ﴾ تبر ﴿وَأَعِدْنَا﴾ أرشدنا ﴿إِلَى سَوَاءٍ أَمْرِكِ﴾ وسط الطريق الصواب.

[٢٣] ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ أي: على ديني ﴿لَمْ يَسْعَ وَتَسْعُونَ نِعْمَةً﴾ يعبر بها عن المرأة ﴿وَلِي نِعْمَةٌ وَجِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: اجعلني كافلها ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبني ﴿فِي الْخِطَابِ﴾ أي: الجدل، وأقره الآخر على ذلك.

[٢٤] ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ يُسْأَلُ بَعْثُهُمْ أَلْحِقَ بَعْثُهُمَا﴾ إلى يعاجيه ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ الشركاء ﴿يَكُونُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّ هُمْ﴾ «ما» لتأكيد القلة، فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه، فتنبه داود، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ﴾ أي: أيقن ﴿دَاوُدَ أَمَّا فَتَنَّتُهُ﴾ أوقعناه في فتنة؛ أي: بلية بمجته تلك المرأة^(٢) ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: ساجدا ﴿وَأَنَابَ﴾.

[٢٥] ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى﴾ أي: زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٢٦] ﴿يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تدبر أمر الناس ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ يَلْحَقْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ﴾ أي: هوى النفس ﴿فِيضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا سَوُوا﴾ بنسبائهم ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا يوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْخُلْ عِدْنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسِيحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُوءُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ خَصَمَانِ بَنَى بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَهُمَا يَلْحَقْ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الْأَمْرِ ط ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِعْمَةً وَلِي نِعْمَةٌ وَجِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى تَغَاجِيهِ وَإِنْ كَثُرَ مِنَ الظَّالِمَةِ لْيَبغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ يَلْحَقْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا سَوُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

[١٧] قال - تعالى -: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْخُلْ عِدْنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ أي: القوة في العبادة؛ كان يصوم يوما ويفطر يوما، ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه^(١) ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاعٌ إلى مرضاة الله.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسِيحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِالْعِشِيِّ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ وقت صلاة الضحى، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها. [١٩] ﴿وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كُلٌّ مِّنَ الْجِبَالِ وَالطُّيْرِ﴾ لَهُ أَوَّابٌ رَجَّاعٌ إلى طاعته بالتسبيح.

(١) البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) حاشا لله أن ينسب لبي كرم من أنبياء الله عليه السلام الذين اصطفاهم مثل هذا الإفك البئس، وغفر الله للمفسر إذ نقل هذا، وهو من الإسرائيلية المقترة على صفوة خلق الله عليه السلام. وهذا الخصمان هما من بني آدم حقيقة عبي القول الصحيح لا من الملائكة، كما أن النعجة ليس المراد بها المرأة على الصحيح، بل المراد هنا نطى الضأن، والآيات على ظاهرها لوجوه عديدة لا يتسع المقام لبيانها، والمراد منها تبنيه داود عليه السلام وفرق بعده من الملوك على عظيم فتنة الملك والمعنى وبسط الدنيا.

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ عينا ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: خلق ما ذكر لا شيء ﴿تَلْزَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فَوَيْلٌ﴾ واد ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾. [٢٨] ﴿أَمْ يَحْمِلُ الَّذِينَ تَسَاءَلُوا وَكُفِرُوا الصَّلَاحَ كَالْمُقْسِيْنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نعطي في الآخرة مثل ما تعطون، و«أم» بمعنى همزة الإنكار.

[٢٩] ﴿كُتِبَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِّتُبَيِّنَ﴾ أصله: يتدبروا؛ ادغمت التاء في الدال ﴿وَيُنَبِّئُ﴾ ينظروا في معانيها، فيؤمنوا ﴿وَلِيَذْكُرُوا﴾ يعظ ﴿أَوَّلُوا الْآيَاتِ﴾ أصحاب العقول.

[٣٠] ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿يَعْقُوبَ الْعَبْدَ﴾ أي: سليمان ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجاء في التيسير والذكر، في جميع الأوقات. [٣١] ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ الْصَّفِيفَتُ﴾ الخيل، جمع صافئة، وهي: القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر، وهو من صَفَرٍ يَصْفِي صُفُونًا ﴿لِيُحَايِدَ﴾ جمع جواد، وهو السابق؛ المعنى: أنها إذا استوقفت سكنت، وإن ركضت سبقت، وكانت ألف فرس، عرضت عليه بعد أن صلى الظهر؛ لإرادته الجهاد عليها العدو، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس، ولم يكن صلى العصر فاغتم [٣٢] ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾ أي: أردت ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أي: الخيل ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي: صلاة العصر ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ أي: الشمس ﴿بِالْحِجَابِ﴾ أي: استترت بما يحجبها عن الأبصار.

[٣٣] ﴿رُدَّهَا عَلَيْهِ﴾ أي: الخيل المعروضة، فردوها ﴿فَطَفِقَ مَسًّا﴾ بالسيف ﴿بِالسُّوقِ﴾ جمع ساق ﴿وَالْأَعْيُنُ﴾ أي: ذبحها وقطع أرجلها تقربا إلى الله - تعالى - حيث اشتغل بها عن الصلاة، وتصدق بلحمها، فعوضه الله خيرا منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف شاء.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ابتليناه بسلب ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة هواها^(١)، وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه فزعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمنية على عادته، فجاءه جن في صورة سليمان فأخذها منها ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ هو ذلك الجنى وهو صخر أو غيره، جلس على كرسي سليمان، وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سليمان في غير هيئته فرأه على كرسيه، وقال للناس: أنا سليمان فأذكروهم ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه^(٢). [٣٥] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْزِلُ﴾ لا يكون ﴿لِأَخِي مِنْ بَعْدِي﴾^(٣)؛ أي: سواي نحو ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾^(٤)؛ أي: سوى الله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. [٣٦] ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِيحًا حَمِئًا﴾ لينة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أراد. [٣٧] ﴿وَالشَّيْطَانَ كُلَّ يَوْمٍ﴾ يعني الأبنية العجيبة ﴿وَعَوَاصٍ﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن عريقا من الجن تفلت على الباحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم؛ فذكرت دعوة أخي سليمان: «رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي» فردته حاشاه. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة ص (٣٨) باب (٢) «هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي»...».

(١) هذا كلام باطل لا أساس له من الصحة، وهو من الإسرائيليات التي ثبت كذبها بمخالفاتها ما يبين بمقام النبوة، والصحيح الذي عليه المحققون، وتشهد له انصوص الصحيحة أن الفتنة هي ولده الميت، وأنه الجسد الذي ألقى على كرسيه، كما عند البخاري وغيره أن سليمان حلف ليطوفن على نساؤه لتحمل كل امرأة فارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله؛ فلم تحمل منهن إلا واحدة جاءت بشق ولد.

(٢) كل هذا من الإسرائيليات التي ثبت كذبها ومخالفاتها للنصوص الصحيحة، وتعارض مع مقام النبوة. وإنما معنى «أناب» في الآية: أي رجع إلى الله تعالى واستغفره، يفسره قوله تعالى بعد ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي...﴾.

[٤٦] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ هي ﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾ الآخرة، أي: ذكرها والعمل لها، وفي قراءة^(٣) بالإضافة، وهي للبيان.

[٤٧] ﴿وَلَيْسَ عِنْدَنَا لِنَ الْمُصْطَفِينَ﴾ المختارين ﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالتشديد.

[٤٨] ﴿وَأَذْكُرُ اسْمَ عِيسَى﴾ وهو نبي، واللام زائدة ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ اختلف في نبوته، قيل: كفل مائة نبي فزوا إليه من القتل^(٤) ﴿وَكُلٌّ﴾ أي: كلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالتثنية.

[٤٩] ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَلِئَلَّامُتِّينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لِمَنْ مَّآبٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٥٠] ﴿جَنَّاتٍ عَذْنٍ﴾ بدل، أو عطف بيان لـ ﴿حَسَنَ مَّآبٍ﴾ ﴿فَمُتَّحَةً لَّهُمُ﴾ الْآثَرُ مِنْهَا.

[٥١] ﴿مُتَّحِينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَتَخَوَّونَ فِيهَا﴾ يَتَخَوَّونَ فِيهَا يَتَخَوَّونَ كَثِيرُونَ وَشَرَابٍ.

[٥٢] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الْظُرَى﴾ حاسبات العين على أزواجهن ﴿أَرْبَابٌ﴾ أسنانهن واحدة؛ وهن: بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع رَبٍّ.

[٥٣] ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿مَّا﴾ [يُوعَدُونَ] بالغبية^(٥)، وبالخطاب، التفاتاً ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أي: لأجله.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقًا مَّا لَكُم مِّن نَّعَادٍ﴾ أي: انقطاع، والجملة حال من رزقناه، أو خبر ثان لـ ﴿إِنَّ﴾ أي: دائماً أو دائماً.

[٥٥] ﴿هَذَا﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وَأَنَّ لِلظَّالِمِينَ﴾ مستأنف ﴿لَنُكَرَّ﴾ مَنَابٍ.

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿يَنفَسُ إِلَيْهَا﴾ الفرائش.

[٥٧] ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي: ماء حار محرق ﴿وَعَسَاقٌ﴾ بالتخفيف^(٦)، والتشديد؛ ما يسيل من صديد أهل النار.

[٥٨] ﴿وَأُخْرَى﴾ بالجمع^(٧) والإفراد ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ أي: مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أَرْوَجُ﴾ أصناف؛ أي: عذابهم من أنواع مختلفة.

[٥٩] ويقال لهم عند دخولهم النار بأنابهم: ﴿هَذَا فَوْجٌ﴾ جمع ﴿مُتَّحِينَ﴾ داخل ﴿مَعَكُمْ﴾ النار بشدة، فيقول المتيقنون^(٨): ﴿لَا مَرْجَا بِهِنَّ﴾ أي: لا سعة عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع: ﴿بَلْ أَشْرَ لَا مَرْجَا بِكَ أَشْرَ قَدَمْتُوهُ﴾ أي: الكفر ﴿لَنَا قِيَمُ الْقَرَارِ﴾ لنا ولكم، النار.

[٦١] ﴿قَالُوا﴾ أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا يُعَذِّبُكَ﴾ أي: مثل عذابه على كفره ﴿فِي النَّارِ﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٦﴾ وَحَدِّيدُكَ ضَعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ وَأَوَّابٌ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٨﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ﴿٥٠﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ عِيسَى وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥١﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَلِئَلَّامُتِّينَ لِحُسْنِ مَّآبٍ ﴿٥٢﴾ جَنَّاتٍ عَذْنٍ مُتَّحَةً لَّهُمُ الْأُتُوبِ ﴿٥٣﴾ مُتَّحِينَ فِيهَا يَتَخَوَّونَ فِيهَا بِقَهْمَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥٤﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الْظُرَى أَرْبَابٌ ﴿٥٥﴾ هَذَا مَا تَوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٦﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٧﴾ هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَّآبٍ ﴿٥٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنفَسُ إِلَيْهَا هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٩﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٦٠﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحَمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٦١﴾ قَالُوا بَلْ أَشْرَ لَا مَرْجَا بِكَ أَشْرَ قَدَمْتُمُوهُ لَنَا قِيَمُ الْقَرَارِ ﴿٦٢﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضَعِيفًا فِي النَّارِ ﴿٦٣﴾

[٤٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ أي: أحيا الله له من مات من أولاده، ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة^(١) ﴿مِنَّا وَذِكْرَى﴾ عظة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول.

[٤٤] ﴿وَحَدِّيدُكَ ضَعْفًا﴾ هو جزمة من حشيش، أو قضبان ﴿فَاضْرِبْ بِهِ﴾ زوجتك، وكان قد حلف ليضربها مائة ضربة لإبطائها عليه يوماً ﴿وَلَا تَحْنُتْ﴾ بترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة ﴿وَأَنَا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُ وَأَوَّابٌ﴾ رجأع إلى الله - تعالى ..

[٤٥] ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ البصائر في الدين، وفي قراءة^(٢): ﴿عِبْدَنَا﴾، و﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بيان له، وما بعده عطف على ﴿عِبْدَنَا﴾.

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي ذاتها، وهذه الصفة نسيها الله ﷻ على الوجه اللائق به، كما سبق بيان ذلك مرازا.

(٢) لابن كثير.

(٣) لنافع وهشام.

(٤) والصحيح أنه نبي، وأما سبب التسمية التي ذكرها المصنف فلا دليل عليها، وقيل غير ذلك. وانظر التعليق على الآية رقم (٨٥) من سورة الأنبياء.

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقراء بقية السبعة بالناء.

(٦) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٧) وهم: قراءة أبو عمرو. وقراء بقية السبعة بالإفراد.

[٦٢] ﴿وَقَالُوا أَأَيُّ كَفَارٍ مَكَّةَ وَهُمْ فِي النَّارِ: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا كُنَّا نَدْعُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بَيْنَ الْأَشْرَارِ﴾.

[٦٣] ﴿أَفَعَدَّ لَهُمْ شُحْرِيًّا﴾ [شُحْرِيًّا] بضم السين وكسرها^(١)؛ كنا نسخر بهم في الدنيا، والياء للنسب؛ أي: أمفقودون هم؟ ﴿أَمْ رَأَيْتُ مَالَتِ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ فلم ترهم؟! وهم فقراء المسكين؛ كعمار وبلال وصهيب وسلمان.

[٦٤] ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ واجب وقوعه، وهو: ﴿تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ كما تقدم. [٦٥] ﴿فَلَنْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ مخوف بالنار ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لخالقه.

[٦٦] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْقَرِيبُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْقَهَّارُ﴾ لأوليائه.

[٦٧] ﴿فَلَنْ﴾ لهم: ﴿هُوَ نَبُّؤًا عَظِيمٌ﴾.

[٦٨] ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مَعْرِضُونَ﴾ أي: القرآن الذي أنبأكم به، وجنتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحى، وهو قوله: [٦٩] ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَقَلِّ﴾ أي: الملائكة ﴿إِذْ يَخْطُبُونَ﴾ في شأن آدم حين قال الله - تعالى -: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) إلخ.

[٧٠] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مُبْدِئٌ﴾ بين الإنذار.

[٧١] اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ هو آدم.

[٧٢] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أحرمت ﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فصار حيًا، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذ فيه ﴿فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ﴾ سجود تحية بالانحناء^(٣).

[٧٣] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فيه تأكيدان.

[٧٤] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿أَسْتَكْبَرُ﴾ وكان من الكافرين ﴿فِي عِلْمِ اللَّهِ - تَعَالَى -﴾.

[٧٥] ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْنِي﴾ أي: توليت خلقه^(٤)، وهذا تشريف لآدم؛ فإن كل مخلوق تولي الله خلقه ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ الآن عن السجود، استفهام توبيخ ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ المتكبرين فتكبرت عن السجود لكونك منهم؟.

[٧٦] ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

[٧٧] ﴿قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا كُنَّا نَدْعُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿أَفَعَدَّ لَهُمْ سَخِرِيًّا﴾ أَمْ رَأَيْتُ مَالَتِ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ فَلْإِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ قُلْ هُوَ نَبُّؤًا عَظِيمٌ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مَعْرِضُونَ﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَقَلِّ عَلَىٰ إِذْ يَخْطُبُونَ ﴿إِنْ يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبْدِئٌ﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْنِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

﴿قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ وَإِنْ عَلَيْنَا لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَصِّصِينَ﴾

﴿وَأَنْ عَلَيْنَا لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ الجزء.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَصِّصِينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٧٨] ﴿وَأَنْ عَلَيْنَا لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ الجزء.

[٧٩] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

[٨٠] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

[٨١] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى.

[٨٢] ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٣] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَصِّصِينَ﴾ أي: المؤمنين.

(١) بالضم قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) راجع التعليق على الآية رقم (٣٤) من سورة البقرة.

(٤) وهذا الذي ذهب إليه المفسر، هو تعطيل لصفة الالهي التي أنبأها الله ﷻ لنفسه، وهو عدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف لما فهمه السلف، والمفسر يرد على نفسه حيث قال بعدها: وهذا تشريف لآدم؛ فإن كل مخلوق تولي الله خلقه. فما وجه اختصاصه بذلك إذن؟!

[٨٨] ﴿وَلَعَلَّنَا﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأَهُ﴾ خبر صدقه ﴿يَعْدُ جِزِينَ﴾ أي: يوم القيامة، و«علّم» بمعنى عرف، واللام قبلها لام قسم مقدر؛ أي: والله.

سورة الزمر

أمكية إلا: ﴿ثُمَّ لِيَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، فمدنية، وهي: خمس وسبعون آية، نزلت بعد سبأ^(*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿وَمِنَ اللَّهِ﴾ خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ في صنعه.

[٢] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب«أنزل» ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك أي: موحدًا له.

[٣] ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ الْأَصْنَامَ﴾ الأصنام ﴿أُولَٰئِكَ﴾ وهم كفار مكة قالوا: ﴿مَا عْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ قريب، مصدر بمعنى تفرينا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المسلمين ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيدخل المؤمن الحجة والكافرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾ بعبادته غير الله.

[٤] ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ واتخذ له ولدًا، غير من قالوا من^(١): الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ خلقه.

[٥] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب«خلق» ﴿يُكَوِّرُ﴾ يدخل^(٢) ﴿الْأَبْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿عَنِ الْبَيْلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي فَلَكِهِ﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿الْمُنْتَقِرُ﴾ لأوليائه.

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٩﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٠﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٩٣﴾

سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٨٩﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٩٠﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩١﴾ إِنْ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٩٢﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٩٣﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٩٤﴾

[٨٤] ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ بنصبهما، ورفع الأول ونصب الثاني^(١)، فصبه بالفعل بعده، ونصب الأول؛ قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر؛ أي: أحق الحق، وقيل: على نزع حرف القسم، ورفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: فالحق مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم: [٨٥] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَبَدْرِكَ﴾ بدريتك ﴿وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي: الناس ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٦] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿وَمِنْ أَجْرٍ﴾ لجعل ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ المتقولين القرآن من تلقاء نفسي.

[٨٧] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ ما القرآن ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ عظة للإِنس والجن والعقلاء دون الملائكة.

(٥) فائدة: أخرج الزمزمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر. الترمذي. كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٢١) الترجمة، وكتاب الدعوات (٤٩) باب (٢٢) ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧١١).

(١) بالرفع ثم نصب قراءة السبعة عدا عاصم وحجرة.

(٢) الأنبياء: ٢٦.

(٣) في نسخة القاضي كعنا: «إن بدلًا من «من»، وفي نسخة بدون «من».

(٤) ما ذكره المصنف في معنى التكوير هو اختيار ابن جرير، وهو عنده كمنى الإيلاج كما في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾. وروي عن قتادة: يغشى أحدهما الآخر؛ أي يذهب أحدهما فيقبه الآخر. والتكوير في الأصل: هو اللف واللي؛ من كار العمامة على رأسه وكورها.

[٦] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمَ وَالضَّأْنَ وَالْمَعْزَ وَتَنَبَّيَةَ أَزْوَاجًا﴾ من كل زوجان^(١)، ذكر وأنثى، كما بين في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَدَنٍ خَلْقًا﴾ أي: نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره!^(٢)
 [٧] ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عَذَابَكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ وإن أراد من بعضهم^(٣) ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ الله، فتؤمنوا ﴿بِرَحْمَةِ﴾ بسكون الهاء، وبضمها مع إشباع ودونه^(٤)؛ أي: الشكر ﴿لَكُمْ﴾ ولا تَزُرُّ ﴿نَفْسٌ وَارِدَةً وَزِدَّتْ وَارِدَةٌ وَارِدَةٌ﴾ أي: لا تحملها ﴿يَوْمَ﴾ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.
 [٨] ﴿وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ﴾ أي: الكافر ﴿ضُرًّا دِينًا رَبُّهُ﴾ تصرع ﴿مُنِيبًا﴾ راجعًا ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ مُتِمِّعَةً﴾ أعطاه إنعامًا ﴿فِيهِ لَئْسَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُو﴾ ينصرع ﴿إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو الله، ف«ما» في موضع «من» ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الباء وضمها^(٥) ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿فَلْيَتَمَنَّكَ بَكَذْرِكَ قَلِيلًا﴾ بقية أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

[٩] ﴿أَمَّنْ﴾^(٦) هو قَتِيتٌ قائم بوظائف الطاعات ﴿إِنَّمَا أَتَىٰ آلَ الْيَتَامَىٰ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ في الصلاة ﴿بِخَيْرِ الْأَجْزَةِ﴾ أي: يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةً﴾ جنة^(٧) ﴿رَبِّهِ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره، وفي قراءة: ﴿أَمَّنْ﴾، ف«أم» بمعنى «بل» و«الهمزة» ﴿فَلْيَهْلِكْ بِسُوءِ الظَّنِّ يَمُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يستويان، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَذَّكَّرُ﴾ بتعظ ﴿أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ﴾ أصحاب العقول.

[١٠] ﴿فَلْيَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: عذابه، بأن تطيعوه ﴿لِيَلْبِثَ أَحْسَنًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ فهاجروا إليها، من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى

(١) في نسخة القاضي: «زوجين»، و«ذكوا» بالنصب.

(٢) أي: كونًا لا شرعًا.

(٣) «يرضه» قرأ ابن كثير والكسائي وابن ذكوان بضم الهاء مع الإشباع، وقرأ السوسي بالإسكان، وقرأ الدوري بالإسكان والإشباع، وهشام بالاختلاس والإسكان، وقرأ الباقون بالضم دون صلة وهم نافع وعاصم وحزمة.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وحزمة، وقرأ بقية السبعة: «أَمَّنْ» بتشديد الميم.

(٦) الجنة أثر من آثار رحمة الله ﷻ لعباده المؤمنين، وهي غيرها؛ تفسير الرحمة بها خلاف الظاهر، وهو تأويل لصفة الرحمة التي أتيتها ربنا ﷻ لنفسه، ونيتها له على الوجه اللائق به.

الْصَّادِقُونَ﴾ على الطاعة، وما يتلون به ﴿أَجْرُهُمْ يَبْغِي حِسَابًا﴾ بغير مكيال ولا ميزان.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ خَالِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ
قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ ﴿٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَتْنِهِمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ
وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يُعْبَادُونَ فَاتَّقُوا
وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ أَنْ يَعْبُدُوا مَا أَتَوْا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى
فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَلَمْ يَأْتِ تَنْقِذًا مِنَ النَّارِ ﴿٨﴾
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُبِينَةٌ تَخْرُجُ
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ الرَّازِ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
يَخْرُجُ بِهِ رِزْقًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مَصْفًى ثُمَّ
يَجْعَلُهُ غَطَاً فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.
[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.
[١٤] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ خَالِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك.
[١٥] ﴿فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ غيره، فيه تهديد لهم، ولإذنان بأنهم لا
يعبدون الله - تعالى - ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ﴾ بتخليد الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في
الجنة، لو آمنوا ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ﴾ البين.
[١٦] ﴿لَهُمْ مِنْ فَتْنِهِمْ ظُلُلٌ﴾ طباق ﴿وَمِنْ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهَا ظُلُلٌ﴾ من
النار ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: المؤمنين، لينقوه، يدل عليه: ﴿يَتَّقُونَ﴾.
[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ﴾ الأوثان ﴿أَنْ يَعْبُدُوا مَا أَتَوْا﴾ أقبلوا
﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾.
[١٨] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وهو ما فيه صلاحهم
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.
[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية
﴿أَلَمْ يَأْتِ تَنْقِذًا﴾ تخرج ﴿مِنْ فِي النَّارِ﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام
المضمر، والهجرة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته، فننقذه من النار.
[٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ
مُبِينَةٌ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت الغرف، الفوقانية والتحتانية
﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ منصوب بفعله المقدر ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ وعده.
[٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ﴾
أدخله أمكنة ينبع ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَخْرُجُ بِهِ رِزْقًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ﴾
يبس ﴿فَتَرَاهُ مَصْفًى﴾ بعد الخضرة مثلاً ﴿مُصْفًى ثُمَّ يَجْعَلُهُ غَطَاً﴾ فثاقلاً
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ﴾ تذكيراً ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ بتذكرون به؛ لدلالته^(١)
على وحدانية الله - تعالى - وقدرته.

(١) هود: ١١٩.

(٢) في نسخة مطبوعة: «دلالته».

[٢٢] ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ كمن طبع على قلبه، دل على هذا: ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عن قبول القرآن ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

[٢٣] ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ لِّغَيْثٍ كِتَابًا﴾ بدل من «أحسن»؛ أي: قرآناً ﴿مُنشِدًا﴾ أي: يشبه بعضه بعضاً، في النظم وغيره ﴿مَثَانِي﴾ ثني فيه الوعد والوعيد، وغيرهما ﴿تَشْعُرُ مِنْهُ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عند ذكر وعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدًى لِلَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ﴾.

[٢٤] ﴿أَمَّنْ يَتَّقِ﴾ يلقى ﴿بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: أشدّه، بأن يلقى في النار مغلوله يدها إلى عنقه، كمن أمن منه بدخول الجنة؟ ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: كفار مكة: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاءه. [٢٥] ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِ﴾ رسلهم، في إتيان العذاب ﴿فَأَلَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر بالهم.

[٢٦] ﴿فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَرَى﴾ الذل والهوان، من المسخ والقتل وغيره ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما كذبوا.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِّنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[٢٨] ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: لیس واختلاف ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر.

[٢٩] ﴿صَرَّبَ اللَّهُ﴾ للمشرك والموحد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدل من «مثلاً» ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ متنازعون، سبقة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَابِلًا﴾ خالصاً ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ تمييز؛ أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد، فإن لأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تخير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني مثل للموحد ﴿لَحْمَدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ﴾ بَلْ أَكْثَرُهُمْ؛ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ قِيلَ ﴿لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ لِّغَيْثٍ كِتَابًا مُّشْدِدًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى لِلَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ﴾ ﴿أَمَّنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِّن قَبْلِهِمْ فَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِّنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَابِلًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا لَحْمَدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾

[٣٠] ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ستموت ويموتون، فلا شامة بالموت، نزلت لما استبطلوا موته ﷺ.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن الزبير بن العوام قال: ما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال الزبير: يا رسول الله، أكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: «نعم»، فقال: إن الأمر إذن لشديدي. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٣). وأخرجه أيضاً أحمد (١٦٧/١) مطولاً بلفظ: «قال الزبير: أي رسول الله، أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواصّ الذنوب؟ قال: «نعم»، ليكرر عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق حقه». فقال الزبير: والله، إن الأمر لشديدي». وحسن الأرنؤوط إسناده (١٤٣٤). وكلذا قال أحمد شاكر: إسناده حسن. (١٤٣٨).

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراً بقية السبعة: ﴿سَلَمًا﴾ بدون ألف.

الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ أَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴿مَأْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ بلى.

[٣٣] ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هم المؤمنون فـ«الذي» بمعنى «الذين» ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الشرك.

[٣٤] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم يأمنانهم [٣٥] ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «أَسْوَأَ» وأحسن» بمعنى السيئ والحسن.

[٣٦] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ أي: النبي (١)؟ بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخطاب له ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام أن تقتله أو تخبله ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ أَيْسَ اللَّهُ يَعَزِّزُ ﴿غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ ذِي أَنْتِقَامٍ ﴿مَنْ أَعْدَاهُ؟﴾ بلى.

[٣٨] ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ اللَّهُ ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ لا، وفي قراءة (٢) بالإضافة فيهما ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يثق الواثقون.

[٣٩] ﴿قُلْ يَقْوِمْ أَعْمَالُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

[٤٠] ﴿مَنْ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم هو عذاب النار، وقد أخرجهم الله بيدر.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾
 إِذْ جَاءَهُ أَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يَضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي أَنْتِقَامٍ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ قُلْ يَقْوِمْ أَعْمَالُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

[٣٢] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة

(١) وقيل: المراد به الخالص في العبودية لله ﷻ، ويؤيده قراءة: (عباده) بالجمع، وهي لجمرة والكسائي.

(٢) والقراءة المذكورة أولاً لأبي عمرو بالتثنية في الكلمتين: «كاشفات» و«ممسكات»، مع النصب في «ضره» و«رحمته»، وقرأ بقية السبعة بالإضافة فيهما؛ أي «كاشفات ضره» و«ممسكات رحمته».

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا إِلَى تَوَفَّاها وقت النوم ﴿فِيمَسِكُ إِلَيْنَا قُضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: وقت موتها، والمرسلة نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس ^(١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَظُنُورًا﴾ دلالات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريب لم يتفكروا في ذلك.

﴿٤٢﴾ اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا إِلَىٰ تَوَفَّاها وقت النوم ﴿فِيمَسِكُ إِلَيْنَا قُضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: وقت موتها، والمرسلة نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس ^(١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَظُنُورًا﴾ دلالات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريب لم يتفكروا في ذلك.

﴿٤٣﴾ بَلْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ الْأَصْنَامَ آلِهَةً يَشْفَعُونَ عِنْدَ اللَّهِ بِزَعْمِهِمْ ﴿قُلْ لَهُمْ: اللَّهُ يَشْفَعُونَ﴾ وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنْ الشَّفَاعَةِ وَغَيْرِهَا ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا.

﴿٤٤﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿٤٥﴾ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: دون الهتهم ﴿أَسْمَأَزَّتْ﴾ نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

﴿٤٦﴾ قُلْ اللَّهُمَّ﴾ بمعنى يا الله ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شُهِد ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق.

﴿٤٧﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾

﴿٤١﴾ [٤١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ متعلق به «أنزل» ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ فَلِنَفْسِهِ ۖ ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فتجربهم على الهدى.

﴿٤٢﴾ [٤٢] ﴿لِلَّهِ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسُ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: يتوفاها وقت النوم ﴿فِيمَسِكُ إِلَيْنَا قُضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: وقت موتها، والمرسلة نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس ^(١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَظُنُورًا﴾ دلالات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريب لم يتفكروا في ذلك.

﴿٤٣﴾ [٤٣] ﴿بَلْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ الْأَصْنَامَ آلِهَةً يَشْفَعُونَ عِنْدَ اللَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ ﴿قُلْ لَهُمْ: اللَّهُ يَشْفَعُونَ﴾ وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنْ الشَّفَاعَةِ وَغَيْرِهَا ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا.

﴿٤٤﴾ [٤٤] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿٤٥﴾ [٤٥] ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: دون الهتهم ﴿أَسْمَأَزَّتْ﴾ نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

﴿٤٦﴾ [٤٦] ﴿قُلْ اللَّهُمَّ﴾ بمعنى يا الله ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شُهِد ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق.

﴿٤٧﴾ [٤٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾

(١) أي: فمضى ذهبت نفس الحياة لا تبقى نفس التمييز والإحساس، والتحقيق أنها روح واحدة، والتعدد باعتبار أوصافها.

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٩﴾ أي: العذاب.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا ثَمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ﴾ الجنس ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ إنعاماً ﴿يَمَّا قَالَ إِنَّمَا أَوتَيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ من الله بأنني له أهل ﴿بَلْ هِيَ﴾ أي: القولة ﴿وَفِتْنَةٌ﴾ بلية، يتلى بها العبد ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن التحويل استدراج وامتحان.

[٥٠] ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ كفارون وقومه الراشدين بها ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾؛ أي: جزاؤها ﴿وَالَّذِينَ ظَنَّمُوا مِنْ هَذَا لَآءَ﴾ أي: قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاوتين عذابنا، ففجحطوا سبع سنين، ثم وُسع عليهم.

[٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً﴾ إن في ذلك لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿بِهِ﴾.

[٥٣] ﴿قُلْ يَتَّبِعَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا﴾ بكسر النون وفحها (٢)، وقرئ بضمها (٣)؛ تأسوا ﴿مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشرك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤).

[٥٤] ﴿وَأَنِيبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾ أخلصوا العمل ﴿لَهُ﴾ من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تُصْرُوتَ ﴿بِمَعْنَاهُ﴾ إن لم تتوبوا.

[٥٥] ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هو القرآن ﴿وَمَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قبل إتيانه بوقت.

[٥٦] فبادروا قبل ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي﴾ أصله يا حسرتي؛ أي: ندامتي ﴿عَلَى مَا كَرِهْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ﴾ أي: طاعته (٥) ﴿وَأَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: وني ﴿كُنْتُ لِمَنِ التَّائِبِينَ﴾ بدنيه وكتابه.

وَيَذَاهُم سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا ثَمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً وَمَا قَالَ إِنَّمَا أَوتَيْتُهُ وَعَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَنَّمُوا مِنْ هَذَا لَآءَ سَبِصِبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَتَّبِعَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثَمَّ لَا تُصْرُوتُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا كَرِهْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ التَّائِبِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٨] ﴿وَيَذَاهُم سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ مَا كَانُوا بِهِ

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٣): أخرج البخاري عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي نقول وتدعو إليه حسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِلَيْهَا مَاتُوا بِغُرُوحٍ وَأَلْهَمَهُمُ اللَّهُ ذُرِّيَّتَهُمْ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْفُسَ إِلَهٍ حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَتَّبِعَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الزمر (٣٩) باب (١) يا عبادي الذين أسرفوا. ورواه أيضاً مسلم - كتاب الإيمان (١)، باب (٥٤) ... وسبق تخريجه في سورة الفرقان عند الآية (٦٨).

(١) أو المعنى: على علم عندي بوجوه المكاسب والتجارة.

(٢) بالكسر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

(٣) أي: شذوذاً.

(٤) وقال الفراء: في قرب الله وجواره

[٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ (١) بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِبِينَ﴾ عذابه.

[٥٨] ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُنْتَفِينَ﴾ المؤمنين. فيقال له من قبل الله: [٥٩] ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ القرآن، وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى﴾ مأوى ﴿لِلْمُنْكَرِينَ﴾ عن الإيمان؟ بلى.

[٦١] ﴿وَيَسْجَى اللَّهُ﴾ من جهنم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿بِمَقَارِنِهِمْ﴾ أي: بمكان فوزهم من الجنة، بأن يجعلوا فيه ﴿لَا يَمَسُّهُمْ الشَّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ منصرف فيه كيف يشاء.

[٦٣] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزانتهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ياتيت الله ﴿القرآن﴾ أولئك هم الْخٰسِرُونَ ﴿متصل بقوله: وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إلخ، وما بينهما اعتراض.

[٦٤] ﴿قُلْ أَفَعَبَرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ «غير» منصوب بـ«أعبد» المعمول لـ«تأمروني» بتقدير «أن» بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك (١).

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ واللَّهُ ﴿لَيْنٌ أُنزِلَتْ﴾ يا محمد فرضاً ﴿لِيَحْطَبَ عَلَيْكَ وَلِتَكُونَ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلَى اللَّهُ﴾ وحده ﴿فَاعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ إنعامه عليك.

[٦٧] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه

حق عظمته، حين أشركوا به غيره ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال أي: السبع ﴿قَبَضَتْهُ﴾ أي: مقبوضة له أي: في ملكه ونصرته (٢) ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ

وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ﴾ مجموعات ﴿بِإِيمَانِهِ﴾ (٣) بقدرته (٤) ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَارِنِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ الشَّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ أَفَعَبَرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَا يَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلَى اللَّهُ فَاَعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِإِيمَانِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني فيكون عليه حسرة. قال: وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لو أن الله هداني فيكون له شكر». المسند (٥١٢/٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٤).

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِإِيمَانِهِ﴾ قالت: فأي الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «على جسر جهنم». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٩).

(١) قوله: (إدغام) أي مع فتح الباء وسكونها، وقوله: (وفك) أي مع سكون الباء لا غيراً فقرأ ابن عامر بنونين وقرأ نافع بنون مخففة مع فتح الباء، وكذلك فتحها ابن كثير. (٢) وهذا عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ، مما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به، وثبت عند البخاري (٧٤١٣). من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السماوات يمينه ثم يقول: أنا الملك». فلواجب الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تحيل ولا تكيف.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلى الله لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَوُجِئَ بِالْيَتِيمِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: بمحمد ﷺ وأمه يشهدون للرسل بالبلاغ ﴿وَوُضِعَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ أي: العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

[٧٠] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلى شاهد.

[٧١] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعنف ﴿إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعات متفرقة ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ جواب «إذا» ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: «لأننا كنا جَهَنَّمَ» الآية (٣) ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٧٢] ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيئْسَ مَثْوًى﴾ ماوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جهنم.

[٧٣] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ الواو فيه للحال بتقدير: قد ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبَّنَا﴾ حالاً ﴿فَادْخُلُوا خَالِدِينَ﴾ مقدرين الخلود فيها، وجواب «إذا» مقدر أي: دخلوها، وسؤفهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم ليبقى حرها إليهم إهانة لهم.

[٧٤] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على دخولها المقدر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة (٤) ﴿نَتَّبِعُ﴾ نزل ﴿وَمِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الجنة.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٩﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَوُجِئَ بِالْيَتِيمِ وَالشَّهَادَةِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٢﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبَّنَا فَادْخُلُوا خَالِدِينَ ﴿٧٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ أَمْرَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٥﴾

[٦٨] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾ مات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما (١) ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: جميع الخلائق الموتى ﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٢) ينظرون ما يفعل بهم.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال يهودي يسوق المدينة: لا وادي اسطفي موسى على البشر. قال: فرجع رجل من الأنصار يده نصك بها وجهه. قال: تقول هذا وبقينا نبي الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» فأكون أول من رفع رأسه، فإذا موسى آنحد بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله...هـ. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٧).

(١) قيل: كالشهداء، أو حواص الملائكة، أو إسرائيل نفسه، ثم يموت بعد ذلك. والأولى أن يقال: الله أعلم بفتنته، إذ لا يصار إلى بيان المبهمات إلا بقاطع. (٢) الصواب عدم تخصيص النبيين هنا بمحمد ﷺ، بل هو قول غريب وبعيد، ولا تخصيص الشهداء بأمة عليه الصلاة والسلام، لأنه خلاف الظاهر. وجمهور المفسرين على أن المراد جماعة الأنبياء ليشهدوا على أممهم بأنهم بلغوهم، أما الشهداء فحين بما ذكره المفسر، وقيل: المراد الملائكة الحافظة على أعمال العباد، وقيل: أعضاء الإنسان، وقيل: الأرض، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، والآية تحتمل كل ذلك، ولا تعارض.

(٣) هود: ١١٩.

(٤) هذا قول كثير من المفسرين، كما تقدم في سورة الأنبياء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الْعَمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وسبق هناك بيان اعتراض القاضي كتمان على ذلك واختياره أن الأرض في الآيتين هي الأرض المعهودة وبست أرض الجنة، والله أعلم.

[٩] ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: عذابها ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْنَا وَكَرِهْنَا﴾ وذلك هو الْفَوْرُ الْعَظِيمُ.

[١٠] ﴿إِنَّ إِلَٰهَ إِلَٰهِي كَفَرُوا يَتَدَوَّرُونَ﴾ من قبل الملائكة، وهم يمتنون أنفسهم عند دخولهم النار: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ إذ دُعِيتُمْ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفَرُوا.

[١١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ إِمَاتَيْنِ ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ إِحْيَاءَتَيْنِ؛ لأنهم نطفًا^(١) أَمْوَاتٌ، فَأَحْيَا، ثُمَّ أَمَاتُوا، ثُمَّ أَحْيَا لِلْبَعثِ ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بِذُنُوبِنَا ﴿فَكَفَرْنَا بِالْبَعثِ﴾ فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنَ النَّارِ، وَالرَّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا، لِنَطْلُعَ رِبَاً مِنْ سَبِيلٍ طَرِيقٍ، وَجَوَابِهِمْ: لَا.

[١٢] ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: العذاب الذي أنتم فيه ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أي: بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَلِإِنْ يَشْرِكْ بِهِ﴾ يُجْعَلْ لَهُ شَرِيكٌ ﴿تُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا بالإشراك ﴿فَلْيَكْفُرْ﴾ في تعذيبكم ﴿بِاللَّهِ الْعَلِيِّ﴾ عَلَى خَلْقِهِ ﴿الْكَبِيرِ﴾ الْعَظِيمِ.

[١٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دَلَائِلُ تَوْحِيدِهِ ﴿وَيُزِيلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ بِالْمَطَرِ ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يَعْظُ ﴿إِلَّا مَنْ يَنْسِيَ﴾ يَرْجِعُ عَنِ الشَّرِكِ.

[١٤] ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ اعْبُدُوهُ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ مِنَ الشَّرِكِ ﴿وَلَوْ كَفَرُوا لَكُنْتُمْ إِخْلَاصًا مِنْهُ﴾.

[١٥] ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ أي: اللَّهُ عَظِيمُ الصِّفَاتِ، أَوْ رَافِعُ دَرَجَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خَالِقُهُ^(٢) ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ الْوَحْيَ ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: قَوْلُهُ ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يُنْزِلُ، يَخُوفُ الْمَلْقَى عَلَيْهِ النَّاسَ ﴿يَوْمَ النَّفَاقِ﴾ بِحَذْفِ الْيَاءِ وَإِثْبَاتِهَا^(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِتَلَاقِي أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْعَابِدِ وَالْمُعْبُودِ، وَالظَّالِمِ وَالْمُظْلُومِ فِيهِ.

[١٦] ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ خَارِجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ ﴿لَا يَخَوُّ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْئًا﴾ لَمَّا أُلْهِمَ الْيَوْمَ يَقُولُهُ - تَعَالَى - وَجِبِيبُ نَفْسِهِ: ﴿لَهُ الْوَجْدُ الْقَهَّارُ﴾ أي: لَخَلْقِهِ.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ إِلَٰهَ إِلَٰهِي كَفَرُوا يَتَدَوَّرُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ دُعِيتُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفَرْتُمْ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُزِيلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَفَرُوا أَلْكَفَرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ رِزْقًا لَكُمْ يَوْمَ النَّفَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخَفُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمَّا أُلْهِمَ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَجْدُ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ إِقَامَةُ ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾ عَظِفَ عَلَى «هُمْ» فِي: «وَأَدْخِلْهُمْ»، أَوْ: فِي: «وَعَدْتَهُمْ» ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فِي صِنْعِهِ.

(١) كذا في بعض النسخ نصب «نطفًا» على الحال، والمناسب أن يقول: لأنهم كانوا، أو خلقوا نطفًا... اهد. من حاشية الصوري.

(٢) الله عز وجل خالق كل شيء، والإضافة هنا لأمر احتض به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استواءه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٣) بالياء وصلًا ووفقًا لقراءة ابن كثير، وأثبتها ورش وصلًا فقط، وكذلك قالون بخلاف عنه.

[١١٧] ﴿الْيَوْمَ نَخْرِقُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (١).

[١١٨] ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ﴾ يوم القيامة؛ من أرف الرحيل: قوب ﴿إِذِ الْقُلُوبُ تَرْتَفِعُ خَوْفًا﴾ لدى ﴿عند الْحَنَاجِرِ كُطَيْبِينَ﴾ ممتلئين غمًا، حال من «القلوب»، عولت بالجمع بالياء والتون معاملة أصحابها ﴿مَا لِلْقَلِيلِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ محب ﴿وَلَا شَفِيعَ يَطَاعُ﴾ لا مفهوم للوصف، إذ لا شفيع لهم أصلاً ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ (٢) أو له مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء؛ أي: لو شفعا فرضاً لم يقبلوا.

[١١٩] ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: الله ﴿حَايَتَهُ الْأَعْيُنُ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ القلوب.

[١٢٠] ﴿وَأَنَّهُ يَفْقَى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون؛ أي: كفار مكة، بالياء والتاء (٣) ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ يَتَقَى﴾ فكيف يكونون شركاء لله؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعالهم. [١٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وفي قراءة (٤) «منكم» ﴿قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ وما كان لهم من الله من وافي عذابه.

[١٢٢] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[١٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر.

[١٢٤] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا﴾: هو ﴿سَجِرٌ كَذَّابٌ﴾.

[١٢٥] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا﴾ استبقوا ﴿نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِالْمُعْذِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ هلاك.

الْيَوْمَ نَخْرِقُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١٧﴾ وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كُطَيْبِينَ مَا لِلْقَلِيلِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يَطَاعُ ﴿١١٨﴾ يَعْلَمُ حَايَتَهُ الْأَعْيُنُ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١١٩﴾ وَاللَّهُ يَفْقَى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُوبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا سَجِرٌ كَذَّابٌ ﴿١٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ هُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِالْمُعْذِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٢٥﴾

(١) سبق بيان أن هذا سبق قسم من المصنف رحمه الله، وانظر التعليق على الآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٢) الشعراء: ١٠٠.

(٣) بالناء قراءة نافع وهشام، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) لابن عامر.

إياي، فتنبهوه ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾ من قتل وغيره، وفي قراءة: ﴿أَوْ﴾، وفي أخرى: يفتح الباء والهاء وضم الدال^(١).

[٢٧] ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لقومه وقد سمع ذلك: ﴿إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

[٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وإن يك كذباً فعليه كذبه، أي: ضرر كذبه ﴿وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم﴾ به من العذاب عاجلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ﴾ مشرك ﴿كَذَابٌ﴾ مفتر.

[٢٩] ﴿يَقُولُ لَكُمْ أَلَمْ تُكَلِّمُوا الْمَلِكَ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ غاليين حال ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَنْ يَصُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ عذابه، إن قتلتم أوليائه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ أي: لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ طريق الصواب.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ أي: يوم حزب بعد حزب^(٢).

[٣١] ﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ «مثل» بدل من «مثل» قبله، أي: مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

[٣٢] ﴿وَيَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ بحذف الباء وإثباتها^(٣)، أي: يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها وبالشفقة لأهلها وغير ذلك.

[٣٣] ﴿يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿مِنْ عَاصِرٍ﴾ مانع ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٧﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٨﴾
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْتَلِهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْتَلِهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْتَلِهِ كَذِبُهُ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ كَذَابٌ ﴿٢٩﴾ يَقُولُ لَكُمْ أَلَمْ تُكَلِّمُوا الْمَلِكَ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَصُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ
إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣١﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣٢﴾
وَيَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ مَالِكُومِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٤﴾

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ لأنهم كانوا يكفونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتكم

(١) قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾، وقرأ حفص: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾.

(٢) أشار بذلك إلى أن قومه: ﴿يَوْمَ الْأَحْزَابِ﴾ مفرد في معنى الجمع، أي أباسها، حيث إن هلاك الأحزاب المكذبين، تقوم نوح وغيرهم من كذب الرسل، لم يكن في يوم واحد.

(٣) بالياء قراءة ابن كثير وصلاً ووقفاً، وأثبتها ورش وصلاً فقط وكذلك قالون بخلاف عنه.

[٣٤٦] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل موسى، وهو يوسف ابن يعقوب في قول^(١)، عُمَرُ إِلَى زَمَنِ مُوسَى، أَوْ يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يُوسُفُ ابن يعقوب في قول، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أي: فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلالكم ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ مشرك ﴿مُرْتَابٌ﴾ شاك فيما شهدت به البينات.

[٣٥٦] ﴿الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ مَعْرَاضًا﴾ معجزاته مبتدأ ﴿يَغْيِرُ سُلْطَانُ﴾ برهان ﴿أَنَّهُمْ كَذَّبُوا﴾ جدالهم، خبر المبتدأ ﴿مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ﴾ مثل إضلالهم ﴿يَطِيعُ﴾ يختم ﴿اللَّهُ﴾ بالضلال ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُكْذِبٍ جَبَّارٍ﴾ بتوطين ﴿قلب﴾ ودونه^(٢)، ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس، وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب، لا لعموم القلب^(٣).

[٣٦٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْتَكِرُ ابْنُ لِي صِرَاحًا﴾ بناءً عاليًا ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾.

[٣٧٦] ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ طرفها الموصلة إليها ﴿فَأُطْلِعَ﴾ بالرفع^(٤) عطفًا على «أبلغ»، وبالنصب جوابًا لـ «ابن» ﴿إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ أي: موسى ﴿كَذِبًا﴾ في أن له إلها غيري، قال فرعون ذلك تمويهًا ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَضَلَّ عَنْ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى، بفتح الصاد وضمها^(٥) ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ خسار.

[٣٨٦] ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَرَ يَقُولُ﴾ [يَقُولُ] بـ «ابن» بـ «ابنات الباء وحذفها»^(٦) ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّسَادِ﴾ تقدم.

[٣٩٦] ﴿يَقُولُ﴾ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّحٌ ﴿تَمَعَ يَزُولُ﴾ [وَلَوْ أَنَّ] الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ.

[٤٠٦] ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِثْلَ ذَلِكَ أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ بضم الباء وفتح الحاء، وبالعكس^(٧) ﴿يَرْزُقُونَ فِيهَا بَعِيرٍ جَسَابٍ﴾ رزقًا واسعًا بلا تبعة.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٥٦﴾ الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ مَعْرَاضًا يُغْيِرُ سُلْطَانُ بِرَهَانٍ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَعِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطِيعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُكْذِبٍ جَبَّارٌ ﴿٣٥٧﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَضَلَّ عَنْ السَّبِيلِ وَكَذَلِكَ ابْنُ لِي صِرَاحًا عَلِيٌّ أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأُطْلِعَ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَضَلَّ عَنْ السَّبِيلِ طَرِيقَ الْهُدَى بَفَتْحِ الصَّادِ وَضَمِّهَا ﴿٣٥٨﴾ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ خَسَارٌ ﴿٣٥٩﴾ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّسَادِ تَقْدِمُ ﴿٣٦٠﴾ يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّحٌ تَمَعَ يَزُولُ وَلَوْ أَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٦١﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِثْلَ ذَلِكَ أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا بَعِيرٍ جَسَابٍ ﴿٣٦٢﴾

(١) وهو الراجح، لكن قول المفسر إنه عثر إلى زمن موسى غريب، وحلاف الظاهر، وردّه غير واحد من أهل العلم، بل المراد: جاء أنباءكم.

(٢) بالتوطين قراءة أبي عمرو وابن ذكوان.

(٣) أي. يختم الله بالضلال على جميع القلب.

(٤) قراءة الشُّعْبَةِ عدا حفص.

(٥) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٦) بالياء وصلًا ووقفًا قراءة ابن كثير. وأثبتها وصلًا فقط أبو عمرو وقائلون.

(٧) بضم ثم فتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة. وبالعكس قراءة بقية السبعة.

[٤٢] ﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ﴾ الغالب على أمره ﴿الْفَقْرُ﴾ لن تاب.

[٤٣] ﴿لَا جُرمَ﴾ حقاً ﴿أَنَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ لأعبده ﴿لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ﴾ أي: استجابة دعوة^(١) ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا﴾ مرجعنا ﴿إِلَى اللَّهِ وَارْتَبِ الْمُسْرِفِينَ﴾ الكافرين ﴿هُم أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا عابتم العباد ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضْ أَمْرِي﴾ إلى الله ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال ذلك لما توعدوه بمخالفة دينهم.

[٤٥] ﴿فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِئَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ العرق.

[٤٦] ﴿ثُمَّ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ يحرقون بها ﴿عُدْوًا وَعَشِيًّا﴾ صباحاً ومساءً^(٢) ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ﴾ يقال: ﴿(ادْخُلُوا)^(٣)﴾ يا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الحاء، أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ عذاب جهنم.

[٤٧] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ إذ يتحاجون ﴿بِتَخَاصُمِ الْكُفَّارِ﴾ في النَّارِ ﴿فَيَقُولُ السُّعْفَتَانِ لِّلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبُ﴾ جزاء ﴿مِنَ النَّارِ﴾.

[٤٨] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ فادخل المؤمنين الجنة والكافرين النار.

[٤٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي: قدر يوم ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾

﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ﴾ لا جرم إنما تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَارْتَبِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا عُدْوًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ وَإِذْ يَتَحَايَوْنَ فِي النَّارِ ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾

[٤١] ﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾

(١) وقيل: المراد ليس له دعوة ترجح له الألوهية، ولعله أقرب.

(٢) أي في عالم القبر والحياة البرزخية. قال ابن كثير في تفسيره: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور. اهـ.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿ادْخُلُوا﴾ بفتح الهمزة.

[٥٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الحزنة تهكماً: ﴿أَوَلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أي: فكفروا بهم ﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾ أنتم، فإننا لا نشفع للكافرين، قال - تعالى -: ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ انعدام.

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُؤَمِّمُ لَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ جمع شامد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب.

[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ﴾ ^(١) ﴿الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم، لو اعتذروا ﴿وَلَهُمْ أَثْقَالُ﴾ أي: البعد من الرحمة ﴿وَهُمْ سَوَاءٌ لَدَارِ﴾ الآخرة؛ أي: شدة عذابها.

[٥٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوْفَيْنَا بِنِعْمِ إِسْرَءِيلَ﴾ من بعد موسى ﴿الْحَكِيمِ﴾ التوراة.

[٥٤] ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿وَذَكَرْنَا لِأَوَّلَى الْأَنْبِيَاءِ﴾ تذكراً لأصحاب العقول.

[٥٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقٌّ﴾ وأنت ومن تبعك منهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ ليسكن بك ﴿وَسَبِّحْ﴾ صل متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَمِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَالْإِنْكَارِ﴾ الصلوات الخمس ^(٢).

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يَغْيِرُ سُلْطَانُ﴾ يبرهان ﴿أَنَّهُمْ﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ تكبر وطمع أن يعملوا عليك ﴿مَّا هُمْ بِبَلِيغِيْنَ فَاسْتَعِذْ﴾ من شرهم ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُمْ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأحوالهم.

[٥٧] ﴿وَنَزَلَ فِي مُكْرِي الْبَحْثِ﴾ لِحَقْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ابْتِدَاءً﴾ أَوَّلَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ مرة ثانية وهي الإعادة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فهم كالأعمى، ومن يعلمه كالبصير.

[٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ لا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْفَيْنَا بِنِعْمِ إِسْرَءِيلَ الْكِتَابِ هُدًى وَذَكَرْنَا لِأَوَّلَى الْأَنْبِيَاءِ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَمِيِّ وَالْإِنْكَارِ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانُ إِنَّهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِيغِيْنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُنَى قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وهو المحسن ﴿وَلَا الْمُنَى﴾ فيه زيادة «لا» ^(٣) ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون، بالياء والتاء ^(٤)؛ أي: تذكروهم قليل جداً.

(١) بالتاء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٢) يعني أن التسيب في هذين الوقتين يرد به الصلوات الخمس، وقيل: المراد صلاة العصر وصلاة الفجر، وقيل: هي صلاة كانت بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ ركعتان غدوة وركعتان عشية. والأقرب أن المراد بالتسيب أعم من الصلاة، فيشملها ويشمل تنزيهه - شُبْحَانَهُ - بالذكر والدعاء والإخلاص في العبادة والتوجه ونحو ذلك.

(٣) للتوكيد، لطول الكلام بالصلاة.

(٤) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَآفَى تَوَفَّكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الْإِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَى تَوَفَّكُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

[٥٩] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها. [٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٥) أي: اعبدوني أنيكم، بقرينة ما بعده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾. بضم الحاء وبالعكس (١) ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين. [٦١] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجازي؛ لأنه يُبَصِّرُ فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله، فلا يؤمنون. [٦٢] ﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا هُوَ فَآفَى تَوَفَّكُونَ﴾ كيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان. [٦٣] ﴿كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الْإِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَى تَوَفَّكُونَ﴾ أي: مثل إلك هؤلاء إلك ﴿الَّذِينَ كَانُوا يَتَّيَّنَتِ اللَّهُ﴾ معجزاته ﴿يَتَّيَّنَتِ اللَّهُ﴾. [٦٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً سَفَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. [٦٥] ﴿هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [٦٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(٥) قائدة: أخرج الترمذي عن العثمان بن بشير عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال: «الدعاء هو العبادة»، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١)، ومن سورة المؤمن. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٥).

(١) بضم ثم فتح قراءة ابن كثير وشعبة. وقرأ بقية السبعة بالعكس.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق أيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مَتَّى ﴿ثُمَّ مِنْ عَقَّةٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ يَبْقِيَكُمْ﴾ لَسْبَلْعُوا أَشَدَّكُمْ ﴿تَكْمِلُ قَوْتَكُمْ﴾ من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا﴾ بضم الشين وكسرهما ^(١) ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ قَبْلٍ﴾ أي: قل الأشد والشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِيَسْلَفُوا أَجْلاً مُسَمًّى﴾ وقتاً محدوداً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلائل التوحيد فتؤمنون.

[٦٨] ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّا فَضَعْنَا أَمْرًا﴾ أراد إيجاد شيء ﴿فَلَنَبْأُ يَوْمَئِذٍ لَكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فَتَكُونُونَ﴾ بضم النون وفتحها ^(٢) بتقدير «أن» أي: يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور ^(٣).

[٦٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿أَنَّهُ كَيْفَ يُصْرَفُونَ﴾ عن الإيمان.

[٧٠] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ بالقرآن ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من التوحيد والبعث، وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عقوبة تكذيبهم.

[٧١] ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَغْنَقِهِمْ﴾ إذ بمعنى إذا ﴿وَالسَّلْسِلُ﴾ عطف على «الأغلال» فتكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: في أرجلهم، أو خبره: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ أي: يُجْرُونَ بها.

[٧٢] ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ أي: جهنم ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يوقدون.

[٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تَكِيحًا: ﴿إِنِّي مَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[٧٤] ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ معه، وهي الأصنام؟ ﴿قَالُوا صَلُّوا﴾ غابرا ﴿عَنَّا﴾ فلا اراهم ﴿بَلْ لَوْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ أنكروا عبادتهم إياها، ثم أحضرت ^(١)؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّا كُنَّا وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ^(٢)؛ أي: وقودها ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.

[٧٥] ويقال لهم أيضًا: ﴿ذَلِّكُمْ﴾ العذاب ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح.

[٧٦] ﴿أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا قِيَسَ مَوَى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَقَّةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَسْلَفُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ تَكْمِلُ قَوْتَكُمْ، مِنْ الثَّلَاثِينَ سَنَةً إِلَى الْأَرْبَعِينَ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا بِضَمِّ الشَّيْنِ وَكَسْرِهَا ^(١) وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ قَبْلٍ أَي: قَلَّ الْأَشَدُّ وَالشَّيْخُوخَةُ، فَعَلَّ ذَلِكَ بِكُمْ لِتَعِيشُوا وَلِيَسْلَفُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَقْتًا مُحَدَّدًا وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

﴿٧٠﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّا فَضَعْنَا أَمْرًا أَرَادَ إِيجَادَ شَيْءٍ فَلَنَبْأُ يَوْمَئِذٍ لَكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فَتَكُونُونَ بِضَمِّ النَّوْنِ وَفَتْحِهَا ^(٢) بِتَقْدِيرِ «أَنْ» أَي: يَجُودُ عَقِبُ الْإِرَادَةِ الَّتِي هِيَ مَعْنَى الْقَوْلِ الْمَذْكُورِ ^(٣)

﴿٧١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ الْقُرْآنَ أَنَّهُ كَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنْ الْإِيمَانِ

﴿٧٢﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ بِالْقُرْآنِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا مِنْ التَّوْحِيدِ وَالْبَعْثِ، وَهُمْ كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عَقُوبَةُ تَكْذِيبِهِمْ

﴿٧٣﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَغْنَقِهِمْ إِذْ بِمَعْنَى إِذَا وَالسَّلْسِلُ عَطْفٌ عَلَى «الْأَغْلَالِ» فَتَكُونُ فِي الْأَعْنَاقِ، أَوْ مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ مُحذُوفٌ؛ أَي: فِي أَرْجُلِهِمْ، أَوْ خَبَرُهُ: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ أَي: يُجْرُونَ بِهَا

﴿٧٤﴾ فِي الْحَمِيمِ أَي: جَهَنَّمَ ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يَوْقَدُونَ

﴿٧٥﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ تَكِيحًا: ﴿إِنِّي مَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾

﴿٧٦﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَعَهُ، وَهِيَ الْأَصْنَامُ؟ ﴿قَالُوا صَلُّوا﴾ غَابِرًا ﴿عَنَّا﴾ فَلَا أَرَاهُمْ ﴿بَلْ لَوْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ أَنْكَرُوا عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهَا، ثُمَّ أَحْضَرَتْ ^(١)؛ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّا كُنَّا وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ^(٢)؛ أَي: وَقُودُهَا ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلُ إِضْلَالِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾

[٧٧] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بعدابهم ﴿حَقٌّ فَكَيْتَا نُرِيَنَّكَ﴾ فيه «إن» الشرطية مدغمة، و«ما» زائدة، تؤكد معنى الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿بَعْضَ الَّذِي نَوَدُّكُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي: فذلك ﴿أَوْ نَوَفِّئَكَ﴾ أي: قبل تعذيبهم ﴿فَلْيَأْتِنَا يُرْجَعُونَ﴾ فنعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط ^(١).

(١) قرأ ورش وحقق وأبو عمرو وهشام وقالون بالضم، وقرأ شعبة وحزمة وابن كثير وابن ذكوان والكساوي بالكسر.

(٢) بالفتح قراءة ابن عامر، وقرأ الباقون بضم النون.

(٣) وفي هذا التفسير نظر؛ حيث إن الأمر والقول عبر الإرادة، وهذا الكلام مباه على مذهب المصنف رحمه الله في تأويل صفة الكلام بالكلام النفسي، وهذا خلاف مذهب السلف الذين يقولون - إن الله عز وجل - يتكلم بما شاء كيف شاء ومتى شاء.

(٤) أحاب به المفسر عما يغفل إن حمل الآية على هذا الوجه بخالف قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا كُنَّا وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَشَدَّ لَهَا وَرُدُّوا﴾ (الأنبياء: ٩٨) فأجاب بأنهم أولاً تضلل عنهم الهتهم ويبتارون، ثم تحضر وتقرن بهم.

(٥) الأنبياء: ٩٨.

(٦) أي: لقوله: ﴿نُوفِّئَكَ﴾؛ لأن جواب ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ محذوف كما تقدم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ
بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَفُتِنَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
هَٰذَا لِكِ الْمُبْطِلِينَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ
وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
الْأَفْلاكِ تَحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ
تُكْفِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾
فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَآئِدِهِمْ مِّنَ
الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا
بِأَسْنَا قَالُوا ءَمَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا سُنَّتَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هَٰذَا لِكِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٥﴾

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾

منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مريبون ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿فُتِنَ﴾ بين الرسل ومكذبيها ﴿بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هَٰذَا لِكِ الْمُبْطِلِينَ﴾ أي: ظهر القضاء والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

[٧٩] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ قيل: الإبل خاصة هنا^(١)، والظاهر: البقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٨٠] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الدَّر والنسل والوبر والصوف ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ﴾ السفن في البحر ﴿تَحْمَلُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ أي: الدالة على وحدانيته ﴿تُكْفِرُونَ﴾ استفهام توبيخ، وتذكير «أي» أشهر من تأنيبه^(٢).

[٨٢] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُوا﴾ أي: الكفار ﴿بِمَآئِدِهِمْ﴾ أي: الرسل^(٣) ﴿مِّنَ الْعِلْمِ﴾ فرح استهزاء وضحك، منكبين له^(٤) ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا﴾ أي: شدة عذابنا ﴿قَالُوا ءَمَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا سُنَّتَ اللَّهِ﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه^(٥) ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ في الأمم، أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَسِرَ هَٰذَا لِكِ الْكَافِرِينَ﴾ تبين خسرانهم لكل أحد، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

(١) أي: لأنها هي التي يوجد فيها المنافع الآتية في الآيات هنا.

(٢) أي: أشهر من تأنيبه.

(٣) الراحح أن المراد فرح الكفار بما عند أنفسهم من العلم؛ لا بما عند الرسل؛ ولذا أفره على ما جاءت به الرسل.

(٤) وعلى القول الراجح؛ يكون فرح إعجاب وجهل.

(٥) تقديره: سئل الله بهم سُئِلَ من قبلهم.

سُورَةُ فَصَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَزِيدُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كُنْتُ فَصَّلْتُ آيَتَهُ وَ
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ نَبِيًّا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ
وَفِي عَادَانَا وَفَرْوَةٍ مِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَمَلُونا
﴿٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ
فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ
لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّا نُحَذِّرُكُمُ
لِنَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا
ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ مِنْ فَوْقِهَا
وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِ أَنْبَاءِ أَيْامٍ سَوَاءٍ
لِلنَّاسِ يَلِدِينَ ﴿٩﴾ ثُمَّ أَسْرَوْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ
لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتْ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٠﴾

﴿لِلنَّاسِ يَلِدِينَ﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

﴿١١﴾ «ثُمَّ أَسْرَوْنَاهُ» قصد «إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ» بخار مرتفع ﴿فَقَالَ
لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أَتَيْنَا﴾ إلى مرادي منكما «طَوْعًا أَوْ كَرْهًا» في موضع الحال؛
أي: طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتْ أَتَيْنَا﴾ بمن فينا «طَائِعِينَ» فيه تغليب المذكر
العاقب، أو: نُزِّلْنَا لخطأ بهما منزلته.

سُورَةُ فَصَّلَتْ

[مكية: ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد غافر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] «حَمْدٌ» الله أعلم بمجاده به.
[٢] «تَزِيدُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» مبتدأ.
[٣] «كُنْتُ فَصَّلْتُ» خبره «فَصَّلْتُ» بِنْتُ بِالْحُكْمِ وَالْقَصَصِ
وَالْمَوَاعِظِ «قُرْءَانًا عَرَبِيًّا» حال من «كتاب» بصفته ^(١) «لِقَوْمٍ» متعلق
بـ«فَصَّلْتُ» «يَعْلَمُونَ» يفهمون ذلك، وهم العرب.
[٤] «بَشَرًا» صفة «قُرْآنًا» «وَنَذِيرًا» فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
سماع قبول.
[٥] «وَقَالُوا» للنبي: «قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ» أغطية «وَمِمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ
وَفِي عَادَانَا وَفَرْوَةٍ» ثقل «وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ» خلاف في الدين
«فَأَعْمَلْنَا» عبيدك «إِنَّا عَمِلُونَ» على ديننا.
[٦] «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ
فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ» بالإيمان والطاعة «وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ» كلمة عذاب
«لِلْمُشْرِكِينَ».
[٧] «الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ» تأكيد «كُفِرُونَ».
[٨] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» مقطوع.
[٩] «قُلْ أَتَيْنَاكُمْ» بتحقيق الهزيمة الثانية، وتسهيلها، وإدخال ألف
بينها بوجهيها وبين الأولى ^(٢) «لِنَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ»
الأحد والاثني ^(٣) «وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا» شركاء «ذَلِكَ رَبُّ» أي: مالك
«الْعَالَمِينَ» جمع عالم، وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه بالياء
والنون؛ تغليظًا للعلاقة.

- [١٠] «وَجَعَلَ» مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»؛ للفاصل
الأجنبي ^(٤) «فِيهَا رِوْاسٍ» جبالًا ثوابت «مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا» بكثرة المياه
والزروع والضرع «وَقَدَّرَ» قسم «فِيهَا أَقْوَاتَهَا» للناس والبهائم «فِي»
تمام «أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ» أي: الجعل، وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء ^(٥)
«سَوَاءٍ» منصوب على المصدر أي: استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص

(١) في بعض النسخ «حَمْدُ الشَّجْدَةِ» وعدد آياتها عند أهل المدينة وأهل مكة ثلاث وخمسون، وعد أهل الكوفة أربع وخمسون.

(٢) أي الكتاب؛ والمسمى أن المسوغ لشيء الحال منه مع كونه نكرة، هو وصفه بما بعده وهو جملة: «فَصَّلْتُ آيَاتَهُ».

(٣) قرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل الهزلة الثانية بين يين مع إدخال الألف بينهما، وابن كثير وورش بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالإدخال مع التسهيل وتركه، والتسهيل مقدم له في الأداء، وبقية السبعة بالتحقيق من غير إدخال.

(٤) (٦)، تعين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه الخليلي هنا، أو في نحوها من الآيات، لا سند له، وهو مخالف لما قاله هو في تفسير سورة الفرقان آية (٥٩)، حيث قال: (من أيام الدنيا؛ أي: قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس).

(٥) وهو قوله: «وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ»، وقوله: «مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»... إلخ» قال في حاشية الصاوي: «هذه العبارة في بعض النسخ، وهي معترضة بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمع المعترضة، ولا يقال: إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يقال: الموصول قد استوفى صلته، ويغترف في التابع ما لا يغترف في التبوع؛ فالأولى إسقاط هذه العبارة، كما هو في بعض النسخ» اهـ.

آيات خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أمر به من فيها، من الطاعة والعبادة ﴿وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ بنجوم ﴿وَحَفَظَهَا﴾ منصوب بفعله المقدر؛ أي: حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلقه. [١٣] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِمْ عَلَيْنَا ﴿مَلَكُوتَهُ﴾ فَإِنَّا بِمَا نَخَافُ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَكْرَهُمُ

[١٤] ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي، والإهلاك في زمنه فقط ﴿أَنْ، أَي: بَأْسٌ﴾ لَا تَقْبَلُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ عَلَيْنَا مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِمْ عَلَيْنَا ﴿مَلَكُوتَهُ﴾ فَإِنَّا بِمَا نَخَافُ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَكْرَهُمُ

[١٥] ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا لَوْ أَنَّا إِلَّا نَارُ الْعَذَابِ: مَنْ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ أي: لا أحد، كان واحدكم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل، يجعلها حيث يشاء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نُنْزِلُ الْغَيْثَ عَلَيْهِمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾

[١٦] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدْرِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ بمنعهم عنهم.

[١٧] ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ يثًا لهم طريق الهدى ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾ اختاروا الكفر ﴿عَلَى الْكُفْرِ فَاسْتَحَبُّوا صَاعِقَةَ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ المهين ﴿وَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَنَبِّئْنَا مِنْهَا الْذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾.

[١٩] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ يَوْمَ يُحْشَرُ بِالْبَاءِ وَالنُّونِ الْمُنْفُوحَةِ، وضم الشين وفتح الهمزة^(١) ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ بساقون.

[٢٠] ﴿حَقِّقْ إِذَا مَا زَالَتْ﴾ زائدة ﴿جَاءَهَا شَيْدٌ عَلَيْهِمْ سَمْعَهُمْ وَابْصَرُهُمْ وَسِيلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فَقَضَيْنَا سَمْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحَفَظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٣ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٤ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِمْ كُفْرُونَ ١٥ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ١٦ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدْرِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ١٧ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٨ وَنَبِّئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ ١٩ وَبِوَعْدِ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ٢٠ حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهُمْ هَاشِدٌ عَلَيْهِمْ سَمِعَهُمْ وَابْصَرَهُمْ وَجَلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢١

[١٢] ﴿فَقَضَيْنَاهُمْ﴾ الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه؛ أي: صيرها ﴿سَمْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الخميس والجمعة^(١)، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم^(٢)، ولذلك لم يقل هنا: سواء، ووافق ما هنا

(١) راجع ما تقدم في التعليق على تعيين هذه الأيام على هذا النحو.

(٢) ظاهر كلام المصنف أن آدم خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السماوات، وهو خلاف المشهور من أن بين خلق آدم وحلقها آلافاً من السنين. أو يكون مراده: أنه خلق في مثل هذا اليوم، كما

تقول: ولد محمد يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين.

(٣) يسكنونها قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: الأخيرة من (أعداء)، وهي قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالياء، ورفع (أعداء).

[٢١] ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله - تعالى - كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت أحياء، قادرٌ على إنطاق جلودكم وأعضائكم.

[٢٢] ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْشِدُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ولكن ظننتم عند استناركم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْبَرًا وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[٢٣] ﴿وَذَلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنُّكُمْ﴾ بدل منه ﴿الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ نعت، والخبر ﴿أَرَدْتُمْ﴾ أي: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٢٤] ﴿فَإِنْ يَصْبرُوا﴾ على العذاب ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَهُمْ﴾ وإن يستعذبوا يطلبوا العتبي أي: الرضا ﴿فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ المرصين^(١).

[٢٥] ﴿وَقِيصَصْنَا﴾ سبنا ﴿لَهُمْ قُرْآنًا﴾ من الشياطين ﴿فَرِيضُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلَقَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب، وهو: ﴿لَا تَلَذَّاتُ بِهِمْ﴾ الآية^(٢) ﴿فِي﴾ جملة ﴿أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

[٢٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عند قراءة النبي ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوْءِ فِيهِ﴾ اتوا باللغط ونحوه، وصبحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فيسكت عن القراءة.

[٢٧] قال الله - تعالى - فيهم: ﴿فَلْيَذِيقُوا الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا سَيِّدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أفصح جزاء عملهم.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الشديد وأسوأ الجزاء ﴿جَزَاءً أَعَدَّهُ اللَّهُ﴾ بتحقيق الهزيمة الثانية وإبدالها وإزا^(٣) ﴿النَّارِ﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ أي: إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَاءً﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

[٢٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار: ﴿رَبَّنَا آتِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنْ

وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْشِدُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْبَرًا إِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣﴾ فَإِنْ يَصْبرُوا فَلَا نَارَ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٤﴾ * وَقِيصَصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرِيضُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَاسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوْءِ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ فَلْيَذِيقُوا الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا سَيِّدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ يَجْحَدُونَ ﴿٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا آتِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَفْدَانَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩﴾

الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ أي: إبليس وقايل^(٤)؛ ساء الكفر والقتل ﴿نَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَفْدَانَا﴾ في النار ﴿يَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: أشد عذاباً منا.

(١) ما جاء في نزول الآيات (٢٢ - ٢٤): أخرجه أحمد عن عبد الله (ابن مسعود) قال: كنت مستنيراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة غرة تفني وختاه قرشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم. قال: فحدثوا بينهم حديث، قال: فقال أحدهم: أرى الله ﷻ يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع ما رفعنا، وما خفضنا لا يسمع، قال الآخر: إن كان يسمع شيئاً فهو يسمعه كله. قال: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ قال: فزلت: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْشِدُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾. أحمد (١/٤٤٤)، وصححه الأرنؤوط في تخريجه على المسند (٢٧٣/٧). وأخرجه في الصحيحين بدون ذكر الآيتين، وأخرجه الترمذي إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٢) ومن سورة حم السجدة.

(٢) هود: ١١٩.

(٣) تحقيق الهزيمة الثانية هو قراءة حزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وإبدالها وإزا هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) هذا القول مروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وتعب بأنه لا يصح عن علي عليه السلام؛ فإن قيس مؤمن عاصي. ويكون المقصود من قوله: ﴿الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: فريقي شاططي النوعين المقيضين لهم الخاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين.

تَخَافُوا ﴿٣٠﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلقتكم من أهل وولد؛ فنحن نخلفكم فيه ﴿وَابْتَهِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[٣١] ﴿تَحْنُ أُولَآئِكُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ أي: نحفظكم فيها ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ أي: نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تطلبون.

[٣٢] ﴿تُزَلَّ﴾ رزقا مهيشا، منصوب بـ«جعل» مقدرا ﴿وَمِنْ عَفْوَهِمْ رَحِمٌ﴾ أي: الله.

[٣٣] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: لا أحد أحسن قولًا ﴿وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتهما؛ لأن بعضهما فوق بعض ﴿أَدْفَعُ﴾ السيفة ﴿يَأْتِي﴾ أي: بالحصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا أَلَدَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فـ«الذي» مبتدأ، و«كانه» الخبر، و«إذا» ظرف لمعنى التشبيه.

[٣٥] ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا﴾ أي: يؤتى الحصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أُولَآئِكَ حَقَّ ثَوَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٣٦] ﴿وَمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي: يصرفك عن الحصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف؛ أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[٣٧] ﴿وَمَنْ ءَاتَيْتَهُ آيَاتِنَا﴾ وَالنَّهَارُ وَاللَّيْلُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴿أَي: الآيات الأربع﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَسْجُدُونَ﴾.

[٣٨] ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: فاللائكة ﴿يَسْجُدُونَ﴾ يصلون ﴿لَمْ يَأْتِ لِيلَ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْجُدُونَ﴾ لا يملون.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَكْفُرُوا وَلَا تُجَاهِرُوا وَلَا تَشْرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ تَحْنُ أُولَآئِكُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣٢﴾ تَزَلَّ مِنْ عَفْوَهِمْ رَحِمٌ ﴿٣٣﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا أَلَدَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أُولَآئِكَ حَقَّ ثَوَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ ءَاتَيْتَهُ آيَاتِنَا وَالنَّهَارُ وَاللَّيْلُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٣٩﴾

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُمْ بَانَ﴾

(١) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: ﴿أَدْفَعُ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوه عصمهم الله ورضعهم لهم عدوهم ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة فصلت (٤١).

[٣٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٠] ﴿إِنْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من الحلد ولحد^(١) ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالتكذيب^(٢) ﴿لَا يَخْشَوْنَ عَلَيْنَا﴾ فنجازيهم ﴿أَفَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد بهم.

[٤١] ﴿إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ بنجازيهم ﴿وَلَهُمْ لَكِنْتُ عَذَابٌ﴾ منيع.

[٤٢] ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: الله الحمود في أمره.

[٤٣] ﴿مَا يَقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكافرين.

[٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الذكر ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا هَذَا فَفُصِّلَتْ﴾ يثبت ﴿آيَاتُهُ﴾ حتى نفهمها ﴿أَلَمْ نَقْرَأْ﴾ قرآن ﴿أَعْجَمِيًّا﴾ نبي ﴿عَزِيزٍ﴾ استفهام إنكار منهم، بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفا، بإشباع ودونه^(٣) ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِقَاءٌ﴾ من الجهل ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ﴾ نقل فلا يسمعونهُ ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: هم كالمنادي من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاتَّخِذْ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب، كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَفُضِيَ بِهِمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَنْ يَشْكُرَكَ مِنْهُ مَرِيبٌ﴾ موقع في الرية.

[٤٦] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَلَعَلَّهَا﴾ أي: فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ﴾ أي: بذى ظلم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا لَدُّهُ﴾^(٤).

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿إِنْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ فِي آيَاتِنَا ﴿لَا يَخْشَوْنَ عَلَيْنَا﴾ أَفَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

﴿إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴿وَلَهُمْ لَكِنْتُ عَذَابٌ﴾

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

﴿مَا يَقَالُ لَكَ﴾ إِلَّا مَثَلٌ ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ

﴿أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِقَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ فَاتَّخِذْ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ

بِهِمْ وَأَنَّهُمْ لَنْ يَشْكُرَكَ مِنْهُ مَرِيبٌ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ﴾

(١) يشير إلى الفرائض، فيفتح الياء والحاء ﴿يُلْحِدُونَ﴾ قرأ حمزة، من الحَخذ الثلاثي، وقرأ بقية السبعة ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء.

(٢) ومن الإلحاد في آيات الله تحريفها وتأويلها بغير ما قصد منها.

(٣) هذا سبق قلم من المفسر كقولهم، والصواب أن يقال: وتسهيل الثانية بإشباع ودونه؛ فالإشباع: هو إدخال ألف بين الحقة والسهلة، وعدمه: هو ترك الإشباع. قرأ حمزة والكسائي وشعبة بتحقيق الهمزة الثانية، وقرأ قبل وهشام - بخلاف عنهما - بالجر، والباقون بالاستفهام مع التسهيل بين يين، وكل على أصله.

[٤٨] ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَوُطِّنُوا﴾ أبقوا ﴿مَّا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين^(٢) معلق عن العمل، وحيلة النفي^(٣) سُدَّتْ مسدَّ المفعولين.

[٤٩] ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥٠] ﴿وَلَكِنْ لَمْ يَنْصَرِفْ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥١] ﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ الجنس ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَاءً﴾^(٤) يحاليه ﴿ثَنَى عَظْفَهُ مَتَبَخَّرًا﴾ وفي قراءة بتقديم الهمزة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ فَوُتُّ دُعَا عَرِيضٍ كثير.

[٥٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ كما قال النبي ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ أي: لا أحد ﴿أَضَلَّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق، أوقع هذا^(٥)، موقع: «منكم» بيانًا لحالهم.

[٥٣] ﴿سُرِّيهِمْ﴾ أَيْلَيْتُنَا فِي الْأَفَاقِ ﴿أَقْطَارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من البُيُوتِ، والنبات، والأشجار ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ﴾ المنزل من الله، بالبعث والحساب والعقاب، فيعاقبون على كفرهم به وبالجانبي به ﴿أَوَلَمْ يَكُفَّ بِرَبِّكَ﴾ فاعل «يكف» ﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ بدل منه؛ أي: أولم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما؟!.

[٥٤] ﴿أَلَا يَأْتِيهِمْ فِي مَرَاتِبٍ﴾ شك ﴿بَيْنَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ لإنكارهم البعث ﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾ - تعالى - ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُخْبِطُونَ﴾ علمًا وقدرة، فيجازيهم بكفرهم.

﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذُنُكَ مَا مَتَّانَ مِنْ شَهِيدٍ﴾^(٦) ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَطُنُّوا مَّا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾^(٧) ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَتُوسَّ قُتُوطٌ﴾^(٨) ﴿وَلَكِنْ أَدْقَنَاهُ رَحْمَةً مِمَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّهُ لِيَقُولَ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ فَلَنُتَيَّقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾^(٩) ﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بَاجَانِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُودُ دُعَا عَرِيضٍ﴾^(١٠) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(١١) ﴿سُرِّيهِمْ أَيْلَيْتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُفَّ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١٢) ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرَاتِبٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخْبِطٌ﴾^(١٣)

[٤٧] ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تكون، لا يعلمها غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ وفي قراءة^(١) ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها؛ جمع «كم» بكسر الكاف، إلا يعلمه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذُنُكَ﴾ أعلمناك الآن ﴿مَّا مَتَّانَ مِنْ شَهِيدٍ﴾ أي: شاهد بأن لك شريكًا.

(١) حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: «ثمرات».

(٢) أي في قوله: «وما منا»، وقوله: «وما لهم»، فالنفي فيهما مُعْلَقٌ لكل من: «أذن»، و«ظن» عن العمل لفظًا لا محلاً.

(٣) أي: في الموضعين: في قوله: «وما لهم من محيص»، وقوله: «وما منا من شهيد»، فالجملة الأولى سُدَّتْ مسدَّ مفعولي «وطنوا»، والثانية: سُدَّتْ مسدَّ المفعول الثاني لـ «أذن»، و«وما المفعول الأول فهو كاف الخطاب في «أذنك».

(٤) وهي قراءة ابن ذكوان، وقرأ بقية السبعة: «ونأى».

(٥) أي: قوله: «ومن أضل ممن هو في شِقَاقٍ بَعِيدٍ».

سُورَةُ الشُّورَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
 حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْبَابٍ فِيهِ فِرْقَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقَانٌ فِي
 السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ
 يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
 إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝

أُولَئِكَ ۝ أي: الناصر للمؤمنين، والفاء مجرد العطف ۝ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝.

[١٠] وَمَا اخْتَلَفْتُمْ ۝ مع الكفار ۝ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ ۝ من الدين وغيره ۝ فَحُكْمُهُ ۝ مردود ۝ إِلَى اللَّهِ ۝ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم: ۝ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ أَرْجِعْ.

سُورَةُ الشُّورَى

[مكية، إلا: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ الآيات الأربع،
 ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد فصلت]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمَّ﴾.

[٢] ﴿عَسَقَ﴾ الله أعلم بمراحه به.

[٣] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإيحاء ﴿يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَ﴾ أوحى ﴿إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الله ۝ فاعل الإيحاء ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٤] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ۝ وَهُوَ الْعَلِيُّ ۝ عسى خلقه ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير.

[٥] ﴿تَكَادُ﴾ بالناء والياء ^(١) ﴿السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالنون ^(٢)، وفي قراءة بالناء والتشديد ﴿يَنْفَطَّرْنَ﴾ أي: تنشق كل واحدة فوق التي تليها، من عظمة الله - تعالى - ۝ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۝ أي: ملاسین للحمد ۝ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۝ من المؤمنين ۝ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ ۝ لأوليائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ حَفِيفٌ﴾ مُخَصَّصٌ عَلَيْهِمْ ۝ ليجازيهم ۝ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ تحصل المطلوب منهم وما عليك إلا البلاغ.

[٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ﴾ تنخوف ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ۝ وَنُنْذِرَ النَّاسَ ۝ يَوْمَ الْجُمُعِ ۝ يوم القيامة، تجتمع فيه الخلائق ۝ وَلَا رَيْبَ ۝ شك ۝ فِيهِ فِرْقَانٌ ۝ منهم ۝ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقَانٌ فِي السَّعِيرِ ۝ النار.

[٨] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: على دين واحد، وهو الإسلام ۝ وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۝ وَالظَّالِمُونَ ۝ الكافرون ۝ وَمَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ يدفع عنهم العذاب.

[٩] ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أم منقطعة بمعنى «بل» التي للانتقال، والهمزة للإنكار ^(٣)؛ أي: ليس المتخذون أولياء ۝ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ

(١) بالياء قراءة نافع والكسائي.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾.

(٣) في نسخة القاضي كنعان: «وهمرة الإنكار» أي: إن «أَمْ» بمعنى: همزة الإنكار.

﴿يَذَرُوكُمْ﴾ بالمعجمة؛ يخلفكم ﴿فِيهِ﴾ في الجغل المذكور؛ أي: يكثركم بسببه بالوولد، والضمير للأناسي والأنعام بالغليب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الكاف زائدة؛ لأنه - تعالى - لا مثل له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْبَصِيرُ﴾ لما يفعل.

[١٢] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزائنها؛ من المطر والنبات وغيرهما ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ هو أول أنبياء الشريعة^(١) ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَتُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ هذا هو المشروع الموصى به، والموصى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد ﴿كَرَّ﴾ عظم ﴿عَنِ الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿أَنَّهُ يَجْعَلُ الْيُسْرَىٰ إِلَىٰ﴾ إلى التوحيد ﴿مِنَ الشَّيْءِ وَيَهْدِي إِلَىٰ﴾ يُبَيِّنُ ﴿يَقِلُّ إِلَى طَاعَتِهِ﴾.

[١٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ أي: أهل الأديان في الدين، بأن ومحد بعض، وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَلَاءُ﴾ بالتوحيد ﴿بَعَثْنَا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾ فإذ ذلك قَادَعُ وَأَسْتَقَمَ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ فَكُنْ بِجَارِي عَمَلِهِ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ

[١٥] ﴿فَإِذْلِكُ﴾ التوحيد ﴿قَادَعُ﴾ يا محمد الناس ﴿وَأَسْتَقَمَ﴾ عليه ﴿كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في تركه ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ أي: بأن أعدل ﴿بَيْنَكُمْ﴾ في الحكم ﴿أَنَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ﴾ فكُنْ بِجَارِي عَمَلِهِ ﴿لَا حُجَّةَ﴾ خصوصاً ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالجهاد ﴿أَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَالِئِنَّ الْمَصِيرُ﴾ المرجع.

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٤﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعَثْنَا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٥﴾ فَإِذْ ذَٰلِكَ قَادَعُ وَأَسْتَقَمَ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ لَاحُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

[١١] ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ حيث خلق حواء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا

(١) أي أول الرسل الذين جاءوا بشرية شاملة؛ كما في حديث الشفاعة المشهور في الصحيحين وغيرهما، وفيه: «ولكن اتوا نوحاً؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»، وأما آدم فإنه أول نبي.

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي دِينٍ﴾ الله ﴿نبيه﴾ ﴿مَنْ بَعْدَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ بالآيمان، لظهور معجزته ^(١) وهم اليهود ﴿وَجَنَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَتَيْتُمْ عَصَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يَالْحَقُّ﴾ متعلق به ﴿أَنْزَلَ﴾ ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ يُعَلِّمُكَ ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ أي: إتيانها ﴿قَرِيبٌ﴾ والعل، معلق للفعل ^(٢) عن العمل، وما بعده سد مسد المفعولين.

[١٨] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يقولون: متى تأتي؟ ضلّا منهم أنها غير آتية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ لَا إِنَّ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ ﴿يَجَادِلُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ لِي ضَلَلِ بَعِيدٌ.

[١٩] ﴿إِنَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ بَرَّهُمْ وَفَاجِرُهُمْ؛ حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره.

[٢٠] ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أي: كسبها، وهو الثواب ﴿زُذِّلَ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بالتضعيف فيه؛ الحسنه إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُفَتْهُ﴾ منها؛ بلا تضعيف، ما قُسم له ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

[٢١] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَاءُ﴾ هم شياطينهم ﴿شَرَعُوا﴾ أي: الشركاء ﴿لَهُمْ﴾ للكفار ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي: القضاء السابق، بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَلِأَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿وَمَا كَسَبُوا﴾ في الدنيا من السيئات، أن يجازوا عليها ﴿وَهُوَ﴾ أي: الجزاء عليها ﴿وَأَقْعَمَ بِهِمْ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ﴾ الْجَنَّاتِ ﴿أَنْزَهَا﴾ بالنسبة إلى من دونهم ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

(١) في نسخة القاضي: «معجزاته».

(٢) وهو: «يدريك».

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَصَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ إِنَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُفَتْهُ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الَّذِينَ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

القول وغيره، وقد فعل^(٢) ﴿وَمَنْعَ اللَّهِ الْبَاطِلَ﴾ الذي قالوه ﴿وَيُحْيِي الْمَيِّتَ﴾ يشيئه ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ المنزلة على نبيه ﴿إِنَّمَا عَلَيْكَ الْصُّدُورُ﴾ بما في القلوب.

[٢٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ منهم ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ المُنَابِغَ عَنْهَا ﴿وَيَعْلَمُ مَا يُفْعَلُونَ﴾ [بالياء والناء^(٣)].

[٢٦] ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون^(٤) ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَالْكَافِرُونَ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ.

[٢٧] ﴿وَلَوْ سَئَلُكَ اللَّهُ الرَّزْقَ لِعَبَادِهِ﴾ جميعهم ﴿لَعَزَّ﴾ جميعهم؛ أي: طغوا ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥)؛ من الأرزاق ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ فيسقطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ خَيْرٌ بِصِيرٍ﴾.

[٢٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ المطر ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ يشسوا من نزوله ﴿وَيُنْشِئُ رَحْمَةً﴾ يسقط مطره^(٦) ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ المحسن للمؤمنين ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحمود عندهم.

[٢٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلق ﴿مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ونشر ﴿فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض^(٧) من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ للحشر ﴿إِذَا بَشَأَ قَدِيرٌ﴾ في الضمير تغليب العاقل على غيره.

[٣٠] ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين^(٨) ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ بلية وشدة ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: كسبت من الذنوب، وعبر بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها؛ فلا يجازي عليه، وهو - تعالى - أكرم من أن ينشي الجزاء في الآخرة، وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة.

[٣١] ﴿وَمَا أَنْتُمْ﴾ يا مشركون ﴿بِمُعْجِزَاتِ اللَّهِ﴾ هرباً ﴿فِي الْأَرْضِينَ﴾ فتفوتوه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عذابه عنكم.

ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿فَلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَنْزِلُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّا بِمَا يَخْتَرُ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَبِمَخْرِجِ اللَّهِ الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْمَيِّتَ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٣﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَلَوْ سَئَلُكَ اللَّهُ الرَّزْقَ لِعَبَادِهِ لَبَعُوفٌ إِلَّا الْأَرْضَ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيُنْشِئُ رَحْمَةً وَهُوَ الْوَلِيُّ الْخَبِيرُ ﴿٣٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِمَّا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٣٨﴾ وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٤٠﴾

[٢٣] ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ﴾ من البشارة مخففاً ومثلاً^(١) به ﴿اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فُلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴿عَلَىٰ تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ﴾ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴿اسْتِنَاءَ مَنْطِقٍ﴾ أي: لكن أسألكم أن تؤثروا قرابتي، التي هي قرابتكم أيضاً، فإن له في كل بطن من قريش قرابة ﴿وَمَنْ يَقْرَفْ﴾ يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل فيضاعفه.

[٢٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ أَفَنَنْزِلُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة القرآن إلى الله - تعالى - ﴿إِنَّا نَسْأَلُ اللَّهَ بِخَيْرِهِ﴾ يربط ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا

(١) ﴿يُبَيِّنُ﴾ مخففاً قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُبَيِّنُ﴾.

(٢) الراجح وعليه أكثر المفسرين أن هذه الآية كقوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا نَبَأًا بِغَضَبٍ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ لَمَقْدَرَةً مَعَهُ بِالْبَيِّنَاتِ ﴿ثُمَّ لَنَقَطُنَا عَنْهُ الْوَيْلَ﴾، والمراد منها الاستشهاد على بطلان ما قالوا ببيان أنه لا ينزل على الله كذباً لئلا يظنهم من ذلك قطعاً فخرج على قلبه بحيث لم يخطر بباله معنى من معانيه، ولم ينطق بحرف من حروفه، وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله ﷺ.

(٣) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالناء.

(٤) فهو الْبَصِيرُ في موضع نصب، وقيل: بل في موضع رفع، والمعنى يستجيبون لربهم فيقادون له ويلبسون دعوته، فإذا فعلوا ذلك شكر لهم ورادهم توفيقاً ونشاطاً على العلم ومضاعفة في الأجر. وهذا القول أقرب، والله أعلم.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٦) الصحيح أن الرحمة صفته - سبحانه وتعالى - وهي غير المطر، وهو من آثار رحمته، التي هي أعم ووسعت كل شيء.

(٧) ظاهر الآية يفيد ما يدب على السماء كذلك من ملائكة، وبه قال بعض المفسرين، بل ذهب بعض الباحثين إلى وجود حيوانات كحيوانات الأرض ولوارم حياتها من نباتات وأشجار وبحار وأنهار هنالك، واستبعده عنهم من أهل العلم.

(٨) الظاهر أن الخطاب عم للمؤمنين وغيرهم.

[٣٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كَالْجَمَالِ فِي الْعِظَمِ.

[٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾ يَصْرَنَ ﴿رَوَاكِدٌ﴾ ثَوَابِتٌ لَا تَجْرِي ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿هُوَ الْمُؤْمِنُ يَصْبِرُ فِي الشَّدَةِ، وَيَشْكُرُ فِي الرِّخَاءِ﴾.

[٣٤] ﴿أَوْ يُوقِعْهُنَّ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿يُسْكِنُ﴾؛ أَي: يَفْرِقُهُنَّ بِغَضَبِ الرِّيحِ بِأَمَلُهُنَّ ﴿يَمَّا كَسَبُوا﴾ أَي: أَمَلَهُنَّ مِنَ الذَّنُوبِ ﴿وَيَعُفُّ عَنْ كَثِيرٍ﴾ مِنْهَا، فَلَا يَفْرِقُ أَهْلَهُ.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بِالرَّفْعِ مُسْتَأْنَفٌ، وَبِالنَّصْبِ ^(١) مَعْطُوفٌ عَلَى تَعْلِيلٍ مُقَدَّرٍ؛ أَي: يَفْرِقُهُمْ لِتَنَقُّصِ مِنْهُمْ، وَيَعْلَمُ ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْدٍ﴾ مَهْرَبٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَجَمَلَةُ النَّفْيِ سَدَّتْ مَسَدَ مَفْعُولِي «يَعْلَمُ»، وَالتَّنْفِي مَعْلُوقٌ عَنِ الْعَمَلِ.

[٣٦] ﴿فَمَا أَوْتَيْنَاهُمُ﴾ خُطَابًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ ﴿وَمِنْ شَيْءٍ﴾ مِنْ أَثَاتِ الدُّنْيَا ﴿فَمَتَّعَ الْآخِرَةَ الدُّنْيَا﴾ يَمْتَنِعُ بِهِ فِيهَا، ثُمَّ يَزُولُ ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوَابِ ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[٣٧] وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ ^(٢)، ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كِبَرَهُمْ﴾ وَالْفَوَاحِشَ مُوجِبَاتِ الْحُدُودِ، مِنْ عَطَفِ الْبَعْضِ عَلَى الْكُلِّ ﴿وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَقْفُرُونَ﴾ يَتَجَاوَزُونَ.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أَدَامُوهَا ﴿وَأَنفَقُوا﴾ الَّذِي يَبْدُو لَهُمْ ﴿شُرَىٰ﴾ يَتَّبِعُهُمْ يَتَشَاوَرُونَ فِيهِ وَلَا يَعْمَلُونَ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ عَطَيْنَاهُمْ ﴿يَتَفَقَّهُونَ﴾ فِي طَاعَةِ اللَّهِ. وَمِمَّنْ ذَكَرَ صَف.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَ﴾ الظُّلْمُ ﴿هُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ صَنَفٌ؛ أَي: يَتَنَقِّمُونَ مِنَ ظُلْمِهِمْ بِمَشْ ظَلَمِهِ، كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: [٤٠] ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سَمِيتِ الثَّانِيَةَ سَيِّئَةً لِمِثْلِهَا لِأَوَّلَى فِي الصُّورَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِيمَا يَقْتَضِي فِيهِ مِنَ الْجَرَاحَاتِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: وَإِذَا قَالَ لَهُ: أَخْرَاكَ اللَّهُ؛ فَيَجِيبُهُ: أَخْرَاكَ اللَّهُ ﴿فَمَنْ عَفَاكَ﴾ عَنْ ظُلْمِهِ ﴿وَأَسْلَمَ﴾ الْوَدَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْفُو عَنْهُ ﴿فَإَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أَي: إِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُهُ لَا مُحَالَةَ ﴿إِنَّهُمْ لَا يَحِثُّ الظَّالِمِينَ﴾ أَي: الْبَادِينَ بِالظُّلْمِ، فَيَتَرْتَبُ ^(٣) عَلَيْهِمْ عِقَابُهُ ^(٤).

[٤١] ﴿وَلَمَّا أَتَوْا نَصَرَ بِعَدُوِّهِمْ﴾ أَي: ظَلَمَ الظَّالِمُ إِيَّاهُ ﴿فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ سَبِيلٍ﴾ مُوَاحِدَةٌ.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظُهُورِهِ ﴿٣٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٤﴾ أَوْ يُوقِعْهُنَّ يَمَّا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٥﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْدٍ ﴿٣٦﴾ فَمَا أَوْتَيْنَاهُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كِبَرَهُمْ أَثَامًا ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُوقِفُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَبُ يَتَظَلَّلُونَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَبُ يَتَظَلَّلُونَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَبُ يَتَظَلَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَبُ يَتَظَلَّلُونَ ﴿٤٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَبُ يَتَظَلَّلُونَ ﴿٤٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَبُ يَتَظَلَّلُونَ ﴿٤٥﴾

[٤٢] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾ يَعْمَلُونَ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ يَغْيَرُ الْحَقُّ بِالْمَعَاصِي ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤَلَمٌ. [٤٣] ﴿وَلَمَّا صَبَرَ﴾ فَلَمْ يَنْتَصِرْ ﴿وَعَفَرَ﴾ تَجَاوَزَ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصَّبْرُ وَالتَّجَاوُزَ ﴿لَمِنْ عَزَمِ الْأُمُورَ﴾ أَي: مَعَزَمَاتِهَا؛ بِمَعْنَى الْمَطْلُوبَاتِ شَرْعًا. [٤٤] ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أَي: أَحَدٌ بَلِي هُدَايَتِهِ، بَعْدَ إِضْلَالِ اللَّهِ إِيَّاهُ ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعٌ﴾ إِلَى الدُّنْيَا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طَرِيقٌ؟

(١) بِالرَّفْعِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ عَامَرٍ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالنَّصْبِ؛ «وَيَعْلَمُ».

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ الْمَطْبُوعَةِ: «عَلَيْهِمْ»، وَالصَّوَابُ الْمَثْبُتُ؛ أَي: عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

(٣) فِي نَسْخَةِ الْقَاضِي: «فَيَتَرْتَبُ».

(٤) هَذَا مِنْ أَكْثَرِ عَدَمِ مَجْنَبِ كَلِمَاتِ لِلظَّالِمِينَ، وَلَيْسَ هَذَا تَفْسِيرٌ مُقَابِلَ الْحَقَّةِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْمَفْسَرِ غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَهُ، فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الصِّفَةِ بِأَثَارِهَا وَلِوَازِمِهَا.

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٤٦﴾ بتخليدهم في النار، وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة، لو آمنوا، والموصول: خبر «إن» ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ دائم، هو من مقول الله تعالى ..

[٤٦] ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ يَصُورُهُمْ بَيْنَ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره، يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ قَدْ لَمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة.

[٤٧] ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يردده ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ﴾ تلجؤون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ إنكار للنزوبكم.

[٤٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ تحفظ أعمالهم، بأن توافق المطلوب منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَيَا إِدَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة^(١)؛ كالغنى والصحة ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ وإن نصيبهم ﴿الضمير للإنسان باعتبار الجنس سَيِّئَةً﴾ بلاء ﴿هِيَمَا قَدَمَتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: قدّموه، وغير بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تراول بها ﴿فَإِنْ الْإِنْسَانَ كَفُورًا﴾ للنعمة.

[٤٩] ﴿يَلَلَهُ مِثْلُ الْمُنْتَفِلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من الأولاد ﴿وَيَنْتَهِ وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذِّكْرُ﴾.

[٥٠] ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ أي: يجعلهم ﴿ذُرِّيًّا وَابْنًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ بما يخلق ﴿فَدِيرٌ﴾ على ما يشاء^(٢).

[٥١] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا﴾ أن يوحى إليه ﴿وَحْيًا﴾ في المنام أو بإلهام ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه؛ كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿رُسُلًا﴾ ملكًا كجبريل ﴿فَيُوحِي﴾ الرسول إلى المرسل إليه؛ أي: يكلمه ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: الله ﴿وَمَا يَشَاءُ﴾ الله ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ عن صفات المحدثين^(٣) ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ ﴿٤٧﴾ من طرف خفي ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ألا إن الظالمين في عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٨﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٩﴾ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٥٠﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يِمَّا قَدَمَتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٥١﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٥٢﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ وَعَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٣﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥٤﴾

[٤٥] ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: النار ﴿خَشِيعَاتٍ﴾ خافقين متواضعين ﴿مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ﴾ ضعيف النظر، مسارقة، ومن ابتدائية، أو بمعنى الباء ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾

(١) النعمة من آثار الرحمة، وهذا يلزم منه إثبات صفة الرحمة صفة لله قائمة بذاته.

(٢) الصواب عدم تقييد القدرة بالمشيئة، فظاهر القرآن إثبات القدرة المطلقة، وهذا هو الأكمل والأحسن في الصفة. وما أثبت المفسر كقولهم إنما هو منه جرياً على طريقة الأشاعرة.

(٣) وهذا من قصر العلم على بعض أفرادها؛ فضلاً عن كون هذه العبارة موهمة ويستخدمها البعض لنفي الصفات الناجية لله تعالى، والآية من أدلة إثبات صفة العلم التام لله تعالى ذاتاً وقهراً وشأناً.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّحْرِفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿٥١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٣﴾ وَاللَّهُ فِي أُمْرِ الْكِتَابِ لَدِينًا
لَّعَلَّ حَكِيمٌ ﴿٥٤﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ ﴿٥٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٧﴾
فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٨﴾
وَلَكِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُوا
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٥٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٠﴾

[٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿وَمَضَى﴾ سبق
في آيات ﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك.
[٩] ﴿وَلَكِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُوا﴾
حذف منه نون الرفع؛ لتوالي التورات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين
﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ آخر جوابهم أي: الله ذو العزة والعلم.
[١٠] زاد - تعالى :: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فإرشا كالمهد
للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى
مقاصدكم في أسفاركم.

[٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إباحتنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ هو القرآن، به تحيا القلوب ﴿وَمِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي
نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿مَا الْكِتَابُ﴾ القرآن
﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: شرائعه ومعالمه، والنفي معلق للفعل عن العمل، وما بعده
سد مسند المفعولين ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الروح، أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِ﴾
من نشاء من عبادنا ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾
﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.
[٥٣] ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا
وعبيدا ﴿إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ترجع.

سُورَةُ الزُّحْرِفِ

[مكة، وقيل: إلا: ﴿رَسَلْنَا مَن أَرْسَلْنَا﴾ الآية،

تسع وثمانون آية، نزلت بعد الشورى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمراده به.
[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه
من الشريعة.
[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أوجدنا^(١) الكتاب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب
﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفهمون معانيه.
[٤] ﴿وَأَنَّهُ﴾ مثبت ﴿فِي أُمْرِ الْكِتَابِ﴾ أصل الكتب؛ أي: اللوح
المحفوظ ﴿لَدِينًا﴾ بدل عندنا ﴿لَّعَلَّ﴾ على الكتب قبله ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو
حكمة بالغة.
[٥] ﴿أَفَضْرِبُ﴾ نمسك ﴿عَنْكُمْ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحًا﴾
إمساكًا، فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل ﴿أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ﴾
مشركين؟ لا.
[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾.
[٧] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾
كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

(١) تفسير الجعل بالإيجاد مبني على القول بخلق القرآن، والصواب تفسيره بالإزلال أو نحوه، مما ذكر أصحاب السنة من المفسرين؛ كابن جرير والبخاري وغيرهما؛ لأنه جعل هنا متعلل إلى مفعولين، فلا يكون بمعنى الخلق والإيجاد، بل بمعنى التصيير ونحوه.

وهو مجرور في الأول^(١)، أي: فيه، منصوب في الثاني^(٢).

[١٣] ﴿لِيَسْتَوِيُوا﴾ لتستويوا ﴿وَعَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ ذكر الضمير، وجمع الظهر؛ نظراً للفظ «ما» ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِمُفْرَيْنَ﴾ مطيقين.

[١٤] ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقِلُونَ﴾^(٣) لمنصرفون.

[١٥] ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله؛ لأن الولد جزء من الولد، والملائكة من عبادته - تعالى - ﴿إِنَّا إِلَهُكُمْ﴾ القائل ما تقدم ﴿لِكُفُّورِ سُبُوحِ رَبِّكَ﴾ يبين ظاهر الكفر.

[١٦] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر؛ أي: أقولون ﴿أَتَتَّخِذُ يَمَانًا﴾ يتخلى بآيات نفسه ﴿وَأَصْفَكَمُ﴾ أحلصكم ﴿يَالْيَتِيمَ﴾ اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المنكر.

[١٧] ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ جعل له شبهة بنسبة البنات إليه؛ لأن الولد يشبه الولد؛ المعنى: إذا أخبر أحدهم بالبنات تولد له ﴿ظَلًّا﴾ صار ﴿وَجَعَلُوا مَسْوِدًا﴾ متغيراً تغير معتمت ﴿وَهُوَ كَلِيمٌ﴾ عمتى غمًا، فكيف ينسب البنات إليه، تعالى عن ذلك.

[١٨] ﴿أَوْ﴾ همزة الإنكار، واو العطف، بجملة^(٤)؛ أي: يجعلون لله ﴿مَنْ يُنْشِئُ فِي الْجَنَّةِ الزَّيْنَةَ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ مظهر الحجة^(٥)؛ لضعفه عنها بالأثوثة!

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ لَهُنَّ شَهِدَاتٍ﴾ حضروا ﴿خَلَقَهُمْ سَكَنًا﴾ شهادتهم ﴿بأنهم إنا﴾ ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها في الآخرة، فيترتب عليهم العقاب.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ أي: الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راض بها، قال - تعالى -: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿وَمِنْ عِلْمِنَا﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْضَعُونَ﴾ يكذبون فيه، فيترتب عليهم العقاب به.

[٢١] ﴿أَمْ أَنَبَّيْنَاهُمْ سَكَنًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن، بعبادة غير الله ﴿فَهُمْ بِهِ سَمْتِسِكُونَ﴾ أي: لم يقع ذلك.

[٢٢] ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ غَائِبًا عَلَيْنَا أَنَّهُ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا﴾ ماشون ﴿عَلَيْنَا أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ بهم، وكانوا يعبدون غير الله.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفَلَاحِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٤﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِمُفْرَيْنَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقِلُونَ ﴿١٦﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْأِنْسَانُ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكَم بِالْبَنِينَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٩﴾ أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَنًا شَهِدَتْهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿٢١﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ أَتَيْنَهُمُ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢٣﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ غَائِبًا عَلَيْنَا أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

[١١] ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ أي: بقدر حاجتكم إليه، ولم ينزله طوفاناً ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ﴾ أحيينا ﴿بِهِ﴾ بِلَدَةٍ مَيْتًا كَذَلِكَ ﴿أَي: مثل هذا الإحياء﴾ ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم أحياء.

[١٢] ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ السَّفَنِ﴾ السفن ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ كالإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ تحذف العائد اختصاراً،

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً، ثم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِمُفْرَيْنَ﴾. ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقِلِينَ﴾ اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا... الحديث. مسلم - كتاب الحج (١٥) باب (٧٥) ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.

(١) أي: إذا أعيد إلى الفلك، والمعنى: «جعل لكم من الفلك ما تركبون».

(٢) أي: إذا أعيد إلى الأنعام، والمعنى: «جعل لكم من الأنعام ما تركبون».

(٣) أي: هما كلمتان حرفان، لا كلمة واحدة.

(٤) هي نسخة القاصي كنعان: «الحجة».

[٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَكُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَمِنَ الْكَافِرِينَ﴾ متبعون.

[٢٤] ﴿إِنْ أَفْئِدَتُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ لَا تَرَوْنَ عَنْكُمْ ظَنَنًا مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَكَاظِمُونَ﴾ لهم: ﴿أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ ذَلِكَ وَلَوْ جِئْتُمْ بِآيَاتٍ ۖ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

[٢٥] قال - تعالى - تخوفنا لهم: ﴿فَأَنقَضْنَا بِغِيظِكُمْ إِلَٰهَهُمْ وَأَقْبَلْنَا إِلَهُ الْمَكِيدِينَ﴾. للرسول قلبك ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾.

[٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ اذكر ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾.

[٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني ﴿فَدِينُ سَبِّحِينَ﴾ يرشدني لدينه.

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: كلمة التوحيد^(١) المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَبِّحِينَ﴾^(٢) ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم.

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ﴾ المشركين ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ ولم أعجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية، وهو محمد ﷺ.

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾.

[٣١] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا رَبٌّ هَلَّا رَبَّنَا وَإِنَّا لِلَّهِ إِحْسَنُونَ﴾ هلا ﴿نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَسُولٍ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَيْشِ﴾ من أمة منها ﴿عَظِيمٌ﴾ أي: الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.

[٣٢] ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ النبوة ﴿وَنَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّيِّمَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً ﴿وَوَعَدْنَا بَعْضُهُم بِالْغَنَىٰ﴾ فوق بعض درجت لِيَسْخَدَ بَعْضُهُم بِالْغِنَىٰ ﴿بَعْضًا﴾ الفقير ﴿سُخْرِيًّا﴾ مسخرًا في العمل له بالأجرة، والياء للنسب، وقرئ^(٤) بكسر السين ﴿وَرَحِمَتْ رَبِّكَ﴾ أي: الجنة^(٥) ﴿حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ في الدنيا.

[٣٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الكفر ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَكُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَمِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ تُحِبُّونَ يَهْدِي اللَّهُ لِمَا يَشَاءُ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٥﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٧﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَلَوْلَا نَزْلُ هَذَا الْقُرْآنِ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِ لَكُنَّا بِآيَاتِهِ لَبِيسٌ ﴿٢٩﴾ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَوْ كُنَّا قَسَمًا بَيْنَهُمْ فَعَيْشُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَسْخَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوقِعَهُمْ سَفْهًا مِّنْ فَضْلِهِ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣١﴾

يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوقِعَهُمْ سَفْهًا مِّنْ فَضْلِهِ ﴿٣١﴾ بدل من «لمن» ﴿سَفْهًا﴾ بفتح السين وسكون القاف، وبضمهما^(١)؛ جمعًا ﴿مِّنْ فَضْلِهِ وَمَعَارِجَ﴾ كالدرج من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ يعلون إلى السطح.

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿قَالَ﴾.

(٢) المراد بقوله: (وجعلناها) يحتمل أن يكون الله ﷻ، ويحتمل أن يكون إبراهيم - عليه السلام -؛ فوالان للمفسرين، ويدل على الثاني قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ بِبَنِيهِ وَيَقُولُ﴾ الآية.

(٣) الصفات: ٩٩. وقوله: «المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَبِّحِينَ﴾» لعله سبق قلم، والصواب أن يقول: المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

(٤) أي: شذوذًا.

(٥) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ وليست هي نفسها.

(٦) بالإنفراد؛ بفتح السين وسكون القاف، قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بضمها.

[٣٦] ﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾ بعرض ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: القرآن ﴿نُقِصْ﴾
نسب ﴿لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ لا يفارقه.

[٣٨] ﴿حَقَّ إِذَا [جَاءَنَا]﴾^(٢٦) العاصي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ﴾ له: يَا لِلتَّسْبِيهِ ﴿لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَسْرِقَيْنِ﴾ أي: مثل بعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَيَسِّرَ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أنت لي.

﴿٣٩﴾ قال - تعالى -: ﴿وَلَنْ يَفْعَلَكَ أَشَيْءٌ أَمْ تَأْمُرُ بِالْعَافِيَةِ﴾ أي: العاشين، تَحْيِيكُمْ وَتَذَكِّرُكُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ إِذْ ظَلَمْتُمْ؟ أي: تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا ﴿أَنْتُمْ﴾ مع قرائكم ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ علة بتقدير اللام؛ لعدم النفع، و﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿اليوم﴾.

[٤٠] ﴿أَفَأَنْتَ تُشْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يَبَيِّنُ؟ أَي: فَمَنْ لَا يُؤْمِنُونَ.

[٤١٦] ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿نَذْهَبَنَّ﴾
 بِكَ ﴿بأن نميتك قبل تعذيبهم﴾ ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ في الآخرة.

[٤٢] ﴿أَوْ رُبُّنَا﴾ في حياتك ﴿الَّذِي وَعَدَهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ﴾ على عذابهم ﴿مُقْتَدِرُونَ﴾ قادرون.

[٤٣] ﴿فَاسْتَمِيعْ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ يَسْأَلُونَ﴾ عن القيام بحقه.

[٤٥] ﴿وَسَلِّ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ﴾
أي: غيره ﴿إِلَٰهَهُ يُعْبَدُونَ﴾ قيل: هو على ظاهره، بأن جمع له الرسل ليلة

لإسراء، وقيل: المراد أم من أي أهل الكتائب، ولم يسأل على واحد من لقولين؛ لأن المراد من الأمر بالسؤال: التقرير لمشركي قريش، أنه لم يأت

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ﴾ أي: القبط رسول من الله، ولا كتاب بعبادة غير الله.

[٤٧] ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَصْعَقُونَ﴾.

وَأَيُّونَهُمْ أَتُونَا وَسِرًّا عَلَيْهِمْ يَتَكُونُ ﴿٢٦﴾ وَرُحْرُقَ أَوَانُ
كُلِّ ذَلِكَ لِمَتَمَتَّعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِضْ لَهُ شَيْطَانًا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٢٨﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسُونَ
أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسُ الْقَرِينُ ﴿٣٠﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ أَيُّومُ
إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتُحْكَمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣١﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ
الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ فِيمَا
نَذَرْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٣٣﴾ أَوْ رَبِّكَ أَلَدَى
وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ لَنُتْلِيَنَّ ﴿٣٦﴾ وَنَسْأَلَنَّ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا
أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٣٩﴾

[٣٤] ﴿وَلْيُبَيِّنْ لَهُمُ آيَاتُنَا﴾ من فضة ﴿و﴾ جعلنا لهم ﴿سُرُورًا﴾ من فضة،
جمع سرير ﴿عَلَيْهَا يَتَخَوَّكُ﴾.

[٣٥] ﴿وَرُحْرُقًا﴾ ذهبا، المعنى: لولا خوف الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطياه ذلك؛ لقلّة خطر الدنيا عندنا، وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿وَرَيْنَ﴾ مخففة من الثقلبة ﴿كُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا﴾ بالتخفيف، فلما زائدة، وبالتشديد^(١) بمعنى إلا فذلّ، نافية ﴿مَكْسَبَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

(١) بالتخفيف قراءة السبعة عدا عاصم وحمزة، وهشام بخلاف عنه.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿جاءنا﴾.

وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَأَعْلَاهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ عَنِ الْإِمْنَانِ ﴿٥٠﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا بِدَعَاءِ مُوسَى عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُورُونَ ﴿٥١﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ أَفْتَارًا ﴿٥٢﴾ قَالَ يَقُولُ ابْنُ الْيَسْرِ لِي مُلْكٌ بِعَثَرٍ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٥٣﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٤﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأُكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٥﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ وَفَاطَا عُوْدَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا عَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالُوا أَلَهْتُمْ بِخَيْرٍ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٦٠﴾ إِن هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦١﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ مَلَأُكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٢﴾

خَصِمُونَ^(١) شديدا والخصومة.

[٥٩] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ بوجوده من غير أب ﴿مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: كالمثل لغرته يستدل به على قدرة الله - تعالى - على ما يشاء.

[٦٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ﴾ بـلكنم ﴿مَلَأُكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ بأن نهلككم.

[٤٨] ﴿وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ﴾ من آيات العذاب؛ كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم، ووصل إلى حلق الجالسين، سبعة أيام، والجراد ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ قريبها التي قبلها ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَأَعْلَاهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الكفر. [٤٩] ﴿وَقَالُوا﴾ موسى لما رآوا العذاب: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكاسر؛ لأن السحر عندهم علم عظيم ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: مؤمنون.

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُورُونَ﴾ ينقضون عهدهم، ويصرون على كفرهم.

[٥١] ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ﴾ افتخارا ﴿أَفْتَارًا﴾ قال يَقُولُ ابْنُ الْيَسْرِ لِي مُلْكٌ بِعَثَرٍ وَهَذَا الْأَنْهَرُ من النيل ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ أي: تحت قصوري ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ؟﴾ عظمتي؟.

[٥٢] ﴿أَنْتُمْ﴾ تبصرون، وحينئذ ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا﴾ أي: موسى ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يُظْهِرُ كَلَامَهُ لِللُّغَةِ بِالْحُمْرَةِ التي تناولها في صغره^(١).

[٥٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ إِنْ كَانَ صَادِقًا ﴿[أَسُورَةٌ] مِنْ ذَهَبٍ﴾ جمع أسورة^(٢) كـ «أَغْرِبَةُ» جمع سوار، كعادتهم فيمن يسودونه، أَنْ يلبسوه أسورة ذهب، ويطوقوه طوق ذهب ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأُكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ متتابعين يشهدون بصدقه.

[٥٤] ﴿فَاسْتَحَفَّ﴾ استغفر فرعون ﴿قَوْمَهُ فَاطَا عُوْدَهُ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

[٥٥] ﴿فَلَمَّا عَاسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٥٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا﴾ جمع سالف كخادم وخدم؛ أي: سابقين عبرة ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ بعدهم، يمثّلون بحالهم، فلا يُقدّمون على مثل أفعالهم.

[٥٧] ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ جُعِلَ ﴿ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حين نزل قوله - تعالى -: ﴿إِنْ كُنْتُمْ وَمَا تُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾^(٣) فقال المشركون: رضينا أن تكون الهتنا مع عيسى؛ لأنه عُبد من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ﴾ أي: المشركون ﴿يَصِدُّونَ﴾ من المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضحكون فرحا بما سمعوا^(٤).

[٥٨] ﴿وَقَالُوا أَلَهْتُمْ بِخَيْرٍ أَمْ هُوَ﴾ أي: عيسى، فترضى أن تكون الهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ﴾ أي: المثل ﴿إِلَّا جَدَلًا﴾ خصومة بالباطل، لعلمهم أن «ما» لغير العاقل، فلا يتناول عيسى ﷺ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (٥٧): أخرج أحمد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لفرش: «يا معشر فرش، إنه ليس أحد بعد من دون الله فيه خير»، وقد علمت فرش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد، أنت تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدًا من عباد الله صالحًا؛ فلن كنت صادقًا؛ فإن الهتهم لكما تقولون. قال: فأقول الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِنَّا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. أحمد - المسند (١ - ٣١٨)، وحسن الأرنؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٨٦/٥، ٨٧).

(٢) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجمل»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٤) ومن سورة الزحرف. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٣).

(١) سبق بيان ذلك في تفسير سورة «آه» آية (٢٧).

(٢) أي: جمع الجمع، وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿أَسُورَةٌ﴾.

(٣) الأنبياء: ٩٨.

عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٣﴾ يَسَّ الْعَادَاةَ.

[٦٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة، من أمر الدين وغيره، فيبين لهم أمر الدين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٥] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ في عيسى؛ أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٦٦] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ﴾ بعضهم لبعض عدوٌّ ﴿إِلَّا الْمُسْقِينَ﴾ يعبدون لآخوف عبيدكم واليوم ولا أنتم تحزنون ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴿وَلَكُمْ فِيهَا الْجَنَّةُ النَّارُ أَوْ ثَمَرُهَا إِذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لكم فيها فلكه كثيرة منها تأكلون ﴿٧٢﴾

[٦٧] ﴿الْأَخْلَاءَ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة، متعلق بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ المتحابين في الله على طاعته، فإنهم أصدقاء.

[٦٨] ويقال لهم: ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

[٦٩] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت لعبادي ﴿وَيَايُنَا﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

[٧٠] ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ زوجانكم ﴿تَحْبَرُونَ﴾ تسرون وتكرمون، خبر المبتدأ.

[٧١] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ﴾ بقصاع ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب؛ وهو: إناء لا عروة له، ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ تَلَذُّوا﴾ وتلذذوا ﴿وَلَكُمْ فِيهَا الْأَعْنَتُ﴾ نظرا ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٧٢] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا الْجَنَّةُ النَّارُ أَوْ ثَمَرُهَا إِذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَلَكَهٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا﴾ أي: بعضها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله.

وَإِنَّهُ وَلِعَلُّ لِّلْإِسَاءَةِ فَلَا تَمَرَّنَ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٧١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٧٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٧٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٧٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٧٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٦﴾ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُسْقِينَ ﴿٧٧﴾ يَعْبَادُ لآخَوْفَ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٩﴾ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٨٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿٨١﴾ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَلَكُمْ فِي الْجَنَّةِ النَّارُ أَوْ ثَمَرُهَا إِذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾ لَكُمْ فِيهَا فَلَكَهٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٤﴾

[٦١] ﴿وَابْتَغِ﴾ أي: عيسى ﴿لِلْإِسَاءَةِ﴾ تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمَرَّنَ﴾ بها أي: تشكر فيها، حذف منه نون الرفع للجرم، وواو الضمير للثناء الساكنين ﴿وَقُلْ لَهُمْ﴾ ﴿أَتَتُونِي﴾ على التوحيد ﴿هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ﴾ يصرفكم عن دين الله ﴿الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ

(٥) هائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: إن لكم أن تحبوا فلا تقوتوا أبداً، وإن لكم أن تحبوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تعملوا فلا تبأسوا أبداً» فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا الْجَنَّةُ النَّارُ أَوْ ثَمَرُهَا إِذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١) سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٨).

سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ۝
 إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَفَمَنْ أَتَىٰ
 مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝
 إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
 وَرَبَّ عَابِدِكُمْ ۝ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝
 فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشى النَّاسَ
 هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝
 أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ ثُمَّ
 تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْحُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا
 إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَاطِشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝
 *وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝
 أَنِ ادْعُوا إِلَىٰ عِبَادَتِي إِلَهِيَ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝

سورة الدخان

[مكية، إلا: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ الآية،

وهي: ست، أو سبع، أو: تسع وخسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمِّ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر للحلال من الحرام.

[٣] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان^(١)، نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ مخوفين به.

[٤] ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: في ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان^(٢) ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ محكم، من الأرزاق والآجال وغيرهما، التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة.

[٥] ﴿أَفَمَنْ أَتَىٰ مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿أَفَمَنْ أَتَىٰ﴾ رَأْفَةً بِالرَّسْلِ إِلَيْهِمْ ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿لَهُمْ﴾ بِالْعَلِيمِ ﴿أَفَمَنْ أَتَىٰ﴾ بِالْعَلِيمِ.

[٦] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ برفع «رب» خبر ثالث، وبجره^(٣) بدل من «ربك» ﴿يَنْ كُنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تُؤْفِكِينَ﴾ بأنه - تعالى - رب السماوات والأرض، فأيقنوا بأن محمداً رسوله.

[٧] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبَّ عَابِدِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ من البعث ﴿يَلْعَبُونَ﴾ استهزاء بك يا محمد، فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف»^(٤).

[٨] ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ فاجتهدت الأرض، واشتد بهم الجوع، إلى أن رأوا من شدته كهيفة الدخان بين السماء والأرض.

[٩] ﴿يَغْشى النَّاسَ﴾ فقالوا: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون نبك. [١٠] قال - تعالى -: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ﴾ أي: لا ينفعهم الإيمان^(٥) عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ بين الرسالة.

[١١] ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْحُونٌ﴾ أي: يعلمه القرآن بشر ﴿مَجْحُونٌ﴾ ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ فكشف عنهم ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ إلى كفركم، فعادوا إليه.

[١٢] ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَاطِشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ منهم والبطش الأخذ بقوة^(٦).

[١٣] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا بِلُوطٍ﴾ بلونا ﴿فَلَهُمْ قَوْمٌ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ هو موسى السليط ﴿حَكِيمٌ﴾ على الله - تعالى -.

[١٤] ﴿أَنَّىٰ﴾ أي: بأن ﴿أَدْعُوا إِلَيَّ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان؛ أي: أظهروا إيمانكم لي^(٧) يا ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿عَلَىٰ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٠ - ١٦): أخرج البخاري عن عبد الله (ابن مسعود) قال: إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما به وبها كهيفة الدخان من الجهد، فأنزل الله: ﴿يُدْخِلْنِي مُجِيبٌ﴾ قال: فأتى رسول الله ﷺ. فقيل له: يا رسول الله، استسقى الله لمضر، فإنها قد هلكت. قال: «لمضر؟ إنك حرىء» فاستسقى فسقوا، فنزلت. ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ فلم أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابهم الرفاهية، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَاطِشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ قال: يعني يوم بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥). سورة الدخان (٤٤) باب (٢).

(١) وهذا القول باطل مخالف لصريح القرآن كما قال العلامة أبو بكر بن العربي، والصحيح الذي عليه الجمهور أن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وفيها ابتداء نزول القرآن.

(٢) وهذا القول ضعيف مردود كما سبق بيانه.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالجر.

(٤) البخاري (٤٨٠٩) ومسلم (٢٧٩٨) عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً، واللفظ للبخاري.

(٥) الظاهر أن النبي هو استبعاد وقوع الإيمان منهم عند كشف العذاب أو انتفاعهم بما يحق بهم من عذاب الدنيا، لأن أن حصول الإيمان منهم لا ينفعهم.

(٦) الأرجح والمشهور عند المفسرين أن المراد أرسلوا معي بني إسرائيل وأطلقوهم من العذاب، كما جاء في سورة الأعراف واشتراء.

[١٩] ﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا﴾ تصبروا ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّي أَنَا نَكِرٌ يُضِلُّنِي﴾ برهان ﴿ثُبِين﴾ بين على رسالتي، فتوعده بالرجم.
[٢٠] فقال: ﴿يَا أَيُّ عُدْتُ بِرَبِّي زَيْكُكَ أَمْ تَجْعَلُنِي﴾ بالحجارة.
[٢١] ﴿وَلَنْ لَّرُؤُوسُنَا لِي﴾ تصدقوني ﴿فَاعْمُرُونِي﴾ فاتركوا أذاي، فلم يتركوه.

[٢٢] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَشْرُكُونَ﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿مُشْرِكُونَ﴾.
[٢٣] فقال - تعالى -: ﴿فَأَنسِرْ﴾ بقطع الهمة ووصلها^(١) ﴿بِعِبَادِي﴾ بني إسرائيل ﴿لِيَلَّا أَنكُم مُّتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه.
[٢٤] ﴿وَأَنزَلِ الْبَحْرَ﴾ إذا قطعت أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾ ساكتا منفرجا، حتى يدخله القبط ﴿إِنَّمَا جُئِدُ مُقْرَفُونَ﴾ فاطمان بذلك فأغرقوا.
[٢٥] ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ بِسَاتِينَ وَغُبُورٍ﴾ تجري.
[٢٦] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن.
[٢٧] ﴿وَنَعْمٌ مُّتَعَةٌ﴾ متعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾ ناعمين.
[٢٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ أي: الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي: أموالهم ﴿نَوْمًا مَّآخِرِينَ﴾ أي: بني إسرائيل.
[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء^(٢) ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ مؤخرين للتوبة.
[٣٠] ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء.

[٣١] ﴿مَنْ فِرْعَوْنُ﴾ قيل بدل من «العذاب» بتقدير مضاف؛ أي: عذاب، وقيل: حال من «العذاب» ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَاءَ مِنَ النُّسْرِينَ﴾.
[٣٢] ﴿وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْبٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَلَىٰ الْفُلِّينَ﴾ أي: عالمي زمامهم؛ أي: العقلاء.
[٣٣] ﴿وَلَدَّائِنَاهُمْ مِنْ أَلَايَتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ نعمة ظاهرة، من قلق البحر والموت والسلوى وغيرها.
[٣٤] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿يَقُولُونَ﴾ [٣٥] ﴿إِنْ هِيَ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ أي: وهم نطفت ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين أحياء بعد الثانية.
[٣٦] ﴿فَأَنزِلْ بِآيَاتِنَا﴾ أحياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنا نبعت بعد موتنا؛ أي: نحيا.
[٣٧] قال - تعالى -: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُيُج﴾ هو نبي، أو رجل صالح^(٣)

(١) بوصلها قراءة نافع وابن كثير، وفراً بقية السبعة بقطع الهمة.

(٢) روي هذا عن ابن عباس وغيره كما أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤/٢٢ - ٣٦) وروي مرفوعاً عن أنس بن مالك عن الترمذي برقم (٣١٧٨) بلفظ: «ما من مؤمن إلا وله بابان؛ باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه، فذلك قوله ﷻ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾» وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٥١٩٧).

(٣) الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين أنه ليس نبيا، وقومه هم «سبأ» وكانوا يستمون ملكهم «ثبعا» كما يسمى ملك الفرس «كسرى»، و«قيصر» لمن ملك الروم. وقيل: إنه كان كافرا ثم أسلم وتابع دين موسى عليه السلام، وكان ذلك قبل بعثة عيسى عليه السلام.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ﴾.

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ﴾ بخلق ذلك، حال.

[٣٩] ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: محققين في ذلك؛ لئلا يستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿كَالْمُهْلِ﴾ أي: كدردي الزيت الأسود، خبر ثانٍ ﴿تَغْلِي﴾ في الْبُطُونِ بالفوقانية خبر ثالث، وبالتحتانية^(١) حال من «المهل». [٤٦] ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ الماء الشديد الحرارة. [٤٧] ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية: خذوا الأثيم ﴿فَعَسِيلُهُ﴾ بكسر التاء وضمها^(٢)؛ جروه بغلظة وشدة ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسط النار. [٤٨] ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ أي: من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(٣).

[٤٩] ويقال له: ﴿ذُقْ﴾؛ أي: العذاب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَكِيمُ﴾ بزعمك، وقولك: ما بين جليلها أعز وأكرم مني^(٤). [٥٠] ويقال لهم: ﴿إِنَّ هَذَا الَّذِي ترون من العذاب﴾ ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فيه تشكرون.

[٥١] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي مَقَامٍ مَجْلَسٍ﴾ مجلس «أيمين» يؤمن فيه الخوف. [٥٢] ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُثُوبٍ﴾. [٥٣] ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: ما رق من الدياج، وما غلظ منه ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ حال؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأيوة بهم.

[٥٤] ﴿كَذَلِكَ يَقدر قبله الأمر﴾ ﴿وَوُجِّنَهُمْ﴾ من التزويج، أو قرناهم ﴿يُحَوَّرُ عَيْنٌ﴾ بنساء بيض واسعات الأعين حسانها. [٥٥] ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة، أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ﴾ منها ﴿عَامِينَ﴾ من انقطاعها، ومضرتها، ومن كل مخوف؛ حال.

[٥٦] ﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا بعد حياتهم فيها^(٥)، قال بعضهم: «إلا» بمعنى «بعد» ﴿وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

[٥٧] ﴿فَضْلًا﴾ مصدر بمعنى تفضلاً، منصوب بـ«تفضل» مقدراً ﴿مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ﴾.

[٥٨] ﴿فَلَمَّا يَسْتَنْتَهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿يَلْسَانِيكَ﴾ بلغتك، لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون، لكنهم لا يؤمنون.

[٥٩] ﴿فَارْتَبَّتْ﴾ انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَبِّتُونَ﴾ هلاكك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٧﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٨﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٩﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٥٠﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٥١﴾ خُذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٥٣﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتَهُمْ بَحُورَيْنِ ﴿٥٩﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ آمِينَ ﴿٦٠﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٦١﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا يَسْتَنْتَهُ يَلْسَانُكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٣﴾ فَارْتَبَّتْ رُءُوسُهُمْ فَمَا تَرَوْنَ ﴿٦٤﴾

سورة النحل

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يوم القيامة، يفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للعذاب الدائم.

[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى﴾ بقرابة أو صداقة؛ أي: لا يدفع عنه ﴿شَيْئًا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ينعون منه، و«يوم» بدل من: «يوم الفصل».

[٤٢] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ وهم المؤمنون؛ فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إِنَّهُمْ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

[٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ هي من أخبت الشجر المر بشهامة، ينبتها الله - تعالى - في الجحيم.

[٤٤] ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ أي: جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير.

(١) ببناء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

(٢) بالضم قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٣) المحج: ١٩.

(٤) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٠/٢٥) عن قتادة أن الآية نزلت في عدو الله أبي جهل، عندما قال ذلك للنبي ﷺ، وهو ضعيف لإرساله، كما في الاستيعاب (٢٠٢/٣).

(٥) أي: فالاستثناء منقطع، والمعنى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا.

سُورَةُ الْحَاشِيَةِ

[مكية، إلا: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ الآية،
وهي: ست، أو: سبع وثلاثون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَدَّثَ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره: ﴿الرَّحِيمِ﴾ في ملكه ﴿الرَّحِيمِ﴾ في صنعه.

[٣] ﴿وَلِ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ دالة على قدرة الله ووحدانيته. تعالى: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٤] ﴿وَلِ فِي خَلْقِكُمْ﴾ أي: في خلق كل منكم، من نقطة، ثم علقه، ثم مضغة، إلى أن صار إنساناً ﴿وَلِ فِي خَلْقِ مَا بَيْنَ﴾ يفرق في الأرض ﴿مِنَ دَابَّةٍ﴾ هي ما يذب على الأرض من الناس وغيرهم^(١) ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ بالبعث.

[٥] ﴿وَلِ فِي أَمْثَلِ ظِلِّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَا أَرْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَاءِ﴾ من رزقٍ مطر، لأنه سبب الرزق ﴿فَأَنبَأَ بِهِ الْأَرْضَ بِعَدَمِ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ تغليبها، مرة جنوباً، ومرة شمالاً، وباردة وحارة ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ بالدليل فيؤمنون.

[٦] ﴿يَتْلُوكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿تَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بدلتلو ﴿وَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أي: حديثه وهو القرآن ﴿وَلَا يَتَذَكَّرُ﴾ حججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: لا يؤمنون، وفي قراءة^(٢) بالباء.

[٧] ﴿وَلِ﴾ كلمة عذاب ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَكْثَرِ الْإِثْمِ﴾.

[٨] ﴿يَسْمَعُ﴾ أي: القرآن ﴿تَتْلُو عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿كَأَن لَّهُ يَسْمَعُ فَيَتَرَدَّدُ بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ مؤلم.

[٩] ﴿وَلِذَا عَلِمَ مِنَ آيَاتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿شَيْئًا أَخَذَهَا أَخْرَاجًا﴾^(٣) أي: مَهْزُوءًا بها ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[١٠] ﴿مِنَ دَابَّةٍ﴾ أي: أمامهم؛ لأنهم^(٤) في الدنيا ﴿جَهَنَّمُ﴾ ولا يغنى عنهم ما كسبوا من المال والفعال ﴿سَيِّئًا﴾ ولا ما اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ﴿أَي: الأصنام﴾ ﴿أُولَئِكَ﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَخَلَقْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رَّزْقٍ فَأَنبَأَ بِهِ الْأَرْضَ بِعَدَمِ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ وَلِ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٦﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابِ اللَّهِ وَإِذْ عَلِمْنَا مِن آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذْنَا هَارُونَ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٧﴾ مَن ذَرَأَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٨﴾ هَذِهِ هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ اللَّهِ ﴿٩﴾ * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا قَبْلَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

[١١] ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابِعُونَ رَيْبَهُمْ فَهُمْ عَذَابٌ﴾ حظ ﴿مِن رَّجْزِ﴾ أي: عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ موجه.

[١٢] ﴿لَهُم مَّا كَانُوا يَسْخَرُونَ﴾ أي: سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ياذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

[١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها؛ أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد ﴿مِنَهُ﴾ حال؛ أي: سخرها كائنة منه - تعالى - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فيؤمنون.

(١) هذه الآية كقولها - تعالى -: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِن دَابَّةٍ﴾ فلا يقتصر على كون بث الدواب في الأرض. راجع التعليق على الآية (٢٩) في سورة الشورى.

(٢) لحمة والكسائي وابن عامر وشعبة.

(٣) بضم الزاي وبالهيمز، وهي قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، وقرا حمزة: ﴿هَزْؤًا﴾ بالهمز مع سكون الزاي، وقرا حفص: ﴿هَزْؤًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا. كما تقدم في الأنبياء، آية (٣٦).

(٤) في نسخة إمامي زيادة: «الآن» في هذا الموضع.

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ءَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾ مَن عَمِلَ صِلًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمُ تُرْجَعُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْثُبَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ وَءَاتَيْنَاهُم بَيْنَت مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٧﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٨﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٩﴾

[١٤] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿ءَيَّامَ اللَّهِ﴾ وقائعه؛ أي: اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم، وهذا قبل الأمر بجihadهم ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أي: الله، وفي قراءة بالنون^(١) ﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من العقر للكفار أذا هم^(٢).

[١٥] ﴿مَن عَمِلَ صِلًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أساء ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمُ تُرْجَعُونَ﴾ تصيرون فيجازي المصلح والمسيء.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ به بين الناس ﴿وَالْثُبَّةَ﴾ لموسى وهارون منهم ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات؛ كالماء والسلوى ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم العقلاء.

[١٧] ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَت مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين، من الحلال والحرام، وبهتة محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في بعته ﴿إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: لبغي حدث بينهم حسدا له ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ طريقه ﴿وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أمر الدين ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في عبادة غير الله.

[١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ من عذابه ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٠] ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ﴾ معالم، يتصورون بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

[٢١] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [سواء]^(٣) خبر ﴿نَجْعَلُهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ مبتدا ومعطوف، والجملة بدل من الكاف، والضميران للكفار؛ المعنى: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين؟ أي: في رغد من العيش، مساوٍ لعيشهم في الدنيا؛ حيث قالوا للمؤمنين: لئن بعثنا لفظى من الخير مثل ما تعطون؟ قال تعالى على وفق إنكاره بالهمزة: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب، على خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب، بعملهم الصالحات في الدنيا؛ من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، و«ما» مصدرية؛ أي: بسن حكما حكمهم هذا.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خلق»؛ ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

(١) حمزة والكسائي وابن عامر.

(٢) أي المؤمنون؛ فيبيهم، ويمكن أن يكون المعنى: ليجزي الكافرين على أذاهم لمؤمنين. كما قال الطبري.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرا بقية السبعة: ﴿سواء﴾ بالفتح، على الحال.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَوَّعَ عَلَى سَمْعِهِهٖ وَقَلْبِهِهٖ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِهٖ غَشَوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿وَإِذَا نُنَادِيٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِتِلْكَ مَآكِنَ حُجَّتِهِمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَنَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ الْمُبْطِلُونَ﴾ وَرَبِّ كُلِّ أُمَّةٍ جَائِئَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَأَمَّا الْذِّبَةُ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ؕ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنشِئُ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَنْ نَحْنُ بِمُسْتَيقِينَ ﴿٣٢﴾

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُ: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بِالْبَيْتِ ﴿حَقٌّ وَالسَّاعَةُ﴾ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ ^(١) ﴿لَا رَيْبَ﴾ شَكٌّ ﴿وَمَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ إِنْ مَا ﴿نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ قَالَ الْمُرِيدُ: أَصْلُهُ: إِنْ نَحْنُ إِلَّا نَظَنُّ ظَنًّا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيقِينَ﴾ أَنَّهُ آتِيَةٌ.

﴿٢٣﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أَخْبِرْنِي ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ مَا يَهْوَاهُ مِنْ حَجَرٍ بَعْدَ حَجَرٍ يَرَاهُ أَحْسَنَ ﴿وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ مِنْهُ: تَعَالَى: أَيُّ: عَلِمًا بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ قَبْلَ خَلْقِهِ ﴿وَوَخَّعَ عَلَى سَمْعِهِهٖ وَقَلْبِهِهٖ﴾ فَلَمْ يَسْمَعْ الْهَدَى وَلَمْ يَعْقِلْهُ ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِهٖ غَشَوَةً﴾ ظُلْمَةً، فَلَمْ يَبْصُرِ الْهَدَى، وَيَقْدَرُ هُنَا الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِرَأْيْتِ: «أَيُّهْتَدِي؟» ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أَيُّ: بَعْدَ إِضْلَالِهِ إِيَّاهُ؛ أَيُّ: لَا يَهْتَدِي ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تَتَعَطَّوْنَ؟ فِيهِ إِدْغَامٌ إِحْدَى الثَّانِيَيْنِ فِي الْإِذَالِ ^(١).

﴿٢٤﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أَيُّ: مَنَكُرُو الْبَيْتِ: ﴿مَا هِيَ﴾ أَيُّ: الْحَيَاةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ الَّتِي فِي «الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا» أَيُّ: يَمُوتُ بَعْضٌ، وَيَحْيَا بَعْضٌ بِأَنْ يُولَدُوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أَيُّ: مُرُورُ الزَّمَانِ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ الْقَوْلِ ﴿وَمِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ مَا ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿وَإِذَا نُتِلُّ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى الْبَيْتِ ﴿يُنشِئُ﴾ وَاضْحَاتٍ، حَالٌ: ﴿مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَنَاتِنَا﴾ أَحْيَاءُ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَنَا بُعِثُ.

﴿٢٦﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ﴾ حِينَ كُنْتُمْ نَظَفًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ أَحْيَاءَ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ﴾ شَكٌّ ﴿فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْقَائِلُونَ مَا ذَكَرَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يُبْدِلُ مِنْهُ: ﴿يَوْمَ يُنْفِخُ الْمُبْطِلُونَ﴾ الْكَافِرُونَ؛ أَيُّ: يَظْهَرُ خَسْرَانُهُمْ، بِأَنْ يَصِيرُوا إِلَى النَّارِ.

﴿٢٨﴾ ﴿وَرَبِّ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أَيُّ: أَهْلُ دِينٍ ﴿جَائِئَةٌ﴾ عَلَى الرِّكْبِ، أَوْ: مُجْتَمِعَةٌ ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ كِتَابُ أَعْمَالِهَا، وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّ: جَزَاءَهُ.

﴿٢٩﴾ ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا﴾ دِيوَانُ الْحِفْظَةِ ﴿يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نَتَبَّعُ وَنَحْفَظُ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿فَأَمَّا الْذِّبَةُ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جَنَّتِهِ ^(٢) ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ الْبَيِّنُ الْظَاهِرُ.

﴿٣١﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي﴾ الْقُرْآنَ ﴿تُنشِئُ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تَكْبَرْتُمْ ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ كَافِرِينَ.

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بنخفيف الدال.

(٢) الخجة من آثار رحمة الله ﷻ، ورحمة الله ﷻ صفة له قائمة بذاته، ونسبها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

(٣) بالنصب قراءة حمزة.

[٣٦] ﴿فَلْيَلْزِمُوا الْوَصْفَ بِالْحَمِيلِ﴾ الوصف بالحميل، على وفاء وعده في المكذبين^(١) ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالق ما ذكر، والعالم: ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، و«رب» بدل.
[٣٧] ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ﴾ العظمة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حال؛ أي: كائنه فيهما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم^(٢).

سورة الأحقاف

[مكية، إلا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الآية، وإلا: ﴿فَأَصْبِرْ﴾ كما صبر أولوا العزيم من الرسل﴾ الآية، وإلا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدِهِ﴾ الثلاث آيات، وهي: أربع، أو خمس وثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمراده به.
[٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنْ أَلَدِهِ﴾ خبره: ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.
[٣] ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾ خلقاً ﴿وَالْحَقُّ﴾ لبذل على قدرتنا ووجدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فئانهما يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عما أُذِّعُوا ﴿خَوْفُوا مِنَ الْعَذَابِ﴾ معروضون.
[٤] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿أَخْبِرُونِي﴾ تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول أي: الأصنام، مفعول أول ﴿أُرُونِي﴾ أخبروني، تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول ثانٍ ﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾ بيان «ما» ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشاركة^(٥) ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مع الله، و«أم» بمعنى همزة الإنكار: ﴿أَتُنْفِي بِكِتَابٍ﴾ منزل ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿أَمْ أَشَرُّ﴾ بقية ﴿يُنْفِي عَائِدٍ﴾ يؤثر عن الأولين، بصحة دعواكم في عبادة الأصنام، أنها تقربكم إلى الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم.
[٥] ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿أَصْلُ يَمِّنْ يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ وهم الأصنام، لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿غَافِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا مَعَمَلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٦﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا عِاقِبَةَ اللَّهِ هُزُؤًا وَعَزَّتْ لَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالِیْمٌ لَا یُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ یُسْتَعْبَدُونَ ﴿٣٨﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٩﴾ وَلَهُ الْكِبَرِیَّاءُ فِی السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِیزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٠﴾

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٣٦﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْفِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَمْ أَشَرُّ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٣٩﴾

[٣٣] ﴿وَبَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئَاتٍ مَا عَمَلُوا﴾ في الدنيا؛ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.
[٣٤] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: تركتم العمل لقلته ﴿وَمَا وَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾ مانعين منه.

[٣٥] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا عِاقِبَةَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿هُزُؤًا﴾^(١) ﴿وَعَزَّتْ لَهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ حتى قلمت: لا بعث ولا حساب ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ﴾ بالبناء للفاعل ولللمفعول^(٢) ﴿مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ﴾ لا يطلب منهم أن يرضوا بهم بالطوعة والطاعة؛ لأنها لا تنفع يومئذ.

(١) قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، كما تقدم في الآية (١١) من هذه السورة.

(٢) بالبناء للفاعل فراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالبناء لللمفعول: ﴿يَخْرُجُونَ﴾.

(٣) أي إنه سبحانه يحسد على «العدل» وهو إدخاله الكافرين النار، كما يحسد على «الفضل» وهو إدخاله المؤمنين الجنة. واقتصر المصنف على الأول هنا دفعا لتوهم اقتصار الحمد على الفضل فقط.

(٤) أي: «العزيم» في ملكه، «الحكيم» في صنعه. كما تقدم في أكثر من موضع.

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: «مشارك»، وقال في حاشية الجمل تعليقا على ذلك: لو فسر الشرك بالشركة لكن أوضح، وفي السمين الحلي: والشرك: المشاركة.

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ الْأَنْدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عِلْمِكُمْ فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ فَجَهُلُونَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطْرَأٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ تَذْمُرُ كُلُّ لُحْيَةٍ بِالْمَرِّ بِهَا قَاصِبًا لَا يَرَى إِلَّا سَكْبًا كَهْمُ الَّذِي تَجْرِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّ هُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آلَاتِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الْآيَاتِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٧﴾

من ذُوبَ اللَّهُ: أي: غيره ﴿قُرْبَانًا﴾ متفرقا بهم إلى الله ﴿الْآلِهَةِ﴾ معه، وهم الأصنام، ومفعول «اتخذ» الأول ضمير محذوف يعود على الموصول؛ أي: هم، و﴿قُرْبَانًا﴾ الثاني، و﴿الْآلِهَةِ﴾ بدل منه ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: اتخاذهم الأصنام آلهة قُرْبَانًا ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يكذبون، و﴿ما﴾ مصدرية، أو موصولة والعائد محذوف؛ أي: فيه.

[٢١] ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود عليه السلام ﴿إِذْ﴾ بل اشتغال ﴿أَنْذَرَ قَوْمَهُ﴾ خوفهم ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ واد باليمن به منازلهم ﴿وَقَدْ خَلَتْ الْأَنْدُرُ﴾ مضت الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ أي: من قبل هود ومن بعده، إلى أقوامهم ﴿وَأَنْهَى﴾ أي: بأن قال: ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وجملة: «وقد خلت» معترضة ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عدمتم غير الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[٢٢] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عِلْمِكَ﴾ لنصرفنا عن عبادتها ﴿فَأَيْنَا بِمَا نَعْبُدُكَ﴾ من العذاب على عبادتها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أنه يأتيها. [٢٣] ﴿قَالَ هُودٌ﴾: إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ، هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ إليكم ﴿وَلَكِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ فَجَهُلُونَ﴾ باستعجالكم العذاب.

[٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: ما هو العذاب ﴿عَارِضًا﴾ سحابًا عرض في أفق السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطْرَأٌ﴾ أي: مطر إيسا(١)، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ بدل من «ما» ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢) مؤلم.

[٢٥] ﴿تَذْمُرُ﴾ تهلك ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ مرت عليه ﴿بِالْمَرِّ رِيًّا﴾ بإرادته(٣)، أي: كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلك رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقه، وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَسْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَكِنَهمُ﴾ كذلك ﴿كما جزيناهم﴾ تجزى القوم المجرمين غيرهم.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهمُ فِيمَا﴾ في الذي ﴿إِنْ﴾ نافية أو رائدة ﴿مَكَنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَبِهِ﴾ من القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ بمعنى أسماعا ﴿وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ قلوبا ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: شيئا من الإغناء، و«من» زائدة ﴿إِذْ﴾ معمولة ل«أغنى» واشترت معنى التعليل ﴿كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بحججه البينة ﴿وَوَاقَفَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿أي: العذاب﴾.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ﴾ أي: من أهلها؛ كشمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَفْنَا آلَاتِهِمْ﴾ كرنا الحجج البينات ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ هلا ﴿نَصْرُهُمْ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا

(١) فائدة: أخرج البحاري عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا رأى مجيئة في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء شوي عنه، فوفوه عائشة ذلك، فقال النبي ﷺ: «وما أدري بعل كما قال قوم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ الآية. البخاري. كتاب بدء الخلق (٥٩) باب (٥)، وكتاب التفسير (٦٥) - سورة الأحقاف (٤٦) باب (٢) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾.

(٢) في نسخة القاضي: «مطر أتاه».

(٣) الأمر غير الإرادة، وغير القدرة، وقد جرت عادة المصنف رحمه الله أن يفسر الأمر بذلك، وهذا مناه على مذهبه في كلام الله، أنه معنى نفسي لا يقبل التعدد، وهو خلاف مذهب السلف في أن الله عز وجل يتكلم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، ومن ذلك أنه يأمر بما شاء وكيف شاء ومتى شاء.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَبُوا لَنَا مِمَّا قُضِيَ وَلَوُا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿١﴾ قَالُوا إِنَّا نَقُومُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَاعْمُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ خَلْقَهُنَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَن يُخْجِيَ الْمَوْفِقَ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلْعًا فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧﴾

سورة الأحقاف

[٢٩] ﴿١﴾ «و» اذكر «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ» جن «نصيبين»^(١) باليمن، أو جن «الينوي»^(٢)، وكانوا سبعة^(٣) أو تسعة^(٤)، وكان يصلي بطن نخلة^(٥) يصلي بأصحابه الفجر. [رواه الشيخان] ﴿٢﴾ «يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا» أي: قال بعضهم لبعض: «أَنصَبُوا» أصغوا لاستماعه «فَلَمَّا قُضِيَ» فرغ من قراءته «وَلَوُا» رجعوا «إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ» مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهودا وقد أسلموا. [٣٠] ﴿٣﴾ «قَالُوا إِنَّا نَقُومُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا» هو القرآن «أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» أي: تقدمه؛ كالطهارة «يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ»

الإسلام «وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ» أي: طريقه. [٣١] ﴿٤﴾ «يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ» محمداً ﷺ إلى الإيمان «وَعَامِلُوا بِهِ» يَغْفِرُ اللَّهُ «لَكُمْ» يَنْ ذُنُوبِكُمْ» أي: بعضها؛ لأن منها المظالم، ولا تغفر إلا برضا أصحابها «وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» مؤلم. [٣٢] ﴿٥﴾ «وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ» أي: لا يعجز الله بالهرب منه، فيفوته «وَلَيْسَ لَهُ» لمن لا يجيب «مِمَّن دُونِهِ» أي: الله «أَوْلِيَاءُ» أنصار يدفعون عنه العذاب «أُولَئِكَ» الذين لم يجيبوا «فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» بين ظاهر.

[٣٣] ﴿٦﴾ «أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ خَلْقَهُنَّ» لم يعجز عنه «يَقْدِرُ» خبر «أَنَّ»، وزيدت الباء فيه؛ لأن الكلام في قوة^(٧): «أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ» «عَلَىٰ أَن يُخْجِيَ الْمَوْفِقَ بَلَىٰ» هو قادر على إحياء الموتى «يَوْمَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

[٣٤] ﴿٧﴾ «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ» بأن يعذبوا بها، يقال لهم: «أَلَيْسَ هَذَا» التعذيب «بِالْحَقِّ» قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ».

[٣٥] ﴿٨﴾ «فَاصْبِرْ» على أذى قومك «كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ» ذوو الشبث والصبر على الشدائد «وَمِنَ الرُّسُلِ» قبلك فتكون ذا عزم، و«من» للبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل: للتبعية^(٨) فليس منهم آدم؛ لقوله - تعالى -: «وَلَمْ يَجِدْ لَهُمْ عَزْمًا»^(٩) ولا يونس؛ لقوله - تعالى -: «وَلَا تَكُن كَصَلَاحِ الْكَاثِبِينَ»^(١٠) «وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» لقومك نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم، فأحب نزول العذاب بهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب؛ فإنه نازل لا محالة «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ» من العذاب في الآخرة، لطوله «وَلَمْ يَلْبِسُوا» في الدنيا في ظنهم «إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ»، هذا القرآن «بَلْعًا» تبليغ من الله إليكم «فَهَلْ» أي: لا «يَهْلِكُ» عند رؤية العذاب «إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ» أي: الكافرون.

- (١) «نصيبين» ليست باليمن، وإنما هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة، شمال العراق، على جادة القوافل من الموصل إلى الشام.
- (٢) مدينة قديمة، منها نبي الله يونس بن متى، وهي اليوم أطلال وآثار على الضفة اليسرى لنهر دجلة، مقابل مدينة الموصل من جهة الشرق، والنهر بينهما.
- (٣) أخرجه الطبري عن ابن عباس (١٣٥/٢٢).
- (٤) أخرجه الطبري عن زر بن حبیش (١٣٥/٢٢).
- (٥) في أكثر النسخ التي بأيدينا من المطبوع؛ «نخل»، والمثبت من نسخة القاضي، وهو الصحيح كما في صحيح البخاري، و«نخلته» هي نخلة البمانية، وهو موضع في الطريق إلى الطائف. أما «نخل» فهو موضع في نجد على بعد ليثين من المدينة؛ حيث صلى صلاة الخوف.
- (٦) البخاري (٧٧٣) ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس، وليس فيها أنها سبب لنزول هذه الآية.
- (٧) قوله: «في قوة»؛ «أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ»؛ جواب عما يقال: إن الباء لا تُزاد إلا في خبر «ليس» و«ما»، كما قال ابن مالك: وبعد «ما» و«ليس» جر الباء الخبر.
- (٨) قال ابن كثير: وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال؛ وأشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم؛ محمد ﷺ. اهـ. وقيل: إن الخلاف لفظي من حيث أصل العزم وكما؛ فكلهم أصحاب عزم، ولكنهم متفاوتون في ذلك.

(٩) ط: ١١٥.

(١٠) القلم: ٤٨.

(١)

سُورَةُ الْقِتَالِ

[مدنية، إلا: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرَيْبٍ﴾ الآية، أو: مكة،

وهي ثمان، أو: تسع وثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿وَصَدُّوا﴾ غيرهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الإيمان ﴿أَصْلَ﴾ أحبط ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يبرون لها في الآخرة ثواباً، ويُجزى بها في الدنيا، من فضله - تعالى (٢) -

[٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: الأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴿أَي: القرآن﴾ وَهُوَ لَقَدْ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ ﴿غُفِرَ لَهُمْ﴾ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ كَالَهُمْ ﴿حَالَهُمْ﴾، فلا يعصونه.

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلال الأعمال، وتكفير السيئات ﴿وَبِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ﴿الشَّيْطَانَ﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ ﴿القرآن﴾ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ ﴿أَي: مثل ذلك البيان﴾ بَضُرِبَ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلُهُمْ ﴿يَبِينُ أحوالهم﴾ أي: فالكافر يحبط عمله، والمؤمن لا يغفر له.

[٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ﴾ مصدر، بدل من اللفظ بفعله؛ أي: فاضربوا رقابهم؛ أي: اقتلوه، وعبر بضرب الرقاب؛ لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّى إِذَا أَتَخْتَرُّوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَضُدُّوا﴾ فأسكروا عنهم وأسرورهم، وشُدُّوا ﴿الْوَتَاكَ﴾ ما يوثق به الأسرى ﴿فَإِذَا مَتَّأ بَعْدُ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله؛ أي: تَثَوَّنْ عليهم، بإطلاقهم غير شيء ﴿وَبِمَا بَيْنَهُ﴾ تقادونهم بمال، أو: أسرى مسلمين ﴿حَتَّى تَضَعَ لُرَبِّي﴾ أي: أهلها ﴿أَوْرَاقَهَا﴾ أنقلها، من السلاح وغيره؛ بأن يُسلم الكفار، أو يدخلوا في العهد، وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوْ بَشَاءَ اللَّهِ لَانْتَصَرْتُمْ﴾ بغير قتال ﴿وَلَكِنْ﴾ أمركم به ﴿لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ منهم في القتال، فيصير من قُتِلَ منكم إلى الجنة، ومنهم إلى النار ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ وفي قراءة (٣) ﴿قَاتِلُوا﴾، الآية، نزلت يوم أحد (١)، وقد فُتِحَا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُبْذِلَ﴾ يحبط ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾.

[٥] ﴿سَيَبْرُهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، إلى ما ينفعهم ﴿وَيُضَيِّحُ كَالَهُمْ﴾ حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يُقْتَلْ، وأُدرجوا في «قتلوا» تغليظاً.

[٦] ﴿وَرَحْلُهُمْ لِحَنَّتْ رَعْفَهَا﴾ نَكَبَهَا ﴿لَهُمْ﴾ فيهدون إلى مساكنهم منها، وأزواجهم وخدمهم، من غير امتدلال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ ۖ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۖ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَرُّوهُمْ فَضُدُّوا أَلْوَتَاكُ فَإِنَّمَا مَتَّأ بَعْدُ وَإِنَّمَا يَضَعُ لُرَبِّي أَوْرَاقَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْخَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۖ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ۖ تَابَ إِلَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن سَضَرُوا اللَّهُ يَنْصُرُهُمْ وَيُنِيبُ أَقْدَامَهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَغَسَّاهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَالَهُمْ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۖ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۖ

[٧] ﴿تَابَ إِلَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إن نَصَرُوا اللَّهَ ﴿أَي: دينه ورسوله﴾ بِضَرْبِكُمْ ﴿على عدوكم﴾ وَنُيِّبَتْ أَقْدَامُكُمْ ﴿يُنِيبُكُمْ في المعترك﴾.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة، مبتدأ خبره: «تَعِشُوا» (٢)، يدل عليه: ﴿فَغَسَّاهُمْ﴾ أي: هلاكاً وخيبة من الله ﴿وَأَصْلَ أَعْمَالَهُمْ﴾ عطف على «تَعِشُوا».

[٩] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: العس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

[١٠] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ أي: أمثال عاقبة ما قبلهم.

[١١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نصر المؤمنين، وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَىٰ﴾ ونصر ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

(١) وتسمى أيضاً: سورة «بمحمد» ﷺ.

(٢) كما في حديث أنس عند مسلم وغيره مرفوعاً: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيقطع بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا قضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها». مسلم (٢٨٠٨).

(٣) للبيعة عدا حفص وأبي عمرو.

(٤) هنا قول ابن جريج؛ كما في الدر المنثور (٤٦١/٧)، ونسبه لابن المنذر، ونسبه البغوي لقتادة، وسنده ضعيف لإعضاله كما في الاستيعاب (٣/٢١٨).

(٥) أي: تقديره: «تَعِشُوا».

في عبادة الأوثان؛ أي: لا مائلة بينهما.

[١٥] ﴿مَثَلُ أَي: صفة ﴿الْحَنَّةِ﴾ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ المشتركة بين داخلها، مبتدأ خبره: ﴿فِيهَا أَنَّهُمْ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ عَيْنٍ﴾ بالمد والقصر^(١)؛ كضارب وخبره؛ أي: غير متغير، بخلاف ماء الدنيا، فيغير بعارض^(٢) ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ بخلاف لبن الدنيا، لخروجه من الضروع ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ حَمَلٍ لَدَقَ﴾ لذينة ﴿لِلشَّيْبِ﴾ بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ بخلاف عسل الدنيا؛ فإنه يخرج من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أصناف ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فهو راض عنهم، مع إحسانه إليهم بما ذكر، بخلاف سيد العبيد في الدنيا، فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم سائطاً عليهم ﴿كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: أمَّن هو في هذا النعيم ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً﴾ أي: شديد الحرارة ﴿فَقَطَّ أَعْمَاءَهُمْ﴾ أي: مصارينهم فخرجت من أديارهم، وهو جمع معنى بالقصر، وألفه عن باء؛ لقولهم: معيان^(٣).

[١٦] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿مَنْ يَسْتَعِزُّ بِكَ﴾ في خطبة الجمعة، وهم المنافقون ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ﴾ لعلماء الصحابة، منهم: ابن مسعود، وابن عباس^(٤)، استهزاء وسخرية: ﴿مَاذَا قَالَ إِنْفِئَا﴾ بالمد والقصر^(٥)؛ أي: الساعة؛ أي: لا نرجع إليه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في النفاق.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا﴾ وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هَذَى وَءَانَهُمْ نَقْوَهُمْ﴾ ألههم ما يتقون به النار.

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظرون؛ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بدن اشتغال من «الساعة» أي: ليس الأمر إلا أن تأتيهم ﴿بِنَفْثَةٍ﴾ فجأة ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها، منها بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان.

﴿فَأَنْ لِمَ إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ الساعة ﴿ذَكَرْتَهُمْ﴾ تذكرهم؛ أي: لا ينفعهم. [١٩] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: ذم يا محمد على علمك بذلك، النافع في القيامة ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾ لأجله، قيل له ذلك مع عصيته؛ لتستب به أمته، وقد فعله، قال ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة»^(٦) ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ متصرفكم لأشغالكم في النهار ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل؛ أي: هو عالم بجميع أحوالكم، لا يخفى عليه شيء منها، فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٣﴾ وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قُرَيْبِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكَهَا فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٤﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ مَثَلُ الْحَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنَّهُمْ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنَّهُمْ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغَيَّرْ طَعْمَهُ وَأَنَّهُمْ مِنْ حَمَلٍ لَدَقَ لِلشَّيْبِ وَأَنَّهُمْ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّ أَعْمَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ إِنْفِئَا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ نَقْوَتَهُمْ ﴿١٨﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٩﴾ فَاَعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿٢٠﴾

[١٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ منزل ومقام ومصير.

[١٣] ﴿وَكَايْنٍ﴾ وهم ﴿مِنْ قُرَيْبٍ﴾ أريد بها أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قُرَيْبِكَ﴾ مكة؛ أي: أهلها ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ روعي لفظ «قرية» ﴿أَهْلَكَهُمْ﴾ روعي معنى «قرية» الأولى ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ من إهلاكنا.

[١٤] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ﴾ حجة وبرهان ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهم المؤمنون ﴿كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ فراه حسناً، وهم كفار مكة ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

(١) بالقصر أي «أسن»، قراءة ابن كثير.

(٢) هي نسخة القاضي: «لعارض».

(٣) أي في تثنية.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره؛ قال ابن عباس: كنت ممن يسأل. وروي عن ابن عباس: يريد عبد الله بن مسعود. وقيل غير ذلك، وقال ابن زيد: إنهم الصحابة.

(٥) بالقصر أي «أنفا» فراءة البري بخلاف عنه.

(٦) أخرجه نحوه مسلم (٢٧٠٢) عن الأعر بن يسار مرفوعاً.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ طلباً للجهاد: ﴿لَوْلَا هَلَّا﴾ ﴿وَنَزَلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ﴾ أي: لم ينسخ منها شيء ﴿وَذَكَرَ فِيهَا الْفِتْنَالِ﴾ أي: طلبه ﴿وَنَزَلَتْ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي: شك، وهم المنافقون ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ الْعَيْنِ عَلَى مِنَ الْمَوْتِ﴾ خوفاً منه وكرهه له؛ أي: فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ مبتدأ، خبره: [٢١] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: حسن لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: فرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وجملة «لو» جواب «إذا».

[٢٢] ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين وفتحها^(١)، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب؛ أي: لعلكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تعودوا إلى أمر الجاهلية، من البغي والقتال^(٢).

[٢٣] ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المفسدون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعَمَّ أَبْصَارَهُمْ﴾^(٣) عن طريق الهدى.

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَلَمْ﴾ بل ﴿عَلَى قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَفْصَالُهَا﴾ فلا يفهمونه.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا﴾ باللفاق ﴿عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ﴾ أي: زين ﴿لَهُمْ﴾ [وَأَمْلَى] لَهُمْ بضم أوله ويفتحه واللام^(٤)، والمملي الشيطان بإرادته - تعالى -، فهو المضل لهم.

[٢٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي: للمشركين: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: المعاونة على عداوة النبي ﷺ، وتبسيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سبواً، فأظفهره الله - تعالى - ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ﴾ بفتح الهمزة جمع «سيرة»، وبكسرهما^(٥) مصدر.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ بِصُرُوتٍ﴾ حال من «الملائكة» ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ظهورهم بمقامع من حديد؟.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ۚ أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ ۚ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْصَالُهَا ۚ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۖ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ بِصُرُوتٍ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسْحَظَّ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ۖ فَاحْطَبُوا أَعْمَالَهُمْ ۖ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ۚ

اسْحَظَّ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ: أي: العمل بما يرضيه ﴿فَاحْطَبُوا أَعْمَالَهُمْ﴾. [٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ﴾ يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين؟.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت أرحم قطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك». ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ۚ أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ ۚ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْصَالُهَا؟». مسلم - كتاب البر والصلة (٤٥) باب (٦) صلة الرحم وتحريم قطعيتها.

(٢) بالكسر قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بفتح السين.

(٣) في نسخة القاضي: «القتل».

(٤) بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَمْلَى﴾ بفتح أوله واللام.

(٥) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة.

من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره، بالياء والنون^(١) في الأفعال الثلاثة^(٢).

[٣٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الحق ﴿وَشَاقُوا﴾ أَرَسُوا خالفوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَاهُمْ الْمُنْكَرَ﴾ هو معنى سبيل الله ﴿لَنْ يَصُرُوا﴾ الله شيئاً وَسَيَحْطِ أَعْمَلُهُمْ يطلها من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، نزلت في المطعمين من أصحاب بدر^(٣) أو: في قريظة والنضير^(٤).

[٣٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾ بالمعاصي^(٥) مثلاً.

[٣٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريقه، وهو الهدى ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَمَتَّ كَفَّارًا﴾ فلن يغفر الله لهم. نزلت في أصحاب القليب^(٦).

[٣٥] ﴿فَلَا تَهْتُوا﴾ تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ بفتح السين وكسرها^(٧)؛ أي: الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ حذف منه واو لام الفعل: الأغلبون القاهرون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر^(٨) ﴿وَلَنْ يَرْكُزَ﴾ ينقصكم ﴿أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: ثوابها.

[٣٦] ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لَوَبٌّ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ الله وذلك من أمور الآخرة ﴿يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ جميعها، بل الزكاة المفروضة فيها.

[٣٧] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ فَيَخْفِكُمْ﴾ يبالغ في طلبها ﴿تَبْخُلُوا﴾ وتخرج البخل ﴿أَصْعَدَكُمْ﴾ لدين الإسلام.

[٣٨] ﴿هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِشِفَاقِهِمْ﴾ في سبيل الله ما فرض عليكم ﴿فَيَنْكُم مِّنْ يَّبْخَلُ وَمَن يَّبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ﴾ يقال: بخن عليه وعنه ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عن نفقتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يجعلهم بدلاً لكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾^(٩) في التولي عن طاعته، بل مطيعين له ﴿فَلْيَلَّ﴾

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَفَعَلْتَهُمْ بِسَمِئِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّيِّينَ وَتَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَصُرُواْ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَحْطِ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُواْ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهْتُواْ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَلَهُوَ إِنْ تُوْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ هَا فَيَخَفْكُمْ تَبْخُلُواْ وَيُخْرِجْ أَصْعَادَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِشِفَاقِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَنْكُم مِّنْ يَّبْخَلُ وَمَن يَّبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُواْ أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ﴾ عَرَفْنَا كَهَمُ، وكررت اللام في: ﴿فَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ بِسَمِئِهِمْ علامتهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: معناه إذا تكلموا عندك، بأن يَمُوضُوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾.

[٣١] ﴿وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ﴾ نخبركم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّى تَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّيِّينَ﴾ في الجهاد وغيره ﴿وَتَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ﴾

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً هذه الآية: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَفَعَلْتَهُمْ بِسَمِئِهِمْ وَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ في لحن القول. قال: هذا وقومه، هذا وقومه، الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٧) ومن سورة محمد. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٨).

(٢) بالياء قراءة شعبة في الأفعال الثلاثة: أي: «للبلوونكم»، و«لبلو»، وقرأ بقية السبعة في الأفعال الثلاثة، بالنون.

(٣) في نسخة: «في ثلاثتهم»، والأفعال الثلاثة هي: «للبلوونكم»، «وتعلم»، و«تبلو»، من هذه الآية.

(٤) هذا قول ابن عباس، كما في تفسير البغوي، أي الذين أطعموا قراء أهل مكة، الذين خرجوا لقتال المسلمين فيها.

(٥) ذكره الواحدي كما في زاد المسير.

(٦) ليست كل معصية مبذلة للأعمال الصالحة، بل منها ما يطلها جميعها كالردة، ومنها ما يطل بعضها كالرياء في أصل العن، ومنها ما لا يطل شيئاً.

(٧) «القليب»: هو بحر في «بدر»، ألقي فيه قتلى الكفار في معركة بدر. وظاهر الآية العموم وإن كان السبب خاصاً، كما قال الشوكاني في فتح القدير.

(٨) بالكسر قراءة شعبة وحزمة.

(٩) وهذا من لوازم معيته. شبهته. الخاصة بعاده المؤمنين، وحقيقتها الصحة اللاتقة، ولا تنافي بينها وبين كونه مستوثاً على عرشه دائماً من خفة، فكلاهما حق.

سُورَةُ الْفَتْحِ

[مدنية، تسع وعشرون آية،

نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا بفتح مكة^(١) وغيرها، في المستقبل غنوة بجهادك ﴿فَتَحًا مُبِينًا﴾ بَيِّنًا ظاهرًا. [٢] ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ﴾ بجهادك ﴿مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ منه، لتزهد أمثك في الجهاد، وهو مؤول؛ لعصمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بالدليل العقلي القاطع من الذنوب، واللام للعلة الغائية، فمدخولها مسبب لا سبب^(٢) ﴿وَيُنَبِّئُكَ﴾ بالفتح المذكور ﴿بِغَنَمَتِهِ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ﴾ به ﴿صِرَاطًا﴾ طريقًا ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ يثبتك عليه، وهو دين الإسلام. [٣] ﴿وَيُضِرُّكَ اللَّهُ﴾ به ﴿نَصْرًا غَيْرَ رَافٍ﴾ ذا عِزٍّ لا ذل له. [٤] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِيدُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ بشرائع الدين، كلما نزل واحدة منها آمنوا بها، ومنها الجهاد ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك. [٥] ﴿لِيُذِلَّ﴾ متملق محذوف، أي: أمر بالجهاد ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣). [٦] ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَنَفِّقِينَ وَالْمُتَنَفِّقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَلَمَ النَّسْوَ﴾ بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة^(٤)؛ ظنوا أنه لا ينصر محمدًا ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ النَّسْوَ﴾ بالذل والعذاب ﴿وَعَذَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ مرجعًا. [٧] ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَرِيبًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك.

(١) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلهجه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: تكلمت أم عمر عمر، تزوت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن يزل في القرآن، فما نشيت أن سمعت صرخاً يصرخ بي. فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجلت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال: «لقد أنزل علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفتح (٤٨) باب (١).

وأخرج أيضاً عن سهل بن حنيف قال: أبها الناس اتهموا أنفسهم، فانا كنا مع النبي ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر ابن الخطاب فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: «بلى». فقال: أليس قتالنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: «بلى». قال: فعلام نطعمي الدنيا؟ أترجع ولا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً»، فانطلق عمر لي أي بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً. فنزلت سورة الفتح، فقرأها رسول الله ﷺ على عمر، فقال عمر: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم. البخاري - كتاب الجزية والمواذعة (٥٨) باب (١٨).

وأخرج أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً... حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي وقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوز المطافيل، قد ليسوا جلود النمرور يهادنون الله أن لا تدخلها عليهم غنة أبداً... فأناب سهل بن عمرو، فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»... حتى إذا كان بين يدي مكة والمدينة في وسط الطريق، فنزلت سورة الفتح. أحمد في مسنده (٣٢٦/٤). وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: لما انصرفنا من غزوة الحديبية، قال رسول الله ﷺ: «من يحرسنا الليلة؟» قال عبد الله أأنا... ونزلت على رسول الله ﷺ سورة الفتح. أحمد - المسند (٣٩١/١)، وقال أحمد شاكر: (إسناده صحيح (٣٧١٠)).

(٢) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك قال: نزلت على النبي ﷺ: ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض» ثم قرأها النبي ﷺ عليهم. فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله، قد بين الله لك ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِيُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حتى سمع ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٩) ومن سورة الفتح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٠١).

(١) الراجح أن المراد بانفتح هنا هو صلح الحديبية.

(٢) قال أبو السعود في تفسيره ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ﴾: «غاية للفتح، من حيث إنه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام في إغلاء كلمة الله - تعالى -، بمكابدة مشاق الحروب، وإقحام موارد الخطوب. مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ»: أي جميع ما فرط منك من ترك الأولى. وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل.

(٣) ما سبق قلم من انصف رحمه الله، فهذه الآية، والموضع الثاني في الآية (١٢) من هذه السورة، وهو قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ لَكَ النَّسْوَ﴾؟ يس فيها إلا فتح السين باتفاق القراء. وليس فيها ضمها باتفاقهم. وأما الضم والفتح، ففي قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ النَّسْوَ﴾ فقط؛ بفتح السين وضمها، والضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَفَّ فَإِنَّمَا يَتَكَبَّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ طَنَنَّاكَ لِنَ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَطَنَّاهُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِكُمْ لِتَأْخُذُوا هَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَمُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾

[١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة؛ أي: الذين خلفهم الله عن صحبتك، لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة، خوفًا من تعرض قريش لك عام الحديبية، إذا رجعت منها: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله، من ترك الخروج معك، قال - تعالى - مكذبًا بهم: ﴿يَقُولُونَ بِآلِسَتِهِمْ﴾ أي: من طلب الاستغفار وما قبله ﴿تَنَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴿بِفَتْحِ الضَّادِ وَضَمِّهَا﴾ ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿أَي: بِمَ يَزِلْ مَتَصِفًا بِذَلِكَ﴾.

[١٢] ﴿بَلْ﴾ في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر ﴿طَنَنَّاكَ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: أنهم يُسْتَأْصَلُونَ بالقتل، فلا يرجعون ﴿وَطَنَّاهُمْ ظَنَ السَّوءِ﴾ هذا وغيره ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ جمع بائر؛ أي: هالكين عند الله بهذا الظن.

[١٣] ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ نَارًا شديدة.

[١٤] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفًا بما ذكر.

[١٥] ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون: ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِكُمْ﴾ هي مغامير خيبر ﴿لِتَأْخُذُوا هَا ذُرُونَا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنأخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ وفي قراءة (٧): ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ بكسر اللام؛ أي: مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل عودنا ﴿فَمُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الذين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم.

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَفَّ فَإِنَّمَا يَتَكَبَّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ طَنَنَّاكَ لِنَ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَطَنَّاهُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِكُمْ لِتَأْخُذُوا هَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَمُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾

[٨] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على أمتك في القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لهم في الدنيا بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا، مُحَوِّفًا فيها مَنْ عمل سوءًا بالنار.

[٩] ﴿إِنِّيُؤْمِنُ﴾ يَأْتِيهِ وَرَسُولُهُ ﴿بِالْبَيِّاتِ وَالتَّاءِ﴾، فيه وفي الثلاثة بعده ﴿وَيُغْفِرُ لَهُ﴾ ينصروه، وقرئ: ﴿بِرَايِنَ﴾ مع الفوقانية ﴿وَيُؤْفِقُهُ﴾ يعظمه، وضميرها هو أو لرسوله ﴿وَيُسَبِّحُوهُ﴾ أي: لله ﴿بُحْرَةً وَأَصِيلًا﴾ بالغداة والعشي.

(١) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

(٢) أي شذوذًا.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) وهذا تفسير باللازم، ولا يمنع ذلك من إثبات اليد حقيقة لله ﴿يُفْقِرُ﴾ على ما يليق به، كما هو مذهب أهل السنة.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) لحمزة والكسائي.

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولَىٰ بِأَيْسٍ شَدِيدٍ
تَقْبَلُونَهُمْ أَوْ يُسَامَوْنَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَلَنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يَعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٦ لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ
وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّى يَعْذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ١٧ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ١٨ وَمَعَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٩ وَعَدَّ اللَّهُ
مَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَلَكَ آيَاتِي
الَّتِي عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ٢٠ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٢١ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْلَا أَلَّا تَرْتُمُوا لَيَجِدُنَّ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ٢٢ سَنَّةَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٢٣

[١٦] ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ المذكورين؛ اخبارًا: ﴿سُدُّوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولَىٰ﴾ أصحاب ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قيل: هم بنو حنيفة أصحاب البعثة، وقيل: فارس والروم ﴿تَقْبَلُونَهُمْ﴾ فلا تقاتلون ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وَلَنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يَعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلًا.

[١٧] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ في ترك الجهاد ﴿وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالباء والنون (١) ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّى يَعْذِبْهُ﴾ بالباء والنون (٢) ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحدادية ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ هي سمرة، وهم ألف وثلاثمائة أو أكثر، ثم بايعهم على أن يناجزوا قريبًا وأن لا يفروا من الموت ﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، بعد انصرافهم من الحديبية.

[١٩] ﴿وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من خير ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢٠] ﴿وَعَدَّ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَلَكَ آيَاتِي الَّتِي عَنْكُمْ﴾ في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود، فغذف الله في قلوبهم الرعب ﴿وَلِتَكُونَ﴾ أي: المعجزة، عطف على مقدره: أي: لتشكروه ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: طريق التوكل عليه، وتقويض الأمر إليه - تعالى ..

[٢١] ﴿وَأَنْتَرَىٰ﴾ صفة «معانم» مقدراً، مبتدأ ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ هي من فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢٢] ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالحدادية ﴿لَوْلَا أَلَّا تَرْتُمُوا لَيَجِدُنَّ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾.

[٢٣] ﴿سَنَّةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، من هزيمة

الكاافرين ونصر المؤمنين؛ أي: سن الله ذلك سنة ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

(١) بالنون قراءة نافع وابن عامر.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن عامر.

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ
 بَعْدَ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٤﴾
 هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 وَالْهَدَىٰ مَعَكُمُوًّا أَنْ يَبْلُغَ مَجْلَهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ
 مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُنَّ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فُصِّصَ لَكُمْ مِنْهُم مَّعَرَّةٌ
 بَعِيرٌ عَلِيمٌ لِّدُخُلِ اللَّهِ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
 عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ
 وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٦﴾
 لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
 الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِلِينَ فِيهِ مُخْلِصِينَ لَهُمْ مِنْكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
 لَا يَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ
 فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
 الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٨﴾

[٢٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾
 بالحدبية ﴿وَبَعْدَ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم؛
 ليصيبوا منكم فأجذوا وأتى بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلي سبيلهم،
 فكان ذلك سبب الصلح ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ بَصِيرًا﴾ بالباء والياء والناء^(١)؛
 أي: لم يزل متصفاً بذلك. [٢٥] ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ﴾ أي: عن الوصول إليه ﴿وَالْهَدَىٰ﴾ معطوف على «كم»^(٢)

﴿مَعَكُمُوًّا﴾ محبوباً حال ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَجْلَهُ﴾ أي: مكانه الذي ينحر فيه عادة،
 وهو الحرم، بدل اشتمال ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ موجودون
 بمكة مع الكفار ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ أي: تقتلوهم
 مع الكفار، لو أذن لكم في الفتح، بدل اشتمال من «هم» ﴿فُصِّصَ لَكُمْ مِنْهُمْ
 مَّعَرَّةٌ﴾ أي: إثم ﴿بَعِيرٌ عَلِيمٌ﴾ منكم به، وضمان الغيبة للصنفين بتغليب
 الذكور، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف؛ أي: لأذن لكم في الفتح، لكن لم يؤذن
 فيه حينئذ ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كل المؤمنين المذكورين ﴿لَوْ
 تَزَيَّلُوا﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة
 حينئذ، بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ متعلق بـ﴿عَذَّبْنَا﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل ﴿فِي
 قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ بدل من «الحمية»،
 وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ
 رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم
 من الحمية ما لحق الكفار، حتى يقاتلوهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ أي: المؤمنين
 ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلى التقوى؛
 لأنها سببها ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ عطف
 تفسيري ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك، ومن
 معلومه - تعالى - أنهم أهلها. [٢٧] ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾
 رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو
 وأصحابه، آمين ويحلون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما
 خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض
 المنافقين نزلت، وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿صَدَّقَ﴾، أو حال من
 ﴿الرُّؤْيَا﴾ وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾
 للترك ﴿وَأَمِينِينَ مُخْلِصِينَ لَهُمْ مِنْكُمْ﴾ أي: جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض
 شعورها، وهما حالان مقدرتان ﴿لَا يَخَافُونَ﴾ أي: لا يترددون في الصلح
 ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الصلاح ﴿وَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: الدخول
 ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل.

[٢٨] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ أي:
 دين الحق ﴿وَعَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾
 أنك مرسل بما ذكر.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون عرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلفاً
 فاستباحهم، فأرسل الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾. وكان الله ﷻ يما تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٦)
 (وهو الذي كف أيديهم عنكم).

وأخرج مسلم أيضاً عن سلمة بن الأكوع قال: ... فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واخلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسخت [أي كسخت] شوكها فاضطجعت في أصلها. قال: فأتاني أربعة
 من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يبعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلفوا سلاحهم واضطجعتوا، فبينما هم كذلك؛ إذ نادى مناد: يا للهاجرين؛ قل ابن
 زعيم. قال: فاخرطت سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم. فجعلته صيفاً [خزماً] في يدي. قال: ثم قتلت. والذي كرم وجهه محمد، لا يرفع أحد منكم رأسه،
 إلا صربت الذي فيه عينه. قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثأفه» فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وأرسل الله: ﴿وَهُوَ
 الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ الآية. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٥) غزوة ذي قرد وغيرها.

وأخرج البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان في حديث طويل، وفيه قصة أبي بصير وتربسه ومن أوى إليه من المسلمين حتى لا يردهم المسلمون إلى قريش - كما في شروط صلح الحديبية -
 وقطعهم الطريق على قوافل قريش وغيرها. فُرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لئلا أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأرسل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ
 عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾... الآية. البخاري. كتاب الشروط (٥٤) - باب (١٥) الشروط في الجهاد. قال الحافظ: ووظاهره أنها نزلت في شأن أبي بصير. وفيه نظر. والمشهور في سبب نزولها ما
 أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ومن حديث أنس بن مالك الفتح (٤١٤/٥).

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَاجِدًا يُسَبِّحُونَ فَضْلًا إِنَّ اللَّهَ وَرِضْوَانًا سَمِيحًا
فِي وَجْهِهِمْ مَنْ أَرَادَ السُّجُودَ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
الْإِنجِيلِ كَرَزَجٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُ فَفَارَزَهُ فَاَسْتَغْلَطَ فَاسْتَوَى
عَلَى سَوَاقِهِ يَعِجِبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١﴾

سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْطَأَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴿٤﴾ أي: لتظهر منهم ﴿٥﴾ لهم
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ الجنة. [٤] ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة
والنبي ﷺ في منزله فنادوه: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ يَنَادُوكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾
حجرات نسائه ﷺ، جمع حجرة، وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط
ونحوه، وكان كل واحد منهم نادى خلف حجرة - لأنهم لم يعلموه في أي
حجرة - مناداة الأعراب بعلظة وجفاء^(١) ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ - فيما
فعلوه - محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم.

[٢٩] كما قال الله - تعالى -: ﴿مُحَمَّدٌ﴾ مبتدأ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبره
﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: أصحابه من المؤمنين، مبتدأ، خبره: ﴿أَشِدَّاءُ﴾ غلاظ
﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ خبر ثان؛ أي: متعاطفون
متوادون، كالولد مع الولد ﴿تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَاجِدًا﴾ حالان
﴿يُسَبِّحُونَ﴾ مستأنف يطلبون ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَمِيحًا﴾ علامتهم،
مبتدأ ﴿فِي وَجْهِهِمْ﴾ خبره، وهو نور وياض يعرفون به في الآخرة أنهم
سجدوا في الدنيا^(١) ﴿مَنْ أَرَادَ السُّجُودَ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر؛ أي: كائنه،
وأعرب حالاً من ضميره المنقول إلى الخبر ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف المذكور
﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم، مبتدأ ﴿فِي التَّوْبَةِ﴾ خبره ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ﴾
مبتدأ، خبره: ﴿كَرَزَجٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُ﴾ بسكون الطاء وفتحها^(٢)؛ فراحه^(٣)
﴿فَارَزَهُ﴾ بالمد وانقصر^(٤)؛ قواه وأعانه ﴿فَاَسْتَغْلَطَ﴾ غلظ ﴿فَاَسْتَوَى﴾
قوي واستقام ﴿عَلَى سَوَاقِهِ﴾ أصوله، جمع ساق ﴿يَعِجِبُ الزَّرَّاعُ﴾ أي: زراعه؛
لحسنه، مثل الصحابة - رضي الله عنهم - بذلك؛ لأنهم بدلوا في قلة وضعف،
فكثروا وقوّوا على أحسن الوجوه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾^(٥) متعلق بمحذوف دل
عليه ما قبله؛ أي: شهبوا بذلك ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾
الصحابة، و«من» لبيان الجنس لا للتبعض؛ لأنهم كلهم بالصفة المذكورة
﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الجنة، وهما^(٦) لمن بعدهم - أيضاً - في آيات.

سورة الحجرات

[مدينة، ثمان، عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾ من قَدَمَ بمعنى تقدم؛ أي: لا
تقدموا يقول ولا فعل ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه؛ أي: بغير إذنهما
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِمَ﴾ بفعلكم، نزلت في مجادلة أبي
بكر وعمر - رضي الله عنهما - على^(١) النبي ﷺ في تأمير الأعرع بن حابس أو
القعقاع بن معبد^(٢)، [٢] ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ إذا نطقتم ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إذا نطق^(٣) ﴿وَلَا
تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ إذا ناجيته ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بل دون ذلك
إجلالاً له ﴿أَن تَحْطَأَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: خشية ذلك بالرفع والجهر
المذكورين^(٤)، [٣] ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر
وعمر^(٥) وغيرهما^(٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٢، ١): أخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: أنه قدم ركب من بني قحيم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زبيرة، فقال عمر: بل أمر الأعرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافتك، فصاريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ حتى انقضت -

(١) الظاهر أن المراد بالسبب ما علامتهم في الدنيا، وإن كانوا في الآخرة كذلك يعرفون بالمرء المحجلين، قال بعض المفسرين: أي قد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطهم استنارت بالجلال طواهرهم. (٢) بالفتح قراءة ابن كثير وابن ذكوان. (٣) الشطط: فرخ النخل. (٤) بانقصر قراءة ابن ذكوان.

(٥) استنبط الإمام مالك من هذه الآية تكفير الشيعة والروافض الذين يعضون الصحابة رضي الله عنهم؛ فإنهم يخطونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، ووافقه كثير من العلماء. انتهى من «المواهب» نقل عن روح المعاني للأرسي. (٦) أي: المغفرة والأجر العظيم؛ لمن بعدهم من المؤمنين. (٧) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي حاشية الجمل والصاروي: «الأولى أن يقول: «عد النبي، وفي نسخة القاضي: «عده». (٨) البخاري (٤٣٦٧، ٤٨٤٧). (٩) أي: حين بلغها النبي عن رفع الصوت؛ فصاروا بخفض أصواتهم عند النبي ﷺ، كما قال ابن الزبير عند البخاري (٤٨٤٥): فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه. (١٠) لعله يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع لبيان (٧٥/٢٦)، والطبراني في الكبير (٦٨/٢) رقم (١٣١٦)، والهشيمي في الجمع (٣٢١/٩) أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس. وإسناده ضعيف كما ذكر في الاستيعاب (٢٦١/٣).

(١١) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامعه (٧٧/٢٦)، والطبراني في الكبير (٨٧٨/١) وغيرهما عن الأعرع بن حابس أنه أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، اخرج إلينا، فلم يجبه، فقال: يا محمد، إن حدي زين، وإن ذمي شين؛ فقال ﷺ: «ذاك الله؛ فأقر الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ يَنَادُوكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. وأخرجه أحمد في مسنده مختصراً؛ دون ذكر أنه سب نزول الآية. وصححه في الاستيعاب (٢٦٣/٣).

عنهم: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فَاسْقُوا مِنْهُم مِّنْ مَّاءٍ﴾ خبر ﴿فَتَصَيَّبُوا﴾ صدقه من كذبه، وفي قراءة (٤): ﴿فَتَصَيَّبُوا﴾ من الثبات، ﴿أَنْ تُصَيَّبُوا قَوْمًا﴾ مفعول له؛ أي: خشية ذلك ﴿فَتَصَيَّبُوا﴾ حال من الفاعل؛ أي: جاهلين ﴿فَتَصَيَّبُوا﴾ تصيروا ﴿عَلَىٰ مَا قُلْتُمْ﴾ من الخطأ بالقوم ﴿وَنَذِيرِينَ﴾ وأرسل ﴿فَتَصَيَّبُوا﴾ إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالداً، فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبي بذلك (٥).

[٧] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ فلا تقولوا الباطل، فإن الله يخبره بالخال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع، فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ لأنتم دونهم؛ إنتم التائبون إلى المرتب ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ﴾ الآية ﴿وَرَزَمَكُمْ﴾ حسنه ﴿فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْظُلُمَانَ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ؛ لأن من حُب إليه الإيمان... إلخ، غايرت صفته صفة من تقدم ذكره ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿الرَّاشِدُونَ﴾ التائبون على دينهم.

[٨] ﴿فَضَلَّ مِنْ اللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر؛ أي: أفضل ﴿وَيَعْمَلُ مِنْهُ﴾ والله عليه بهم ﴿حِكْمَةً﴾ في إنعامه عليهم.

[٩] ﴿وَلَا تَأْتِيَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حمازاً، ومر على ابن أبي، فبال حمازاً، فسد ابن أبي أنفه، فقال ابن رواحة: والله لبول حمازة أطيب ريحاً من مسكك؛ فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف (١) ﴿أَقْتَتَلُوا﴾ جمع؛ نظراً إلى المعنى؛ لأن كل طائفة جماعة، وقرئ (٧): ﴿أَقْتَتَلُوا﴾ فاصليحوا بينهما، ثم نظراً إلى اللفظ ﴿فَإِنْ بَعَثَ﴾ تعدت ﴿يَحْدِثُهَا عَلَى الْأُخْرَىٰ قَتِيلًا﴾ التي تَبَيَّنَ حَقَّ قِيَّتِهِ ﴿تَرْجِعَ﴾ إلى أمر الله ﴿الْحَقُّ﴾ فَإِنْ قَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْقَدْلِ بِالْإِنْصَافِ وَأَقِسطُوا اعْدِلُوا، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٢).

[١٠] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا تنازعا، وقرئ (٨): ﴿وَإِخْوَتُكُمْ﴾ بالفوقانية ﴿وَأَقْرَبُوا اللَّهَ لَمَلَكُكُمْ رُحُومًا﴾.

[١١] ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ الآية، نزلت في وفد تميم حين سخروا من قراء المسلمين؛ كعمار، وصهيب (٩)، والسخرية: الإزدراء والاحتقار ﴿قَوْمٌ﴾ أي: رجال منكم ﴿مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ عند الله ﴿وَلَا يَسَاءُ﴾ منكم ﴿مِنْ يَسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا تعيبوا قتلها؛ أي: لا يعب بعضهم بعضاً ﴿وَلَا تَنَابَرُوا﴾

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فَاسْقُوا مِنْهُم مِّنْ مَّاءٍ يُصَيَّبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتَصَيَّبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَذِيرِينَ ﴿١٣﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ لَا يَمُنُّ ذِي ظُلْمٍ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿١٤﴾ فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَفِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَتَقْتُلُوا أَلَا تَتَّبِعِينَ إِلَىٰ اللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَكُمْ وَاحِدٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقِسطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فَاسْقُوا مِنْهُم مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنْ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَنَابَرُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّسَانِ يَسُرُّ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٨﴾

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ أنهم في محل رفع بالابتداء، وقيل: فاعل لفعل مقدر؛ أي: ثبت (١) ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب منهم. [٦] ونزل في الوليد بن عتبة، وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مُضِدِّقًا، فخافهم؛ لثرة (٢) كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة وهما يقتله، فهم النبي ﷺ بغزوهم (٣)، فجاءوا منكرين ما قاله

الآية. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجرات (٤٩) باب (٢) وأخرج البخاري أيضاً عن ابن أبي مليكة، قال: كاد الحيران أن يهلكا؛ رفع أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم؛ فأشار أحدهما بالأفزع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر. قال نافع: لا أحفظ اسمه. فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، فارتفعت أصواتهما في ذلك؛ فأقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فَاسْقُوا مِنْهُم مِّنْ مَّاءٍ يُصَيَّبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتَصَيَّبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَذِيرِينَ﴾ ولا تجهلوا ثم بالقول كجهل بعضكم ببعض أن تحبط أعمالكم وأنشر لا تشكرونها. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجرات باب (٣).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرج البخاري عن أنس من مالك قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمازاً، فانطلق المسلمون يمشون معه. وهي أرض سخة. فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمازك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لعمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه فشمته، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجرید والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أنزلت: ﴿وَلَا تَأْتِيَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾. البخاري. كتاب الصلح (٥٢) باب (١) ما جاء في الإصلاح بين الناس.

- (١) أي: ثبت صبرهم.
(٢) روي ذلك من حديث جابر بن عبد الله، كما عند الطبراني في الأوسط (١٣٣/٤)، ١٣٤ رقم (٣٧٩٧)، والهيتمي في الجمع (١١٠/٧) وقال: «وفيه عبد الله بن عبد القدوس التميمي، وقد صغفه الجمهور وولفه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات». وضعفه في الاستيعاب (٢٧٦/٣). وقد جاء من عدة طرق ذكرها الطبري والسيوطي وغيرهما، حسن بعضها صاحب الاستيعاب (٢٧٥/٣).
(٣) لحزمة والكسائي.
(٤) روي ذلك عن قتادة، ذكره الطبري في جامعه (٧٩/٢٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥٨/٧)، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٢٧٧/٣).
(٥) أخرج نحوه البخاري (٢٩٩١) ومسلم (١٧٩٩) عن أنس بن مالك. وليس فيه ذكر لبول ولا اسك.
(٦) أي: شذوذ.
(٧) أي: شذوذ.
(٨) روي ذلك عن مقاتل، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٣/٧)، ونسبه لابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإعضائه، كما في الاستيعاب (٢٨٢/٣).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ
إِنَّمَا ظَنٌّ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَحْسَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيَحْبُ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلَيْتُكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ
عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيْمَنِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

[١٧] ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ من غير قتال، بخلاف غيرهم من أسلم
بعد قتاله منهم ﴿قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ﴾ منصوب بنزع خافض «الباء»،
ويقدر قبل «أن» في الموضعين^(٤) ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيْمَنِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم: أمانة.
[١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ما غاب فيها ﴿وَاللَّهُ
بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء^(٥) لا يخفى عليه شيء منه.

يَا أَتَقْبُ ﴿لا يَدْخُ بعضكم بعضاً بقلب يكرهه؛ ومنه: يا فاسق، يا كافر
﴿يَسْ أَلَيْسَ﴾ أي: المذكور من السخرية^(١) واللمز والتناير ﴿الْفُسُوقُ بَعْدَ
الْإِيْمَنِ﴾ بدل من الاسم، لإفادة أنه فسق، لتكرره عادة ﴿وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ مِنْ
ذَلِكَ﴾ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ^(٢).

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي:
مؤثم، وهو كثير، كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين، وهم كثير، بخلافه
بالفساق منهم، فلا إثم فيه، في نحو ما يظهر منهم ﴿وَلَا تَحْسَبُوا﴾ حذف
منه إحدى التائين؛ لا تتبعوا عورات المسلمين ومعانيهم، بالبحث عنها ﴿وَلَا
يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ لا يذكره بشيء يكرهه، وإن كان فيه ﴿أَيَحِبُّ
أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٣)، أي: لا
يَحْسَبُ به ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: فاعتباه في حياته كأكل لحمة بعد مماته، وقد
عرض عليكم الثاني فكرهتموه، فآكروها الأول ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: عقابه في
الاعتباب، بأن تتوبوا منه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ قابل توبة التائبين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.
[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا﴾ جمع شعب بفتح الشين، هو أعلى طبقات النسب ﴿وَقَبَائِلَ﴾ هي
دون الشعوب، وبعدها: العماير، ثم البطون، ثم الأخخاذ، ثم الفصائل آخرها.
مثاله: خزمية: شعب، كنانة: قبيلة، قريش: عمارة - بكسر العين -، قصي:
بطن، هاشم: فخذ، العباس: فصيلة ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ حذف منه إحدى التائين؛
ليعرف بعضكم بعضاً، لا لتفاحروا بعلو النسب، وإنما للفخر بالتقوى ﴿إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ﴾ أي: بكم ﴿خَيْرٌ﴾ بيوافقكم.

[١٤] ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ نفر من بني أسد: ﴿آمَنَّا﴾ صدقنا بقلوبنا
﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ انقدنا ظاهراً ﴿وَلَمَّا﴾ أي: لم
﴿يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ إلى الآن، لكنه يتوقع منكم ﴿وَأِنْ طِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ﴾ بالإيمان وغيره ﴿لَا يَلَيْتُكُمْ﴾ بالهمز، وتركه، وبإبداله ألفاً^(٣) لا
ينقصكم ﴿وَمِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيْئًا﴾ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ
رَّحِيمٌ﴾ بهم.

[١٥] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الصادقون في إيمانهم، كما صرح به بعد
﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكوا في الإيمان ﴿وَجَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاهدوهم بظهور صدق إيمانهم ﴿أُولَئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم، لا من قالوا: آمنا، ولم يوجد منهم غير الإسلام.

[١٦] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ مُضَعَّفٌ عَلِيمٌ بمعنى شعر؛
أي: أنشعرونا بما أنتم عليه في قولكم: آمنا؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٥) ما حاء في نزول الآية (١١): أخرج أبو داود عن أبي جبرية بن لضحاك قال: فبنا نزلت هذه الآية؛ في بني سلمة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِالْأَلْقَابِ يَسْ أَلَيْسَ﴾ بَعْدَ الْإِيْمَنِ. قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان وثلاثة، فجعل النبي ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله! إنه بغضب من هذا الاسم، فانزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِالْأَلْقَابِ﴾. أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (٧١) في الألقاب. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٤١٥١).

(١) في نسخة القاضي: «الشخر».

(٢) بالتشديد قراءة نافع.

(٣) قرأ أبو عمرو بهززة ساكنة بين الياء واللام، ويبدل منها ألفاً إذا سهل كل همزة ساكنة، وقرأ بقية السبعة: ﴿لَا يَلَيْتُكُمْ﴾.

(٤) أي: في «أن أسلموا»، وأن هذا كما.

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

سُورَةُ ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ لَوْ نَادَمْتُنَا وَكَانَ زَابًا ذَلِكْ رَجَعُ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْبٌ حَفِيفٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝ أَفَأَمَرَ بَظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْعَبَ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝

سُورَةُ ق

[مكية، إلا: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» الآية، فمدنية، خمس وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «ق» الله أعلم بمراده به «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» الكريم، ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ.
[٢] «بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار

بعد البعث «فَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا» الإنذار «شَيْءٌ عَجِيبٌ».

[٣] «لَوْ نَادَمْتُنَا وَكَانَ زَابًا» بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(١) «وَمَنْ نَادَمْتُنَا وَكَانَ زَابًا» نرجع «ذَلِكَ رَجَعٌ بَعِيدٌ» في غاية البعد.
[٤] «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ» تأكل «مِنْهُمْ» رَعْدَنَا كَنْبٌ حَفِيفٌ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة.

[٥] «بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ» بالقرآن «لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ» في شأن النبي ﷺ والقرآن «فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ» مضطرب؛ قالوا مرة: ساحر وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن وكهانة.

[٦] «أَفَأَمَرَ بَظُرُوا» يعيرونهم، معتبرين بقولهم، حين أنكروا البعث «إِلَى السَّمَاءِ» كائنة «فَوْقَهُمْ» كَيْفَ بَيَّنَّهَا «بَلَا عَمْدَ» وَزَيَّنَّهَا «بِالْكَوَاكِبِ» وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ «شقوق نعيمها».

[٧] «وَالْأَرْضِ» معطوف على موضع «إِلَى السماء»، كيف «مَدَدْنَاهَا» دحونها على وجه الماء^(٢) «وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ» جبالاً بنتبتها «وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ» صنف «بَهِيجٍ» يُفْعَلُ به؛ لحسنه.

[٨] «تَبَصَّرَةٌ» مفعول له؛ أي: فعلنا ذلك؛ تبصيراً منا «وَذَكَرَى» تذكيراً «لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» راجع إلى طاعتنا.

[٩] «وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا» كثير البركة «فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ» بساتين «وَحَبَّ» الزرع «الْحَصِيدِ» المحصول.

[١٠] «وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ» طولاً، حال مقدرة «لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ» متراكب بعضه فوق بعض.

[١١] «رِزْقًا لِلْعِبَادِ» مفعول له «وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا» يستوي فيه المذكر والمؤنث «كَذَلِكَ» أي: مثل هذا الإحياء «الْخُرُوجُ» من القبور، فكيف تنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنى: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر.

[١٢] «كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ» تأنيث الفعل لمعنى «قوم» «وَأَصْحَابُ الرَّسِّ» هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم، يعبدون الأصنام، ونبههم قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره «وَتَمُودُ» قوم صالح.

[١٣] «وَعَادٌ» قوم هود «وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ».

[١٤] «وَأَصْعَبَ الْأَيْكَةِ» الغيضة، قوم شعب «وَقَوْمُ تَبَّعٍ» هو ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فكذبوه «كُلٌّ» من المذكورين «كَذَّبَ الرُّسُلَ» كفرش «لِحَقِّ وَعِيدٍ» وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيّق صدرك من كفر قريش بك.

[١٥] «أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ» أي: لم نغف به، فلا نغيا بالإعادة «بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ» شك «مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ» وهو البعث.

(١) أي: أن قوله - تعالى -: «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» قسم جوابه محذوف، تقديره ما ذكر.

(٢) سهل الهمزة الثانية مع الإدخال قالون وأبو عمرو، وسهلها من غير إدخال ورش وابن كثير، وحققها نقيعة السبعة من غير إدخال إلا هشاماً فله الإدخال وعدمه.

(٣) قال ابن كثير: «مددناها»: أي: وسعناها وفرشناها. وقال الطبري: بسطناها.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ حَالَهُ بِتَقْدِيرٍ﴾ «نحن» «ما» مصدرية ﴿نُؤْتُوهُمْ نُحْدَثُ﴾ «يُد» الباء زائدة، أو للتعدي، والضمير للإنسان ﴿فَنَسْفُتْهُمُ﴾ «نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ» بالعلم «بَيْنَ حَبْلِ الْوَرِيدِ» الإضافة للبيان، والوريدان: عرقان بصفتي العنق.

[١٧] ﴿إِذْ﴾ منصوبة بـ «اذكر» مقدراً ﴿يَتْلَى﴾ يأخذ ويثبت ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ المملكان الموكلان بالإنسان، ما يعمله «عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ» منه ﴿فَيُدْخِلُهُمْ آيَةً﴾ قاعدان، وهو مبتدأ خبره ما قبله.

[١٨] ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَيْنُهُ﴾ حاضر، وكل منهما بمعنى المثني.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ غمرته وشدته ﴿بِالْحَقِّ﴾ من أمر الآخرة، حتى يراه المكر لها عياناً، وهو نفس الشدة ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الموت ﴿مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيذًا﴾ تهرب وتفرغ.

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ للبعث ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم النفخ ﴿يَوْمَ الْوَعْدِ﴾ للكفار بالعذاب.

[٢١] ﴿وَجَاءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المحشر ﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾ ملك يسوقها إليه ﴿وَنَهِيذٌ﴾ يشهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر: [٢٢] ﴿لَقَدْ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا فِي عَقْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ النازل بك اليوم ﴿فَكُنْثَمًا عَنكَ غَطَاءٌ﴾ أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فَصَرَكَ الْيَوْمَ حَوِيدٌ﴾ حادّ تترك به ما أنكرته في الدنيا.

[٢٣] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ الملك الموكل به: ﴿هَذَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا﴾ الذي ﴿لَدَى عَيْنَيْهِ﴾ حاضر. [٢٤] فيقال للمالك: ﴿أَلَيْفَا فِي جَهَنَّمَ﴾ أي: ألي أني، أو «الفتن»، وبه قرأ الحسن^(١)، فأبدلت النون ألفاً ﴿كُلُّ كَفَّارٍ عَيْنٍ﴾ معاند للحق. [٢٥] ﴿مَنَاجِلَ لِلنَّارِ﴾ كالركاة ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُرِيبٍ﴾ شاك في دينه.

[٢٦] ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرًا﴾ مبتدأ ضَمَّنَ معنى الشرط، خبره: ﴿فَالْأَيُّاءُ فِي الْعَذَابِ النَّارِيِّ﴾ تفسيره مثل ما تقدم.

[٢٧] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَا أَطِغَيْتُهُ﴾ أضلته ﴿وَلَكِنْ كَانُ فِي سَبِيلِ بَيْتِي﴾ فدعوته فاستجاب لي، وقال هو: أطعاني بدعائه له.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَىَّ﴾ أي: ما ينفع الخصام هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِالْوَعْدِ﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا، ولا بد منه. [٢٩] ﴿مَا بَدَّلُ يُغَيِّرُ﴾ «الْقَوْلُ لَدَىَّ» في ذلك ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْبَيِّنِ﴾ فأعذبهم بغير جرم، و«ظلام» بمعنى: ذي ظلم؛ لقوله: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾^(٢).

[٣٠] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه «ظلام» ﴿نَقُولُ﴾ بالنون والياء^(٣) ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ استفهام تحقيق؛ لوعده بملئها ﴿وَنَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال: ﴿هَلِ مِنْ مَرْيَدٍ﴾ أي: لا أسع غير ما امتلأت به؛ أي: قد

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيذًا ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكُمْ يَوْمَ الْوَعْدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكُنْثَمًا عَنْكَ غِطَاءٌ فَصَرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ هَذَا مَا لَدَى عَيْنَيْ عَيْنِي ﴿٢٣﴾ أَلَيْفَا فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَيْنٍ ﴿٢٤﴾ مَنَاجِلَ لِلْحَيْثُ مُعْتَدٍ مَرِيبٌ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرًا قَالُوا لَيْفَاءُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ رَبَّنَا مَا أَطِغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانُ فِي سَبِيلِ بَيْتِي بِعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ ﴿٢٨﴾ مَا بَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْبَيِّنِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلِ مِنْ مَرْيَدٍ ﴿٣٠﴾ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ يَأْتِهِ رِجَاءٌ يَقْبَلُ مِنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴿٣٣﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكُمْ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

امتلأت^(٤). [٣١] ﴿وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ﴾ قُرِبَتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكاناً ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم فيرونها. [٣٢] ويقال لهم: ﴿هَذَا﴾ المرئي ﴿مَا تُوَعَدُونَ﴾ بالناء والياء^(٥)؛ في الدنيا، ويبدل من ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رَجَّاعٌ إلى طاعة الله «حَفِيظٌ» حافظ لحدوده. [٣٣] ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ خافه ولم يره ﴿وَجَاءَ يَقْبَلُ مِنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ مقبل على طاعته. [٣٤] ويقال للمتقين - أيضاً -: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ سالمين من كل محوف، أو مع سلام؛ أي: سلموا وادخلوها ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَوْمَ الْخُلُودِ﴾ الدوام في الجنة. [٣٥] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا.

(١) وهي قراءة شاذة، وقال القاضي في قرة العينين: هذا سهو من الجلال المحلي، صوابه: أن قراءة الحسن هي: بهزرة مكسورة، وبألف مدودة بعد القاف، وهمة منصوبة منونة؛ أي: «الإلقاء» مصدر «اللقى» ـ اهـ.

(٢) علف: ١٧.

(٣) بالياء قراءة نافع وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالنون.

(٤) هذا قول عطاة ومجاهد ومقاتل بن سليمان. وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة. وهو مروي عن ابن عباس، وقال ابن كثير: هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث. اهـ. ويؤيده ما في الصحيحين من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «يُلْقَى فِي النَّارِ» ﴿وَنَقُولُ هَلِ مِنْ مَرْيَدٍ﴾ حتى يضع قدمه، فنقول قط قطه. وفي رواية في الصحيحين أيضاً: «... حتى يضع رب العزة فيها قدمه؛ فنقول قط قط وعزَّتْك...». البخاري (٤٨٤٨)، (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨). وفي رواية أبي هريرة عندهما مرفوعة: «... فلا تفلت حتى يضع رجله؛ فنقول: قط؛ فهناك تفلت...».

البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٥) بالياء قراءة ابن كثير.

وغيرهم، من التشبيه والتكذيب ﴿وَسَيَحْمَدُ رَبَّكَ﴾ صل حامدا ﴿فَقُلْ طُلُوعُ الشُّمُسِ﴾ أي: صلاة الصبح ﴿وَقَبْلُ الْغُرُوبِ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر.

[٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: صل العشاءين ﴿وَأَذْكُرِ الشُّجُورَ﴾ بفتح الهزمة: جمع ذُرٍّ، وكسرهما^(١): مصدر أذبر؛ أي: صل النوافل المسنونة عقب الفرائض، وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات، ملائسا للحمد.

[٤١] ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يَوْمَ يَنَادُ السَّمَاءُ﴾ هو إسرائيل ﴿وَمِنَ السَّمَاءِ قَرِيبٍ﴾ من السماء^(٢)، وهو صخرة بيت المقدس، أقرب موضع من الأرض إلى السماء، يقول: أيها العظام البالية، والأوصال المقطعة، واللحم المتشقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

[٤٢] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» قبله ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي: الخلق كلهم ﴿الْصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ بالبعث، وهي النفخة الثانية من إسرائيل، ويحتمل أن تكون قبل نداءه وبعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يَوْمَ تُخْرَجُونَ﴾ من القبور، وناصب «يوم ينادي» مقدر؛ أي: يعملون عاقبة تكذيبهم^(٣).

[٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أي: يوم ﴿وَاللَّيْلُ الْمُسْتَبِيرُ﴾.

[٤٤] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» قبله، وما بينهما اعتراض ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها^(٤) ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ يَرُوعًا﴾ جمع «سريع»، حال من مقدر؛ أي: فيخرجون مسرعين ﴿ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها، للاختصاص وهو لا يضر، و«ذلك» إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو الإحياء بعد الفناء، والجمع للعرض والحساب.

[٤٥] ﴿تَحْنُ أَعْمُرُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ تجبرهم على الإيمان، وهذا من قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾ أي: عبيدك وهم المؤمنون.

سورة الذاريات

[مكية، ستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالذَّارِيَاتُ﴾ الرياح تذررو التراب وغيره ﴿ذُرُورًا﴾ مصدر، ويقال: تذريره ذرًّا؛ تَهْبُّ به. [٢] ﴿فَالْمَلَكُوتُ﴾ السحب تحمل الماء ﴿وَقَرَارًا﴾ نقلاً، مفعول «الحاملات». [٣] ﴿فَالْبَلَدُورَاتُ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿بَشِيرًا﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال؛ أي: ميسرة. [٤] ﴿فَالْمَقْسِمَاتُ أَمْرًا﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها، بين البلاد والعباد. [٥] ﴿إِنَّكَ مَا تُوعِدُونَ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ﴾ لوعده صادق. [٦] ﴿وَإِنَّ الْآلِينَ﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّجِيسٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَاللَّيْلُ الْمُسْتَبِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ تَحْنُ أَعْمُرُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ إِن مِّن يُخَافُ وَعِيدٍ ﴿٤٥﴾

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتُ ذُرُورًا ﴿٣٦﴾ فَالْمَلَكُوتُ وَقَرَارًا ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَاللَّيْلُ الْمُسْتَبِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ تَحْنُ أَعْمُرُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ إِن مِّن يُخَافُ وَعِيدٍ ﴿٤٥﴾

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أهلنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ قوة ﴿فَنَقَّبُوا﴾ قَشَّوْا ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ هَلْ مِن مَّجِيسٍ لهم أو لغيرهم من الموت؟ فلم يجدوا.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرًا﴾ لعظة ﴿لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع العوظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر بالقلب.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة^(١) ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ تعب، نزل رذاً على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت^(٢)، وانتفاء التعب عنه؛ لتنزيهه تعالى - عن صفات المخلوقين^(٣)، ولعدم المماثلة بينه وبين غيره ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤).

[٣٩] ﴿فَاصْبِرْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود

(١) راجع التعليق على تعيين هذه الأيام وتجليدها في تفسير سورة فصلت، الآيات (٩ - ١٢).

(٢) روي هذا عن ابن عباس، كما عند الحاكم في مستدركه (٥٤٣/٢)، وصححه، وتعبه الذهبي، وأخرجه أيضاً الطبري في جامع البيان (٦١/٢٤)، وذكره اسيوطي في الدر المنثور (٣١٤/٧)، وضعفه في الاستيعاب (٢٩٠/٣، ٢٩١).

(٣) إن أراد نفي مشابهة صفاته - شبيهاته - لصفات المخلوقين فهذا حق، وإن أراد نفي الصفات عنه كصفة اليد والوجه وغيرها من الصفات الذاتية؛ فهذا باطل وهو مذهب أهل التعطيل.

(٤) يس: ٨٢. (٥) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وحجرة.

(٦) روي هذا عن كعب الأحبار، وليس فيه نص صحيح ثابت مرفوع إلى النبي ﷺ.

(٧) قال في حاشية الجمل: «ولو قدره الشارح بجنب منصوبه؛ لكان أسهل في الفهم؛ لأنه قوله: «ذلك يوم الخروج» من جملة الاعتراض «آتي التنبيه عليه؛ فالعامل في «يوم ينادي» يقدر قبله» اهـ.

(٨) بالشديد مع ما ذكر، قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْخُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَبِىْ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُلِ الْخَرُصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمَرِهِمْ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْتَلُونَ
أَيَّانَ يَوْمَ يُدْعَى الَّذِينَ هُمْ يُوقَفُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْسَوْنَ ﴿١٣﴾ دُفُوعًا فَتَنَتْكُمْ
هَذَا الَّذِي كُتِمَ بِهِ أَنْتُمْ عَنِ ذُنُوبِكُمْ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَاءً ثَمَرِهِمْ ثُمَّ أَفْلَحُوا قُلُوبُهُمْ كَأَوْفَقِ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾
كَأَوْفَقِلَادٍ مِنَ الْإِلِّ مَائِهِمْ جَوْعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا سَحَابُهُمْ يَنْسَعِفُونَ ﴿١٨﴾
وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تَوْعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قُورَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ
تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ
دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَهُ
أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَهُهُمْ قَالَ أَلَا تَتَّكُونَ
﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾
فَاقْبَلَتْ أَمْرَانَهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾
قَالُوا كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

[٢٧] ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَهُهُمْ قَالَ أَلَا تَتَّكُونَ﴾ عرض عليهم الأكل. فلم يجيبوا
[٢٨] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿وَمِنْهُمْ خِيفَةٌ﴾ قَالُوا لَا تَحْزَنْ ﴿إِنَّا رُسُلُ﴾
ربك ﴿وَبَشِّرْهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ﴾ ذي علم كثير، وهو إسحاق كما ذكر في
«هود».

[٢٩] ﴿فَاقْبَلَتْ أَمْرَانَهُ﴾ سارة ﴿فِي صَرَقٍ﴾ صبيحة، حال؛ أي: جاءت
صاحبة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ لطمته ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ لم تلد قط، وعمرها
تسع وتسعون سنة، وعمر إبراهيم مائة سنة، أو: عمره مائة وعشرون سنة،
وعمرها تسعون سنة.

[٣٠] ﴿قَالُوا كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل قولنا في البشارة ﴿قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ
الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بخلفه.

[٧] ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْخُبُكِ﴾ جمع «حبيكة»؛ كطريقة و«طرق»؛ أي: صاحبة
الطرق في الخلقة؛ كالطريق في الرمل. [٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة، في شأن
النبي ﷺ والقرآن ﴿لَبِىْ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ قيل: شاعر، ساحر، كاهن، شعر، سحر،
كهانة. [٩] ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾ عن النبي ﷺ والقرآن؛ أي: عن
الإيمان به ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ صرف عن الهداية في علم الله - تعالى .. [١٠] ﴿يَسْتَلُونَ﴾
الْخَرُصُونَ ﴿لَعَنَ الْكَذَّابُونَ﴾ أصحاب القول المختلف. [١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ﴾
فِي عَمَرِهِمْ ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عن أمر الآخرة. [١٢] ﴿يَقْسَوْنَ﴾ النبي استفهام استهزاء: ﴿أَيَّانَ يَوْمَ يُدْعَى الَّذِينَ هُمْ﴾ متى
مجئهم؟ وجوابهم: يجي [١٣] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْسَوْنَ﴾ أي: يعذبون
فيها. [١٤] ويقال لهم حين التعذيب: ﴿دُفُوعًا فَتَنَتْكُمْ﴾ تعذيبكم ﴿هَذَا﴾
التعذيب ﴿الَّذِي كُتِمَ بِهِ﴾ تَتَمَّيَّحُونَ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ استهزاء. [١٥] ﴿إِنَّ﴾
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها. [١٦] ﴿أَخِذِينَ مَاءً﴾
من الضمير في خبر «إن» ﴿مَاءً مَّا دَانَهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رِزْقًا﴾ من الثواب ﴿إِنَّهُمْ﴾
كَأَوْفَقِ ذَٰلِكَ ﴿أَي﴾ دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾ في الدنيا. [١٧] ﴿كَأَوْفَقِلَادٍ﴾
مِنْ الْإِلِّ مَائِهِمْ ﴿يَنْسَعِفُونَ﴾ ينامون، و«ما» زائدة، و«يجمعون» خبر «كان»، و«فيلاد»
ظرف؛ أي: ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلون أكثره. [١٨] ﴿وَأَلَّا سَحَابُهُمْ﴾
يَسْتَقِفُونَ ﴿لَهُمْ﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا. [١٩] ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾
لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿الَّذِي لَا يَسْأَلُ لَتَعْفَاهُ﴾ [٢٠] ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ من الجبال
والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيَاتٌ﴾ دلالات على قدرة الله -
شيبخاته وتعالى - ووحدانيته ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾. [٢١] ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ آيات - أيضًا
- من مبدأ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أَفَلَا﴾
تُبْصِرُونَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ فتستدلون به على صناعته وقدرته؟ [٢٢] ﴿وَفِي السَّمَاءِ﴾
رِزْقُكُمْ ﴿أَي﴾ المطر المسبب عنه النبات، الذي هو رزق ﴿وَمَا تَوْعَدُونَ﴾ من
المآب والثواب والعقاب؛ أي: مكتوب ذلك في السماء. [٢٣] ﴿قُورَبِ السَّمَاءِ﴾
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ ﴿أَي﴾ ما تواعدون ﴿لَحَقٌّ﴾ [مِثْلُ] مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿يَرْفَعُ﴾ «مثل»:
صفة، و«ما» مزيدة، ويفتح اللام: مركبة مع «ما»^(١)، المعنى: مثل نطقكم في
حقيقته؛ أي: معلوميته عندكم ضرورة صدور عنيكم. [٢٤] ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾
أَنَّكَ ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وهم ملائكة؛ اثنا
عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل. [٢٥] ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ «حدث
ضيف» ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: هذا
اللفظ^(٢) ﴿قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ﴾ لا نعرفهم، قال ذلك في نفسه، وهو خبر مبتدأ
مقدر؛ أي: هؤلاء.

[٢٦] ﴿فَرَأَى إِلَهُ أَهْلِيهِ﴾ سَرَّ ﴿فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ﴾ وفي
سورة هود ﴿بِعِجْلِ حَبِيبٍ﴾^(٣) أي: مشوي.

(١) بالرفع قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقراءة بقية السبعة بالفتح.

(٢) أي: الذي صدر منهم هو لفظ: «سلاماً»؛ منصوب بفعل مقدر، والذي صدر منه هو لفظ «سلام»؛ مرفوع على الخبرية لمبتدأ مضمرة.

(٣) هود: ٦٩.

[٣٨] ﴿وَفِي مُوسَى﴾ معطوف على ﴿فِيهَا﴾، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ملتبساً ﴿بِشَاطِلَيْ ثِيْبَيْنِ﴾ بحجة واضحة.

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْبِهِ﴾ مع جنوده؛ لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسى: هو ﴿سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَبَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر، فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي: فرعون ﴿مُكَلِّمٌ﴾ أت بما يلام عليه؛ من تكذيب الرسل، ودعوى الربوبية.

[٤١] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خير فيها؛ لأنها لا تحمل المطر، ولا تلقح الشجر، وهي الذُّبُورُ^(١).

[٤٢] ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ نفس أو مال ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالْآيَةِ﴾ كالآية المنفتحة.

[٤٣] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى انقضاء آجالكم، كما في آية: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾^(٢).

[٤٤] ﴿فَتَوَلَّى﴾ تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن امتثاله ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام؛ أي: الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: بالنهار.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ يَمِينٍ﴾ أي: ما قادروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا مُتَنَبِّئِينَ﴾ على من أهلهم.

[٤٦] ﴿وَقَوْمٌ ثَوَجٌ﴾ بالجر عطف على ﴿ثَمُودَ﴾ أي: وفي إهلاكهم بما في^(٣) السماء والأرض آية، وبالنصب^(٤)؛ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿بَيْنَ قَبْلٍ﴾ أي: قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿وَبَيْنَ مَا كَانُوا قَوْمًا فَتَقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيُّدٍ﴾ بقرة^(٥) ﴿وَمَا لُمُوسُونَ﴾ قادرون، يقال: أد الرجل يئد قوي، وأوسع الرجل: صار ذا سعة وقوة.

[٤٨] ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مهدناها ﴿فَيَتَمَّ الْمُتَهَدُونَ﴾ نحن.

[٤٩] ﴿رُومٌ كُلُّ شَيْءٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿خَلَقْنَا﴾ ﴿خَلَقْنَا رُومَيْنِ﴾ صنفين؛ كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل؛ ففعلهم أن خالق الأزواج فرد فتعبده.

[٥٠] ﴿فَتَوَلَّى إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى ثوابه من عقابه؛ بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ يبين الإنذار.

[٥١] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمْرُودٍ﴾ ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ﴾ ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَبَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالْآيَةِ﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَنَبِّئِينَ﴾ ﴿وَقَوْمٌ ثَوَجٌ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتَقِينَ﴾ ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيُّدٍ وَالْمُوسَى﴾ ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَيَتَمَّ الْمُتَهَدُونَ﴾ ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رُومَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

[٣١] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾. [٣٢] ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمْرُودٍ﴾ كافرين، هم قوم لوط.

[٣٣] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ مطبوخ بالنار.

[٣٤] ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ معلمة، عليها اسم من يُرمى بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ بإتيانهم المذكور مع كفرهم.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أي: قرى قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك الكافرين.

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهم قوم لوط وابنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام؛ أي: هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿آيَةً﴾ علامة على إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم.

(١) كما عند البحاري ومسلم من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «فُصِّرَتْ بِالطُّيَا، وَأَهْلِكْتَ عاد بالذُّبُورِ». والطُّيَا: هي الرياح التي تهب من مطلع الشمس، والذُّبُور: هي التي تهب من مغربها. البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠).

(٢) هود: ٦٥.

(٣) قرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي بالخفض، وقرأ بقية السبعة بالنصب.

(٤) في نسخة القاضي: «بماء».

(٥) الأيد هنا مصدر أد؛ وليس بجمع ليد، فليس فيها متمسك لمن زعم تناقض السلف في آيات الصفات تأويلاً وتركاً له.

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَصَّوْنَ بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ قَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرَ فَإِنَّ اللَّهَ يُدْرِكُ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوبًا مِثْلَ ذُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾ قَوْلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مُسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلِ يَوْمَ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي حُوزٍ يَبْعُوثُ ﴿١١﴾ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٢﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الطُّورِ

[مكية، تسع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] وَالطُّورِ ﴿١﴾ أي: الجبل الذي كلم الله عليه موسى.

[٢] وَكَتَبَ مُسْطُورٍ ﴿٢﴾ في رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ أي: التوراة أو القرآن.

[٤] وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ هو في السماء الثالثة^(١) أو السادسة^(٢) أو السابعة^(٣)، بحيال الكعبة^(٤)، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك، بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبدًا^(٥). [٥] وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ أي: السماء.

[٦] وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ أي: المملوء^(٦). [٧] إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ لنازل بمستحقه. [٨] مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ عنه.

(١) لم أجده، وروي عن أبي هريرة مرفوعاً أنه في السماء الدنيا، وهو مخالف لما في الصحيحين من حديث أنس أنه في السابعة، وسيأتي.

(٢) وهو مروي عن علي، وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن الضحاك في قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: «أُتِرَ من الجنة فكان يعمر بمكة، فلما كان الفرق رفعه الله فهو في السماء السادسة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، من قبيلة إيليس، ثم لا يرجع إليه أحد يوماً واحداً أبداً» [الدر المنثور (١٤٤/٦)].

(٣) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في شعب الإيمان عن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» [الدر المنثور (١٤٤/٦)]، وهو في الصحيحين من حديث أنس كما سيأتي.

(٤) أخرج ابن المنذر والعقيلي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «في السماء بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة... الحديث، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (١٤٤/٦). وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو رفعه قال: «إن البيت المعمور بحيال الكعبة لو سقط شيء منه لسقط عليها... الحديث».

وأخرج ابن جرير عن قتادة في قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: «ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هل تدرون ما البيت المعمور؟» قالوا: «الله ورسوله أعلم». قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها... الحديث. وهناك آثار وأحاديث أخرى. انظر: [الدر المنثور (١٤٤/٦، ١٤٥)]، وإسناده مرسل صحيح كما في الصحيحة. وقال الألباني: وجملته القول: إن هذه الزيادة: «وحيال الكعبة» ثابتة بمجموع طرقها...، الصحيحة (١٧٨١/١).

(٥) البخاري (٢٩٦٨) ومسلم (٢٣٤) عن أنس بن مالك وفيه «فرغني البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...». وفي صحيح مسلم (٢٣٤) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً: «... ثم خرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، فتفتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه...».

(٦) هنا قول قتادة والحسن وجمهور اللغويين. وقال محمد بن كعب والضحاك: يعني «الموقد» الحامي؛ بمنزلة النور. أي القرن. المسجور. وهو قول ابن عباس؛ كما في تفسير البغوي. وقيل غير ذلك.

[٩] يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ تتحرك وتدور.

[١٠] وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ تصير هباء منثوراً، وذلك في يوم القيامة.

[١١] قَوْلِ يَوْمَ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ شدة عذاب. ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ أي: يشاءون بكفرهم.

[١٢] يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً، يدفعون بعنف، بدل من ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾، ويقال لهم تكبيرا: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿وَرَوَّجْتَهُمْ﴾ عطف على ﴿جَنَّتْ﴾؛ أي: قرناهم ﴿يُحَوِّرُ عَيْنَ﴾ عظام الأعين حسناها^(١).

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مبتدأ ﴿وَأَنبَغْنَاهُمْ﴾^(٢)، وفي قراءة: ﴿وَأَنبَغْنَاهُمْ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٣)، وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الصغار والكبار ﴿يَايَمُنَ﴾ من الكبار، ومن الآباء في الصغار^(٤)، والخبر: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المذكورين في الجنة، فيكونون في درجاتهم وإن لم يعملوا بعملهم؛ تكرمة للآباء، باجتماع الأولاد إليهم ﴿وَمَا أَكُنْتُمْ لَآلِئًا﴾ كسرهما^(٥): نقصناهم ﴿مِّنْ عَلَيْهِمْ مِّنْ رَّائِدَةٍ﴾ زائدة ﴿تَقِيُّوْنَ﴾ يراد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ﴾ من عمل خير أو شر ﴿رَهِيْنٌ﴾ رهون؛ يؤخذ بالشتر، ويجازى بالخير.

[٢٢] ﴿وَأَنبَغْنَاهُمْ﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿فِيكَهْرُومٍ﴾ وكهر، وبتا يَنْتَرُونَ، وإن لم يصبروا بطلبه.

[٢٣] ﴿يَتَنَزَّعُونَ﴾ يتعاطون بينهم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ خمرًا ﴿لَا أَعُوْ فِيهَا﴾ أي: بسبب شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ به يلحقهم، بخلاف خمر الدنيا.

[٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿عِلْمَانٌ﴾ أرقاء^(٦) ﴿هَمُّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ حسنا ولطافة ﴿وَلَوْ كُنُّوا مَكْنُونٌ﴾ مضمون في الصدف؛ لأنه فيها حسن منه في غيرها.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضا عما كانوا عليه وما وصلوا إليه؛ تلذذا واعترافا بالنعمة.

[٢٦] ﴿قَالُوا﴾ إيماء إلى علة الوصول: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِيْنَا﴾ في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين من عذاب الله.

[٢٧] ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَّظْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ النار؛ لدخولها في المسام.

[٢٨] وقالوا إيماء - أيضا -: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده موحدين ﴿إِنَّمَا﴾ بالكسر استئناف؛ وإن كان تعليلا معنى، وبالفتح^(٧) تعليلا لفظا ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾ الحسن الصادق في وعده ﴿الرَّحِيمُ﴾ العظيم الرحمة.

[٢٩] ﴿فَذَكَّرْنَا﴾ ذم على تذكر المشركين، ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن مجنون ﴿فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك ﴿يَكَاهِنُ﴾ خبر «ما» ﴿وَلَا يَحْشُونَ﴾ معطوف عليه.

[٣٠] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ تَرْيِضُ يَوْمَ رَبِّهِ الْمُنُونِ﴾ حوادث الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء.

[٣١] ﴿فَقُلْ تَرَوْهُمْ﴾ هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُمْ يَوْمَ الْمُرْيَصِينَ﴾ هلاككم، فغذبوا بالسيف يوم بدر، والريص: الانتظار.

أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنَشَأْتُمْ لَا بُصُرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا قَاصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَا تَضْبِرُوا سَوَاءً عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَبِيعِيرٍ ﴿١٨﴾ فَكَيْهِنَ بِمَاءِ اتِّهَمَ رَبُّهُمْ وَوَقَّظَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْلُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَتَتْهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ إِنَّمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿٢٢﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيكَهْرُومٍ وَلَحْمَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٣﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَنَّهُمْ لَا غَوْفَ فِيهَا وَلَا تَأْنِيهٍ ﴿٢٤﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ عِلْمَانٌ لَهُمْ مَّا أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مَكْنُونٌ ﴿٢٥﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٦﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلَانَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّظْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٨﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلَ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٩﴾ فَذَكَّرْنَا أَنَّتْ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٣٠﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَرْيِضُ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ ﴿٣١﴾ قُلْ تَرَوْهُمْ فَأِنِّي مَعَكُمْ يَوْمَ الْمُرْيَصِينَ ﴿٣٢﴾

[١٥] ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا﴾ العذاب الذي ترون، كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر ﴿أَمْ أَنَشَأْتُمْ لَا بُصُرُونَ؟﴾

[١٦] ﴿أَصَلَوْهَا قَاصِرُونَ﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَضْبِرُوا﴾ صبركم وجرعكم ﴿سَوَاءً عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاء.

[١٧] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَبِيعِيرٍ﴾.

[١٨] ﴿فَكَيْهِنَ﴾ مثلذذين ﴿بِمَاءٍ﴾ مصدرية ﴿ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَّظَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ عطفًا على ﴿ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ أي: بإتيانهم ووقايتهم.

[١٩] ويقال لهم: ﴿كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال؛ أي: مهنتين ﴿بِمَاءٍ﴾ الباء سببية ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[٢٠] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال من الضمير المستكن في قوله: ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾

(١) هذا المذكور تفسير «عين» ومفردها عيناء. وأما معنى «حور» فهو اسوداد المقلة، ولا يقال للمرأة حوراء إلا للبيضاء مع حورها. ويقال: حورت الفتى، أي اشتد بياض بياضها، وسواد سوادها.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَنبَغْنَاهُمْ﴾.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر، لكن الأول مع النصب، والثاني مع الرفع، وقرأ بقية السبعة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

(٤) أي: وبايمان الآباء في الصغار.

(٥) بالكسر قراءة ابن كثير.

(٦) أي كالأرقاء في الحياة والاستيلاء؛ مسخرين لخدمته.

(٧) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْلَانَهُمْ﴾ عقولهم ﴿هَذَا﴾ قولهم له: ساحر، كاهن، مجنون؟ أي: لا تأمرهم بذلك ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بعبادهم.
[٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُمْ﴾ اختلق القرآن؟ لم يخلقه ﴿بل لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استكباراً.

[٣٤] فإن قالوا: اختلقه ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مختلف ﴿مِثْلِهِ﴾ إن كانوا صديقين في قولهم.

[٣٥] ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير خالق ﴿أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ أنفسهم؟ ولا يُقَلِّد مخلوق بغير خالق، ولا معلوم بخلق، فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد، فلم لا يوجدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟

[٣٦] ﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق، فلم لا يعبدونه؟ ﴿بل لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به، وإلا آمنوا بنبيه.

[٣٧] ﴿أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ رَبِّكَ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخسوا من شأوا بما شأوا؟ ﴿أَمْ هُمْ الْمُصْطَفُونَ﴾ المتسلطون الجبارون، وفعله: سير، ومثله: يبطر ويقرر^(١).

[٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مرقى إلى السماء ﴿يَسْتَمْعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه؛ كلام الملائكة، حتى يمكنهم منازعة النبي، بزعمهم، إن ادعوا ذلك؟ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ﴾ مدعي الاستماع عيه ﴿بِشَاطِطٍ مُبِينٍ﴾ بحجة بينة واضحة.

[٣٩] ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال - تعالى -: ﴿أَمْ لَهُ الْكِنُزُتُ﴾ بزعمكم ﴿وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾؟ تعالى الله عما زعمتموه.

[٤٠] ﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ أُخْرَآ﴾ على ما جنتهم به من الدين ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ﴾ غرم ذلك ﴿مُتَقَلَّبُونَ﴾ فلا يسلمون؟

[٤١] ﴿أَمْ عَنْدهُمْ الْغَيْبُ﴾ أي: علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ذلك، حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة، بزعمهم؟

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك، ليهلكوا في دار الندوة؟ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ المعلومون المهلكون، فحفظه الله منهم، ثم أهلكهم بيدر.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ شُبْحَنُ اللَّهِ عَنَّا يُشْرِكُونَ؟ به من الآلهة، والاستفهام بـ«أَمْ» في مواضعها للتقريب والتوبيخ.

[٤٤] ﴿وَيَا زُرَّارًا كَسِفًا﴾ بعضاً ﴿وَيَا أَسْمَاءَ سَاطِطًا﴾ عليهم، كما قالوا: ﴿فَأَسْفِطْ عَلَيْنَا كَسِفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٢)، أي: تعذبتنا لهم ﴿يَقُولُوا﴾: هذا ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ متراكب ترتوي به، ولا يؤمنون.

[٤٥] ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقَوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾ يموتون.

[٤٦] ﴿يَوْمَ لَا يُنْفَى بَدَلٌ مِنْ: يَوْمِهِمُ﴾ عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿يَمْنَعُونَ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ﴾.

[٤٧] ﴿وَيَا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بكفرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا قبل

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُمْ
بَل لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ
﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ
رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُ الْكِنُزُتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٨﴾
أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُتَقَلَّبُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ عَنْدهُمْ الْغَيْبُ
فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤١﴾
أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا
مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يُقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٣﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقَوا
يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ ﴿٤٤﴾ يَوْمَ لَا يُنْفَى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿٤٥﴾ وَإِلِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٧﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ ﴿٤٨﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

موتهم، فَعَذَّبُوا بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ سَبْعَ سِنِينَ، وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن العذاب ينزل بهم.

[٤٨] ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم، ولا يضق صدرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ برأى منا نراك ونحفظك^(٣) ﴿وَسَبِّحْ﴾ متبشراً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده ﴿سَبِّحْ تَقُومُ﴾ من منامك، أو من مجلسك.

[٤٩] ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حقيقة أيضاً ﴿وَادْبَرَ النُّجُومِ﴾ مصدر؛ أي: عقب غروبها سبحانه أيضاً، أو: صل في الأول العشاءين، وفي الثاني: الفجر^(٤)، وقيل: الصبح^(٥).

(١) أي في الوزن «مُفْعِل»، ولم يأت على هذا الوزن إلا خمسة أفعال. ومُتَبِعٍ، من: يقرر أي فسد هلك، ومشى مشية المتكبر.

(٢) الشعراء: ١٨٧، و﴿كَسِفًا﴾ في آية الطور؛ هي بسكون السين، باتفاق القراء.

(٣) وفي الآية إثبات سنة العيون له - سبحانه - على الوجه الثلاث بجلال، وأما أفرادها في بعض النصوص وجمعهم في البعض الآخر؛ فهذا مما تسعه لغة العرب؛ حيث يمر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين، فلا حجة في ذلك على نفقها.

(٤) أي: سنة الفجر.

(٥) أي: الفريضة. واختاره الطبري.

[٢٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيمَةَ الْأُنثَىٰ﴾ حيث قالوا: هم بنات الله.

[٢٨] ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ بهذا المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿يَكْفُرُونَ﴾ فيه ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ الذي تخيلوه ﴿وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يَصْنَعُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: عن العلم، فيما المطلوب فيه العلم.

[٢٩] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَوْ بُرِدَ إِلَّا الْحَبَوَةُ الْأَذَىٰ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاذ.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب الدنيا ﴿سَلَمَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: نهاية علمهم؛ أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْتَدَىٰ﴾ أي: عالم بهما، فيجازيهم.

[٣١] ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضال والمهتدي، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ﴿يَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا وَمَا عَمِلُوا﴾ من الشرك وغيره ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بِالْمُسْتَىٰ﴾ الجنة.

[٣٢] وَيَسِّرُ الْحَسَنِينَ بقوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّغَمَ﴾ هو صغار الذنوب؛ كالنظرة والقيلة واللحمة، فهو استثناء منقطع، والمعنى لكن اللغم يغفر باجتناب الكبائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ بذلك ويقبول التوبة، ونزل فيمن كان يقول: صلاتنا صياما حجنا^(١)، ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿يَكُونُ إِذْ أَنشَأَ مِثْرَ الْآنثَىٰ﴾ أي: خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَأَن تَأْتِيَّ أَجَنَّةٌ﴾ جمع جنين ﴿فِي بَطْنٍ أُمَهَتِكُمْ فَلَا تُرْكَوْا أَنفُسَكُمْ﴾ لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَن أَتَىٰ﴾.

[٣٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان، ارتد لما غيّر به، وقال: إني خشيت عقاب الله، فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله، إن رجع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرجع^(٢).

[٣٤] ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ من المال المسمى ﴿وَأَكْثَىٰ﴾ منع الباقي، مأخوذ من الكدية، وهي أرض صلبة كالصخرة، تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر.

[٣٥] ﴿أَعْنَدَ عِلْمُ الْعَلِيِّ فَهُوَ يَرِي﴾ يعلم من جملة أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ لا، وهو الوليد بن المغيرة أو غيره، وجملة: «أعنده» المفعول الثاني لـ«رأيت»، بمعنى: أخبرني.

[٣٦] ﴿أَنَّهُمْ﴾ بل ﴿لَمْ يَلْبِثَا يَمًا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ﴾ أسفار التوراة، أو صحف قبلها [٣٧] ﴿وَوَصَّ﴾ صحف إبراهيم الذي وصى ﴿تَمَّ مَا أَمَرَ بِهِ، نَحْرُ:﴾ ﴿وَإِذْ أُنْتَقِلَ إِبْرَاهِيمُ رَبُّهُ بِكَبِيرٍ فَأَنْهَضَهُ﴾^(٣).

[٣٨] وبيان «ما»: ﴿لَا تُرْزَ وَارِزَةٌ وَرَدَّ أُخْرَىٰ﴾ إلخ، وأن «مخففة

(١) أي: يقولون ذلك، على سبيل الإعجاب والإدلال بعملهم.

(٢) روي ذلك عن زيد بن أسلم، كما عند الطبري في جامع البيان (٤٢/٢٧)، وهو ضعيف جدًا، كما في الاستيعاب (٢٩٩/٣).

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) أي: شذوذًا.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيمَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَصْنَعُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ بُرِدَ إِلَّا الْحَبَوَةُ الْأَذَىٰ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّغَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذَا تُنْفَخُ أَجَنَّةٌ فِي بَطْنٍ أُمَهَتِكُمْ فَلَا تُرْكَوْا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَتَىٰ ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْثَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعْنَدَ عِلْمُ الْعَلِيِّ فَهُوَ يَرِي ﴿٣٥﴾ أَمَلَمْ يَلْبِثَا يَمًا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَوَصَّ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَا تَرَىٰ وَارِزَةً وَرَدَّ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنسَنِ الْأِمَّا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يَجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْآوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُسْتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

من الثقيلة؛ أي: لا تحمل نفس ذنب غيرها.

[٣٩] ﴿وَأَنْ﴾ أي: أنه ﴿لَيْسَ لِلْإِنسَنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ من خير، فليس له من سعي غيره الخير شيء.

[٤٠] ﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ﴾ يصير في الآخرة.

[٤١] ﴿ثُمَّ يَجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْآوْفَىٰ﴾ الأكم، يقال: جزته سعيه وبسعيه.

[٤٢] ﴿وَأَنْ﴾ بالفتح عطفًا، وقرئ^(١) بالكسر استئنافًا، وكذا ما بعدها، فلا يكون مضمون الجملة في الصحف على الثاني ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُسْتَهَىٰ﴾ المرجع والمصير بعد الموت، فيجازيهم.

[٤٣] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ﴾ من شاء أفرحه ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ من شاء أحزنه.

[٤٤] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث.

أَهْلَكْنَاهُمْ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ ظُلْمٍ وَأَهْلَى﴾ من عاد وثمود؛ لظول لبث نوح فيهم ﴿وَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾^(١) وهم - مع عدم إيمانهم به - يؤذونه ويضربونه. [٥٣] ﴿وَالَّذِينَ يَفْكُهُمْ﴾ وهي: قرى قوم لوط ﴿أَهْوَى﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء، مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك. [٥٤] ﴿فَنَقَّبَهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا عَشَى﴾ أبهم توبلها، وفي هود: ﴿جَعَلَتْ عَلَيْهَا سَاكِنَهَا وَأَمَطَرْنَا عَلَيْهَا حِكَاةً رِينَ سَبِيلٍ﴾^(٢). [٥٥] ﴿فَبَايَ آلَ رَيْكَ﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَمَارَى﴾ تشكك أيها الإنسان أو تكذب؟ [٥٦] ﴿هَذَا﴾ محمد ﴿نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ﴾ الأول؛ من جنسهم؛ أي: رسول كالرسل قبله، أرسل إليكم، كما أرسلوا إلى أقوامهم. [٥٧] ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ قرب القيامة. [٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ نفس ﴿كَافَّةً﴾ أي: لا يكشفها ويظهرها إلا هو؛ كقوله: ﴿لَا يَجِيئُهَا لُوفُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٣). [٥٩] ﴿أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذيبًا. [٦٠] ﴿وَتَقْسِمُونَ﴾ استهزاء ﴿لَا يَكُونُ﴾ لسماع وعده ووعدده. [٦١] ﴿وَأَنَّمْ سَيِّدُونَ﴾ لاهوت غافلون عما يُطلب منكم؟ [٦٢] ﴿فَاتَّبَعُوا اللَّهَ﴾^(٤) الذي خلقكم ﴿وَأَعْبُدُوا﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

سُورَةُ الْقَبْرِ

[مكية، إلا ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ﴾ الآية. وهي: خمس وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَفَذَرَتِ السَّاعَةُ﴾ قرب القيامة ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ انفلق فلفنتين، على أبي قبيس وقَعَقَفَان، آية له ﷺ، وقد سئلها فقال: «أشهدوا» [رواه الشيخان]^(١). [٢] ﴿وَلَن يَرَوُنَّ﴾ أي: كفار قريش ﴿عَائَةَ﴾ معجزة له ﷺ ﴿يَعْرِضُونَ وَيَقُولُوا﴾: هذا «يسخر سخر» قوي، من المنة: القوة، أو دائم^(٢). [٣] ﴿وَكَذَبُوا﴾ النبي ﷺ ﴿وَأَيُّهَا أَهْوَاهُ﴾ في الباطل ﴿وَكُلَّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُسْتَوْرٍ﴾ بأهله في الجنة أو النار. [٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم ﴿مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾ لهم، اسم مصدر، أو اسم مكان، والدال بدل من ناء الافتعال، وازدجرته وزجرته: نهيته بغلظة، و«ما» موصولة أو موصوفة. [٥] ﴿حِكْمَةً﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من «ما»، أو من «مزدجر» تامة ﴿بَلِغَةً﴾ تامة ﴿فَمَا تَعْنِ﴾ تنفع فيهم ﴿النَّذْرُ﴾ جمع نذير، بمعنى منذر؛ أي: الأمور المنذرة لهم، و«ما» للنفي، أو للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مقدم. [٦] ﴿فَنُؤَلِّهِمْ هَهُمُ﴾ هو فائدة ما قبله، وتم به الكلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ هو إسماعيل، وناصب «يوم»: «يخرجون» بَعْدُ ﴿إِلَىٰ قَعْنٍ تُكْشَرُ﴾ بضم

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٥١﴾ مِن تُّفَّافَةٍ إِذَا تَمَنَّى ﴿٥٢﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ الْآخَرَىٰ ﴿٥٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٥٤﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥٧﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٨﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٩﴾ فَغَشَّيْهَا مَا عَشَىٰ ﴿٦٠﴾ فَبَايَ آلَ رَيْكَ تَمَارَىٰ ﴿٦١﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَىٰ ﴿٦٢﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٦٣﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٦٤﴾ أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٦٥﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٦﴾ وَأَنَّمْ سَلِمِدُونَ ﴿٦٧﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٨﴾

سُورَةُ الْقَبْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَذَرَتِ السَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَلَن يَرَوُنَّ آيَةَ يَعْرِضُونَ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاهُمْ وَكُلَّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةً بَلِغَةً فَمَا تَعْنِ النَّذْرُ ﴿٥﴾ فَنُؤَلِّهِمْ هَهُمُ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾

[٤٥] ﴿وَأَنَّهُ عَلَىٰ الزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾. [٤٦] ﴿مِن تُّفَّافَةٍ﴾ مني ﴿إِذَا تَمَنَّى﴾ تصب في الرحم. [٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ﴾ بالمد والقصر^(١) ﴿الْآخَرَىٰ﴾ الحلقة الأخرى للبعث، بعد الحلقة الأولى. [٤٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ الناس، بالكفاية بالأموال ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أعطى المال المتخذ فنية. [٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾ هو: كوكب خلف الجوزاء، كانت تعبد في الجاهلية. [٥٠] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ وفي قراءة^(٢) بإدغام التنوين في اللام وضمها بلا همزة، وهي قوم عاد، والأخرى قوم صالح. [٥١] ﴿وَتَمُودًا﴾ بالصرف اسم للأب، وبلا صرف^(٣) للقبيلة، وهو معطوف على «عادًا» ﴿فَمَا أَبْقَىٰ﴾ منهم أحدًا. [٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل عاد وثمود،

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١، ٢): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فأنشق القمر بمكة مرتين، فنزلت: ﴿أَفَذَرَتِ السَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْعُرُ﴾ يقول: ذاهب. الترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٤). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٠)، وهو في الصحيحين مختصراً.

(١) بالمد قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراءة السبعة بالقصر: ﴿النَّشَاءُ﴾ (٢) لأنني عمرو وورش، وقرأ قالون كذلك، لكنه يأتي بهمة ساكنة بعد اللام. (٣) بالتنوين قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم. (٤) العنكبوت: ١٤. (٥) هود: ٨٢. (٦) الأعراف: ١٨٧. (٧) هذه أول آية سجدة نزلت، كما عند البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «سجد النبي ﷺ بالجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس». ولا علاقة لهذا السجود بقصة الغرائق الباطلة، والتي سبق التنبؤ على بطلانها في تفسيره سورة الحج آية (٥٢). (٨) قصة انشقاق القمر جاء ذكرها مختصرة في البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠)، من حديث عبد الله بن مسعود، وهي عندهما أيضاً من حديث أنس بن مالك؛ البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢). وأما التفاصيل المذكورة، فجاءت فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية، من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس كما في الدر المنثور [١٧٧/٦].

الكاف وسكونها^(١)؛ أي: منكر تنكره النفوس، وهو الحساب.

[٧] ﴿حَشَعَا﴾ أي: ذليلاً، وفي قراءة^(٢): ﴿حُشَعَا﴾ بضم الحاء وفتح الشين مشددة ﴿أَبْصَرَهُمْ﴾ حال من الفاعل ﴿يَجْزُونَ﴾ أي: الناس ﴿وَمِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّثِيرٌ﴾ لا يدرون أين يذهبون، من الخوف والحيرة، والجملة حال من فاعل «يخرجون»، وكذا قوله: [٨] ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين مادين أعناقهم ﴿إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ منهم: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ صعب على الكافرين؛ كما في المدثر: ﴿يَوْمٌ عَرِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

[٩] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمٌ نُّوحٌ﴾ تأييد الفعل لمعنى قوم ﴿مَكَذِبُوا عِبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَآزْدَجِرَ﴾ انتهره بالسب وغيره.

[١٠] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾ أي: بأني ﴿مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾.

[١١] ﴿فَنَنْصَبُ أَنْصَابًا شَدِيدًا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٤) ﴿إِنزَابَ السَّمَاءِ بِمَا فِيهَا مِنْ مَّاءٍ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ حال ﴿فَدَفَّرَ﴾ قصي به في الأزل، وهو هلاكهم غرقاً. [١٢] ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ أي: نوحاً ﴿عَلَى سَفِينَةٍ﴾ ذات أُلُوجٍ وَدُسُرٍ وهو ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها، واحداً وشار؛ ككتاب.

[١٤] ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا^(٥)؛ أي: محفوظة ﴿جَزَاءً﴾ منصوب بفعل مقدر؛ أي: أغرقوا انتصاراً ﴿لِمَنْ كَانَ كُفْرٌ﴾ وهو نوح التَّكْبِيرُ، وقري^(٦):

﴿كَفَرٌ﴾ بالبناء للفاعل؛ أي: أغرقوا عقاباً لهم. [١٥] ﴿وَلَقَدْ رَكَنَهَا﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿ءَايَةً﴾ لمن يعتبر بها؛ أي: شاع خبرها واستمر ﴿فَقِيلَ مِنْ مَدْيَنَ﴾ معتبر ومتعظ بها؛ وأصله: مذكرة؛ أبدلت التاء دالاً مهمله، وكذا المعجمة وأدغمت فيها. [١٦] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذارني؟ استفهام تقرير، و«كيف»: خبر «كان»، وهي للسؤال عن الحال، والمعنى: حثل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه - تعالى - بالمكذبين لنوح موقعه.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ متعظ به وحافظ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر؛ أي: احفظوه واتعظوا به، وليس يُحْفَظُ من كتب الله عن ظهر القلب وغيره. [١٨] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نبيهم هوذا فعذبوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ إنذارني لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [١٩] ﴿وَقَدْ بَيَّنَّاهُ بِقَوْلِهِ﴾: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي هاشمٍ﴾ أي: شديدة الصوت ﴿فِي بَوَارِحٍ غَيْرِ﴾ شؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ دائم الشؤم، أو: قويته، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر^(٧). [٢٠] ﴿نَزِجُ النَّاسِ﴾ تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها، وتصرعهم على رؤوسهم، فتدق رقابهم، فينبئ الرأس عن الجسد ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أَصْحَابُ أَصُولٍ﴾ متفحرون ﴿مُنْقَطِعٍ﴾ منقطع ساقط على الأرض، وشبهوا بالنخل لطولهم، وذُكِرَ هنا وَأَنْتَ فِي الْحَاقَةِ ﴿مُخَلٍّ حَاقِيوِيٍّ﴾^(٨)؛ مراعاة للفواصل في الموضعين. [٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟ [٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾؟ [٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ جمع نذير بمعنى: منذر؛ أي: بالأمور التي أنذروهم بها نبيهم صالح، إن لم يؤمنوا به ويتبعوه. [٢٤] ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا﴾

حُشَعَا أَبْصَرَهُمْ يَجْزُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْشَرٌّ ﴿١﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ﴿٢﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُّوحٌ فَكَذَّبُوا عِبْدَنَا وَقَالُوا مَجْجُونٌ وَآزْدَجِرَ ﴿٣﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿٤﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿٥﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٦﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿٧﴾ تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴿٨﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٣﴾ نَزِجُ النَّاسِ كَأَنَّهُمْ أَشْجَارٌ تُخَلَّ مُنْقَعِرٌ ﴿١٤﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٦﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿١٧﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِدْأَى فَنُصَلِّ وَسَلِّ وَسَلْعٍ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَلَقْنَا الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتُنَا مِنْ الْكُذِّبِ الْآيَاتُ ﴿١٩﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٠﴾

منصوب على الاشتغال ﴿مِنَّا وَجَدًا﴾ صفات له «بشراً» ﴿نَتَّبِعُهُ﴾ مفسر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى كيف يتبعه ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منا، وليس بملك؟ أي: لا نتبعه ﴿إِنَّا إِدْأَى﴾ إن اتبعناه ﴿أَلَمْ تَلَقْنَا﴾ ذهب عن الصواب ﴿وَسُوءٌ﴾ جنون. [٢٥] ﴿أَلَمْ تَلَقْنَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركه^(٩) ﴿الذِّكْرُ﴾ الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله: إنه أوحى إليه ما ذكر ﴿أَيُّرُ﴾ متكبر بطر. [٢٦] قال - تعالى -: ﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابِي﴾ في الآخرة ﴿مَنْ الْكُذَّابُ الْآيُّرُ﴾ وهو: هم، بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً. [٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ مخرجوها من الهضبة الصخرة، كما سألوا ﴿وَفِتْنَةً﴾ محنة ﴿لَهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فَارْتَبِعْهُمْ﴾ يا صالح؛ أي: انتظر ما هم صانعون، وما يصنع بهم ﴿وَأَصْطَبِرْ﴾ الطاء بدل من تاء الافتعال؛ أي: اصبر على أذاهم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم، وقرا حمزة والكسائي وأبو عمرو: «حاشعاً» وهي القراءة المنسوبة.

(٤) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٦) أي شذوذاً.

(٥) وفيها إثبات صفة العين له - شيخنا - على الوجه اللائق به.

(٧) هذا مما لا سبيل ولا دليل صحيح بشوته، كما لا فائدة من ذكره.

(٨) الحاققة: ٧.

(٩) رجع التعليل على الآية (٨) من سورة ص.

(١) بالسكون قراءة ابن كثير.

(٣) المدثر: ٩، ١٠.

بِالنُّذُرِ أَي: بالأمور المنذرة لهم على لسانه. [٣٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميهم بالحصى، وهي صغار الحجارة، الواحد دون ملء الكف، فهلوكوا ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ وهم ابتلاه معه ﴿يَجْنِيهِمْ يَسْحَرُ﴾ من الأسحار، وقت الصبح من يوم غير معين، ولو أريد من يوم معين لنوع من الصرف؛ لأنه معرفة معدول عن السحر؛ لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بال، وهل أرسل الحاصب على آل لوط أو لا؟ قولان، وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل، وعلى الثاني بأنه منقطع، وإن كان من الجنس تنسجماً. [٣٥] ﴿يَعْمَهُمْ﴾ مصدر؛ أي: إنعاماً ﴿وَمَنْ عِنْدَنَا كَذَابٌ﴾ أي: مثل ذلك الخواء ﴿يَجْرِي مِنْ شَكْرٍ﴾ أتعنتا وهو مؤمن، أو من آمن بالله ورسله ^(١) وأطاعهم. [٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ خَوْفَهُمْ لُوطٌ﴾ بَطَشْنَاهُ أَخَذْنَا إِيَّاهُمْ بِالْعَذَابِ ﴿فَتَكَارَرُوا﴾ تَجَادَلُوا وكذبوا ﴿بِالنُّذُرِ﴾ بإنذاره. [٣٧] ﴿وَلَقَدْ زَادُوا عَنْ ضَيْفِهِ﴾ أن يخلي بينهم وبين القوم الذين آتوه في صورة الأضياف؛ ليخونوا بهم، وكانوا ملائكة ﴿فَطَسَّأْتُمْ أَقْبِيَهُمْ﴾ أعميناها، وجعلناها بلا شئ كباقي الوجه، بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فَذُوقُوا﴾ قلنا لهم: ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ أي: إنذاري وتخويفي؛ أي: ثمرته وفائدته. [٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً﴾ الصبح من يوم غير معين ﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة.

[٣٩] ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾. [٤٠] ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [٤١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُمْ﴾ قومه معه ﴿النُّذُرُ﴾ الإنذار، على لسان موسى وهارون، فلم يؤمنوا. [٤٢] بل ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذْبًا﴾ أي: التسع التي أوتيتها موسى ﴿فَلَنَنْزِلُنَّهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَحَدٌ عَزِيزٌ﴾ قوي ﴿مُقَدِّرٌ﴾ قادر، لا يعجزه شيء. [٤٣] ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ يا قريش ﴿عَبْرٌ مِنْ أُولَئِكَ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون، فلم يُعَذِّبُوا؟ ﴿أَمْ لَكُمْ قَرِيشٌ بَرَاءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ الكتب؟ والاستفهام في الموضعين بمعنى لنفي؛ أي: ليس لأمر كذلك. [٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ كفار قريش: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جمع ﴿مُنْصَرُونَ﴾ على محمد. [٤٥] ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر، نزل: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْصَرُونَ وَيُولُونَ الدَّبْرُ﴾ ^(٢) فهزموا يديهم، ونصير رسول الله ﷺ عليهم. [٤٦] ﴿يَلِ الْكَافَّةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ أي: عذابها ﴿أَذْنٌ﴾ أعظم بلية ﴿وَأَمْرٌ﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا. [٤٧] ﴿إِنَّ الشَّارِبِينَ فِي سَلْبٍ﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعْرٌ﴾ نار مسخرة بالتشديد؛ أي: مهيجة، في الآخرة. [٤٨] ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إصابة جهنم لكم. [٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير: حال من «كل»؛ أي: مقدراً، وقرئ: ^(٣) ﴿كُلُّ﴾ بالرفع؛ مبتدأ خبره: ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ ^(٤).

وَيَبْهَرُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمُهُ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخْتَصِرٌ ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ فكيف كان عذابي ونذري ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ ﴿نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ يَجْرِي مِنْ شَكْرٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ ﴿وَلَقَدْ زَادُوا عَنْ ضَيْفِهِ﴾ ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذْبًا فَآخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ﴾ ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَقْرَبَكُمْ بَرَاءَةً فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ﴾ ﴿يَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنٌ وَأَمْرٌ﴾ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

[٢٨] ﴿وَيَبْهَرُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمُهُ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة؛ يوم لهم، ويوم لها ﴿كُلُّ شَرْبٍ﴾ نصيب من الماء ﴿مُخْتَصِرٌ﴾ يحضره ^(١) القوم يومهم والناقة يومها، فتمادوا على ذلك، ثم ملوه، فهملوا بقتل الناقة. [٢٩] ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ فنادوا؛ ليقبلها ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ تناول السيف ﴿فَعَقَرَ﴾ به الناقة؛ أي: قتلها بموافقة لهم.

[٣٠] ﴿كَذَلِكَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [٣١] ﴿وَيَبْهَرُهُمْ﴾ يقولون: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ هو الذي يجعل لغنمه حظيرة، من بابس الشجر والشوك، يحفظهن فيها من الذئاب والسياب، وما سقط من ذلك فداسته هو: الهشيم. [٣٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾. [٣٣] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾

(٥) ما جاء في رول الآيتين (٤٨، ٤٩): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش بخاصمون رسول الله ﷺ في القدر؛ فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. مسم. كتاب القدر (٤٦) باب (٤) كل شيء بقدر.

(١) في نسخة القاضي: «يحضره».

(٢) في نسخة الصاوي: «ورسوله»، والمثلث من نسخة القاضي المطبوعة.

(٣) جاء نحو ذلك عن ابن عباس، كما في المصنف لابن أبي شيبة (٣٥٧/١٤ رقم ١٨٥٠٩)، دون ذكر أن قاتل ذلك هو أبو جهل، وأخرجه أيضاً الطبري في جامع البيان (٦٤/٢٧)، وحسنه في الاستيعاب (٣٠٥/٣). وفي صحيح البخاري (٤٩٩٣) عن عائشة قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة، وإني لحارية العلب: ﴿يَلِ الْكَافَّةُ مَوْعِدُهُمْ وَكَانَتْ أَذْنٌ وَأَمْرٌ﴾. وظاهر هذا أن قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْصَرُونَ وَيُولُونَ الدَّبْرُ﴾ ما نزل أيضاً بمكة، ويؤيده ما ذكره الحافظ في الفتح قال: هوفي رواية أيوب عن عكرمة عن ابن عباس: لما نزلت: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْصَرُونَ وَيُولُونَ الدَّبْرُ﴾ قال عمر: أي جمع لهم؟ قال: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثبت في الدروع ويقول: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْصَرُونَ﴾... فظاهر هذا أن الآية نزلت بمكة، ولا ينافي ذلك أن ينزلها الرسول ﷺ في بدر، دون أن يكون ذلك سبب نزولها، أو يقل: إنها نزلت مرتين؛ إحداهما يدير، والله أعلم. (٤) أي: شذوذاً.

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا رَيْدٌ وَجُودٌ﴾ [١] ﴿إِلَّا أَفْرَةٌ﴾ [٢] ﴿وَأَجْدَةٌ كَلْبِيَّةٌ﴾ [٣] ﴿يَالْبَصِرَ﴾ [٤] في السرعة، وهي قول: كن، فيوجد، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٥].

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ [٦] أشباهكم في الكفر، من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [٧] استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اذكروا واتعظوا.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ [٨] أي: العباد، مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ [٩] كتب الحفظة.

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ [١٠] من الذنوب، أو العمل ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ [١١] مكتوب في اللوح المحفوظ.

[٥٤] ﴿إِنَّ الْمُنَيْنَ فِي جَنَّتٍ﴾ [١٢] بسايتين ﴿وَنَهْرٍ﴾ [١٣] أريد به الجنس، وقرئ^(٢): بضم النون والهاء جمعاً؛ كأشد وأشد، والمعنى: أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر.

[٥٥] ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ [١٤] مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأنيب، أريد به الجنس، وقرئ^(٣): ﴿مَقْعِدٌ﴾ [١٥]، المعنى: أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأنيب، بخلاف مجالس الدنيا، فقل أن تسلم من ذلك، وأعرب هذا خبراً ثانياً، وبدلاً، وهو صادق ببدل البعض، وغيره^(٤) ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ [١٦] مثال مبالغة؛ أي: عزيز الملك واسعه ﴿مُقَدِّرٍ﴾ [١٧] قادر لا يعجزه شيء، وهو الله - تعالى -، و«عند» إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله - تعالى^(٥).

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

[مكية، إلا: ﴿يَسْتَأْذِنُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، وهي: ست، أو: ثمان وسبعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ [٢] الله - تعالى. [٣] ﴿عَلَّمَ﴾ [٤] من شاء ﴿الْفُرْقَانَ﴾ [٥] [٦] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [٧] أي: الجنس. [٨] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [٩] النطق. [١٠] ﴿السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [١١] يجريان بحساب. [١٢] ﴿وَالنَّجْمُ﴾ [١٣] ما لا ساق له من النبات ﴿وَالنَّجْمُ﴾ [١٤] ما له ساق ﴿يَسْجُدَانِ﴾ [١٥] يخضعان لما يراد منهما. [١٦] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [١٧] أثبت العدل. [١٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ [١٩] أي: لأجل أن لا تجوروا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ [٢٠] ما يوزن به. [٢١] ﴿وَأَقِيمُوا الزُّلْزَالَ بِالْقِسْطِ﴾ [٢٢] بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [٢٣] تنقصوا الموزون. [٢٤] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ [٢٥] أثبتها ﴿لِلْأَنْسَارِ﴾ [٢٦] للخلق؛ الإنس

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا أَوْحَدٌ كَلَمَجٍ بِالْبَصَرِ ﴿١﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٣﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٦﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الزُّلْزَالَ بِالْقِسْطِ ﴿٩﴾ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿١٠﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ ﴿١١﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١٢﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ﴿١٣﴾ وَالزَّيْتُونُ ﴿١٤﴾ فِيآيَ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٥﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٦﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٧﴾ فِيآيَ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٩﴾ وَالْمُغْرِبِينَ ﴿٢٠﴾ فِيآيَ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾

والجن وغيرهم. [١١] ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ [١٢] المعهود ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [١٣] أوعية طلوعها. [١٤] ﴿وَالزَّيْتُونُ﴾ [١٥] كالخطة والشعير ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ [١٦] التين ﴿وَالزَّيْتُونُ﴾ [١٧] الورق المشموم. [١٨] ﴿فِيآيَ آيَةِ رَبِّكُمَا﴾ [١٩] نعم ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيها الإنس والجن ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ [٢٠] ذكرت إحدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتعريض؛ لما روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «مالي أراكم سكوناً!! للجرى كانوا أحسن منكم رداً؛ ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: ﴿فِيآيَ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب؛ فلك الحمد»^(١). [٢١] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ طين يابس، يسمع له صلصلة؛ أي: صوت إذا نُقِرَ ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ وهو ما طبخ من الطين. [٢٢] ﴿وَالْجَانَّ﴾ أبا الجن، وهو إبليس ﴿مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان. [٢٣] ﴿فِيآيَ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(١) يس: ٨٢.

(٢) أي: شذوذاً.

(٣) أي: شذوذاً.

(٤) أي: وهو بدل الاشتغال؛ لأن الخناث مشتملة على المقعد.

(٥) وفي هذا التفسير نظر؛ ومبناه على نفي العلو لله ﷻ؛ فهذه العندية مما استدل به السلف على إثبات العلو لله ﷻ.

(٦) أخرجه نحوه الترمذي (٣٢١٣) وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وأبو مرويه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله كما في الدر المنثور [١٨٩/٦] وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٨)، وللسلسلة الصحيحة (٢١٥٠).

للمفعول والفاعل ^(١) ﴿وَيَتَّخِذُهَا﴾ من مجموعهما الصادق بأحدهما، وهو الملح ﴿الْوَلُّوْا وَالْمَرْجَانُ﴾ خرز أحمر، أو: صغار اللؤلؤ. [٢٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٢٤] ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ السفن ﴿الْمُنشَآتُ﴾ المحدثات ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجبال عظمًا وارْتِفَاعًا. [٢٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٦] ﴿كُلُّ مَنَ عَلَيْهِ﴾ أي: الأرض من الحيوان ﴿فَإِنَّ هَالِكًا﴾، وعبر به «مَرٌّ» تغليبا للعلاء [٢٧] ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذَاةُ﴾ ذاته ^(٢) ﴿ذُو الْجَلَالِ الْعَظَمَةِ﴾ والإكرام ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٣) بأنعمه عليهم. [٢٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٩] ﴿يَتَذَكَّرُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ينطق، أو: حال ^(٤) ما يحتاجون إليه، من القرة على العبادة، والرزق والمغفرة، وغير ذلك ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ^(٥) أمر؛ يظهره على وفق ما قدره في الأزل؛ من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإعدام، وإجابة داع، وإعطاء سائل، وغير ذلك. [٣٠] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣١] ﴿سَنَنْفِخُ لَكُمُ﴾ سنقصد لحسابكم ﴿أَنَّهُ الْفَقْلَانِ﴾ الإنسان والجن. [٣٢] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٣] ﴿يَتَمَنَّوْنَ الْآلِينَ وَالْآلِينَ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا﴾ تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ نَوَاحِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾ أمر تعجيز ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ بقوة، ولا قوة لكم على ذلك. [٣٤] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهيها الخالص من الدخان، أو: معه ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ أي: دخان لا لهب فيه ^(٦) ﴿فَلَا تَنْصُرَانِ﴾ تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر. [٣٦] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٧] ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ انفرجت أبوابها لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ زُرَّةً﴾ أي: مثلها محمرة ﴿كَالْإِهْسَانِ﴾ كالأديم الأحمر، على خلاف العهد بها، وجواب «إذا»: فما أعظم الهول. [٣٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٩] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْعَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ عن ذنبه، ويسألون في وقت آخر؛ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ^(٧)، والجنان هنا وفيما سيأتي ^(٨) بمعنى: الجني، والإنس فيها بمعنى: الإنسي. [٤٠] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٨﴾ يَتَّخِذُهُمَا بَرَجٌ لَّا يَبْعِيَانِ ﴿١٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ كُلُّ مَنَ عَلَيْهَا فَإِنَّ هَالِكًا ﴿٢٥﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٩﴾ سَنَنْفِخُ لَكُمُ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣١﴾ يَتَمَنَّوْنَ الْآلِينَ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِّنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْظُرُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِإِذْنِ السَّاطِنِ ﴿٣٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصُرَانِ ﴿٣٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٥﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ زُرَّةً كَالْإِهْسَانِ ﴿٣٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٩﴾ يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤٠﴾

[١٧] ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَمَشْرِقِ الشَّمْسِ﴾ مشرق الشمس ومشرق الصيف ﴿وَرَبُّ الْعَرْشَيْنِ﴾ كذلك. [١٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [١٩] ﴿مَرَجَ﴾ أرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في رأي العين. [٢٠] ﴿يَتَّخِذُهُمَا بَرَجٌ﴾ حاجز من قدرته - تعالى - ﴿لَّا يَبْعِيَانِ﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر، فيحتل به.

[٢١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٢] ﴿يَخْرُجُ﴾ بالبناء

(٥) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: (من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرج كرتا، ويرفع قوما، ويضع آخرين). ابن ماجه. المقدمة باب (١٣) فيما أنكرت الحمية. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٦٧).

(١) بالبناء للمفعول قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول. وهذا لا ينافي صفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، ونشبهنا له حقيقة على الوجه اللائق به، ومن لوازم بقاء الوجه بقاء الذات؛ لكن لا يقال: إن الوجه هو الذات، وقال ابن كثير في تفسير الآية: «... ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب - تعالى - وتقديس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً».

(٢) قوله ﷻ: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ في الآية هي صفة لوجهه وليس لهرب، كما قال ابن كثير والطبري، ووجهه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام كما أنه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام. فقول المفسر: (للمؤمنين) دليل على إرادة نفي صفة الوجه، لا عن مجرد إرادة الدلالة على أن بقاء الوجه يزم منه بقاء الذات.

(٤) أي: بلسان الحال.

(٥) وهذا قول ابن عباس المشهور عنه، وسعيد بن جبير وغيرهما، واختاره الطبري. وقال آخرون: هو التحاسن المذاب؛ يصب على رءوسهم. وروي ذلك عن ابن عباس وقادة وغيرهما.

(٦) الحجر: ٩٢.

(٧) أي في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَبْقَى وَجْهٌ إِلَّا وَجْهِي وَلَا جَاوِزٌ﴾ في الآيتين: (٥٦)، (٧٤) من السورة.

[٤١] ﴿يَعْرِفُ الْغُيُوثَ﴾ يسيمهم ﴿سَوَادَ الْوُجُوهِ وَزُرْقَةَ الْعُيُونِ﴾ ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾. [٤٢] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: تضم ناصية كل منهم إلى قدميه، من خلف أو قدام، ويلقى في النار، ويقال لهم: [٤٣] ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾.

[٤٤] ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿ءَانِ﴾ شديد الحرارة، يسقونه إذا استغاثوا من حر النار، وهو منقوص؛ كـ «قاض».

[٤٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٤٦] ﴿وَلَمَّا خَافَ﴾ أي: لكل منهم، أو: لمجموعهم ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه للحساب، فترك معصيته ﴿جَنَّتَانِ﴾.

[٤٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٤٨] ﴿ذَرَاكَ﴾ تنبيه «ذوات» على الأصل^(١)، ولامها باء^(٢) ﴿أَفَنَانِ﴾ أغصان، جمع «فن»؛ كـ «طلل».

[٤٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٠] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

[٥١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ في الدنيا، أو: كل ما يتفكه به ﴿زُورَعَانِ﴾ نوعان؛ رطب وبابس، والمرعما في الدنيا كالخنظل حلو.

[٥٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٤] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال عامله محذوف؛ أي: يتنعمون ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِيهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غنط من الديباج وخشن، والظواهر من السندس ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ ثمرهما ﴿ءَانِ﴾ قريب، يناله القائم والقاعد والمضطجع.

[٥٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٦] ﴿فِيهِمَا﴾ في الجنتين، وما اشتملنا عليه من العلالي والقصور ﴿فَقَصِيرَتِ الْأَلْفَارِ﴾ العتير، على أزواجهن المتكئين، من الإنس والجن ﴿لَمْ يَطْمِئْنُوا﴾ يفتضون، وهن من الحور، أو: من نساء الدنيا المنشآت^(٣) ﴿إِنِّسُ قَتْلَهُمْ وَلَا جَاءَ﴾.

[٥٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٥٨] ﴿كَأَنَّهُنَّ آيَاتُ قُرْآنٍ﴾ صفاء ﴿وَالْمَرْجَاتُ﴾ أي: اللؤلؤ بيضاء.

[٥٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٠] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿جَزَاءُ الْإِحْسَنِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ بالنعيم.

[٦١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٢﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤﴾ وَلَمَّا خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٠﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زُورَعَانِ ﴿١١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِيهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿١٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٤﴾ فِيهِمَا قَصِيرَتِ الْأَلْفَارِ لَمْ يَطْمِئْنُوا إِلَيْنَا قَتْلَهُمْ وَلَا جَاءَ لَهُنَّ الْيُتْرَارُ ﴿١٥﴾ كَأَنَّهُنَّ آيَاتُ قُرْآنٍ مَوْجِدٍ مَّا جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿١٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٧﴾ تَكْذِيبَانِ ﴿١٨﴾ مُدْهَمَمَتَانِ ﴿١٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٢١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٢٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾

[٦٢] ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: الجنتين المذكورتين ﴿جَنَّتَانِ﴾^(٤) أيضًا، لمن خاف مقام ربه.

[٦٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٤] ﴿مُدْهَمَمَتَانِ﴾ سوداوان من شدة خضرتهما.

[٦٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوارتان بالماء، لا ينقطعان.

[٦٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فصة آيتهما وما فيها؛ وجنتان من ذهب آيتهما وما فيها. وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الرحمن (٥٥) باب (١) ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

(٢) أي: على ما قبل حذف «واو» وبعد حذف تصحیح «دات» فتلى على «ذاتان». والفصح في تنبيها: «ذوات»، كما في الآية.

(٣) أي لأن أصلها: «هذي»؛ تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلت ألفًا، فأصبحت: «هذوي»؛ كـ «هني».

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا هَٰذَا آيَةً مِنْهُنَّ إِلَّا بِكُرَّاءٍ﴾ (الواقعة: ٣٥، ٣٦) أي: يجعلهن بعد الثبوت بكرة.

[٧٦] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ أي: أزواجهم، وإعراجه، كما تقدم ﴿عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ﴾ جمع روفة؛ أي: بُشَط، أو: وسائد ﴿وَعَبَقَرِيَّ حَسَنٍ﴾ جمع عبقرية؛ أي: طنافس. [٧٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٨] ﴿تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تقدم، ولفظ «اسم» زائد.

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

[مكية، إلا ﴿أَنهَذَا الْخُبْرُ﴾ الآية، و﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الآية، وهي: ست، أو: سبع، أو: تسع وتسعون آية] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا وَفَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة. [٢] ﴿لَيْسَ لَوْعِهَا كَاذِبَةٌ﴾ نفس تُكذَّب، بأن تفيعها كما نفتها في الدنيا. [٣] ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ أي: هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة. [٤] ﴿إِذَا رَحَّتِ الْأَرْضُ رَحًا﴾ تحركت حركة شديدة. [٥] ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ قُتَّت. [٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا﴾ غبارًا ﴿مُبْتَنًّا﴾ منتشرة، و﴿إِذَا الْثَانِيَةَ بَدَلُ مِنَ الْأُولَى﴾. [٧] ﴿وَكُنْتُمْ فِي الْيَوْمِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ﴿ثَلَاثَةً﴾ [٨] ﴿فَأَصْحَبُ الْمُيمَنَةِ﴾ وهم الذين يُؤْتُونَ كتبهم بأيمانهم، مبتدأ خبره: ﴿مَا أَصْحَبُ الْمُيمَنَةِ﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة. [٩] ﴿وَأَصْحَبُ الْمُشْغَمَةِ﴾ أي: الشمال، بأن يُؤْتَى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَا أَصْحَبُ الْمُشْغَمَةِ﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار. [١٠] ﴿وَالسَّائِقُونَ﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء، مبتدأ ﴿السَّائِقُونَ﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم. [١١] ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾. [١٢] ﴿فِي جَنَّاتٍ أَلْوَنٍ﴾. [١٣] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ مبتدأ، أي: جماعة من الأمم الماضية [١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة^(١). [١٥] والخير: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر. [١٦] ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَرَّبِينَ﴾ حالان من الضمير في الخبر.

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٩﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنَّهُنَّ بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴿٨٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨١﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٨٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨٣﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٤﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا وَفَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رَحَّتِ الْأَرْضُ رَحًا ﴿٤﴾ وَسُبَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَبُ الْمُيمَنَةِ ﴿٨﴾ مَا أَصْحَبُ الْمُيمَنَةِ ﴿٩﴾ وَأَصْحَبُ الْمُشْغَمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمُشْغَمَةِ ﴿١٠﴾ وَالسَّائِقُونَ السَّائِقُونَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٢﴾ فِي جَنَّاتٍ أَلْوَنٍ ﴿١٣﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٥﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٦﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَرَّبِينَ ﴿١٧﴾

[٦٨] ﴿فِيهَا فَكَّهٌ﴾ وَعَلَى رُفُوفٍ ﴿١﴾ هما منها^(٢)، وقيل: من غيرها. [٦٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٠] ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنة وما فيها^(٣) ﴿خَيْرَاتٌ﴾ أخلاقًا ﴿حِسَانٌ﴾ وجوهاً. [٧١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٢] ﴿حُورٌ﴾ شديداً سواد العيون وبياضها ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ مستورات ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ من دُور مجوف، مضافة إلى القصور، شبيهة بالحدود. [٧٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٤] ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنَّهُنَّ بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قبل أزواجهن ﴿وَلَا جَانٌّ﴾. [٧٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٥) فائدة: أخرجه الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، قد شئت؟ قال: «شيتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَسْتَأْذِنُ﴾، و﴿إِذَا انشَقَّتْ كُرْسِيُّ﴾». وسبق تخريجه في أول سورة هود.

(١) أي: النخل واللؤلؤ من الفاكهة.

(٢) في نسخة القاضي: «وقصورهما»، بدلاً من: «وما فيها». وقال ابن الجوزي في زاد المسير: «فِيهِنَّ» يعني في الجنات الأربع. اهـ، وكذا قال البغوي. وفي حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين: البحاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠) أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة؛ آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب؛ آتيتهما وما فيهما».

(٣) هذا قول مجاهد والحسن البصري، واختاره ابن جرير، ولم يحكي غيره. قال ابن كثير: «وهذا الذي اختاره ابن جرير فيه نظر؛ بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن؛ فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقال مجسوع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم اهـ. ثم قال ابن كثير: «فالقول الثاني في هذا المقام هو الأرجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من صدر هذه الأمة، و﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: من هذه الأمة. اهـ. وأول هذه الأمة هم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، وآخرها: الصلحاء، وهم قليل».

[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وَلَدُنْهُمْ مَعْلَدُونَ﴾ على شكل الأولاد، لا يهرمون. [١٨] ﴿يَا كُؤُوبُ﴾ أقداح لا غرى لها ﴿وَالْبَارِقُ﴾ لها عرى وخراطيم ﴿وَكُؤُوبُ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ أي: خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً.

[١٩] ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾ يفتح الزاي وكسرها^(١)، من نُزف الشارب وأنزف: أي: لا يحصل لهم منها صداع، ولا ذهاب عقل، بخلاف خمر الدنيا. [٢٠] ﴿وَفَكَهَةٌ مِمَّا يَنْخَرُوتُ﴾. [٢١] ﴿وَنَقِيرٌ طَيْرٍ مِمَّا يَنْتَبُونَ﴾. [٢٢] ﴿ذِي لَهُم لِلْإِسْتِمَاعِ﴾ حَرْزٌ ﴿نَسَاءً شَدِيدَاتِ سَوَادِ الْعُيُونِ وَبَيَاضِهَا﴾^(٢) ﴿عَيْنٍ﴾ ضخام العيون، كسرت عينه بدل ضمها؛ تجانسة الياء^(٣)، ومفردة: عيناء؛ كحمراء، وفي قراءة^(٤) بحر «حور عين». [٢٣] ﴿كَأَمْثَلِ الْوُلُوفِ الْمَكُونِ﴾ المصون. [٢٤] ﴿جَزَاءً﴾ مفعول له، أو: مصدر، والعامل مقدر؛ أي: جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو: جزياهم ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿قَوًّا﴾ فاحشاً من الكلام ﴿وَلَا تَأْتِيًا﴾ ما يؤتم. [٢٦] ﴿لَا﴾ لكن ﴿يَلَا﴾ قولاً ﴿سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ بدل من: ﴿يَلَا﴾ فإنهم يسمعون. [٢٧] ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾. [٢٨] ﴿فِي يَمِينٍ﴾ شجر التين ﴿تَنْضُورٌ﴾ لا شك فيه. [٢٩] ﴿وَطَلْحٌ﴾ شجر الموز ﴿تَنْضُورٌ﴾ بالحمل، من أسفله إلى أعلاه. [٣٠] ﴿وَطَلْحٌ تَمْدُورٌ﴾^(٥) دائم. [٣١] ﴿وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ﴾ جار دائماً. [٣٢] ﴿وَفَكَهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾. [٣٣] ﴿لَا مَقْطُوعَةٌ﴾ في زمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٌ﴾ بمن. [٣٤] ﴿وَفَرْنٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ على السرر. [٣٥] ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ أي: الحور العين من غير ولادة.

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى، ولا وجع. [٣٧] ﴿عُرْبًا﴾ بضم الراء وسكونها^(٥)؛ جمع غزوب، وهي: المتحبة إلى زوجها عشقاً له ﴿أَرْبَابًا﴾ جمع تزوب؛ أي: مستويات في السن. [٣٨] ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ صلة «أنشأناهن» أو «جعلناهن». [٣٩] وهم ﴿فُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾. [٤٠] ﴿وَفُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾^(٦).

[٤١] ﴿وَأَصْحَابُ الْإِثْمَالِ مَا أَصْحَابُ الْإِثْمَالِ﴾. [٤٢] ﴿فِي سَمُورٍ﴾ ريح حارة من النار، تنفذ في المسام ﴿وَكَبِيرٍ﴾ ماء شديد الحرارة. [٤٣] ﴿وَطَلْحٌ مِّنْ يَّمُورٍ﴾ دخان شديد السواد. [٤٤] ﴿لَا بَارِدٌ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٌ﴾ حسن المنظر. [٤٥] ﴿إِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتَرَفِفِينَ﴾ منعمين؛ لا يتبعون في الطاعة.

[٤٦] ﴿وَكَاؤُا يُبْرُونَ عَلَى الْيُسْنِ﴾ الذنب ﴿الْعَظِيمِ﴾ أي: الشوك.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْهُمْ مَعْلَدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُؤُوبُ وَالْبَارِقُ وَكُؤُوبُ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَةٌ مِّمَّا يَنْخَرُوتُ ﴿٢٠﴾ وَنَقِيرٌ طَيْرٍ مِّمَّا يَنْتَبُونَ ﴿٢١﴾ ذِي لَهُم لِلْإِسْتِمَاعِ ﴿٢٢﴾ نَسَاءً شَدِيدَاتِ سَوَادِ الْعُيُونِ وَبَيَاضِهَا ﴿٢٣﴾ كَأَمْثَلِ الْوُلُوفِ الْمَكُونِ ﴿٢٤﴾ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا الْقَوَّا وَلَا تَأْتِيًا ﴿٢٦﴾ لَّا لَكِنْ يَلَا قَوْلًا سَلَكْنَا سَلَكًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ فِي يَمِينٍ شَجَرِ التِّينِ تَنْضُورٌ لَّا شَكَّ فِيهِ. ﴿٢٩﴾ وَطَلْحٌ شَجَرُ الْمَوْزِ تَنْضُورٌ بِالْحَمْلِ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ. ﴿٣٠﴾ وَطَلْحٌ تَمْدُورٌ دَائِمٌ. ﴿٣١﴾ وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ جَارٍ دَائِمًا. ﴿٣٢﴾ وَفَكَهَةٌ كَثِيرَةٌ. ﴿٣٣﴾ لَّا مَقْطُوعَةٌ فِي زَمَنِ وَلَا مَمْنُوعَةٌ بِمَنْ. ﴿٣٤﴾ وَفَرْنٌ مَرْفُوعَةٌ عَلَى السَّرْرِ. ﴿٣٥﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً أَيْ: الْحَوْرَ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَلَدَةٍ. ﴿٣٦﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عَذَارَى، كُلَّمَا أَتَاهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ وَجَدُوهُنَّ عَذَارَى، وَلَا وَجَعَ. ﴿٣٧﴾ عُرْبًا بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِهَا^(٥)؛ جَمْعُ غَزُوبٍ، وَهِيَ: الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا عَشَقًا لَهُ ﴿أَرْبَابًا﴾ جَمْعُ تَزُوبٍ أَيْ: مُسْتَوَاتَاتٍ فِي السِّنِّ. ﴿٣٨﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ صِلَةُ «أَنْشَأْنَاهُنَّ» أَوْ «جَعَلْنَاهُنَّ». ﴿٣٩﴾ وَهِيَ «فُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ». ﴿٤٠﴾ «وَفُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ»^(٦).

[٤٧] ﴿وَكَاؤُا يُقُولُونَ أَيْدًا مِّنَّا وَكُنَّا تُرَاكًا وَعِظْمًا إِلَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ في الهمزتين في الموضوعين: التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(٧).

[٤٨] ﴿أَوَّابًا تَأْوِلُ الْأَوَّلُونَ﴾ بفتح الواو للعطف، والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد، وفي قراءة^(٧) بسكون الواو، عطفاً به أو، والمعطوف عليه: محل «إن» واسمها. [٤٩] ﴿فُلَّةٌ يَكُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾. [٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَيَّ مِيقَاتٍ﴾ لوقت ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: يوم القيامة.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وأقرءوا إن شئتم: ﴿وَطَلْحٌ تَمْدُورٌ﴾». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الواقعة (٥٦) باب (١) ﴿وَطَلْحٌ تَمْدُورٌ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿فُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَقِيلَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿فُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين، فنزلت: ﴿فُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَفُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال: «أنتم ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة، وتقاسمونها نصف الباقي». أخرجه أحمد في المسند (٣٩١/٢)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريجيه على المسند (١٣٢/١٧) رقم (٩٠٦٩).

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٢) أي: سواد الخدقة وبياض ما حولها، وقيل مع شدة بياض الجسد كذلك.

(٣) لأن أصلها: «عُيُن» بضم العين وسكون الياء.

(٤) لخمزة والكسائي.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة.

(٦) أي وتركه، وقرأ نافع والكسائي بالاستفهام في الأول والإحار في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٧) بالسكون قراءة ابن عامر وقائلون.

ثُمَّ لَكُمْ إِلَهاً اضْأَلُونَ الْمَكِيدُونَ ﴿٥١﴾ لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رُحْمٍ ﴿٥٢﴾
فَالْوَنُ مِنْهَا الْبَطُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيرِ ﴿٥٤﴾ فَتَشْرَبُونَ
شَرْبَ الْهَمِيرِ ﴿٥٥﴾ هَذَا أَنْزَلَهُمْ يَوْمَ الْدِينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
تَصَدَّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونُ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ءَأَمْرُ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدْ زَايَيْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَ فِي مَآلَا تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلَّمْنَا النِّسَاءَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾
ءَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا
مَعْرُومُونَ ﴿٦٥﴾ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٦﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ
مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٧﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ ﴿٦٨﴾ أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٦٩﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ
شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٠﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَنْعًا
لِلْمُفْسِدِينَ ﴿٧١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٢﴾ فَلَا أُقْسِمُ
بِمَوْقِعِ الْجُبُورِ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّهُ لَفَسُّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٤﴾

[٥١] ﴿ثُمَّ لَكُمْ إِلَهاً اضْأَلُونَ الْمَكِيدُونَ﴾ [٥٢] ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رُحْمٍ مِنْ رُحْمٍ﴾ بيان للشجر. [٥٣] ﴿فَالْوَنُ مِنْهَا الْبَطُونَ﴾ من الشجر. [٥٤] ﴿فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيرِ﴾ أي: الرقوم المأكول. [٥٥] ﴿فَتَشْرَبُونَ شَرْبَ الْهَمِيرِ﴾ [٥٦] ﴿هَذَا أَنْزَلَهُمْ يَوْمَ الْدِينِ﴾ [٥٧] ﴿تَصَدَّقُونَ﴾ [٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونُ﴾ أي: الرقوم المأكول. [٥٩] ﴿نَحْنُ قَدْ زَايَيْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [٦٠] ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَ فِي مَآلَا تَعْمَلُونَ﴾ [٦١] ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا النِّسَاءَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٦٢] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [٦٣] ﴿ءَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [٦٤] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا مَعْرُومُونَ﴾ [٦٥] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ [٦٦] ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ [٦٧] ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [٦٩] ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [٧٠] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَنْعًا لِلْمُفْسِدِينَ﴾ [٧١] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [٧٢] ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ الْجُبُورِ﴾ [٧٣] ﴿وَإِنَّهُ لَفَسُّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [٧٤]

خَلَقْنَاكُمْ ﴿٥١﴾ أوجدناكم من عدم ﴿فَلَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿تَصَدَّقُونَ﴾ بالبعث؛ إذ القادر على الإنشاء قادر على إعادة. [٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونُ﴾ تريقون من المني في أرحام النساء. [٥٩] ﴿ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه^(٦) في المواضع الأربعة ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ أي: المني بشراً ﴿أَمْ تَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾. [٦٠] ﴿نَحْنُ قَدْ زَايَيْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف^(٧) ﴿بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين.

[٦١] ﴿عَلَى﴾ عن ﴿أَنْ نُبَدِّلَ﴾ نجعل ﴿أَمْثَلَكُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنشِئَ فِي مَآلَا تَعْمَلُونَ﴾ نخلقكم ﴿فِي مَآلَا تَعْمَلُونَ﴾ من الصور؛ كالقردة والخنازير. [٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا النِّسَاءَ﴾^(٨) ﴿الْأُولَى﴾ وفي قراءة بسكون الشين ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الدال^(٩). [٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ تثيرون في الأرض، وتلقون البذر فيها؟ [٦٤] ﴿ءَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ﴾ تبتئونه ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾. [٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا﴾ نباتاً يابشاً، لا حب فيه ﴿فَلَمَّا تَعْلَمُوا﴾ أصله: ظلمتم بكسر اللام، حذف تخفيفاً؛ أي: أقسمت نهاراً ﴿تَعْلَمُونَ﴾ حذف منه إحدى التائين في الأصل؛ تعجبون من ذلك، وتقولون: [٦٦] ﴿إِنَّا لَمَعْرُومُونَ﴾ نفقة زرعنا. [٦٧] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ممنوعون زرعنا.

[٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾. [٦٩] ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ السحاب، جمع «مزن» ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾. [٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ ملحاً لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ تخرجون من الشجر الأخضر. [٧٢] ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا﴾ كالنوخ والغفار والكَلَخ^(١٠) ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾. [٧٣] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ نار جهنم ﴿وَمَنْعًا﴾ بَلَقَةً ﴿لِلْمُفْسِدِينَ﴾ للمسافرين؛ من: أقوى القوم؛ أي: صاروا بالقوا، بالقصر والمد؛ أي: القفر، وهو: مفازة لا نبات فيها ولا ماء. [٧٤] ﴿فَسَبِّحْ﴾ زَرَّة ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ لا زائدة

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: الله. [٥٥] ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِمَوْقِعِ الْجُبُورِ﴾ بمساقطها لغروبها^(١١). [٧٦] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القسم بها ﴿لَفَسُّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم.

(١) بالفتح قراءة الكسائي وإن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) انظر التعليق على الآية (١٧) من سورة الفرقان.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: «النشأة» بسكون الشين.

(٥) وهي قراءة نافع وإن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بتخفيف الدال: «تذكرونها».

(٦) أنواع من الشجر سريعة القدح.

(٧) أي: الباء، وليس لفظاً (اسم)؛ كما قال - تعالى -: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ﴾ [الأعلى: ١]. وكما يجب تزييه الله عما لا يليق به؛ فإنه يجب أن تُسَمَّاهُ التي سُمي به نفسه، أو سماه بها

رسوله ﷺ.

(٨) هذا قول قتادة، وقال عطاء: مواقع النجوم: منازلها. وهذا أظهر؛ فإنه كما للشمس مشارق ومغارب؛ فللقمر بروج ومنازل.

إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَوَيْدَ الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تُرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلْطَنٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ ﴿٩٢﴾ فَضَالَلِينَ ﴿٩٣﴾ فَذُلٌّ مِنَ هِمٍ وَتَضْلِيلُهُ جَحِيمٌ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

وجيء به «لما» دون «من» تغليبا للأكثر ﴿هُوَ الْقَدِيرُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صفة (٥).

[٢] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي﴾ بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده ﴿هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء، بلا بداية ﴿وَالْآخِرُ﴾ بعد كل شيء، بلا نهاية ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بالأدلة عليه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عن إدراك الحواس (١) ﴿هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

سُورَةُ الْجَزَائِرِ

[مكية، أو: مدنية، وأياتها تسع وعشرون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: نزهه كل شيء، فاللام مزيدة،

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٥ - ٨٢): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق بوء كذا وكذا. قال: مرت هذه الآية: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ الْكُفْرِ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾. مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٣٢) كفر من قال مطرنا بالنوء.

(١) أكثر المفسرين أن المراد لكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، والمطهرون هم الملائكة، ولا يمشه يفيد النفي على ظاهره، وهذا هو الأرجح.

(٢) أي: عن محل الروح، وهو الجسد.

(٣) أي: وجواب (٢) محذوف؛ لدلالة المذكور عليه، وهذا معهود كثيرا.

(٤) أشار بهذا إلى أن «السلام» في الآية بمعنى: السلامة، وهذا قول ابن عباس. وقال عطاء: تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين، وهو قريب من قول البخاري: تسلم لك أنك من أصحاب اليمين، وقيل المعنى: سلام لك يا صاحب اليمين، ففيه لغات من الغيبة إلى الخطاب؛ تعظيما لصاحب اليمين.

(٥) سبق التنبيه في سورة البقرة آية (١٢٩) على أن الأولى التعميم في متعلق الحكمة؛ فقال: الحكيم في كل شأن من شؤنه، من صعه، وقدره، وتشريع، وجرائه، وإرساله، وإنزاله، كتبه... الخ. وبعده هنا للتذكير والتأكيد.

(٦) والأولى تفسير هذين الاسمين بما فسرهما به النبي ﷺ في قوله: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» فيكون اسمه الظاهر دالاً على علوه، واسمه الباطن دالاً على إحاطة علمه.

[٥] ﴿لَهُمْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِلٰهٌ تَرْجِعُ الْاُمُوْرَ﴾ الموجدات جميعها.

[٦] ﴿يُوْلِجُ اللَّيْلَ﴾ يدخله ﴿فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد وينقص الليل ﴿وَيُوْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد وينقص النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٧] ﴿ءَامِنُوْا﴾ دأبوا على الإيمان ﴿بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ﴾ وأنفقوا في سبيل الله ﴿وَمَا جَعَلَكُمْ مُّشْتَخَفِيْنَ فِيْهِ﴾ من مال من تقدمكم، وسيخلفكم فيه من بعدكم، نزل في غزوة العشرة، وهي غزوة تبوك^(١) ﴿وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ إشارة إلى عثمان^(٢) ﴿مَنْ أَتَىٰ كِبَرَ﴾.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُوْنَ﴾ خطاب للكفار؛ أي: لا مانع لكم من الإيمان ﴿بِاللّٰهِ وَالرَّسُوْلِ يَدْعُوْكُمْ لِيُؤْمِنُوْا بِرَبِّكُمْ﴾ وقد [أجذب] بضم الهمزة وكسر الحاء، وفتحها ونصب ما بعده^(٣) ﴿﴿مِثَاقُكُمْ﴾﴾ عليه؛ أي: أخذه الله في عالم الدُّنْى حين أشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا بلى^(٤) ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ﴾ أي: مريدن الإيمان به، فبادروا إليه.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يَرْزُقُ عَلَى عِبْدِهِ ءَايَةً يِّنْتَبِهُ﴾ آيات القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّوْرِ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يَكُوْنُ فِي إِخْرَاجِكُمْ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ﴾ ﴿لَرَوْفٌ رَّحِيْمٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ بعد إيمانكم ﴿أَلَّا﴾ فيه إدغام نون «أن» في لام «لا» ﴿تُنْفِقُوْا فِي سَبِيْلِ اللَّهِ وَلَهُ مِيرٰثُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ بما فيها؛ فنصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتخرجون ﴿لَا يَسْتَوِيْ مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِّن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ لمكة ﴿وَقَتْلَ أَوْلٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِيْنَ أَنفَقُوْا مِّن بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلًا﴾ من الفريقين، وفي قراءة^(٥): بالرفع، مبتدأ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْخٰسِرِيْنَ﴾ اجنة ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١] ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَرْفُضُ اللَّهَ﴾ يأنفak ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينقذه لله ﴿فِيضَعُفُهُ﴾ وفي قراءة^(٦) ﴿فِيضَعُفُهُ﴾ بالتشديد ﴿لَهُ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة، كما ذكر في البقرة ﴿وَلَهُ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيْمٌ﴾ مقترن به رضا وإقبال.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيْجُ فِي الْاَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَصْرُجُ فِيْهَا وَهُوَ مَعَكُمْ اِنْ مَّا كُنْتُمْ بِاللّٰهِ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاِلٰى اللَّهِ تُرْجَعُ الْاُمُوْرُ ﴿٢﴾ يُوْلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ﴿٣﴾ ءَامِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ ؕ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْفٰٓيْنَ فِيْهِ فَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيْرٌ ﴿٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالرَّسُوْلِ يَدْعُوْكُمْ لِيُؤْمِنُوْا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِثَقَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ ؕ ءَايٰتٍ يِّنْتَبِهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ ؕ وَلَئِنْ لَّمْ يَكُ مِّن لَّرَوْفٌ رَّحِيْمٌ ﴿٦﴾ وَمَا لَكُمْ اَلَّا تُنْفِقُوْا فِي سَبِيْلِ اللَّهِ وَلَهُ مِيرٰثُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَا يَسْتَوِيْ مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِّن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِيْنَ أَنفَقُوْا مِّن بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلًا وَعَدَ اللَّهُ الْخٰسِرِيْنَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ ﴿٧﴾ مَّن ذَا الَّذِي يَرْفُضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ ؕ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيْمٌ ﴿٨﴾

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أولها الأحد وآخرها الجمعة^(١) ﴿ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الكرسي^(٢) استواء^(٣) يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِيْجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْاَرْضِ﴾ كالطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَصْرُجُ﴾ يصعد ﴿وَمَا يَصْرُجُ﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة^(٤) ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه^(٥) ﴿اِنْ مَّا كُنْتُمْ بِاللّٰهِ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ﴾.

(١) سبق الرد على تعيين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه المحلي ها، أو في نحوها من الآيات وأن هذا لا سند له. وذلك في سورة فصلت الآية (٩).

(٢) والعرش غير الكرسي كما سبق، وهو أعظم منه كما في الحديث.

(٣) سبق التعليق على تفويض الاستواء، وأنه إذا كان يريد تفويض الكيفية فهذا حق، وإن كان يريد تفويض المعنى؛ فغير صحيح، إذ إن السلف يعلمون بن معناه: الاستقرار والعلو.

(٤) المناسب حذفه، لأن الذي يرفع إما هو الأعمال الصالحة كما في قوله - تعالى -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾.

(٥) أي: وهو فوق عرشه بذاته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسمي لمعة انعام والخاص وحقيقتها في آخر سورة النحل.

(٦) لم أقف على أحد من المفسرين غير المحلي ذكر أن هذا سبب نزول الآية، والصحيح أنها عامة، وليست بما نزل على سبب، والله أعلم.

(٧) وكذا غيره من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا دليل على قصرها على عثمان^(٨).

(٨) بالنظم قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالفتح: ﴿أَخَذَهُ﴾، ونصب: ﴿مِثَاقُكُمْ﴾.

(٩) الأعراف: ١٧٢.

(١٠) لابن عامر.

(١١) لابن كثير وابن عامر، لكن ابن كثير مع الرفع.

وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿٢٠﴾ الدالة على وحدانيته وأولئك أصحاب الحجير النار.

[٢٠] ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُغْثٌ وَزِينَةٌ ﴿٢١﴾ تَزِينُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴿٢٢﴾ أَي: الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿كَمَثَلِ﴾ أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل ﴿عَيْتٍ﴾ مطر ﴿أَعْيَبَ الْكُفَّارُ﴾ الزراع^(١) ﴿بَنَاتُهُ﴾ الناشئ عنه ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ يبيس ﴿فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ فثأنا يضمحل بالرياح ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن أثر عليها الدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ما التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتْنَعٌ الْفُورِ﴾.

[٢١] ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: الشعة ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

[٢٢] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ بالجدب^(٢) ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ كالمرض، وفقد الولد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿وَمِن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[٢٣] ﴿لِكَيْلَا﴾ «كي» ناصبة للفعل بمعنى «أن»؛ أي: أخير - تعالى - بذلك لئلا ﴿تَأْسَوْا﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فرح بطر، بل فرح شكر على النعمة ﴿بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ بالمد: أعطاكم، وبالقصر^(٣): جاءكم منه ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ﴾ به على الناس.

[٢٤] ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ﴾ به، لهم وعيد شديد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل، وفي قراءة^(٤) بسقوطه ﴿الْفَقِي﴾ عن غيره ﴿الْحَكِيمُ﴾ لأوليائه.

وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَوَرُودُهُمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿٢٠﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُغْثٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ عَيْتٍ أَجْبَ الْكُفَّارُ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعُ الْفُورِ ﴿٢١﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٢﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٣﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٥﴾

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ المبالغون في التصديق ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ على المكذبين من الأمم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ

(١) وهذا قول كثير من المفسرين، وقيل: المراد الكافرون بالله سبحانه؛ لأنهم أشد إعجابًا وافتتانًا بزيينة الحياة الدنيا. وهذا القول أقرب، واستحسنه القرطبي.

(٢) ونحوه كالوباء والغلاء والقحط، والأولي: أن يقول: كالجدب؛ ليكون ذلك على سبيل التشثيل.

(٣) بالقصر قراءة أبي عمرو.

(٤) لنافع وابن عامر.

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿يَأْتِيكَ﴾ بالحجج القواطع ﴿وَأَرْسَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ وَأَرْسَلْنَا الْحَدِيدَ أَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْمَعَادِنِ ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقاتل به ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ﴾ علم مشاهدة، معطوف على: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ ﴿مَنْ يَصْرُ﴾ بَأْسٌ يَنْصُرُ دِينَهُ ثَلَاثَ الْحَرْبِ، مِنَ الْحَدِيدِ وَغَيْرِهِ ﴿وَرُسُلُهُ بِالْقَيْبِ﴾ حَالٌ مِنْ هَاءٍ ﴿يَنْصُرُ﴾ أَي: غَاثِبًا عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَنْصُرُونَهُ وَلَا يَصِرُونَهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى النَّصْرَةِ، لَكِنَّا نَنْفَعُ مِنْ بَأْسِي بِهَا.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يعني الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، فإنها في ذرية إِبْرَاهِيمَ ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بُرْسُلَنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً﴾ هي رفض النساء واتخاذ الصوامع ﴿اتَّبَعُوهَا﴾ من قبل أنفسهم ﴿مَا كُنَّيْنَهَا عَلَيْهِمْ﴾ مَا أَمْرَانَهُمَا بِهَا ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ فَعَلُوهُمَا ﴿آيَةً رَّضَوْنَ﴾ مرضاة ﴿اللَّهُ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا﴾ إِذْ تَرَكَهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَكَفَرُوا بِدِينِ عِيسَى، وَدَخَلُوا فِي دِينِ مُلْكِهِمْ، وَبَقِيَ عَلَى دِينِ عِيسَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَأَمْنُوا بِبَنِيهَا ﴿فَتَأْتِيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِهِ ﴿مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٨] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِعِيسَى ﴿أَتَقُوا اللَّهَ وَءَامَنُوا بِرُسُولِهِ﴾ مُحَمَّد ﷺ وَعِيسَى ﴿يُؤْتِكُمْ كَفَالَيْنِ﴾ نَصِييْنِ ﴿بَيْنَ رَحْمَتِهِ﴾ لِإِيمَانِكُم بِالنَّبِيِّينَ ﴿وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ عَلَى الصِّرَاطِ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿لَيْلًا يَلْعَنُ﴾ أَي: أَعْلَمَكُمْ بِذَلِكَ، لِيَعْلَمَ ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ التوراة، الذين لم يؤمنوا بِمُحَمَّد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مُخَفِّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاسْمُهَا ضَمِيرُ النَّسَاءِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ خِلَافَ مَا فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَحِبَّاءُ اللَّهِ وَأَهْلُ رِضْوَانِهِ ﴿وَأَنَّ أَفْضَلَ بَيْدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يَعْطِيهِ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فَآتَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ، كَمَا تَقْدِمُ ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

(هـ) مَا جَاءَ فِي نزول الآيات (٢٧ - ٢٩): أُنْزِلَ النَّسَائِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ مُلُوكٌ حُدَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَدَلُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَكَانَ فِيهِمْ مُؤْمِنُونَ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ، قِيلَ لِمُلُوكِهِمْ: مَا نَجِدُ شَيْئًا أَشَدَّ مِنْ شَيْءٍ يَشْمُونَهُ هَؤُلَاءِ؛ إِنَّهُمْ يَقْرَءُونَ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلْهُ يَمَّا أَرْزَلَهُ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وَهَؤُلَاءِ الْآيَاتُ، مَعَ مَا يَعْبُونَهَا فِي أَعْمَالِنَا فِي قِرَائَتِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَلْيَقْرَأُوا كَمَا نَقْرَأُ، وَلْيُؤْمِنُوا كَمَا آمَنَّا، فَدَعَاهُمْ فَجَمَعَهُمْ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ أَوْ يَرَكُوا قِرَاءَةَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا مَا بَدَلُوا مِنْهَا. فَقَالُوا: مَا تَرِيدُونَ إِلَىٰ ذَلِكَ، دَعَوْنَا، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: ابْنُوا لَنَا أَسْطُوَانَةً ثُمَّ اذْهَبُوا إِلَيْهَا ثُمَّ اعْطُونَا شَيْئًا نَرْفَعُ بِهِ طَعَامَنَا وَشَرَابَنَا فَلَا نَزِدَ عَلَيْكُمْ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: دَعَوْنَا نَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَنَهَيْتُمْ وَنَشَرْتُمْ كَمَا يَشْرِبُ الْوَحْشُ، فَإِنْ قَدَرْتُمْ عَلَيْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَاقْبَلُوا، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: ابْنُوا لَنَا دُورًا فِي الْفَيَافِي، وَنَحْتَفِزُ الْآيَارَ وَنَحْتَرِثُ الْبِقُولَ فَلَا نَزِدَ عَلَيْكُمْ وَلَا تَمُرُّ بِكُمْ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْقَبَائِلِ إِلَّا وَلَهُ حَمِيمٌ فِيهِمْ. قَالَ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَأَبْرَأَ اللَّهُ ﷻ عَنْ شَرِكِهِمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِإِيمَانِ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِهِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ ﷺ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ نَحِطَ رَجُلٌ مِنْ صُومَعَتِهِ، وَجَاءَ سَائِحٌ مِنْ سِيَاحَتِهِ، وَصَاحِبُ الدِّبْرِ مِنْ دِيرِهِ، فَأَمَّا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، فَقَالَ اللَّهُ: تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِرُسُولِهِ. يُؤْتِكُمْ كَفَالَيْنِ بَيْنَ رَحْمَتِهِ﴾: أَجْرَيْنِ: لِإِيمَانِهِمْ بِعِيسَى وَبِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَلِإِيمَانِهِمْ بِمُحَمَّد ﷺ وَتَصَدِّقِهِمْ. قَالَ: ﴿يَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ الْفَرَانَ وَالتَّابِعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: ﴿لَيْلًا يَلْعَنُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يَشْفِيهِمْ بِكُمْ: ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ الْآيَةُ. النَّسَائِيُّ. كِتَابُ آدَابِ الْقَضَاءِ (٤٩) بَابُ (١٢). (صحيح الإسناد موقوف) صحيح سنن النسائي (٤٩٩٠).

وقال ابن كثير: «هذا السياق فيه غرابة، وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا».

سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٠١﴾ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ
مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَآ هُمْ أَهْمُهُمْ أَنْ أَهْمَتْهُمْ إِلَّا إِلَهِي
وَلَدَهُمْ وَآهْتُمْ لَيَقُولُونَ مُكْرِمًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ﴿١٠٢﴾ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نَسَاهُمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ مَا سَأَلَ لَكُمْ تَوْعُطُونَ
بِهِ ۖ وَاللَّهُ يَمَّا نَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ مَا سَأَلَ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطَاعُهُ سِتِّينَ
مَسْكِينًا ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
كَبُورُ مَا كَيْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَفَدَّ أَنْزَلْنَاهُ آيَةً يَسْتَسْتِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ يَبْعَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَقْبِضَهُمْ
بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۖ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٠٦﴾

سُورَةُ الْحَجَّاتِ

[مدنية، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ تُرَاجِعُ أَيُّهَا النَّبِيُّ

(هـ) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٤): أخرج أبو داود عن حويلة بنت مالك بن ثعلبة، قالت: ظاهر مني أوس بن الصامت، فحجبت رسول الله ﷺ أشكره (إليه) ورسول الله ﷺ يجادلني فيه، ويقول: «تالله! فإنه ابن عمك». فما برحت حتى نزل القرآن: ﴿وَقَدْ سَمِعَ أَنَّهُ قَوْلُ لَئِنِّي تُحْذِرُكَ فِي رَوْحِيهَا﴾ إلى الغرض، فقال: «يجتن رقية». قالت: لا يحد. قال: «فصوم شهرين متتابعين». قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به صيام. قال: «فليقطع سنين مسكياً». قالت: ما عنده شيء يصدقه به. قالت: فأني ساعدت بقرق من تمر. قلت: يا رسول الله، فإني أعيته بقرق آخر. قال: «قد أحسنت، أذهبي فاطمعي بها عنه سنين مسكياً وارجعي إلى ابن عمك». قال: «والقرق سنون صاعاً. أبو داود - كتاب الطلاق (١٧) في الظهار. حسن دون قوله: «والقرق سنون صاعاً». صحيح سنن أبي داود (٩٦٤).

(١) ويقال لها أيضًا: «خويلة» بالتصغير.

(٢) العلم غير السميع والبصر؛ فالسمع تدرك به الأصوات، والبصر تدرك به المرئيات، والعلم يشمل هذا وغيره، وكلها صفات ثابتة لله ﷻ يجب الإيمان بها على الوجه اللائق به - سبحانه - .

(٣) أي: ﴿بَظَاهِرُونَ﴾، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) لحمزة والكسائي وابن عامر.

(٥) وهي قراءة عاصم.

(٦) أي: في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ آية (٣).

(٧) انظر التعليق على كلمة (اللاتي) في سورة الأحزاب، الآية (٢).

[٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَتْلُمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ بَعْلَمُهُ﴾ ^(١) ﴿وَلَا حُمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا يَتَّبِعُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَؤُودُونَ بِمَا هُوَ عَنْهُ وَيَنْجَوْنَ بِالْإِنْتِهَاءِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ هم اليهود، نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم؛ أي: تحدثهم سرا ناظرين إلى المؤمنين؛ ليقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وإِذَا جَاءَكَ حَيْوَكُ﴾ أيها النبي ﴿بِمَا لَمْ يَجِيكَ بِهِ اللَّهُ﴾ وهو قولهم: السام عليك؛ أي: الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُعَذِّبَنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ من النجوة، وأنه ليس بنبي، إن كان نبيا؟ ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَصُلُوهُمْ﴾ فيئس المصير ﴿هي﴾.

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِنْتِهَاءِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالْقَوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّا أَلْتَجَوْنَا﴾ بالإنم ونحوه ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بغروره ﴿لِيُخْرِتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ هُوَ﴾ يضاروهم شيئا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: إرادته ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَحُوا﴾ توسعوا ﴿فِي الْمَجْلِسِ﴾ ^(٢) مجلس النبي ﷺ والذكر حتى يجلس من جاءكم، وفي قراءة: ﴿الْمَجْلِسِ﴾ ﴿فَاتَّخُوا بِسْمِ اللَّهِ لَكُمْ﴾ في الجنة ﴿وإِذَا قِيلَ [انْشُرُوا]﴾ قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات ﴿فَانْشُرُوا﴾ ^(٣)، وفي قراءة: بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَذُ﴾ يرفع ﴿الَّذِينَ أَوْفُوا أَلِيمَةً دَرَجَتٍ﴾ في الجنة ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حُمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا يَتَّبِعُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَؤُودُونَ بِمَا هُوَ عَنْهُ وَيَنْجَوْنَ بِالْإِنْتِهَاءِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴿٢﴾ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَكُ بِمَا لَمْ يَجِيكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَصُلُوهُمْ فِيئِسَ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِنْتِهَاءِ وَالْعَدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالْقَوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٤﴾ إِنَّا أَلْتَجَوْنَا مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُخْرِتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَحُوا فِي الْمَجْلِسِ فَاتَّخُوا بِسْمِ اللَّهِ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْفُوا أَلِيمَةً دَرَجَتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٦﴾

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج مسلم عن عائشة قالت: أتى النبي ﷺ أناس من اليهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم! قال: «وعليكم»، قالت عائشة: قلت: بل عليكم السام والذام، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لا تكوني فاحشة» فقالت: وما سمعت ما قالوا؟ فقال: «ألو ليس قد رددت عليهم الذي قالوا، قلت: وعليكم»، فأقول الله ﷻ: ﴿وإِذَا جَاءَكَ حَيْوَكُ بِمَا لَمْ يَجِيكَ بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية. مسمم، كتاب السلام (٣٩) باب (٤) الهني عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

(١) أي: وهو فوق عرشه بداته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسمي المعية العام والخاص وبيان حقيقتها في آخر سورة النحل.

(٢) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ عاصم: ﴿الْمَجْلِسِ﴾.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة بخلاف عنه، وقرأ بقية السبعة، وهو الوجه الثاني للشعبة: ﴿فَانْشُرُوا﴾ فأنشروا، بضم الشين فيهما.

فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة.

[١٣] ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(١) أي: خفتم من أن تُقدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَى صَدَقْتُمْ لِقَرِّ لَقَرَّ ﴿لَا تَزِدْ لَهُم مِّنْ صَدَقَةٍ﴾ الصدقة ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم عنها ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: داوموا على ذلك ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٤] ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ هم المنافقون ﴿فَوَلَّوْا﴾ هم اليهود ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ﴾ أي: المنافقون ﴿بِئْسَ كُفْرًا﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا يَهْتَمُّ﴾ من اليهود، بل هم مذنبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ أي: قولهم: إنهم مؤمنون ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أنهم كاذبون فيه^(٢).

[١٥] ﴿أَمَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي.

[١٦] ﴿أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ سترًا على أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدَّقُوا﴾ بها المؤمنين ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد فيهم، بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[١٧] ﴿لَنْ تَنفَعَكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿سَيَكُنْ﴾ من الإغناء ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٨] اذكر ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ﴾ أنهم مؤمنون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّؤْمِنُونَ﴾ من نفع حلفهم في الآخرة كالدينا ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

[١٩] ﴿أَسْتَعِذُّ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ بطاعتهم له ﴿فَأَسْتَعِذُّمُ﴾ الله ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ أي: أتباعه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى﴾ المولجين.

[٢١] ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ، أو: قضى ﴿لَأَعْلِيَنَّكَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجة، أو: السيف^(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَّ جَيْشُ الرَّسُولِ فَقَدِ مُوَابِّينَ يَدَى جُنُودِهِ صَدَقَهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطَهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى جُنُودِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا تَرَ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١٥﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدَّقُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَالَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧﴾ لَنْ تَنْفَعِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ءَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أَسْتَعِذُّ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَالَسَّ هُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ءَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى ﴿٢١﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلِيَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِرَاتِ اللَّهِ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٢﴾

[١٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَّ جَيْشُ الرَّسُولِ﴾ أردتم مناجاته ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى جُنُودِكُمْ﴾ قبلها ﴿صَدَقَهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطَهَرُ﴾ لذنوبكم ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ ما تصدقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لكم؛ يعني:

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (١٤، ١٨): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل حجرته... فقال لبعض أصحابه: «يجيئك رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه، فجاه رجل أزرى، فلما رآه النبي ﷺ دعاه، فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ قال: كما أنت حتى أتيتك بهم، قال: فذهب فجاء بهم فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا وما فعلوا، وأنزل الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَكَ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ﴾ إلى آخر الآية. أحمد - للسند (١/ ٣٥٠). ونحوه في (١/ ٢٤٠) لكن فيه نزلت هذه الآية في المجادلة: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده في السند (١٧/ ١٧٤، ١٨) رقم (٢١٤٧)، وحسن الأرنؤوط إسناده في تخريجه على السند (٤٨/ ٤).

(١) انظر التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

(٢) أو: بهما جميعا.

[٦] ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ﴾ رد ﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَرْجَفْتُمْ﴾ أسرعتهم يا مسلمون ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿حَبْلِ وَلَا رِكَابٍ﴾ إيل: أي: لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا حق لكم فيه، ويختص به النبي ﷺ، ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه؛ من أن لكل منهم خمس الخمس، وله ﷺ الباقي، يفعل فيه ما يشاء؛ فأعطى منه المهاجرين، وثلاثة من الأنصار^(١) لفقيرهم.

[٧] ﴿مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ «كالصفراء» و«وادي القرى» و«يثع» ﴿فَلْيَوَّعْ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَالرُّسُولُ﴾ والذين صاحب ﴿الْقُرَى﴾ قرابة النبي، من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَالْيَتَامَى﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَالْمَسْكِينُ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَأَنْ تَسَلِّطُوا﴾ المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس، وله الباقي «كن لا» «كي» بمعنى اللام، و«أن» مقدرة بعدها ﴿يَكُونُ﴾ الفيء؛ علة لنفسه كذلك «دولة» متداولاً «بَيْنَ الْأَخْيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا ءَاتَاكُمْ﴾ أعطاكم ﴿الرُّسُولُ﴾ من الفيء وغيره ﴿فَحُذِرُوا وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَأْتُوهُ﴾ وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

[٨] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: اعجبوا^(٢) ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغَى فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أي: المدينة ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ أي: الفداء، وهم الأنصار ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْرُونَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسداً ﴿وَمِمَّا أَرْثَوْا﴾ أي: أتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة بهم ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ما يؤثرون به ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حرصها على المال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا فَأَيْمَةٌ عَلَى أَصُولِهَا فَيَاذَنْ اللَّهُ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَبْلِ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرُّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغَى فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْرُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْثَرُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[٤٦] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٥٦] ﴿مَا قَطَعْتُمْ﴾ يا مسلمون ﴿مِنْ لَبَنَةٍ﴾ نخلة ﴿أَوْ نَزَعْتُمْهَا﴾ قايمة على أصولها فيأذن الله، أي: خيركم في ذلك ﴿وَلِيُخْزِيَ﴾ بالإذن في القطع ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ اليهود، في اعتراضهم أن قطع الشجر المشر فساد.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرجه الترمذي عن ابن عباس في قوله ﷺ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا قايمة على أصولها فيأذن الله﴾ قال: البينة: النخلة. ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ قال: استنزولهم من حصونهم، قال: وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم. فقال المسلمون: قد قطعنا بعضاً وتر كنا بعضاً، فلنسال رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأقول الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا قايمة على أصولها﴾ الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٩) ومن سورة الحشر. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣١). وهو في الصحيح عن ابن عمر مختصراً.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابي الجهد، فأرسل إلى نساء فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يصفيه الليلة بريحه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخره شيئاً. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فومئهم، وتعالى فأطعني السراج ونظري بطوننا الليلة، ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله ﷻ. أو ضحك. من فلان وفلانة. فأذن الله ﷻ: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. البخاري. التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٩) باب (٦).

(١) هم: أبو دجانة يملك بن حرسة، وشهل بن حنيف، والحاتر بن العشة. وقال ابن إسحاق: بل أعطى اثنين فقط؛ أبا دجانة وسهلاً.

(٢) الأقرب أن الكلام متعلق بما قبله، وهو قوله: ﴿هَذَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾، فالعنى: الفياء والغنائم لهؤلاء الفقراء من المهاجرين والأنصار.

﴿كَانَ﴾ أي: «أَنَّهَا» فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ أي: الكافرين.

[١٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يوم القيامة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أن يقدموا لها خيرا ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. تركوا طاعته ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾.

[٢٠] ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

[٢١] ﴿أَوَ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ وجعل فيه تمييز كالإنسان ﴿وَلَأَنزَلْنَاهُ فَنُضِيبًا مُّتَصِدِّعًا﴾ منقطعاً ﴿وَمِنَ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ المذكورة ﴿فَضْرِبْهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيؤمنون.

[٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية ﴿مُورِثُ الثَّرَى﴾.

[٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما لا يليق به ﴿الْقَلَمُ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ المصدق رسله، بخلق المعجزة لهم^(١) ﴿الْمُهَيِّمُ﴾ من هيمن بهيمن؛ إذا كان رقيبا على الشيء؛ أي: الشهيد على عبادته بأعمالهم ﴿الْعَزِيزُ﴾ القوي ﴿الْجَبَّارُ﴾ جبر خلقه على ما أراد ﴿الْمُنْكَرُ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾ نزه نفسه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

[٢٤] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ المنشئ من العدم ﴿الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث^(٢)، و«الحسنى» مؤنث الأحسن ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم أولها.

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢١﴾ وَأَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لِّرَأْيِنَا خَشِيعًا مُّتَصِدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ الَّتِي لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ الْحُسْرِ

[١٧] ﴿كَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾ أي: الغاوي والمغوي، وقرئ^(١): بالرفع؛ اسم

(١) أي: شذوذاً.

(٢) وقيل: الذي يؤمن خلقه من ظلمه، وقيل غير ذلك، وهذا من التفسير الجزئي، وهو يشمل ذلك كله.

(٣) سبق التنبيه إلى أن الأسماء الحسنى أكثر من ذلك ولا يحصيها إلا الله ﷻ، وأن الحديث إنما هو في فضل من يحصي تسعة وتسعين اسماً منها.

﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم.

[٨] ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الْإِيمَانِ لَمَّا قَبِلْتُمْ﴾ من الكفار ﴿فِي الْإِيمَانِ وَلَمْ يَخْرِجْكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَرْوُوهٗ﴾ بدل اشتغال من «الذين» ﴿وَتَقْسِطُوا﴾ تقضوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسط، أي: بالعدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين^(١).

[٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الْإِيمَانِ قَبْلَ تَقْبُلِكُمْ فِي الْإِيمَانِ وَلَمْ يَخْرِجْكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَهَرُوا﴾ عاونوا ﴿وَعَلَىٰ إخراجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل اشتغال من «الذين» أي: تتخذوهم أولياء ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ﴾.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا جَاءَكُمُ الْكُفُورُ﴾ بالسنة من الكفار، بعد الصلح معهم في الحديبية، على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يُرَدُّ ﴿فَاصْطَبِرُوا﴾ بالخلف على أنهم ما خرجوا إلا رغبة في الإسلام، لا بغضا لأرواحهم الكفار، ولا عشقا لرجال من المسلمين، كذا كان ﷺ يُخْلَعُهُنَّ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكُونَنَّ فَإِن عَمِسُوهُنَّ﴾ ظنتموهن بالخلف ﴿مَوْتَيَ فَلَا تَرْجُوهُنَّ﴾ تردوهن ﴿إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآؤُهُنَّ﴾ أي: أعطوا الكفار أزواجهن^(٢) ﴿مَا أَنفَقُوا﴾ عليهن من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنْكِحُوهُنَّ بِشْرَطِهِ﴾ إذا ءاتيتوهن أجورهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوا﴾ بالتشديد والتخفيف^(٣) ﴿بِعَصَمِ الْكَافِرِ﴾ زوجاتكم، لقطع إسلامكم لها بشرطه، أو اللاحقات بالمشركين مرتدات، لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه ﴿وَسَلُّوا﴾ اطلبوا ﴿مَا أَنفَقْتُمْ﴾ عليهن من المهور، في صورة الارتداد. من تزوجهن من الكفار ﴿وَلَيْسَ لَهُنَّ مَا أَنفَقُوا﴾ على المهورات كما تقدم أنهم يؤتونه ﴿وَلَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ به ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٤).

[١١] ﴿وَإِن فَانَكُرْتُمْ شَيْءًا مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: واحدة فأكثر منهن، أو شيء من مهورهن بالذهب ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ مرتدات ﴿فَفَاقِبْتُمْ﴾ فزوتهم وغنمتم ﴿فَنَاقُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ من الغنيمة ﴿مِمَّا أَنفَقُوا﴾ لغواتهم عليهم من جهة الكفار ﴿وَأَنفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَشْرَبَهُمْ مُّؤْمِنُونَ﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإبقاء للكفار والمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم^(٥).

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٠﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَرْوُوهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجَرَاتٍ فَاصْطَبِرُوا اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ إِن عَامَسْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآؤُهُنَّ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُم أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا وَلَا تَنْفِقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ وَإِن فَانَكُرْتُمْ شَيْءًا مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَقْتُمْ فَاقُولُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَأَنفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد، جواب قسم مقدَّر ﴿فِيهِمْ﴾ [إِسْوَة] حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ، بدل اشتغال من «كم»^(١) بإعادة الجار ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: يخافهما، أو: يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ بأن يوالي الكفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته.

[٧] ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ﴾ من كفار مكة، طاعة لله - تعالى - ﴿مَّوَدَّةً﴾ بأن يهديهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة ... عن أسماء ابنة أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: أتني أمي وهي رغبة، في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ: أصلهما؟ قال: نعم. قال ابن عيينة: فأنزل الله - تعالى - فيها: ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الْإِيمَانِ لَمَّا قَبِلْتُمْ﴾ في الآية. البخاري - كتاب الأدب (٧٨) باب (٧) صلة الوالد المشرك.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠): أخرج البخاري عن مروان والمصور بن مخزومة - رضي الله عنهما - يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل ابن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا... وجاء المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط من خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ - وهي عاتق - فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم ما أنزل الله فيهن: ﴿إِنَّا جَاءَكُمُ الْكُفُورُ مِهْجَرَاتٍ فَاصْطَبِرُوا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكُونَنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ البخاري - كتاب الشروط (٤٥) باب (١) ما يجوز من الشروط في الإسلام.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن الزهري قال عروة: فأحررتي عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمنهن. وبلغنا أنه لما أنزل الله - تعالى - أن يردوا إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجه، وحكم على المسلمين أن لا يمسكوا بعصم الكافر - أن عمر طلق امرأتين: قريبة بنت أبي أمية، وابنة جرو. فتزوج قريبة مدوية، وتزوج الأخرى أبو جهل، فلما أبى الكفار أن يقرؤا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهم أنزل الله - تعالى -: ﴿وَإِن فَانَكُرْتُمْ شَيْءًا مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ مِمَّا تَمَّتُمْ﴾. والعقب: ما يؤدي المسلمون إلى من هاجرت امرأته من الكفار، فأمر أن يعطي من ذهب له زوج من المسلمين ما أنفق من صدقات نساء الكفار اللائي هاجرن. وما تعلم أحدًا من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها. البخاري - السابق باب (١٥) الشروط في الجهاد.

(١) أي في قوله: «ولكم».

(٢) أي: الذين هم أزواجهن.

(٣) بالتشديد قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِبَنَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٢﴾

سُورَةُ الصَّافِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

اللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرصُوضٍ ﴿٤﴾

وَأَذَقَ آلَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقِيمُونَ لِقَوْمِهِمْ قَوْلًا نَدْوً وَنِي وَفَدَّ تَعْلَمُونَ أَلَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

صَفًّا: حال؛ أي: صافين ﴿كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرصُوضٍ﴾: ملزق بعضهم إلى بعض، ثابت.

[٥] ﴿وَنِي﴾: ذكر ﴿وَأَذَقَ آلَ مُوسَى لِقَوْمِهِمْ قَوْلًا نَدْوً﴾: قالوا: إنه أدر؛ أي: منتفخ الحصى، وليس كذلك وكذبوه ﴿وَقَدْ﴾: للتحقيق (٥) ﴿تَعْلَمُونَ أَلَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾: الجملة حال، والرسول يحترم ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾: عدلوا عن الحق بإيذائه ﴿أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: أمالها عن الهدى، على وفق ما قدره في الأزل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: الكافرين في علمه.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج أحمد عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا بيتنا، فقلنا: أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله؛ وهبنا أن يقوم أحد، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً، حتى جمعنا، فجعل بعضنا يشير إلى بعض، فقرأ علينا رسول الله ﷺ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾. قال: ففلاها من أولها إلى آخرها. أحمد. المسند (٥/٤٥٢)، والترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣٦).

(١) كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «... فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات؛ قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتك» كلاماً، ولا والله، ما شئت بذه يد امرأة قط في المبايع؛ ما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك» البخاري (٤٨٩١)، ومسلم (١٨٦٦). وعند النسائي وغيره من حديث أمية بنت رقيقة: «إني لا أصافح النساء»، وهو في صحيح سنن الترمذي. (٣٨٩٧). فهذا الحديث دليل صريح على عدم جواز مصافحة المرأة الأجنبية؛ لأننا مأمورون بالتأسي بالرسول ﷺ في قوله. تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرِهَ اللَّهُ عِزًّا» [الأحزاب: ٢١].

(٢) سبق التعليل على ذلك بأن الأولى التعميم في متعلق الحكمة، وليس تخصيصها بصنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٣) يشير إلى ما جاء عن محمد بن كعب في سبب نزول الآية، قول طائفة من الصحابة بعد ما سمعوا مدح الجهاد؛ فقالوا: «ولئن لقينا قتالاً لثغر عرق فيه وسعنا» ففروا يوم أحد؛ فعظمهم الله بعباده الآفة.

(٤) تفسير محبة الله لعباده بالحرص والإكرام والإلانة ونحو ذلك، من التأويل المذموم وصرف للفظ عن ظاهره، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ على الوجه اللائي به، ومن لا رمها نصرة وإكرام وثابة من يحبهم.

(٥) راسع التعليق على آية [١٠٣] من سورة النحل، في دخول «قد» على الفعل المضارع.

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِبَنَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾: كما كان يفعل في الجاهلية، من وأد البنات؛ أي: دفنهن أحياء، خوف العار والفقر ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾: أي: بولد ملفوط، ينسبه إلى الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعت سقط بين يديها ورجليها ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي﴾ فعل ﴿مَعْرُوفٍ﴾: هو ما وافق طاعة الله؛ كترك النجاسة، وتزويق الشباب، وجز الشعر، وشق الجيب، وخمش الوجه ﴿فَبَايِعَهُنَّ﴾: فعل ذلك ﷺ بالقول، ولم يضاف واحدة منهن (١١) ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ﴾: من ثوابها، مع إيقانهم بها، لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه ﴿كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ﴾: الكائنون ﴿مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾: أي: المقبورين، من خير الآخرة؛ إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

سُورَةُ الصَّافِيَةِ

مكية، أو مدنية، أربع عشرة آية (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: نزهه، فاللام مزيدة، وجيء بـ«ما» دون «مَنْ» تغنيًا لأكثر ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾: في صنعه (٢).

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: في طلب الجهاد ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: إذ انهزمتم بأحد (٣).

[٣] ﴿كَبُرَ عَظَمَ مَقْتًا﴾: تمييز ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: فاعل «كَبُرَ» ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

[٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾: ينصر ويكرم (٤) ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾.

الإِسْلَامَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ الْكَافِرِينَ.

[٨] ﴿رُيُودٌ﴾ يُطْفِئُونَ ﴿مَنْصُوبٌ﴾ بِـ«أَنَّ» مقدرة، واللام مزيدة ﴿ثَوْرٌ﴾ أَلَهُ شَرُّهُ وبراهينه ﴿يَأْفُوهُمْ﴾ بِأَقْوَالِهِمْ: إنه سحر وشعر وكهانة ﴿وَاللَّهُ﴾ مُتِمِّمٌ ﴿تَمِيمٌ﴾ ﴿مَظْهَرٌ﴾ ﴿تُورِى﴾ وفي قراءة: بالإضافة ﴿وَلَوْ﴾ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ذلك.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ يعليه ﴿عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك^(٤).

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَخْرَجٍ تُخْرَجُونَ﴾ بالتخفيف التشديد^(٤) ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، فكأنهم قالوا: نعم، فقال:

[١١] ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ تَدُومُونَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَقُولُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَزْكُرُونَ ﴿لَكُمْ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ خَيْرٌ لِّكُمْ فَافْعَلُوهُ.

﴿يَغْفِرُ﴾ جواب شرط مقدار؛ أي: إن تفعلوه يغفر ﴿لَكَ﴾ ذُنُوبُكَ
يُدْخِلُكَ جَنَّاتٍ نَجْوَىٰ مِنَ عِيبِ الْأَشْهُرِ وَمِنْهَا طِبَعٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ﴿إِقامة﴾ (ذَلِكَ)
لَقَوْلِ الْقَائِلِ:

[١٣] ﴿يُؤْتِكُمْ نِعْمَةً أُخْرَىٰ﴾ تَجُوبُهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ﴾.

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَصْصَارًا لِلَّهِ﴾^(١٠)، لدينه، وفي قراءة الإضافة
 ﴿كَمَا قَالَ﴾؛ إلخ؛ المعنى: كما كان الحواريون كذلك، الدال عليه: قال ﴿يَعْنِي
 مِنْ مَرَّةٍ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَصْصَارَةً إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من الأصصار الذين يكونون معي،
 وتوجهها إلى نصره الله؛ ﴿فَالَّذِي الْحَوَارِيُّونَ تَحْتَ أَصْصَارِ اللَّهِ﴾ والحواريون:
 صفياء عيسى، وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، من الحوَر، وهو
 صبيباض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها
 ﴿فَتَأْمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بعيسى^(١١)، وقالوا: إنه عبد الله رُفِعَ إلى
 سماء. وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ لِقَوْلِهِمْ: إنه ابن الله رفعه إليه، فافتشت الطائفتان
 ﴿فَأَيُّهَا قَوْمًا﴾ الذين ءَامَنُوا. من الطائفتين ﴿عَلَى عَدُوِّكُمْ﴾ الطائفة الكافرة
 ﴿فَأَسْبَحُوا لِلَّهِ﴾ غاليين.

وَأَذَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَ الْكِتَابِ كُنْتُمْ تُخْفُونَ سُحُوفَكُمْ عَنْ أَلْبَابِ الْيَوْمِ ﴿١٤﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ بَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا أَضْرَ مِنْ اللَّهِ وَفَحْ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا نَظَافَةٌ مَنِ ابْنِ إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٨﴾

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ لم يقل: يا قوم؛ لأنه لم يكن له فيهم قرابة ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قلبي ﴿وَمُبَشِّرًا بِرُسُولِي﴾ يأتي من بعدني ﴿أَتُحَدِّثُ﴾ قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ جاء أحمد الكفار ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآيات والعلامات ﴿قَالُوا هَذَا أَيُّ الْاِخْيَةِ بِهِ﴾ سيحرج وفي قراءة^(١): ﴿سَاحِرٍ﴾ أي: الجاني به ﴿يُنِيبُ﴾ يَتُوبُ.

[٧] ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُؤْتِكُمُ الشَّيْطَانُ فَيَكْفُرْ بِمَا كَفَرَ ۚ سَآءَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ﴾

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله! إن كنت لأفحن حين أنزل الله: ﴿هَؤُلَاءِ إِلَهَاتُ آبَائِكَ﴾ رُسُلُهُمْ بِالْهِنْدِ زُبَيْنَ الْحَيِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك نائم. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم بعث الله ريحا طيبة فوفى كل من في قلبه مثقال حبة عرود من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم. مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ١٥ الخليفة.

(١) قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي **رحمته الله** في تعليقه على الجلائين ص (١٧٢): الأولى أن يقال: ناداهم بذلك تذكروا لهم بأبيهم يعقوب؛ ليستعمل بذلك قلوبهم إلى سلوك منهج أبيهم...
 (٢) لحزمة والكسائي.
 (٣) لنافع وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالإضافة: «منهم نوره».
 (٤) بالشديد قراءة ابن عامر.
 (٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالإضافة: «وأنصار الله».
 (٦) في نسخة القامضي: «يعيسى ابن مريم».

(٣) لنافع وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ نقيبة السعة بالإضافة: «امتتم نوره».

(٤) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالإضافة؛ ﴿أَنْصَارَ اللَّهِ﴾.

(٦) في نسخة القاضي: «بعيسى ابن مريم».

[١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ أي: التجارة؛ لأنها مألوفهم دون الله ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخطبة ﴿قَالِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ﴾ للذين آمنوا ﴿مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّارِ﴾ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿يَقَالُ﴾ كل إنسان يرزق عائلته؛ أي: من رزق الله - تعالى (١) (٢).

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

[مدنية، إحدى عشرة آية] (**)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا﴾ بالسنتهم على خلاف ما في قلوبهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما أضمره، مخالفا لما قالوه.

[٢] ﴿اتَّقُوا أَيْمَانَهُمْ جَنَّةً﴾ ستره على أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّوا﴾ بها ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الجهاد فيهم (٣) ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: سوء عملهم ﴿بِأَيْمَانِهِمْ﴾ باللسان ﴿شُدُّ كَرَاهٍ﴾ بالقلب؛ أي: استمروا على كفرهم به ﴿فَطُغِيَ﴾ ختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان.

[٤] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لجمالها ﴿وَأِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من عظم أجسامهم، في ترك التفهم ﴿[خُشِبَ]﴾ بسكون الشين وضمها (٤) ﴿مُسْنَدَةً﴾ مائلة إلى الجدار ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ نضاض؛ كنداء في العسكر، وإنشاد ضالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لما في قلوبهم من الرعب؛ أن ينزل فيهم ما يبيع دماءهم ﴿هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَكَفَرُوا﴾ فأنهم يفتشون سرًّا للكفار ﴿فَتَلَاهُمُ اللَّهُ﴾ أهلهم ﴿أَنْتَ يَوْمَ تَكُونُ﴾ كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان؟! (٥)

يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّارِ وَابْتَغُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا اللَّهَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لَنْ نَشْهَدَ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جَنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَكَفَرُوا فَتَلَاهُمُ اللَّهُ أَنْتَ يَوْمَ تَكُونُ

[٩] ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ فامضوا ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ للصلاة ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ اتركوا عهده ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه. [١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أمر بإباحة ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا الرزق ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ ذكروا ﴿كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون؛ كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت غير وضرب لقدميها الطبل (١) على العادة، فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلاً فنزلت.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت غير تحمل طعاماً، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً. فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ البخاري - كتاب الجمعة (١١) باب (٣٨) إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة. (٥٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تتفقوا على من عبد رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولكن رجعنا من عنده ليخرجنا الأعرس منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي - أو بعمر - فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا. فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصيبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله - تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: إن الله قد صدقك يا زيد. البخاري - التفسير (٦٥) سورة المنافقون (٦٣) باب (١).

(١) أخرج نحوه البخاري (٩٣٦) ومسلم (٨٦٣) عن جابر بن عبد الله، وليس فيه ذكر الطبل، ولكن جاء ذكر الطبل فيما ذكره الغوي في تفسيره عن مقاتل، وفسر مجاهد الله بأنه الطبل كما أخرجه عنه الطبري.

(٢) يشير المفسر إلى أن اسم التفضيل في قوله: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ على يابه؛ أي فالرازقون متعددون، ولكن على سبيل الجواز، وإلا فالرازق حقيقة هو الله تعالى وحده.

(٣) في نسخة القاسمي: «فيه».

(٤) بسكونها قراءة الكسائي وأبي عمرو وقيل، وقرأ بقية السبعة بضم الشين: ﴿خُشِبَ﴾.

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا﴾ معتذرين ﴿سَتَقِفِرَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ أَوْفَوْا﴾ بالتشديد والتخفيف (١) عطفوا ﴿رُئُوسُهُمْ وَرَأَتْهُمْ يُصْذُونَ﴾ يعرضون عن ذلك ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ استغني بهمة الاستغفار عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٧] ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار: ﴿لَا تُبْقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ يفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالرزق، فهو الرزاق (٢) للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا﴾ أي: من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا أَهْلُهَا مِنَ الدِّينِ﴾ عتوا به أنفسهم ﴿مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾ (٣) عتوا به المؤمنين (٤) ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك.

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تِلْكَ﴾ تشلكنكم ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ﴾ عن ذكر الله ﴿الصلوات الخمس﴾ (٥) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٠] ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ في الزكاة ﴿مِنْ مَّا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا﴾ بمعنى: هلا، أو: لا زائدة، «لو» للتنبي ﴿أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقْ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الصاد؛ تصدق بالزكاة ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بأن أحج؛ قال ابن عباس (٦) ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت (٧).

[١١] ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالثناء والياء (٨).

(هـ) فائدة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: لما قال عبد الله بن أبي: ﴿لَا تُبْقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾. وقال أيضاً: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أخبرته به النبي ﷺ فلامني الأنصار، وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فمنت، فدعاني رسول الله ﷺ فأتيته، فقال: إن الله قد صدقك، ونزل: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُبْقُوا﴾ الآية. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة المنافقين (٦٣) باب (٣) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾. وتقدم سياقاً أتم من هذا.

(١) بالتخفيف قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٢) هي نسخة القاضي: «الرزاق».

(٣) الذي عليه جماهير العلماء من أهل السير والتفسير أن قتل ذلك هو هذا المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول، عني بالأعر نفسه الحبيطة ومن معه من المنافقين، وبالألذ رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين. والأمر عكس ما قاله اللعين، وذكر ابن كثير تفصيل ذلك ومسايقه، فراجع.

(٤) هذا من التفسير بالمثل. والنتيجه المطلوب بأهم حرياته؛ لأن ذكر الله أعم من الصلوات الخمس، وكذا الإنفاق أعم من الزكاة، والصلاح أعم من الحج.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣١٦)، وضعف الألباني إسناده في ضعف سنن الترمذي (٦٥٣).

(٦) بالياء قراءة شعبة، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرُ﴾ هي.

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ في قوله: إن المصيبة بقضائه ﴿يَهْدِ قَلْبُهُ﴾ للصبر عليها ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ البين.

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أن تطيعوهم في الخلف عن الخير؛ كالجهاد والهجرة، فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿وَإِن تَمَقُّوهُمْ﴾ عنهم في تنبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَرُوا﴾ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٥).

[١٥] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأُولَدُكُمْ فَتَنَةٌ لَّكُمْ شَاغِلَةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه، باشتغالكم بالأموال والأولاد.

[١٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخة لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِلِهِ﴾^(١) ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما أمرت به سماع قبول ﴿وَاطِيعُوا وَأَنِيعُوا﴾ في الطاعة ﴿خَيْرًا لَّأَنفُسِكُمْ﴾ خير «يكن» مقدرة؛ جواب الأمر ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٧] ﴿إِن تُقِرُّوهُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن تصدقوا عن طيب قلب ﴿يُضَاعَفْهُ لَكُمْ﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿يُضَاعَفُ﴾ بالشديد؛ بالواحدة عشراً إلى سعمائة وأكثر ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما يشاء ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ مجاز على الطاعة ﴿حَلِيمٌ﴾ في العقاب على المعصية.

[١٨] ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ﴾ السر ﴿وَالشَّهِدَةُ﴾ العلانية ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٤): أخرج الترمذي عن عكرمة عن ابن عباس، وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا أناس قد فقهوا في الدين عموماً أن يعاقبهم، فأقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) ومن سورة التحات. (حسن) صحيح سنن الترمذي (٤٦٤٢).

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) لابن كثير وابن عمر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ الْمَرْأَةَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ
يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾
فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ مِنْ بَعْدِ طَلْقِهَا فَأَمْسِكُوهُنَّ بَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ
بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّذِي يَسْتَنْ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ
ارْتَبَعْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَئِكَ
الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

[مدنية، ثلاث عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ المراد أمته، بقرينة ما بعده، أو: قل لهم: ﴿إِذَا
طَلَقْتُمُ الْمَرْأَةَ﴾ أي: أردتم الطلاق ﴿فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ لأولها؛ بأن يكون
الطلاق في طهر لم تمس فيه؛ لتفسيره ﷺ بذلك رواه الشيخان (١) ﴿وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ﴾ احفظوها؛ لثراجها قبل فراغها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أطيعوه في
أمره ونهيه ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ منها، حتى تنقضي
عدتهن ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ زنا ﴿فَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ بفتح الياء وكسرها (٢)؛

يُسْتَأْذَنُ أَوْ بُيُوتَهُ، فَيُخْرِجْنَ لِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِنَّ ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾
وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ
الطلاق ﴿أَمْرًا﴾ مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ مِنْ بَعْدِ طَلْقِهَا فَأَمْسِكُوهُنَّ بَعْرُوفٍ﴾ قاربين انقضاء عدتهن ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾
تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرر ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن
حتى تنقضي عدتهن، ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾
على المراجعة أو الفراق ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لا للمشهود عليه، أو له
﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ
لَهُ مَخْرَجًا﴾ من كرب الدنيا والآخرة.

[٣] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يخطر بباله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ فِي أَمْرِهِ﴾ فهو حَسْبُهُ كافيهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ (٣) مراده،
وفي قراءة بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ كَرَاهًا وَشِدَّةً﴾ قَدْرًا
مِيقَاتًا.

[٤] ﴿وَالَّذِي يَسْتَنْ مِنْ الْمَحِيضِ﴾ بهمزة وياء، وبلا ياء في الموضعين (٤) ﴿يَسْتَنْ مِنْ
الْمَحِيضِ﴾ بمعنى الحيض ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبَعْتُمْ﴾ شككتم في عدتهن
﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لصغرن؛ فعدتهن ثلاثة أشهر،
والمسألان في غير التوقي عنهن أزواجهن، أمّا هُنَّ فعدتهن ما في آية:
﴿يَرْبِصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (٥) ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ﴾
انقضاء عدتهن؛ مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن: ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ في الدنيا والآخرة.

[٥] ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ المذكور في العدة ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ حكمه ﴿أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

(١) البخاري (٤٩٠٨) ومسلم (١٤٧١) عن عبد الله بن عمر، ولفظه عبد البخاري: «أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ، فنهيظ فيه رسول الله ﷺ ثم قال: «اليراجعها، ثم
يكسها حتى تطهر، ثم يحيض فطهر؛ فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسيها؛ ففلك الدعة كما أمر الله ﷻ».

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالإضافة: «بالبالغ أمره».

(٤) قرأ الكوفيون وابن عامر بهمزة محققة بعدها ياء وقرأ الباقون بحذف الياء، وحقق الهمزة منهم قالون وقتب، وسهلها ورش، وأبدلها ياء ساكنة مع مد الألف بالإشباع بالسالكين البري وأبو عمرو.

(٥) البقرة: ٢٣٤.

أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِأُصْصِقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَلْيَقْبُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضَعُوا حَمْلَهُمْ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتُحُوا أَجُورَهُمْ وَأَتِمُّوا رَبَّتَهُمْ بِمَعْرِفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُمْ أُخْرَى ۖ لِيُنْفِقَ دُونَ سَعْيِهِ مِنْ سَعْيِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مِمَّا آتَاهُ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۚ وَكَانَ مِنْ قَرِيبَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَفَاتَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۚ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۚ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۚ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ

من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

[٦] ﴿أَسْكِنُوهُمْ﴾ أي: المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي: بعض مساكنكم ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ أي: سعتكم، عطف بيان، أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف؛ أي: أمكنة سعتكم لا ما دونها ﴿وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِأُصْصِقُوا عَلَيْهِمْ﴾ المساكن فيحتجج إلى الخروج: أو: النفقة، فيفتدى منكم ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَلْيَقْبُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضَعُوا حَمْلَهُمْ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم منهن ﴿فَارْتُحُوا أَجُورَهُمْ﴾ على الإرضاع ﴿وَأَتِمُّوا رَبَّتَهُمْ﴾ وبشأن ﴿بِمَعْرِفٍ﴾ بجميل في حق الأولاد، بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم في الإرضاع، فامتنع الأب من الأجرة، والأم من فعله ﴿فَسَرِّضْ لَهُمْ أُخْرَى﴾ للأب ﴿أُخْرَى﴾ ولا تكرر الأم على إرضاعه.

[٧] ﴿لِيُنْفِقَ﴾ على المطلقات والمريضات ﴿دُونَ سَعْيِهِ مِنْ سَعْيِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ أعطاه ﴿اللَّهُ﴾ على قدره ﴿لَا يَكْفِكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مِمَّا آتَاهُ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وقد جعله بالفتح.

[٨] ﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيبَةٍ﴾ هي: كاف الجر، دخلت على «أي» بمعنى: «كم» ﴿مِنْ قَرِيبَةٍ﴾ أي: وكثير من القرى ﴿عَتَتْ﴾ عصت؛ يعني: أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ فمأسستها في الآخرة، وإن لم تجز؛ لتحقق وقوعها ﴿جَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَابًا عَذَابًا تَكَرَّرَ﴾ يسكون الكاف وضمها^(١)؛ فظليًا، وهو عذاب النار.

[٩] ﴿فَدَاغَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبته ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ خسارًا وهلاكًا.

[١٠] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير الوعيد توكيد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يَتَذَكَّرُ الْأَلْبَابِ أصحاب العقول ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت للمنادى، أو بيان له ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو القرآن.

[١١] ﴿رَسُولًا﴾ أي: محمدًا ﷺ، منصوب بفعل مقدرة؛ أي: وأرسل ﴿يَتْلُو عَلَيْهِ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ بفتح الياء وكسرها^(٢) كما تقدم ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة^(٣) بالنون ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ هو رزق الجنة، التي لا ينقطع نعمها.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني: سبع أرضين ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ﴾ الوحي ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماوات والأرض، ينزل به جبريل

(١) بالضم قراءة نافع وابن ذكوان وشعبة.

(٢) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٣) لنافع وابن عامر.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغَى مَرْصَاتَ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا بَيَّنَّاهُ بِهِ قَالَتْ مَنْ أَتَاكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَلْبَسْنَ عِصْمَاتٍ سَبَّحَتْ تَنْبِيتَ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَاحِظَةً يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْفَادُ ﴿٧﴾

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

[مدنية، اثنتا عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من أميتك مارية القبطية؛ لما واقعها في بيت حفصة وكانت غائبة، فجاءت وشق عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها؛ حيث قلت: «هي حرام عليّ» ﴿تَبَتَّغَى﴾ بتحرّجها ﴿مَرْصَاتَ أَرْوَاحِكُمْ﴾ أي: رضاهن ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ غفر لك هذا التحريم.

[٢] ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ﴾ شرع ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ تخليها؛ بالكفارة المذكورة في سورة «المائدة»^(١)، ومن الأيمان: تحريم الأمة، وهل كفر؟ قال مقاتل: أعنت رقية في تحريم مارية، وقال الحسن: لم يكفر؛ لأنه مَغْفُورٌ لَهُ ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

[٣] ﴿وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ﴾ هي حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ هو تحريم مارية، وقال لها: «لا تفشي» ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ﴾ عايشة؛ ظناً منها أن لا حرج في ذلك ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾ أطلعه ﴿عَلَيْهِ﴾ على المنبأ به ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ لحفصة ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ نكرها منه ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاهُ بِهِ﴾ مَنْ أَتَاكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَلِيمِ الْحَبِيرُ ﴿أَي: الله﴾.

[٤] ﴿إِنْ تَوْبَا﴾ أي: حفصة وعائشة ﴿إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ مالت إلى تحريم مارية؛ أي: سرّكما ذلك، مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك ذنب، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تُقْبَلُ، وأطلق «قلوب» على قلوبين ولم يعبر به؛ لاستفحال الجمع بين تثنتين فيما هو كالكلمة الواحدة ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا﴾ يادغام التاء الثانية في الأصل في الطاء^(٢)، وفي قراءة بدونها؛ تتعاونوا ﴿عَلَيْهِ﴾ أي: النبي فيما يكرهه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل ﴿مَوْلَاهُ﴾ ناصره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر وعمر^(٣) - رضي الله عنهما - معطوف على محل اسم «إن»، فيكونون ناصرين ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعد نصر الله والمذكورين ﴿ظَاهِرَةٌ﴾ ظهورها؛ أعوان له في نصره عليهما^(٤) [٥] ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ﴾ أي: طلق النبي أزواجه ﴿وَأَنْ يُبْدِلَهُ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٥) ﴿أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ خير «عسى»، والجملة جواب الشرط، ولم يقع التبدل؛ لعدم وقوع الشرط ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ مقرات بالإسلام ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مخلصات ﴿قَنَاطَاتٍ﴾ مطيعات ﴿تَلْبَسْنَ عِصْمَاتٍ سَبَّحَتْ﴾ صائمات أو مهاجرات ﴿تَنْبِيتَ وَأَبْكَارًا﴾^(٦).

[٦] ﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُرًى أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالحمل على طاعة الله ﴿نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها؛ أي: أنها مفرطة الحرارة تنقد، بما ذكر، لا كثار الدنيا، تنقد بالحطب ونحوه ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ حَرْشُهُا﴾ عدتهم تسعة عشر، كما سيأتي في «المذثر» ﴿غِلَاطٌ﴾ من: غَلِظَ القُوبُ شِدَادٌ ﴿فِي الْبَطْنِ﴾ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴿بَدَلٌ مِنْ لَفْظِ الْجَلَالَةِ﴾ أي: لا يعصون أمر الله ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ تأكيد، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد، وللمنافقين المؤمنين بالاستسهم دون قبولهم.

[٧] ﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَاحِظَةً يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْفَادُ﴾ يقال لهم ذلك عند دخولهم النار؛ أي: لأنه لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

(١) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٤): أخرج البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عدها غسلاً، فواصبت أنا وحفصة أن أئتنا دخن عليها النبي ﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداها فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت غسلاً عند زينب ابنة جحش، ولن أعود له»، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَإِذَا أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ﴾ حديثاً. لقوله: شربت غسلاً. البخاري - كتاب الطلاق (٦٨) باب (٨).

وأخرج النسائي عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرما على نفسه، فأمر الله ﷻ أن يتركها. إلى آخر الآية. السائي - كتاب عشرة النساء (٣٧) باب (٤) الغيرة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن النسائي (٣٦٩٥). قال الحافظ: «وهدد خلف في الذي حرم على نفسه وعوتب على تحريره... والراجع من الأقوال كلها: قصة مارية؛ لاختصاص عائشة وحفصة بها بخلاف العسل فإنه اجتمع فيه جماعة منهن». انظر: [الزائغ] (٩/ ٢٠٠، ٢٠١).

وقال القرطبي وابن كثير: والصحيح أنه كان في العسل، وأنه شربه عند زينب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، فجري ما جرى، فحلف ألا يشربه وأمر بذلك إلهما، ونزلت الآية في الجميع. اهـ. (٥٥) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج البخاري عن أنس قال: قال عمر رضي الله عنه: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدلهن أزواجاً خيراً منكن» فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التحريم (٦٦) باب (٥).

(١) الآية (٨٩).

(٢) هذا قول ابن مسعود وعكرمة والضحاك، وقيل غير ذلك، ولعل هذا على سبيل التمثيل والتنبه بفضل الصالحين خاصة، والله أعلم.

(٣) (٤) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف، «وتظاهروا».

[٨] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَادًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ بفتح النون وضمة (١)، صادقة؛ بأن لا يُعاد إلى الذنب، ولا يُراد العود إليه ﴿وَعَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ تَرْجِيَةً تَفْعٌ ﴿أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُجْزَىٰ اللَّهُ بِالدَّارِ﴾ الدَّارِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيِّنَاتٍ أَيْدِيهِمْ ﴿وَمَنْ يَكُن﴾ بِأَيْمَنِيهِمْ يَقُولُونَ ﴿مُسْتَأْنَفٌ﴾ ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَكَ﴾ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْمُنَاقِقُونَ يَطْلُقُوا نُورَهُمْ ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ رَبَّنَا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٩] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ جَاهِدُوا الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ بِاللِّسَانِ وَالْحِجَةَ ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ بِالْإِنتِهَارِ وَالْمَقْتَ ﴿وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ هِيَ.

[١٠] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ نُوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ فِي الدِّينِ، إِذْ كَفَرَتَا، وَكَانَتْ أَمْرَةً نُوحٍ وَاسْمُهَا «وَاهِلَةُ» تَقُولُ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ مُجْتَنُونَ. وَأَمْرَةُ لُوطٍ وَاسْمُهَا «وَاهِلَةُ» تَدُلُّ قَوْمَهُ عَلَى أَضْيَافِهِ إِذَا نَزَلُوا بِهِ لَيْلًا، لِإِقْبَادِ النَّارِ وَنَهَارِهَا بِالتَّدْخِينِ ﴿فَلَمَّا يُغْنِيَا﴾ أَي: نُوحٌ وَلُوطٌ ﴿عَنْهَا مِنَ اللَّهِ﴾ مِنْ عَذَابِهِ ﴿وَشَيْئًا وَقِيلَ لَهُمَا﴾: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ مِنْ كُفَارِ قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ لُوطٍ.

[١١] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ﴾ أَمْنَتْ بِمُوسَى، وَاسْمُهَا (أَسِيَّة)، فَعَذَّبَهَا فِرْعَوْنُ، بِأَنْ أَوْتَدَ يَدَيْهَا وَرَجْلَيْهَا، وَأَلْقَىٰ عَلَىٰ صَدْرِهَا رَحِيًّا عَظِيمَةً، وَاسْتَقْبَلَ بِهَا الشَّمْسُ، فَكَانَتْ إِذَا تَفَرَّقَ عَنْهَا مِنْ كُلِّ بَها ظِلُّهَا الْمَلَأَتْكُةَ ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ فِي حَالِ التَّعَذِّبِ: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فَكُثِّفَ لَهَا فِرَاتُهُ، فَشَهَّلَ عَلَيْهَا التَّعَذِّبَ ﴿وَنَجَّيْنَا مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ وَتَعَذَّبَهُ ﴿وَنَجَّيْنَا مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ﴾ أَهْلَ دِينِهِ، فَقَبِضَ اللَّهُ رُوحَهَا، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: رَفَعَتْ إِلَى الْجَنَّةِ حَيَّةً، فَهِيَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ (٢).

[١٢] ﴿وَمَرْيَمَ﴾ عَطَفَ عَلَى: «أَمْرَةَ فِرْعَوْنَ» ﴿أَبْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حَفِظَتْهُ ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أَي: جَبْرِيلُ، حَيْثُ نَفَخَ فِي جَنْبِ دَرْعِهَا، بِخَلْقِ اللَّهِ - تَعَالَى (٣). فَعَلَهُ الْوَاصِلُ إِلَى فَرْجِهَا، فَحَمَلَتْ بَعِيسَى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ شَرَائِعَهُ ﴿وَكُتِبَ﴾ الْمَنْزِلَةُ ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْغَنِيِّينَ﴾ مِنَ الْقَوْمِ الْمُطِيعِينَ.

(١) بِالضَّمِّ قِرَاءَةُ شُعْبَةٍ.

(٢) هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَةِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِثْبَاتَهَا إِلَى دَلِيلٍ صَحِيحٍ ثَابِتٍ.

(٣) قَوْلُهُ: «بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى»: مُتَعَلِّقٌ بِ«فَنَفَخْنَا»، وَكَانَ الْمَقَامُ لِلْإِضْمَارِ بِأَنْ يَقُولَ: «بِخَلْقِنَا»، وَفَعَلَهُ: أَي: فَعَلَ جَبْرِيلُ، وَهُوَ: النَّفْخُ. وَمَعْنَى: حَلَقُهُ: إِصْصَالُ أَثَرِهِ، وَهُوَ: الرِّيحُ، وَالْهَوَاءُ الْحَاصِلُ بِهِ إِلَى فَرْجِهَا.

يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَادًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ جَارِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُجْزَىٰ اللَّهُ النَّارَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيِّنَاتٍ أَيْدِيهِمْ وَأَيْمَنِيهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَكَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْمُنَاقِقُونَ يَطْلُقُوا نُورَهُمْ وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ جَاهِدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُتَّقِينَ بِاللِّسَانِ وَالْحِجَةَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ بِالْإِنتِهَارِ وَالْمَقْتَ وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ نُوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمَّا يُغْنِيَا عَنْهَا مِنَ اللَّهِ وَشَيْئًا وَقِيلَ لَهُمَا ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ الْغَنِيِّينَ ﴿١٢﴾

سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَنَزَلَ الَّذِي يَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝^(١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝^(٢) الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَاتَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَقْوَىٰ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ۝^(٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝^(٤) وَلَقَدْ رَيْنَا النَّمَاءَ الَّذِي هُمْ صَبِيحٌ وَجَعَلْنَا نَحْمًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝^(٥) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَمُّونَ الْمَصِيرُ ۝^(٦) إِذَا الْقُلُوبُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝^(٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝^(٨) قَالُوا بَلَىٰ فَرَجَاءَ نَذِيرٍ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝^(٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝^(١٠) فَأَعْرِضُوا بَذَنِيهِمْ فَسَحَقًا لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝^(١١) الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝^(١٢)

سورة الملك

[مكية، ثلاثون آية] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿بَنَزَلَ﴾ نَزَّهَ عَنْ صفات المحدثين^(١) ﴿الَّذِي يَدِهِ الْمُلْكُ﴾ السلطان والقدرة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) هائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له: ﴿بَنَزَلَ الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ﴾. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) في عدد الآي. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٢٤٧).

(١) هذه العبارة مرهقة، ويستخدمها البعض لنفي الصفات الثابتة لله - عز وجل - كالسمع والبصر وغيرها من الصفات؛ التي يؤولها البعض بزعم تزويه الله عز وجل عن مشابهة خلقه، وتباركه؛ على وزن تفاعل؛ من البركة والنماء والزيادة وكثرة الخير ودوامه. وقال الطبري: تعاضم وتعالى.

(٢) وهذا تعطيل بصفة اليد وعدول عن ظاهر اللفظ، وحلاف ما فهمه السلف منها؛ كما قال ابن جرير: ﴿الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ﴾ بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانها نافذ فيما أمره وقضاؤه كما أن تقدير الكلام على تفسيره: «بيده أي»: «في تصرفه» يكون مضطرباً كما قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وتكون العبارة غير مستقيمة؛ ويكون المعنى: «نزّه عن صفات المحدثين الذي في تصرفه السلطان والقدرة، وهما يسا في التصرف. فتؤس بهذه الصفة لله ﷻ وتنبها له على الوجه اللائق به.

(٣) يشير المصنف إلى اختلاف المتكلمين في الموت؛ حيث ذهب بعضهم إلى أنه أمر وجودي؛ أي: شيء يوحّد، وهو ضد الحياة، وذهب آخرون إلى أنه أمر عدمي؛ أي ليس شيئاً يخلق وإنما هو عدم الحياة؛ وعلى هذا القول يكون «خلق الموت» بمعنى قدر الموت. والأول هو الصحيح أن الموت أمر وجودي كالخلق؛ يخقه الله عند نهاية الحياة. وهو ظاهر الآية.

(٤) أي: شذوذاً.

(٥) بضمها قراءة الكسائي.

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ في الدنيا ﴿وَالْحَيَاةَ﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا؛ فالنطفة تعرض لها الحياة؛ وهي: ما به الإحساس، والموت؛ ضدها، أو: عديمها^(١)؛ قولان، والخلق على الثاني بمعنى التقدير ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم في الحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أطوع لله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿الْعَفُورُ﴾ لمن تاب إليه.

[٣] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض، من غير مماسة ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ لهن: أو: لغيرهن ﴿مِنْ تَقْوَىٰ﴾ تباين وعدم تناسب ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أعده إلى السماء ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ فيها ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾ صدوع وشقوق؟ [٤] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ كرة بعد كرة ﴿يَنْقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلاً؛ لعدم إدراك خلل ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ منقطع عن رؤية خلل.

[٥] ﴿وَلَقَدْ رَيْنَا النَّمَاءَ الَّذِي﴾ القربى إلى الأرض ﴿يَمْصَبِحُ﴾ بنجوم ﴿وَجَعَلْنَا نَحْمًا﴾ مراجع ﴿لِلشَّيْطَانِ﴾ إذا استرقوا السمع، بأن يفصل شهاب عن الكوكب، كالقيس يؤخذ من النار، فيقتل الجني أو يخيله، لا أن الكوكب يزول عن مكانه ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ النار الموقدة.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ ويسمى المصير؛ هي.

[٧] ﴿إِذَا الْقُلُوبُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتاً منكراً كصوت الحمار ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ تغلي.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ وقرئ: «تَتَمَيَّزُ» على الأصل تنقطع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ غضباً على الكافر ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ سؤال توبيخ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ينذركم عذاب الله - تعالى؟.

[٩] ﴿قَالُوا بَلَىٰ فَرَجَاءَ نَذِيرٍ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالكذب، وأن يكون من كلام الكفار للثائر.

[١٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: سماع تفهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي: عقل تفكر ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

[١١] ﴿فَاعْرِضْهُمْ﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿بَذَنِيهِمْ﴾ وهو تكذيب النذر ﴿فَسَحَقًا﴾ بسكون الحاء وضمها^(١) ﴿لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فبعداً لهم عن رحمة الله.

[١٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يخافونه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في غيبته عن أعين الناس؛ فيطيعونه سراً، فيكون علانية أولى ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: الجنة.

[١٣] ﴿وَأَسِرُّوا﴾ أيها الناس ﴿فَوَلَّكُمُوهَا أَوْ أَسِرُّوا بِهَا إِنَّكُمْ تَعَالَى﴾ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿بِمَا فِيهَا﴾ فكيف بما نطقتم به؟ وسبب نزول ذلك: أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسروا قولكم لا يسمعكم إله محمد^(١).

[١٤] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تسرون، أي: أيتني علمه بذلك ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في علمه ﴿الْخَبِيرُ﴾ فيه لا.

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ سهلة للشيء فيها ﴿فَاتَشُوا فِي مَنَاجِبِهَا﴾ جوانبها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَرِثُوا الشُّرُورَ﴾ من القبور للجزء.

[١٦] ﴿وَأَمِنُوا﴾ بتحقيق الهزئين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينها وبين الأخرى، وتركه، وإبدالها ألفاً^(٢) ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ سلطانه وقدرته^(٣) ﴿أَنْ يَخْفِيَ﴾ بدل من «مَنْ» ﴿بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تنحرك بكم وترتفع فوقكم.

[١٧] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ﴾ بدل من «مَنْ» ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميكم بالحصىاء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معابنة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ إنذارى بالعذاب؛ أي: إنه حق.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرِ﴾ إنكارى عليهم بالكذب عند إهلاكهم؛ أي: إنه حق.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَفَتْ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتهن بعد البسط؛ أي: وقابضات ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع في حال البسط والقبض ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ يَكُنْ شَيْءٌ بَصِيرٌ﴾ المعنى: ألم يستدلوا بنبوت الطير في الهواء، على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم، وغيره من العذاب؟.

[٢٠] ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هَذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي﴾ بدل من «هَذَا» ﴿هُوَ جُنْدٌ﴾ أعوان ﴿لَكُمْ﴾ صلة «الذي» ﴿يَضْرِبُكُمْ﴾ صفة الجند ﴿مَنْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: غيره، يدفع عنكم عذابه؟ أي: لا ناصر لكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْكَاذِبُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم.

[٢١] ﴿أَنْتُمْ هَذَا الَّذِي يَرْفُقُونَ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَهُ﴾ أي: المطر عنكم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: فمن يرزقكم؟ أي: لا رازق لكم غيره ﴿وَبَلَّ لَجُوجًا﴾ تهادوا ﴿فِي غُرٍّ﴾ تكبر ﴿وَيَقُورُ﴾ تباعد عن الحق.

[٢٢] ﴿أَفَنْ يَبْشَى مُجِبًا﴾ واقفا ﴿عَلَى رَجْهٍ﴾ أهدى ﴿أَمِنْ يَبْشَى سَوَاطِئَ مَعْتَدًا﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وخبر «مَنْ» الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى؛ أي: أهدى، والمثل في المؤمن والكافر، أيهما على هدى.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول. وعراه في زاد المسير لابن عباس.

(٢) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٣) وهذا تعطيل لصفة الممو، وعدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف ما دلت عليه النصوص المتواترة من علوه. شبحاته وتعالى. على خلقه بذاته المقدسة واستوائه على عرشه.

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرِ﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَتْ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿أَمْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ أَمْ هَذَا الَّذِي يَرْفُقَكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي غُرُورٍ مُتَوَّضِعِينَ ﴿أَفَنْ يَبْشَى مُجِبًا عَلَى رَجْهٍ أَهْدَى أَمِنْ يَبْشَى سَوَاطِئَ مَعْتَدٍ﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

[٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» مزيدة، والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدًا على هذه النعم.

[٢٤] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للحساب.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وعد الحشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بمجيئه ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بين الإنذار.

بعض المتجربين فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول! فذهب ماء عينه وعمي، نعوذ بالله من الحرجة على الله وعلى آياته.

سُورَةُ الْقَائِرَةِ

[مكية، ثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ت﴾ أحد حروف الهجاء، الله أعلم بمراحه به ﴿وَالْقَائِرَةِ﴾ الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من الخير والصلاح.

[٢] ﴿مَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: انتفى الجنون عنك، بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا رد لقولهم: إنه مجنون.

[٣] ﴿وَأَنْتَ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع.

[٤] ﴿وَأَنْتَ لَمَلَىٰ خَلْقٍ﴾ دين ﴿عَظِيمٍ﴾.

[٥] ﴿فَسْتَصْرِ وَيَصْرُونَ﴾.

[٦] ﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَقْتُولُ﴾ مصدر؛ كالمعقول؛ أي: الفتون؛ بمعنى: الجنون؛ أي: أهلك أم بهم؟

[٧] ﴿وَأَنْتَ رَبُّكَ هُوَ أَظْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ له، «وأعلم» بمعنى عالم.

[٨] ﴿فَلَا تُطِيعُ الشَّاكِرِينَ﴾.

[٩] ﴿وَدَّاعٍ﴾ نمرًا ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تُدْهِنُ﴾ تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ يلبنون لك، وهو معطوف على ﴿تُدْهِنُ﴾ وإن جعل جواب التمني المفهوم من «ودوا» فدر قبله بعد الفاء: «هم».

[١٠] ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مُهَيِّجٍ﴾ حثير ﴿هَمَّازٍ﴾ عيَّاب؛ أي: مغتاب ﴿مُشَّامٍ بَيِّمٍ﴾ ساع بالكلام بين الناس، على وجه الإفساد بينهم.

[١٢] ﴿مَنَاجٍ لِلنَّحْرِ﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ﴿مُتَدَرِّجٍ﴾ ظالم ﴿أَيْمٍ﴾ آثم. [١٣] ﴿عُتْلٍ﴾ غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَلِكَ رِزِيمٍ﴾ ذبيح في قريش، وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانين عشرة سنة، قال ابن عباس^(٤): لا نعلم أن الله وصف أحدا بما وصفه به من العيوب فألحق به عارًا لا يفارقه أبدًا، وتعلق بـ«زريم» الظرف قبله.

[١٤] ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَيْنَ﴾ أي: لأن، وهو متعلق بما دل عليه. [١٥] ﴿إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَهْلُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ﴾: هي ﴿أَسْطِطُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: كذب بها لإنعامنا عليه بما ذكر، وفي قراءة^(٥): ﴿أَنَّ﴾ بهمزتين مفتوحتين.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَتَانِ بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْمَلُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الْقَائِرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَائِرَةِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١٧﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿١٨﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿١٩﴾ وَإِنَّكَ لَمَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٢٠﴾ فَمَنْ يَصْرِ وَيَصْرُونَ ﴿٢١﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٢٢﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٢٣﴾ فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ وَدُّوا أَنْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿٢٦﴾ هَمَّازٍ مُشَّامٍ بَيِّمٍ ﴿٢٧﴾ مَنَاجٍ لِلنَّحْرِ مُتَدَرِّجٍ أَيْمٍ ﴿٢٨﴾ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رِزِيمٍ ﴿٢٩﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَيْنَ ﴿٣٠﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ عَابِدُنَا قَالِ اسْطِطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُطُومِ ﴿٣٢﴾

[٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريبًا ﴿سَيِّئَتْ﴾ اسودت ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ﴾ أي: قال الحزنة لهم: ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ﴾ بإنذاره ﴿تَدْعُونَ﴾ أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية حال تأتي، عبر عنها بطريق المضي؛ لتحقيق وقوعها.

[٢٨] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين بعذابه، كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعذبنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: لا مجير لهم منه.

[٢٩] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَتَانِ بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْمَلُونَ﴾ بالباء والياء^(١)، عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بين، أنحن، أم أنتم، أم هم؟ [٣٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائرا في الأرض ﴿فَمَنْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ جارا؛ تناله^(٢) الأيدي والدلاء كما أنكم؛ أي: لا يأتي به إلا الله - تعالى - فكيف تنكرون أن يبعثكم؟! ويستحب أن يقول القارئ عقب «معين»: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث^(٣)، وتليت هذه الآية عند

(١) بالياء قراءة الكسائي.

(٢) في نسخة القاضي: «لا تناله» وهو خطأ بين.

(٣) وهذا الحكم يحتاج إلى دليل من المصنوع ﷺ ولم يرد حديث بذلك.

(٤) وأخرج البخاري (٤٩١٧) عنه قال: ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رِزِيمٍ﴾، قال: رجل من قريش، له زمة مثل زمة الشاة. والزمة: ما يقطع من أذن الشاة. وقيل: المعنى: أنه الذي يعرف بالشو كما تعرف الشاة برنمها.

(٥) لحزمة وشعة، وكذلك ابن عامر لكن مع تسهيل الهزلة الثانية.

[١٦] ﴿سَيَسْمِعُ عَلَ الْخُرُومِ﴾ سنجعل على أنفه علامة، يُعَيِّرُ بها ما عاش، فحُطِمَ أنفه بالسيف يوم بدر.

[١٧] ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ امتحنا أهل مكة بالهط والجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْبَنَاءِ﴾ البستان ﴿إِذْ أَقْبَتُوا لِيَصْرَمَنَّا﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مُضِيِّينَ﴾ وقت الصباح؛ كي لا يشعر بهم المساكين؛ فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها.

[١٨] ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾ في يمينهم بشيعة الله - تعالى -، والجملة مستأنفة؛ أي: وشأنهم ذلك.

[١٩] ﴿فَطَافَ عَلَيْنَا طَافٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ نار أحرقتها ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ كالليل الشديد الظلمة؛ أي: سوداء.

[٢١] ﴿فَنَادَا مُّصِيبِينَ﴾.

[٢٢] ﴿أَنِ اعْبُدُوا عَلَىٰ حَرْبِكُمْ﴾ عَلَيْكُمْ، تفسير لـ «نادوا» أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن ﴿إِن كُنتُمْ صَاحِبِينَ﴾ مريدين القطع، وجواب الشرط دل عليه ما قبله.

[٢٣] ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ يتساورون.

[٢٤] ﴿أَن لَّا يَخْشَوْا أَيَّوْمَ عَلَيْكَ سَيَكُنْ﴾ تفسير لما قبله، أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن.

[٢٥] ﴿وَعَدَا عَلَىٰ حَرْبٍ﴾ منع للفقاء ﴿قَدِيرِينَ﴾ عليه في ظنهم.

[٢٦] ﴿فَمَا زَالُوا﴾ سوداء محترقة ﴿فَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ﴾ عنها؛ أي: ليست هذه.

[٢٧] ثم قالوا لمعلموها: ﴿يَلَّ نَحْنُ نَحْمُومُونَ﴾ نمرتها، بمنعنا لفقراء منها.

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ خيرهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ لَوْلَا هَٰذَا﴾ هَلَا ﴿سَيَكُونُ﴾ الله تائين.

[٢٩] ﴿فَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ضَالِّينَ﴾ بمنع الفقراء حقهم.

[٣٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَومُونَ﴾.

[٣١] ﴿فَالُوا يَا لِلتَّيْبَةِ﴾ وتلنا هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ضَالِّينَ﴾.

[٣٢] ﴿عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا﴾ بالتشديد والتخفيف ^(١) ﴿حَزَنًا نَّيْبًا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ ليقبل توبتنا، ويرد علينا خيراً من جنتنا، روي أنهم أبدلوا خيراً منها.

[٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل العذاب لهؤلاء ﴿الْقَاتِلَاتِ﴾ لمن خالف أمرنا، من كفر مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عذابها، ما خالفوا أمرنا.

[٣٤] ﴿وَنَزَلَ مَا قَالُوا﴾ إن بُعِثْنَا نُعْطَىٰ أَفْضَلَ مِنْكُمْ: ﴿إِن لِّلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.

[٣٥] ﴿فَتَجْمَعُ الْكُلُوبُ﴾ كلَّهم ﴿أَي: تابعين لهم في العطاء﴾.

[٣٦] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟.

[٣٧] ﴿أَمْ﴾ أي: بل أ ﴿لَّكَ كِتَابٌ﴾ منزل ﴿فِيهِ تَذَرُوسُونَ﴾ أي: تقرأون؟.

[٣٨] ﴿إِن لَّكَ فِيهِ مَا تَخْتَارُونَ﴾ تختارون.

[٣٩] ﴿أَمْ لَّكَ آيَاتٌ﴾ عهود ﴿عَلَيْكَ بَلَاغَةٌ﴾ واقعة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْاَلِيمَةِ﴾

(١) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٢) هذا أحد قولي العلماء في تفسير الآية، وأنها ليست من آيات الصفات، وأصحاب هذا القول من السلف لا ينفون عن الله - تعالى - صفة الساق التي ثبتت بالسنّة الصحيحة، وإنما يثبتونها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

والقول الثاني: أن المراد في الآية هنا أن الله يكشف عن ساقه - سبحانه -، ويدل على هذا القول ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة...»

الحديث. رواه البخاري (٤٩١٩).

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرَمَنَّا مَضِيحِينَ ﴿١٦﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٧﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَافٍ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿١٩﴾ فَنَادَا مُّصِيبِينَ ﴿٢٠﴾ أَنِ اعْبُدُوا عَلَىٰ حَرْبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَاحِبِينَ ﴿٢١﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٢﴾ أَن لَّا يَخْشَوْا أَيَّوْمَ عَلَيْكُمْ مِّسْكِينَ ﴿٢٣﴾ وَعَدَا عَلَىٰ حَرْبٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَأَصَالُونَ ﴿٢٥﴾ يَلَّ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا سَيَكُونُ ﴿٢٧﴾ فَاوْصَحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كَانُوا لَمِِينَ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَومُونَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا لَوْلَا إِنَّا كَانُوا غَٰيِبِينَ ﴿٣٠﴾ عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣١﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ إِن لِّلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٣٣﴾ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٦﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا تَعَلَيْكُمْ بَلَاغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِن لَّكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٧﴾ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فُلْيَاؤُا۟ بِشْرِكَايِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَا يَكْفُفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٠﴾

متعلق معنى بـ «علينا»، وفي هذا الكلام معنى القسم؛ أي: أقسمنا لكم، وجوابه: [٤٠] ﴿إِن لَّكَ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ به لأنفسكم.

[٤١] ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ بِذَٰلِكَ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم، من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿زَعِيمٌ﴾ كفييل لهم؟ ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ أي: عندهم ﴿شُرَكَاءُ﴾ موافقون لهم في هذا القول، يكفلون به لهم؟ فإن كان كذلك ﴿فُلْيَاؤُا۟ بِشْرِكَايِهِمْ﴾ الكافلين لهم به ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

[٤٢] اذكر ﴿يَوْمَ يَكْفُفُ عَنْ سَاقٍ﴾ هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء ^(٢)؛ يقال: كشفت الحرب عن ساق: إذا اشتد الأمر فيها ﴿وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ امتحاناً لإيمانهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ تصوير ظهورهم طبقاً واحداً.

[٥٠] ﴿فَاجْنِبْهُ رِيءٌ﴾ بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء.
 [٥١] ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفُقُونَكَ﴾ بضم الياء وفتحها ^(١) ﴿بِأَصْرِهِ﴾ ينظرون إليك نظراً شديداً، يكاد أن يصرعك، ويسقطك من مكانك ﴿لَنَا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسداً: ﴿إِنَّمَا كُنْتُمْ﴾ بسبب القرآن الذي جاء به.
 [٥٢] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الجن والإنس، لا يحدث بسبب جنون.

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

[مكية، إحدى، أو: اثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَاقَّةُ﴾ القيامة، التي يحق فيها ما أتت من البعث والحساب والجزاء، أو: المظهرة لذلك.
 [٢] ﴿مَا الْهَاقَّةُ﴾ تعظيم لشأنها، وهما: مبتدأ وخبر، خبر: «الهاقة» ^(٢).
 [٣] ﴿وَمَا أَذْرَبُكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْهَاقَّةُ﴾ زيادة تعظيم لشأنها، ف«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لدأدرى.
 [٤] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ القيامة؛ لأنها تفرع القلوب بأهوالها.
 [٥] ﴿فَأَنَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالْقَارِعَةِ﴾ بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة.
 [٦] ﴿وَأَنَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شديد الصوت ﴿عَاصِفَةٍ﴾ قوية شديدة على عاد، مع قوتهم وشدتهم.
 [٧] ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسها بالقهقير ﴿عَلَيْهِمْ سَنَعُ لَيْلٍ وَنَكِيَّةَ نِجَامٍ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في عجز الشتاء ^(٣) ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات، شُبَّهَتْ بتتابع فِعْلِ الحاسم، في إعادة الكي على الداء كزة بعد أخرى، حتى ينحسم.
 ﴿فَنَزَلَ الْقَوْمُ فِيهِ صَرْيٌّ﴾ مطروحين هالكين ﴿كَانَتْهُمْ أَعْمَارُ﴾ أصول ﴿عَقْلٍ حَاقِيَةٍ﴾ ساقطة فارعة.
 [٨] ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ صفة «نفس» مقدرة ^(٤)، أو التاء للمبالغة؛ أي: باقٍ؟ لا.

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿١٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿١٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكْهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿١٩﴾ فَاجْتَبِهْ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفُقُونَكَ بِأَصْرِهِمْ لَمَا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٢١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ مَا الْهَاقَّةُ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرَبُكَ مَا الْهَاقَّةُ ﴿٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٣﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٤﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاصِفَةٍ ﴿٥﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَنَعُ لَيْلٍ وَنَكِيَّةَ نِجَامٍ ﴿٦﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٧﴾

[٤٣] ﴿خَشِيعَةً﴾ حال من ضمير «يدعون»؛ أي: ذليلة ﴿أَصْرُهُمْ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ فلا يأتون به، بأن لا يصلوا. [٤٤] ﴿فَذَرْنِي﴾ دعني ﴿وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [٤٥] ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنِّي كَيْدِي مَتِينٌ﴾ شديد لا يطاق. [٤٦] ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿تَسْأَلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾ مما يعطونكه ﴿مُثْقَلُونَ﴾ فلا يؤمنون لذلك؟ [٤٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ، الذي فيه الغيب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يقولون؟ [٤٨] ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة، وهو يونس ^(٥) ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غمًا في بطن الحوت.

[٤٩] ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكْهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لكنه رُجِمَ فليد غير مذموم.

(١) بالفتح قراءة نافع.

(٢) أي: وجملة المبتدأ والحبر: خبر «الهاقة».

(٣) الأولى عدم تعيين هذه الأيام، على هذا النحو، من غير دليل صحيح يُصار إليه. ويكفي إطلاق القرآن أنها «سبع ليال وثمانية أيام».

(٤) أي: «من نفس باقية».

[٩] ﴿وَبِمَا قَسَمَ لَلَّهِ لَمَّا كَانَ مُنِيبًا﴾ أي: أتباعه، وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي: مَنْ تقدمه من الأمم الكافرة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أهلها، وهي قرى قوم لوط ﴿بِالْقَابِلِينَ﴾ بالفعلات ذات الخطأ.
[١٠] ﴿فَمَقَامُ رَسُولٍ رَجِمُوا﴾ أي: لوطاً وغيره ﴿فَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا﴾ زائدة في الشدة على غيرها.

[١١] ﴿إِنَّا لَنَّا نَلْقَا أَهْلَهُ﴾ علا فوق كل شيء، من الجبال وغيرها، زمن الطوفان ﴿حَمَلْنَا﴾ يعني أباءكم؛ إذ أنتم في أصلابهم ﴿فِي الْبَارِيَةِ﴾ السفينة التي عملها نوح، ونجا هو ومن كان معه فيها، وغرق الباقون.

[١٢] ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا﴾ أي: هذه العقلة وهي إنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا﴾ وعنيها ﴿أَذْنُ وَجِيَّةٍ﴾ ولتحفظها ﴿أَذْنُ وَجِيَّةٍ﴾ حافظة لما تسمع.
[١٣] ﴿فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ للفصل بين الخلائق، وهي الثانية.
[١٤] ﴿وَحُمِلَتِ﴾ رفعت ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾ دقا ﴿ذِكْرَهُ وَاحِدَةً﴾.

[١٥] ﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة.
[١٦] ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكُتِبَ عَلَيْهَا الْأُمُورُ﴾ ضعيقة.
[١٧] ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ يعني الملائكة ﴿عَلَى أَرْجَائِهِمَا﴾ جوانب السماء ﴿وَحُمِلَ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: الملائكة المذكورين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّزْنِيَةٌ﴾ من الملائكة، أو من صفوفهم.

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لِلْحَسَابِ﴾ لَا تَحْفَظُ ﴿بِالنَّاءِ وَالْبَاءِ﴾ ﴿يَسْكُرُ حَافِيَةً﴾ من السرار.

[١٩] ﴿فَأَذْنُ مَنْ أَوْفَى كَيْدِهِمْ يَسْمِيهِ﴾ يَقُولُ ﴿خَطَابًا لِّجَمَاعَتِهِ لَمَّا شَرِبَ بِهِ: «هَؤُلَاءِ خَذُوا» أَفَرَأَوْا كَيْدِيَّ؟ تَنَازَعُ فِيهِ «هَؤُلَاءِ» وَ«أَقْرَعُوا»^(٣).

[٢٠] ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ مُّتَنَبِّئٌ﴾ تَقْبَلُ ﴿أَنِّي مُلْكٌ مُّتَنَبِّئٌ﴾.
[٢١] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ مرضية.

[٢٢] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.

[٢٣] ﴿فَقُطِفَهَا﴾ ثمارها ﴿وَأَنبَتَهَا﴾ قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

[٢٤] ﴿يُقَالُ لَهُمْ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا حَيْثُ شِئْتُمْ»﴾ حال؛ أي: متبهتين ﴿بِمَا أَشْلَقْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية في الدنيا.

[٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْدَهُ بِشِمَالِهِ﴾ يَقُولُ يَا ﴿لَتُنْبِتِي لَرَأْوَتٍ﴾ كَيْدِيَّ.

[٢٦] ﴿وَلَرَأْوَتٍ مَا جَسِيَّةٌ﴾.

[٢٧] ﴿وَلَتُنْبِتِي﴾ أي: الموتة في الدنيا ﴿كَأَنَّ الْقَاضِيَةَ﴾ القاطعة لحياتي، بَأَن لَا أَبْعَثُ.

[٢٨] ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي﴾.

[٢٩] ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ فوتي وحجتي، وهاء «كتابه» و«حسابه» و«ماليه» و«سلطانيته» للسكرت ثبت وقتاً ووصلاً؛ اتباعاً للمصحف الإمام

(١) وهي قراءة الكسائي وأبي عمرو، وقراءة بقية السبعة: ﴿قَبْلَهُ﴾ بفتح القاف وسكون الباء.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) التنازع هو: توجه عاملين إلى معمول واحد. والعاملان هنا هما: «هَؤُلَاءِ» و«أَقْرَعُوا»، والمعمول هو: «كتابه»؛ فأيهما أعلمت، فيقدر للآخر مفعوله، وقد أعمل الثاني عند البصريين، والأول عند الكوفيين، وأضمر في الآخر، وحذف لأنه فضلة.

(٤) أي عن النبي ﷺ.

(٥) أي السبعة، وهو حمزة، والمشرقة، وهو يعقوب.

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ، وَالْمُؤَيَّنَاتُ بِالْحَاطَةِ ﴿نَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاذْكُرْنَاهُمْ أَجْرًا﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا﴾ تَذَكَّرُوا وَتَعَبَهَا أَذْنُ وَجِيَّةٍ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا ذِكْرَهُ وَاحِدَةً ﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكُتِبَ عَلَيْهَا الْأُمُورُ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى أَرْجَائِهِمَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْدَهُ بِشِمَالِهِ﴾ يَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَعُوا كَيْدِيَّ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ مُّتَنَبِّئٌ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ فِي حَتَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿فَقُطِفَهَا دَائِيَةً﴾ كُؤُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَشْلَقْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْدَهُ بِشِمَالِهِ﴾ يَقُولُ لَتُنْبِتِي لَرَأْوَتٍ كَيْدِيَّ ﴿وَلَرَأْوَتٍ مَا جَسِيَّةٌ﴾ يَكْلِيَنَهَا كَأَنَّ الْقَاضِيَةَ ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ

والنقل^(٤)، ومنهم^(٥) من حذفها وصلاً.

[٣٠] ﴿خُذْرُهُ﴾ خطاب لخرنة جهنم ﴿فَعُلُّوهُ﴾ اجتمعوا يديه إلى عنقه في الغُل.

[٣١] ﴿قُرُ الْمَجِيمِ﴾ النار المحرقة ﴿صَلُّوهُ﴾ أدخلوه.

[٣٢] ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بذراع الصَّلَك ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أدخلوه فيها بعد إدخاله النار، ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم.

[٣٣] ﴿إِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.

يَنْ أَحَدِهِ هُوَ اسْمُ «مَا»، وَ«مِنْ» زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ النِّفْيِ، وَ«مِنْكُمْ» حَالٌ مِنْ «أَحَدٍ»
 «عَنْهُ حَاجِرِينَ» مَانِعِينَ، خَيْرُ «مَا»، وَجُمْعٌ، لِأَنَّهُ «أَحَدًا» فِي سِيَاقِ النِّفْيِ بِمَعْنَى
 الْجُمْعِ، وَضَمِيرُ «عَنْهُ» لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ أَيُّ لَا مَانِعَ لَنَا عَنْهُ، مِنْ حَيْثُ الْعِقَابُ.
 [٤٨] «وَإِنَّهُ» أَيُّ: الْقُرْآنُ «لَنَذْكُرَنَّ لِمَنْ تَقِيَنَّ». [٤٩] «وَإِنَّا لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ
 مِنْكُمْ» أَيُّهَا النَّاسُ «شُكَّائِينَ» بِالْقُرْآنِ، وَمُصَدِّقِينَ. [٥٠] «وَإِنَّهُ» أَيُّ:
 الْقُرْآنُ «لَنَحْصِرَنَّ عَلَى الْكَافِرِينَ» إِذَا رَأَوْا ثَوَابَ الْمُصَدِّقِينَ، وَعِقَابَ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ
 «وَإِنَّهُ» أَيُّ: الْقُرْآنُ «لَنَحْقُقَنَّ الْيَقِينَ» أَيُّ: لِلْيَقِينِ الْحَقَّ. [٥١] «فَسَبِّحْ» نَزْهُ
 «وَأَسْمِرْ» زَائِدَةٌ (٧) «رَبِّكَ الْعَظِيمِ» سُبْحَانَهُ.

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

[مكية، أربع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] «سَأَلَ سَائِلٌ» دَعَا دَاعٍ «بِعَذَابٍ وَاقِعٍ».
 [٢] «لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ» هُوَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ (٤)، قَالَ: «اللَّهُمَّ
 إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ» الْآيَةُ (٥).
 [٣] «مِنْ اللَّهِ» مُتَّصِلٌ بِوَقَائِعِ «ذِي الْمَعَارِجِ» مُصَاعِدِ الْمَلَائِكَةِ، وَهِيَ
 السَّمَاوَاتُ.
 [٤] «تَنْزِيلُ» بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ (٦) «الْمَلَكُوتِ وَالرُّوحِ» جِبْرِيلُ «إِلَيْهِ» إِلَى
 مَهْبِطِ أَمْرِهِ مِنَ السَّمَاءِ (٧) «فِي يَوْمٍ» مُتَّعِلٌ بِمَحْذُوفٍ؛ أَيُّ: يَقَعُ الْعَذَابُ بِهِمْ
 فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ «كَأَنَّهُ يَفْجُرُهُمْ حَمِيمٌ أَلْفَ سَنَةٍ» بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَافِرِ، لَمَا يَلْقَى
 فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَكُونُ أَحْفَظَ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يَصْلِيهَا فِي
 الدُّنْيَا؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ (٨).
 [٥] «فَاصْبِرْ» وَهَذَا قَبْلُ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْقِتَالِ «صَبْرًا جَبِيلًا» أَيُّ: لَا جُرْعَ
 فِيهِ.
 [٦] «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ» أَيُّ: الْعَذَابَ «بَعِيدًا» غَيْرَ وَاقِعٍ.
 [٧] «وَرَنَّهُ قَرِيبًا» وَاقِعًا لَا مُحَالَةً.
 [٨] «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ» مُتَّعِلٌ بِمَحْذُوفٍ أَيُّ: يَقَعُ «كَالْنَهْلِ» كَذَابُ
 الْفُضَّةِ.
 [٩] «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» كَالصُّوفِ؛ فِي الْخِفَةِ وَالطَّيْرِانِ بِالرَّيْحِ.
 [١٠] «وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا» قُرْبُ قَرِيبِهِ؛ لِاشْتِغَالِ كُلِّ بِحَالِهِ.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ (١) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٢) فَلَا أَمْسِرُ
 بِمَا تُبْصِرُونَ (٣) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٤) إِنَّهُ وَلَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٥) وَمَا هُوَ
 يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مِمَّا تُؤْمِنُونَ (٦) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ (٧)
 نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٩)
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (١٠) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (١١) فَمَا مِنْكُمْ
 مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِرِينَ (١٢) وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِمَنْ تَقِيَنَّ (١٣) وَإِنَّا
 لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (١٤) وَإِنَّا وَلَحْصَرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (١٥)
 وَإِنَّا وَلَحَقُّ الْيَقِينِ (١٦) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (١٧)

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢)
 مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ
 فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا
 (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَرَنَّهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
 كَالْنُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا (١٠)

[٣٥] «فَلَيْسَ لَهُ أَتَمُّ هَهَا جَبِيمٌ» قَرِيبٌ يَنْتَفِعُ بِهِ. [٣٦] «وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ»
 غَشِيلٌ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ شَجَرٌ فِيهَا. [٣٧] «لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ»
 الْكَافِرُونَ. [٣٨] «وَلَا» زَائِدَةٌ «أَقِيمُ» بِمَا تُبْصِرُونَ مِنْ الْخُلُوقَاتِ.
 [٣٩] «وَمَا لَا تُبْصِرُونَ» مِنْهَا؛ أَيُّ: بِكُلِّ مَخْلُوقٍ [٤٠] «إِنَّهُ» أَيُّ: الْقُرْآنُ
 «لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» أَيُّ: قَالَهُ رَسُولُهُ عَنِ اللَّهِ - تَعَالَى - [٤١] «وَمَا هُوَ يَقُولُ»
 شَاعِرٌ قَلِيلًا مِمَّا تُؤْمِنُونَ. [٤٢] «وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ» بِالنَّاءِ
 وَالْيَاءِ (٦) فِي الْفَعْلَيْنِ، وَ«مَا» مُزِيدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ آمَنُوا بِأَشْيَاءَ بَسِيرَةٍ
 وَتَدَّكُرُوهَا، مِمَّا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، مِنْ الْخَيْرِ وَالصَّلَةِ وَالْعَقَابِ فَلَمْ تَغْنِ عَنْهُمْ
 شَيْئًا. [٤٣] «بَرَّ هُوَ» نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. [٤٤] «وَلَوْ تَقَوَّلَ» أَيُّ: النَّبِيُّ
 «عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ» بَأَن قَال عَنَا مَا لَمْ نَقْلَهُ. [٤٥] «لَأَخَذْنَا» لِيلْنَا
 «مِنْهُ» عِقَابًا «بِالْيَمِينِ» بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ (٧). [٤٦] «ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ»
 نَبَاطُ الْقَلْبِ، وَهُوَ عِرْقٌ مُتَّصِلٌ بِهِ، إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ. [٤٧] «فَمَا مِنْكُمْ

(١) بآيَاءِ قِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامِرٍ فِي الْفَعْلَيْنِ: «يُؤْمِنُونَ»، وَ«يَتَذَكَّرُونَ».

(٢) تَفْسِيرُ الْيَمِينِ بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ خِلَافَ ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَعَدُولٌ بِهِ عَنْهُ، وَلَوْ قَالَ: لِأَنَّهُ أَشَدُّ فِي الْبَطْشِ، أَوْ أَقْوَى، لَكَانَ أَوْضَحَ وَأَظْهَرَ، مَعَ مَا فِيهَا مِنْ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْيَمِينِ لِلَّهِ ﷻ عَلَى الْوَجْهِ اللَّاتِي بِهِ، وَكَلَّمَا يَدِيهِ سُبْحَانَهُ يَمِينٌ. كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ (١٨٢٧) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ.

(٣) أَيُّ: الْبَاءُ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَلَيْسَ لَفْظُهُ «اسْمٌ».

(٤) قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ» كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ (١٨٢٧) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ.

(٥) «وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا» قُرْبُ قَرِيبِهِ؛ لِاشْتِغَالِ كُلِّ بِحَالِهِ.

(٦) بآيَاءِ قِرَاءَةِ الْكَسَايْنِ.

(٨) حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ، وَضَعْفُهُ الْأَلْثَانِي، وَانْظُرِ التَّعْلِيلَ عَلَى الْآيَةِ رَقْمَ (٥) مِنْ سُورَةِ السَّجْدَةِ.

[١١] ﴿يُصْرَوْنَهُمْ﴾ أي: يبصر الأجناء بعضهم بعضاً، ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة ﴿يُؤَذِّمُ الْكَافِرَ﴾ بمعنى الكافر ﴿لَوْ﴾ بمعنى «أن» ﴿يَقْتَدِي بَيْنَ عَذَابٍ يُؤَيِّدُ﴾ بكسر الميم وفتحها^(١) ﴿يَنْبِيهِ﴾.

[١٢] ﴿وَصَحْبِيَّتِهِ﴾ زوجته ﴿وَأَلِيَّتِهِ﴾.

[١٣] ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته؛ لفصله منها ﴿أَلَى تَوْبَةٍ﴾ تضمه.

[١٤] ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ذلك الافتداء، عطف على «يفندي».

[١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردٌّ لما يؤذنه ﴿إِنَّمَا﴾ أي: النار ﴿لَطْفِي﴾ اسم لجهنم؛ لأنها تنلطي؛ أي: تتهلب على الكفار.

[١٦] ﴿نَزَاعَةُ لِلشَّيْءِ﴾ جمع «شواة»، وهي جلدة الرأس.

[١٧] ﴿تَقُولُوا مَنْ أَذَرَّ وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان؛ بأن تقول: إلى أي.

[١٨] ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَرَعَنَ﴾ أمسكه في وعائه، ولم يؤد حق الله منه.

[١٩] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ حال مقدره، وتفسيره:

[٢٠] ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقت مَسَّ الشرِّ.

[٢١] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وقت مَسَّ الخير؛ أي: المال، لحق الله منه.

[٢٢] ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ مواظبون.

[٢٤] ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ هو الزكاة.

[٢٥] ﴿لِسَائِلِ اللَّعْرُومِ﴾ المتعفف عن السؤال؛ فيحرم.

[٢٦] ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ﴾ الجزاء.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابٍ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٢٨] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ نزوله.

[٢٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ لِعْرُومِهِمْ حَافِظُونَ﴾.

[٣٠] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَلَا تَنْهَىٰ عَنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٣١] ﴿وَمَنْ أَتَّبَعَنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

[٣٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ لِمَنْتِهِمْ﴾ وفي قراءة^(٢) بالإفراد؛ ما اتتموا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وَعَهْدِهِمُ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رَعُونَ﴾ حافظون.

[٣٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ شَهَادَتِهِمْ﴾^(٣) وفي قراءة بالجمع ﴿قَائِمُونَ﴾ يقيمونها ولا يكتمونها.

[٣٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها.

[٣٥] ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

يُصْرَوْنَهُمْ يُؤَذِّمُ الْكَافِرَ لَوْ يَقْتَدِي بَيْنَ عَذَابٍ يُؤَيِّدُ يَنْبِيهِ

وَصَحْبِيَّتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ أَلَى تَوْبَةٍ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَطْفِي نَزَاعَةُ لِلشَّيْءِ تَدْعُو مَنْ أَذَرَّ

وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَرَعَنَ إِنْ الْإِنْسَانُ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ

جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ

عَنْ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ

وَالْمَحْرُومِ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابِ

رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنْ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ وَالَّذِينَ هُمْ

عَنْ لِعْرُومِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ فَاتَّبَعْنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ لِمَنْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ شَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ

فَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ

عَزِينَ يُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ

مِمَّا يَعْمَلُونَ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ

[٣٦] ﴿فَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ حال؛ أي: مديهي النظر.

[٣٧] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منك ﴿عَزِينَ﴾ حال - أيضاً؛ أي: جماعات جلقاً جلقاً، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لمن دخل هؤلاء الجنة لندخلها قبلهم.

[٣٨] قال تعالى: ﴿يُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

[٣٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ كغيرهم ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من نطف، فلا يُطمع بذلك في الجنة، وإنما يُطمع فيها بالتقوى.

(١) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

(٢) لاين كثير.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالجمع: ﴿بشهاداتهم﴾.

سورة نوح

[مكية، ثمان، أو: تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْهُمْ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.
- [٢] ﴿قَالَ يَفْقَهُوا إِنِّي لَكُم دَائِرٌ مِّمَّنْ﴾ بين الإنذار.
- [٣] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن أقول لكم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾.
- [٤] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» زائدة، فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو: تبعيضية؛ لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بعدابكم إن لم تؤمنوا ﴿إِذَا جَاءَ لَا يُوَخِّرُونَ﴾ لا يؤخر أو: كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ذلك لآمتنم.
- [٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: دائماً متصلاً.
- [٦] ﴿فَلَمْ يَرْزُقْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الإيمان.
- [٧] ﴿وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَعُمْ﴾ «أَصْغَعُمْ» لئلا يسمعوا كلامي ﴿وَأَسْتَغْشُوا بِآيَاتِي﴾ غطوا رؤوسهم بها؛ لئلا ينظروني ﴿وَأَصْرُوا﴾ على كفرهم ﴿وَأَسْتَغْبَرُوا﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿أَسْتَغْبَرُوا﴾.
- [٨] ﴿فَدَعَا إِلَىٰ دَعْوَتِهِمْ جَهَارًا﴾ أي: بأعلى صوتي.
- [٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ صوتي ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.
- [١٠] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا ذُنُوبَكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا﴾.

سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ إِنِّي لَكُم دَائِرٌ مِّمَّنْ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِدْجَاءَ لَا يُؤَخِّرُونَ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَعُمْ فِي أَعَانِهِمْ وَأَسْتَغْشُوا بِآيَاتِي وَأَصْرُوا وَاسْتَغْبَرُوا اسْتَغْبَرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا ذُنُوبَكُمْ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا ﴿١٠﴾

[٤٠] ﴿فَلَا﴾ «لا» زائدة ﴿أَقِيمْ رَبِّكَ الْغَرْبِ وَالْمَغْرِبِ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿إِنَّا لَقَدْرَدُونَ﴾.

[٤١] ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ﴾ تأتي بدلهم ﴿غَيْرًا نَحْنُ وَمَا نَحْنُ بِسَبُوحِينَ﴾ عاجزين عن ذلك.

[٤٢] ﴿فَدَرَّهُمْ﴾ أتركهم ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْمِزُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾ يلقوا ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب.

[٤٣] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿يَرَكَنًا﴾ إلى المحشر ﴿كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نَصَبٍ﴾^(١) وفي قراءة بضم الحرفين؛ شيء منصوب؛ كعلم أو راية ﴿يُوفُونَ﴾ يسرعون.

[٤٤] ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة ﴿أَبْصَرُ رَهَقَهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذَلِكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ «ذلك» مبتدأ، وما بعدها الخبر، ومعناه: يوم القيامة.

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ حفص وابن عامر: ﴿نَصَبٍ﴾ بضم النون والصاد.

(٢) في نسخة القاضي: «يصرون».

[١١] ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ وكانوا قد مُنِغَوْهُ ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ كثير الدور.

[١٢] ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِتْ لَكُمْ حَبَّتٍ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ جارية.

[١٣] ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: تأمّنون وقار الله إياكم بأن تؤمّنوا؟!.

[١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ جمع طَوْر، وهو الحال، فَطَوْرًا: نطفة، وطَوْرًا: علقة، إلى تمام خلق الإنسان، والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه.

[١٥] ﴿وَالَّذِينَ تَرَوَاهُمْ﴾ تنظروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض؟.

[١٦] ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي: في مجموعهن؛ الصادق بالسماء الدنيا ﴿نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ مصباحًا مضيئًا، وهو أقوى من نور القمر.

[١٧] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ إذ خلق أبائكم آدم منها ﴿تِبَاقًا﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ يُبْعِدْكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُغْرِضَكُمْ﴾ للبعث ﴿إِخْرَاجًا﴾.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ مبسطة.

[٢٠] ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿فِي جَبَالٍ﴾ واسعة.

[٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا﴾ أي: السفلة والفقراء ﴿مَنْ لَزَّ رِزْدَهُ مَالَهُ﴾ [وَوَلَدَهُ^(١)] ﴿وَهُمُ الرُّؤَسَاءُ﴾ المتكلم عليهم بذلك، و«ولده» بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما، والأول، قيل: جمع «ولد» بفتحهما ك«خشب»، و«خشب»، وقيل: بمعنى ك«بخل»، و«بخل» ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ طغيانًا وكفرا.

[٢٢] ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي: الرُّؤَسَاءُ ﴿مَكْرًا كَبِيرًا﴾ عظيمًا جدًّا، بأن كذبوا نوحًا وأذوه ومن اتبعه.

[٢٣] ﴿وَقَالُوا﴾ للسفلة: ﴿لَا تَدْرُنَّ الْهَيْكَلَ﴾ وَلَا تَدْرُنَّ وَدًّا ﴿بِفَتْحِ الْوَاوِ وَضْمِهَا^(٢)﴾ وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ هي أسماء أصنامهم.

[٢٤] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ بها ﴿كِبِيرًا﴾ من الناس، بأن أمرهم بعبادتهم ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ عطفًا على «قد أضلوا» دعا عليهم لما أوحى إليه: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ^(٣)﴾.

[٢٥] ﴿مِمَّا﴾ «ما» صلة ﴿[خَطَايَاهُمْ]^(٤)﴾ وفي قراءة: ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾ بالهمز ﴿أَغْرَقُوا﴾ بالطوفان ﴿فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء^(٥).

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ﴾ أي: غير ﴿اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ يمتنعون عنهم العذاب. [٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ أي: نازل دار،

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِتْ لَكُمْ حَبَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ الْتَرْتَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿ثُمَّ يُبْعِدْكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجْكُمْ إِخْرَاجًا﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَالًا﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَنْ لَزَّ رِزْدَهُ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَلَا خَسَارًا ﴿وَمَكَرُوا وَمَكْرَ كِبَارًا﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرْنِ الْهَيْكَلَ وَلَا تَذَرْنِ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كِبِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أَعْرَفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنِي بَصُلًا عَبْدًا وَلَا يَصِلُوا إِلَّا فَا جَرًا كَفَارًا ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾

والمعنى: أحذرا.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنِي بَصُلًا عَبْدًا وَلَا يَصِلُوا إِلَّا فَا جَرًا كَفَارًا﴾ من يفجر ويكفر، قال ذلك لما تقدم من الإيعاء إليه.

[٢٨] ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي﴾ وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ منزلي، أو: مسجدي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ هلاكًا، فأهلكوا.

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: ﴿وَوَلَدَ﴾ بفتح الواو واللام.

(٢) بالضم قراءة نافع.

(٣) هود: ٣٦.

(٤) وهي قراءة أبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾ بالهمز.

(٥) أي في الدنيا؛ وهذا قول الضحاك؛ وذلك أنهم كانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من الجانب. وقال ابن السائب: سيدخلون في الآخرة نازًا، فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال؛ لأن الوعد حق. وهذا قول الأكثرين. وقال آخرون: هي نار البرزخ، والمراد: عذاب القبر.

سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِك بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝
وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ
وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ۝ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَنَاجِدُهَا مُلِثَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن
يَسْمِعُ الْآنَ يَجِدْهُ سَهَابًا رَّصَدًا ۝ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِنَا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرَفَ الْفَقْدَا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ
اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۝ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى
آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحْزَنُ ۖ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا ۝

سُورَةُ الْجِنِّ

[مكية، ثمان وعشرون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أنخبرت بالوحي من الله - تعالى - ﴿أَنَّهُ﴾ الضمير للشئان ﴿اسْتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن نصيبين، وذلك في صلاة الصبح بطن نخل^(١) (موضع بين مكة والطائف)،

وهم الذين ذكروا في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآية^(٢) ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يتعجب منه؛ في فصاحته وغزارة معانيه، وغير ذلك.

[٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الإيمان والصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ ﴿وَلَمْ نُشْرِك بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ اليوم ﴿بِرَبِّنَا﴾ أسأله.

[٣] ﴿وَأَنَّهُ﴾ الضمير للشئان، فيه وفي الموضعين بعده ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ تنزه جلاله وعظمته، عما نسب إليه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾.

[٤] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا﴾ جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ غلوا في الكذب؛ بوصفه بالصاحبة والولد.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بوصفه بذلك، حتى تبينا كذبهم بذلك.

[٦] قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يُؤْذُونَ﴾ يستعذون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف، فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ بعدوهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ فقالوا: شذنا الجن والإنس.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ يا إنس ﴿وَأَن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته.

[٨] قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ رُفْنَا استراق السمع ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ نجومًا مخرقة، وذلك لما بعث النبي ﷺ.

[٩] ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي: قبل بعثته ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ﴾ أي: نستسمع ﴿فَمَن يَسْمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ سَهَابًا رَّصَدًا﴾ أُرْصِدْ له ليرى به.

[١٠] ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعد استراق السمع ﴿بِنَا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيرًا.

[١١] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: قوم غير صالحين ﴿كَمَا طَرَفَ الْفَقْدَا﴾ فرقًا مختلفين؛ مسلمين وكافرين.

[١٢] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ لا نفوته كائنين في الأرض، أو: هارين منها في السماء.

[١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحْزَنُ؛ بتقدير: ﴿هو﴾ بعد الفاء ﴿بَحْسًا﴾ نقصًا من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلمًا؛ بالزيادة في سيئاته.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حين بين الشياطين وخبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما بكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريبها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاريبها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن سمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجبت يهدي إلى الرشد فآمننا به ولن شريك بربنا أحدًا، وأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ (٧٢) باب (١).

(١) الصواب: «بطن نخلة» كما تقدم في تفسير سورة الأحقاف الآية (٢٩)، و«بطن نخلة»: موضع بين مكة والطائف. أما «بطن نخل»: فهو موضع في نجد على بعد ليشتين من المدينة.

(٢) الأحقاف: ٢٩.

[١٤] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ قصدوا هداية.

[١٥] ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقوداً، وأَنَّهُم ﴿وَأَنَّهُ﴾ في اثني عشر موضعاً هي: ﴿وَأَنَّهُ عَذَابُ﴾ ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ وما بينهما، بكسر الهمزة: استنفاً، وبفتحها^(١) بما يوجه به.

[١٦] قال - تعالى - في كفر مكة: ﴿وَأَنَّهُ﴾ ن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وأنهم، وهو معطوف على «أَنَّهُ استمع» ﴿لَوْ اسْتَقْبَلُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ غَدَقًا﴾ كثيراً من السماء، وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين.

[١٧] ﴿لَنُنْفِثَنَّ﴾ لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلم كيف شكرهم، عِلْمٌ ظُهُورٌ ﴿وَمَن يَعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ القرآن ﴿تَنسَلْهُ﴾ بالنون والياء^(٢)؛ ندخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقاً.

[١٨] ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ مواضع الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا﴾ فيها ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ بأن تشركوا، كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسهم وبمعهم أشركوا.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُ﴾ بالفتح، والكسر^(٣) استنفاً، والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبدُه بطن نخل^(٤) ﴿كَأَدْوَاهُ﴾ أي: الجن المستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ بكسر اللام وضمها^(٥)؛ جمع لبدة؛ كاللبد في ركوب بعضهم بعضاً ازدحاماً، حرصاً على سماع القرآن.

[٢٠] ﴿إِنَّا﴾^(٦) مجيباً للكفار في قولهم: ارجع عما أنت فيه، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي إِلَهًا﴾ ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا﴾ غِيًّا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ خيراً.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته ﴿أَمَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿مُنْتَصِدًا﴾ ملتجئاً.

[٢٣] ﴿وَلَا بَلَاغًا﴾ استثناء من مفعول «أَمْلِكُ»؛ أي: لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عنه ﴿وَرَسُولًا﴾ عطف على «بَلَاغًا»، وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض؛ لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في التوحيد، فلم يؤمن ﴿وَكَانَ تَنَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ حال من ضمير «مَنْ» في: «لَهُ»؛ رعاية لمنها، وهي حال مقدرة، والمعنى: يدخلونها مُقَدَّرًا خلودهم ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾.

[٢٤] ﴿حَقٌّ إِنَّا رَأَوُا﴾ ابتدائية، فيها معنى الغاية لمقدَّر قبلها؛ أي: لا يزالون على كفرهم، إلى أن يروا ﴿مَّا يُوعَدُونَ﴾ به من العذاب ﴿فَنَسْتَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله بهم يوم بدر، أو: يوم القيامة ﴿مَن أضعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون؟ على القول الأول، أو: أنا أم هم؟ على الثاني.

[٢٥] فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل: ﴿قُلْ إِنِّي﴾ أي: ما أَدْرِي ﴿أَقْرَبُ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَمْ رَبِّي أَمَدًا﴾ غاية وأجلاً لا

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٤) الصواب: «تَحْلَةً» كما تقدم.

(٥) بالضم قراءة هشام بخلاف عنه.

(٦) وهي قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم، وقرأ حمزة وعاصم: ﴿قُلْ﴾.

(٧) كذا بالأصل، والمناسِب حذف «به».

يعلمه إلا هو؟

[٢٦] ﴿عَلَّمَ الْغَيْبَ﴾ ما غاب به^(٧) عن العباد ﴿فَلَا يَظْهَرُ﴾ يطلع ﴿عَلَّ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ من الناس.

[٢٧] ﴿إِلَّا مَن أَرْزَقْنِ مِن رَّسُولِي فَإِنَّهُ﴾ مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿يَسْلُكُ﴾ يجعل ويسير ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: الرسول ﴿وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ رَصَدًا ملائكة يحفظونه، حتى يبلغه في جملة الوحي.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ﴾ الله عِلْمٌ ظُهُورٌ ﴿أَنَّهُ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أي: الرسل ﴿وَرَسَلْنَا رُسُلَهُمْ﴾ روعي بجمع الضمير معنى «مَنْ» ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عطف على مقدَّر؛ أي: فعلهم ذلك ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ تمييز، وهو محمول عن المفعول، والأصل: أحصى عدد كل شيء.

التكاليف.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَسَدٌ﴾ [وَطَاءٌ] ^(١) موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن ﴿وَأَقْرَبُ قِيلًا﴾ أبين قولاً.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا شَوَاحِدًا﴾ تصرفاً في أشغالك لا تنفرغ فيه لتلاوة القرآن.

[٨] ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: قل: بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك ^(٢) ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ انقطع ﴿إِلَيْهِ تَبَيَّلًا﴾ مصدر «تبَّهَلَ»، جيء به رعاية للفاصل، وهو ملزوم التبتل.

[٩] ﴿هُوَ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاعْبُدْهُ وَكَيْلًا﴾ موكلات له أمور.

[١٠] ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة، من أذاهم ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا﴾ لا جرح فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

[١١] ﴿وَذَرْنِي﴾ اتركني ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه، والمعنى: أنا كافيكهم، وهم صناديد قريش ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾ التمتع ﴿وَمَهْلِكُ قِيلًا﴾ من الزمن؛ فقتلوا بعد يسير منه بيد.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ قيوداً ثقلاً؛ جمع «نكل» بكسر النون ﴿وَجَحِيمًا﴾ ناراً محرقة.

[١٣] ﴿وَكَلِمًا نَا غُصَّةً﴾ يُعَصُّ به في الخلق، وهو: الرُّقْم، أو: الضَّرِيع، أو: الغسيل، أو: شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً، زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ.

[١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ تزلزل ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا﴾ رملاً مجتمعاً ﴿مُهَيَّيًّا﴾ سائلاً بعد اجتماعه، وهو من: هال يهيل، وأصله: تهَيُّول؛ استقبلت الضمة على الياء فقلت إلى الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقلت الضمة كسرة لمجانسة الياء.

[١٥] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ هو محمد ﷺ ﴿شَاهِدًا عَلَيْكَ﴾ يوم القيامة، بما يصدر منكم من العصيان ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو موسى - عليه الصلاة والسلام -.

[١٦] ﴿فَقَصَّ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذَنَّهُ أَخْذًا رَهِيبًا﴾.

[١٧] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿يَوْمًا﴾ مفعول «تتقون»؛ أي: عذابه؛ أي: بأي حصن تحصنون من عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ جمع أشيب؛ لشدة هوله، وهو يوم القيامة، والأصل في شين «شيباً» الضم، وكسرت لمجانسة الياء، ويقال في اليوم الشديد: يوم يُشَيِّبُ نواصي الأطفال، وهو مجاز، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة.

[١٨] ﴿الْأَسْمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ﴾ ذات انقطاع؛ أي: انشقاق ﴿بِوَاءٍ﴾ بذلك اليرم لشدة ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ - تعالى - مجيء ذلك ﴿مَفْعُولًا﴾ أي: هو كائن لا محالة.

[١٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآيات الخوفية ﴿تَذَكُّرٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالإيمان والطاعة.

سُورَةُ الْمَرْيَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَرْيَمُ ﴿١﴾ قَرِ الْيَلَّ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَصْفُهُ وَأَوْفَضُ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزَدَ عَلَيْهِ وَرَزَّلَ الْفُتُورَ أَنْ تَزَيَّلَا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْرَبُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا شَوَاحِدًا ﴿٧﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَيَّلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاعْبُدْهُ وَكَيْلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهْلِكُ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذُعَصَةً وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيًّا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَصَصِ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذَنَّهُ أَخْذًا رَهِيبًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا ﴿١٧﴾ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٨﴾ الْأَسْمَاءُ مُنْقَطِرَةٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الْمَرْيَمِ

[مكية: أو: إلا قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ إلى آخرها؛ فمدني، تسع عشرة، أو: عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْيَمُ﴾ النبي، وأصله: «المرزمل»، أدغمت التاء في الزاي؛ أي: المثلث بشباه حين مجيء الوحي له؛ خوفاً منه لهيبته.

[٢] ﴿قَرِ الْيَلَّ﴾ صل ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[٣] ﴿نَصْفُهُ﴾ بدل من «قليل»، وقتته بالنظر إلى الكل ﴿أَوْ أَفْضُ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثلث.

[٤] ﴿أَوْزَدَ عَلَيْهِ﴾ إلى الثالث، و«أو» للتخيير ﴿وَرَزَّلَ الْفُتُورَ﴾ ثبتت في تلاوته ﴿تَزَيَّلَا﴾.

[٥] ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ قرأنا ﴿ثَقِيلًا﴾ مهيباً، أو: شديداً؛ لما فيه من

(١) هذه قراءة أبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: (ووطئ) يفتح الواو وسكون الطاء؛ أي أثبت قراءة وقائماً.

(٢) ذكر اسم الرب في الآية أعم من قصره على ذكر البسملة في ابتداء القراءة، وإنما المعنى: دم على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً، بالتوحيد والتعظيم، على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن وغير ذلك.

فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿١﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿٢﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٣﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَكَرَ ﴿٤﴾
 ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٥﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَرٌ ﴿٦﴾ إِنَّ هَذَا
 إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٧﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٩﴾
 لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿١٠﴾ لَوَاحٍ لِّلْبَشَرِ ﴿١١﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ﴿١٢﴾ وَمَا جَعَلْنَا
 أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَنْدَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا
 لِيَسْتَفِينَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ
 الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
 وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
 وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى
 لِّلْبَشَرِ ﴿١٣﴾ كَذَآءُ الْقَمَرِ ﴿١٤﴾ وَإِلَىٰ إِذَا دُبِرَ ﴿١٥﴾ وَالصُّبْحُ إِذَا اسْفَرَفَ ﴿١٦﴾ إِنَّهَا
 لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿١٧﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿١٨﴾ لَمَن شَاءَ مِنْكُمُ أَنْ يُقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ
 ﴿١٩﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةً ﴿٢٠﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّاتٍ
 يَسَّاءُونَ ﴿٢٢﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٣﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٢٤﴾ قَالُوا لَوْلَا
 مِّنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٥﴾ وَلَوْلَا نَفْعُ الْمُسْكِينِ ﴿٢٦﴾ وَكُنَّا نَحْضُوعٌ مَّعَ
 الْحَافِظِينَ ﴿٢٧﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٢٨﴾ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٢٩﴾

والولد ﴿٢٩﴾ وَتَهَيَّأَ ﴿٣٠﴾ [١٥١] هَمْ يَطْعُ أَنْ أُرِيدَ ﴿٣١﴾ [١٦] كَلَّا ﴿٣٢﴾ لَا أُرِيدُ
 عَلَىٰ ذَلِكَ ﴿٣٣﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يَتَنَبَّأُ الْقُرْآنَ عَيْنًا ﴿٣٤﴾ معاندا. [١٧] سَأَصْلِيهِمْ
 أَكَلْفَهُ ﴿٣٥﴾ صَعُودًا ﴿٣٦﴾ مشقة من العذاب، أو: جبلا من نار، يصعد فيه ثم يهوي
 أبدا.

[١٨] إِنَّهُ فَكَّرَ ﴿١٩﴾ فيما يقول في القرآن، الذي سمعه من النبي ﷺ
 ﴿٢٠﴾ وَفَدَّرَ ﴿٢١﴾ في نفسه ذلك. [١٩] نَقِيلَ ﴿٢٢﴾ لَعَنَ وَغَذِبَ ﴿٢٣﴾ كَيْفَ قَدَرَ ﴿٢٤﴾ على
 أي حال كان تقديره. [٢٠] ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴿٢١﴾ [٢١] ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢٢﴾ في
 وجهه قومه، أو فيما يقدر به فيه. [٢٢] ثُمَّ عَبَسَ ﴿٢٣﴾ قبض وجهه وكَلَجَهُ ﴿٢٤﴾
 ضيقا بما يقول ﴿٢٥﴾ وَوَسَّكَ ﴿٢٦﴾ زاد في القبض والكُلُوح. [٢٣] ثُمَّ أَدْبَرَ ﴿٢٤﴾ عن

الإيمان ﴿٢٥﴾ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٦﴾ تكبر عن اتباع النبي ﷺ. [٢٤] فَقَالَ ﴿٢٥﴾ فيما جاء به:
 ﴿إِنْ﴾ ما ﴿٢٦﴾ هَذَا ﴿٢٧﴾ لَا يَغُرُّ بِيْزَرُ ﴿٢٨﴾ ينقل عن السحرة. [٢٥] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿٢٦﴾ هَذَا
 إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٧﴾ كما قالوا: ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُهُمُ الشَّرُّ﴾ [٢٦] ﴿سَأَصْلِيهِ﴾
 أدخله ﴿٢٧﴾ سَقَرٍ ﴿٢٨﴾ جهنم. [٢٧] وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٩﴾ تعظيم لشأنها. [٢٨]
 ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ شيقا من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان.
 [٢٩] ﴿لَوَاحٍ لِّلْبَشَرِ﴾ مُحَرَّقة لظاهر الجلد. [٣٠] ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ﴾ ملكا
 خزننها؛ قال بعض الكفار وكان قويا شديدا البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر،
 واكفوني أنتم اثنين^(١).

[٣١] قال - تعالى -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أي: فلا يطاقون
 كما يتوهمون ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَنْدَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ ضلالا ﴿لِّلَّذِينَ
 كَفَرُوا﴾ بأن يقولوا: لِمَ كانوا تسعة عشر؟ ﴿لِيَسْتَفِينَ﴾ لِيَسْتَفِينَ ﴿الَّذِينَ أُوْتُوا
 الْكِتَابَ﴾ أي: اليهود صِدْقُ النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر، الموافق لما في
 كتابهم ﴿وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَانًا﴾ تصديقا؛ لموافقتهم ما
 أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُرْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من
 غيرهم، في عدد الملائكة ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك بالمدينة
 ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بمكة: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا﴾ العدد ﴿مَثَلًا﴾ سموه لغرابته
 بذلك، وأعرب حالا ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلال منكر هذا العدد، وهدى
 مُصَدِّقَهُ ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة؛
 في قوتهم وأعمالهم ﴿إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ﴾ أي: سقر ﴿إِلَّا ذِكْرَى لِّلْبَشَرِ﴾.

[٣٢] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿وَالْقَمَرِ﴾ [٣٣] ﴿وَاللَّيْلِ﴾ [٣٤] إذا
 بفتح الدال ﴿ذُبِرَ﴾^(٢) جاء بعد النهار، وفي قراءة: ﴿إِذَا دُبِرَ﴾ بسكون
 الدال بعدها همزة، أي: مضى. [٣٤] ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا اسْفَرَفَ﴾ ظهر.

[٣٥] ﴿إِنَّمَا﴾ أي: سقر ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ البلىا العظام. [٣٦] ﴿نَذِيرًا﴾
 حال من «إحدى»، وذكر لأنها بمعنى العذاب ﴿لِّلْبَشَرِ﴾. [٣٧] ﴿لَمَن شَاءَ
 مِنْكُمُ﴾ بدل من «البشر» ﴿أَنْ يُقَدَّمَ﴾ إلى الخير، أو: الجنة، بالإيمان ﴿أَوْ
 يَتَأَخَّرَ﴾ إلى الشر، أو: النار، بالكفر. [٣٨] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةً﴾
 مرهونة مأخوذة بعملها في النار. [٣٩] ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وهم المؤمنون،
 فنانجون منها. [٤٠] كانوا ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَّاءُونَ﴾ بينهم. [٤١] ﴿عَنِ
 الْمُجْرِمِينَ﴾ وحالهم. [٤٢] ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار: ﴿مَا
 سَلَكَكُمْ﴾ ما أدخلكم ﴿فِي سَقَرٍ﴾. [٤٣] ﴿قَالُوا لَوْلَا نَفْعُ الْمَصَلِّينَ﴾.
 [٤٤] ﴿وَلَوْلَا نَفْعُ الْمُسْكِينِ﴾. [٤٥] ﴿وَكُنَّا نَحْضُوعٌ﴾ في الباطل ﴿مَعَ
 الْفَافِظِينَ﴾. [٤٦] ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ البعث والجزاء [٤٧] ﴿حَتَّىٰ أَتَيْنَا
 الْيَقِينَ﴾ الموت.

وأخرج البخاري عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سمة: أي اقتران أنزل أول؟ فقال: ﴿يَتَنَبَّأُ النَّبِيُّ﴾. فقلت: أنبت أنه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ الَّذِي مَلَأَ﴾، فقال أبو سمة: سألت حابر بن عبد
 الله: أي القرآن أول؟ فقال: ﴿يَتَنَبَّأُ النَّبِيُّ﴾. فقلت: أنبت أنه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ الَّذِي مَلَأَ﴾. فقال: لا أجرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الم نشر (٧٤) باب
 (١). قال الحافظ: «المراد بالأولية في قوله: «أول ما نزل سورة الم نشر» الأولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، أو مخصوصة بالأمم والإندار، لا أن المراد أنها أولية مطلقة». [الفتح ٥٤٨/ ٨].
 وقال النووي: الصواب أن أول ما نزل على الإطلاق: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ﴾، كما صرح به في حديث عائشة.

(١) المحل. ١٠٣.

(٢) ذلك عن رجل يقال له: أبو الأشد أسيد بن كلبه بن خلف الجمحي. كما في تفسير البخاري وغيره، وروي غير ذلك، ولم يثبت منه شيء صحيح تقوم به الحجة.

(٣) وهي قرينة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ نقة السبعة: ﴿إِذَا دُبِرَ﴾ بسكون الدال بعدها همزة.

[٤٨] ﴿فَمَا تَعْمَهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى: لا شفاعة لهم.

[٤٩] ﴿فَمَا﴾ مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾ خبره، متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه^(١) ﴿عَنِ التَّذِكُّرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ حال من الضمير، والمعنى: أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن التذكرة؟ [٥٠] ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ وحشية. [٥١] ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أسد؛ أي: هربت منه أشد الهرب. [٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّثَنَّرَةً﴾ أي: من الله - تعالى - باتباع النبي؛ كما قالوا: ﴿وَلَوْ كُنَّا نُؤْمِنُ لِرُفُوفِكَ حَتَّى تَنزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه﴾^(٢).

[٥٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: عذابها. [٥٤] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: القرآن ﴿تَذَكَّرُ﴾ عظة. [٥٥] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ قرأه فاتعظ به. [٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالياء والفاء^(٣) ﴿إِلَّا أَنْ يَنْشَأَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ بأن يتقى ﴿وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾ بأن يغفر لمن اتقاه.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

[مكية، أربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا﴾ زائدة في الموضعين ﴿أَقِيمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. [٢] ﴿وَلَا أَقِيمْ بِالْقَيْسِ أَلْوَامَةً﴾ التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف؛ أي: ليتعجب، دل عليه: [٣] ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَكْفَرًا﴾ أي: الكافر ﴿أَلَّنْ تَجْعَ عِظَامُهُ لِبُعْثِ وَالْإِحْيَاءِ﴾ [٤] ﴿بَلْ﴾ نفي ﴿تَجْمَعُهَا﴾ جمعها ﴿فَتَدِيرُ﴾ مع جمعها ﴿عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ﴾ وهو: الأصابع؛ أي: نعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟ [٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة، ونصبه به ﴿أَنْ﴾ مقدرة؛ أي: أن يكذب ﴿أَمَانَتُهُ﴾ أي: يوم القيامة، دل عليه: [٦] ﴿يَسْتَلْ أَثَانَ﴾ متى ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب. [٧] ﴿فَإِنَّا يَرَى الْقَهْرُ بِكسر الراء وفتحها﴾^(٤) ذهش وتغير، لما رأى مما كان يكذبه. [٨] ﴿وَحَسَفَ الْقَهْرُ﴾ أظلم وذهب ضوؤه. [٩] ﴿وَجَمَعَ أَشْمُسُ وَالْقَهْرُ﴾ فطلعا من المغرب، أو: ذهب ضؤوهما، وذلك في يوم القيامة.

[١٠] ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ الفرار؟ [١١] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لَا وَرَرْ﴾ لا ملجأ ينجصن به. [١٢] ﴿إِنِّي رَأَيْتُ يَوْمَئِذٍ الْمُنْتَفِرَ﴾ مستقر الخلائق؛ فيحاسبون ويجازون. [١٣] ﴿يَبْئُتُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بأول عمله وآخره. [١٤] ﴿بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد؛ تنطلق جوارحه بعمله، والهال للمبالغة، فلا بد من جزائه. [١٥] ﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِرَهُ﴾ جمع

فَمَا تَعْمَهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴿فَاللَّهُمَّ عَنِ التَّذِكُّرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُثَنَّرَةً﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿كَلَّا لَإِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَنْشَأَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالْقَيْسِ أَلْوَامَةً ﴿٢﴾ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلْ قَدِيرٌ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ سَعَلَ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَأَ أَبْصَرُ ﴿٧﴾ وَحَسَفَ الْقَهْرُ ﴿٨﴾ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَهْرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَرَرْ ﴿١١﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَبْئُتُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ رُفُوفًا أَنَّهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنشَبَ قُرْآنُهُ ﴿١٨﴾ قُرْآنٌ عَلَيْنَا بَيَانُهُ ﴿١٩﴾

«معدرة»، على غير قياس؛ أي: لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه.

[١٦] قال - تعالى - لنبية: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانُكَ لَتَعَجَلَ بِهِ﴾ خوف أن ينفلت منك. [١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ قراءتك إياه؛ أي: جريانه على لسانك. [١٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَأَنشَبَ قُرْآنَهُ﴾ استمع قراءته، فكان يستمع ثم يقرؤه. [١٩] ﴿قُرْآنٌ عَلَيْنَا بَيَانُهُ﴾ بالتفهم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها^(٥).

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١٦ - ١٩): أخرج البخاري عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانُكَ لَتَسْكُنَ بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه الوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه، فأقول الله الآلة التي في ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانُكَ لَتَسْكُنَ بِهِ﴾ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال: علينا أن نجعله في صدرك وقرأته أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَأَنشَبَ قُرْآنَهُ﴾ فإذا أنشأه فاستمع ﴿قُرْآنٌ عَلَيْنَا بَيَانُهُ﴾ علي أن نبيه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) باب (٢) سورة القيامة (٧٦).

(١) لأن القاعدة: أن الجار والمجرور إذا وقع خبراً، حذف متعلقه وجواباً، وانتقل ضميره إليه.

(٢) الإسراء: ٩٣.

(٣) نالء قراءة نافع.

(٤) بالفتح قراءة نافع.

[٦] «عَيْنَا» بدل من: «كَافُرًا» فيها راحته «يَتَرَبَّ بِهَا» منها «عَبَادُ اللَّهِ» أولياؤه «يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» يفقدونها حيث شاءوا من منازلهم.
[٧] «يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ» في طاعة الله «وَيُكَفِّرُونَ بِمَا كَانَ سُوءٌ مُسْتَوِيرًا» منتشرا.
[٨] «وَيُطْعَمُونَ أَنْطَعَامًا عَلَى حَيْثُ» أي: طعام وشهوتهم له «وَيَسْكَنُونَ» فقيرا «وَيُنِيمَا» لا أب له «وَأَيُّهَا» يعني: المحبوس بحق. [٩] «إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» لطلب ثوابه^(١) «لَا نُزِيدُ بِكُمْ جَزَاءً وَلَا نُكْثِرُكُمْ» شكرًا، فيه علة الإطعام، وهل تكلموا بذلك، أو: علمه الله منهم، فأثنى عليهم به؟ قولان.
[١٠] «إِنَّمَا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غِيًوسًا» تكلح الوجوه فيه، أي: كربه المنظر لشدة «فَطَرِيرًا» شديدًا في ذلك.

[١١] «فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ سَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ» أعطاهم «نَصْرَةً» حُسْنًا وإضاعة في وجوههم «وَسَرَّوْهُمْ» [١٢] «وَنَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَّوْهُمْ» بصبرهم عن المعصية «جَنَّةً» أدخلوها «وَحَرِيرًا» أليسوه.
[١٣] «مُتَّكِينَ» حال من مرفوع: «أدخلوها» المقدر «فِيهَا عَلَى الْأَرْيَافِ» الشرقي في الجبال «لَا يَزُونَ» لا يجدون، حال ثانية «فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا» لا حرًا ولا بردًا، وقيل: الزمهرير: القمر، فهي مضيق من غير شمس ولا قمر.
[١٤] «وَدَائِيَّةً» قرية، عطف على محض: «لا يرون» أي: غير رائيين «عَلَيْهِمْ» منهم «يَلْبَسُهَا» شجرها «وَوَلَّتْ فُطُوحُهَا لَدَلِيلًا» أدنيت ثمارها؛ فينالها القائم والقاعد والمضطجع. [١٥] «وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ» فيها «بِغَالِيَةٍ» يَنْ يَفَجِّرُ وَأَكْوَابٌ أَقْداح بلا عرى «كَانَتْ قَوَارِيرًا»^(٢). [١٦] «قَوَارِيرًا» مِنْ فِضَّةٍ أَي: إنها من فضة، يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج «مَذْرُوعًا» أي: الطاقون «تَقْدِيرًا» على قدر رأي الشارين، من غير زيادة ولا نقص، وذلك ألد الشراب. [١٧] «وَيُشَقَّقُونَ فِيهَا كَأْسًا» خمرًا «كَانَ مِرْجَاهَا» ما تترج به «رَجِيحًا». [١٨] «عَيْنًا» بدل من: «رَجِيحًا» «فِيهَا شَتَّى سَلْسَبِيلًا» يعني أن مائها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب، سهل المساج في الحلق.

[١٩] «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ» بصفة الولدان، لا يشيبون «إِذَا رَأَوْهُمْ خَبَّرْتَهُمْ» لحسنهم وانتشارهم في الخدمة «وَلَوْ أَنَّهُمْ شَتَرُوا بِأَمْوَالِهِمْ أَلْفَ أَلْفَ مِائَةٍ مِنْ ضَدَّتِهِ» وهو أحسن منه في غير ذلك^(٣).

[٢٠] «وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا» أي: وجدت الرؤية منك في الجنة «رَأَيْتَ» جواب «إِذَا» «رَجِيحًا» لا يوصف «وَمِنْهَا كَيْرًا» واسعًا لا غاية له. [٢١] «عَلَيْهِمْ» فوقهم، فنصبه على الظرفية، وهو خبر مبتدأ بعده، وفي قراءة: يسكون الباء^(٤)؛ مبتدأ، وما بعده خبر، والضمير المتصل به للمطوف^(٥) عليهم «ثِيَابٌ سُتُورٌ» حرير «خَضَرٌ» بالرفع «وَأَسْتَبْرَقٌ» بالجر^(٦) ما غلظ من الديباج، فهو البطائن، والسندس الظهائر، وفي قراءة عكس ما ذكر فيها^(٧)، وفي أخرى برفعها^(٨)، وفي أخرى^(٩) بجرهما «وَحُلُوفٌ أَسْوَدٌ» مِنْ فِضَّةٍ «وَفِي مَوْضِعٍ مِنْ ذَهَبٍ»^(١٠) للإيذان بأنهم يحلون من النوعين؛ معًا ومفرقًا «وَسَقَّوهُمْ

(١) وفيها إثبات صفة الوجه لله ﷻ حقيقة على الوجه اللاتني به، وقد أفاض ابن القيم - رحمه الله - في الرد على من قال إن لفظ الوجه مجاز، ويؤيد بطلان هذا القول من ستة وعشرين وجهًا في الصواعق المرسلة.

(٢) قرأ نافع والكسائي وشعبة بالنون في الموضعين، وقرأ ابن كثير بالنون في الأول وبغير النون في الثاني، والباقون يعربون فيهما، وكلهم وقف على الأول بألف، إلا حمزة فوقف بغير ألف. ووقف نافع والكسائي وشعبة وهشام على الثاني بألف.

(٣) هذا جواب عما يقال: ما الحكمة في تشبيههم بالولود النور دون المطوف؟ فأجاب بذلك.

(٤) في بعض النسخ المطبوعة: «للمطوف» بدلًا من «المطوف»، والصواب مثبت.

(٥) أي وهو جر «خَضَرٌ» و«أَسْتَبْرَقٌ» وهي قراءة ابن كثير وشعبة. (٨) نافع وحفص.

(٩) حمزة والكسائي، وحاصل ما ذكر المصنف من القراءات أربع وكلها سبعة؛ رفع «خَضَرٌ»، و«أَسْتَبْرَقٌ»، وجرهما، ورفع الأول وجر الثاني، وعكسه.

(١٠) كما في قوله - تعالى -: «يَجْلِسُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْ لَوُا» [إفاطر: ١٣٣].

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ رِيحًا وَنُورًا ﴿٧﴾ وَمَا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٨﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامًا عَلَى حَيْثُ وَنُورًا ﴿٩﴾ وَيُنِيمَا أَسِيرًا ﴿١٠﴾ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نَزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا نُكْثِرُكُمْ ﴿١١﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غِيًوسًا ﴿١٢﴾ فَطَرِيرًا ﴿١٣﴾ أَلْيَوْمَ وَلَقَّعْنَهُمْ نَصْرَةً وَسَرًّا ﴿١٤﴾ وَنَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَّوْهُمْ وَحَرِيرًا ﴿١٥﴾ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْيَافِ لَا يَزُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٦﴾ وَدَائِيَّةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ فُطُوحُهَا تَدْلِيلًا ﴿١٧﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِغَالِيَةٍ ﴿١٨﴾ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٩﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿٢٠﴾ وَيُسَقَّقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِرْجَاهَا زَنْجَبِيلًا ﴿٢١﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسْقَى سَلْسَبِيلًا ﴿٢٢﴾ وَيُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَوْهُمْ خَبَّرْتَهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ شَتَرُوا بِأَمْوَالِهِمْ أَلْفَ أَلْفَ مِائَةٍ مِنْ ضَدَّتِهِمْ لَأَسْبَغَ إِلَهُمْ وَثِيَابَهُمْ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ وَنُدَىٍّ كَالْعِزَّةِ الْكَارِيَةِ ﴿٢٤﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مِنْ سُتُورٍ خَضَرٌ وَأَسْتَبْرَقٌ وَحُلُوفٌ أَسْوَدٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَّوهُمْ رَبًّا طَهُورًا ﴿٢٥﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٦﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّكَ عَلَيْنَا لَأَقْرَعَنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفُتُورَ ﴿٢٧﴾ وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ بِكُرَّةٍ وَأَصْلًا ﴿٢٨﴾ رَبُّهُمْ شَرَّابًا طَهُورًا ﴿٢٩﴾ مَبَالِغَةُ فِي طَهَارَتِهِ وَنَظَافَتِهِ، بِخِلَافِ خَمَرِ الدُّنْيَا.

[٢٢] «إِنَّ هَذَا» النعيم «كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا».

[٢٣] «إِنَّا نَحْنُ» تأكيد لاسم «إِنَّ»، أو: فصل «نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْفُرْقَانَ تَذِيرًا» خبر «إِنَّ» أي: فصلناه ولم ننزله جملة واحدة.

[٢٤] «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ» عليك تبليغ رسالته «وَلَا تُلَاحِظْ بِهِنَّ» أي: الكفار «وَأَنْتَ أَوْ كُفُورًا» أي: عتبه بن ربيعة، والوليد بن المغيرة؛ فالألف للنبى ﷺ.

ارجع عن هذا الأمر، ويجوز أن يراد كل أتم وكافر؛ أي: لا تطع أحدهما أيًا كان، فيما دعاك إليه من إثم أو كفر.

[٢٥] «وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ» في الصلاة «بِكُرَّةٍ وَأَصْلًا» يعني الفجر والظهر والعصر.

[٢٦] «إِنَّا نَحْنُ رَبُّكَ عَلَيْنَا لَأَقْرَعَنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفُتُورَ» أي: فصلناه ولم ننزله جملة واحدة.

[٢٧] «وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ» في الصلاة «بِكُرَّةٍ وَأَصْلًا» يعني الفجر والظهر والعصر.

[٣١] ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَةٍ﴾ جنته^(٣)، وهم المؤمنون ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ ناصبه فعل مقدر؛ أي: «أوعد»، بفسره: «أعد لهم عذاباً أليماً» مؤلماً، وهم الكافرون.

سورة المرسلات

[مكية، خمسون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾ أي: الرياح متتابعة؛ كغوف الفرس، يتلو بعضه بعضاً، ونصبه على الحال.

[٢] ﴿فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا﴾ الرياح الشديدة.

[٣] ﴿وَالْمُنِيرُ قُتْرًا﴾ الرياح تنشر المطر.

[٤] ﴿فَالْقُرْآنُ قُرْآنًا﴾ أي: آيات القرآن، تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

[٥] ﴿فَالْمَلَكُوتُ ذِكْرًا﴾ أي: الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء، والرسول يلقون الوحي إلى الأمم.

[٦] ﴿عَذْرًا أَوْ تَذْرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله - تعالى - وفي قراءة^(٤): بضم ذال «تذراً»، وقرئ^(٥): بضم ذال «عذراً».

[٧] ﴿إِنَّمَا تُعْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ﴾ أي: كفار مكة؛ من البعث والعذاب لا شيء. كائن لا محالة.

[٨] ﴿فَإِذَا الْجُحُومُ طُمِسَتْ﴾ محي نورها.

[٩] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ شُقَّتْ﴾.

[١٠] ﴿وَإِذَا الْكِبَالُ سُفِّتْ﴾ فُتَّتْ وَشُيِّرَتْ.

[١١] ﴿وَإِذَا أَرْتُلُ [وُقُتْ]﴾ بالواو، وبالهمزة^(٦) بدلاً منها؛ أي: جمعت لوقت.

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا يَوْمَ﴾ ليوم عظيم ﴿أُجِلَّتْ﴾ للشهادة على أمهم بالتبليغ.

[١٣] ﴿يَوْمَ الْفُصْلِ﴾ بين الخلق، ويؤخذ منه جواب «إذا»؛ أي: وقع الفصل بين الخلائق.

[١٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُصْلِ﴾ تهويل لشأنه.

[١٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيد لهم.

[١٦] ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ﴾ بتكذيبهم؛ أي: أهلكتناهم.

[١٧] ﴿وَلَمْ يَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ ممن كذبوا ككفار مكة؛ فنهلكهم.

[١٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل؛ فنهلكهم.

[١٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تأكيد.

وَمَنْ أَلِيلٌ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٣١﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٣٢﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أُمُرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٦﴾

سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالْمُنِيرُ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْقُرْآنُ قُرْآنًا ﴿٤﴾ فَالْمَلَكُوتُ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ تَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُعْذِرُونَ لَوْعًا ﴿٧﴾ فَإِذَا الْجُحُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْكِبَالُ سُفِّتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا أَرْتُلُ [وُقُتْ] ﴿١١﴾ لَا يَوْمَ أَجَلَتْ ﴿١٢﴾ يَوْمَ الْفُصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَبِّعْهُمْ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

[٢٦] ﴿وَمِنْ أَلِيلٍ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ صل التطوع فيه؛ كما تقدم من: ثلثه أو نصفه أو ثلثه.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديدًا؛ أي: يوم القيامة لا يعملون له.

[٢٨] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا قُوَّةَهُمْ﴾ قوتنا ﴿أَمْرَهُمْ﴾ أعضائهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا﴾ جعلنا ﴿أَمْثَلَهُمْ﴾ في الخلقة بدلاً منهم، بأن نهلكهم ﴿تَبْدِيلًا﴾ تأكيد، ووقعت «إذا» موقع «إن» نحو: «إن يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ»^(١)، لأنه تعالى لم يشأ ذلك، وإذا لما يقع.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالطاعة.

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ بالتاء والياء^(٢)، اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمًا﴾ في فعله.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار إذ نزلت عليه: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ﴾ فإنه ليتلوها واني لأتلوها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: «أكلوها» فابتلناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيت شرها». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المرسلات (٧٧) باب (٤).

(٢) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بخلاف عنه.

(١) فاطر: ١٦.

(٣) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي، وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ، فثبتها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

(٤) لدافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٦) بالواو قراءة أبي عمرو، وقرأ بغيره السبعة: «أفقت» بالهمزة.

(٥) أي: شذوذاً.

- [٢٠] ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ فَعَلَّاهُ فِي قَرَارِ مَكِينٍ ﴿١١﴾ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿١٢﴾ فَقَدَرْنَا فَعَرَّا الْقَدْرُونَ ﴿١٣﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا ﴿١٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَخْتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فَرَاتًا ﴿١٧﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٨﴾ أَطْلُقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٩﴾ أَطْلُقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ ﴿٢٠﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٢١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴿٢٢﴾ كَأَنَّهُ رَجُلٌ ضَعُفٌ ﴿٢٣﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَعِزَّةٌ رُزْنٌ ﴿٢٦﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٢٩﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٠﴾ إِنْ الْمُنْتَفِدِينَ فِي ظُلُلٍ وَعِیُونَ ﴿٣١﴾ وَفُورَكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٣٢﴾ كُؤُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ كُؤُوا وَتَسْتَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْزِي مَوْنٌ ﴿٣٦﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَبُوا لَا يَرْكَبُونَ ﴿٣٨﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾
- [٢١] ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ ضَعِيفٌ، وَهُوَ الْمَنِي.
- [٢٢] ﴿فَعَلَّاهُ فِي قَرَارٍ تَكِينٍ﴾ خَيْرٌ، وَهُوَ الرِّحْم.
- [٢٣] ﴿إِنْ قَدَرْنَا مَعْلُومٌ﴾ وَهُوَ وَقْتُ الْوَلَادَةِ.
- [٢٤] ﴿فَقَدَرْنَا﴾ عَلَى ذَلِكَ ﴿فَنِعْمَ الْقَدْرُونَ﴾ نَحْنُ.
- [٢٥] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٢٦] ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا﴾ مَصْدَرٌ «كَفَّتْ» بِمَعْنَى ضَمًّا؛ أَيْ: ضَامَةٌ.
- [٢٧] ﴿أَحْيَاءَ﴾ عَلَى ظَهْرِهَا ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ فِي بَطْنِهَا.
- [٢٨] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَخْتٍ﴾ جَبَالًا مَرْتَفَعَاتٍ ﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فَرَاتًا﴾ عَذْبًا.
- [٢٩] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٣٠] وَيُقَالُ لِلْمُكَذِّبِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿أَطْلُقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.
- [٣١] ﴿أَطْلُقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ﴾ هُوَ دُخَانُ جَهَنَّمَ، إِذَا ارْتَفَعَ افْتَرَقَ ثَلَاثَ فُرُقٍ لِعِظَمِهِ.
- [٣٢] ﴿لَا ظِلِيلٍ﴾ كَتَبْنَا بِظَلَمِهِمْ مِنْ حَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ يَرُدُّ عَنْهُمْ شَيْئًا ﴿وَاللَّهَبِ﴾ النَّارِ.
- [٣٣] ﴿وَاللَّهَبِ﴾ أَيْ: النَّارِ ﴿تَجْزِي بِشَرِّ﴾ هُوَ مَا تَطَارَى مِنْهَا ﴿كَالْقَصْرِ﴾ مِنَ الْبِنَاءِ، فِي عِظَمِهِ وَارْتِفَاعِهِ [٢٣] ﴿كَأَنَّهُ﴾ [جَمَالًا] ﴿١﴾ جَمْعُ: «جَمَالَةٌ» جَمْعُ: «جَمَل»، وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿جَمَلَتْ﴾ «ضَفَرٌ» فِي هَيْئَتِهَا وَلَوْنِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «شَرَارُ النَّارِ أَسْوَدُ كَالْقَفِيرِ» ^(١)، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي سُودَ الْإِبِلِ: ضَفَرًا؛ لِشُوبِ سَوَادِهَا بِصَفَرَةٍ، فَقِيلَ: «صَفَرٌ» فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى سُودٍ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ: وَقِيلَ: لَا، وَ«الشَّرُّ» جَمْعُ: «شَرٌّ»، وَ«الشَّرَارُ» جَمْعُ «شَرَارَةٍ»، وَالْقِفَرُ: الْقَارُ ^(٢).
- [٣٤] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٣٥] ﴿هَذَا﴾ أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ فِيهِ بَشْيَةٌ.
- [٣٦] ﴿وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ﴾ فِي الْعَذْرِ ﴿فَعِزَّةٌ رُزْنٌ﴾ عَطْفٌ عَلَى «يُؤَدِّنُ»، مِنْ غَيْرِ تَسْبِيبٍ عَنْهُ ^(٣)، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي حِيزِ النِّفْيِ؛ أَيْ: لَا إِذْنَ فَلَا اعْتِدَارَ.
- [٣٧] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٣٨] ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتَكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ قَبْلَكُمْ، فَتَحَاسِبُونَ وَتُعَذِّبُونَ جَمِيعًا.
- [٣٩] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حِيلَةٌ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ ﴿تُكِيدُونَ﴾ فَافْعَلُوا.
- [٤٠] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
- [٤١] ﴿إِنْ الْكُفَّيْنِ فِي ظِلِيلٍ﴾ أَيْ: تَكَاثُفِ أَشْجَارٍ، إِذْ لَا شَمْسَ يُظِلُّ مِنْ حَرِّهَا وَيُؤْمِنُونَ نَابِعَةً مِنَ الْمَاءِ.
- [٤٢] ﴿وَفُورَكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فِيهِ إِعْلَامُ بِأَنَّ الْمَأْكُلَ وَالْمَشْرَبَ فِي الْجَنَّةِ بِحَسَبِ شَهْوَاتِهِمْ، بِخِلَافِ الدُّنْيَا فَيَحْسَبُ مَا يَجِدُ النَّاسُ فِي الْأَغْلَبِ.
- [٤٣] وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿كُؤُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حَالٌ؛ أَيْ: مَتَهَنِّتِينَ ﴿بِمَا كُنتُمْ

أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿١١﴾ فَعَلَّاهُ فِي قَرَارِ مَكِينٍ ﴿١٢﴾ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿١٣﴾ فَقَدَرْنَا فَعَرَّا الْقَدْرُونَ ﴿١٤﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا ﴿١٦﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَخْتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فَرَاتًا ﴿١٨﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَطْلُقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ أَطْلُقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ ﴿٢١﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٢٢﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴿٢٣﴾ كَأَنَّهُ رَجُلٌ ضَعُفٌ ﴿٢٤﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَعِزَّةٌ رُزْنٌ ﴿٢٧﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٢٩﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٠﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣١﴾ إِنْ الْمُنْتَفِدِينَ فِي ظُلُلٍ وَعِیُونَ ﴿٣٢﴾ وَفُورَكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٣٣﴾ كُؤُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ كُؤُوا وَتَسْتَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْزِي مَوْنٌ ﴿٣٧﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَبُوا لَا يَرْكَبُونَ ﴿٣٩﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

تَعْمَلُونَ» مِنَ الطَّاعَةِ.

[٤٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كَمَا جَزَيْنَا الْمُتَّقِينَ ﴿تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٦] ﴿كُؤُوا وَتَسْتَعُوا﴾ خُصَابُ لِلْكَفَارِ فِي الدُّنْيَا ﴿قَلِيلًا﴾ مِنَ الزَّمَانِ، وَغَايَتُهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَفِي هَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ ﴿إِنَّكُمْ تُجْزَوْنَ﴾.

[٤٧] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَبُوا﴾ صَلُّوا ﴿لَا يَرْكَبُونَ﴾ لَا يَصْلُونَ.

[٤٩] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٥٠] ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ﴾ أَيْ: الْقُرْآنُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ: لَا يُمْكِنُ إِيمَانُهُمْ بِغَيْرِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بَعْدَ تَكْذِيبِهِمْ بِهِ؛ لِأَشْتِمَالِهِ عَلَى الْإِعْجَازِ الَّذِي لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

(١) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَشُعْبَةُ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: «جَمَالَتٍ».

(٢) ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّهُ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ شَرَّ بَارِ جَهَنَّمَ أَسْوَدُ كَالْقَفِيرِ (٣٠٧/٨)، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ بِهَذَا اللفظ.

(٣) وَهُوَ الزَّفْتُ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْوُوعًا: عِنْدَ مَالِكٍ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي الشَّعْبِ مُخْتَصَرًا: «أَتَرُونَهَا حَرَاءً كَنَارِكُمْ هَذِهِ! لَهَا أَشَدُّ سَوَادًا مِنَ الْقَارِ وَالْقَارِ: الزَّفْتُ». وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ (٣٦٧٠).

(٤) أَيْ: لَيْسَتْ الْغَاةُ فِي «فَيَحْذَرُونَ» غَاةَ السَّبِيحَةِ؛ لِقُدْرَةِ بَعْدِهَا «وَأَلَّ»، وَيَنْصَبُ بِهَا الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ؛ نَحْوُ: ﴿لَا يَقْضَى عَلَيْهِمْ فِيمَوْثُوا﴾ [فَاطِرُ: ٣٦].

سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ بَسَّاسَةٌ لَّنَ ۖ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ۚ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۖ
 كَلَّا سَيَعْمُونَ ۖ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ۖ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ۖ
 وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۖ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۖ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
 وَجَعَلْنَا أَلِيلًا لِّبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۖ وَبَدَيْنَا
 فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ۖ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۖ وَأَنْزَلْنَاهُ
 الْمُعْصِرَ مَاءً ثَجَّاجًا ۖ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۖ وَجَنَّاتٍ
 أَلْفَافًا ۖ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۖ يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ
 فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۖ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۖ وَسُيِّرَتِ
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۖ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۖ لِلظَّالِمِينَ
 مَعَابًا ۖ لَّيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ۖ لَا يَدْخُلُونُ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
 ۖ إِلَّا لَاحِيِمًا وَّعَسَاقًا ۖ جَزَاءً وِفَاقًا ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا
 لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۖ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ
 أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۖ فَذُقُوا فَلَن تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۖ

سُورَةُ النَّاسِ

[مكية، إحدى وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿عَمَّ﴾ عن أي شيء ﴿بَسَّاسَةٌ لَّنَ﴾ يسأل بعض قريش بعضًا.
 [٢] ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ بيان لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن، المشتمل على البعث وغيره. [٣] ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فالؤمنون يثبتونه، والكافرون ينكرونه. [٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَيَعْمُونَ﴾ ما يحل بهم على إنكارهم له. [٥] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ﴾ تأكيد، وجيء فيه بـ«ثم» للإيذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول. [٦] ﴿ثُمَّ أَوَّاهُ﴾ ثم أوما - تعالى - إلى القدرة على البعث فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فرائضاً كالمهد.
 [٧] ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تثبت بها الأرض، كما تثبت الخيام بالأوتاد؟

والاستفهام للتقرير.

[٨] ﴿وَمَخْلَقَتَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثًا.
 [٩] ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم.
 [١٠] ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلًا لِّبَاسًا﴾ ساترا بسواده.
 [١١] ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقتا للعمايش.
 [١٢] ﴿وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ سبع سموات ﴿شِدَادًا﴾ جمع «شديدة» أي: قوية محكمة، لا يؤثر فيها مرور الزمان.
 [١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ منيرا ﴿وَهَّاجًا﴾ وقادا، يعني: الشمس.
 [١٤] ﴿وَأَنْزَلْنَاهُ مِنَ الْمُعْصِرِ﴾ السحابات التي حان لها أن تمطر؛ كالمُعْصِرِ: الحارية التي دنت من الحيض ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ صابا.
 [١٥] ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا﴾ كالنبن.
 [١٦] ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة؛ جمع: «الفيف»؛ كـ«شريف» و«أشراف».

[١٧] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ وكان للشوَاب والعقاب.
 [١٨] ﴿يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن، بدل من «يوم الفصل»، أو: بيان له، والنافع إسرافيل ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات مختلفة.

[١٩] ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ بالتشديد والتخفيف^(١)، شققت؛ لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ذات أبواب.
 [٢٠] ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ دُهب بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ هباء؛ أي: ينثله في خفة سيرها.

[٢١] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ راصدة، أو: مرصدة.
 [٢٢] ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين فلا يتجاوزونها ﴿مَعَابًا﴾ مرجعا لهم فيدخلونها.

[٢٣] ﴿لَّيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدرا لبثهم ﴿يَبَا أَحْقَابًا﴾ دهورا لا نهاية لها، جمع: «خقب» بضم أوله.
 [٢٤] ﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نوما^(٢)، فإنهم لا يدقونونه ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ ما يشرب تلذذا.

[٢٥] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿حَبًّا﴾ ماء حارًا غاية الحرارة ﴿وَعَسَاقًا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٣)؛ ما يسيل عن صديد أهل النار، فإنهم يدقونونه.

[٢٦] ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ موافقا لعملهم، فلا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار.

[٢٧] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿حِسَابًا﴾ لإنكارهم البعث.
 [٢٨] ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿كِذَابًا﴾ تكذبا. [٢٩] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه ﴿كِتَابًا﴾ كُتِبَ في اللوح المحفوظ؛ لنجازي عليه، ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن.

[٣٠] ﴿فَذُقُوا﴾ أي: فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب: ذوقوا جزاءكم ﴿لَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فوق عذابكم.

(١) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٢) وتسمى سورة الشُّبُطِ.

(٣) شُعْبُ النُّومِ بردًا؛ لأنه يبرد صاحبه. وهي لغة هذيل. وقال ابن عباس: البرد: برد الشراب. وقال الزجاج: لا يدقون فيها برد ربح، ولا ظل نوم. فجعل البرد: برد كل شيء له راحة.

(٤) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

[٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مكان فوز في الجنة. [٣٢] ﴿حَدَائِقَ﴾ بساتين، بدل من: «مَفَازًا»، أو: بيان له ﴿وَأَعْنَابًا﴾ عطف على «مَفَازًا». [٣٣] ﴿وَوَاعِصَ﴾ جوارى تكعبت ثدييهن، جمع «كاعب» ﴿أَرْبَابًا﴾ على سن واحد، جمع «ترب» بكسر التاء وسكون الراء. [٣٤] ﴿وَكُنُوسًا﴾ خمرًا مائلة محالها، وفي سورة «الفتح»: ﴿وَأَكْثَرُ مِنْ حَرِّ﴾. [٣٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: الجنة، عند شرب الخمر، وغيرها من الأحوال ﴿لَقَوْلًا﴾ باطلا من القول ﴿وَلَا [كِدَابًا]﴾^(١) بالتخفيف؛ أي: كذبا، وبالتشديد؛ أي: تكذيبا من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر. [٣٦] ﴿جَزَاءَ مَن رَّبَّيَ﴾ أي: جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطَلَهُ﴾ بدل من «جزاء» ﴿جَسَابًا﴾ أي: كثيرًا، من قولهم: أعطاني فأحسبني؛ أي: أكثر علي حتى قلت: حشبي. [٣٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالجر والرفع^(٢) ﴿وَمَا يَلْبَسُهُمَا﴾ كذلك^(٣)، ويرفعه مع جر «رب»^(٤) ﴿لَا يَلْبَسُونَ﴾ أي: الخلق ومنه تعالى ﴿خُطَابًا﴾ أي: لا يقدر أحد أن يخاطبه، خوفا منه.

[٣٨] ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ «لا يملكون» ﴿يَوْمَ الزُّلْزَلِ﴾ جبريل، أو: جند الله ﴿وَالْمَلَكَةُ صَفًا﴾ حال؛ أي: مصطفين ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: الخلق ﴿لَا مَن أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولاً ﴿صَوَابًا﴾ من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى. [٣٩] ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ لَحُوقٌ﴾ الثابت وقوعه، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا﴾ مرجعًا؛ أي: رجع إلى الله بطاعته؛ ليسلم من العذاب فيه. [٤٠] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يا كفار مكة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ عذاب يوم القيامة الآتي، وكل أت قريب ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ «عذابا» بصفته ﴿يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ كل امرئ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ﴾ من خير وشر ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا﴾ حرف تنبيه ﴿يَلْبِثُنِي كُنتُ نُرَابًا﴾ يعني: فلا أعذب، يقول ذلك عندما يقول الله تعالى: للبهائم بعد الانقراض من بعضها البعض: كوني ترابًا^(٥).

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُفًا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبَاحًا ﴿٣﴾ فَالْمُتَّقِينَ سَبَقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُنَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَخِيفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصُرْ هَاخِيضَةً ﴿٩﴾ يَقُولُونَ لِمَ كُنَّا لَمْرُدُّوْنَ فِي الْخَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَمْ كُنَّا عَظَمَاءُ نَجْرُ ﴿١١﴾ قَالُوا بَلَىٰ إِنْ كُنَّا لَمْرُدُّوْنَ فِي الْخَافِرَةِ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ تَجْرُؤُ وَخِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِاللَّوْلِ الْمُنْعَدِ ﴿١٦﴾ سَوَىٰ ﴿١٧﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مكية، ست وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْاقًا﴾ نزعًا بشدة. [٢] ﴿وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُفًا﴾ الملائكة تَشَاطُفُ أرواح المؤمنين؛ أي: تَشْلُهَا برفق. [٣] ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبَاحًا﴾ الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى؛ أي: تنزل. [٤] ﴿فَالْمُتَّقِينَ سَبَقًا﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. [٥] ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا؛ أي: تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوف؛ أي: لتبعن يا كفار مكة، وهو عامل في: [٦] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ النفخة الأولى بها يرجف كل شيء؛ أي: يتزلزل، فوصفت بما يحدث منها. [٧] ﴿تَتَّبِعُنَا الرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة^(١).

(١) محمد: ١٥.

(٢) بالتخفيف قراءة الكسائي.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) وهي قراءة ثالثة سبعة. حمزة والكسائي.

(٥) كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: «يقضي الله بين خلقه: الجن والإنس والبهائم، وأنه يُقْبِدُ يومئذٍ الجماء من الفرائض، حتى إذا لم يبق نعمة عند واحدة لأخرى، قال الله: كونوا تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً». أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨، ١٧/٣٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٦٦) (٦٠٦/٤).

(٦) الأولى عدم التنصيص؛ وإنما يقال: «أربعون» فقط كما في الحديث.

(٧) أي: وتركه، وقرأ نافع والكسائي وابن عامر بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٨) حمزة والكسائي وشعبة.

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ ۖ وَلَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَحْشَى ﴿٨﴾ فَأَرْسَلْنَا الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٩﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَهُ ﴿١١﴾ فَحَسْرَةً دَأَى ﴿١٢﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿١٣﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿١٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿١٥﴾ أَأَنُتِمَّ اشْدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿١٦﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿١٧﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿١٩﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٢٠﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٢١﴾ مَتَاعًا لَّكُم وَلَآئِعِكُمْ ﴿٢٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٢٤﴾ وَبُورَّتِ الْجَنَّةُ لِمَن يَرَى ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا مَنَ طَغَى ﴿٢٦﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَّةِ الدُّنْيَا ﴿٢٧﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٨﴾ وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢٩﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٠﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٣١﴾ فِيمَا أَنتَ مِن ذِكْرِنَا ﴿٣٢﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَهَلِّجًا ﴿٣٣﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَى ﴿٣٤﴾ كَآلَهُمْ يَوْمَ تَمُوتُ رُوحُهَا لَمْ يَلْمُوهَا إِلَّا عَشيَّةَ أَوْصَحَ حَلَا ﴿٣٥﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[١٦] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْأَيْمَنِ طُورٍ﴾ اسم الوادي، بالتثنية وتركة^(١)، فقال: [١٧] ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد في الكفر. [١٨] ﴿فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ﴾ وفي قراءة^(٢) بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها؛ تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلا الله. [١٩] ﴿وَأَعْيَدِكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته بيهان ﴿فَتَحْشَى﴾ فتخافه. [٢٠] ﴿فَأَرْسَلْنَا الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ من آياته التسع، وهي اليد أو العصا. [٢١] ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون موسى ﴿وَعَصَى﴾ الله - تعالى. [٢٢] ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسْعَى﴾ في الأرض بالفساد. [٢٣] ﴿فَحَسْرَةً﴾ جمع السحرة وجنده ﴿فَكَادَىٰ﴾. [٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ لا رب فوقى. [٢٥] ﴿فَأَنذَرَهُ اللَّهُ﴾ أهلكه بالفرق ﴿نَكَالَ﴾ عقوبة ﴿الْآخِرَةِ﴾ أي: هذه الكلمة ﴿وَالْأُولَى﴾ أي: قوله قبلها: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾^(٣)، وكان بينهما أربعون سنة.

[٢٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ الله - تعالى .. [٢٧] ﴿أَنُتِمَّ اشْدُّ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركة^(٤)؛ أي: منكمو البعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾ أشد خلقًا؟ ﴿بَنَاهَا﴾ بيان لكيفية خلقها. [٢٨] ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ تفسير لكيفية البناء؛ أي: جعل سمتهما في جهة العلو ربيعًا، وقيل: سَمَكُهَا: سقفها ﴿فَسَوَّاهَا﴾ جعلها مستوية بلا عيب. [٢٩] ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا﴾ أبرز نور شمسها، وأضيف إليها الليل؛ لأنه ظلها، والشمس؛ لأنها سراجها. [٣٠] ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ بسطها، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحوي. [٣١] ﴿أَخْرَجَ﴾ حال بإضمار «قد»؛ أي: مُخْرِجًا ﴿مِنَهَا مَاءَهَا﴾ بتفجير عيونها ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ ما ترعاه النعم من الشجر والعشب، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار، وإطلاق المرعى عليه استعارة. [٣٢] ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن. [٣٣] ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول له لمقدر؛ أي: فعل ذلك متعة، أو: مصدر؛ أي: تمتعًا ﴿لَكُم وَلَآئِعِكُمْ﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم. [٣٤] ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ الفخة الثانية. [٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ بدل من «إذا» ﴿مَا سَعَى﴾ في الدنيا من خير وشر. [٣٦] ﴿وَبُورَّتِ﴾ أظهرت ﴿الْجَنَّةُ﴾ النار المحرقة ﴿لِمَن يَرَى﴾ لكل راء. وجواب «إذا»: [٣٧] ﴿فَلَمَّا مَنَ طَغَىٰ﴾ كفر. [٣٨] ﴿وَأَثَرَ الْحَيَّةِ الدُّنْيَا﴾ باتباع الشهوات. [٣٩] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ مأواه. [٤٠] ﴿وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمانة ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ المؤدي باتباع الشهوات. [٤١] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والمطيع في الجنة. [٤٢] ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: كفار مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى وقوعها وقيامها؟ [٤٣] ﴿فِيمَا أَنتَ مِن ذِكْرِنَا﴾ في أي شيء ﴿أَنُتِمَّ مِنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: ليس عندك علمها حتى تذكرها. [٤٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَهَلِّجًا﴾ منتهى علمها، لا يعلمه غيره. [٤٥] ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿مَن يَخْشَى﴾ يخافها. [٤٦] ﴿كَآلَهُمْ يَوْمَ تَمُوتُ رُوحُهَا لَمْ يَلْمُوهَا﴾ في قبورهم ﴿وَلَا عِيبَ أَوْ صُحُفَهَا﴾ عشيبة يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشيبة؛ لما بينهما من الملاسة؛ إذ هما طرفا النهار، وحسَّن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة.

(١) بترك التثنية قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) لنافع وابن كثير.

(٣) القصص: ٣٨.

(٤) فالقراءات خمس كلها سبعة. راجع التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

سُورَةُ عَبَسَ

[مكية، اثنان وأربعون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] عَبَسَ النَّبِيُّ: كَلَجَ وَجْهَهُ ﴿وَتَوَلَّى﴾: أَعْرَضَ، لِأَجْلِ [٢] «أَنْ جَاءَهُ الْإِنْسَانُ». عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَطَعَهُ عَمَّا هُوَ مَشْغُولٌ بِهِ، مِمَّنْ يَرْجُو إِسْلَامَهُ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ الَّذِي ^(١) هُوَ حَرِيصٌ عَلَى إِسْلَامِهِمْ، وَلَمْ يَدْرِ الْأَعْمَى أَنَّهُ مَشْغُولٌ بِذَلِكَ فَنَادَاهُ: عَلِمَنِي مِمَّا عَلِمْتُكَ اللَّهُ. فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ؛ فَعَوَّتَبَ فِي ذَلِكَ بِمَا نَزَلَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؛ فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ إِذَا جَاءَ: «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَيْتَنِي فِيهِ رَبِّي» ^(٢) وَيَسْطَلُّهُ رِداءه. [٣] «وَمَا يَذَرِيكَ» يَعْلَمُكَ «لَعَلَّكَ يَزْكُ» فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الزَّيْ؛ أَيُّ: يَنْطَهَرُ مِنَ الذُّنُوبِ، بِمَا يَسْمَعُ مِنْكَ. [٤] «أَوْ يَذْكُرُ» فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ؛ أَيُّ: يَنْعَظُ ﴿فَتَنْفَعُهُ﴾ الذِّكْرُ: الْعِظَةُ الْمَسْمُوعَةُ مِنْكَ، وَفِي قِرَاءَةٍ ^(٣) يَنْصَبُ «تَنْفَعُهُ» جَوَابَ التَّرْجِي. [٥] «أَنَا مَنِ اسْتَعْتَقَ» بِالْمَالِ [٦] «قُلْتُ لَمْ تَصَلِّ» وَفِي قِرَاءَةٍ ^(٤) بِتَشْدِيدِ الصَّادِ؛ بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِيهَا؛ ثَقِيلٌ وَتَضَرُّضٌ. [٧] «وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكُ» يُؤْمِنُ.

[٨] «وَأَنَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى» حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ «جَاءَهُ». [٩] «وَهُوَ يَخْتَلِى» اللَّهُ، حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ «يَسْعَى»، وَهُوَ الْأَعْمَى. [١٠] «قُلْتُ عَنْهُ لَلَّغْ» فِيهِ حَذْفُ التَّاءِ الْأُخْرَى فِي الْأَصْلِ؛ أَيُّ: تَشْتَاعِلُ؟ [١١] «كَلَّا» لَا تَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ «إِنَّمَا» أَيُّ: السُّورَةُ أَوْ الْآيَاتُ «يَذْكُرُ» عِظَةُ لِلخَلْقِ. [١٢] «فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْ» حَفِظَ ذَلِكَ، فَاتَعَظْ بِهِ. [١٣] «فِي صُحُوفٍ» خَبَرٌ ثَانٍ لِ«إِنَّمَا» ^(٥)، وَمَا قَبْلَهُ اعْتِرَاضٌ «مُكْرَمَةٍ» عِنْدَ اللَّهِ. [١٤] «تُرْفَعُهُ» فِي السَّمَاءِ «مُطَهَّرَةً» مُنْزَهَةً عَنِ مَسِّ الشَّيَاطِينِ. [١٥] «بِأَيْدِي سَفَرَةٍ» كَتَبَتْ يَنْسَخُونَهَا مِنَ اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ. [١٦] «كِرَامٍ بَرَرَةٍ» مُطْعِمِينَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهَمَّ الْمَلَائِكَةُ. [١٧] «قُلْتُ الْإِنْسَانُ» لَمَنْ الْكَافِرُ «مَا أَقْرَبُ» اسْتِفْهَامُ تَوْبِيخٍ؛ أَيُّ: مَا حَمَلَهُ عَلَى الْكَفْرِ؟ [١٨] «بَيْنَ أَيْ تَوَلَّى خَلَقَهُ» اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ. [١٩] ثُمَّ يَبِينُهُ فَقَالَ: «مِنْ تَلَفَعَهُ خَلَقَهُ مُقَدَّرَةً» عِلَاقَةٌ ثُمَّ مَضَعَةٌ، إِلَى أَنْحَرِ خَلْقِهِ. [٢٠] «ثُمَّ السَّبِيلَ» أَيُّ: طَرِيقَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ «يَسْرَرُ». [٢١] «ثُمَّ أَمَّا أَقْرَبُ» جَعَلَهُ فِي قَبْرِ يَسْرَرِهِ. [٢٢] «ثُمَّ إِنَّا شَاءَ أَنْشُرَهُ» لِلْبَعْثِ. [٢٣] «كَلَّا» حَقًّا «لَمَّا يَفْضُ» لَمْ يَفْعَلْ «مَا أَمَرُ» بِهِ رَبِّهِ. [٢٤] «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ» نَظَرَ اعْتِبَارٍ «إِلَى طَمَاضِهِ» كَيْفَ قَدَّرَ وَذُبِّرَ لَهُ. [٢٥] «أَنَا صَبَّيْتُ الْمَاءَ» مِنَ السَّحَابِ «صَبًّا». [٢٦] «ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ» بِالنَّبَاتِ «شَفَقًا». [٢٧] «فَأَنْبَأْتُ فِيهَا حَبًّا» كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ. [٢٨] «وَعَبَّيْتُ وَغَبَّيْتُ» هُوَ الْقَثُّ الْوُطْبُ. [٢٩] «وَزَيَّنَّا وَخَلَقْنَا». [٣٠] «وَحَدَّائِقَ عُثَا» بَسَاتِينَ كَثِيرَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ
أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَعَهُ الذَّكْرَى ۚ
أَنَا مَنِ اسْتَعْتَقْتَنِي ۚ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۚ
وَمَا عَلَيْكَ الْأَيزِكِي ۚ وَأَمَّا مَنْ جَاءَهُ يَسْعَى ۚ
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ
كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ ۚ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْ ۚ
فَمُكْرَمَةٍ ۚ تَرْفَعُهُ مُطَهَّرَةً ۚ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ
كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۚ
قُلْتُ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ۚ
مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ مِنْ تَلَفَعِهِ ۚ
خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۚ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَرُهُ ۚ
ثُمَّ أَمَّا أَقْرَبُ ۚ فَمَا أَقْرَبُ ۚ
ثُمَّ إِنَّا شَاءَ أَنْشُرُهُ ۚ
كَلَّا لَمَّا يَفْضُ مَا أَمَرُهُ ۚ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ
أَنَا صَبَّيْتُ الْمَاءَ صَبًّا ۚ
ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَقًا ۚ
فَأَنْبَأْتُ فِيهَا حَبًّا ۚ
وَعَبَّيْتُ وَغَبَّيْتُ ۚ
وَزَيَّنَّا وَخَلَقْنَا ۚ
وَحَدَّائِقَ عُثَا ۚ وَفَكَكْنَا
وَأَنَا ۚ مَتَعَالِكُمْ وَلَا تَعْمَلُكُمْ ۚ
فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ۚ
يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ
وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۚ وَصَدِيقَتِهِ ۚ
وَنَبِيِّهِ ۚ
لِكُلِّ أَمْرٍ مِمَّنْهُمْ يَوْمَ يُدْعَى شَأْنُ يَوْمِهِ ۚ
يَوْمَ يُسْفَرُ صَاحِبُكُمْ مُنْشَبْرَةً ۚ
وَوُجُوهُ يَوْمَ يُدْعَى عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۚ

الأشجار. [٣١] «وَفَكَكْنَا وَأَنَا» مَا تَرَاعَاهُ الْبَهَائِمُ، وَقِيلَ: الثَّيْنُ. [٣٢] «وَنَتَقَّا» مُتَعَةً، أَوْ: تَمْتِيقًا، كَمَا تَقْدَمُ فِي السُّورَةِ قَبْلَهَا «لَكُرُ وَلا تَعْمَلُكُمْ» تَقْدَمُ فِيهَا أَيْضًا. [٣٣] «وَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ» النَفْخَةُ الثَّانِيَةُ. [٣٤] «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ». [٣٥] «وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ». [٣٦] «وَصَدِيقَتِهِ» زَوْجَتُهُ «وَنَبِيِّهِ» «يَوْمَ» بَدَلٌ مِنْ «إِذَا»، وَجَوَابُهَا دَلُّ عَلَيْهِ. [٣٧] «لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَ يُدْعَى شَأْنُ يَوْمِهِ» حَالٌ يَشْغَلُهُ عَنْ شَأْنٍ غَيْرِهِ؛ أَيُّ: اشْتَغَلَ كُلُّ وَاحِدٍ بِنَفْسِهِ. [٣٨] «رُجُوعُهُ يَوْمَ يُدْعَى مُنْشَبْرَةً» مُضْبِغَةٌ. [٣٩] «صَاحِبُكُمْ مُنْشَبْرَةً» فَرَحَةٌ، وَهَمُّ الْمُؤْمِنُونَ. [٤٠] «وَوُجُوهُ يَوْمَ يُدْعَى عَلَيْهَا غَبَرَةٌ» غِبَارٌ. [٤١] «تَرْغَبُهَا» تَغْشَاهَا «فَذَرَّتْ» ظِلْمَةٌ وَسَوَادٌ. [٤٢] «أُولَئِكَ» أَهْلُ هَذِهِ الْحَالَةِ «هُمْ الْكَافِرُ الْقَاصِرُ» أَيُّ: الْجَامِعُونَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ السُّورَةِ: أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَنْزَلَ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى؛ أَنَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَجَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْشُدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عِظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَعَجَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرَضَ عَنْهُ وَيَقِيلُ عَلَى الْآخَرِ وَيَقُولُ: «أَتَرَى بِنَا أَقُولُ بِأَنَّا؟» فَيَقُولُ: لَا، فَنَفِي هَذَا أَنْزَلَ. التِّرْمِذِيُّ. كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٧٣) وَمِنْ سُورَةِ عَبَسَ. (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٦٥١).

(١) كَذَا فِي أَكْثَرِ الطَّبَوِيِّ، وَفِي حَاشِيَةِ الصَّارِي قَالَ: «نَعَتْ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الْمُنَاسِبُ التَّعْبِيرُ بِالذِّنِّ». وَفِي حَاشِيَةِ الْجَمَلِ قَالَ: «... فَكَأَنَّهُ جَاءَ عَلَى الِاسْتِعْمَالِ الْقَلِيلِ مِنْ اسْتِعْمَالِ «الَّذِي» فِي الْجَمْعِ، عَلَى حَذٍّ: «وَتَشَفَّعْتُ كَالَّذِي تَحْضَرُ» [التَّوْبَةُ: ٦٩].

(٢) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ الزَّلْزَلِ ص ٣٨٥، وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْكَاتِبِي الشَّافِ ص (١٨١): ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ بِلا إِسْنَادٍ، وَأَخْرَجَهُ الْبُذْلِيُّ فِي الْفَرْدُوسِ (٦٨٠٥) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، مِنْ غَيْرِ إِسْنَادٍ. وَهُوَ فِي مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى (٤٣١/٤) رَقْمُ (٣١٢٣) عَنْ أَنَسٍ بِإِسْنَادٍ ظَاهِرِهِ الصَّحَّةُ بِلَفْظٍ: «... فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهُ ذَلِكَ يَكْرَهُهُ».

(٣) بِالرَّافِعِ قِرَاءَةُ السَّعَةِ عَدَا عَاصِمٍ، وَقَرَأَ عَاصِمٌ بِالنَّصْبِ.

(٤) لِلنَّاعِ وَأَبْنِ كَثِيرٍ.

(٥) وَالْخَبَرُ الْأَوَّلُ: «تَذَكَّرَةُ».

فُرت بأجسادها. [٨] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ الجارية تدفن حية، خوف العار والحاجة ﴿سُيِّلَتْ﴾ تبيكت لغالتها. [٩] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ وقرئ (٣) بكسر التاء حكاية لما تخاطب به، وجوابها أن تقول: قُتِلَتْ بلا ذنب. [١٠] ﴿وَإِذَا الْصُّحُفُ انشُفَّتْ﴾ صف الأعمال ﴿نُشِرتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٤)؛ فُتحت وبُسطت. [١١] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ نُزعت عن أماكنها، كما ينزع الجند عن الشاة. [١٢] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ النار [سُيِّرَتْ] بالتخفيف والتشديد (٥)؛ أُجِجت. [١٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ أَزْلَفَتْ﴾ قُربت لأهلها ليدخلوها. وجواب «إذا» أول السورة، وما عطف عليها: [١٤] ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ﴾ كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّا أَحْضَرْتَ﴾ من خير وشر. [١٥] ﴿فَلَا أَفْسِسُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِالْحَنِينِ﴾. [١٦] ﴿الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ هي النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد تُخس. بضم النون؛ أي: ترجع في مجراها وراءها، بينما نرى النجم في آخر البرج إذ كُوراجعاً إلى أوله، وتكيس بكسر النون: تدخل في كتابها؛ أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها. [١٧] ﴿وَالْأَيْلِ إِذَا سَمَسَتْ﴾ أقبل بظلامه، أو: أدير. [١٨] ﴿وَالْفُجَّيْ إِذَا تَفَنَسَتْ﴾ امتد حتى يصير نهراً يتأ. [١٩] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله. تعالى، وهو جبريل، أُضيف إليه لنزوله به. [٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شديد القوى ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: الله. تعالى - ﴿مَكِينٍ﴾ ذي مكانة، متعلق به عند. [٢١] ﴿شُعَاعٌ ثُمَّ﴾ تطيعه الملائكة في السماوات ﴿أَيُّنَ﴾ على الوحي. [٢٢] ﴿وَمَا سَاجِدٌ﴾ محمد ﷺ عطف على «إنه»، إلى آخر المقسم عليه ﴿يَسْجُدُ﴾ كما زعمتم. [٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ البين، وهو الأعلى بناحية المشرق. [٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء [بِطِينٍ] (٦)؛ أي: بمشهم، وفي قراءة بالضاد؛ أي: ببخيل، فينقص شيئاً منه. [٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿يَقُولُ شَيْطَانٍ﴾ مسترق السمع ﴿رَجِيمٍ﴾ مرجوم. [٢٦] ﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾ فبأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه؟ [٢٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن. [٢٨] ﴿لَسَ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ بدل من العالمين بإعادة الجار ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ باتباع الحق. [٢٩] ﴿وَمَا شَاءَ مِنْكُمْ﴾ الاستقامة على الحق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الخلاق، اشتقاقاً منكم عَلَيْهِ (٧).

تَرَاهُمْ قَاتِرَةً ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۖ

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۖ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۖ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۖ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۖ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ ۖ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ وَإِذَا الْصُّحُفُ نُشِرَتْ ۖ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۖ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۖ وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلَفَتْ ۖ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ ۖ فَلَا أَفْسِسُ بِالْحَنِينِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُسِ ۖ وَالْأَيْلِ إِذَا عَسَّعَسَ ۖ وَالصُّبْحِ إِذَا تَفَنَسَ ۖ إِنَّهُ لَقَوْلٌ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۖ مُطَاعٌ ثَوَّامِينَ ۖ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَحْجُونٍ ۖ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ۖ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۖ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۖ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۖ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيرَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ ۖ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ

سورة التكاثر

[مكية، تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لُفَّت وذهب بنورها. [٢] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ انقضت وتساقت على الأرض (١). [٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ذهب بها عن وجه الأرض؛ فصارت هباءً منبهاً. [٤] ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ النوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾ تُركت بلا راع، أو: بلا حلب؛ لما دهاهم من الأمر، ولم يكن مال أعجب إليهم منها. [٥] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جمعت بعد البعث؛ ليقص لبعض من بعض، ثم تصير تراباً. [٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٢)؛ أوقدت فصارت نارا. [٧] ﴿وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوِّجَتْ﴾

(١) النجوم لا تصافق على الأرض، وإنما تفتت وتتأثر. فالأولى: عدم ذكر الأرض.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: شذوذاً ﴿قُتِلَتْ﴾.

(٤) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) بالتخفيف قراءة السبعة عدا نافع وابن ذكوان وحفص.

(٦) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالضاد؛ ﴿بُضْنِينَ﴾.

(٧) قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الخلاين ص (٢٦١): «التعظيم في متعلق المشيئة أولى؛ لحذف المفعول. والتقدير: وما تشاءون شيئاً من خير أو شر؛ إلا أن يشاء الله ذلك. ويدخل في ذلك الاستقامة دخولاً أولياً للآية السابقة، وبذلك تدل الآية على مشيئة الله التكوينية خلافاً للمعتزلة».

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

[مكية، تسع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ انشقت.
 [٢] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ انقضت ونساقطت.
 [٣] ﴿وَلِذَا الْيَمَامُ فُجِّرَتْ﴾ فُجِح بعضها في بعض، فصارت بحرًا واحدًا، واختلط العذب بالمالح.

[٤] ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ قُلِب ترابها، وبُعث موتاها.
 [٥] وجواب «إذا» وما عطف عليها: «عَلِمَتْ نَفْسٌ أَي: كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة، مِمَّا قَدَّمَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ ﴿وَمَا أَخْرَتْ﴾ منها، فلم تعمله.

[٦] ﴿يَأْيُهَا الْإِنْسَنُ الْكَافِرُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ حتى عصيته.
 [٧] ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن ﴿فَسَوِّدَكَ﴾ جعلك مستوي الخلق، سالم الأعضاء ﴿فَعَدَّكَ﴾ بالتخفيف والتشديد (١)، جعلك معتدل الخلق، متناسب الأعضاء؛ ليست يد أو رجل أطول من الأخرى.
 [٨] ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا سَلَّهَ رَّبُّكَ﴾ صلة.

[٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاعتزاز بكرم الله - تعالى (٢) - ﴿بَلْ تَكَذِّبُونَ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِالَّذِينَ﴾ بالجزاء على الأعمال.
 [١٠] ﴿وَأَنْ عَلَيْكُمْ لَحُفَظِينَ﴾ من الملائكة لأعمالكم.

[١١] ﴿كِرَامًا﴾ على الله ﴿كَبِيرِينَ﴾ لها.
 [١٢] ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ جميعه.
 [١٣] ﴿إِنَّ الْأَذْيَارَ﴾ المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَيْتَ نَعْبُدُ﴾ جنة.
 [١٤] ﴿وَأَنَّ الْفَجَارَ﴾ الكفار ﴿لَيْتَ نَحْبُدُ﴾ نار محرقة.
 [١٥] ﴿يَصَلُّونَهَا﴾ يدخلونها ويقاضون عزمها ﴿يَوْمَ الْبَازِغِ﴾ الجزاء.

[١٦] ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ بمخرجين.
 [١٧] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ﴾ أعلمك ﴿مَا يَوْمَ الْبَازِغِ﴾.
 [١٨] ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ﴾ تعظيم لشأنه.
 [١٩] ﴿[يَوْمَ] بِالرَّفْعِ (٣)﴾ أي: هو يوم ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ من المنفعة ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ لا أمر لغيره فيه؛ أي: لم يمكن أحدًا من التوسط فيه، بخلاف الدنيا.

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ
 فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
 وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَأْيُهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي
 خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَّكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا سَلَّهَ رَّبُّكَ ﴿٨﴾
 كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحُفَظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
 كَتَبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَذْيَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
 الْفَجَارَ لَفِي حِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَئِذٍ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ
 ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ
 ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
 وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ لَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

[مكية، أو: مدنية، ست وثلاثون آية*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾.
 [٢] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ الكيل.
 [٣] ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أي: كالوا لهم ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ أي: وزنوا لهم
 ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون الكيل أو الوزن.
 [٤] ﴿الْأَلَا﴾ استفهام توبيخ ﴿يُظُنُّ﴾ يتيقن ﴿أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾.
 [٥] ﴿يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ أي: فيه، وهو يوم القيامة.
 [٦] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من محل «اليوم»؛ فناصبه: «مبعوثون» ﴿يَقُومُ النَّاسُ﴾
 من قبورهم ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الخلائق؛ لأجل أمره وحسابه وجزائه.

(١) ما جاء في نزول السورة: أخرج ابن ماجه عن ابن عباس، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أحبب الناس كبرًا، فأمر الله - سبحانه - : ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك. ابن ماجه - كتاب التمارات (١٢) باب (٣٥) التوفي في الكيل والوزن. (حس) صحيح سنن ابن ماجه (١٨٠٨).

(١) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.
 (٢) قول الخليلي: «ردع عن الاعتزاز بكرم الله تعالى» بعيد أنه ذهب إلى أن جواب الإنسان الكافر على سؤال: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ في الآية السادسة هو: غره كرم الله. وهذا قول ضعيف مردود، والكافر إنما غره جهله بربه وبصفاته. وقد يتوجه هذا الجواب ويقلل من تحمل على أن السؤال موجه إلى المؤمن العاصي، لكن الخطأ في الآية للكافر.
 (٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿يَوْمَ﴾ بالفتح.

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَذْرِكْ مَا سِجِّينَ ﴿٨﴾ كِتَابَ مَرْفُومٍ ﴿٩﴾
وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ وَمَا يُكَذِّبُ
بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١١﴾ إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢﴾
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ
يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٥﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا
الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَاءِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٧﴾
وَمَا أَذْرِكْ مَا عِلِّيَّونَ ﴿١٨﴾ كِتَابَ مَرْفُومٍ ﴿١٩﴾ يَشْهَدُهُ الْمُفَرِّقُونَ ﴿٢٠﴾
إِنَّ الْأَنْبَاءَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢١﴾ عَلَى الْأَرْيَافِ يُنْظَرُونَ ﴿٢٢﴾ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٣﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٤﴾ خِشْمُهُ
مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْ رِجْلِهِ مِنْ
تَسْنِيمٍ ﴿٢٦﴾ عَيْنَايَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُفَرِّقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا
مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِضَحْكَوْنٍ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٢٩﴾
وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣١﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٢﴾

[٧] ﴿كَلَّا﴾ حقًا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ﴾ أي: كتاب أعمال الكفار ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وقيل: هو مكان أسفل الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنوده.
[٨] ﴿وَمَا أَذْرِكْ مَا سِجِّينَ﴾ ما كتاب سجين.
[٩] ﴿كِتَابَ مَرْفُومٍ﴾ مختموم.
[١٠] ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾
[١١] ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ الجزء، بدل، أو: بيان «للمكذبين».
[١٢] ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ متجاوز الحد «أثيم» صيغة مبالغة.
[١٣] ﴿إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الحكايات التي سطرت قديمًا، جمع: «أسطورة» بالضم أو: «إسطارة» بالكسر.
[١٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿بَلْ رَانَ﴾ غلب ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾

فنغشيها ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، فهو كالصدأ.
[١٥] ﴿كَلَّا﴾ حقًا ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فلا يرونه.

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ لدخول النار المحرقة.
[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم: ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾.

[١٨] ﴿كَلَّا﴾ حقًا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: كتاب أعمال المؤمنين، الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش.
[١٩] ﴿وَمَا أَذْرِكْ﴾ أعلمك ﴿مَا عِلِّيَّونَ﴾ ما كتاب عليين؟
[٢٠] ﴿هُوَ﴾ كِتَابُ مَرْفُومٍ ﴿مَخْمُومٍ﴾.

[٢١] ﴿يَشْهَدُهُ الْمُفَرِّقُونَ﴾ من الملائكة.
[٢٢] ﴿إِنَّ الْأَنْبَاءَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ جنة.
[٢٣] ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ﴾ الشُّرُفُ فِي الْحِجَالِ ^(١) ﴿يُنْظَرُونَ﴾ ما أعطوا من النعيم.

[٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بهجة النعم وحشنة.
[٢٥] ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ خمر خالصة من الدنس ﴿مَخْمُومٍ﴾ على إنائها، لا يُفَكُّ خَشْمُهُ إِلَّا هُمْ.
[٢٦] ﴿يَخْتَمُّهُمْ مِسْكٌ﴾ أي: آخر شربه، تفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله.

[٢٧] ﴿وَمِنْ رِجْلِهِ﴾ أي: ما يخرج به ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾، فُسِّرَ بقوله:
[٢٨] ﴿عَيْنَا﴾ فنصبه بـ«أمدح» مقدراً ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُفَرِّقُونَ﴾ منها، أو: ضُحْنٌ «بشرب» معنى: يلتذ.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ كأني جهل ونحوه ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كعشار وبلال ونحوهما ﴿يَضْحَكُونَ﴾ استهزاء بهم.
[٣٠] ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ أي: المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ يشير المجرمون إلى المؤمنين، بالهفن والحاجب استهزاء.

[٣١] ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكَاهِينِ﴾ وفي قراءة ^(٢) ﴿فَكِهِينَ﴾: معجبين بذكرهم المؤمنين.
[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ.

[٣٣] قال - تعالى -: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ أي: الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ لهم، أو: لأعمالهم؛ حتى يردوهم إلى مصالحهم.
[٣٤] ﴿فَالْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

(١) جمع: «خجلة»، وهي: القبة فوق السرى.

(٢) للبيعة عدا حفص وابن عامر بخلاف عنه.

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٥﴾ عَلَى
الْأَرَابِكِ يُنْظَرُونَ ﴿٣٦﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا
الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوِيَّ
كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنِقْلُهَا
إِلَى أَهْلِهِ ﴿٩﴾ مَسْرُورًا ﴿١٠﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوِيَّ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١١﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُو نُبُورًا ﴿١٢﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٤﴾
إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٥﴾ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ صَبِيرًا ﴿١٦﴾ فَلَا أَقْسِمُ
بِالسَّحْقِ ﴿١٧﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٨﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٩﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿٢٠﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٢﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴿٢٣﴾
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٤﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة.

[٢٠] ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أي مانع من الإيمان،
أو: أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه؟
[٢١] ﴿وَالَّذِينَ﴾ أي: ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ﴾ يخضعون؛
بأن يؤمنوا به لإعجازه.

[٢٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ﴾ بالبعث وغيره.

[٢٣] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يجمعون في صنفهم، من الكفر
والتكذيب وأعمال السوء.

[٢٤] ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٢٥] ﴿بَلَى﴾ لكن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع ولا منقوص ولا ينمئ به عليهم.

[٣٥] ﴿عَلَى الْأَرَابِكِ﴾ في الجنة ﴿يُنْظَرُونَ﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم
يعذبون، فيضحكون منهم، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.
[٣٦] ﴿هَلْ تُؤِيبُ﴾ جوزي ﴿الْكَفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؟ نعم.

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

[مكية، ثلاث، أو: خمس وعشرون آية] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾. [٢] ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق
﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: وحق لها أن تسمع وتطيع.
[٣] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ زيد في سمعتها، كما تمدُّ الأديم، ولم يبق عليها
بناء ولا جبل.

[٤] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عنه.

[٥] ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ وذلك كله
يكون يوم القيامة، وجواب ﴿إِذَا﴾ وما عطف عليها محذوف، دل عليه ما
بعده؛ تقديره: لقي الإنسان عمله.

[٦] ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جاهد في عملك ﴿إِلَى﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾
وهو الموت ﴿كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ أي: ملاق عملك المذكور، من خير أو شر يوم
القيامة.

[٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوِيَّ كِتَابُهُ﴾ كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِ﴾ هو المؤمن.

[٨] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عرض عمله عليه كما في حديث
الصحيحين، وفيه: ﴿مَنْ تَوَقَّشَ الْحِشَابَ هَلَكَ﴾ (١) وبعد العرض يجاوز عنه.

[٩] ﴿وَنِقْلُهَا إِلَى أَهْلِهِ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾ بذلك.

[١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوِيَّ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ هو الكافر، ثقل مثناه إلى عنقه
وتجمل يساره وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه.

[١١] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو نُبُورًا﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿نُبُورًا﴾ ينادي هلاكه بقوله: يا
نبوره.

[١٢] ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ يدخل النار الشديدة، وفي قراءة (٢) بضم الباء وفتح
الصاد واللام المشددة.

[١٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ عشيرته في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ بطرا باتباعه هواه.

[١٤] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَنْ
يَحُورَ﴾ يرجع إلى ربه.

[١٥] ﴿بَلَى﴾ يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ عالما برجوعه إليه (٣).

[١٦] ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِالسَّحْقِ﴾ هو الحمرة في الأفق، بعد
غروب الشمس.

[١٧] ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ جمع ما دخل عليه، من الدواب وغيرها.

[١٨] ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اجتمع وتم نوره، وذلك في الليالي البيض.

[١٩] ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس، أصله: «تركبون» حذف نون الرفع؛ لتوالي
الأمثال، والواو؛ للالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال، وهو

(ه) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾». الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧٤) سورة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٥٣).

(١) البخاري (٤٩٣٩)، مسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) لنافع وابن كثير وابن عامر والكساوي؛ ﴿يَصْلَى﴾.

(٣) البصر غير العلم، فالواجب إثبات ما أثبت الله لنفسه أو أثبت له رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلاله - سبحانه -.

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٥٥﴾

سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَصْحَبُ الْأَعْدَادِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمَا يَبُوءُوا فَأُهِمَّ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ يَوْمٍ ذِي نَعْمٍ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قَوْلُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢١﴾

سورة البروج

[مكية، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿٢﴾ الكواكب اثنا عشر برجاً تقدمت في الفرقان^(١). ﴿٣﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٤﴾ يوم القيامة. ﴿٥﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٦﴾ يوم الجمعة ﴿٧﴾ يوم عرفة، كذا فسرت الثلاثة في الحديث^(٢)، فالأول: موعود به، والثاني: شاهد بالعمل فيه، والثالث: تشهد الناس والملائكة، وجواب القسم محذوف صَدْرُهُ، تقديره: لقد.

(١) الفرقان: ٦١.

(٢) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٦٢) عن أبي هريرة مرفوعاً، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٢٠١).

(٣) روي ذلك عن الربيع بن أنس، وحكاه الفراء، وأكثر المفسرين أن هذا العذاب في جهنم.

(٤) الله يخلق خلق كل شيء، والإضافة هنا لأمر اختص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استوائه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٥) وكذا بالجر في قراءة حمزة والكسائي.

(٦) وهي قراءة السبعة غير نافع.

(٧) تحديد اللوح بما ذكر من الأمور الغيبية التي يحتاج الجازم بها إلى دليل صحيح عن المصوم.

﴿٤﴾ قِيلَ لَعَنَ ﴿٥﴾ أَصْحَبُ الْأَعْدَادِ ﴿٦﴾ الشق في الأرض.

﴿٥﴾ النَّارِ ﴿٦﴾ بدل اشتمال منه ﴿٧﴾ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٨﴾ ما توقد به.

﴿٦﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا ﴿٧﴾ حولها على جانب الأعداء على الكراسي ﴿٨﴾ قُعُودٌ.

﴿٧﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ بالله، من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن

لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿٩﴾ شُهُودٌ ﴿١٠﴾ حضور، روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في

النار بقض أرواحهم قبل وقوعهم فيها، وخرجت النار إلى من نَمَّ فأحرقهم^(٣).

﴿٨﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ ﴿٩﴾ في ملكه ﴿١٠﴾ الْحَمِيدِ

المحمود.

﴿٩﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٠﴾ أي: ما

أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم.

﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿١١﴾ بالإحراق ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَمْ يَبُوءُوا فَأُهِمَّ

عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴿١٣﴾ بكفرهم ﴿١٤﴾ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٥﴾ أي: عذاب إحراقهم للمؤمنين

في الآخرة، وقيل: في الدنيا بأن أخرجت النار فأحرقهم، كما تقدم.

﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾

﴿١٢﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ ﴿١٣﴾ بالكفار ﴿١٤﴾ لَشَدِيدٌ ﴿١٥﴾ بحسب إرادته.

﴿١٣﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ يَوْمٍ ذِي نَعْمٍ ﴿١٤﴾ الخلق ﴿١٥﴾ وَيُغِيدُ ﴿١٦﴾ فلا يعجزه ما يريد.

﴿١٤﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴿١٥﴾ للمذنبين المؤمنين ﴿١٦﴾ الْمُتَوَدُّدُ ﴿١٧﴾ إلى أوليائه

بالكرامة.

﴿١٥﴾ ذُو الْعَرْشِ ﴿١٦﴾ خالقه ومالكة ﴿١٧﴾ الْحَمِيدُ ﴿١٨﴾ بالرفع؛ المستحق

لكمال صفات العلو^(٤).

﴿١٦﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ لا يعجزه شيء.

﴿١٧﴾ هَلْ أَتَاكَ ﴿١٨﴾ يا محمد ﴿١٩﴾ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿٢٠﴾

﴿١٨﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٩﴾ بدل من «الجنود»، واستغني بذكر فرعون عن

أتباعه، وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ

والقرآن؛ ليتعظروا.

﴿١٩﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿٢٠﴾ بما ذكر.

﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢١﴾ لا عاصم لهم منه.

﴿٢١﴾ بَلْ هُوَ قَوْلُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ عظيم.

﴿٢٢﴾ فِي لُجٍّ ﴿٢٣﴾ هو في الهواء، فوق السماء السابعة ﴿٢٤﴾ تَحْقُوطٌ ﴿٢٥﴾ بالجر^(٥)،

من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما

بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء؛ قاله ابن عباس^(٦).

سُورَةُ الطَّارِقِ

[مكية، سبع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالَّذِي أَدْرَأَكَ وَالطَّارِقَ﴾ أصله: كل آتٍ ليلاً، ومنه النجوم لطلوعها ليلاً.

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ مبتدا وخبر، في محل المفعول الثاني لـ «أدرك»، وما بعد «ما» الأولى خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده. [٣] هو ﴿الْوَيْلُ﴾؛ أي: الشَّرُّ، أو: كل نَجَمٍ ﴿الْوَيْلُ﴾ المضيء، لقبه الظلام بضوئه. وجواب القسم: [٤] ﴿إِنْ كُلُّ نَجْمٍ﴾ [الْمَا] عَلَيْنَا حَافِظٌ يتخفيف «ما» فهي مزيدة، و«إن» مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: إنه، واللام فارقة، وتشديدها^(١) فـ«إن» نافية، و«لما» بمعنى «إلا»، والحافظ من الملائكة، يحفظ عملها من خير وشر. [٥] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء؟ جوابه: [٦] ﴿خُلِقَ مِنْ شَاءِ ذَاقٍ﴾ ذي الذِّقَاقِ من الرُّجُلِ وَالْمَرَاةِ، في رُجْمِهَا. [٧] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للرجل ﴿وَالْأَرْبَابِ﴾ للمرأة؛ وهي: عظام الصدر. [٨] ﴿إِنَّهُ﴾ - تعالى - ﴿عَلَى رَجِيمٍ﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿تَقَادَرُ﴾ فإذا اعتبر أصله عليم أن القادر على ذلك قادر على بعثه. [٩] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ تختبر وتُكشَفُ ﴿السَّيِّئُ﴾ ضمائر القلوب في العقائد والنيات. [١٠] ﴿مَا لَمْ﴾ لشكر البعث ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ يتمتع بها من العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يدفعه عنه.

[١١] ﴿وَالَّذِي ذَاتَ الرَّجْعِ﴾ المطر؛ لعوده كل حين. [١٢] ﴿وَالَّذِينَ ذَاتَ أَمْنَةٍ﴾ الشَّقْ عَنِ النَّبَاتِ. [١٣] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٍ فَصْلٍ﴾ يفصل بين الحق والباطل. [١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِالْعَزَّةِ﴾ باللب والباطل. [١٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكائد للنبي ﷺ. [١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ. [١٧] ﴿فَهَلْ﴾ يا محمد ﴿الْكَاذِبِينَ أَمْهُمْ﴾ تأكيد، حشنة مخالفة اللفظ؛ أي: أنظرهم ﴿رَوْدًا﴾ قليلاً، وهو مصدر مؤكّد لمعنى العامل، مصغر: «رودا»، أو: «روداد» على الترخيم، وقد أخذهم الله تعالى - بيدٍ، ونسخ الإمهال بآية السيف؛ أي: الأمر بالقتال والجهاد.

سُورَةُ الْأَعْلَى

[مكية، تسع عشرة آية^(*)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: نزه ربك عما لا يليق به، و«اسم» زائد^(٢) ﴿الْأَعْلَى﴾ صفة لـ«ربك»^(٣). [٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَوْنٌ﴾ مخلوقه؛ جعله متناسب الأجزاء، غير متفاوت. [٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَى﴾ إلى ما قدره من خير وشر. [٤] ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أُنْبِتَ العُشْبَ. [٥] ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة ﴿عُتَاً﴾ جافاً هشياً ﴿أَحْوَى﴾ أسود يابسا. [٦] ﴿سَنَفَرْنَاكَ﴾ القرن ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ ما تقرأه. [٧] ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ن تَنسَاهُ بنسخ تلاوته وحكمه، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان، فكانه قيل

له: لا تعجل بها، إنك لا تنسى ولا تُعْبِ نفسك بالجهر بها. ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ منها. [٨] ﴿وَنُفِثَ الْبَسْرَى﴾ للشرعية السهلة، وهي الإسلام. [٩] ﴿فَذَكَّرَ﴾ عِظَ بالقرآن ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى﴾ مَنْ تَذَكَّرَهُ، المذكور في: «سيدكر»؛ يعني: وإن لم تنفع، ونفعها لبعض، وعدم النفع لبعض آخر. [١٠] ﴿سَيَذَكَّرُ﴾ بها ﴿مَنْ يَخْفَى﴾ يخاف الله - تعالى - كآية ﴿فَذَكَّرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَيَعْبُدُ﴾^(٤). [١١] ﴿وَبَنَجْنَهُ﴾ أي: الذكري؛ أي: يتركها جانباً لا يلتفت إليها ﴿الْأَشَقَى﴾ بمعنى الشقي؛ أي: الكافر. [١٢] ﴿الَّذِي يَصَلِّيْ النَّارَ الْكِبْرَى﴾ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا. [١٣] ﴿مَنْ لَا يَبُوءُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَخْفَى﴾ حياة هنيئة. [١٤] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿مَنْ تَرَكَّى﴾ تَطَهَّرَ بالإيمان. [١٥] ﴿وَوَكَّرَ اسْمَ رَبِّكَ﴾ مكبراً ﴿فَصَلَّى﴾ الصلوات الخمس. وذلك من أمور الآخرة، وكفار مكة مُعْرَضُونَ عنها.

(*) فائدة: أخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ يوتر بـ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»، و«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»، و«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ». النسائي - كتاب قيام الليل (٢٠) باب (٤٦) القراءة في الوتر. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٦٣٣).

(٢) بل يجب تنزيه الاسم كذلك، كما يجب تنزيه ذاته المقدسة سبحانه.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو.

(٤) الأعلى اسم من أسماء الله ﷻ، وهو يشتغل على إثبات صفة العلو لله - تعالى - ومعناه: الأعلى من كل شيء؛ ذاتاً وقهراً وشأناً.

(٤) ق: ٤٥.

بأهلها.

- [٢] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْيَوْمِزُ﴾ عبر بها عن الذوات في الموضعين ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة.
 [٣] ﴿عَالِيَةً نَّاصِبَةً﴾ ذات نصيب وتعب، بالسلاسل والأغلال.
 [٤] ﴿تَضَلَّى﴾ بفتح التاء وضعا^(١) ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾.
 [٥] ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةٍ﴾ شديدة الحرارة.
 [٦] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ هو نوع من الشوك، لا ترعاه دابة؛ لحبيته.
 [٧] ﴿لَا يَسْمُونَ وَلَا يُنَبِّئُونَ﴾ لا يتبينون ولا يتنبئون من جوع.
 [٨] ﴿وَجُوهُهُمْ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ حسنة.

- [٩] ﴿لَيْسَ فِيهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةً﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه.
 [١٠] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ جَشَاءَ﴾ جشأ ومعنى.
 [١١] ﴿لَا يُسْمَعُ﴾ بالياء والتاء^(٢) ﴿فِيهَا﴾ لا غنية^(٣) أي: نفس ذات لغو، أي: هذيان من الكلام.

- [١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بالماء، بمعنى: عيون.
 [١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ ذاتا وقدرا ومحلا.
 [١٤] ﴿وَأَكْوَابُ﴾ أقداح لا غرى لها ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ على حافات العيون، معدة لشربهم.

- [١٥] ﴿وَنَارًا﴾ وسائل ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجانب بعض، يستند إليها.
 [١٦] ﴿وَرِزْقٌ﴾ بسطط طافس لها غسل^(٤) ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة.
 [١٧] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ نظر اعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ﴾ كيف خلقت.

- [١٨] ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ﴾ كيف رفعت. [١٩] ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ﴾ كيف نصبت.
 [٢٠] ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ﴾ كيف سطحت. أي: بسططت، فيستدلون بها على قدرة الله - تعالى - ووجدانيته، وضدَّت بالإبل؛ لأنهم أشد ملاسة لها من غيرها، وقوله: ﴿سَطَّحَتْ﴾ ظاهر في أن الأرض سطوح؛ وعليه علماء الشرع، لا كره؛ كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع^(٥).

- [٢١] ﴿فَذَكِّرْ﴾ لهم نعم الله ودلائل توبيخه ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.
 [٢٢] ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [٢٣] وفي قراءة بالصاد بدل السين؛ أي: بمسلط، وهذا قبل الأمر بالجهاد.

- [٢٣] ﴿وَلَا﴾ لكن ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَكُفَّرَ﴾ بالقرآن.
 [٢٤] ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ عذاب الآخرة، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر.

- [٢٥] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم بعد الموت.
 [٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ جزاءهم لا نتركه أبدًا.

وَتَجَبَّهٖمَا أَلْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤَفِّرُونَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَنْبَقَى إِنْ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ لَا يَسْمُونَ وَلَا يُنَبِّئُونَ مِنْ جُوعٍ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا الْغِيَّةَ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَرِزْقٌ مَبْثُوثٌ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ

- [١٦] ﴿بَلْ يُؤَفِّرُونَ﴾ بالتحنات والفوقانية^(١) ﴿الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة. [١٧] ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ المشتملة على الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَنْبَقَى﴾.
 [١٨] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: إفلاح من تزكى، وكون الآخرة خيرا ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: المنزلة قبل القرآن.
 [١٩] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وهي: عشر صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

سورة العنكبوت

[مكية، ست وعشرون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿هَلْ﴾ قد ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ﴾ القيامة؛ لأنها تغشى الخلائق

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ﴾ قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضًا في الصلواتين. مسلم - كتاب الجمعة (٧) باب (١٦) ما يقرأ في صلاة الجمعة.

(١) بالياء لأبي عمرو.
 (٣) بالياء لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ نافع بالتاء مع ضمها؛ مبيهاً لمجهول، ﴿تُسْمَعُ﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَسْمَعُ﴾ فيها لاغية للما مع نصب ﴿لاغية﴾.
 (٤) ﴿وَرِزْقٌ﴾؛ جمع: ﴿رِزْقَةٌ﴾ تظليل الزاي. و﴿طافس﴾؛ جمع: طافسة؛ بتظليل الفاء والطاء، وتسمى أيضًا: سجدة. وال (تخل): لا (تهدب).
 (٥) بل الصحيح أنها كروية كما ثبت بالعلم الحديث وبينه ثقت من علماء المسلمين من قبل، وأما بسطها وتسطيحها فلا يتنافى مع كرويتها في نفسها وذلك لابعاد أطرافها، فكل قطعة منها على حدة ممدودة مسطحة، والكروية كائنة لجللتها، كما قال - تعالى -: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَسَمَةٌ﴾.
 (٦) لهشام، وقرأ حمزة بخلف عن خلاد: بإشمام الصاد الزاي، وقرأ بقية السبعة بالصاد، وهو الوجه الثاني خلاد.

سُورَةُ الْفَجْرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «وَالْفَجْرِ» أي: فجر كل يوم.

[٢] «وَلَيْلٍ عَشْرٍ» أي: عشر ذي الحجة.

[٣] «وَالشَّفْعِ الرَّوْحِ» و«وَالْوَتْرِ» يفتح الواو وكسرها^(١)؛ لغتان: الفرد.

[٤] «وَاللَّيْلِ إِذَا يَنسَرُ» مقيلاً ومدبراً.

[٥] «هَلْ فِي ذَلِكَ الْقِسْمِ» وقسمٌ يُرى جَمْرٌ عقل؟ وجواب القسم محذوف؛ أي: لتُعَذِّبُوا يا كفار مكة.

[٦] «أَلَمْ تَرَ» تعلم يا محمد «كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ».

[٧] «إِنَّمَا» هي عاد الأولى، فدارم عطف بيان، أو: بدل، ومنع الصرف؛ للعلمية والتأنيث «كَانَتْ أَلِيمَةً» أي: الطول، كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع^(٢).

[٨] «الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِنْهَا فِي الْبَلَدِ» في بطشهم وقوتهم.

[٩] «وَتَمُودَ الَّذَيْنِ جَاءَا» قطعوا «الصَّخْرَ» جمع «صخرة»، واتخذوها بيوتاً «بِالْوَادِ» وادي القرى.

[١٠] «وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ» كان يتخذ أربعة أوتاد، يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه.

[١١] «الَّذِينَ طَغَوْا» تجبروا «فِي الْبَلَدِ».

[١٢] «فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ» القتل وغيره.

[١٣] «فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ» نوع «عَذَابٍ».

[١٤] «إِنَّ رَبَّكَ لِكَلِيمٌ صَادِقٌ» يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء؛ ليجازيهم عليها.

[١٥] «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ» إذا ما ابتلته «رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ» بالمال وغيره «وَنَعَمَ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَ».

[١٦] «وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ ذَيْقُ» ضيق «عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ».

[١٧] «كَلَّا» ردع؛ أي: ليس الإكرام بالغنى، والإهانة بالفقر، وإنما هو بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا ينتبهون لذلك «بَلْ لَا يُكْرَمُونَ» أَلَيْسَ؟ لا يحسنون إليه مع غناهم، أو: لا يعطونه حقه من الميراث.

[١٨] «وَلَا يَمْشُيُونَ» أنفسهم أو غيرهم «عَلَى طَعَارٍ» أي: إطعام أَلَيْسَ؟.

[١٩] «وَيَأْكُلُونَ» الميراث «أَكْلاً لَمّاً» أي: شديداً، لئَلَّهم نصيب النساء والصبيان من الميراث، مع نصيبهم منه أو: مع ما لهم.

[٢٠] «وَيُجِبُونَ» أَلَمَالٌ حُبّاً جَمّاً» أي: كثيراً فلا ينفقونه، وفي قراءة

(١) بالكسر حمزة والكسائي.

(٢) هذان الإسرائيليات التي لا تصح، وتتأني مع ما صح عنه ﷺ من تناقض الخلق من لدن آدم ﷺ والذي كان طوله ستون ذراعاً فقط، ومعنى «كَانَتْ أَلِيمَةً» أي: ذات الأبنية المرفوعة على العتد، أو: البناء المرتفع، وقال مجاهد وقادة: كانوا أهل عمود لا يقيمون؛ أي لحياهم، واختاره ابن جرير، ووافقه ابن كثير.

(٣) والقراءة المذكورة أولاً بالياء في الأربعة لأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالياء، إلا أنه قرأ نافع وابن كثير وابن عامر «تَعْصُونَ». وقرأ بقتبهم: «تَعْصُونَ».

(٤) تأويل الجيء بأمر الله خلاف ظاهر النص، وعدول عما فهمه السلف من الآية، والجيء صفة من صفات الفعل الثانية لله ﷻ على ما يليق به.

(٥) كما جاء في حديث ابن مسعود عند مسلم (٢٨٤٢) مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «يَأْتِي بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ، مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا». والزمام: هو: الخطام الذي يقاد به البعير.

إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ۚ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۚ

إِنَّ الْإِنْسَانَ آيَاتٍ بِهِمْ ۚ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ ۚ

سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ لَيْلٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِيرُ ۝

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝

إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِنْهَا فِي الْبَلَدِ ۝ وَتَمُودَ الَّذَيْنِ

جَاءَا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي

الْبَلَدِ ۝ فَأَكْرَمُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ

عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبَاسٌ مَّرْصَادٍ ۝ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ

رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ۚ وَنَعَمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ

فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۝ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرَمُونَ

الْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ

الْأَثْرَاءَ أَكْلاً لَمّاً ۝ وَتُحِبُّونَ أَلَمَالٌ حُبّاً جَمّاً ۝ كَلَّا إِذَا

دُكِّيَ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ۝

بالفوقانية في الأفعال الأربعة^(٣).

[٢١] «كَلَّا» ردع لهم عن ذلك «إِذَا دُكِّيَ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً» زلزلت، حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم.

[٢٢] «وَسَاءَ رَبُّكَ» أي: أمره^(٤) «وَالْمَلَكُ» أي: الملائكة «صَفّاً صَفّاً» حال؛ أي: مصطفين، أو: ذوي صفوف كثيرة.[٢٣] «وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ» تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك^(٥) لها زفير وتغيظ. «يَوْمَئِذٍ» بدل من «إِذَا»، وجوابها:

«يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ» أي: الكافر ما فرط فيه «وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى» استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا ينفعه تذكره ذلك.

سورة البقرة

[مكية، عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ أَحْيَىٰ مَا مَاتَ ۚ وَيَعْلَمُ سِرُّكَ﴾ [١] ﴿يَا مُحَمَّدُ ﴿٢﴾ حَلَالٌ ﴿٣﴾ يَهْدِيكَ إِلَيْكَ ۚ بَانَ يُخَلِّ لَكَ فَنَقَاتِلَ فِيهِ، وَقَدْ أَخْزَىٰ اللَّهُ لَهُ هَذَا الْوَعْدَ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَالْجُمْلَةُ اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْمَقْسَمِ بِهِ وَمَا عَطَفَ عَلَيْهِ.

[٣] ﴿وَالَّذِي﴾ أي: آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي: ذريته، و«ما» بمعنى «من»، [٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: الجنس ﴿فِي كَبَدٍ﴾ نَصَبٌ وَشَدَّةٌ بِكَادٍ مَصَابٍ الدُّنْيَا وَشِدَائِدِ الْآخِرَةِ.

[٥] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أيظن الإنسان؛ قوي قريش، وهو أبو الأشد ابن كَلْدَةَ، بِقَوْمِهِ أَنَّهُ مَخْفِيفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاسْمُهَا مُحذُوفٌ؛ أي: أَنَّهُ ﴿أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ.

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ عَلَى عِدَاوَةِ مُحَمَّدٍ ﴿مَا لَا لُبَّاءَ﴾ كَثِيرًا بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ. [٧] ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ﴾ أي: أَنَّهُ ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فِيمَا أَنْفَقَهُ، فَيَعْلَمُ قَدْرَهُ؟ وَاللَّهُ عَالِمٌ بِقَدْرِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمَا يُكْتَرُّ بِهِ، وَمَجَازِيهِ عَلَى فِعْلِهِ السَّيِّئِ.

[٨] ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ﴾ اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرٌ؛ أي: جَعَلْنَا ﴿لَهُ عَيْنَيْنِ﴾. [٩] ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾.

[١٠] ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ يَبَيِّنُ لَهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

[١١] ﴿فَلَا فَهْلًا﴾ أَقْنَحَ الْعَقَبَةَ جَاوَزَهَا.

[١٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أَعْلَمَكَ ﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾ الَّتِي يَقْتَحِمُهَا تَعْظِيمًا لِشَأْنِهَا، وَالْجُمْلَةُ اعْتِرَاضٌ.

[١٣] وَيَبَيِّنُ سَبَبَ جَوَازِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ [١٤] ﴿مَنْ الرِّقَ بَانَ أَعْتَقَهَا.

[١٤] ﴿أَوْ أَطْعَمُ﴾ [١٥] فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾ مَجَاعَةً.

[١٥] ﴿يَتِمَّا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قَرَابَةً.

[١٦] ﴿أَوْ مَشِيكًا ذَا مَرْثٍ﴾ لُصُوقٌ بِالرَّثَابِ؛ لِفَقْرِهِ، وَفِي قِرَاءَةِ بَدَلِ الْفَعْلَيْنِ [١٧] مَصْدَرَانِ مَرْفُوعَانِ مَضَافٌ الْأَوَّلُ لِرَقَبَةٍ [١٨]، وَيُنَوِّنُ الثَّانِي [١٩]، فَيَقْدِرُ قَبْلَ الْعَقَبَةِ: اقْتِحَامُ [٢٠]، وَالْقِرَاءَةُ الْمَذْكُورَةُ [٢١] بَيَانُهُ.

[١٧] ﴿نُتْرُكَانَ﴾ عَطَفَ عَلَى «اقْتِحَامِ»، وَ«ثُمَّ» لِلتَّرْتِيبِ الذِّكْرِيِّ، وَالْمَعْنَى: كَانَ وَقْتُتِ اقْتِحَامِ ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَسُوا وَتَوَاصَوْا﴾ أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا

﴿بِالْقَسْرِ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ، وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ الرَّحْمَةُ عَنِ الْخَلْقِ. [١٨] ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمُوصَفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ الْيَمِينِ.

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّأُهُمُ﴾ أَسْحَبُ السَّحَابِ الشَّمَالِ.

[٢٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّأُهُمُ﴾ بِالْهَمْزَةِ وَالْوَاوِ بَدَلُهُ [٢١] مُطَبَّقَةٌ.

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٢﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٣﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٤﴾ وَلَا يُؤْتِيهِمْ وَفَاءُهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ ﴿٢٦﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً ﴿٢٧﴾ فَأَدْخِلِي فِي عَبْدِي ﴿٢٨﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٢٩﴾

سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٣٠﴾ وَأَنْتَ حَلُّهُ الْبَلَدِ ﴿٣١﴾ وَالَّذِي مَوْلَىٰ ﴿٣٢﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٣٣﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٣٤﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَّاءَ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٣٦﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٣٧﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٣٨﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿٣٩﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿٤٠﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿٤١﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿٤٢﴾ أَوْ أَطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿٤٣﴾ يَتِمَّا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿٤٤﴾ أَوْ مَشِيكًا ذَا مَرْثٍ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَسُوا وَتَوَاصَوْا بِالضُّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿٤٦﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٤٧﴾

[٢٤] ﴿يَقُولُ﴾ مَعَ تَذَكُّرِهِ: ﴿يَا﴾ لِلتَّنْبِيهِ ﴿لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ الْخَيْرَ وَالْإِيمَانَ ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطَّيِّبَةَ فِي الْآخِرَةِ، أَوْ: وَقْتُ حَيَاتِي فِي الدُّنْيَا. [٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ﴾ بِكَسْرِ الذَّالِ ﴿عَذَابُهُ﴾ أَي: اللَّهُ ﴿أَحَدٌ﴾ أَي: لَا يَكْفُلُهُ إِلَى غَيْرِهِ. [٢٦] ﴿وَوَفَاءَهُ﴾ بِكَسْرِ التَّاءِ ﴿وَفَاءَهُ أَحَدٌ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ [٢٧] بَفَتْحِ الذَّالِ وَالتَّاءِ، فَضْمِيرُ «عَذَابِهِ» وَ«وَفَاءَهُ» لِلْكَافِرِ، وَالْمَعْنَى: لَا يُعَذِّبُ أَحَدٌ مِثْلَ تَعَذُّبِهِ، وَلَا يُؤْتِيهِمْ مِثْلَ إِيفَائِهِ. [٢٨] ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ﴾ الْأَمْنَةُ، وَهِيَ الْمُؤْمِنَةُ. [٢٩] ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ؛ أَي: أَرْجِعِي إِلَىٰ أَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ [٣٠] ﴿رَاضِيَةً﴾ بِالثَّوَابِ ﴿مَرْضِيَةً﴾ عِنْدَ اللَّهِ بِعَمَلِكِ؛ أَي: جَامِعَةً بَيْنَ الْوُصْفَيْنِ، وَهِيَ حَالَانِ، وَيُقَالُ لَهَا فِي الْقِيَامَةِ: [٣١] ﴿فَأَدْخِلِي فِي﴾ جُمْلَةِ ﴿عِبَادِي﴾ الصَّالِحِينَ [٣٢] ﴿وَأَدْخِلِي جَنَّتِي﴾ مَعَهُمْ.

(١) لِلْكَسَائِيِّ.

(٢) وَهَذِهِ طَرِيقَةُ نَفَاةِ الصِّفَاتِ بِزَعْمِ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ مِثَابَهَةِ خَلْقِهِ، وَالصَّوَابُ أَنَّ الرُّحُوعَ إِلَى اللَّهِ: تَقَاوُهُ - شَبَحَاتُهُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، أَوْ يَكُونُ الْمُرَادُ بِالنَّفْسِ: الرُّوحَ، وَلِقَاؤُهَا رَبُّهَا حِينَ خُرُوجِهَا مِنَ الْجَسَدِ سَاعَةَ الْمَوْتِ.

(٣) الْعِلْمُ غَيْرُ الرُّؤْيَةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ لَوَازِمِهَا؛ وَصَبِحَ الْمَسْرُوعُ جَرِيًّا عَلَى طَرِيقَتِهِ فِي تَأْوِيلِ الصِّفَاتِ كَمَا هِيَ طَرِيقَةُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ.

(٤) (٥) لِلْكَسَائِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو.

(٦) أَي: قَوْلُهُ: «فَقَدْ» وَأَطْعَمُهُ.

(٧) أَي: «فَكُ رَقَبَةً».

(٨) أَي: «إِطْعَامُهُ».

(٩) أَي: بِالصِّدْقِ الْمَرْفُوعِينَ؛ «فَكُ»، وَ«إِطْعَامُهُ». وَقَوْلُهُ: «بَيَانُهُ»؛ أَي: هَذِهِ الْقِرَاءَةُ بَيَانٌ لِمَعْنَى الْقِتْحَامِ الْمَقْدَّرِ؛ أَي: اقْتِحَامِ الْعَقَبَةِ هُوَ: فَكُ رَقَبَةً أَوْ إِطْعَامًا.

(١٠) بِالْوَاوِ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عِدَا حَمْزَةً وَحُفْصَ وَأَبِي عَمْرٍو.

سُورَةُ الْبُحُرِ

[مكية، خمس عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] وَالشَّمْسُ وَنَجْمُهَا ﴿١﴾ وَنَجْمُهَا ﴿٢﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٣﴾ تَبَعَهَا طَالِعًا عِنْدَ غُرُوبِهَا ﴿٤﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٥﴾ بَارْتِفَاعَهُ ﴿٦﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٧﴾ يَغْطِيهَا بِظِلْمَتِهِ، وَ«إِذَا» فِي الثَّلَاثَةِ جَرَدِ الظَّرْفِيَّةِ (١)، وَالْعَامِلُ فِيهَا فِعْلُ الْقِسْمِ. [٥] وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ﴿٦﴾ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ﴿٧﴾ بِسَطْهَا. [٧] وَنَفْسٍ ﴿٨﴾ بِمَعْنَى نَفُوسٍ ﴿٩﴾ وَمَا سَوَّاهَا ﴿١٠﴾ فِي الْخَلْقَةِ، وَ«مَا» فِي الثَّلَاثَةِ مُصَدِّرَةٌ، أَوْ بِمَعْنَى «مَنْ». [٨] فَالْهَمْزُ مُجَوَّرٌ وَتَقْوُونَهَا ﴿٩﴾ يَتَرَنَّ لَهَا طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَحْزَرَ التَّقْوَى؛ رَعَايَةً لِرُؤُوسِ الْآيِ. [٩] وَجَوَابُ الْقِسْمِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حَذَفَتْ مِنْهُ اللَّامُ طُولُ الْكَلَامِ ﴿مَنْ رَزَقْنَاهَا﴾ طَهَّرَهَا مِنَ الذُّنُوبِ. [١٠] ﴿وَقَدْ حَاطَبَ﴾ خَسِرَ ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾ أَخْفَاهَا بِالْمَعْصِيَةِ، وَأَصْلُهُ: دَسَّسَهَا، أَبْدَلَتْ السِّينَ الثَّانِيَةَ أَلْفًا تَخْفِيفًا. [١١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رَسَوْنَهَا صَالِحًا ﴿يَطْعُونَهَا﴾ بِسَبِّ طَغْيَانِهَا. [١٢] ﴿إِذْ أَبْعَثَ﴾ أَسْرَعَ ﴿أَشَقَّاهَا﴾ وَأَسَمَهُ قُدَّارٌ، إِلَى عَقْرِ النَّاقَةِ بِرِضَاهُمْ. [١٣] ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صَالِحٌ: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ أَيُّ: ذُرْوَاهَا ﴿وَسَقَّاهَا﴾ شَرَبَهَا فِي يَوْمِهَا، وَكَانَ لَهَا يَوْمٌ وَلَهُمْ يَوْمٌ. [١٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فِي قَوْلِهِ ذَلِكَ عَنِ اللَّهِ، الْمُرْتَبُّ عَلَيْهِ نَزُولُ الْعَذَابِ بِهِمْ، إِنْ خَالَفُوهُ ﴿فَقَرَّوْهَا﴾ قَتَلُوهَا لِيَسْلَمَ لَهُمْ مَاءُ شَرِبَهَا. [١٥] ﴿فَقَدَّمْهُ﴾ أَطْبَقَ عَلَيْهِمْ رُئُوسُهُمُ الْعَذَابِ ﴿يَدْنِيهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ أَيُّ: الدَّمْدَمَةُ عَلَيْهِمْ؛ أَيُّ: عَشَّاهُمْ بِهَا، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. [١٦] ﴿وَلَا﴾ بِالْوَاوِ وَالْفَاءِ (٢) ﴿يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ تَبَعْتُهَا.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مكية، إحدى وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ كَبَلَ وَالْجَبْنَ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ [١٠] ﴿فَسَنِيْسِرُهُ﴾ نَهَيْتُهُ ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾ لِلْيُسْرَىٰ لِلنَّارِ. [١١] ﴿وَمَا﴾ نَافِيَةٌ ﴿يُنْفِ عَنَّا مَالَهُ﴾ إِذَا تَرَدَّىٰ فِي النَّارِ. [١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ لَتَبَيِّنَ طَرِيقَ الْهُدَىٰ مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ؛ لِيُمْتَكِنَ أَمْرُنَا بِسُلُوكِ الْأَوَّلِ، وَنَهْيُنَا عَنْ ارْتِكَابِ الثَّانِي. [١٣] ﴿وَلَا لَنَا الْخَيْرُ وَالْأَذْرُ﴾ أَيُّ: الدُّنْيَا؛ فَمَنْ طَلَبَهُمَا مِنْ غَيْرِنَا فَقَدْ أَخْطَأَ. [١٤] ﴿فَأَذَرْنَاهُ﴾ خَوَّفْتُمُ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿نَارًا تَلْفَلْ﴾ بِحَذْفِ إِحْدَى الثَّانِيَيْنِ مِنَ الْأَصْلِ، وَفَرَى (٢) بِبَيُوتِهَا؛ أَيُّ: تَتَرَقَّدُ.

(١) أَيُّ: فَلَا تَفِيدُ الشَّرْطِيَّةَ.

(٢) بِالْفَاءِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ عَسَرَ، وَقُرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالْوَاوِ.

(٣) أَيُّ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَالْآيَةُ الثَّامِنَةُ مِنْ نَفْسِ السُّورَةِ.

(٤) أَيُّ: شَذَوْدًا.

﴿وَنَقُورُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ نَشَاءُ﴾^(١) فيكون المراد الضُّحَى المؤبد. [١٧]
 ﴿وَسَيَجْزِيهَا﴾ يبعد عنها ﴿الْأَلْفَى﴾ بمعنى التقي. [١٨] ﴿الَّذِي يُؤَقِّي مَالَهُ
 يَرْزُقُ﴾ من كتبها به عند الله - تعالى - بأن يخرجها لله - تعالى - لا رياء ولا سمعة؛
 فيكون زاكياً عند الله، وهذا نزل في الصديق عليه السلام لما اشترى بلالاً المذنب
 على إيمانه واعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليد كان له عنده فنزلت:
 [١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾. [٢٠] ﴿إِلَّا﴾ لكن فعل ذلك
 ﴿أَتَيْعَةً وَتَوْبَةً لِنَفْسِهِ﴾ أي: طلب ثواب الله^(٢). [٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ بما
 يُعطاه من الثواب في الجنة^(٣)، والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله -
 تعالى - عنه، فيبعد عن النار ويثاب.

سُورَةُ الضُّحَى

[مكية، إحدى عشرة آية]

ولما نزلت كبر ﷺ آخرها فسُنَّ التكبير آخرها^(٤). وروي^(٥)
 الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها، وهو: الله أكبر، أو:
 لا إله إلا الله والله أكبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالضُّحَى﴾ أي: أول النهار أو كله. [٢] ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ غطي
 بظلامه أو سكن. [٣] ﴿وَمَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ تركك يا محمد ﴿وَمَا قَلَّ﴾
 أبغضك، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً: إن
 ربه ودعه وقلاه^(٦). [٤] ﴿وَالْآخِرَةَ حَبَرٌ لَكَ﴾ لما فيها من الكرامات لك
 ﴿وَمِنَ الْأُولَى﴾ الدنيا. [٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من
 الخيرات عطاءً جزيلاً ﴿فَرَحَصٌ﴾ به، فقال ﷺ: [إذن لا أرضى وواحد من
 أمتي في النار]^(٧) إلى هنا تم جواب القسم بمشتتين بعد متفيتين. [٦] ﴿أَلَمْ
 يَجِدْكَ﴾ استفهام تقرير؛ أي: وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك، أو:
 بعدها ﴿فَتَّوَّأْنَ﴾ بأن ضلَّك إلى عمك أبي طالب. [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾
 عما أنت عليه من الشريعة ﴿فَهَدَى﴾ أي: هداك إليها. [٨] ﴿وَوَجَدَكَ

سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝
 وَالْآخِرَةَ حَبَرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
 فَتَرْضَى ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝
 وَوَجَدَكَ عَابِدًا فَأَعْنَى ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝
 وَأَمَّا السَّابِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝

سُورَةُ الشَّحْجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنَّا وَزْرَكَ ۝

[١٥] ﴿لَا يَصْلَهُهَا﴾ يدخلها ﴿إِلَّا الْآتَشَى﴾ بمعنى الشقي. [١٦] ﴿الَّذِي
 كَذَّبَ﴾ النبي ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر مؤول لقوله - تعالى -:

(٥) جاء في برول الآيات (٣١): أخرجه البخاري عن جندب بن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يبق ليدين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد
 تركك؛ لم أره قريبا منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأمر الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَى﴾ و﴿الَّذِي يُؤَقِّي مَالَهُ يَرْزُقُ﴾ و﴿وَمَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الضحى (٩٣) باب (١) كيف
 نزل الوحي وأول ما نزل.

(١) النساء: ٤٨.

(٢) في الآية إنبات صفة الوجه لله ﷻ، وسبق الإشارة إلى كلام ابن القيم في الرد على من قال: إن لفظ الوجه مجاز، وبيان بطلان هذا القول. وقال ابن كثير في تفسير الآية: أي طمأن في أن يحصل
 له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات.

(٣) أخرجه نحوه الواحد في أسباب النزول ص (٣٩٢) عن ابن عباس، وأخرجه نحوه أيضاً الآجري في الشريعة (٣/ ٥٤ رقم ١٣٥١)، وإسناده ضعيف لا يقطع به الاستيعاب (٥١٨/٣)،
 ٥١٩. وفي الطبري (١٤٦/٣٠)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٠) عن عبد الله بن الربيع رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق عليه السلام. دون ذكر قصة بلال وإعناقه له، ولا
 قول الكفار عن ذلك. وقال البيهقي في المجمع (١٣٨/٧): فروه البرار، وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وشيخ البراز لم يسمعه. وأخرجه الحاكم (٥٢٥/٢) وصححه
 على شرط مسلم ووافقه الذهبي فهو حسن بمجموع طرقه؛ وانظر الاستيعاب (٥١٧/٣).

(٤) قال الشيخ ابن باز رحمه الله في مجموع فتاوى ومقالات الجزء الأول عندما سئل: هل ثبت التكبير من سورة الضحى إلى آخر القرآن؟ قال: لم يثبت ذلك عن النبي ﷺ كما صرح بذلك الحافظ ابن
 كثير رحمه الله في أول تفسير سورة الضحى، ولكن ذلك عادة جرى عليها بعض القراء لحديث ضعيف ورد في ذلك، فالأولى ترك ذلك لأن العبادات لا تثبت بالأحاديث الضعيفة والله الموفق.
 (٥) أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق أبي الحسن البرقي المقرئ عن أبي بن كعب مرفوعاً [الدر المنثور (٦٠٨/٦)]، ورواه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ١٤٥)
 (١٤٥) ثم قال: (هذا حديث غريب، وهو مما أنكر على البرقي، قال أبو حاتم: منكره)، وانظر أول تفسير سورة الضحى لابن كثير حيث ذكر عن الشافعي ما يدل على تصحيحه لهذا الحديث.

(٦) متفق عليه من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه؛ البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

(٧) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرج البيهقي في شعبه عن ابن عباس قال: رضاه أن يدخل أمة كلهم الجنة. شعب الإيمان (١٦٤/٢). وقال ابن القيم في الجواب الكافي ص (٢١) في معرض الرد على
 من يحتج ويتكلم مثل ذلك؛ قال: «وهمهم من يعتر بهم فاسد، فهمه هو وأضرابه من نصوص القرآن والسنة؛ فأتكلوا عليه؛ كاتكلوا بعضهم على قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾
 قالوا: وهو لا يرضى أن يكون في النار أحد من أمة، وهذا من أفبح الجهل، وأبين الكذب عليه؛ فإنه يرضى بما يرضى به ربه ﷻ، والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة والمصرين =

عَالِيًّا فَقِيرًا ﴿فَأَعْنَى﴾ أُنْكَرَ مَا قَعَلَكَ بِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَغَيْرِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَيْسَ الْغَنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنْ الْغَنَى غِنَى النَّفْسِ» (١). [٩] ﴿فَأَمَّا آيَاتُ فَلَا تَقْهَرْ﴾ بِأَخْذِ مَالِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. [١٠] ﴿وَأَمَّا آيَاتُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ تَزْجِرُهُ لِفَقْرِهِ. [١١] ﴿وَأَمَّا يَنْعَمَ رَبِّكَ﴾ عَلَيْكَ بِالْبُيُوتِ وَغَيْرِهِ ﴿فَوَحَّوْثٌ﴾ أَخْغِيرُ، وَحَدَفَ ضَمِيرُهُ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ رِيعَانَةً لِلْفَرَاصِلِ.

سُورَةُ الشَّرْحِ

[مكية، ثمان آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ اسْتَفْهَمَ تَقْرِيرَ؛ أَي: شَرَحْنَا ﴿لَكَ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿صَدْرَكَ﴾ بِالْبُيُوتِ وَغَيْرِهَا. [٢] ﴿وَوَضَعْنَا﴾ حَطَطْنَا ﴿عَنْكَ﴾ وَزَرَكْ. [٣] ﴿الَّذِي أَنْصَبَ﴾ أَثْقَلَ ﴿ظَهْرَكَ﴾ وَهَذَا كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ (٢). [٤] ﴿وَوَضَعْنَا لَكَ وَزَرَكَ﴾ بَانَ تُذَكَّرُ مَعَ ذِكْرِي، فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَالشَّهَادَةِ وَالْحُطْبَةِ، وَغَيْرِهَا. [٥] ﴿فَوَيْلٌ لَكَ مِنَ الشَّجَاةِ﴾ سَهْوَةٍ. [٦] ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وَالْبُيُوتِ ﷺ قَاتَسَى مِنَ الْكُفَارِ شِدَّةً، ثُمَّ حَصَلَ لَهُ الْيُسْرُ بِبَصَرِهِ عَلَيْهِمْ. [٧] ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ مِنَ الصَّلَاةِ ﴿فَانصَبْ﴾ اتَّعَبَ فِي الدَّعَاءِ. [٨] ﴿وَلَيْكَ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ تَضَرَّع.

سُورَةُ التَّيْنِ

[مكية، أو: مدنية، ثمان آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾؛ أَي: الْمَاكُولِينَ، أَوْ: جَبَلَيْنِ بِالشَّامِ، يُبْنِيَانِ الْمَاكُولِينَ. [٢] ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الْجَبَلِ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِ مُوسَى، وَمَعْنَى: «سِينِينَ»: الْمُبَارَكِ، أَوْ: الْحَسَنِ بِالشَّجَارِ الْمَشْمُورَةِ. [٣] ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ مَكَّةُ؛ لِأَمْنِ النَّاسِ فِيهَا جَاهِلِيَّةً وَإِسْلَامًا. [٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الْجِنْسَ ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تَعْدِيلَ لُصُورَتِهِ. [٥] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ فِي بَعْضِ أَفْرَادِهِ ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ كَنَاءَةً عَنِ الْهَرَمِ وَالضَّعْفِ، فَيَنْقُصُ عَمَلُ الْمُؤْمِنِ عَنْ زَمَنِ الشَّبَابِ وَيَكُونُ لَهُ أَجْرُهُ؛ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: [٦] ﴿إِلَّا﴾ لَكِنَّ الْآيِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مَقْطُوعٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا بَلَغَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكِبَرِ مَا يُعْجِزُهُ عَنِ الْعَمَلِ، كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يُعْمَلُ» (٣). [٧] ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾ أَيُّهَا الْكَافِرُ ﴿بَعْدَ﴾ بَعْدَ مَا ذُكِرَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، ثُمَّ رُدُّهُ إِلَى أَرْضِ الْعَمْرِ، الدَّالُّ عَلَى الْقُدْرَةِ عَلَى الْبَيْتِ ﴿بِالذِّبِ﴾ بِالْجُزْءِ الْمَسْبُوقِ بِالْبَيْتِ وَالْحَسَابِ؛ أَي: مَا يَجْعَلُكَ مَكْذُوبًا بِذَلِكَ، وَلَا جَاعِلَ لَهُ! [٨] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ لِمُحْكِمِينَ﴾ أَي: هُوَ أَفْضَى الْقَاضِينَ، وَحُكْمُهُ بِالْجُزْءِ مِنْ ذَلِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ قَرَأَ وَالتَّيْنِ إِلَى آخِرِهَا فَلْيَقُلْ: بَلَى وَأَنَا عَلَى

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿وَوَضَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿وَلِيَكَ رَبُّكَ فَارْغَبْ﴾

سُورَةُ التَّيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّبِ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ لِمُحْكِمِينَ﴾

سُورَةُ الْعَنَّاكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ أَفْرَأَ رَبِّكَ الْأَكْتَرُ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ أَن رَّاهُ اسْتَعْيَى ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَدْعَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿وَكَلَّا إِنَّمَا يَدْعُو حَتَّىٰ يَخُذَهُ أَلْفُ عَشَرَ﴾

ذلك من الشاهدين» (٤).

سُورَةُ الْحَاقِقَةِ

[مكية، تسع عشرة آية. صدرها إلى: ﴿مَا لَوْ يَتَمُّ﴾ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ بَغَارُ حَرَاءٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠).]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَفْرَأَ﴾ أَوْجَدَ الْقِرَاءَةَ، مَبْدَأًا ﴿بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الْخَلَائِقَ. [٢] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ الْجِنْسَ ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جَمْعُ عَلَقَةٍ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْمُسِيرَةُ مِنَ الدَّمِ الْغَلِيظِ. [٣] ﴿أَفْرَأَ﴾ تَأْكِيدٌ لِلأَوَّلِ ﴿وَرَبِّكَ الْأَكْبَرُ﴾ الَّذِي لَا يُوَاوِزُهُ كَرِيمٌ، حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي «أَفْرَأَ». [٤] ﴿الَّذِي عَلَّمَ الْخَطَّ﴾ بِالْقَلَمِ وَأَوَّلُ مِنْ خَطِّهِ بِهِ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٣). [٥] ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ﴾ الْجِنْسَ ﴿مَا لَوْ يَتَمُّ﴾ قَبْلَ تَعْلِيمِهِ، مِنَ الْهُدَى وَالْكِتَابَةِ وَالصَّنَاعَةِ وَغَيْرِهَا. [٦] ﴿كَلَّا﴾ حَقًّا ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ قُلْتُ: أَنْبَيْتُ أَنَّهُ «أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ: أَيُّ الْقُرْآنِ أَوَّلُ؟ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَذِّبُ». فَقُلْتُ: أَنْبَيْتُ أَنَّهُ «أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» فَقَالَ: لَا أَحْبِرُكَ إِلَّا بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. سَبَقَ تَحْرِيجُهُ وَالتَّعْلِيلُ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْمَدَنِيِّ.

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن يحيى بن أبي كبير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَذِّبُ». فقلت: أنبئت أنه «أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أول؟ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكَذِّبُ». فقلت: أنبئت أنه «أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» فقال: لا أحبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. سبق تحريجه والتعليل عليه في أول سورة المدثر.

- على الكبا، فحاشا رسول له أن يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى. (١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١) عن أبي هريرة مرفوعا. (٢) الفتح: ٢. (٣) أخرجه الطبري عن إبراهيم بن موله (٥١١/٢٤)، وأخرج البخاري (٢٩٩٦) عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: «إذا مرض العبد أو سافر، كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا». (٤) أخرجه الترمذي (٣٣٤٧) وأبو داود (٨٨٧) وأحمد (٧٣٤٤) عن أبي هريرة مرفوعا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٨٤). (٥) البخاري (٤٩٥٣). (٦) قاله الضحاك. وقيل: بل آدم عليه السلام.

يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٧﴾ مَا صَدَرَ مِنْهُ أَي: يعلمه (١٧) فيجازيه عليه أي: اعجب منه يا مخاطب؛ من حيث نهي عن الصلاة، ومن حيث إن النبي على الهدى أمر بالتقوى، ومن حيث إن الناهي مكذب متول عن الإيمان. [١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿لَوْ بَنَتْ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿وَلَنَسْفَعًا﴾ بالناسفة لنجس بناصيته إلى النار. [١٦] ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كَذِبَةٍ﴾ خاطئة. وضمها بذلك مجاز، والمراد صاحبها. [١٧] ﴿فَلْيَدْعُ﴾ تاديبه أي: أهل ناديه، وهو المجلس يثتدى، يتحدث فيه القوم، وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة: لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني؛ لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً مجرداً ورجالاً مُرَدًا. [١٨] ﴿سَنَسْفَعُ﴾ السنفاعة الغلاظ الشداد لإهلاكه، كما في الحديث: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً» (١٩) ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تَطْلُعُ﴾ يا محمد في ترك الصلاة ﴿وَأَسْجُدْ﴾ صل لله ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ منه بطاعته (٢٠).

سُورَةُ الْقَادِرِ

[مكية، أو: مدنية، خمس، أو: ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن، جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي: الشرف العظيم. [٢] ﴿وَمَا أَذْرَبْكَ﴾ أعلمتك يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تعظيم لشأنها، وتعجب منه. [٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها. [٤] ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل ﴿وَالرُّوحُ﴾ أي: جبريل ﴿فِيهَا﴾ في الليلة ﴿يَأْذِنُ رَبَّهُمْ﴾ بأمره ﴿وَمَنْ كَلَّمَ رَبَّهُ﴾ فضاء الله فيها، لتلك السنة إلى قابل، «ومن» سببية بمعنى الباء. [٥] ﴿سَلَّمَ مِنْهُ﴾ خبر مقدم ومبتدأ (٦) ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ بفتح اللام وكسرها (٧)، إلى وقت طلوعه، جعلت سلاماً لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تشعروا بمؤمن ولا بمؤمنة إلا سلمت عليه.

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات] (٨٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ﴾ للبيان ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أي:

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ أَرَعَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٩﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿٢٠﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿٢١﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿٢٣﴾

سُورَةُ الْقَادِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرَبكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ مِنْهُ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾

[٧] ﴿أَنْ رَأَاهُ﴾ أي: نفسه ﴿اشْتَقَى﴾ بالمال، نزل في أبي جهل، ورأى عليه (٨) «واستغنى»: مفعول ثان، «وأن رآه» مفعول له. [٨] ﴿إِنْ رَأَيْتَ﴾ يا إنسان ﴿الْحَقَّ﴾ أي: الرجوع، تخويف له فيجازي الطاعني بما يستحقه. [٩] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ في مواضعها الثلاثة للتعجب ﴿الَّذِي يَتَّبِعُ﴾ هو أبو جهل. [١٠] ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ ﴿إِذَا سَأَلَ﴾ [١١] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ﴾ المنهي ﴿عَنِ الْمُنَافِقَةِ﴾ [١٢] ﴿أَوْ﴾ للتقسيم (١٣) ﴿أَمْزَ بِالْفُقُورِ﴾. [١٣] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ أي: الناهي النبي ﷺ ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان. [١٤] ﴿أَرَأَيْتَ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٩، ٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقبل: نعم. فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجعهم منه إلا وهو ينكسر على عقبه ويثني يديه. قال: فقبل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهو لا وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لأخطفه الملائكة عضواً عضواً» قال: فأقول الله ﷻ لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه: ﴿كَلَّا إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَسْفَعُ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تَطْلُعُ﴾ زاد عبد الله في حديثه قال: وأمره بما أمر به. وزاد ابن عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يعني قومه. وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: جاء أبو جهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي فنهاه، فنهده النبي ﷺ فقال: أتهدني، أما والله إني لأكثر أهل الوادي نادياً. فأقول الله ﷻ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَتَّبِعُ﴾ عبداً إذا سأل ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمُنَافِقَةِ﴾ أو أمر بالفتور ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. قال ابن عباس: والذي نفسي بيده، لو دعا ناديه لأخذته الزبانية. أحمد - المسند (١/ ٣٢٩). وأخرجه الترمذي، وفيه: «فأقول الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ سَنَدُّ الزَّبَانِيَةِ﴾. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٨٥) سورة اقرأ باسم ربك. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٦٨). (٥٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي حبة البصري قال: لما نزلت: ﴿لَوْ بَنَتْ﴾ قال جبريل عليه السلام: يا محمد، إن ربك يأمر أن تقرأ هذه السورة أي بن كعب، فقال النبي ﷺ: «يا أي، إن ربى ﷻ أمرني أن أقرأك هذه السورة فبكي وقال: ذكرت ثمة؟ قال: فاعبهم. أحمد - المسند (٣/ ٤٨٩)، وصححه الأرنؤوط في تخريجها على المسند (٣٨١/٢٥) رقم (١٦٠٠٠).

(٢) قال الصاوي في حاشيته: «الأولى أن يقول: بمعنى الواو». فهو ﷺ على الهدى وأمر بالتقوى.

(٣) العلم غير الرؤية إن كان من لوازمها، وسبق التنبيه على ذلك مراعاة. (٤) أخرج نحوه الترمذي (٢٣٤٩) وأحمد (٢٣١٧) موقوفاً، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٥٥٧).

(٥) أي: مبتدأ مؤخر.

(٦) بالكسر قراءة الكسائي.

[٣] ﴿وَمَا أَذْرَكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ زيادة تهويل لها، و«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدري». [٤] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه دل عليه «القارعة»، أي: تقرر ﴿يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ كغوغاء الجراد المنتشر، يوح بعضهم في بعض للخيبة، إلى أن يذعوا للحساب.

[٥] ﴿وَيَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ كالصوف المندوف، في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض.

[٦] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ في الجنة؛ أي: ذات رضى؛ بأن يرضاها؛ أي: مرضية له.

[٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته.

[٨] ﴿فَأَمَّهُمْ فَمَسْكَهُمُ﴾ فهاوية. [٩] ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ﴾

أي: ما هاربة؟ هي: [١٠] ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ شديدة الحرارة، وهاء «هيه» للسكت تثبت وصلاً ووقفاً، وفي قراءة (٢) تحذف وصلاً.

سورة التكاثر

[مكية، ثمان آيات] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ شغلهم عن طاعة الله ﴿التَّكَاثُرُ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال.

[٢] ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ بأن متم فدفنتم فيها، أو: عددتم الموتى تكاثراً.

[٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. [٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبة تفاخركم، عند الزرع، ثم في القبر.

[٥] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ علماً يقيناً، عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به.

[٦] ﴿لَتَرْوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ النار؛ جواب قسم محذوف، وخذف منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء (٣).

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تأكيد ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ مصدر؛ لأن «رأى» و«عين» بمعنى واحد.

[٨] ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ﴾ خذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ يوم رؤيتها ﴿عَنِ الْيُسُوبِ﴾ ما يلتذ به في الدنيا، من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب، وغير ذلك.

(١) فائدة: أخرج أحمد عن محمود بن لبيد قال: لما نزلت: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فقرأها حتى بلغ: ﴿لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يُنْفَخُ عَنِ الْيُسُوبِ﴾ قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نسأل وإنما هما الأسودان: الماء والنمر، وسبوا على رقابنا والعدو حاضر، مع أي نعيم نسأل؟ قال: «إن ذلك سيكون». أحمد - المسند (٥/ ٤٢٩). وأخرجه الترمذي عن الزبير بن العوام وعن أبي هريرة، وفيه لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يُنْفَخُ عَنِ الْيُسُوبِ﴾. (حسن الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٧٢، ٢٦٧٣).

(٢) كلما في النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي إشارة إلى الاختلاف في عدد آياتها؛ فقيل: عشر آيات، أو: إحدى عشرة آية.

(٣) وهي قراءة حمزة.

(٤) أي من: «النرون»، وأصله: «ترعون» بوزن: «تفعلون»؛ فحذفت لام الفعل وعينه؛ أي: الهزلة والباء من أصل الفعل: «رأى»، ثم أُلقيت حركة الهزلة، وهي الفتحة، على لراء قبلها، فسقطت الهزلة، وتحركت الباء وانفتح ما قبلها؛ فقلبت ألفاً؛ فالتقى ساكنان، فحذفت الألف، ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة؛ فحذفت نون الرفع لتوالي الأفعال، وحركت الواو بالضم؛ فصارت «لَرَوُنَّ».

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٣﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٤﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿٦﴾

سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ

يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ

كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي

عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾

وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾

لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

بُعثوا. [١٠] ﴿وَحُصِّلَ﴾ يُنَّ وأُفرز ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ القلوب من الكفر والإيمان. [١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ لعالم؛ فيجازيهم على كفرهم، أعيد الضمير جمعاً نظراً لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول «يعلم» أي: إنا نجازيه وقت ما ذكر، وتعلق «خبير» بـ«يومئذ» وهو - تعالى - خبير دائماً؛ لأنه يوم المجازة.

سورة القنطرة

[مكية، ثمان آيات] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْقَارِعَةُ﴾ القيامة التي تقرر القلوب بأهوالها.

[٢] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ تهويل لشأنها، وهما مبتدأ وخبر: خبر القارعة.

(١) فائدة: أخرج أحمد عن محمود بن لبيد قال: لما نزلت: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فقرأها حتى بلغ: ﴿لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يُنْفَخُ عَنِ الْيُسُوبِ﴾ قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نسأل وإنما هما الأسودان: الماء والنمر، وسبوا على رقابنا والعدو حاضر، مع أي نعيم نسأل؟ قال: «إن ذلك سيكون». أحمد - المسند (٥/ ٤٢٩). وأخرجه الترمذي عن الزبير بن العوام وعن أبي هريرة، وفيه لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يُنْفَخُ عَنِ الْيُسُوبِ﴾. (حسن الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٧٢، ٢٦٧٣).

سُورَةُ الْغَصَةِ

[مكية: أو: مدنية، ثلاث آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾ الدهر، أو: ما بعد الزوال إلى الغروب، أو: صلاة العصر.

[٢] ﴿إِذَا الْإِنْسَانُ﴾ الجنس ﴿لَنِي خُسْرٍ﴾ في تجارته^(١).

[٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خسران ﴿وَوَاصُوا﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿وَوَاصُوا بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

سُورَةُ الْهُمَزِ

[مكية، أو: مدنية، وأبانتها تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أي: كثير الهمز واللمز؛ أي: الغيبة، نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين؛ كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما.

[٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢) ﴿مَا لَا وَعَدَدُ﴾ أحصاه وجعله عُدَّةً لحوادث الدهر^(٣).

[٣] ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخَذَ﴾ جعله خالداً لا يموت.

[٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿لَيُبَدِّلَنَّهُ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: ليطرحن في الحطمة التي تحطم كل ما ألقى فيها.

[٥] ﴿وَمَا أَزِيدُ﴾ أعلمك ﴿مَا لُحِطَةٌ﴾.

[٦] ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المسفرة.

[٧] ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾ تشرف ﴿عَلَى الْأَفْقِدَةِ﴾ القلوب فتحرقها، وألمها أشد من ألم غيرها للطفها.

[٨] ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ﴾ جمع الضمير رعاية معنى «كل» ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمز وبالواو بدله^(٤): مطبقة.[٩] ﴿فِي﴾ [عُتِدَ] بضم الحرفين، وبفتحهما^(٥) ﴿مُؤَمَّدَةٌ﴾ صفة لما قبله، فتكون النار داخل العقد.

سُورَةُ الْفِيلِ

[مكية، خمس آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّتِي تَرَى﴾ استفهام تعجب؛ أي: اعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْأَفِيلِ﴾ هو: «محمود» وأصحابه: أبرهة ملك اليمن وجيشه؛ بنى بصنعاء كنيسة؛ ليضرب إليها الحاج عن مكة؛ فأحدث رجل من كنانة فيها

(١) أي في مناجرتهم ومساعيهم وصرف أعمارهم في أمور لا تنفعهم في الآخرة. والخرسان: ذهب رأس مال الإنسان، في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٣) هذا قول عكرمة. وقال غيره: المعنى: أي عدته مرة بعد أخرى حيا له وشغفا به. وقيل: جعله أصنافاً وأنواعاً؛ كعقار، ومناخ، ونقود.

(٤) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

(٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٦) ما ذكره المفسر من أوصاف ودقائق يحتاج إلى دليل صحيح ثابت عن المعصوم ﷺ.

سُورَةُ الْغَصَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَوَوَّاصُوا بِالْحَقِّ وَوَوَّاصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْهُمَزِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدَ لَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّهُ فِي الْحُطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَزِيدُ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْقِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّتِي تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْأَفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَصَفِّ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾

وَلَطَّخَ قِيَافَتَهَا بِالغُذَرَةِ احْتِقَارًا بِهَا؛ فحلف أبرهة ليهدم الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال اليمن مقدمها «محمود»، فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله: [٢] ﴿الَّتِي تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْأَفِيلِ﴾ أي: جعل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ خسارة وهلاك. [٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات جماعات؛ قيل: لا واحد له؛ كأساطير. وقيل: واحده «أبؤل»، أو: «إبأل»، أو: «أبيل»؛ كعُجُول ومفتاح وسكين. [٤] ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين مطبوخ. [٥] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَصَفِّ مَأْكُولٍ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفتته؛ أي: أهلكهم الله - تعالى - كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدة، وأصغر من الحبيضة، يخرق البيضة والرجل والفيل، ويصل إلى الأرض^(١)، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.

سُورَةُ الْمَاعُونِ

[مكية، أو: مدنية، أو: نصفها، ونصفها، ست، أو: سبع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ بالجزاء والحساب؛ أي: هل عرفته؟ وإن لم تعرفه [٢] ﴿فَذَلِكِ﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء ﴿الَّذِي يَدْعُ﴾ أَلَيْسَ؟ أي: يدفعه بعنف عن حقه.

[٣] ﴿وَلَا يَحْضُ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَى طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ أي: إطعامه، نزلت في العاصي بن وائل، أو: الوليد بن المغيرة.

[٤] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾. [٥] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ غافلون، يؤخرونها عن وقتها.

[٦] ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤْنَ﴾ في الصلاة وغيرها. ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ كالإبرة والفأس والقدر والقشعة.

سُورَةُ الْكَوثرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿الْكَوثرَ﴾ هو نهر في الجنة، هو حوضه ترد عليه أمته، أو: الكوثر: الخير الكثير؛ من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها.

[٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة عيد النحر ﴿وَأَنْحَرْ﴾ نسكك.

[٣] ﴿إِنَّا شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ المنقطع عن كل خير، أو المنقطع العقب، نزلت في العاصي بن وائل^(١)؛ سَمَى النبي ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ ﴿١﴾ إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴿٤﴾ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿٣﴾ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤْنَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الْكَوثرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوثرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

سُورَةُ قُرَيْشٍ

[مكية، أو: مدنية، أربع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾ [٢] ﴿إِلَافِهِمْ﴾ تأكيد، وهو مصدر «آلف» بالمد. [٣] ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ إلى اليمن ﴿وَالصَّيْفِ﴾ إلى الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم: ولد النضر بن كنانة. [٤] ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ تعلق به لـ «إيلاف»، والفاء زائدة ﴿رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ﴾. [٥] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أي: من أجله ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي: من أجله، وكان يصيهم الجوع لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

(٥) فائدة: أخرجه مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغشى إغشاة ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ سورة»، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوثرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾». مسلم. كتاب الصلاة (٤) باب (١٤) حجة من قال: بالبسملة آية من أول كل سورة.

(١) أخرجه الواحدى بنحوه في أسباب النزول عن يزيد بن رومان ص (٤٠٤)، وهو مرسل. وأخرج البراز عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم؛ ألا ترى إلى هذا الصنوبر المنبت من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السداة، وأهل السقاية؟ فقال: أنتم خير منه، قال: فنزلت: ﴿إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول لميل الوادعي ص (٢٣٧). والآية تعم كل من أبغض النبي ﷺ.

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

[مكية أو مدنية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. [٢] ﴿لَا أَعْبُدُ فِي الْحَالِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام. [٣] ﴿وَلَا أَشْتَرُ عِبِيدُونَ﴾ في الحال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله - تعالى - وحده. [٤] ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ في الاستقبال ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾. [٥] ﴿وَلَا أَشْتَرُ عِبِيدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق «ما» على الله على وجه المقابلة. [٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب، وحذف ياء الإضافة القراء السبعة وفقاً ووصلاً، وأثبتها يعقوب^(١) في الحالين.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مدنية، ثلاث آيات]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَبَيَّضَ عَلَى أَعْدَائِهِ﴾ وَآلَفَتْحُ ﴿فَتَحْ مَكَّةَ﴾. [٢] ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات، بعدما كان يدخل فيه واحد وواحد، وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين. [٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: متلبساً بحمده ﴿وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَاقِبًا﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه^(٢)، وعلم بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

سُورَةُ الْمَسَدِ

[مكية، خمس آيات]**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] لما دعا النبي ﷺ قومه وقال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا يَذِيرُ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^(٣). فقال عمه أبو لهب: تبا لك ألهذا دعوتنا؟^(٤) نزل: ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت ﴿يَدَايَ أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: جملته، وعبر عنها باليدين مجازاً؛ لأن أكثر الأفعال تراول بهما، وهذه الجملة دعاء ﴿وَتَبَّتْ﴾ خسرت هو، وهذه خبر كقولهم: أهلكه الله وقد هلك. [٢] ﴿وَلَا يَخُوفُ النَّبِيَّ بِالْعَذَابِ﴾ إن كان

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعها؟ قلت: نعم؛ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قال: صدقت. مسلم. كتاب التفسير (٥٤) رقم (٢١). وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال النبي ﷺ: «أناكم أهل اليمن هم أرق فلوجاً، والإيمان يمان، والفقه يمان، الحكمة يمانية». أحمد. المسند (٢٧٧/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٧٧٠٩). وأخرج أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» قال: قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها وقال: «الاس خير، وأنا وأصحابي خير»، وقال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية». أحمد. المسند (٢٢/٣)، (١٨٧). وأخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة (إذا جاء) (١١٠) باب (١).

(هه) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عِبِيرَتَكَ الْأَوَّلِينَ﴾. صدق النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، =

(١) وهو من العشرة.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٤) عن عائشة، وهو في البخاري (٤٩٦٧) بلفظ: «ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».

(٣) سبأ: ٤٦. (٤) البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٥) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم.

سُورَةُ الْإِنشَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝
لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

سُورَةُ الْفَاتِحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَاتِحِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ
النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي
يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝

سُورَةُ الْإِنشَاءِ

[مكية، أو: مدنية، أربع، أو: خمس آيات] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] سئل النبي ﷺ عن ربه؛ فَنَزَلَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَاَللَّهُ خَبِيرُهُ،
و«أحد» بدل منه، أو: خير ثاب. [٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر؛ أي:

المقصود في الحوائج على الدوام. [٣] ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لانتهاء مجانسته ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لانتهاء الحدوث عنه. [٤] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: مكافئًا ومماثلًا، والله «متعلق بـ«كفوًا» وقلم عليه؛ لأنه محط القصد بالنفي، وأخر «أحد» وهو اسم «يكن» عن خبرها؛ رعاية للفاصلة.

سُورَةُ الْفَاتِحِ

[مكية، أو: مدنية، خمس آيات] (**)

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ في وتر به إحدى عشرة عقدة، فأعلمه الله بذلك وبمحملة^(١)، فأحضر بين يديه ﷺ وأمر بالتعوذ بالسورتين؛ فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد خفقة، حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما نثبط من عقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَاتِحِ﴾ الصبح. [٢] ﴿وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك. [٣] ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا أظلم، والقمر إذا غاب. [٤] ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ السواحر تنفث ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ التي تعقدها في الخيط، تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق، وقال الزمخشري معه^(٢) كينات لبيد المذكور. [٥] ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أظهر حسده وعمل بمقتضاه؛ كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكر الثلاثة الشامل لها «ما خلق» بعده؛ لشدة شرها.

سُورَةُ النَّاسِ

[مكية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ خالقهم ومالكهم، خُصُّوا بالذكر تشريفًا لهم، ومناسبة للاستفادة من شرِّ الموشوس في صدورهم.
[٢] ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾.
[٣] ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ بدلان، أو: صفتان، أو: عطفًا بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادةً للبيان.

= لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «رَأَيْتُمْ لَوِ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تَزِيدُ أَنْ تَغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قالوا: نعم، ما حربنا عليك إلا صدقًا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يُدَا إِلَىٰ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْكَ مَالُكَ وَمَا كَسَبْتَ ﴿١﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٢).

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه الترمذي عن أبي بن كعب ؓ أن المشركين قالوا رسول الله ﷺ: انسب لنا نزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ. الترمذي، كتاب تفسير القرآن (٤٨)، باب ومن سورة الإخلاص. وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في المسند (١٣٤/٥)، وحسن الألباني هذا الجزء من الحديث في ضعيف سنن الترمذي (٢٦٦)، وحسنه في الاستيعاب (٥٨٠/٣).

(٥٥) فائدة: أخرجه الترمذي عن عقة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: قد أنزل الله عليّ آيات لم يُرَ مثلهن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة، إلى آخر السورة. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٢)، وأخرجه مسلم (٨١٤) أيضًا مختصراً. وأخرج الترمذي أيضًا عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الحان وعين الإنسان حتى نزلت الموعودتان، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما. الترمذي - كتاب الطب (٢٩) باب (١٦) ما جاء في الرقية للمعوذين. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٨١).

(١) جاء نحو هذا عن زيد بن أرقم؛ قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود؛ قال فاشتكى؛ فأثاء جبريل فنزل عليه بالمعوذتين، وقال: «إن رجلاً من اليهود سحر، والسحر في يقر فلان»، قال: فأرسل عليًّا فجاء به. قال: فأمره أن يحس العقد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويحل حتى قام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال... أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٢٤٧/١)، رقم (٢٧١)، وأخرجه بنحوه - دون ذكر النزول بالمعوذتين - النسائي في المجتبى (٤٨٠)، وأحمد في المسند (٣٦٧/٤)، وصححه في الاستيعاب (٥٨٩/٣). وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الجلالين ص (٣١٥): «... وإذا ثبت أن السورتين مكيّتان؛ يُعَدُّ أن يكون سحر الرسول ﷺ سبب نزولهما؛ إلا أن يقال بجواز تكرار النزول لآية. أو السورة، أو السور» اهـ.

(٢) أي: الريق؛ ففي النثث قولان.

[٤] ﴿مِنْ شَرِّ أَلْوَسَاسٍ﴾ الشيطان، سُمي بالحدث^(١) لكثرة ملاسته له ﴿الْخَنَاسِ﴾ لأنه يَخْنُسُ ويتأخر عن القلب، كلما ذُكر الله.

[٥] ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ قلوبهم، إذا غَفَلُوا عن ذكر الله.

[٦] ﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي؛ كقوله - تَعَالَى -: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾^(٢)، أو: «من الجنة» بيان له، و«الناس» عطف على «الوسواس»، وعلى كل يشمل شَرُّ لبيد وبناته المذكورين. واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس؛ إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضًا بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه، بالطريق المؤدي إلى ذلك. واللَّهُ - تَعَالَى - أعلم.

[واللَّهُ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيرًا، دائمًا أبدًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم]^(٣).



خاتمة

(نسأل الله حسنها)

يقول مُراجعُه وجامع حواشيه

الفقير إلى عفو مولاه ورضاه وجبيل ستره وحسن لقاءه

أبو عبد الرحمن هُشَيْرُ الْحَمْدِ سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ

كان الفراغ من مراجعة تفسير الجلالين وجمع حواشيه ليلة الجمعة غرة جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ،

وكان البدء في هذا العمل قبل قرابة عشر سنوات، واللَّهُ أسأل أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

(١) أي: المصدر، وقوله: «لكثرة ملاسته له» أي ملازمته للوسوسة، كما تقول: زيد عدل. وما ذكره المفسر ليس بتعين؛ فإن الوسواس - كما يستعمل في المصدر - يطلق كذلك على نفس الشيطان، وعلى ما يخطر بالقلب من شر.

(٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) ما بين المعقوفين موجود في نهاية تفسير الفاتحة، وأثبتته هنا للمناسبة. وقال في حاشية الجمل: كأن هذه العبارة من وضع تلامذة المحلي، أو من وضع السيوطي، قصد بها ختم تفسير المحلي، والإشارة إلى فراغه وانفضائه، ويبدو جدًا أنها من كلام المحلي؛ لما عرفت سابقًا أنه كان قد شرع في تفسير النصف الأول، وأنه ابتداءً بالفاتحة، وأنه اختتمته المنية بعد الفراغ منها، وقبل الشروع في البقرة وما بعدها، وإذا كان كذلك فيبعد منه أن يأتي بعبارة تشعر بالانتهاء والاختتام أثناء تفسير النصف الأول. فتأمل. وآخر هذه العبارة هو قوله: «وإليه المآب»... ثم قال: «...فعلى هذا يكون ما في هذه النسخة من قوله: وصلى الله على سيدنا محمد... إلى آخره» ليس من نسخة المحلي، وإنما هو من وضع بعض الناس، وبدل عليه ثبوته في بعض النسخ دون بعض.

فهرس الكتاب

٢٨٥	سُورَةُ الْقَصَصِ	(ا)	تقريط فضيلة الشيخ الدكتور/ احمد عيسى المعصراوي
٣٩٦	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ	(ج)	مقدمة الشيخ وحدي الغزاوي
٤٠٤	سُورَةُ الرُّومِ	(هـ)	مقدمة المحقق
٤١١	سُورَةُ لُقْمَانَ	(ز)	التعريف بالتفسير والمفسرين
٤١٥	سُورَةُ الشُّجَرَةِ	(ح)	مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به
٤١٨	سُورَةُ الْأَخْرَافِ	(ي)	منهج العمل في الكتاب
٤٢٨	سُورَةُ سَبَأٍ	١	سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
٤٣٤	سُورَةُ هَاجِرٍ	٢	سُورَةُ الْبَقَرَةِ
٤٤٠	سُورَةُ يَسٍ	٥٠٠	سورة آل عمران
٤٤٦	سُورَةُ الصَّافَّاتِ	٧٧	سُورَةُ النَّسَاءِ
٤٥٣	سُورَةُ ص	١٠٦	سورة المائدة
٤٥٨	سُورَةُ الزُّمَرِ	١٢٨	سورة الانعام
٤٦٧	سُورَةُ غَافِرٍ أَوْ الْمُؤْمِنِ	١٥١	سُورَةُ الْأَنْعَامِ
٤٧٧	سُورَةُ حَمِ الشُّجَرَةِ	١٧٧	سُورَةُ الْأَنْفَالِ
٤٨٣	سُورَةُ الشُّورَى	١٨٧	سُورَةُ التَّوْبَةِ
٤٨٩	سُورَةُ الزُّخْرِفِ	٢٠٨	سُورَةُ يُوسُفَ
٤٩٦	سُورَةُ الدُّخَانِ	٢٢١	سُورَةُ هُودٍ
٤٩٩	سُورَةُ الْجَاثِيَةِ	٢٢٥	سُورَةُ يُوسُفَ
٥٠٢	سُورَةُ الْأَعْقَابِ	٢٤٩	سُورَةُ الرَّعْدِ
٥٠٧	سُورَةُ الْيَتَالِ (مُحَمَّد)	٢٥٥	سُورَةُ إِبرَاهِيْمَ
٥١١	سُورَةُ الْفَتْحِ	٢٦٢	سُورَةُ الْحَجَرِ
٥١٥	سُورَةُ الْحَجَرَاتِ	٢٦٧	سُورَةُ النَّحْلِ
٥١٨	سُورَةُ قَ	٢٨٢	سُورَةُ الْإِسْرَاءِ
٥٢٠	سُورَةُ الدَّارِيَاتِ	٢٩٣	سُورَةُ الْكَهْفِ
٥٢٣	سُورَةُ الطُّورِ	٣٠٥	سُورَةُ مَرْيَمَ
٥٢٦	سُورَةُ النَّجْمِ	٣١٢	سُورَةُ طه
٥٢٨	سُورَةُ الْقَمَرِ	٣٢٢	سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ
٥٣١	سُورَةُ الرَّحْمَنِ	٣٣٢	سُورَةُ الْحَجِّ
٥٣٤	سُورَةُ الْوَاقِعَةِ	٣٤٢	سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ
٥٣٧	سُورَةُ الْخَبِيدِ	٣٥٠	سُورَةُ النَّوْرِ
٥٤٢	سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ	٣٥٩	سُورَةُ الْفُرْقَانِ
٥٤٥	سُورَةُ الْحَشْرِ	٣٦٧	سُورَةُ الشُّعَرَاءِ
٥٤٩	سُورَةُ الْمُمُتَحِنَةِ	٣٧٧	سُورَةُ النَّحْلِ

٥٩٢ .	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ	٥٥١ .	سُورَةُ الصَّفِّ
٥٩٣ .	سُورَةُ الْفَجْرِ	٥٥٢ .	سُورَةُ الْجُمُعَةِ
٥٩٤ .	سُورَةُ الْبَلَدِ	٥٥٤ .	سُورَةُ الْمُتَفِقُونَ
٥٩٥ .	سُورَةُ الشَّمْسِ	٥٥٦ .	سُورَةُ النَّازِعَاتِ
٥٩٥ .	سُورَةُ اللَّيْلِ	٥٥٨ .	سُورَةُ الطَّلَاقِ
٥٩٦ .	سُورَةُ الضُّحَى	٥٦٠ .	سُورَةُ النَّجْمِ
٥٩٧ .	سُورَةُ الشَّرْحِ	٥٦٢ .	سُورَةُ الْمُثَنِّ
٥٩٧ .	سُورَةُ التِّينِ	٥٦٤ .	سُورَةُ الْحَقِّ
٥٩٧ .	سُورَةُ الْعَلَقِ	٥٦٦ .	سُورَةُ الْحَاقَّةِ
٥٩٨ .	سُورَةُ الْقَدْرِ	٥٦٨ .	سُورَةُ الْمَعَارِجِ
٥٩٨ .	سُورَةُ الْبَيِّنَةِ	٥٧٠ .	سُورَةُ نُوحٍ
٥٩٩ .	سُورَةُ الزُّزُرَةِ	٥٧٢ .	سُورَةُ الْجِنِّ
٥٩٩ .	سُورَةُ الْغَايَاتِ	٥٧٤ .	سُورَةُ الْمُرْمَلِ
٦٠٠ .	سُورَةُ الْقَارِعَةِ	٥٧٥ .	سُورَةُ الْمُذَنَّبِ
٦٠٠ .	سُورَةُ التَّكْوِينِ	٥٧٧ .	سُورَةُ الْقِيَامَةِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْقَصْرِ	٥٧٨ .	سُورَةُ الْإِنشَاءِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْهُمَزَةِ	٥٨٠ .	سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْفِيلِ	٥٨٢ .	سُورَةُ النَّبَاِ (النَّسَائِلِ)
٦٠٢ .	سُورَةُ هُرَيْشٍ	٥٨٢ .	سُورَةُ النَّازِعَاتِ
٦٠٢ .	سُورَةُ الْمَاعُونِ	٥٨٥ .	سُورَةُ عَبَسَ
٦٠٢ .	سُورَةُ الْكَوْثَرِ	٥٨٦ .	سُورَةُ التَّكْوِينِ
٦٠٣ .	سُورَةُ الْكَافِرُونَ	٥٨٧ .	سُورَةُ الْإِنْشَاءِ
٦٠٣ .	سُورَةُ النَّصْرِ	٥٨٧ .	سُورَةُ الْمُصَفِّينَ
٦٠٣ .	سُورَةُ الْمَسَدِ	٥٨٩ .	سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ
٦٠٤ .	سُورَةُ الْإِخْلَاصِ	٥٩٠ .	سُورَةُ الْبُرُوجِ
٦٠٤ .	سُورَةُ الْفَلَقِ	٥٩١ .	سُورَةُ الطَّارِقِ
٦٠٤ .	سُورَةُ النَّاسِ	٥٩١ .	سُورَةُ الْأَعْلَى

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com